كليات رسائل النور

٤

الشعاعات

تأليف

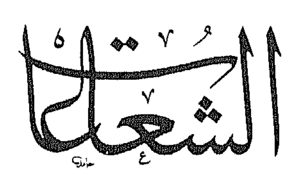
بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي







ترجمة كتاب

شعاعلر

ŞUÂLAR

عن التركية

الترقيم الدولي : ISBN: 977 - 00 - 5680 - 4

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٩٣/٨٣٢٣

- الطبعة الثانية (بمصر) .
- ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

- النشر والتوزيع : «دار سوزلر للنشر» ـ فرع القاهرة .
- عنوان فرع القاهرة : ١٠ شارع يوسف عباس ـ مدينة التوفيق ـ مدينة نصر ـ تليفون : ٢٦٣٦٦٨٤ .



كليات رسائل النور

٤

الشعاعات

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعاع الثاني

الثمرة الاخيرة لسجن « اسكي شهر »
الشعاع الثاني للمعة الحادية والثلاثين

لقد شاب هذا الشعاع شئ من عدم التناسق وسوء الانتظام حيث أُلّف بقلمي القاصر في منتهى السرعة وفي وضع كنت أُكابد فيه الضيق والعنت والازعاج، بعدما بتّ وحيداً فريداً في سجن « اسكي شهر » عقب الافراج عن اصدقائي.

وفي هذه الايام – اي بعد ستة عشر عاماً[1] – شرعت بتصحيحه، ووجدته في غاية الأهمية والقوة والقيمة من زاوية الايمان والتوحيد.

سعيد النورسي

(١) اي في سنة ١٩٥٢ حيث ان سجن « اسكي شهر » كان في سنة ١٩٣٦ – المترجم.

النكتة السابعة العظمى الخاصة بالاسم الاعظم «الله أحد».
وهي السابعة للنكات الست للاسم الاعظم.

تنبيه

هذه الرسالة في غاية الأهمية في نظري، حيث تنكشف فيها اسرار ايمانية جليلة ومعان ايمانية دقيقة. فمن يقرأها بتدبر وامعان ينقذ ايمانه باذن الله. وحيث لا التقي احداً مع الاسف في هذا السجن لم تبيض ولم تكتب ثانية ولم اتمكن من ان اكلف احداً للقيام بتبييضه.

فان شئت ان تلمس مدى قيمة هذه الرسالة وعلو مزيّتها فاقرأ اولاً الثمرة الثانية والثالثة الموجودتين في بداية الرسالة، ثم اقرأ الخاتمة والمسألة التي قبلها بدقة، ثم طالع الرسالة كاملة مطالعة متأنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

لقد احسست بهذه النكتة احساساً لطيفاً غاية اللطف وجميلاً غاية الجمال وحلواً لذيذاً غاية الحلاوة واللذة، وذلك بفيض أنوار نكتة باهرة مفاضة من الآية الكريمة ﴿ **فاعلم انه لااله الاّ الله** ﴾(محمد: ١٩) وبإلهام وإشارة من قَسَم نبوي معروف.

هذه النكتة تضم ثلاث ثمرات للتوحيد، وثلاثاً من مقتضياته، وثلاثاً من حججه.

نعم، لقد كان الرسول الاكرم ﷺ اكثر مايكرره في قَسَمِه: «والذي نفسُ محمدٍ بيده..»(١) فهذا القَسَم النبوي الجليل يبين أن اوسع دائرة من دوائر شجرة الكون،

(١) روى ابن ماجة عن رفاعة الجهني واحمد في مسنده (٤/١٦): كان ﷺ اذا حلف قال:(والذي نفس محمد بيده).

واقصى نهاية لها وأبعد فرع من فروعها هي ايضاً ضمن قدرة الواحد الأحد سبحانه وتحت ارادته جلّ وعلا، اذ لو كان افضل مخلوق واكرمهم وهو محمد ﷺ غير مالك لنفسه وغير حرّ طليق في افعاله، بل افعاله وحركاته وسكناته مقيدة بارادة غير ارادته واختياره، فلا شئ اذن في الوجود، ولاشأن ولاحال ولاكيفية مهما كانت جزئية أم كلية، خارج دائرة تلك القدرة العظيمة المحيطة بكل شئ، ولاخارج تلك الارادة الشاملة كل شئ. فهذا القَسَم النبوي البليغ ذو المغزى العميق انما يعبّر عن توحيد ربوبية جليلة في منتهى العظمة والاحاطة.

ولقد بيّنا في مجموعة «سراج النور»(١) من رسائل النور، مائة من البراهين الباهرة، بل ألفاً منها حول اثبات هذا التوحيد، لذا نحيل تفاصيل هذه الحقيقة السامية واثباتها الى تلك المجموعة. الاّ اننا نوضح هنا في هذا «الشعاع الثاني» توضيحاً مختصراً تلك الحقيقة الايمانية الجليلة في ثلاثة مقامات.

ففي المقام الاول: نبين ثلاث ثمرات من الثمرات الوفيرة، لتلك الحقيقة التوحيدية التي لها ثمرات كلية في غاية اللطف واللذة والأهمية والنور. نبينها باختصار شديد، مع الاشارة الى أذواقي ومشاعري التي ساقتني الى تناول تلك الثمرات.

وفي المقام الثاني: تُوضح مقتضيات ثلاثة لهذه الحقيقة السامية، والاسباب الموجبة لها، فهي مقتضيات ثلاثة الاّ انها بقوة ثلاثة آلاف مقتضى وسبب.

وفي المقام الثالث: يُذكر ثلاث علامات لتلك الحقيقة التوحيدية الباهرة، فهي علامات ثلاث الاّ انها بقوة ثلاثمائة علامة وأمارة ودليل.

* * *

(١) مجموعة من رسائل النور هي: المناجاة، المرضى، الشيوخ، مراتب الآية الحسبية، حكمة الاستعاذة، النوافذ، دفاع الأستاذ النورسي في محكمة «دنيزلي» واشراط الساعة وغيرها من المباحث المستلة من كليات رسائل النور. – المترجم –

المقام الاول

الثمرة الاولى

ان الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنز الأزلي مخفياً.

نعم، ان الجمال الإلهي وكماله الذي لايحد، والحسن الرباني ومحاسنه التي لانهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لاتعد ولاتحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لامنتهى له، لايشاهد الاّ في مرآة التوحيد؛ بوساطة التوحيد ونور تجليات الاسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في اقصى نهايات شجرة الكائنات.

فمثلاً: ان إرسال اللبن الخالص السائغ الى رضيع صغير لايملك حولاً ولاقوة، ومن حيث لايحتسب، من بين فرث ودم، فعلٌ جزئي. هذا الفعل الجزئي ما ان يُنظر اليه بنظر التوحيد ، يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله وبأجلى سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم إعاشة خارقة، وفي احاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، بتسخير والداتهم لهم . ولكن هذا الفعل، فعل ارسال اللبن ان لم ينظر اليه بنظر التوحيد، لاختفى ذلك الجمال الباهر كلياً ولما ظهر قطعاً، إذ تحال تلك الاعاشة الجزئية كذلك الى الاسباب والمصادفة والطبيعة، فتفقد قيمتها كلياً بل تفقد ماهيتها.

ومثلاً: ما ان يُنظر الى الشفاء من مرض عضال، بنظر التوحيد يتجلى جمال شفقة الرحيم تجلياً باهراً كاملاً على وجه إحسان الشفاء الى جميع المرضى الراقدين في المستشفى الكبير المسمى بالارض وإسعافهم بأدوية ناجعة وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم. ولكن هذا الفعل الجزئي ـ منحة الشفاء ـ المتسم بالعلم والبصيرة والشعور إن لم يُنظر اليه بنظر التوحيد، فان الشفاء يسند الى خاصيات الادوية الجامدة والى القوة العمياء والطبيعة الصماء. فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كلياً.

ولمناسبة هذا المقام وردت الى الخاطر نكتة لطيفة من نكات الصلوات على الرسول الكريم ﷺ ابيّنها هنا:

ان الصلوات الآتية مشهورة ومذكورة كثيراً لدى الشافعية، فهم يقرأونها عقب اذكار الصلاة: «اللّهم صلّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمدٍ بعدد كل داءٍ ودواءٍ وبارك وسلّم عليه وعليهم كثيراً كثيراً».

هذه الصلوات المباركة تحوز اهمية عظيمة؛ لأن حكمة خلق الانسان وسر جامعية استعداده هو الالتجاء الى خالقه الكريم والتضرع اليه والقيام بحمده والشكر له، في كل وقت وحين، بل في كل دقيقة وآن، لذا فان اقوى دافع مؤثر وسائق فعال يحث الانسان الى الالتجاء الى الحضرة الإلهية ويسوقه اليها هو الامراض والاسقام، مثلما أن انواع الشفاء وأجناس الادوية وألوان العافية والمعافاة هي في مقدمة النعم اللذيذة والآلاء الطيبة التي تبعث في الانسان الشكر لله بشوق كامل وتدفعه الى الحمد والامتنان له بكامل معانيهما. ولاجل كل ذلك غدت هذه الصلوات الشريفة على الرسول الكريم ﷺ ذات قيمة رفيعة ومغزى عميق.

حتى انني كلما قلت: «بعدد كل داء ودواء» شعرت بجلاء تام بوجود الشافي الحقيقي وبشفقته الكاملة ورأفته التامة وبرحيميته السامية الواسعة في احسانه الأدوية والعلاجات على جميع الامراض المادية والاسقام المعنوية في ارجاء الارض كافة التي اتصورها مستشفى واسعاً كبيراً.

ومثلاً: ان انزال سكينة الايمان في قلب من يعاني آلاماً معنوية رهيبة للضلالة اذا ما نُظر اليه بنظر التوحيد، يجعل ذلك الشخص الفرد العاجز الفاني عبداً مخاطباً لمعبوده العظيم، سلطان الكون ورب العالمين، ويمنح له بذلك الايمان سعادة أبدية وملكاً خالداً جميلاً في منتهى السعة والجمال وداراً باقية خالدة، بل يجعل جميع المؤمنين ـ كل حسب درجته ـ ينالون من ذلك اللطف العميم والكرم الدائم.. وهكذا يشاهد في وجه هذا الاحسان الاعظم بل يطالَع في سيماه جمال الكريم المطلق والمحسن المطلق، ذلك الجمال الازلي الابدي الذي لايدنو منه الزوال والفناء، بل تجعل لمعةٌ من لمعاته الباهرة المؤمنين كافة في ولاءٍ لله وفي طاعة لأوامره، بل تجعل قسماً منهم منجذبين اليه عُشاقاً مولّهين. بينما ان لم ينظر الى هذا الاحسان، احسان الهداية

لذلك الشخص بنظر التوحيد، فان ذلك الايمان الجزئي لذلك الفرد يحال الى الانسان نفسه – كما يدّعيه المعتزلة المتعسفون – او الى بعض الاسباب، فتنقلب تلك الجوهرة الرحمانية الغالية – التي لاتثمن قيمتها الاّ بالجنة الخالدة – الى قطعة زجاج خسيسة تافهة بعد ان كانت تؤدي وظيفة مرآة تعكس لمعة جمال مقدس.

وهكذا قياساً على هذه الامثلة الثلاثة.. فان الالوف من انواع الجمال الإلهي ومئات الالوف من اضراب الكمال الرباني، تظهر، وتُفهم، ويثبت تحققها من زاوية نظر التوحيد، وذلك بتمركز تلك الأنماط من الجمال الإلهي والكمال الرباني في تلك الاحوال الجزئية لأصغر الجزئيات التي هي في منتهى أقاصي دائرة الكثرة من الموجودات.

فظهور هذا الجمال الإلهي وكماله للقلوب بالتوحيد، والاستشعار بهما روحاً، هو الذي دفع جميع الاولياء والاصفياء أن يتلمسوا احلى أذواقهم وألذّ ارزاقهم المعنوية في ذكر وتكرار كلمة التوحيد، وهي: لا اله الاّ الله.

وحيث أن عظمة الكبرياء الإلهي والجلال السبحاني وهيبة الربوبية الصمدانية تتحقق في كلمة التوحيد فقد قال النبي ﷺ:

(افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي: لا اله الاّ الله)(١).

نعم، ان ثمرة واحدة، وزهرة واحدة، وضياءً واحداً، كل منها يعكس كالمرآة الصغيرة رزقاً بسيطاً، ونعمة جزئية واحساناً بسيطاً. ولكن بسر التوحيد تتكاتف تلك المرايا الصغيرة مع مثيلاتها مباشرة، ويتصل بعضها بالبعض الآخر، حتى يصبح ذلك النوع مرآة واسعة كبيرة جداً تعكس ضرباً من جمال إلهي يتجلى تجلياً خاصاً بذلك

---

(١) جزء من حديث: (افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ماقلت انا والنبيون من قبلي: لا اله الاّ الله وحده لاشريك له) رواه مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كرير مرسلا، واخرجه الترمذي وحسنه عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده بلفظ: خير الدعاء يوم عرفة وزاد: له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ: افضل الدعاء دعاء يوم عرفة وافضل قولي وقول الانبياء قبلي لا اله الا الله.. (كشف الخفاء ١/١٥٣) واخرجه الاصبهاني في الترغيب (١/٣٣١ المدينة) بلفظ مقارب عن عمرو عن المطلب كما في الصحيحة ٤/٨٠٧ وقال هذا مرسل حسن الاسناد وحسنه لشواهده. وانظر موطأ الامام مالك برقم ٥٠٠ و ٩٥٥ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ١١١٣.

النوع. فيُظهر سر التوحيد حسناً سرمدياً باقياً من خلال ذلك الجمال الفاني الموقت. بمعنى أن ذلك الشئ الجزئي يتحول بسر التوحيد الى مرآة الجمال الإلهي، كما قال مولانا جلال الدين الرومي(١):

آن خيالاتي كه دام اولياست عكس مهرويان بوستان خداست (٢).

بينما إن لم يُنظر الى ذلك الجمال بنظر التوحيد، اي لولا سر التوحيد، لظلت تلك الثمرة الجزئية سائبة، وحيدة فريدة معزولة عن مثيلاتها، فلايظهر ذلك الجمال المقدس ولا يبين ذلك الكمال الرفيع، بل تنكسف حتى تلك اللمعة الجزئية المتلمعة منها، وتضيع وتنتكس منقلبة على عقبيها من نفاسة الالماس الثمين الى خساسة قطع الزجاج المتكسر.

وكذا يظهر بسر التوحيد في ذوي الحياة تلك الثمار المتدلية من شجرة الخلقة، شخصية إلهية، وأحدية ربانية، وسيماء معنوي رحماني ـ باعتبار الصفات السبعة ـ وتمركزُ أسمائي، وجلوة تعيّن وتشخصٍ لمن هو المخاطب بـ ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾. وبخلافه ـ اي دون سر التوحيد ـ فان جلوة تلك الشخصية والأحدية والسيماء والتعيّن تتوسع وتتوسع منبسطة حتى تتسع سعة الكون برمته فتتلاشى وتختفي، ولاتظهر الاّ للقلوب البصيرة والبصائر الواسعة جداً والمحيطة جداً؛ لأن عظمة الكبرياء تسدل ستاراً دونه فلا يراه قلبُ كل فرد.

وكذا يُفهم بوضوح تام بسر التوحيد في تلك الأحياء الجزئية؛ أن صانعها يراها ويعلم بحالها ويسمع نداءها ويصوّرها كيف يشاء. فيظهر لبصيرة الايمان وراء مصنوعية الكائن الحي، تشخصٌ معنوي وتعينٌ معنوي لمقتدرٍ مختار سميع عليم بصير. وبخاصة وراء مخلوقية الانسان ـ من بين ذوي الحياة ـ يُشاهد بالايمان وبسر التوحيد وبوضوح تام ذلك التشخص المعنوي والتعين السامي. لان في الانسان نماذج

---

(١) مولانا الرومي: (٦٠٤- ٦٧٢هـ)(١٢٠٧- ١٢٧٣م) عالم بفقه الحنفية والخلاف وانواع العلوم، ثم متصوف صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية المستغن عن التعريف في ستة وعشرين الف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ (بفارس) استقر في (قونية) سنة ٦٢٣هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الاسلامية، فتولى التدريس بقونية في اربع مدارس بعد وفاة ابيه سنة ٦٢٨هـ من مؤلفاته: ديوان كبير، فيه مافيه، مكتوبات.ـ المترجم.

(٢) بيت شعر بالفارسية يعني: ان الخيالات التي هي شباك الاولياء انما هي مرآة عاكسة تعكس الوجوه النيرة في حديقة الله.ـ المترجم.

اسس ذلك التشخص، تشخص الاحدية، وهي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وامثالها من المعاني، فتشير تلك النماذج الى تلك الاسس، اذ الذي شق البصر ـ مثلاً ـ يرى البصر ويرى كذلك مايراه البصر ـ وهو معنى دقيق ـ ثم يمنح البصر. نعم ان صاحب النظارات الذي يصنع لعينك نظارة يرى ملاءمة النظارة لعينك ثم يصنعها لك. وكذا الذي شق السمع لاشك أنه يسمع ما تسمعه الاذن ثم يخلقها ويمنحها الانسان. وهكذا قس بقية الصفات على هذه.

وكذا في الانسان نقوش الاسماء الحسنى وتجلياتها، فهو بهذه النقوش والجلوات يشهد على تلك المعاني المقدسة.

وكذا الانسان بضعفه وعجزه وفقره وجهله يؤدي وظيفة المرآة ـ بشكل آخر ـ اذ يشهد بها على صفات مَن يرحم ضعفه وفقره، ومَن يمد عجزه. اي يشهد على قدرته جل وعلا وعلى علمه وعلى ارادته، وهكذا على سائر صفاته الجليلة.

فبسر التوحيد اذن تتمركز الف اسم واسم من الاسماء الحسنى في منتهى دائرة الكثرة وفي اكثر جزئياتها تشتتاً، تتمركز في الرسائل الصغيرة المسماة بذوي الحياة، وتقرأ بسر التوحيد بوضوح وجلاء، لذا فان ذلك الصانع الحكيم يُكثر من نسخ ذوي الحياة بكثرة كاثرة، ولاسيما طوائف صغارها فانه يكثرها باشكال شتى وينشرها الى الارجاء كافة.

ان الذي ساقنى الى حقيقة هذه الثمرة الاولى واوصلني اليها هو استشعارٌ ذوقي يخصني، وهو على النحو الآتي:

لقد كنت أتألم لحال ذوي الحياة ولاسيما لذوي الشعور منها وبالاخص لحال الانسان وبخاصة المظلومين والمبتلين بالمصائب منهم، لما احمل من عطف متزايد وشفقة مفرطة، فكانت احوالهم تمس عطفي وتثير شفقتي وتوجع قلبي وتعصره.

فكنت اقول من اعماق قلبي:

ان القوانين المطردة السارية في العالم لاتسمع ما يعانيه هؤلاء البائسون الضعفاء العاجزون. وان تلك العناصر والحوادث الصماء المستولية لاتسمع أنينهم، أليس من أحد يتدخل في شؤونهم الخاصة رحمة بهم ورأفة باحوالهم التي يرثى لها؟. فكانت

روحي تصرخ من الاعماق. وكذا، أليس من مالك حقيقي ومولى كريم يرعى ويتولى اولئك العبيد الرائعين في الحسن وتلك الاموال القيمة الثمينة جداً، وهؤلاء الاحباب الاودّاء المشتاقين الممتنين كثيراً؟. نعم كان قلبي يصرخ بهذا بكل ما اوتي من قوة.

اما الجواب الكافي الوافي الذي يبعث الاطمئنان والسكينة والقناعة التامة ويهدئ استغاثة روحي وصراخ قلبي فهو:

ان اولئك العبيد المحبوبين الذين يئنون تحت ضغوط القوانين العامة للرحمن الرحيم ذي الجلال، ويستغيثون تحت ضربات الحادثات وهجومها، يمنحهم سبحانه بسر التوحيد ما هو فوق تلك القوانين من احسانات خصوصية وامدادات خاصة وربوبية مخصوصة مباشرة لكل شئ، ويدبّر سبحانه امور كل شئ بذاته الجليلة. ويستمع الى شكاوى كل ذي مصيبة، وهو المالك الحقيقي لكل شئ ومولاه الحق.

فمذ عرفت هذا السر من القرآن ونور الايمان شعرت بسرور يملأ كياني كله وولّى عني ذلك اليأس القاتم.

وقد اكتسب في نظري كلُّ كائن حي - من حيث انتسابه الى المالك الجليل وعبديته له - الوف الدرجات الراقية من الاهمية والقيمة، لأن كل احد يفتخر ويزهو بشرف سيده وبمقام من ينتسب اليه ويعتزّ بشهرته وصيته، مما يولّد عزة وفخراً لديه. فلاشك ان نور الايمان الذي بسط ذلك الانتساب والعبدية هو الذي يجعل النمل يغلب فرعوناً بقوة ذلك الانتساب، بل له ان يفتخر بذلك الانتساب فخراً يفوق الف مرة فخر فرعون السادر في الغفلة الظان نفسه حراً سائباً، يفتخر بأجداده الفراعنة وبملك مصر، ذلك الفخر الذي ينكسف لدى باب القبر.

وكذا البعوض يستطيع باراءة شرف انتسابه، ازالة فخر نمرود الذي انقلب في سكراته الى خجل وعذاب.

وهكذا تعلّمنا الآية الكريمة ﴿**ان الشرك لظلم عظيم**﴾ (لقمان: ١٣) ان الشرك يحمل ظلماً فاضحاً، لانه جريمة عظيمة نكراء لتعديه على حقوق كل مخلوق واهانته لشرفه وكرامته. ولايطهّر هذه الجريمة، جريمة الشرك الاّ نار جهنم.

ثمرة التوحيد الثانية

هذه الثمرة تتوجه الى ذات الكون وماهيته، كما كانت الثمرة الاولى متوجهة الى الذات المقدسة لرب العالمين جلّ وعلا.

نعم، انه بسر التوحيد تتحقق مزايا الكون وكمالاته، وتُدرك الوظائف الراقية للموجودات، وتتقرر نتيجة خلق المخلوقات، وتُعرف اهمية المصنوعات. وتبرز ما في هذا العالم من مقاصد إلهية، وتظهر حكمة خلق ذوي الحياة وسر وجود ذوي المشاعر، وتبدو الوجوه المليحة البشوشة للرحمة والحكمة وراء السيماء الغاضبة الكالحة لهذه الحوادث القاهرة المدمّرة ضمن التحولات المثيرة للدهشة، وتُعرف ان الموجودات التي تغيب وراء الزوال والفناء وترحل من هذا العالم، عالم الشهادة تدع انواعاً كثيرة من الوجود بدلاً عنها، امثال نتائجها وهوياتها وماهياتها وارواحها وتسبيحاتها ثم ترحل من هذا العالم.

وبسر التوحيد يُفهم: ان الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة، وان الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانية في منتهى الاعجاز، وان المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة، وان المصنوعات بجميع قبائلها ابتداء من الميكروب والنمل الى الكركدن والنسر والى الكواكب السيارة، موظفات دؤوبات مأمورات جادات تأتمر بأمر السلطان الازلي.

وبسر التوحيد يكتسب كل شئ من حيث انتسابه وأدائه لوظيفة المرآة قيمة اعظم من قيمته الذاتية بالوف المرات، وينكشف السر المغلق للاسئلة المحيرة: من اين يأتي سيل الموجودات وقافلة المخلوقات، والى اين المصير، ولِمَ جاء وماذا يعمل؟..

كل ذلك لايتم الاّ بسر التوحيد، اذ لولا التوحيد، لانكسفت جميع مزايا الكون وكمالاته المذكورة آنفاً ولانقلبت تلك الحقائق السامية الراقية الى أضدادها.

وهكذا فالشرك والكفر جريمة بشعة تتعدى على جميع كمالات الكائنات وتتجاوز على جميع حقوقها الرفيعة وتتعرض لجميع حقائقها السامية، لذا تغضب الكائنات على اهل الشرك والكفر، وتستشيط السموات والارض غضباً عليهم،

وتتفق عناصر الكون على ابادتـهم.. فتغرق قوم نوح (عليه السلام) وتهلك قوم عاد بالطاغية وثمود بالعاصفة وفرعون وامثالهم بالغرق.. بل تغضب جهنم عليهم غضباً شديداً حتى ﴿**تكاد تميّز من الغيظ**﴾(الملك: ٨) كما نصّت عليه الآية الكريمة.

نعم؛ ان الشرك استهانة بشعة بالكون، وتعدّ عظيم عليه، وحطّ من قيمته وتهوين من شأنه، لإنكاره حكمة الخلق وردّه وظائف المخلوقات، تلك الوظائف الجليلة.

نشير الى هذه الحقيقة بمثالٍ واحد من بين الوف امثلتها:

ان الكون بسر التوحيد، هو بمثابة مَلَك مجسم عظيم جداً بحيث له مئات الالوف من الرؤوس،بل بعدد انواع الموجودات، في كل رأس مئات الالوف من الافواه، بل بعدد افراد ذلك النوع، وفي كل فم مئات الالوف من الألسنة بل بعدد اجهزة ذلك الفرد وعدد اجزائه واعضائه وحجيراته. فهذا الكون الهائل والمخلوق العجيب، هذا المَلك العظيم يقدّس الصانع الجليل بهذه الألسنة التي لاتعد ولاتحصى ويسبّحه بها جل وعلا. فهو اذاً في مقام رفيع يتسربل عبودية عظيمة شبيهة بعبودية اسرافيل عليه السلام.

وكذا الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها.. وهو بمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من اعمال بشرية غنية بمحاصيلها.. وهو بمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الالوف من اجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة.

فبينما الكون بسر التوحيد على هذه الهيئة العجيبة كملَك مطيع جسماني مالك للحياة، يحوّله الشرك الى اشتات واهية جامدة، لاروح لها ولاحياة، ولابقاء لها ولاوظيفة، هالكة لامعنى لها، تتدحرج في خضم ظلمات العدم واهوال الاحداث التافهة والانقلابات. فالشرك يجعل هذا المصنع العظيم الذي يدر النفع الكثير، شيئاً لافائدة له ولايكسب منه شيئ، معطلاً عن كل عمل، مختلطاً ومتشابكاً تلعب به المصادفات العشوائية والطبيعة الصماء والقوى العمياء، ومأتماً حزيناً لذوي الشعور كافة، ومذبحة ومسلخة أليمة لذوي الحياة كافة.

وهكذا كم يكون الشرك إذن مبعث جرائم كبرى وجنايات عظمى! ألا يستحق عذاباً ابدياً في جهنم مع انه سيئة واحدة؟ وصدق الله العظيم: ﴿ **ان الشرك لظلم عظيم** ﴾.

وعلى كل حال، ففي مجموعة «سراج النور» ايضاحات اكثر لهذه الثمرة الثانية مع حججها المكررة. لذا اختصرنا هذه الحقيقة الطويلة.

والذي ساقني الى هذه الثمرة الثانية واوصلني اليها شعور عجيب وذوق غريب، وهو على النحو الآتي:

عندما كنت أتأمل في يوم من ايام الربيع شاهدت ان الموجودات التي تملأ سطح الارض وتسيل قافلة إثر قافلة مظهرة مئات الالوف من نماذج الحشر والنشور.. هذه الموجودات ولاسيما المخلوقات الحية منها وبخاصة الاحياء الصغيرة منها، ما ان تظهر حتى تختفي عقبه.. فتتعاقب مناظر الموت والزوال باستمرار وفي فعالية دائمة. وبدت امامي حزينةً أليمةً مسّت اوتار عواطفي واثارت رقتي حتى دفعتني الى البكاء. وكنت كلما شاهدت موت تلك الاحياء الصغيرة اللطيفة اعتصر قلبي ألماً وتأففت قائلاً: ياحسرتاه.. اواه.. آه.. فاستشعر ضراماً روحياً منبعثاً من الاعماق حتى رأيت الحياة التي تؤول الى هذه النتيجة عذاباً أليماً دونه الموت.

وكذا رأيت في عالم النباتات والحيوانات، أن تلك الاحياء الجميلة جداً والمحبوبة جداً وهي في أتم اتقان وابداع، ما ان تفتح عينيها للحياة في لحظات وتشاهد هذا المهرجان الكوني العظيم الاّ وتمحي وتفنى. فكلما شاهدت هذه الحالة تفطر كبدى حزناً وكمداً، واراد الشكوى باكياً قائلاً: لِمَ أتوا اذن الى هذا العالم ولِمَ يرحلون دون ان يمكثوا فيه؟ فكان قلبي يطرح اسئلة مخيفة ازاء الدهر والمقدرات. اذ مثل هذه المصنوعات اللطيفة تذهب دون جدوى، ولاغاية، ولانتيجة، وتعدم بسرعة متناهية مع اننا نرى اهتماماً عظيماً بها ودقة متناهية في صنعها واتقاناً في ابداعها، مع توفير الاجهزة اللازمة لها والرعاية التامة في تربيتها وتنشئتها والتدبير الكامل لشؤونها وخلقها على اتم صورة. ولكن بعد كل هذا نرى تمزقها وتشتتها وفناءها ومحوها وقذفها في ظلمات العدم.. هذا المنظر الأليم، كلما تأملته صرخت جميع لطائفي

المفتونة بانواع الكمال والمبتلاة بأنماط الجمال، والعاشقة للاشياء النفيسة القيّمة، واستغاثت قائلة: لِمَ لاتُرحم هذه المخلوقات؟ يالهفتاه! من اين يأتي هذا الفناء والزوال ضمن الدوران والتجوال المحيّر للعقول ويسلط على هذه الصغار اللطيفة؟.. وما ان بدأت الاعتراضات المخيفة تتوجه نحو القدر لما يُرى في ظاهر المقدرات الحياتية من احوال أليمة حزينة، اذا بنور القرآن والايمان والتوحيد ولطف الرحمن يسعفني ويعينني؛ وينوّر تلك الظلمات، ويقلب بكائي ونحيبي وحسراتي الى سرور وفرح والى النطق بـ« ما شاء الله، بارك الله »، بدلاً من التلهف والتحسر واطلاق الزفرات. حتى دفعني الى القول بـ: الحمد لله على نور الايمان حيث رأيت بسر التوحيد:

ان كل مخلوق ولاسيما كل كائن حي له نتائج كثيرة جداً ومنافع شتى.

فمثلاً: ان كل ذي حياة ـ وليكن هذه الزهرة الزاهية، وهذه الحشرة الحلوياتي ـ هو قصيدة صغيرة إلهية تحمل من المعاني العميقة والغزيرة بحيث يطالعها مالايحد من ذوي الشعور بمتعة كاملة.. وهو معجزة ثمينة قيّمة للقدرة الإلهية.. وهو لوحة تعلن عن حكمته تعالى حيث تعرض إتقان الصانع الجليل في منتهى الجاذبية امام انظار من لا يحدّ من اهل التقدير والاستحسان

وكذا فان اجلّ نتيجة لخلق الكائن الحي هو الحظوة بالظهور امام نظر الفاطر الجليل الذي يريد ان يرى بذاته جمال صنعته وجمال فطرته وجمال تجليات اسمائه في المرايا الصغيرة. زد على ذلك فان وظيفة سامية لفطرة الكائن الحي هي اداؤه بخمسة وجوه (كما ذكر في المكتوب الرابع والعشرين) مهمة اظهار الربوبية المطلقة والكمال الإلهي الذي يقتضي هذه الفعالية المطلقة في الكون.

ولكني رأيت ان الكائن الحي على الرغم مما له من مثل هذه الفوائد والنتائج فانه يدع روحه في موضعه ـ ان كان ذا روح ـ ويترك صورته وهويته في الاذهان وسائر الالواح المحفوظة، ويضع قوانين ماهيته ونوعاً من حياته المستقبلية في بذوره وبويضاته، ويودع مزايا الكمال والجمال التي عكسها كالمرآة، يودعها في عالم الغيب ودائرة الاسماء. وبعد كل هذا يدخل تحت ستار الزوال فرحاً جذلاً بموت ظاهري ـ يعني التسريح من الوظائف ـ ويستتر عن الانظار الدنيوية وحدها!.

نعم، هكذا رأيت ماهية الكائن الحي فقلت من الاعماق... «الحمد لله..».

فهذه الانواع من الجمال والضروب من الحسن المشاهدة في جميع طبقات الكون وفي جميع انواع الطوائف والممتدة عروقها في كل الارجاء والتي لها اسس عريقة قوية لانقص فيها ولاقصور، وهي في منتهى السطوع والبهاء.. لاشك انها تبين ان مايقتضيه الشرك ـ كما هو في الوضع الاول ـ من قبح مشين ودمامة منفرة محال، وموهوم قطعاً. لأن جمالاً بهذا العمق في وجود الكون لايمكن ان يستتر تحته قبح مشين الى هذه الدرجة المخيفة، بل لايمكن أن يوجد اصلاً. ولو وجد فذلك الجمال اذن لاحقيقة له ولاأصل، وهو واهٍ وهمي..

بمعنى انه لاحقيقة للشرك اطلاقاً، وطريقه مسدود، بل لايجد له موضعاً الاّ في المستنقعات الآسنة، فحكمه محال وممتنع. وقد وضحت هذه الحقيقة الايمانية المذكورة وهي حقيقة شعورية في عديد من رسائل «سراج النور» بالتفصيل. لذا نكتفي هنا بهذه الاشارة المختصرة.

ثمرة التوحيد الثالثة

هذه الثمرة متوجهة الى ذوي الشعور، ولاسيما الى الانسان.

نعم، ان الانسان بسر التوحيد، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات واكملها، واسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين واهلٌ ليكون خليله ومحبوبه. حتى ان جميع المزايا الانسانية وجميع مقاصد الانسان العليا مرتبطة بالتوحيد وتتحقق بسر التوحيد، فلولا التوحيد لأصبح الانسان اشقى المخلوقات وادنى الموجودات واضعف الحيوانات واشد ذوي المشاعر حزناً واكثرهم عذاباً وألماً. ذلك لان الانسان يحمل عجزاً غير متناه، وله اعداء لانهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لاحدود له وحاجات لاحدود لها. ومع هذا فان ماهيته مجهزة بآلات ومشاعر متنوعة وكثيرة الى درجة يستطيع ان يستشعر بها مائة الف نوع من الآلام وينشد مئات الالوف من انواع اللذائذ. فضلاً عن أن له من المقاصد والرغبات مالا يمكن تلبيتها إلاّ من قِبَل مَن ينفذ حكمه في الكون بأسره.

فمثلاً: في الانسان رغبة ملحة شديدة للبقاء. فلا يحقق له هذه الرغبة الاّ من يتصرف في الكون كله بسهولة مطلقة، يفتح باب دار الآخرة بعد ان يسد باب دار الدنيا كفتح باب منزل وغلق آخر.

ففي الانسان الوف من الرغبات الايجابية والسلبية امثال هذه الرغبة، رغبة البقاء. تلك الرغبات ممتدة الى جهة الابد والخلود ومنتشرة في اقطار العالم كله. فالذي يُطمئن هذه الرغبات ويهدهدها ويضمد جرحي الانسان الغائرين، العجز والفقر، ليس الاّ الواحد الأحد الذي بيده مقاليد كل شئ.

وكذا في الانسان من المطالب الدقيقة الجزئية والخفية جداً تخص راحة قلبه وسلامته، وله ايضاً من المقاصد الكلية المحيطة ما هو مدار لبقاء روحه وسعادتها، بحيث لايمكن ان يحققها له الاّ من يبصر ما لايُرى من أرق حجب القلب ويهتم بها ويسمع ما لا يُسمع من أخفى الاصوات ويستجيب لها، ومن له القدرة على تسخير السموات والارض في وظائف جليلة كتسخير الجندي المنقاد للاوامر. وكذا فان جميع اجهزة الانسان ومشاعره تأخذ مكانة رفيعة بسر التوحيد، في حين تسقط الى هاوية سحيقة بالكفر والشرك.

فمثلاً: العقل الذي هو افضل اجهزة الانسان وارقاها ،ان استعمل بسر التوحيد، فانه يصبح مفتاحاً ثميناً بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية والوفاً من خزائن الكون، بينما اذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر فانه يصبح آلة تعذيب ووسيلة ازعاج، بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة.

ومثلاً: الشفقة والحنان، وهي ألطف سجية من سجايا الانسان وأحلاها، إن لم يسعفها سر التوحيد تتحول الى ألم الحرقة وعذاب الفراق وجرح العطف، فتتحول الى مصيبة كبرى تُردي بالانسان الى درك الشقاء. نعم ان الوالدة الغافلة عن الله والفاقدة لوحيدها الى الابد تستشعر هذه الحرقة شعوراً كاملاً.

ومثلاً: المحبة التي هي ألذ شعور في الانسان وأطيبه وأسماه، اذا ما أعانها سر التوحيد يجعل الانسان الصغير واسعاً سعة الكون وعظيماً وكبيراً كبره حتى يجعله سلطاناً محبوباً على المخلوقات كافة. بينما المحبة نفسها اذا ماتردت الى الشرك والكفر-

والعياذ بالله - فانها تنقلب الى مصيبة عظيمة بحيث تمزق قلب الانسان الضعيف كل حين وآن بفراق أحبته غير المعدودين فراقاً ابدياً حيث يمحوهم الزوال والفناء دائماً. بيد ان انواع اللهو والغفلة التي تغفِل تحول دون استشعار الانسان بهذا الالم، اذ تبطل شعوره وحسّه مؤقتاً وظاهراً.

فاذا ما قست المئات من اجهزة الانسان ومشاعره على هذه الامثلة الثلاثة، تدرك عندئذٍ الى اي مدى يكون التوحيد محوراً للكمالات الانسانية.

نكتفي بهذه الاشارة القصيرة الى هذه الثمرة الثالثة حيث انها فصلت تفصيلاً وافياً مع دلائلها في اكثر من عشرين رسالة من مجموعة «سراج النور».

ان الذي اوصلني الى هذه الثمرة وساقني اليها هو الشعور الآتي:

كنت يوماً على قمة جبل، تراءى لي القبر بكل معناه، وبدا لي الموت بكل حقائقه، وظهر لي الزوال والفناء بلوحاته الحزينة المبكية، وذلك بوساطة يقظة روحية بددت ظلمة الغفلة. فاحتدّ عشق البقاء المغروز في فطرتي - كما هو في الآخرين - احتدّ غاضباً امام هذا المنظر، فشق عصا الطاعة ازاء الزوال. وفار ما فيّ من العطف على بني الجنس والرأفة على نوع البشر وطغى ازاء القبر وفناء الانبياء المكرمين واهل الفضل الموقرين من الاولياء والاصفياء، الذين اكنّ لهم حباً شديداً وتبجيلاً عظيماً وتقديراً لائقاً وارتبط بهم بعلاقة وثيقة.

وازاء هذا الامر توجهت الى الجهات الست لأستمدّ منها العون. فلم اجد ما يسلّيني ابداً. حيث ان جهة الماضي قد تحولت الى مقبرة كبرى واسعة، وجهة المستقبل مظلم مخيف، وجهة الفوق مخيفة رهيبة، وجهة الاسفل وكذا اليمين والشمال كلها جهات تورث حالات أليمة حزينة. فرأيت كأن الاشياء المضرة التي لاتحد تنقض عليّ انقضاضاً، فأغاثني سر التوحيد من حالتي التي كنت فيها ورفع الستار من امام بصيرتي وأراني حقيقة هذه الجهات قائلاً: انظر! فنظرت اول مانظرت الى وجه الموت المخيف. ورأيت ان الموت لاهل الايمان تسريح من الوظيفة، والاجل هو بطاقته. فالموت اذن تبديل مكان، ومقدمة لحياة باقية، وباب اليها. وهو انطلاق

من سجن الدنيا الى بساتين الآخرة. وهو انتظار زمن الوصول الى ديوان الرحمن الرحيم لاستلام اجرة العمل، وهو دعوة الى دار السعادة.

ولما فهمت حقيقة الموت فهماً يقيناً احببته.

ثم نظرت الى الزوال والفناء، ورأيت: أن زوال الاشياء انما هو تجديد لها ولأمثالها، فهو تجديد ممتع ملذ، شبيه بتجدد مشاهد السينما وشبيه بتجدد جمال حباب النهر الجاري تحت ضوء الشمس. لذا علمت يقيناً ان زوال الاشياء وفناءها انما هو تجديد للتجليات الجميلة للأسماء الحسنى ، و وظيفة يؤديها ضمن سير وتجوال في عالم الشهادة بعد مجيئها من عالم الغيب، وهو مظاهرحكيمة لجمال الربوبية، فالموجودات تؤدي به وظيفة المرآة ازاء الحسن السرمدي.

ثم نظرت الى الجهات الست ورأيت: انها نورانية بسر التوحيد بل نورانية الى حد يكاد سنا نورها يخطف بالابصار. حتى رأيت أن الزمان الماضي لم يعد مقبرة عظيمة بل انقلب الى المستقبل ليكون مجالس نورانية ومجامع أحباب ومناظر نورانية تزيد على الالوف.

وهكذا على غرار هاتين المادتين نظرت الى الوجوه الحقيقية لالوف المواد. ورأيت انها لا تورث الاّ السرور والفرح.

ان شعوري هذا وتذوقي الروحي هذا في الثمرة الثالثة قد وضّحا مع الدلائل القاطعة الكلية والجزئية في مجموعة «سراج النور» بل في اربعين من اجزائها ولا سيما في اللمعة السادسة والعشرين (رسالة الشيوخ) في رجاياها الثلاث عشرة. اذ قد وضّحت هناك وضوحاً كافياً لا ايضاح فوقه. لذا اختصرت هذه المسألة الطويلة في هذا المقام.

* * *

المقام الثاني

ان الدلائل التي تقتضي قطعاً التوحيد وتستلزم الوحدانية وتوجب الوحدة وترفض الشرك وتردّ المشاركة ولاتسمح بهما قطعاً.. لاتعد ولاتحصى.

وحيث ان مئات بل ألوفاً من تلك البراهين قد اثبتت اثباتاً مفصلاً في رسائل النور. يشار هنا الى ثلاث فقط من المقتضيات، اشارة مجملة.

☐ المقتضى الاول

هذه المصنوعات انما تخلق وتوجد بالصفات المطلقة لحاكم حكيم، كبير كامل، وباسمائه المطلقة وبعلمه غير المحدود وبقدرته غير المتناهية. يشهد على هذا ماهو ماثل امامنا من الافعال الحكيمة والتصاريف البصيرة للامور الجارية في هذا الكون.

نعم، يُفهم ويُعلم قطعاً بحدس قطعي، من هذه الآثار بل يشاهد: ان ذلك الصانع له حاكمية وآمرية بدرجة الربوبية العامة، وله كبرياء وعظمة بدرجة الجبروتية المطلقة، وله كمال واستغناء عن غيره بدرجة الالوهية المطلقة، وله فعالية وسلطنة لاتتناهى ولايحدها حد ولايقيدها قيد.

فالحاكمية والكبرياء والكمال والاستغناء عن الغير والاطلاق والاحاطة وعدم التناهي وعدم الحدّ، كلها تستلزم الوحدانية وتضادد الشرك.

فشهادة الحاكمية والآمرية على التوحيد والوحدانية قد اثبتت في مواضع كثيرة من رسائل النور. نورد زبدة خلاصتها على النحو الآتي:

ان شأن الحاكمية ومقتضاها الاستقلالُ والانفراد وردّ مداخلة الآخرين، حتى ان الانسان المحتاج فطرة الى معاونة الآخرين لعجزه، يردّ مداخلة غيره في شؤونه بظلٍ من تلك الحاكمية حفاظاً على استقلاله، لذا فلا يوجد سلطانان في بلاد، ولا واليان في ولاية، ولا مديران في ناحية، بل ولامختاران في قرية. واذا ماوجد سلطانان في بلاد فالامور تضطرب ويختل النظام ويحدث الهرج والمرج.

فلئن كان ظلُّ حاكمية في الانسان العاجز المحتاج الى المعاونة يردّ مداخلة الآخرين ويرفض اشتراكهم رفضاً باتاً الى هذه الدرجة. فلا تقبل قطعاً حاكمية في ربوبية مطلقة للقدير المطلق المنزّه عن العجز مداخلة سواها واشتراكه، بل تردّه ردّاً قوياً، وتطرد من ديوانها من يتوهم الشرك ويعتقد به طرداً عنيفاً.

ومن هذه الحقيقة ينبثق الزجر العنيف الذي يزجر القرآن الكريم المشركين ويردّهم.

اما شهادة الكبرياء والعظمة والجلال على الوحدانية، فهي الاخرى قد بيّنت براهينها الساطعة في رسائل النور. لذا يشار الى فحواها في اختصار شديد.

مثال: كما ان عظمة نور الشمس، وكبرياء ضيائها لاتدعان حاجة الى انوار ضعيفة اخرى بقربها وبلا حائل ولاتمنح لها تأثيراً يذكر، كذلك عظمة القدرة الإلهية وكبرياؤها لاتدعان حاجة الى أية قدرة اخرى والى اية قوة اخرى، ولاتفوضان اليهما اي ايجاد كان ولا اي تأثير حقيقي كان. ولاسيما في ذوي الحياة والشعور من المخلوقات التي تتمركز فيها جميع المقاصد الربانية في الكون وتدور عليها، فلا يمكن ان تدع تلك العظمة والكبرياء شيئاً منها الى الاغيار قطعاً. وكذا الاحوال والثمرات والنتائج التي هي في جزئيات ذوي الحياة والتي تتظاهر فيها غايات خلق الانسان وغايات ايجاد النعم التي لاتعد ولاتحصى فلا يمكن احالتها الى يد الاغيار قطعاً.

فمثلاً: الامتنان الحقيقي والرضى الحقيقي الذي ينبعث من كائن حي نتيجة شفاء جزئي من مرض، او رزق جزئي أتاه، او اهتداء الى الله، لايمكن ان يكون الاّ منه تعالى. لذا فتقديم الحمد والثناء الى غيره تعالى يمسّ عظمة الربوبية وكبرياء الالوهية ويتجاوز على عزة المعبودية المطلقة والجلال.

اما اشارة الكمال الى سر الوحدانية فهي الاخرى قد وضحت في رسائل النور ببراهينها الساطعة. وخلاصة مختصرة لفحواها هي:

ان خلق السموات والارض تقتضي بالبداهة قدرة مطلقة في منتهى الكمال، بل ان الاجهزة العجيبة لكل كائن حي تقتضي كذلك قدرة في كمال مطلق. والكمال الذي هو في القدرة المطلقة المنزهة عن العجز والمبرأة عن القيد يستلزم الوحدانية بلا شك. اذ بخلافه يعتري كماله النقص، واطلاقه القيد، ويعني انهاء لاتناهيه، واسقاط

اقوى قدرة الى اضعف عجز، ويستلزم انهاء قدرة لاتتناهى وفي لاتناهيه بشئ متناه. وهذا محال في محال بخمسة وجوه.

اما شهادة الاطلاق والاحاطة وعدم التناهي على الوحدانية فهي الاخرى قد ذكرت مفصلاً في رسائل «سراج النور» ومضمونها المختصر هو:

ان كل فعل من الافعال الجارية في الكون، بانتشار أثره في جميع النواحي انتشاراً مستولياً يبين انه محيط وطليق ولاحدود له ولاقيد يقيده. وان الشرك والاشتراك يجعل تلك الاحاطة تحت الانحصار وذلك الاطلاق تحت القيد وتلك اللامحدودية تحت الحد، فيفسد حقيقة الاطلاق وماهية الاحاطة.. فلابد ان الشرك محال في تلك الافعال التي هي مطلقة ومحيطة بكل شئ، ولاوجود له حتماً.

نعم ان ماهية الاطلاق ضد الشرك، لأن معنى الاطلاق حتى لو كان في شئ متناهٍ ومادي ومحدود، فانه ينتشر انتشار استيلاء واستقلال الى جميع الاطراف. كالهواء والضياء والنور والحرارة، بل حتى الماء، اذا ما نال ايٌ من هذه الاشياء صفة الاطلاق فانه ينتشر الى جميع الاطراف والجهات.

فما دامت جهة الاطلاق حتى لو كانت في الشئ الجزئي تجعل الاشياء المادية والمحدودة مستولية على هذه الصورة، فلابد ان الاطلاق الحقيقي الكلي يمنح الصفات اللانهائية والمنزهة عن المادة والتي لاتحدها حدود والمبرأة عن القصور، يمنحها استيلاءً واحاطة كاملة الى حد لايمكن ان تقبل الشرك والاشتراك باية جهة كانت ولايمكن ان يكون لهما احتمال قطعاً.

حاصل الكلام:

ان حاكمية الوف الافعال العمومية الجارية في الكون ومئات الاسماء الإلهية المشهودة تجلياتها وكبرياؤها وكمالها واحاطتها واطلاقها ولاتناهيها، كل منها، برهان قوي للوحدانية والتوحيد.

فمثلاً: كما ان قوة خارقة لدى شروعها بفعالية ما تستولي على الجهات كلها، وتشتت القوى الاخرى. كذلك كل فعلٍ من افعال الربوبية، وكل تجلٍ من تجليات الاسماء الإلهية، تُظهر قوتها الخارقة جداً في اثارها بحيث لو لم تكن حكمة عامة

وعدالة مطلقة ولم توقفها عن حدّها لكان كل من تلك القوى يستولى على الموجودات قاطبة. فالقوة التي تخلق شجرة الحَوَر في الارض عموماً وتدبّر امورها، لاتدع قطعاً هذه القوة الكلية افراداً جزئية لأشجار الجوز والتفاح والمشمش المنتشرة بين اشجار الحَوَر والملاصقة لها، الى قوى اخرى غيرها. ولايمكن الاّ وتستولي عليها ايضاً وتضمها بين تدبيرها للامور.

نعم؛ إن مثل هذه القوة والقدرة المصرّفة للأمور تُستشعر في كل نوع من المخلوقات، بل في كل فرد من الافراد، وتشاهد أنها تتمكن من ان تستولي على الكائنات كلها وعلى الاشياء كلها، وتهيمن على الموجودات قاطبة.

فلاشك ان قوة كهذه لاتقبل الاشتراك قطعاً ولاتسمح بالشرك في اية جهة كانت.

وكذا ان اكثر ما يوليه صاحب شجرة مثمرة من اهتمام واكثر ما يظهره من علاقة بها هو ثمراتها المتدلية في نهايات اغصانها، ونواها الغائرة في قلب تلك الثمرات بل هي قلوبها بالذات. ولاشك انه لايخل مالكيته عبثاً ـ ان كان راشداً ـ بتمليك تلك الثمرات المتدلية من الاغصان الى الآخرين تمليكاً دائمياً.

كذلك الامر في الشجرة المسماة بالكون، التي تمثل العناصر اغصانها، ومافي نهايات تلك العناصر من اوراق وازاهير تمثل النباتات والحيوانات، وما في قمم تلك الاغصان وفي ذروة تلك الاوراق والازاهير من ثمرات تمثل الانسان. فان اجلّ نتائج سعي تلك الثمرات البديعة ونتيجة خلقته هي العبودية لله وتقديم الشكر والحمد له وحده ولاسيما ماينطلق من النوى الجامعة لتلك الثمرات، تلك هي قلوب البشر وقواهم الحافظة المسماة بظهر القلب.. لايمكن باي حال من الاحوال ان يدعها سبحانه لأغتصاب الأغيار فيهوّن من شأن عظمة ربوبيته وعزتها مخلاً به معبوديته. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكذا، لما كانت مقاصد الربوبية قد تمركزت في الجزئيات التي هي في منتهى دائرة الممكنات والكثرة، بل تمركزت حتى في جزئيات احوال تلك الجزئيات، وفي جزئيات اطوارها التي تمتد الى المعبودية وتتوجه الى المعبود سبحانه.. ولما كان جميع انواع الامتنان والحمد والثناء وجميع اضراب الشكران والعبادات ناشئة من تلك الجزئيات،

فلا شك انه سبحانه لا يسلّمها الى الأغيار، فلا يفسد حكمته الجليلة بهذا التسليم، ولا يسقط ألوهيته المهيبة بهذا الافساد. لان اهم المقاصد الربانية في خلق الموجودات، هو تعريف وتحبيب نفسه سبحانه الى ذوي الشعور، ودفعهم الى تقديم حمدهم وشكرهم وثنائهم له وحده.

ولاجل هذا السر الدقيق فان الافعال والآلاء، الجزئية منها والكلية، المتمركزة في منتهى دائرة الكثرة، كالرزق والشفاء ولاسيما الاهتداء والايمان وامثالها من الافعال والآلاء التى تنتج الشكر وتبعث على العبادة والحمد والمحبة والعبودية والثناء؛ انما هي احسان مباشر لرب العالمين وانعام مباشر لسلطان الموجودات وأثر مباشر لهدايته وفعله. ومن اجل إراءة ذلك يُسند القرآن الكريم مكرراً الرزق والهداية والشفاء الى الواجب الوجود. ويبين ان احسان كل منها انما هو خاص به وحده ومنحصر به وحده، وفي الوقت نفسه يردّ رداً قوياً تدخل الاغيار في تلك الافعال الجليلة (١).

نعم ان نعمة الايمان التي تُكسب دار سعادة ابدية لاتكون الاّ نعمة مَن خلق تلك الدار ومن جعل الايمان مفتاحاً لها، وهو الله ذو الجلال والاكرام، وليس غيره اطلاقا؛ اذ لايمكن ان يكون غيره تعالى مُنعم مثل هذه النعمة العظمى، فيسد اعظم نافذة مطلة على المعبودية ويغصب اجلّ وسيلة اليها.

حاصل الكلام:

ان ادق الاحوال الجزئية والثمرات التي هي في اقصى نهايات شجرة الخلق تشهد وتشير الى التوحيد والوحدانية بجهتين:

اولاها:

لأن مقاصد الربوبية في الكون تتجمع في الاحوال الجزئية، وغاياتها تتمركز فيها، وتجليات اكثر الاسماء الحسنى وظهورها وتعيناتها تجتمع فيها، ونتائج خلق الموجودات وفوائدها تبرز فيها؛ لذا فان كلاً منها تقول انطلاقاً من نقطة التمركز والتجمع هذه: انا ملك مَن خلق الكون بأسره، انا فعله واثره.

(١) كقوله تعالى: ﴿ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ – المؤلف.

اما الجهة الثانية:

فان قلب تلك الثمرة الجزئية، وذهن الانسان المسمى حسب الحديث الشريف بظهر القلب(١)، فهرسٌ مختصر لأكثر الانواع. ونموذج مصغر لخريطتها. وبذرة معنوية لشجرة الكون. ومرآة رقيقة لاكثر الاسماء الإلهية. فانتشار تلك القلوب والاذهان وامثالها التي هي على نمط واحد انتشاراً مستولياً ومهيمناً على وجه الكائنات كلها، يرنو بلا شك الى مَن بيده مقاليد السموات والارض. فيقول كل منها: انا اثره وحده، انا اتقانه وحده.

زبدة الكلام:

مثلما تتوجه الثمرة الى مالك شجرتها من حيث كونها مفيدة، وترنو الى جميع اجهزة تلك الشجرة واغصانها وماهيتها من حيث نواها. وتنظر الى جميع ثمار تلك الشجرة من حيث سكتها المضروبة على وجهها والموجودة في مثيلاتها. فتقول جميعاً: «نحن على نمط واحد، صدرنا من يد واحدة. ونحن ملك لمالك واحد، فالذي خلق واحدة منا هو خالق جميعنا بلاشك».

كذلك الامر في الكائن الحي الذي هو في نهايات دائرة الكثرة. ولاسيما الانسان، وبخاصة من حيث العلامات الفارقة الموجودة على وجهه ومن حيث ما في قلبه من فهرس ومن حيث ما في ماهيته من نتائج، تتوجه كلها الى الذي يمسك السموات والارض بربوبيته الجليلة وتشهد على وحدانيته جل وعلا.

---

(١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: (ان امراة جاءت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر اليها رسول الله ﷺ فصعد النظر اليها وصوّبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يارسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها. فقال: هل عندك من شيء، فقال: لا والله يارسول الله، قال اذهب الى أَهلك فانظر هل تجد شيئاً، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ما وجدت شيئاً قال: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن إزاري قال سهل ماله رداءٌ فلها نصفه فقال رسول الله ﷺ ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء، وان لبسته لم يكن عليك شيء فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدُعي فلما جاء قال ماذا معك من القرآن؟ قال معي سورة كذا وكذا وسورة كذا عدّها، قال أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن). البخاري في المعسر (٥/٢٣٧) وظهر القلب (٨/٧) في كتاب النكاح – باب تزويج المعسر وفي كتاب فضائل القرآن – باب القراءة عن ظهر القلب والنسائي في كتاب النكاح.

المقتضى الثاني للوحدانية

هو ان في الوحدانية سهولة ويسراً بدرجة الوجوب، وفي الشرك صعوبة ومشكلات بدرجة الامتناع.

وقد أُثبتت هذه الحقيقة اثباتاً قاطعاً وأُظهرت ببراهين دامغة في رسائل عديدة من مجموعة «سراج النور» ولاسيما في المكتوب العشرين، حيث وضّحت مفصلاً، وفي النكتة الرابعة من اللمعة الثلاثين، حيث وضّحت مجملاً، وعلى النحو الآتي:

اذا فوّض أمر جميع الاشياء الى ذات الواحد الأحد فان خلق الكون كله وتدبير أمره يكون سهلاً كسهولة خلق شجرة، ويكون خلق الشجرة وانشاؤها سهلاً كسهولة خلق ثمرة واحدة، ويكون إبداع ربيع كامل وادارته سهلاً كسهولة ادارة زهرة واحدة، وتكون تربية نوعٍ يضم ما لا يحد من الافراد وتدبير امرها سهلاً وبلا مشكلات كسهولة ادارة فرد واحد.

بينما اذا فوّض في طريق الشرك خلق فرد واحد الى الاسباب والطبيعة فانه يكون صعباً كصعوبة خلق النوع، بل الانواع، ويكون ايجاد بذرة واحدة عسيراً كخلق الشجرة، بل مائة شجرة. ويكون ايجاد شجرة وانشاؤها واحياؤها وادارتها ورعايتها وتدبير امورها ذات مشكلات عويصة كادارة الكون كله بل اكثر منها.

وحيث ان هذا الامر قد اثبت في «سراج النور» على هذه الصورة، ونحن نشاهد وفرة في المخلوقات مع منتهى الاتقان والجودة، حتى أن كل ذي حياة وهي كماكنة خارقة تضم اجهزة كثيرة يُخلق بوفرة مطلقة وبسهولة متناهية بلا معالجة ولاتكلّف وفي لمح البصر. مما يبين لنا بالضرورة وبالبداهة؛ أن تلك الوفرة وتلك السهولة ناشئتان من الوحدانية، ومن كونهما افعال واحد أحد. اذ خلاف ذلك لاينعدم الرخص والوفرة والسرعة والسهولة والاتقان وحدها بل لايمكن ايضاً شراء ثمرة قيمتها خمس پارات[١] فقط بخمسمائة ليرة[٢]، بل تكون نادرة جداً الى حد العدم.

---

(١) پارة: كلمة معربة من الفارسية، وهي قطعة من النقد تساوي ربع من القرش، وهي نقد صغير من النحاس. (المعجم الاقتصادي الاسلامي) – المترجم.

(٢) ليرة: عملة ذهبية مقسمة الى مائة قرش (المعجم الاقتصادي – المترجم.

وان السهـولة المشاهدة في ايجـاد الاحياء واليـسر في عملهـا المنظم كيسر وانتظام عـمل الساعـة او للمكائن الكهـربائيـة التي تعمـل بمجرد مس مـفـتاحـهـا.. اقـول هذه السهولة المشاهدة في ايجاد الاحياء واليسر في عملهـا تصبح ـ في طريق الشرك ـ من الصعوبة والمشكلات بدرجة الامتناع.

وان الاحيـاء التي تُولد في يوم او في سـاعة بل في دقيقـة واحدة وتأتي الى الحياة والدنيا مع كامل اجهزتها وشرائط حياتها، لاتأتي الى الوجود ـ في طريق الشرك ـ في سنة بل ولا في عصر بل ولاتأتي اليه اصلاً.

وقـد اثبتت في «سـراج النور» في اكـثر من مـائة موضع اثـباتاً جـازماً، يلزم حـتى اعـتى مـعـاند مكابر، أنه: اذا اسندت جـمـيع الاشـيـاء الى ذات الواحـد الاحـد جل وعلا، فان الخلق والايجاد يكون كخلق شئ واحد ويتم في سرعة فائقة، وفي رخص وموفورية.

بينمـا اذا اسندت واعطيت حصـة الى الاسباب والطبيعـة، فان ايجـاد شئ واحد يكون صعباً معضلاً وبطيئاً وتافهاً لا أهمية له، باهظاً غالياً، كجميع الاشياء.

وان شـئت ان ترى براهين هذه الحـقيـقة فـانظر الى المكتـوب العـشرين والمكتـوب الثالث والثلاثين. وانظر الى الكلمة الثانية والعـشرين، والكلمة الثانية والثلاثين. وانظر الى اللمعة الثـالثة والعشرين الخاصة بالطبـيعة واللمعة الثلاثين الخاصـة بتجليات الاسم الاعظم، ولاسيـما النكتة الرابـعة والسادسة مـنها الباحـثة عن اسم الفرد واسم القـيوم. فترى ان هذه الحـقيقة قد اثبـتت في تلك الرسائل اثباتاً يقيناً كـضرب الاثنين في اثنين يساوي اربعاً.

اما هنا فسنشير الى برهان واحد من تلك المئات من البراهين. وعلى النحو الآتي:

إن ايجـاد الاشـيـاء، إما من العـدم، أو بالانشـاء اي بالتـركـيب، حـيث تجـمع من العناصر وتجمع من الموجودات.

فاذا اسند الايجاد والخلق الى الواحـد الأحد، فلابد أن يكون للذات الجليلة علم محيط بكل شئ، وقدرة مهيمنة على كل شئ.

لذا فان اعطاء وجود خارجي للاشياء التي صورتها ووجودها العلمي في علمه سبحانه، واخراجها من عدم ظاهري، امر سهل جداً، لاأسهل منه، كسهولة امرار مادة كيمياوية على كتابة مخفية، لأجل اظهارها، او نقل الصورة من عدسة الكاميرا الى الورق الحساس. وهكذا الاشياء التي تصاميمها وبرامجها ومقاديرها المعنوية موجودة في علم الصانع الجليل يخرجها جلّ وعلا بأمر كن فيكون من عدم ظاهري الى وجود خارجي.

أما إن كان الخلق انشاءً وتركيباً، وليس من العدم، فان جمعه من العناصر والموجودات هو الآخر سهل جداً، إذ كما ان اجتماع الجنود المتفرقين المنتمين لطابور معين، بصوت من بوق، وأخذ كل منهم وضعاً منتظماً، أمر سهل، وان الجنود كلهم يكونون بمثابة قوة ساندة لقائدهم وقانونه النافذ وعينه الباصرة لأجل تسهيل عملية السوق العسكري والحفاظ على وضع معين.

كذلك تساق الذرات المنضوية تحت قيادة رب العالمين بدساتير قدره وعلمه وبقوانين قدرته المهيمنة وتصبح الموجودات التي لها مساس مع تلك الذرات بمثابة قوة ذلك السلطان وقانونه وموظفيه وسائل تسهيل وتيسير. فتأتي تلك الذرات لتشكيل وجود كائن حي، فتدخل ضمن مقدار معين كقالب معنوي علمي وقدري، وتقف هناك.

ولكن اذا أُسند خلق الاشياء الى أيدٍ متفرقة عديدة، والى امثال الاسباب والطبيعة. فان اي سبب كان لايقدر على ايجاد شئ من العدم ومن اية جهة كانت، وهذا مايتفق عليه جميع اهل العقل. لأن ذلك السبب لايملك علماً محيطاً بكل شئ ولاقدرة مهيمنة على كل شئ؛ لذا لايكون ذلك العدم عدماً ظاهرياً وخارجياً وحده بل يكون ايضاً عدماً مطلقاً. والعدم المطلق لايكون قطعاً منشأً لوجود، لذا لابد أن يُركّب.

والحال ان تركيب وانشاء جسم ذبابة واحدة او زهرة واحدة يقتضي جمع جميع ذراته من سطح الارض كافة بعد تصفيتها وتنقيتها بمصاف معينة دقيقة، ولايمكن ذلك الاّ بعد مشكلات عديدة، وحتى بعد مجيئها فإن المحافظة عليها في وضع

منتظم دون ان تتبعثر وتتشتت داخل ذلك الجسم امر عسير آخر لعدم وجود قوالب معنوية علمية، اذ يلزم وجود قوالب مادية وطبيعية بعدد اعضاء ذلك الكائن، كي يتشكل ذلك الجسم للكائن..

وهكذا فان اسناد خلق جميع الاشياء الى واحد أحد، يولد سهولة متناهية بدرجة الوجوب واللزوم، بعكس اسناده الى الاسباب العديدة الذي يولد مشكلات وصعوبات بدرجة المحال. فلو فوّض امر كل شئ الى الواحد الاحد جل وعلا لأصبح الموجود في غاية النفاسة مع الوفرة المطلقة، وفي غاية الاتقان مع منتهى الحكمة والقوة، بينما لو اسند في طريق الشرك الى الاسباب المتعددة والطبيعة يكون الموجود في منتهى الغلاء مع انه في منتهى التفاهة والتشوه والضعف. لأنه كما ان أحداً بصفة الجندية يحمل قوة معنوية بانتسابه الى قائد عظيم واستناده اليه، اذ يمكن أن يُحشّد له جيشاً عظيماً اذا لزم الامر. فضلاً عن ان قوة ذلك القائد والجيش تكون قوة احتياطية له، فتتضاعف قوته الشخصية الى الوف الاضعاف فيكسب قدرة مادية علاوة على عدم اضطراره الى حمل منابع تلك القوة التي انتسب اليها ولا الى حمل مخازن عتاده حيث الجيش ينقلها، لذا يستطيع ذلك الجندي على أسر مشير لدى العدو، وعلى تهجير مدينة كاملة، وتسخير قلعة عظيمة، فيكون أثره خارقاً وذا قيمة واعتبار. ولكن اذا ماترك ذلك الشخص الجندية واصبح سائباً، فانه يفقد كلياً تلك القوة المعنوية الخارقة وتلك القدرة الخارقة والاقتدار الخارق، ويصبح انساناً اعتيادياً لايقدر على شئ الاّ بقدر قوته الشخصية من امور بسيطة جزئية لا أهمية لها، فيصغر تأثيره بتلك النسبة.

وعلى غرار هذا تماماً، ففي طريق التوحيد يستند كل شئ وينتسب الى القدير الجليل، لذا فكما تغلب نملة فرعوناً وبعوضة نمروداً وجرثومة جباراً عنيداً وكما تحمل بذيرة صغيرة على كتفها شجرة ضخمة كالجبل، فضلاً عن كونها منشأ ومخزن جميع آلات تلك الشجرة واجهزتها، فان كل ذرة ايضاً يمكن ان تؤدي وظائف لاتحد بذلك الاستناد والانتساب كتشكيل الصور والاجسام التي تحمل مئات الالوف من الاتقان والانواع والانماط والاشكال. وتصبح الاثار التي تؤديها تلك المأمورات اللطيفات وهذه المجندات الصغيرات في منتهى الكمال والاتقان والنفاسة والجودة؛ لأن الذي

يصنع تلك الآثار هو القدير ذو الجلال قد وضع في يد تلك الموظفات هذه الآثار وجعلهن ستاراً لقدرته.

ولكن اذا ما اسند الامر الى الاسباب، كما هو في طريق الشرك، فان تأثير النملة يصبح تافهاً ضئيلاً كالنملة نفسها واتقان الذرة لايعدّ شيئاً كالذرة نفسها، بمعنى ان كل شئ يسقط معنىً كما يسقط مادة ايضاً بحيث لاتُشترى الدنيا عندئذٍ بشروى نقير.

فما دامت الحقيقة هي هذه، وان كل شئ في غاية النفاسة والابداع والقوة والمغزى العميق كما هو مشاهد، فلاريب انه لاطريق غير طريق التوحيد، واذا ماوجد طريق غيره فيلزم تبديل الموجودات وافراغ الدنيا في العدم واملاؤها مجدداً بامور تافهة بدلاً منها، ليفتح طريقاً أمام الشرك ليسلكه!!

وها قد سمعت مجمل برهان واحد يخص التوحيد من مئات البراهين الموضحة في رسائل النور.

☐ المقتضى الثالث للتوحيد

ان الخلق في كل شئ، ولاسيما في الاحياء، هو في منتهى الابداع وغاية الاتقان. زد على ذلك، فالنوية الصغيرة نموذج الثمرة، والثمرة نموذج الشجرة، والشجرة نموذج النوع، والنوع نموذج الكون ومثاله المصغر، وفهرسه المختصر، وخريطته المجملة، وبذرته المعنوية، ونقطة جامعة مترشحة من الكون وقطرة خميرة جمعت منه محلوبة بدساتير علمية وبموازين حكيمة.

لذا فالذي يخلق واحداً مما ذكر، لاشك انه وحده خالق جميع الكون. نعم ان الذي يخلق نواة البطيخ هو خالق البطيخ بالبداهة، ولايمكن ان يكون غيره، بل محال قطعاً.

نعم، اننا نشاهد ان كل ذرة في الدم منتظمةٌ الى حدّ بعيد، وتؤدي من الوظائف الجليلة مالايقل في الاهمية عن اداء النجوم لوظائفها، وكذا كل كرية حمراء وبيضاء

في الدم تقوم بوظائفها تجاه الجسم بشعور تام من حيث اعاشته والحفاظ عليه وصيانته بحيث تسبق في الكمال اعظم مأموري توزيع الارزاق واخلص جنود المحافظة.

وان حجيرات الجسم نفسها تنال كل منها من الواردات والمصاريف المستهلكة وتجري من المعاملات المنتظمة والفعالية الدائمة في الجسم بحيث تسبق ادارة أكمل جسد وابدع قصر. وكل فرد من افراد الحيوانات والنباتات يحمل من العلامات الفارقة في وجهه والاجهزة في صدره بحيث لايمكن ان يضع تلك العلامات الاّ الذي خلق الحيوانات والنباتات جميعها.

وكل نوع من انواع الاحياء منتشرٌ في وجه الارض انتشاراً منظماً، ومختلط مع سائر الانواع اختلاطاً ملائماً، بحيث لايمكن ان يخلق ذلك النوع ويدير شؤونه الاّ من خلق جميع تلك الانواع ويديرها ويدبر شؤنها ويرعاها دفعة واحدة حتى جعل تلك الانواع الملونة كزرابي حيوية منسوجة من اربعمائة نوع من انواع الحيوانات والنبات مبثوثة على سطح الارض كافة.

فاذا ما قيست امور اخرى على ماذكرنا، يُفهم ان الكون برمته من حيث الخلق والايجاد كلٌ لايقبل التجزئة، ومن حيث الربوبية وتدبير الشؤون كليّ لايمكن ان ينقسم قطعاً.

هذا المقتضى الثالث قد بحث في كثير من اجزاء «سراج النور» ولاسيما في الموقف الاول من الكلمة الثانية والثلاثين. اذ قد وضح هناك وضوحاً رائعاً واثبت اثباتاً دامغاً بحيث ينعكس من كل شئ برهان وحدانية وحجة توحيد، كما ينعكس ضوء الشمس في مرآة كل شئ. لذا نختصر هنا مكتفين بذلك الايضاح.

المقام الثالث

سيُبين هذا المقام ثلاث علامات
كلية للتوحيد بياناً مجملاً .

ان الدلائل والحجج والعلامات الدالة على تحقق الوحدانية ووجودها لاتعد ولاتحصى. وقد ذكرت في «سراج النور» الالوف من تلك البراهين لذا اكتفي في هذا المقام ببيان مجمل لثلاث حجج كلية فقط.

● العلامة والحجة الأولى؛ التي تنتج كلمة «**وحده**» هي:

ان في كل شئ وحدة، والوحدة تدل على الواحد وتشير اليه، ومما لاشك فيه ان الاثر الواحد يصدر من صانع واحد، فالواحد يصدر من الواحد. وحيث أن في كل شئ وحدة، فهي تدل على أن الشئ أثر لواحد أحد وصنعته.

نعم! ان هذا الكون أشبه مايكون بزهرة مغلفة بالوف من ستائر الوحدة. بل هو انسان كبير جداً لبس ملابس الوحدة بعدد الاسماء الإلهية وافعالها الشاملة. وهو شجرة طوبى الخليقة تتدلى من اغصانها انواع من الوحدة، بعدد انواع المخلوقات.

نعم ان ادارة الكون واحدة، وتدبير شؤونه واحد، وسلطنته واحدة، وعلامته واحدة.. وهكذا واحد، واحد، واحد، الى ألف من الواحد.. وكذا الاسماء الإلهية وافعالها التي تدير هذا الكون كل منها واحدة، فضلاً عن ان كل اسم وكل فعل يحيط بالكون كله او بمعظمه، اي أن الحكمة الفاعلة في الكون واحدة والعناية فيه واحدة، والتنظيم الذي فيه واحد، والإعاشة واحدة والرحمة المغيثة للمحتاجين فيه واحدة والمطر النازل بشرى بين يدي رحمته تعالى واحد. وهكذا واحد واحد واحد.. الى الألف من الواحد.

وكذا الشمس التي تنشر الدفء لهذا الكون واحدة، والقمر الذي يبعث الضياء واحد، والنار التي تطبخ المأكولات واحدة، والجبال التي هي مخازن واوتاد ذات خزائن واحدة، والسحاب الذي يسقى البساتين واحد.. وهكذا واحد واحد واحد الى الألف.

فهـذه الآحاد في العالم حـجة باهرة كالشـمس الساطعة تدل على الواحـد الأحد وتشير اليه .

وكذا فان عناصر الكون وانواعه، كل منها مع كونها واحدة الاّ أن احاطتها بسطح الارض ودخول بعضها في البعض الآخر، واتحاد بعضـها مع البعض الآخر بعلاقات قوية بل بالمعاونة، عـلامة ظاهرة بلا شك على أن مالك الكون ومولاه وصـانعه واحد أحد.

● العلامة الثانية والحجة التي تنتج كلمة «**لاشريك له**» هي:

وجود الانتظام الاكمل بلا خلل والانسجام الأجمل بلا نقص والميزان العدل الذي لايظلم قطعاً، في كل شئ في الكون ابتداءً من الذرات الى المجرات.

نعم، لايكون الانتظام البـديع والميزان الدقيق الاّ بالـوحدة والتوحـيد، لأن الايدي المتعددة اذا ماتدخلت في فعل واحد فانها تفسده.

فتـعال تأمل في هيـبة هذا الانتظام البـديع الذي جعل هذا الكون على هيئة قـصر عظيم فـخم، في كل حجر من احـجاره صنعـة القصر بـكامله.. وجعله مدينة رائعة التنسيـق والنظام بحيث تصرف صـادراتها غـير المحدودة وتأتي وارداتهـا غير المعدودة وامـوالها الثـمينة وارزاقـها المتنوعة بانتظام كـامل من وراء سـتار الغـيب، كلٌ في وقتـه المناسب، ومن حيث لايحتسب.. وجعله كتاباً معـجزاً بليغا بحيث أن كل حرف فيه يفيد مـعاني مائة سطر وكل سطر فيه يعـبّر عن معاني مائة صحـيفة، وكل صحيفـة فيه تبين معاني مائة باب، وكل باب فـيه تفصح عن معاني مائة كتـاب. فضلاً عن أن كلاً من ابوابه وصحائفه وسطوره وكلماته وحروفه يشير الواحدُ الى الآخر ويدلّ عليه.

وتعال تأمل في كمال التنظيم ضمن هذا الانتظام العجيب، الذي جعل الكون كله نظيـفاً انيـقـاً طاهراً كأنه مـدينة رائعـة في النظافـة والنقاء، بل كـأنه قـصر بديع يعتنى بنظافته وأناقته غاية العناية، بل كأنه حورية من حور الجنة لبست سبعين حلة من الحلل المزينة الجميلة. بل زهرة لطيفة مغلفة بسبعين ورقة من اوراقها الملونة الزاهية.

وتعال تأمل في كمـال عدالة هذا الميزان ضمن هذا الانتظام والنـظافة بحيث يوزن كل شئ بذلك الميزان؛ فالمخلوقات والحيوانات الدقيقة التي لاترى الاّ بعد تكبيرها الف

مرة، وكذا النجوم والشموس التي هي أكبر من الارض بألف مرة، يوزن كل منها بذلك الميزان ويكال بمكياله، فتعطى لتلك المخلوقات كل ما يلزمها من حاجيات من غير نقص وقصور حتى تتساوى أمام ذلك الميزان، ميزان العدالة، تلك المخلوقات الصغيرة جداً مع تلك المصنوعات الخارقة في الضخامة. علماً أن منها ما له تأثير عظيم الى حد تختل موازنة العالم بفقد موازنته لثانية واحدة، ولربما تؤدي الى انفلاق القيامة.

وتعال تأمل في هذا الجمال الزاهي والحسن الباهر ضمن هذا الانتظام والنظافة والميزان، بحيث جعل هذا الكون العظيم على صورة مهرجان في منتهى الجمال والبهجة، وعلى صورة معرض بديع في منتهى الزينة والروعة، وعلى صورة ربيع زاه تفتحت ازاهيره تواً. وجمّل الربيع كزهرة عظيمة واسعة تغطي وجه الأرض بمئات الالوف من ازاهيره الجميلة، وكل زهرة منها في اروع زينة وابدع جمال. بل جعله كسندانة زاهية وباقة زهر لطيفة امامنا.

نعم، ان كل نوع من انواع الكائنات، بل حتى كل فرد من افرادها قد نال حسب قابليته حظاً من جمال الاسماء الإلهية الحسنى التي لامنتهى لجمالها. حتى دفع حجة الاسلام الامام الغزالي(١) الى القول: «ليس في الامكان ابدع مما كان» اي، ليس في دائرة الإمكان أبدع وأجمل من هذه المكوّنات.

وهكذا فهذا الحسن المحيط الجاذب، وهذه النظافة العامة الخارقة، وهذا الميزان الحساس المهيمن الشامل، وهذا الانتظام والانسجام المعجز المحيط بكل شئ، حجة قاطعة على الوحدانية وعلامة واضحة على التوحيد، أسطع من ضوء الشمس في رابعة النهار.

---

(١) الامام الغزالي: (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي، فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي، وصاحب رسالة روحية، كان لها اثرها في الحياة الاسلامية. ولد بطوس من اعمال خراسان، ودرس علوم الفقهاء وعلم الكلام على امام الحرمين، وعلوم الفلاسفة وبخاصة الفارابي وابن سينا وعلوم الباطنية، فلم يجد في هذه العلوم مايشبع حاجة عقله الى اليقين ولا ما يرضي رغبة قلبه في السعادة واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية وارتحل الى بلاد كثيرة منها دمشق وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية ومكة والمدينة. ومن مصنفاته (احياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة) و (المنقذ من الضلال). ـ المترجم.

«جواب في غاية القوة والايجاز عن سؤال

ذي شقين في غاية الأهمية يخص هذا المقام».

❑ الشق الاول من السؤال:

انك تقول في هذا المقام: لقد احاط الحسن والجمال والعدالة بالكون. ولكن ماتقول فيما نشاهده من القبائح والمصائب والامراض والبلايا والاموات؟

الجواب: ان قبحاً يكون سبباً لانتاج انواع من الجمال او سبباً لإظهارها، يعدّ كذلك جمالاً. وان انعدام قبحٍ يؤدي الى إخفاء كثير من الجمال والى عدم ظهوره، لايعدّ قبحاً واحداً، بل اضعافاً مضاعفة من القبح.

فمثلاً: ان لم يوجد قبح كواحد قياسي، تصبح حقيقة الحسن نوعاً واحداً وتختفي مراتبه الكثيرة جداً ولكن بتداخل القبح فيه تظهر مراتبه. اذ كما تظهر درجات الحرارة بتداخل البرودة، ومراتب الضوء بوجود الظلام كذلك بوجود الشر الجزئي والضرر الجزئي والمصيبة الجزئية والقبح الجزئي تظهر الخيرات الكلية والمنافع الكلية والنعم الكلية واضراب الجمال الكلي. بمعنى ان ايجاد القبح ليس قبيحاً، بل جميل؛ لأن كثيراً من النتائج المتولدة منه جميلة. نعم ان الكسلان الذي قد يتأذى من المطر، لايقدح ضرره بالنتائج الخيرة التي جعلت المطر رحمة، ولايمكنه ان يبدل الرحمة الى نقمة.

أما الفناء والزوال والموت، ـ فكما اثبتت ببراهين قوية وقطعية في المكتوب الرابع والعشرين ـ فانها لاتنافي الرحمة العامة والحسن المحيط والخير الشامل. بل هي من مقتضيات هذه الامور. حتى الشيطان، فلانه سبب لتحريك النابضين الاساسيين لرقي البشر المعنوي، اي التسابق والمجاهدة، فان خلق نوع الشيطان خير ويُعدّ من هذه الجهة جميلاً.

بل حتى تعذيب الكافر في جهنم، أمر جميل، حيث قد تعدى بكفره على حقوق الكائنات قاطبة واستهان بمنزلتها الرفيعة وحط من كرامتها.

ولما كانت هاتان النقطتان قد بحثتا بحثاً مفصلاً في رسائل اخرى نكتفي هنا بهذه الاشارة القصيرة.

☐ الشق الثاني من السؤال (١):

لنسلّم بهذا الجواب العام الذي يخص الشيطان والكافر. ولكن لِمَ يبتلي الغني المستغني الجميل المطلق الرحيم المطلق الخير المطلق، افراداً ضعفاء بالمصائب والشرور والقبائح؟

الجواب: ان جميع انواع البر والحسن والنعم آتية مباشرة من خزينة رحمة ذلك الجميل المطلق والرحيم المطلق ويرد من فيض احسانه الخاص. اما المصائب والشرور فهي نتائج جزئية قليلة فردية من بين كثير من النتائج المترتبة على قوانينه العامة والكلية، قوانين سلطان ربوبيته التي تمثل الارادات الكلية الجارية تحت اسم نواميس الله وعاداته، فتصبح تلك الامور من المقتضيات الجزئية لجريان تلك القوانين . لذا فلأجل الحفاظ على تلك القوانين ورعايتها والتي هى مبعث المصالح الكلية ومدارها يخلق - سبحانه - تلك النتائج الجزئية ذات الشرور. ولكن تجاه تلك النتائج الجزئية الاليمة يستغيث ويستنجد الأفراد الذين ابتلوا بالمصائب والذين نزلت بهم البلايا فيمدّهم بامداداته الخاصة الرحمانية ويحسن اليهم باحساناته الخصوصية الربانية. فيظهر بهذا أنه الفاعل المختار وان كل شأن في كل شئ وثيق الصلة بمشيئته تعالى، وان قوانينه العامة ايضاً تابعة دائماً لإرادته واختياره، وان رباً رحيما يسمع نداء الذين يعانون من ضيق تلك القوانين العامة فيغيثهم ويمدّهم باحسانه عليهم. وانه بهذه الاحسانات الخصوصية والتوددات الخصوصية قد فتح ابواب تجلياته الخصوصية حيث قد فتح ميداناً لايحد ولايقيد لتجليات الاسماء الحسنى غير المقيدة وغير المحدودة، بشواذ النواميس الكلية والقوانين العامة ونتائجها الجزئية ذات الشرور.

وحيث ان هذه العلامة الثانية للتوحيد قد وضحت في مائة موضع من «سراج النور» اكتفينا باشارة عابرة اليها.

● الحجة والعلامة الثالثة، التي ، تشير اليها «**له الملك وله الحمد**» بعلامات توحيد لاتعدّ ولاتحصى.

نعم، ان في وجه كل شئ كلياً كان أم جزئياً، ابتداءً من الذرات الى السيارات، علامة توحيد واضحة جلية كوضوح جلوة الشمس في المرآة ودلالتها على الشمس

(١) جواب هذا الشق الثاني مهم جداً، اذ يزيل شبهات كثيرة. — المؤلف.

نفسها. فمرآة تلك العلامة الموضوعة على كل شئ ايضاً تشير اشارة ساطعة مثلها الى منور الازل والابد، وتشهد على وحدانيته. وحيث أن اكثر تلك العلامات غير المحدودة قد وضحت توضيحاً مفصلاً في «سراج النور» نكتفي هنا بالاشارة الى ثلاث منها فقط.

فعلى وجه الكون نشاهد علامة واسعة للتوحيد، مركبة من التعاون والتساند والتشابه والتداخل التي تبيّنه الانواع فيما بينها، كل تجاه الآخر.

وعلى وجه الارض تشاهد علامة توحيد واضحة موضوعة على جيش سبحاني مركب من اربعمائة الف طائفة من طوائف الحيوانات والنباتات، وذلك بمنح ارزاقها المختلفة واسلحتها المتباينة وألبستها المتنوعة وتعليماتها المتمايزة ورخصها المتغايرة، تمنح كل منها دون نسيان أحد وبلا خطأ وفي غاية الانتظام وفي الوقت المناسب.

وعلى وجه الانسان تشاهد علامة وحدانية يبيّنها وجود العلامات الفارقة في وجه كل انسان بحيث تميّزه عن جميع الوجوه الاخرى في الارض كافة.

بل تشاهد على وجه كل مصنوع جزئياً كان أم كلياً علامة توحيد. وتشاهد على رأس كل مخلوق كبيراً كان أم صغيراً، قليلاً كان أم كثيراً، ختم الاحدية ولاسيما العلامات الموضوعة على الكائنات الحية فهي علامات ساطعة لامعة. بل ان كل كائن حي هو بنفسه علامة توحيد، وختم وحدانية، وطابع أحدية، وطغراء صمدية.

نعم، ان كل زهرة وكل ثمرة وكل ورقة وكل نبات وكل حيوان، ختم للأحدية، وختم للصمدية بحيث يحوّل كل شجرة الى صورة رسالة ربانية، وكل طائفة من المخلوقات الى صورة كتاب رحماني، وكل حديقة الى صورة مرسوم سلطاني سبحاني، بل قد وضعت في تلك الرسالة، رسالة الشجرة، اختامٌ بعدد ازاهيرها، وتواقيع بعدد ثمراتها، وطغراءات بعدد اوراقها. ووضعت ايضاً في ذلك الكتاب كتاب النوع والطائفة خواتم بعدد افرادها، اظهاراً لكاتبه وتعريفاً به ووضعت في ذلك المرسوم السلطاني، مرسوم الحديقة علامات وحدانية بعدد ما فيها من نباتات واشجار وحيوانات، تعريفاً بصاحبها السلطان الآمر. حتى ان في كل شجرة، في مبدئها ومنتهاها، في ظاهرها وباطنها اربعاً من علامات التوحيد التي تشير اليها الاسماء الحسنى (الاول والآخر والظاهر والباطن).

فما يشار اليه باسم «**الاول**» هو:

ان البذرة التي هي المبدأ الاساس لكل شجرة مثمرة (١)، هي علبية صغيرة تحمل برنامج تلك الشجرة وفهرستها وخطة عملها.. وهي مصنع صغير تضم اجهزتها ولوازمها وتشكيلاتها. وهي ماكنة تحوي على تنظيماتها وارداتها الدقيقة ومستهلكاتها اللطيفة في مبدأ حياتها.

وما يشار اليه باسم «**الآخر**» هو:

ان ثمرة كل شجرة ونتيجتها، تمثل لائحة تعريف للشجرة بحيث تحمل اشكال تلك الشجرة واحوالها واوصافها. وهي اعلان يفصح عن وظائف الشجرة ومنافعها وخواصها.. وهي خلاصة تبين وترشد الى امثال تلك الشجرة وانسالها والاجيال الآتية منها، وذلك بالبذور التي تحملها في قلبها.

وما يشار اليه باسم «**الظاهر**» هو:

ان الصورة التي تلبسها كل شجرة والشكل الذي يتشكل به هي حلّة قشيبة مزركشة، ولباس جميل مفصّل على قدّ الشجرة باغصانها واعضائها واجزائها، وقص على حسبها وزين على وفقها، فهو لباس دقيق موزون وذو مغزى عميق، بحيث يحوّل تلك الشجرة الى صورة كتاب، والى صورة رسالة، والى صورة قصيدة عصماء.

وما يشار اليه باسم «**الباطن**» هو:

ان الاجهزة العاملة في كل شجرة، هي مصنع عظيم بحيث يكيل بميزان حساس ادارةَ جميع اجزاء تلك الشجرة وجميع اعضائها وتشكيلها وتدبير امورها، وفي الوقت نفسه يزوّد جميع اعضائها المتباينة ما يلزمها من مواد وارزاق بتوزيع وتقسيم وسوق ضمن انتظام متقن كامل وفي منتهى السرعة كسرعة البرق، ومنتهى السهولة كسهولة نصب الساعة، ومنتهى الوحدة والاتحاد كانقياد الجيش لأمر القائد، بحيث تتحير منه العقول.

(١) ان مايدور على ألسنة الناس منذ سالف الازمان حتى غدا مضرب الامثال من «النشوء من بذرة» يمكن ان يطلق على مؤلف هذه الرسالة باشارة مستقبلية، لأن خادم رسائل النور قد كشف بفيض القرآن الكريم معراجين لمعرفة التوحيد في كل من البذرة والزهرة، وفجر ينبوع الحياة في الموضع الذي هلك فيه الطبيعيون فبلغ من البذرة الى الحقيقة، الى نور المعرفة.
وبناء على هذه الحكمة تتكرر هاتان الكلمتان البذرة والزهرة في رسائل النور كثيراً ـ المؤلف.

حاصل الكلام:

ان اول كل شجرة عليبة صغيرة وبرنامج.. وآخرها نموذج ولائحة تعريف.. وظاهرها حلّة مزركشة ولباس مزيّن.. وباطنها مصنع ومعمل.. فهذه الجهات الاربع تلاحظ احداها الاخرى، فتنشأ من هذه الاربعة علامة عظيمة جداً، بل اسم اعظم بحيث لايمكن قطعاً ان يقوم بتلك الاعمال غير الواحد الأحد الذي بيده زمام الكون كله.

فكما ان الشجرة تحمل هذه العلامة للتوحيد. فان اول كل كائن حي وآخره، وظاهره، وباطنه يحمل علامة توحيد وختم وحدانية وتوقيع احدية وطغراء وحدانية ايضاً..

وهكذا على غرار هذه الشجرة المذكورة ضمن الامثلة الثلاثة، الربيع ايضاً شجرة تحمل ازاهير كثيرة. والبذور والجذور المودعة امانة بيد فصل الخريف تحمل علامة اسم «الاول». والثمرات والحبوب والخضار التي تفرغ الى احضان فصل الصيف وتملأ رداءه المبسوط تحمل ختم اسم «الآخر». والالبسة الفطرية المزينة بمئات الالوف من الزينة والحلل التي يلبسها فصل الربيع كحلل حور العين السندسية، تحمل ختم «الظاهر». والمصانع الصمدانية العاملة في باطن الارض وفي الربيع والقدور الرحمانية التي تغلي غلياناً والمطابخ الربانية التي تهئ المأكولات، تحمل طغراء اسم «الباطن»

بل ان كل نوع من الانواع، وليكن نوع البشر مثلاً، هو شجرة ايضاً، بذرته وجذوره في اعماق الماضي، وثمراته ونتائجه في المستقبل، فكما ان وجود القوانين المنتظمة الجارية ضمن حياة جنسه وبقاء نوعه يحمل علامة توحيد واضحة، كذلك الدساتير المنتظمة لحياته الشخصية والاجتماعية في وضعه الحالي تحمل ختم وحدانية مستترة تحت الاضطرابات الظاهرية، مثلما تحمل دساتير القضاء والقدر لحياته وهي مقدراته الحياتية المتسترة تحت الاحوال البشرية الظاهرية ختماً مخفياً منتظماً للتوحيد.

* * *

الخاتمة

اشارة قصيرة جداً بكلام الى كل من الاركان الايمانية التي يتضمنهاسرالتوحيد

ايها الانسان الغافل! تأمل ولو لمرة واحدة، وأجل النظر فيما بينته المقامات الثلاثة لهذه الرسالة من الثمرات الثلاث والمقتضيات الثلاثة والحجج الثلاث، وانظر:

أمن الممكن للصانع القدير الحكيم الرحيم العليم، الاّ يهتم بمحاسن الحقيقة المحمدية المستولية على الكون معنىً وبالتسبيحات الأحمدية ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبأنوار الاسلام، وهو الذي يصرف الامور في هذا الكون ولايهمل أبسط شفاء ولا أقل شكر ولا أصغر صنعة كجناح البعوض، ولايفوض أمر هذه الجزئيات الى الأغيار قطعاً ولايحيلها اليهم، وهو الذي يقلّد اصغر نواة اعظم الوظائف والحكم الجليلة كالشجرة ويُشعر برحمانيته ورحيميته وحكيميته بكل صنعة من صنائعه ويعرّف نفسه بكل وسيلة ويحببها بكل نعمة؟

أوَ من الممكن الاّ يكون اعظم مقصد من مقاصد ذلك الصانع الجليل واعظم نور من انواره واوسع مرآة من مراياه، الرسالة الاحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام الذي جمّل جميع مصنوعاته وابهج جميع مخلوقاته وأضاء الكائنات برمتها، وحوّل السموات والارض الى جذبة ذكر وتهليل، وضمّ تحت جناح سلطنته المعنوية والمادية نصف الكرة الارضية وخمس البشرية طوال اربعة عشر قرناً من الزمان دون انقطاع. أو من الممكن ألاّ يكون الانبياء عليهم السلام الذين خدموا الحقيقة نفسها كمحمد ﷺ مبعوثي الصانع الجليل واحبّائه ورسله الكرام؟ حاش لله وكلا بعدد معجزات الانبياء؟

أوَ من الممكن ـ باية جهة كانت ـ للخالق الحكيم الرحيم الاّ يأتي بالحشر الذي هو أهون عليه من اتيان الربيع ولايفتح دار سعادة ومنزل بقاء، وهو الذي علّق مائة حكمة وثمرة على كل شئ مهما كان جزئياً، وعرّف بربوبيته الذاتية بحكمها الخارقة وبشمول رحمانيته وحببها الى مخلوقاته، فهل يمكن الاّ يأتي بالحشر، فينكر جميع حكمته ورحمته بل حتى ربوبيته وكماله ويدفع الآخرين الى انكارها، ويفنى أحب مخلوقاته اعداماً ابدياً؟ حاش لله وكلا مائة الف الف مرة.

فذلك الجمال المطلق منزّه ومتعال ومقدّس عن هذا القبح المطلق بمائة الف مرة.

حاشية طويلة:

سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر:

ان ما ورد في القرآن الكريم مراراً ﴿ إنْ كَانَتْ الاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ (يس: ٢٩) ﴿ وَمَآ اَمْرُ السَّاعَةِ الاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾(النحل: ٧٧) يبين لنا ان الحشر الاعظم سيظهر فجأة الى الوجود، في آن واحد بلا زمان. ولكن العقول الضيقة تطلب امثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتذعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها.

الجواب: ان في الحشر ثلاث مسائل هي: عودةُ الارواح الى الاجساد، وإحياءُ الاجساد، وانشاء الاجساد وبناؤها.

المسألة الأولى: وهي مجيء الارواح وعودتها الى اجسادها، ومثاله هو: اجتماع الجنود المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي للبوق العسكري. نعم، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام، ليس قاصراً عن البوق العسكري، كما أن طاعة الارواح التي هي في جهة الأبد وعالم الذرات والتي أجابت بـ ﴿ قَالُوا : بَلى ﴾(الاعراف:١٧٢) عندما سمعت نداء ﴿ اَلَسْتُ بِرَبِّكُم ﴾ المقبل من اعماق الازل ونظامها يفوق بلاشك أضعاف اضعاف ما عند أفراد الجيش المنظم. وقد اثبتت «الكلمة الثلاثون» ببراهين دامغة ان الارواح ليست وحدها جيش سبحاني بل جميع الذرات ايضاً جنوده المتأهبون للنفير العام.

المسألة الثانية: وهي إحياء الاجساد. ومثالُه هو: مثلما يمكن انارة مئات الآلاف م المصابيح الكهربائية لـيلة مهرجان مدينة عظيمة، من مركز واحد في لحظة واحدة، كأنها بلا زمان. كذلك يمكن انارة مئات الملايين من المصابيح على سطح الارض من مركز واحد. فما دامت الكهرباء وهي مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءة في دار ضيافته، لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها، فلابد ان الحشر الاعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة للحكمة الإلهية، تلك القوانين التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين كالكهرباء.

المسألة الثالثة: وهي انشاء الاجساد فوراً، ومثاله هو: انشاء جميع الاشجار والاوراق التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية، دفعة واحدة في غضون بضعة ايام في الربيع، وبشكل كامل، وبالهيئة نفسها التي كانت عليها في الربيع السابق.. وكذلك ايجاد جميع أزهار الاشجار وثمارها واوراقها بسرعة خاطفة، كما كانت في الربيع الماضي.. وكذلك تنبّه البُذيرات والنوى والبذور وهي لا تحصى ولا تعد والتي هي منشأ ذلك الربيع في آن واحد معاً وانكشافها واحياؤها.. وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للاشجار، وامتثالها فوراً لأمر «البعث بعد الموت».. وكذلك احياء افراد انواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لاحصر لها بمنتهى الدقة والاتقان.. وكذلك حشر أمم الحشرات ولاسيما الذباب (الماثل امام اعيننا والذي يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف يديه وعيونه وجناحيه باستمرار ويلاطف وجوهنا) الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بني آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام.. فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الاخرى واحياؤها في بضعة ايام، لايعطي مثالاً واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة.

نعم، لما كانت الدنيا هي دار «الحكمة» والدار الآخرة هي دار «القدرة» فان ايجاد الاشياء في الدنيا صار بشئ من التدريج ومع الزمن. بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب اغلب الاسماء الحسنى امثال «الحكيم، المرتّب، المدبر، المربي». اما في الاخرة فان «القدرة» و«الرحمة» تتظاهران اكثر من «الحكمة» فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى الانتظار. فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية. وما يشير اليه القرآن الكريم بـ﴿ وَمَآ اَمْرُ السَّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ ﴾ (النحل: ٧٧)، هو ان ما ينشأ هنا من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة كلمح البصر في الآخرة.

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجئ الحشر أمر قطعي كقطعية مجئ الربيع المقبل وحتمية فانعم النظر في «الكلمة العاشرة» و«الكلمة التاسعة والعشرين» الخاصتين بمسألة الحشر. وان لم تصدق به كمجئ هذا الربيع، فلك ان تحاسبني حساباً عسيراً.

المسألة الرابعة: وهي موت الدنيا وقيام الساعة، ومثاله هو: لو اصطدم كوكب سيار او مذنّب بأمر رباني بكرتنا الارضية التي هي دار ضيافتنا، لدمّر مأوانا ومسكننا – أي الارض – كما يدمّر في دقيقة واحدة قصر بني في عشر سنوات.

يكتفى بما ذكر حالياً من هذه المسائل الاربع التي تخص الحشر. ونرجع الى ما نحن بصدده.

أمن الممكن للقرآن المعجز البيان الاّ يكون كلام ذلك الصانع الجليل وهو المترجم البليغ لجميع حقائق الكون السامية، واللسان المعجز لجميع كمال خالق الكون، والجامع لجميع مقاصده؟ حاش وكلا بعدد اسرار آياته الكريمة.

أوَ من الممكن للصانع الحكيم الذي دفع جميع ذوي الحياة وذوي الشعور من مخلوقاته ليتكلم بعضهم مع بعض وينطقوا بالوف الانماط من الكلام والنطق وان يسمع اصواتهم ويعرفها ويستجيب لهم استجابة ظاهرة بافعاله وإنعامه ثم لايتكلم هو نفسه ويعجز عن الكلام؟ فهل هناك احتمال لهذا؟ وحيث انه يتكلم بالبداهة وان الانسان في مقدمة المخاطبين المدركين لكلامه، فلاشك ان القرآن الكريم اولاً وجميع الكتب المقدسة كلامه.

أوَ من الممكن ان يسخر الصانع الحكيم هذا الكون العظيم بانواعه واركانه لذوي الحياة حتى جعله مسكناً لهم ومعرضاً لهم ومضيفاً لهم فكثّر من انوعِ ذوي الحياة التي تعدّ بالالوف تكثيراً غزيراً حتى جعل كل ورقة من اوراق نبات الحور، والنبق، ثكنة لنوع من الحشرات ـ الكائنات الذاكرة الطائرة في الهواء ـ ومهداً ورحماً لنموها كرحم الام ومخزناً لارزاقها.. يسخره تعريفاً بنفسه وتحبيباً لهاودفع مخلوقاته الى حمده والثناء عليه وبث الرضي والسرور في ذوي الحياة منها بأنواع احساناته وجعل رضاهم وامتنانهم محوراً مهماً لربوبيته.. فهل يمكن ان يترك هذا الصانع الحكيم السموات المزينة والنجوم المتلألئة المنثورة بلا مولى ولاروح ولاسكنة خالية خاوية على عروشها ودون فائدة ولاجدوى، اي دون ملائكة وروحانيات؟ حاش لله وكلا بعدد الملائكة والروحانيات.

أوَ من الممكن ان الصانع الحكيم المدبّر الذي يكتب بقلم قدره مقدرات حياة أصغر نبات واصغر شجرة بكمال الانتظام في نواته وثمرته، ويكتب مقدمات الربيع العظيم ونتائجه ككتابة شجرة واحدة بكمال الامتياز والانتظام، وانه يهتم حتى بما لا

أهمية له من الامور.. فهل يمكن لهذا الصانع الجليل الاّ يكتب الافعال المهمة جداً للانسان والاّ يسجل حركاته وسكناته ولايدخلها ضمن دائرة قدره ولايبالي به وهو الذي جعله نتيجة الكون وخليفة الارض وناظراً على انواع مخلوقاته ومشرفاً عليها؟ حاش لله وكلا بعدد اعمال الانسان التي توزن بالميزان..

حاصل الكلام:

ان الكون بجميع حقائقه ينادي ويقول:

آمنت بالله وملائكته وكتبه ورُسُله وبالقَدَرِ خَيرِه وشرّه من الله تعالى والبعثُ بعد الموتِ حقٌ أشهدُ أن لا اله الاّ الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واخوانه وسلّم آمين.

مناجاة توحيدية ومقدمتها

... لمناسبة تكرار اسم «سراج النور» في هذه الرسالة نوسع في ختامها مناجاة الامام علي رضي الله عنه ـ بدرجتين ـ جاعلين لساننا ينطق في سبيل لسانه الرفيع فنقدم هذه المناجاة الآتية الى ديوان الواحد الأحد جل وعلا.

مناجاة

اللّهم إنه ليسَ في السّموات دوراتٌ ونجومٌ ومُحرّكاتٌ سيّاراتٌ، ولا في الجوّ سحاباتٌ وبروقٌ مسبِّحاتٌ ورَعَداتٌ، ولا في الارض غمَراتٌ وحيواناتٌ وعجائبُ مصنوعاتٍ، ولا في الجبالِ حجَراتٌ ونباتاتٌ ومدخرات معدنياتٍ، ولا في الاشجار ورقاتٌ وزهرات مزيناتٌ وثمراتٌ، ولا في الاجسامِ حَركاتٌ وآلاتٌ ومنظّماتُ جهازاتٍ، ولا في القلوبِ خَطراتٌ والهاماتٌ ومنوّراتُ إعتقاداتٍ.. الاّ وهي كلُّها على وجوب وجودكَ شاهداتٌ وعلى وَحدانيتك دآلاتٌ وفي مُلكك مُسخراتٌ فبالقدرة التي سخّرتَ بها الارضين والسموات سخّر لي نفسي وسخّر مَطلوبي وسخّر لرسائل النورِ ولخدمة القرآن والايمان قُلوبَ عبادكَ وقلوبَ المخلوقاتِ الرّوحانيات من العُلويات والسُفليات يا سميع يا قريب يا مجيبَ الدعوات..

والحمد لله ربّ العالمين

﴿ سُبحانك لاعلمَ لنا الاّ ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم ﴾

الشعاع الثالث

المقدمة

انّ هذه الحجّة الإيمانية الثامنة[1]؛ اذ تَشهدُ على وُجوبِ وجُودِهِ سُبحانه، وعلى وَحدانيته، فهي تَشهدُ على إحاطةِ ربوبيته، وعظمَةِ قُدرَته بدلائل قاطعة، وتثبتُ أيضاً إحَاطة حاكميته، وتدلُ على شُمُولِ رحْمته، كما تثبتُ إحاطة حِكمَته، وشُمول علمه جميع أجزاءِ الكون.

والخلاصة: إنَّ لكُلّ مقدمةٍ من هذهِ الحُجَّةِ الإيمانية الثامنة ثماني نتائج، وهي تُثبتُ في كُلّ مُقدّمةٍ من المقدّماتِ الثمانية، النتائج الثمانية بدلائلها؛ لذا أصبحت لهذه الحُجّةِ الإيمانية الثامنة مزايا راقية وخصائص سامية.

« ان رسالة « المناجاة » تثبت وجوب الوجود، والوحدة والأحديّة، وجلال الربوبية، وعظمة القُدرة، وسعَة الرَّحمة، وعموميَّةَ الحاكميَّة، وإحاطة العلم، وشُمُول الحكمة.. وأمثالها من الأُسُسِ الإيمانية، تُثبتُها باسلوب مُوجز خارقٍ وبقطعيَّةٍ فوق العادة وبخالصيةٍ ويقينيّةٍ.. وإنَّ إشَاراتِها الى الحشر قويّةٌ جداً وبخاصَّة التي في ختامها ».

سعيد النورسي

---

(١) حيث ان هذه الرسالة هي الحجة الثامنة من مجموعة « عصا موسى ». - المترجم

المناجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّ في خَلْقِ السّمٰوات وَالأرْضِ وَاخْتِلاف الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتي تَجْرِي فِي البَحْرِ بما يَنْفَعُ النّاسَ وَمَا أنْزَلَ اللهُ مِنَ السّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَبَثّ فِيهَا مِنْ كُلّ دَابّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السّمَاءِ وَالأرضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ ﴾(البقرة: ١٦٤)

هذه الرسالة «المناجاة» التي هي الشعاع الثالث نوعٌ من تفسير للآية الكريمة المذكورة أعلاه.

يا إلهي ويا ربّي!

إنّي أرَى ببصيرة الإيمان وبتعليم القرآن ونوره وبدرس الرَّسُول الأكرم ﷺ وبما يريه إسم الله «الحكيم» أنه:

ليس في السَموات من دورانٍ وحركةٍ إلاّ ويُشير الى وجودك ويدلُ عليه؛ بانتظامه البديع هذا..

وما من جرم من الأجرام السَّماوية إلاّ ويشهد شهادة على ربوبيّتكَ واشارة الى وحدتكَ ؛ بسكونها في أداءِ وظيفتها بلا ضوضاءٍ وبقائها بلا عمدٍ..

وما من نجم إلاّ ويشهد على عظمة اُلوهيّتكَ ويشير الى وحدانيّتكَ؛ بخلقته الموزونة وبوضعه المُنتظم وبتبسّمه النُّورانيّ وبمُمَاثلته ومشابهته للنجُوم كافة..

وما من كوكبٍ سيَّار من الكواكب الإثنى عشر إلاّ ويشهد على وُجُوبِ وُجُودكَ ويُشيرُ الى سلطنة اُلوهيتك؛ بحركته الحكيمة وتذلله المُطيع ووظيفته المُنتظمة وتوابعه المُهمة .

نعم، مثلما تشهد السّموات مع ساكنيها، وكلُّ سماءٍ بحدّ ذاتها، فإنَّ جَميعها معاً تشهد بالبداهة شهادةً ظاهرةً جليّةً على وُجُوبِ وُجودك يا خالق السّموات والأرض وتشهَدُ شهادةً قويّةً صادقةً على وحدتك وفرديّتكَ يامن تدير وتدبر الذرات بمركباتها المُنظمة ويا من تُجري الكواكب السيارة مع توابعها المنظمة وتسخّرُها لطاعتك.. شهادة ظاهرةٌ قويةً تُصدّقها براهين نورانيَّة، ودلائل باهرة، عدد النجوم التي في وجه السماء..

فهذه السّموات الصّافية الطاهرة الجميلة تدل دلالة ظاهرة على هيبة ربوبيّتكَ وعظمة قدرتك المُبدعة.. وتُشيرُ إشارةً قويَّةً الى سعة حاكميَّتكَ المحيطة بالسَّموات الشاسعة، والى رحمتك الواسعة المحتضنة لكلِّ ذي حياةٍ.. وتشهدُ ـ بلا ريب ـ على شُمُولِ حكمتك لكلِّ فعلٍ وعلى إحاطة علمك بكُلِّ شئ، المنظمان في قبضتهما جميع شؤون وكيفيات جميع المخلوقات السّماوية؛ بأجرامها التي هي في غاية الضخامة وفي غاية السُرعة، وبإظهارها اوضاع جيش مُنظّمٍ ومهرجانٍ مهيبٍ مُزّين بمصابيح وضّاءة.. فتلكما الشّهادة والدلالة ظاهرتان جليتان كأن النُجوم كلمات شهادة للسّمواتٌ الشّاهدة ودلائلها المتجسّمة النُّورانية.. اما النُجوم السابحة في بحر السَّمواتِ وفي فضائها، فانها تُظهر شعشعة سلطان ألوهيَّتك؛ بأوضاعها المُماثلة لجنود منصاعين وسفن منتظمةٍ وطائراتٍ خارقةٍ ومصابيح عجيبة. ورفيقات شمسنا التى هى نجمة من ذلك الجيش ترنو الى عوالم الآخرة، وليست مُعطلة، بدلالة وظائف الشمس في سياراتها وفي أرضنا، ولربما هي شموس عوالم باقية.

يَا واجب الوُجُود! يَا واحدُ، يَا أحدُ!

إنَّ هذه النُجُوم الخارقة وهذه الشمُوس الضَّخمة والأقمار العجيبَة.. قد سُخّرَت ونُظّمت ووُظّفت في مُلككَ أنتَ، وفي سمواتكَ أنت، بأمركَ أنت، وبقُوّتكَ وبقُدرتكَ أنتَ، وبإدارتكَ وتدبيركَ أنت.. فجميعُ تلك الأجرام العُلويّة تسبّحُ وتُكبّرُ للخالقِ الواحد الذي خلقها، ويجريها، ويديرها، وتقول بلسَان الحال: سُبحَان الله.. الله اكبر.. وأنا معها أُقدّسُك بجَميع تَسبيحاتها.

يَامن اختفى بشدَّة الظُهُور! يَامن احتجبَ بعَظمة الكبرياء!

يَا قديرُ ياذا الجلال! يَا قادر القُدرة المُطلقة!

لقد أدركتُ بدَرس قُرآنك الحكيم وبتعليم الرَّسول الأكرم ﷺ أنه:

مثلما تَشهدُ السَّموات والنجوم على وجُودكَ وعلى وحدَتكَ، يَشهدُ جَو السَّماءُ كذلك على وجوب وُجُودك ووحدتك بسحابه وبروقه ورعوده ورياحه وأمطاره.

نعم، إن إرسال السَّحاب الجامد بلاشعور، المطَر الباعث للحياة، إغاثةً للمضطرّين من الأحياء، ليس إلاَّ برحمتك وحكمتك أنت، فلادخل فيه للمصادفة العشواء قط.

وكذا البرقُ الذي هوطاقة كهربائية عظمى، يشوّقُ بسَنَاه الى فوائده النورانية، وينوِّر قدرتك الفاعلة في الفضاء على افضل وجه.

وكذا الرعد المبشر بقُدوم المطر، والذي يُنطق الفضاء الواسع بتسبيحاته، فيُدوي أرجاء السّموات، يُسبّحُك ويقدّسُكَ ويشهد بلسَان المقال على رُبوبيَتكَ.

وكذا الرّياح المسَخَّرة بوظائف عدّة: كحمل أكثر الأرزاق ضرورة لمعيشة الأحياء وأسهَلها تناولاً وفائدة، ومنح الأنفاس وترويح الأنفس وغيرها كثير، تُشير الى فعالية قدرتك أنت، وتشهد شهادة على وُجُودكَ؛ بتبديلها الجو ـ لحكمة ـ كأنه «لوح المحو والإثبات» فتكتب مايفيد وتمحو ما أفاد. كما انَّ «الرحمة» المستدرة برحمتك من السَّحاب والمرسلة الى الأحياء تشهد هي أيضا على سعة رحمتك، ووُسعة رأفتك؛ بكلمات قطراتها العذبة اللطيفة الموزونة المنتظمة.

يَا مصرّف يَا فعَّال! يَا فيَّاضُ يَا مُتعَال!.

مثلما شهد السَّحَابُ والبرقُ والرَّعدُ والرّيحُ والمطر ـ كلٌّ على حدة ـ على وُجُوب وُجُودكَ، فإنَّ جميعها معاً تُشير إشَارة قويَّة جداً الى وحدتك، والى فرديَّتكَ؛ بخاصية الإتّفاق والمعيَّة والتداخُل وشَدّ بعضها أزر البعض، رغم البُعد في النوعيَّة والإختلاف في الماهيَّة..

ومثلما تشهد تلك العناصر الجوية على جلال رُبوبيتك الجاعلة من الفضاء الفسيح محشراً للعجائب؛ بملئه وإفراغه مرَّات عدَّة وربّما في اليوم الواحد، فإنَّها تشهد على

عظمة قدرتك المصرّفة وشمولها كلَّ شئ، والتي تكتب ذلك الجوُّ الواسع وتبدله كأنهُ «لوحة كتابة» وتعصر المعصرات لتسقي روضة الأرض ماءً غدقاً.. فضلاً عن دلالتها على السعة المطلقة لرحمتك ولحاكميّتكَ ونفوذهما في كُلِّ شئ، وتدويرهما كرة الارض كافة والمخلوقات كافة تحت غطاء الجو.

وكذا الهواء المنبث في الفضاء يستخدم في وظائف عدّة إستخداماً حكيماً.. والغيوم والأمطار تستعملان في فوائد جمّة إستعمالاً عليماً.. بحيث لولا علم محيط بكلِّ شئ وحكمة شاملة كُلَّ شئ، لما أمكن أن يكون ذلك الإستعمال ولا ذلك الإستخدام.

يَا فعَّالٌ لما يُريدُ!

إنَّ إظهار نموذج الحشر والقيامة كُلَّ وقت بفعاليَّتكَ في جوِّ الفضاء، وتبديل الصيف الى شتاء والشتاء الى صيف خلال ساعة، وإتيان عالم وارسال آخر الى الغيب وأمثالها من شؤون قُدرتك المتجلّية.. تشير الى تبديلها الدنيا الى آخرة، وستظهر شؤوناً سرمديَّة في الآخرة.

يَا قدير يَاذا الجلال!

إنَّ الهواء والريح والسحاب والمطر والبرق والرَّعد في جوِّ السَّماء لمسخَّرة كلها وموظّفة في ملكك أنت، وبأمرك وحولك أنت، وبقوّتكَ وقدرتك أنت.. فمخلوقاتُ هذا الفضاء رغم البعد في ماهيَّاتها تُسبّحُ بحمد آمرها وتُثني على حاكمها الذي يُخضعها لأوامر آنيَّة - في منتهى السُّرعة - ولآمرين مُسرعين فوريين.

يَا خالق الأرض والسَّموات! ياذا الجَلال!

لقد آمنت وعلمتُ بتعليم قرآنك الحكيم وبدرس الرَّسُولِ الأكرم ﷺ أنه:

مثلما السَّمواتُ بنجومها، وَجوُّ الفضاء بما فيه، تشهد على وُجُوبِ وُجُودكَ ووحدانيَّتك.. كذلك الأرض بجميع مخلوقاتها، وبأحوالها، تَشهد شَهادات وتشير إشارات، عدد موجوداتها، على وُجُودِكَ وعلى وحدتك.

نعم، فما من تحوّل في الأرض، ولامن تبدُل فيها ـ كتبديل الأشجار والحيوانات ملابسها سنوياً ـ كلّياً كان أم جزئياً، إلاّ ويشير بانتظامه وتناسُقه، الى وُجُودِكَ ووَحدَتكَ.

ومامن حيوان إلاّ ويشهد شهادة على وُجُودكَ ووَحدَتك؛ بالرّزق الذي يساقُ إليه برحمة، وبأجهزته الضرورية لحياته والمودعة فيه بحكمة، كلٌّ حسب ضعفه وإحتياجه.

ومامن نبات أو حيوان يتم إيجاده أمام ناظرينا في كُلِّ ربيع، إلاّ ويعرّفك؛ بصنعته العجيبة وبزينته اللطيفة وبتميزه التام وبانتظامه وبموزونيته.. فخلق مايملأ وجه الأرض من معجزات قدرتك المسماة بالنباتات والحيوانات، من بيوض وبويضات وقطرات ونُطف وحبوب وحبيبات، رغم أن مادتها محدودة وواحدة ومتشابهة، خلقاً كاملاً سوياً ومزيناً بزينة، ومتميزاً بعلامات فارقة.. شهادة أقوى من شهادة الضياء على الشّمسِ واسطع منها على وُجُود صانعها الحكيم، وعلى وحدته وحكمته وقدرته المطلقة.

ومامن عنصر كالهواء والماء والنُور والنار والتُراب إلاّ ويملك شَهادة على وحدتكَ وعلى وجودِك؛ بأدائها لوظائف مكملة بشعور بالغ، رغم خلوّها من الشعور، وبجلبها لأثمار ومحاصيل متنوعة في غاية الإنتظام من خزينة الغيب، رغم بساطتها وتجاوز بعضها للبعض الآخر وعدم إنتظامها وتشتُّتِها في كُلِّ مكان.

يَا فاطرُ يَا قديرُ! يا فتاح يَا علاّم! يا فعّالُ يا خلاّقُ!..

كما أنَّ الأرض تشهد بجميع ساكنيها على كون خالقها واجباً للوجود، فهي تشهد كذلك على وحدتك وعلى احديتك، يَا واحدُ يَا أحدُ يَا حنَانُ يَا منَانُ يَا وهابُ يَا رزّاقُ! بسكتها التي على وجهها، وبالسكك التي على وُجُوه ساكنيها، وبجهة الوحدة والإتفاق والتداخل والتعاون فيما بينها، ووحدة اسماء الربوبية وافعالها الناظرة اليها جميعاً.. فتشهد شهادات ـ بدرجة البداهة بل بعدد الموجودات ـ على وَحدَتكَ وعلى أحديّتكَ.

وكذا فكما تدل الأرض؛ بوضعها المشابه لمعسكر ومعرض وميدان تدريب، وبمنح أجهزة مختلفة متنوّعة بانتظام الى أربعمائة ألف من الأمم المختلفة التي تضمها فرقة النباتات والحيوانات، على جلال ربوبيتك، وعلى نفاذ قدرتك في كُلِّ شيء.. كذلك الأرزاق المتنوّعة لأحياء غير محدودة والنّاشئة من تراب يابس بسيط، وإرسالها بكلِّ كرم ورحمة الى كلِّ حيٍّ فرداً فرداً في أوانها وانقياد تلك الأفراد غير المحدودة وإطاعتها إطاعة تامة للأوامر الربانية ودينونتها التامة لها، تظهر شمول رحمتك كلّ شيء وإحاطة حاكميتك بكلّ شيء.

وكذا فإنَّ إدارة قوافل المخلوقات المعرضة دوماً للتغير والتبدل في الأرض، وسوقها ومناوبتها بالموت والحياة.. وإدارة وتدبير الحيوانات والنباتات التى لا يمكن أن تتم إلاّ بعلم يتعلّق بكلّ شيء، وبحكمة غير متناهية تتحكم في كُلّ شيء.. تدلُ على إحاطة علمك وحكمتك..

وكذا فإنَّ هذه الأهمية العظمى، وهذا البذل والصرف غير المحدود، وهذه التجلّيات الربانية المطلقة، وهذه الخطابات السُبحانية غير المحدودة، وهذه الإحسانات الإلهية غير المتناهية لهذا الإنسان الذي يتصرف في موجُودات الأرض وهو المكلف بوظائف غير محدودة في فترة قصيرة والمزود باستعدادات وأجهزة معنوية تهيؤه لمعيشة مديدة في زمن غير محدود.. لامحالة أنها لاتنحصر في مدرسة الدنيا هذه، وفي ثكنة الأرض المؤقتة هذه، وفي معرض العالم المؤقت هذا، ولاتنحصر في هذا العمر القصير الحزين المكدر، ولا في هذه الحياة العكرة المنغّصة، ولافي هذا العالم الفاني المليء بالبلايا والنوائب. بل كل ذلك يشير بلا شك الى عمر آخر أبدي وسعادة باقية خالدة ويشير الى إحسانات أُخروية في عالم البقاء، بل يشهَد عليها .

فيَا خالق كلّ شيء!

إنَّ جميع مخلوقات الأرض تدار مسخّرة في ملكك أنت، وفي أرضك أنت وبحولك وقوتك أنت، وبقدرتك وارادتك أنت، وبعلمك وحكمتك أنت.

وإن ربوبية تشاهد فعاليتها على وجه الارض لتبدي إحاطة وشمولاً، لإنَّ إدارتها وتدبيرها وتربيتها هي من الحساسيّة في غاية الكمال.. وإن إجراءاتها المنتشرة في كل

جهة هي في وحدة ومعية ومشابهة.. بحيث تُعلم انها ربوبيةٌ وتصرفٌ كليٌّ لاتقبل تجزئة قط. وهي في حكم كلي لايمكن انقسامه قط. فتسبّح الأرض بجميع ساكنيها وتقدس خالقها بألسنة غير محدودة فصيحة أبينَ من لسان المقال، فتحمد رزاقها الجليل وتثني عليه بألسنة أحوال بعدد نعمه التي لا تعد ولا تُحصى.

سُبحَانَكَ يَا مَن اخْتفى بِشدة الظّهور.. سُبحانكَ يامن احتجب بعظمة الكبرياء..

إني اقدّسُكَ وأُسبّحُكَ بجميع تقديسات الأرض وتسبيحاتها من القصور والعجز والشريك، وإني أحمدك وأُثني عليك بجميع تحميدات الأرض واثنيتها.

يَا رَبَّ البَرِ والبحر..!

لقد تعلمت بدرس القرآن وبتعليم الرَسُولِ الأكرم ﷺ أنه:

مثلما السَّمواتُ والفضاء والأرض تشهد على وحدانيتك وعلى وجودك، فالبحار والأنهار والجداول والعيون أيضاً تشهد شهادة ـ بدرجة البداهة ـ على وُجُوب وُجُودِك وعلى وحدتك.

نعم، فما من موجود، بل مامن قطرة ماء في بحار دنيانا هذه وهي منبع العجائب ـ كأنها مراجل بخار ـ إلاّ وتُعرّف خالقها؛ بوجودها وبانتظامها وبمنافعها وبحالها.

وما من مخلوق من المخلوقات الغريبة التي ترسل اليها أرزاقها إرسالاً كاملاً في رملٍ بسيطٍ وماءٍ بسيطٍ.. ولاحيوان من الحيوانات البحرية التي هي في غاية كمال الخلقة وبخاصة الأسماك التي تجمل البحار بما تقذف إحداها مليوناً من البويضات.. إلاّ ويشير الى خالقه، ويشهد على رزاقه؛ بخلقته وبوظائفه وبإدارته وباعاشته وبتدبير أموره وبتربيته.

وكذا ليس في البحر من جوهرة من تلك الجواهر القيّمة واللآلئ المزينة الثمينة ذات الخواص النفيسة لاتعرفك ولاتُعرّفك؛ بخلقتها الجميلة وبفطرتها الجذابة وبخاصيتها النافعة.

نعم، فكما تشهد كُلُّ جوهرة فردة، فإنَّ تلك الجواهر بمجموعها معاً تشهد بوحدتك كذلك؛ بما فيها من الإتفاق والتداخل والإختلاط ووحدة سكة الخلقة وغاية السُهولة في الأيجاد وغاية الكثرة في الأفراد..

وإنَّ جعل البحار المحيطة بالأرض معلقة في السماء مع برّها الشاسع، وهي سابحة حول الشمس دون أن تنسكب إنسكاباً، ودون أن تتشتت فائضة، ودون أن تستولي على اليابسة.. وخلق حيواناتها المنتظمة المتنوعة وجواهرها من رملها البسيط ومائها البسيط.. وإدارة أرزاق تلك المخلوقات وسائر أمورها إدارة كلية تامة.. والقيام بتدبيرها وتطهير سطحها من جنائز غير محدودة لابد منها.. تشهد بإشارات بعدد موجوداتها على انك موجود وواجب الوجود..

وكما أنها تدلُ دلالة ظاهرة جلية على جلال سلطنة ربوبيتك، وعلى عظمة قدرتك المحيطة بكلّ شئ، فهي تدلُ كذلك على السّعة المطلقة لرحمتك ولحاكميتك اللّتين تهيمنان على كُلِ شئ، وتسعفان كل شئ، إبتداءً من النجوم الضخمة والمنتظمة في أعالي السّموات الى الأسماك الصّغيرة المنتظمة الإعاشة في أعماق البحّار، وتشير الى علمك المحيط بكلّ شئ والى حكمتك الشاملة لكل شئ؛ بانتظامها وبفوائدها وبحِكمها وبميزانها وبموزونيتها.

وإنَّ إيجاد حياض رحمة كهذه للإنسان القادم ضيفاً الى مضيف الدُنيا هذه، وتسخيرها لسيره وسياحته ولسفينته ولمنافعه.. يشير الى أن الذي يُكرم ضيوفه في ليلة واحدةٍ، في دارِ إستراحةٍ شيدها لهم على طريق سفرهم، بهذا الكَرَم العظيم من هدايا البحار وعطاياها.. لابدَ أنه قد أحضر في مقر سلطنته الأبدية بحار رحمة أبدية واسعة بحيث أن المشهودة منها هنا ليست إلاّ نماذج فانية وصغيرة أمام تلك الأبدية..

وهكذا فإن وجُود البحار بهذا الطّراز الخارق وبوضعها العجيب في أَطراف الأرض وإدارة مخلوقاتها والقيام بتربيتها في غاية الإنتظَام، يُظهر بداهة أن جميعها مسخرة في ملكك أنت، وبأمرك وبقوتك وبقدرتك وبأدارتك وبتدبيرك وحدك، فهي تقدّس خالقها بألسنة حالها هاتفة:

اللهُ أكبر!!

يَا قَادر ياذا الجَلال!

يَامن جعل الجبال أوتاداً ذات خزائن لسفينة الأرض!

لقد علمت بتعليم الرَسُولِ الأكرَم ﷺ وبدرس قرآنك الحكيم أنه:

مثلما البحارُ تعرفك وتُعرّفك بعجائبها وغرائبها، كذلك الجبال تعرفك وتعرّفك؛ بخدماتها وبحكمها؛ بتأمين سكون الأرض من تأثير الزلازل ودمارها، وبتهدئة الأرض من غوائل الإنقلابات الجارية في جوفها، وبإنقاذ الأرض من فيضان البحار وطغيان عوارمها، وبتصفية الهواء من الغازات المضرة، وبمحافظتها المياه وضمان إدّخارها، وبخزنها المعادن المستلزمة لحاجات الأحياء.

نعم، فما من نوع من أنواع الصُّخُورِ التي في الجبال، ولا قسم من اقسام المواد التي هي علاجات لمختلف الأمراض والعاهات، ولاجنس من أجناس المعادن المتنوّعة جداً والتي تلزم الأحياء ولاسيما الإنسان، ولاصنف من أصناف النباتات المزينة بأزهارها الجبال وبأثمارها القفار.. إلاّ وتشهد بداهة على وُجُوبِ وجود صانع ذي قدرة غير متناهية، وحكمة غير متناهية ورحمة غير متناهية وكرم غير متناه؛ بما فيها من الحكم والإنتظام وحُسن الخلقة والفوائد، مما لايمكن نسبتها الى المصادفة.. وبما فيها من الإختلاف الشديد في المذاقات، رغم التشابه الظاهري - وبخاصة في المعدنيات كالملح وملح الليمون والسلفات والشب - ولاسيما النباتات، بأنواعها المتباينة العديدة الناشئة من تراب بسيط وبأزهارها وأثمارها المتنوّعة. فضلاً عن أنها تشهد على وحدة الصانع وعلى أحديته؛ بما في هيئتها العامة من وحدة الإدارة ووحدة التدبير ووحدة المنشأ والمسكن والخلق، والتساوي في الإتقان، مع الرخص واليسر والوفرة والسرعة في الخلقة.

وكذا فإنّ خلق كُلِّ نوع من أنواع المصنوعات الموجودة على سطح الجبال وفي جوفها، المنتشرة في كُلِّ جهة من جهات الأرض، وإيجادها في آن واحد وبنمط واحد بلا خطأ وبلا اختلاط، رغم التداخل ضمن سائر الانواع، في غاية الكمال والسُرعة ومن دون أن يُشغلك فعلٌ عن فعلٍ.. يدلُّ على هيبة ربوبيتك وعلى عظمة قدرتك التي لا يعجزها شئ.

وكذا فان ملء سطوح الجبال بالأشجار والنباتات وبطونها بالمعادن المنتظمة وتسخيرها تلبية لحاجات الأحياء كافة، تسخيراً يضمن حتى أمراضها المتنوّعة، بل أذواقها المختلفة، ويشبع شهياتها المتباينة.. يدلُّ على السعة المُطلقة لرحمتك وعلى الوسعة غير المُتناهية لحاكميتك.

وكذا إحضار كل ما هوَ خَفيٌّ ومُختلط، وفي ظلمة طبقات التراب، إحضاراً مُنتظماً بعلم وببصيرة ودون حيرة وحسب الحاجة.. يدلُّ على إحاطة علمك المُتعلّق بكلِ شيء، وعلى حكمتك المُنتظمة لكلّ شيء، وشمولها جميع الأشياء.

وكذا إحضار الأدوية وادّخار المواد المعدنية يشير بوضُوح ويدلُّ بجلاء على محاسن تدابير ربوبيتك الرحيمة والكريمة وعلى لطائف مُدخرات عنايتك.

وكذا جعل الجبال الشّوامخ مخازن إحتياطية مُنتظمة ومُستودعات مُكملة لكنوز ضرورية لحياة الضيوف القادمين الى مضيف الأرض ولسدِ حاجاتهم في المُستقبل.. يشير ويدل بل ويشهد على أنَّ صانعاً له هذا الكرم الواسع ومكرماً وحكيماً رؤوفاً، وقديراً ومربياً.. لأبُدَّ له خزائن أبدية لآلائه الأبدية في عالم أبدي لأولئك المُسافرين الضُيوف المحبوبين عنده.. فتقوم النجوم هناك بمهمة ما تقوم الجبال بها هاهنا.

يَا قَادِرُ على كلِّ شيء!

إنَّ الجبال وما فيهَا من المخلوقات .. مسخّرات ومُدخرات في ملكك أنت، وبقوتك وقدرتك أنت وبعلمك وحكمتك أنت. إنها تسبّحُ وتقدّس لفاطِ ها الذي وظفها وسخَّرها على هذه الصورة.

يا خالقُ ويا رحمنُ!

ويَا ربُّ ويا رحيمُ!

لقد علمت بتعليم الرّسُول الأكرم ﷺ وبدرس القُرآن الحكيم أنه:

مثلما السّماء والفضاء والأرض والبحر والجبل تعرفك وتُعرّفك بما فيها وبمخلوقاتها، كذلك جميعُ الأشجار والنباتات في الأرض تعرفك وتعرِّفك ـ بدرجة البداهة ـ

بأوراقها وأزهارها وأثمارها.. فكلُّ ورقة من أوراق الأشجار والنباتات المُهتزّة بجذبات الذّكر وشوقه.. وكلُّ زهرة من الأزهار الواصفة والمُعَرِّفة بزينتها لأسماء صانعها.. وكلُّ ثمرة من الأثمار المُتبسمة من لطافتها بتجلي الرَّحمة فيها.. تشهد كلُها؛ بالنظام الذي في صنعتها الخارقة، وبالميزان الذي في النظام، وبالزّينة التي في الميزان، وبالنقوش الموجودة في الزينة، وبالعبق الطيب المتنوع المَمزوج بالنقوش، وبالطعوم المُختلفة في العبق الفوّاح للأثمار.. شهادة بدرجة البداهة لايمكن نسبتها الى المُصادفة على وُجوبِ وجودِ صانع لانهاية لرحمته ولانهاية لكرمه.

فكما أنَّ الأمر هكذا في كلّ فرد، فكلُّ الأشجار والنباتات معاً تشهد كذلك بالبداهة على وحدة ذلك الصَّانع الواجب وجوده وعلى أحديته؛ بوحدتها وإتفاقها ومعيتها على سطح الأرض كافة وبتشابهها على سكة الخلقة وبارتباطها في التدبير والادارة وبتوافقها فيما يتعلق بها من أفعال الإيجاد والأسماء الربانية وبادارة الأفراد غير المَحدودة لمائة ألف نوع مع تداخلها إدارةً مباشرة دون حيرة ولاخطأ.

وكذا مثلما يشهد أولئك على وجوب وجودِكَ وعلى وحدتكَ، فإن إعاشة وإدارة أفراد غير محدودة لجحفل الأحياء من الجيش الهائل المتشكل من أربعمائة ألف من الأمم على وجه الأرض إدارة بكمال الإتقان وبمئات الآلاف من أنماط الأعاشة والادارة التي تتم بكمال الإنتظام دون سهو ولاخلط.. تدلُ على جلال ربوبيتك وهيبتها في وحدانيتك، وعلى عظمة قدرتك التي تخلق الربيع بيُسر إيجاد زهرة وتعلقها بكلّ شئ، وتدلّ قطعاً على سعة رحمتك المُطلقة التي تهئ أقسام الأطعمة المُتنوعة المُختلفة وغير المحدودة وتحضرها لحيوانات غير محدودة وللإنسان في كلِ جهةٍ من جهات هذه الأرض الضخمة.

وان جريان تلك الامور والإنعامات وأشكال الإدارة وأنواع الإعاشة والإجراءات غير المحدودة، بكمال الإنتظام، وإنقياد كلّ شئ وخضوعه حتى الذرات لتلك الأوامر والإجراءات.. تدلُ دلالة قاطعة على السعة المطلقة لحاكميتك.

وإن عمل كلّ شئ لكلّ ورقة وزهرة وثمرة، ولكل جذر وغصن وفرع، من تلك الأشجار والنباتات، عملا بعلم وبصيرة وفق ماتقتضيه الفوائد والمصالح والحِكَم..

يدلُّ على إحاطة علمك بكلّ شئ، وشمول حكمتك لكل شئ، دلالة ظاهرة جلية وتشير إليهما بأصابعها التى لاتحد. وإنها تحمد وتثني بألسنتها غير المحدودة على جمال صنعتك وهي في منتهى الكمال، وعلى كمال نعمتك وهي في منتهى الجمال.

وكذا فان هذه الإحسانات الثمينة والنّعم القيّمَة العميمة، وهذه المصارف والإكرامات التى تفوق الحد، تصلنا بأيادي الأشجار والنباتات في هذه الدّار المُؤقتة والمضيف الفاني، وفي زمن قصير وعمر قليل، تشير بل تشهد على أن الرّحيم ذا القدرة والكرم الذي ساق هنا لضيوفه كلّ هذه الرَحمة.. لابُد انه قد أعد أشجاراً مثمرة ونباتات مزهرة خالدة بما يليق بالجنة الخالدة في عالم خالد في مملكة خالدة لعباده الذين سيخلدهم أبد الآبدين.. لكي يحول دون انقلاب نتائج مصاريفه وآلائه التي صرفها للتودد والتَعرُف الى ضدّها - أي لئلا تقول جميعُ الخلائق: لقد أذاقنا تلك النعم وأعدمنا قبل ان نتناولها - ولكي يحول دون إسقاط هيبة ألوهيته، ودون إنكار سعة رحمته، ودون تحوُّل جميع أحبته المُشتاقين إليه أعَداءً بحرمانهم.. أجل لقد أَحضرها من خزائن الرحمة الخالدة وفي جناته الخالدة. وما التي ها هنا إلاّ نماذج عرض للزبائن فحسب.

وكما أن الأشجار والنباتات كافة تقدّسُك وتسبحك وتحمدك بكلمات أوراقها وأزهارها وأثمارها، كذلك كلُ كلمة من تلك الكلمات بحدّ ذاتها تقدّسُك أيضاً، وبخاصة خلق الأثمار خلقاً بديعاً ولبابها المتنوّعة، وصنعتها العجيبة وبذورها الخارقة، وإيداع صحاف الطعام تلك الى أيدي الأشجار ووضعها على رؤوس النباتات وارسالها هكذا الى ضيوفه الأحياء مما يجعل تسبيحات ألسنة حالاتها ظاهرة وجلية تبلغ درجة لسان المقال..

فجميع اولئك مسخرات في ملكك أنت، وبقوتك وقدرتك أنت، وبإرادتك وإحساناتك أنت، وبرحمتك وحكمتك أنت، وإنها منقادة مطيعة لكل أمر صادر منك.

فيامن اختفى بشدة الظهور! ويامن احتجب بعظمة الكبرياء! ياصانعُ، يَاحكِيمُ! يَاخَالِقُ يَارحِيمُ!

إني أحمدك وأثني عليك مُقدّساً إياك من القصور والعجز والشريك، بألسنة جَميع الأشجار والنباتات وجميع الأَوراق والأزهار والأثمار وبعددها.

يَا فَاطِرُ يَا قَادِرُ!

يَا مُدبِّرُ يَا حَكِيمُ!

يَا مُرَبِّي يَا رَحِيمُ!

لقد علمت بتعليم الرَسُولِ الأكرَم ﷺ وبدرس القُرآن الحكيم وآمنت بأنه:

كما أن النباتات والأشجار تعرفك وتُعلم صفاتك القدسية وأسماءك الحسنى، فليس في الأحياء المالكة للرُوح كالإنسان والحيوانات من فرد لايشهد على وُجوبِ وُجُودِك، وعلى تحقق صفاتك؛ باعضاء جسمه الداخلية منها والخارجية، العاملة والمساقة الى العمل – كالساعَات المنتظمة – وبآلاته وحواسه الموضوعة في بدنه بنظام في منتهى الدّقة وبميزان في مُنتهى الحَساسية وبفوائد ذات أهمية، وبأجهزته البدنية المخلوقة في غاية الإتقان، والمفروشة في غاية الحكمة والموضوعة في غاية الموازنة.. لان هذه الصنعة الدّقيقة ببصيرة، والحكمة اللطيفة بشعور، والموازنة التامّة بتدبير لايمكن أن تتدخل فيها القوة العَمياء ولا الطبيعة الصماء ولا المُصادفة العشواء، فلايمكن أن تكون هذه الأمور من أعمالها.. أما تشكلها بنفسها فهو محال في مائة محال؛ لانه ينبغي أن تعرف كلُ ذرَة من ذراتها وترى وتعمل كل مايخص تركيب جسَدِهَا، بل كل شئ يتعلق بها في الدنيا، فتملك علماً وقدرةً محيطين كأنها إله، ثم يمكن ان يحال تشكيل الجسد اليها ويقال انها تشكلت بنفسها!!.

وكذا ليست هناك كيفية للأحياء عامة؛ من وحدة التدبير، ووحدة الإدارة، ووحدة النوع، ووحدة الجنس، ووحدة سكة الفطرة ـ المشاهدة إتفاقها في أوجهها عامة من عين وأذن وفم وغيرها ـ ومن الإتحاد في سكة الحكمة ـ الظاهرة في سيماء كل فرد من أفراد النوع الواحد، ومن المعية في الإعاشة والايجاد مع تداخل بعضها في

بعض.. إلاّ وتتضمن شهادة قاطعة على وحدتك، وإشارة الى أحديتك في الواحدية، بما يملك كلٌّ فرد من أفرادها من تجليات جميع الأسماء الناظرة الى الكون.

وكذا فكما أن تسخير مئات الآلاف من انواع الحيوانات المنتشرة مع الأنسان على وجه البسيطة كافة وتجهيزها وتدريبها وجعلها مطيعة ومسخرة كأنها جيش منظم، وجريان أوامر الربوبية فيها بانتظام بالغ يدل على درجة جلال ربوبيتك تلك، فإن القيمة الغالية لتلك المخلوقات مع أنها في غاية الكثرة، وإيجادها في منتهى السرعة مع أنها في غاية الكمال، وخلقها في منتهى السهولة مع أنها في غاية الإتقان.. يدل دلالة قاطعة على عظمة قدرتك.

وكذا إيصال أرزاق تلك المخلوقات المنبثة في أقاصي الشرق والغرب والشمال والجنوب إبتداءً من أصغر ميكروب وإنتهاءً بأضخم حيوان، ومن أصغر حشرة الى أضخم طير.. يدل على سعة رحمتك المُطلقة.

وكذا تحول وجه الأرض كل ربيع الى معسكر لتلك المَخلوقات بدلاً من تلك التي أنهيت خدماتها في الخريف واداء كل منها مهمتها الفطرية كأنها جنديٌّ مطيع يستنفر من جديد.. يدل دلالة قاطعة على سعة حاكميتك المُطلقة.

وكذا فكما أن كل حيوان يشير إشارات بعدد الحيوانات الى إحاطة علمك بكل شئ، وشُمُول حكمتك لكل شئ.. بخلقها كنسخة مصغرة للكائنات، بعلم في غاية العمق، وحكمة في غاية الدّقّة، بلا خلط بين الأجزاء المُختلطة، وبلا تحير بين الصور المتباينة للحيوانات كافة، وبلا خطأ ولاسهو ولانقص.. فإن خلق كل منها كذلك خلقاً في روعة الإتقان والجمال، مما يجعله معجزة في الصنعة وخارقة في الحكمة.. يشير الى كمال حسن صنعتك الربانية، والى غاية جمالها. تلك الصّنعة التي تحبها وترغب في عرضها ونشرها.

وكذا تربية كل منها وبخاصة الصغار تربية في غاية الرقة واللطف، وتلبية جميع رغباتها وآمالها.. تشير إشاراتٍ غير محدودة الى الجمال الرائع لعنايتك.

يَا رَحْمنُ يَا رَحِيمُ!

يَا صَادِقَ الوَعْد الأمِين!

يَا مَالك يوم الدّين!

لقد علمت بتعليم رسولك الأكرم ﷺ وبإرشاد قرآنك الحكيم أنه:

ما دامت الحياة اعظم نتيجة منتخبة من الكون، والروح هي الخلاصة المُختارة من الحياة، واولو المشاعر هم النتيجة الخالصة من بين اقسام ذوي الأرواح، والإنسان هو أجمع أولي المشاعر، وجميع الكائنات بدورها مسخرة وساعية لأجل الحياة، وذوو الحياة مسخرون لذوي الأرواح وقد بعثوا الى الدنيا لأجلهم، وذوو الأرواح مسخرون للإنسان وفي عونه دائماً، والناس يحبون خالقهم محبة خالصة بفطرتهم، وخالقهم يحبهم ويحبب نفسه اليهم بكل وسيلة، واستعداد الإنسان وأجهزته المعنوية تتطلع الى عالم آخر باق والى حياة أُخرى أبدية، وان قلبه وشعوره ليطلبان البقاء ويتوقان إليه، وان لسانه ليتوسل الى خالقه بأدعية غير محدودة طالباً البقاء.. فلايمكن مطلقاً إغضاب الناس المُحبّين المحبوبين وإسخاطهم بعداوة أبدية بعدم بعثهم بعد إماتتهم، وهم قد خلقوا أصلاً لمحبة خالدة وأُرسلوا الى هذه الدنيا بحكمة لنيل عيش سعيد في عالم أبدي آخر.

ثم إن الأسماء الحسنى المُتجلية على الإنسان تشير الى أن الذي هُو مرآة عاكسة لتجليات تلك الأسماء في هذه الحياة القصيرة الفانية سيحظى بتجلّياتها الأبدية في عالم البقاء. نعم إن الخليل الصّادق للخالد يكون خالداً، وأن المرآة الشاعرة للباقي يستلزم بقاءها. وكما يفهم من الرّوايات الصحيحة: أن أرواح الحيوانات ستبقى دائمة، وأن أرواح بعض أفراد خاصة من الحيوانات ستمضي الى عالم البقاء مع أجسادها؛ كهدهد ونمل سليمان عليه السّلام، وناقة صالح عليه السّلام، وكلب أصحاب الكهف(١)، وأنّ كل نوع منها سيتجسّد بجسد لإستعماله أحياناً.. فالحكمة والحقيقة، وكذا الرحمة والرّبوبية تقتضي كلها ذلك.

(١) روي انه يدخل الجنة مع المؤمنين على ماقال مقاتل: عشرة من الحيوانات تدخل الجنة ناقة صالح وعجل ابراهيم وكبش اسماعيل وبقرة موسى وحوت يونس وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب اصحاب الكهف وناقة محمد ﷺ فكلهم يصيرون على صورة كبش ويدخلون الجنة (ذكره في مشكاة الانوار) انظر تفسير روح البيان ٥/٢٢٦ للبروسوي و تفسير القرطبي ٣٧٢/١ ، - المترجم.

يَا قَديرُ يَا قيومُ!!

إن جميع ذوي الحياة وذوي الأرواح وذوي الشُعور قد وظّفوا بوظائف فطرية فى ملكك، انت، وسخروا لأوامر ربوبيتك أنت، وبقُوتك وقُدرتك وحدك، وبارادتك وتدبيرك ورحمتك وحكمتك.

وإن قسماً منها قد سُخّرت وذللت للإنسان من لدن رحمتك، لابقوّته وغلبته بل لضعفه وعَجزه فطرة. فكلّ حيوان يؤدي عبادته الخاصّة به، بلسان الحال والمقال مُسبّحاً خالقه وبارءه ومعبُوده مُقدّساً إيّاه من القصور والشّرك حامداً شاكراً لأنعمه وآلائه.

سُبحانَك يَامن اختفى بشدة الظُهُور! سُبحانكَ يَامن احتجب بعظمة الكبرياء!

إنّي أُقدّسُك بتسبيحات جميع ذوي الأرواح مُنادياً: سُبحانك.. يَامن جَعل من الماء كلّ شئ حيّ..

يَا رَبّ العالمين!

يَا إله الأولين والآخرين!

يَا رَبّ السّموات والأرضين!

لقد علمتُ بتعليم الرّسُول الأكرم ﷺ وبدرس القُرآن الحكيم وآمنت أنه:

مثلما السّمَاء والفضاء والأرض والبر والبحر والشّجر والنبات والحيوان.. تَعرفُك بأفرادها وأجزائها وذراتها، وتشهد على وُجودكَ وعلى وَحدتك، وتدلُ عليهما وتشير، فان الأنبياء والأولياء والاصفياء الذين هم خلاصة نوع الإنسان الذي هو خلاصة ذوي الحياة الذين هم خلاصة الكون، يشهدون ويخبرون بوجوب وجودك ووحدانيَتك وأحديتك، اخباراً قاطعاً بقوة مئات الأجماع ومئات التواتر المُستندة الى مُشاهدات قلوبهم وعقولهم وكشفياتها وإلهاماتها واستخراجاتها وبقطعيتها، ويثبتون إخباراتهم بمعجزاتهم وكراماتهم وبراهينهم اليقينية. نعم، ليست في القلوب خاطرة غيبية تومئ الى الذَات المُخبرة بها فى ستار الغيب.. وليس فيها إلهام صادق يوجب

الرؤية الى الذات المُلهمة فيها.. وليست فيها عقيدة يقينية تكشف عن صفاتك القدسية وأسمائك الحُسنى كشفاً بحقّ اليقين... وليس في الأنبياء والأولياء قلب نوراني يشاهد أنوار واجب الوُجُود بعين اليقين.. وليس في الأصفياء والصدّيقين عقل منور يصدّق آيات وجوب وجود خالق لكل شئ ويثبت براهين وحدته بعلم اليقين.. إلاّ ويشهد شهادة، ويملك دلالة، ويعرض إشارة على وُجُوبِ وجودِكَ وعلى صفاتك المُقدسة وعلى وحدتك وعلى أحديتك وعلى أسمائك الحُسنى...

وليست هناك معجزة من المُعجزات الباهرة المُصدّقة لأخبار سيد جميع الأنبياء والأولياء والأصفياء والصديقين ورئيسهم وخلاصتهم ذلك الرسُولُ الأكرم ﷺ ولاحقيقة من حقائقه السّامية المُظهرة لحقانيته، ولا آية من آيات التوحيد القاطعة للقرآن المُعجز البيان الذي يلخص جميع الكتب المُقدسة الحقة، ولامسألة إيمانية من مسائله القدسية.. إلاّ وتشهد شهادة، وتملك دلالة، وتعرض إشارة على وجوبِ وجودِكَ وعلى صفاتك المقدسة وعلى وحدتك وعلى أحديتك وعلى اسمائك الحُسنى وعلى صفاتك الجليلة.

ومثلما يشهد جميع اولئك المُخبرين الصّادقين الذين يعدون بمئات الآلافِ، مستندين الى معجزاتهم وكراماتهم وحججهم، على وُجُودِكَ وعلى وحدانيتك.. فإنهم يخبرون - ويثبتون بالإجماع والإتفاق - عن مدى عظمة جلال ربوبيتك الجارية إبتداءً من إدارة الأُمُور الكلية للعرش الأعظم المُحيط بكل شئ، الى معرفة أخفى الخلجات والخواطر الجُزئية للقلب وسرائره وآماله وأدعيته والإستماع إليه وإدارته.. ويعلنون مدى عظمة قدرتك التي توجد الأشياء المُختلفة غير المحدودة ــ أمام أعيننا - دفعة واحدة، وتخلق أكبر شئ بسهولة خلق أصغر حشرة، دون أن يمنع فعل فعلاً.

ومثلما أنهم يخبرون - ويثبتون ذلك بمعجزاتِهم وحججهم - عن سعة رحمتك المُطلقة التي صيرت الكون في حُكم قصر منيف لذوي الأرواح وبخاصة للإنسان، والتي أعدت الجنة والسعادة الأبدية للجن والأنس، والتي لاتنسى مطلقاً أصغر كائن حي وتسعى لتطمين وتلطيف أعجز قلب..وعن سعة حاكميتك المُطلقة التي تسخر وتوظف وتخضع لأوامرها جميع أنواع المخلوقات من الذرات الى السيارات.. فانهم يشهدون ويدلون ويشيرون كذلك - بالاجماع والإتفاق - الى إحاطة علمك المُحيط

بكل شئ الذي جعل الكون بحكم كتاب كبير يضم رسائل بعدد أجزائه، والذي سجل جميع حوادث الموجودات في «إمام مبين» وفي «كتاب مبين» وهما سجلا «اللوح المحفوظ» والذي أودع البذور فهارس الأشجار ومناهجها كافة، والذي أملى في جميع القوى الحافظة في رؤوس أولي المشاعر تواريخ حياتهم بانتظام ودون خطأ .. ويشهدون كذلك على شمول حكمتك المُقدسة كل شئ، التي قلدت كل موجود حكماً كثيرة جداً، حتى أنها اعطت بما تمدُّ كل شجرة نتائج بعدد أثمارها، والتي أردفت في كل ذي حياة مصالح بعدد أعضائه، بل بعدد أجزائه وخلاياه، حتى أنها مع توظيفها لسان الإنسان بوظائف عدة فقد جهزها أيضاً بموازين ذوقية بعدد أذواق الأطعمة. وهم يشهدون أيضاً على إستمرار تجليات الأسماء الجلالية والجمالية ـ الظاهرة آثارها في هذه الدنيا ـ ودوامها بأسطع صورة وأبهرها في أبد الآباد، وعلى استمرار آلائك المُشاهدة أمثالها في هذه الدُنيا الفانية وبقائها اكثر بهاء ولمعاناً في دار السعادة، وعلى موافقتها المُشتاقين الذين حظوا بها في هذه الدنيا ومصاحبتها لهم في الخلود.

فالرَّسُولُ الأكرم ﷺ – في المُقدمة – مستنداً الى مئات من معجزاته الباهرة، والقرآن الكريم مستنداً الى آياته الجازمة، ثم جميع الأنبياء عليهم السلام وهم ذوو الأرواح النيرة، وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب النورانية، وجميع الأصفياء وهم أرباب العقول المُنورة.. يبشرون الجن والأنس بالسعادة الأبدية وينذرون الضالين بجهنم – وهم يؤمنون بهذا ويشهدون عليه – إستناداً الى ماذكرته مراراً وتكراراً من الوعد والوعيد في جميع الكتب السماوية والصحف المُقدسة، وإعتماداً على صفاتك وشؤونك القُدسية كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال، ووثوقاً بعزة جلالك وسلطان ربوبيتك، ويبشرون بكشفياتهم ومشاهداتهم وبعقيدتهم الراسخة بعلم اليقين.

يَا قَادرُ يَا حَكيمُ! يَا رَحمَنُ يَا رَحيمُ! يَا صَادِقَ الوَعدِ الكَرِيمِ! يَا قَهَّارُ يَاذا الجَلالِ ويَاذا العِزَّةِ وَالعَظَمَةِ والجَلالِ!..

إنك مقدس مطلق، وأنت متعال منزّه مطلق عن أن توصم بالكذب كلَّ هذا العدد من أوليائك الصادقين ووعودك العديدة وصفاتك الجليلة وشؤونك المُقدسة..

فتحجب ما تقتضيه جازماً سلطنة ربوبيتك، وترد مالايحد من أدعية ودعوات صادرة مما لايعد من عبادك المقبولين الذين أحببتهم وأحبوك وحببوا أنفسهم إليك بالإيمان والتصديق والطاعة... فأنت منزّه، وأنت متعال مطلق مستغن عن تصديق أهل الضلالة والكفر الذين يتعرضون لعظمة كبريائك في إنكارهم الحشر، ويتسببون في التجاوز على عزة جلالك ويمسون هيبة ألوهيتك ورأفة ربوبيتك بكفرهم وعصيانهم وبتكذيبهم إياك في وعدك.

فأنا أُقدس عدالتك وجمالك ورحمتك غير المُتناهية ـ بلا حد ولانهاية ـ وأنزهها عن هذا الظلم والقبح غير المتناهيين وأرغب أن أتلو بعدد ذرات وجودي الآية الكريمة: ﴿ **سُبحَانه وتعالى عما يقولونَ علُوّاً كبيراً** ﴾(الاسراء: ٤٣). بل إن رسلك الصادقين ـ أولئك الذين هم دعاة سلطنتك الحقيقيون ـ يشهدون ويبشرون ويشيرون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين الى خزائن رحمتك الأخروية وكنوز آلائك في عالم البقاء، وتكشف تجليات أسمائك الحُسنى تجلياً تاماً خارقاً في دار السعادة، ويرشدون عبادك المُؤمنين بأن أعظم شعاع لإسم «الحقّ» الذي هو مرجع جميع الحقائق وشمسها وحاميها هو: حقيقة الحشر الكبرى.

يَا رَبَّ الأنبياء والصديقين!.

إن أولئك جميعاً مسخرون وموظفون في ملكك أنت، وبأمرك وقدرتك أنت، وبأرادتك وتدبيرك أنت، وبعلمك وحكمتك أنت.. وقد أظهروا الكرة الأرضية بالتقديس والتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل في حكم أعظم مكان للذكر وأبرزوا الكون في حكم اكبر مسجد للعبادة.

يَاربي! وَيَارَبَّ السّموات والأرضين!

يَا خَالقي! وَيا خَالقَ كل شئ!

بحق قدرتك وإرادتك وحكمتك وحاكميتك ورحمتك التي سخرت بها السّمَوات بنجومها، والأرض بمشتملاتها، وجميع المخلوقات بجميع كيفياتها وانواعها:

سَخّر لي نفسي..

وسخّر لي مطلوبي..

وسخّر قلوب الناس لـ« رسائل النور» ليخدموا القرآن والإيمان..

وهب لي ولإخواني إيماناً كاملاً وحسن الخاتمة.

وكما سخرت البحر لموسى عليه السّلام..

وسخرت النار لإبراهيم عليه السلام..

وسخرت الجبَالَ والحديد لداوُد عليه السلام..

وسخرت الأنس والجن لسليمان عليه السلام..

وسخرت الشّمس والقمر لمحمدٍ عليه الصلاةُ والسلام..

سخّر القلوب والعقول لـ« رسائل النور».

واحفظني واحفظ طلبة رسائل النور من شرّ النفس والشيطان ومن عذاب القبر ومن نار جهنم. وأسعدنا في فردوس الجنة.

آمين، آمين، آمين.

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاّ مَا عَلّمْتَنَا إنّكَ أنْتَ العَليمُ الحَكيمُ ﴾

﴿ وآخِرُ دَعواهُم أنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾

إن هذا الدرس الذي اقتبسته من القرآن الكريم ومن الجوشن الكبير[1] – الذي هو مناجاة نبوية – أعرضها على باب ربي الرحيم عبادة فكرية. فإن كان قد بدرٍ مني تقصير فإني ألوذ برحمته مستشفعاً القرآن الكريم والجوشن الكبير راجياً العفو عن تقصيري.

سعيد النورسي

(١) الجوشن: يعني الدرع الذي يستعمل للصدر. وهو مناجاة نبوية رائعة برواية الامام زين العابدين رضي الله عنه. يتضمن هذا الدعاء الاسماء الالهية والصفات الجليلة، وبين كل مقطع وآخر: (سبحانك يا لااله الا أنت الامان الامان اجرنا من النار. . . خلصنا من النار. . . نجنا من النار) – المترجم.

الشعاع الرابع

هذا الشعاع هو اللمعة الخامسة من حيث المعنى والرتبة، وهو الشعاع الرابع القيم من حيث الصورة والمقام، للّمعة الحادية والثلاثين من المكتوب الحادي والثلاثين، وهو عبارة عن نكتة مهمة جليلة للآية الكريمة: ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾(آل عمران: ١٧٣).

تنبيه :

ان رسائل النور تخالف الكتب الاخرى، اذ تستهل البحث بشئ من الابهام الذي قد يخفى على القارئ ويغمض عليه، الاّ انها تتوضّح تدريجياً، وتكشف عن معانيها رويداً رويداً، ولاسيما هذه الرسالة. فالمرتبة الاولى منها دقيقة وعميقة غامضة مع انها حقيقة قيمة غالية. وقد برزت هذه المرتبة بصفة خاصة بي شفاءً لأدوائي المتنوعة الغائرة، برزت على صورة محاكمة شعورية في غاية الأهمية، ومعاملة ايمانية في غاية الحيوية ، ومحاورة قلبية في غاية الخفاء. ومن هنا قد لايتمكن ان يتذوقها تذوقاً تاماً ويستشعر بها الاّ من كانت مشاعره متوافقة معي، متجانسة مع مشاعري.

بسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

﴿ حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيل ﴾

حينما جرّدني ارباب الدنيا من كل شئ، وقعتُ في خمسة ألوان من الغُربة، وانتابتني خمسة انواع من الامراض الناشئة من الآلام والعنت في زمن الشيخوخة. ولم التفت الى ما في رسائل النور من انوار مسلّية وامدادات مشوّقة – جراء غفلة اورثها الضجر والضيق – وانما نظرت مباشرة الى قلبي وتحسست روحي، فرأيت:

انه يسيطر عليّ عشق في منتهى القوة للبقاء، وتهيمن عليّ محبة شديدة للوجود، ويتحكّم فيّ شوق عظيم للحياة، مع ما يكمن فيّ من عجز لاحدّ له وفقر لانهاية له. غير ان فناءٍ مهولاً يطفئ ذلك البقاء ويزيله، فقلت – في حالتي هذه – مثلما قال الشاعر المحترق الفؤاد[1]:

حكمة الإله تقضي فناء الجسد ، والقلب توّاقٌ الى الابد،

لهف نفسي من بلاءٍ وكمد، حار لقمان في ايجاد الضمد..

فطأطأت رأسي يائساً، واذا بالآية الكريمة ﴿حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيل﴾ تغيثني قائلة:

أقرأني جيداً، بتدبر وامعان.. فقرأتها بدوري خمسمائة مرة في كل يوم. وكتبت تسعاً فقط من انوارها ومراتبها القيمة الغزيرة التي انكشفت لي بعين اليقين، أما تفاصيلها المعروفة بعلم اليقين، لا بعين اليقين، فاحيلها الى رسائل النور.

---

(١) المقصود الشاعر نيازي المصري (١٦١٨– ١٦٩٤م) شاعر صوفي تركي ولد في قرية قريبة لولاية «ملاطية». اكمل دراسته في الازهر الشريف فلقب بـ«المصري» له ديوان شعر ومؤلفات منها: رسالة الحسنين، موائد العرفان وعوائد الاحسان، هداية الاخوان. تولى الارشاد في مدارس استانبول العلمية. (انظر: اللمعات – اللمعة/٢٦).

المرتبة النورية الحسبية الاولى

ان ما فيّ من عشق البقاء، ليس متوجهاً الى بقائي أنا، بل الى وجود ذلك الكامل المطلق والى كماله وبقائه. وذلك لوجود ظلٍ لتجلٍ من تجليات اسمٍ من اسماء الكامل المطلق – ذي الكمال والجمال – في ماهيتي، وهو المحبوب لذاته – اي دون داعٍ الى سبب – الاّ ان هذه المحبة الفطرية ضلت سبيلها وتاهت بسبب الغفلة، فتشبثت بالظل وعشقت بقاء المرآة.

ولكن ما ان جاءت ﴿حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل﴾ حتى رفعت الستار. فاحسستُ وشاهدت، وتذوقتُ بحق اليقين: ان لذة البقاء وسعادته، موجودة بنفسها، بل افضل وأكمل منها، في ايماني وإذعاني وإيقاني ببقاء الباقي ذي الكمال، وبأنه ربي وإلهي؛ لأنه ببقائه سبحانه يتحقق لي حقيقة باقية لا تموت، اذ يتقرر بشعور ايماني «أن ماهيتي تكون ظلاً لإسمٍ باقٍ، لإسمٍ سرمدي، فلا تموت».

وكذا تُشبَع بذلك الشعور الايماني – الباعث على وجود الكمال المطلق وهو المحبوب المطلق – المحبةُ الذاتية، الفطرية الشديدة.

وكذا تُعرف بذلك الشعور الايماني – الذي يخص بقاء الباقي السرمدي ووجوده سبحانه – كمالات الكائنات ومزاياها، ومزايا نوع الانسان بالذات وتُكشف عنها، ويُعلم ان الافتتان الفطري بالكمال يُنقذ من آلام غير محدودة، فيتذوق ويتلذذ.

وكذا يتولد بذلك الشعور الايماني انتسابٌ الى ذلك الباقي السرمدي، وتتولد وشائج مع ملكه عامة بالايمان بذلك الانتساب، فينظر المرء – بنور الايمان – الى مُلكٍ غير محدود كنظره الى ملكه، فيستفيد معنىً.

وكذا يتكون بذلك الشعور الايماني وبذلك الانتساب والعلاقة ما يشبه الاتصال والارتباط بجميع الموجودات؛ وفي هذه الحالة يتولد وجودٌ غير محدود – غير وجوده الشخصي الذي يأتي بالدرجة الثانية – من جهة ذلك الشعور الايماني والانتساب والارتباط والعلاقة والاتصال، حتى كأنه وجود كوجوده فيهدأ العشق الفطري تجاه الوجود.

وكذا تتولد بذلك الشعور الايماني والانتساب والعلاقة والارتباط اخوة مع جميع اهل الكمال والفضل؛ وعندها لا يضيع ولايمحى اولئك الذين لايعدّون ولايحصون من اهل الكمال والفضل، بفضل معرفة وجود الباقي السرمدي وبقائه، فيورث بقاء ما لا يعد من الاحبّة، الذين يرتبط بهم بحب وتقدير واعجاب ودوام كمالهم صاحبَ ذلك الشعور الايماني ذوقاً رفيعاً سامياً.

وكذا رأيتني قادراً على الاحساس بسعادة غير محدودة، ناشئة من سعادة جميع احبائي – الذين اضحي بحياتي وببقائي بكل رضى وسرور من اجل سعادتهم – وذلك بوساطة الشعور الايماني والانتساب والارتباط والعلاقة والاخوة؛ اذ الصديق الرؤوف يسعد بسعادة صديقه الحميم ويتلذذ بها. ولهذا فانه ببقاء الباقي ذي الكمال وبوجوده، ينجو جميع ساداتي وجميع احبابي، وهم الانبياء عليهم السلام والاولياء والاصفياء وفي مقدمتهم الرسول الاكرم ﷺ وآله واصحابه الكرام ، وينجو جميع احبابي الذين لايحصون، ينجون كلهم من الاعدام الابدي وينالون سعادة سرمدية خالدة، فأحسست هذا بذلك الشعور الايماني فانعكس عليّ شئ من سعاداتهم وتذوقتها ذوقاً خالصاً، فغمرتني سعادة عظمى، بسبب تلك العلاقة والاخوة والارتباط والمحبة.

وكذا غمرتني سعادة روحية لامنتهى لها بنجاتي من آلام غير محدودة، ناشئة من علاقتي بابناء جنسي، وشفقتي على اقاربي، فقدأحسست بشعور إيماني ان جميع اقاربي نسلاً ونسباً ومعنىً والذين أفديهم بحياتي وبقائي – بفخر واعتزاز فطري – لأجل خلاصهم من المهالك والمخاطر، وفي المقدمة آبائي وامهاتي.. احسست انهم ينجون من الفناء والعدم والاعدام الابدي ومن آلام غير محدودة، وينالون رحمة واسعة مطلقة ببقاء الباقي الحقيقي وبوجوده سبحانه؛ وان رحمة واسعة مطلقة ترعاهم وتحميهم بدلاً من شفقتي الجزئية القاصرة التي لاتأثير لها والتي هي مبعث ألم وغم. فكما تتلذذ الوالدة بلذة ولدها وتذوق الراحة براحته، تلذذت انا كذلك وسعدت بنجاة جميع اولئك الذين اشفق عليهم، بانضوائهم تحت حماية تلك الرحمة الواسعة، وبتنعمهم في ظلها، وانشرحت فرحاً جذلاً بهذا الشعور، فشكرت الله من الاعماق.

وكذا علمت بذلك الشعور الايماني نجاة « رسائل النور » التي هي ثمرة حياتي ومبعث سعادتي ووظيفة فطرتي، نجاةً من الفناء والضياع والضمور ومن عدم الجدوى والنفع، وعلمت بذلك الانتساب الايماني، بل شعرت ببقاء تلك الرسائل نضرة طرية، واحسست بنمائها معنىً، بل ببقائها ودوامها وإثمارها ثمرات يانعة. فحصلت لي القناعة التامة أن في هذا لذة معنوية تفوق كثيراً لذة بقائي، ولقد احسست بتلك اللذة احساساً حقاً كاملاً، لأنني آمنت أنه ببقاء الباقي ذي الكمال وبوجوده لاتنقش رسائل النور في ذاكرة الناس وقلوبهم وحدها بل تكون ايضاً موضع مطالعة لمخلوقات غير محدودين من ذوي الشعور والروحانيين. فضلاً عن انها ترتسم في اللوح المحفوظ وفي الالواح المحفوظة – ان كانت موضع رضى الله سبحانه وتعالى – وتتزين بثمرات الأجر والثواب، ولا سيما أن وجودها بآنٍ واحد، وحظوتها بنظر رباني من حيث انتسابها الى القرآن الكريم ونيلها بالقبول النبوي والرضى الإلهي – ان شاء الله – اعظم واجلّ من اعجاب وقدر اهل الدنيا كلهم لها.. وعلمت ان سعادتي هي في خدمة تلك الرسائل للقرآن الكريم. وانني على استعداد كل حين بالتضحية بحياتي وببقائي لإبقاء كل رسالة من تلك الرسائل – التي تثبت الحقائق الايمانية وتدعمها – ولدوامها ولإفادتها الآخرين ولمقبوليتها عند الله. وعندها فهمت – بذلك الانتساب الايماني – ان تلك الرسائل تنال بالبقاء الإلهي تقديراً واعجاباً يفوقان تقدير الناس واعجابهم بها بمائة ضعف. لذا قلت بكل ما املك من قوة: ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾.

وكذا علمت بذلك الشعور الايماني ان الايمان ببقاء الباقي ذي الجلال وبوجوده الذي يمنح بقاءاً ابدياً وحياة دائمة وان ثمرات الايمان التي هي الاعمال الصالحة ثمرات باقية لهذه الحياة الفانية،ووسائل لبقاء دائم. فاقنعت نفسي ان اكون كالبذرة التي تترك قشرتها لتتحول الى شجرة باسقة مثمرة، اي اقنعتها ان تترك بقائي الدنيوي الشبيه بالقشرة لتعطي ثمرات باقية. فقلت مع نفسي: ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾. نعم حسبنا بقاءه سبحانه.

وكذا علمت بعلم اليقين، بذلك الشعور الايماني والانتساب بالعبودية ؛ ان وراء ستار التراب عالم منور، وان الطبقة الترابية الثقيلة التي يرزح تحتها الموتى، سترفع

عنهم. وان النفق الذي يدخل اليه من باب القبر لايؤدي الى ظلمات العدم كذلك. فقلت من الاعماق: ﴿حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيل﴾.

وكذا احسست احساساً تاماً، وعلمت بحق اليقين، بذلك الشعور الايماني انه في الوقت الذي يتوجه عشق البقاء الشديد جداً في فطرتي الى بقاء الباقي ذي الكمال والى وجوده من جهتين، الاّ انه قد ضلَّ عن محبوبه بسبب ما اسدلته الانانية من استار دونه، فتشبث بالمرآة وافتتن بها، فصار حائراً غوياً. اذ إن ما يهيمن على ماهيتي من ظل اسم للكمال المطلق، المحبوب لذاته، والمحبوب فطرة، والمعبود المعشوق، قد أورث عشق البقاء هذا، الذي هو عميق الغور والراسخ القوي. وبينما الكمال الذاتي الذي هو وحده كاف وواف للعبادة والافتتان، حيث لايدفع لمحبته سبب او غرض، ولايقتضيه شئ دون ذاته، فانه باحسانه وانعامه ثمرات باقية – كالمذكورة آنفاً – والتي تستحق كل منها ان يُضحى لاجلها بالوف من الحياة الدنيوية وبقائها لابحياة واحدة وبقاء واحد، فقد احسست أن ذلك الكمال الذاتي قد رسّخ باحسانه هذا ذلك العشق الفطري وعمّقه اكثر، فلو تيسّر لي لقلت بجميع ذرات وجودي: ﴿حَسْبنا الله ونِعمَ الوكيل﴾ بل قلته بتلك النية.

ولقد اورثني ذلك الشعور الايماني الذي يتحرى عن بقائه فوجد البقاء الإلهي – كما اشرت الى عدد من ثمراته بالفقرات المبتدئة بـ كذا.. كذا..– ومنحني ذوقاً وشوقاً ملكا عليّ كياني كله واخذا بمجامع روحي، فقلت بكل ما املك من قوة، ومن اعماق قلبي ومع نفسي: ﴿حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيل﴾.

المرتبة النورية الحسبية الثانية

انه مع عجزي غير المتناهي الكامن في فطرتي، ومع الشيخوخة المستقرة في كياني، ومع تلك الغربة التي لفّتني، ومع عدم وجود المعين لي، وقد جُردت من كل شئ هاجمني ارباب الدنيا بجواسيسهم وبدسائسهم.. في هذا الوقت بالذات خاطبت قلبي قائلاً:

«ان جيوشاً كثيفة عارمة تهاجم شخصاً واحداً ضعيفاً مريضاً مكبّل اليدين.. أوَليس له – اي لي – من نقطة استناد؟».

فراجعت آية ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾ فاعلمتني:

انك تستند بهوية الانتساب الايماني الى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة، بحيث يجهّز بانتظام تام في كل موسم ربيع على سطح الارض جميع جيوش النباتات والحيوانات المتشكلة من اربعمائة الف نوع من الامم والطوائف بالاعتدة والاجهزة اللازمة لها. فيجدد ملابس جيشيه العظيمين وهما الاشجار والطيور ويلبسهما ملابس جديدة، مبدلاً انواطهما وشاراتهما، حتى انه يبدل لباس الجبل ونقاب الصحراء مثلما يبدل فساتين الدجاج اللطيفة واثواب الطيور الجميلة. ويوزع جميع ارزاق الجيش الهائل للاحياء – وفي مقدمتها الانسان – لابشكل ما اكتشفه الانسان المعاصر في الآونة الاخيرة من مستخلصات اللحم والسكر وغيرهما بل بصورة مستخلصات اكمل وافضل بكثير بل تفوقها مائة مرة، فهي مستخلصات جميع انواع الاطعمة، وهي مستخلصات رحمانية تلك التي تسمى البذور والنوى. زد على ذلك فانه يغلف ايضاً تلك المستخلصات بأغلفة قَدَرية تتناسب مع نضجها وانبساطها ونموها، ويحفظها في عُليبات وصنيديقات صغيرة وصغيرة جداً، وهذه الصنيديقات ايضاً تصنع في معمل «ك. ن» بسرعة متناهية جداً وبسهولة مطلقة للغاية وبوفرة هائلة، حتى أن القرآن الكريم يذكر ذلك بقوله تعالى: ﴿ **فانما يقولُ لهُ كُن فيكون** ﴾(البقرة: ١١٧).

وعلى الرغم من ان جميع تلك الخلاصات متشابهة ومتكونة من المواد نفسها وقد لاتفي بحاجة مدينة واحدة، فان الرزاق الكريم يُنضج منها في موسم صيف واحد ما يمكن أن يملأ مدن الارض كافة باطعمة في غاية اللذة والتنوع.

فما دمتَ قد ظفرتَ بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الايماني، يمكنك اذن الاستناد والاعتماد الى قوة عظيمة وقدرة مطلقة، وحقاً لقد كنتُ احسّ بقوة معنوية هائلة كلما كنت أُتلقى ذلك الدرس من تلك الآية الكريمة، فكنت اشعر انني املك من الاقتدار الإيماني ما يمكّنني من ان اتحدّى بها جميع اعدائي في العالم وليس الماثلين امامي وحدهم، لذا رددتُ ومن اعماق روحي: ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾.

وراجعت الآية الكريمة نفسها من حيث فقري واحتياجي غير المتناهيين كي انال نقطة استمداد لهما. فقالت لي :

انك منتسب الى مالك كريم بعبوديتك وبمملوكيتك، واسمك مسجّل في دفتر اعاشة المخلوقات، وانه يفرش سفرة نعمه في كل ربيع وصيف ويرفعها بل يبسطها ويطويها اكثر من مائة مرة مزيناً اياها باطعمة متنوعة لذيذة يأتيها من عالم الغيب ومن العدم ومن حيث لايحتسب العبد ومن تراب جامد حتى كأن سني الزمان وايام كل سنة صحون متعاقبة مترادفة لثمرات احسانه واطعمة رحمته ومعرض لمراتب آلاء رزاق رحيم، بمراتب كلية وجزئية. فانت عبدٌ لمثل هذا الغني المطلق. فان كان لك شعور واحساس بهذه العبودية له، فان فقرك الأليم يصبح مدار شهية لذيذة..

وانا بدوري قد أخذت حظي من هذا المعنى من الآية الكريمة. فقلت مع نفسي: نعم.. نعم انه الصدق بعينه.

ورددت متوكلاً على الله: ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾.

المرتبة النورية الحسبية الثالثة

حينما اشتد خناق الامراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليّ، وجدت ان علاقاتي تنفصم مع الدنيا، وان الايمان يرشدني بانك مرشح لدنيا اخرى ابدية، وانك مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة. ففي هذه الاثناء تركتُ كل شئ تقطر منه الحسرة ويجعلني أتأوّه وأتأفف، وابدلته بكل ما يبشّر بالخير والفرح ويجعلني في حمدٍ دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، الاّ بقدرة غير محدودة للقدير المطلق، يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع احوالهم واعمالهم ويسجلها كذلك. وانّى لها أن تحصل الاّ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الانسان الصغير الهزيل المتقلب في العجز المطلق، حتى كرّمه واتخذه خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته.

نعم، حينما كنت أفكر في هاتين النقطتين، اي في فعالية هذه القدرة غير المحدودة، وفي الأهمية الحقيقية التي أولاها البارئ سبحانه لهذا الانسان الذي يبدو حقيراً. أردت ايضاحاً وانكشافاً للايمان بما يُطمئن القلب. فراجعت بدوري تلك الآية الكريمة ايضاً، فقالت لي:

دقق النظر في «نا» التي في «حسبنا»، وانظر مَن هم اولاء ينطقون «حسبنا» معك، سواء ينطقونها بلسان الحال، او بلسان المقال، أنصت اليهم.. نعم، هكذا أمرتني الآية! فنظرت.. فاذا بي أرى طيوراً محلّقة لاتحدّ، وطويرات صغيرة جداً كالذباب لاتحصى، وحيوانات وحوينات لاتعد ونباتات لاتنتهي واشجاراً وشجيرات لا آخر لها ولانهاية...

كل ذلك يردد مثلي بلسان الحال معنى ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾، بل يُذكّر الآخرين بها.. ورأيت أن لهم وكيلاً – نِعمَ الوكيل – تكفل بجميع شرائط حياتهم، حتى انه يخلق من البيوض المتشابهة المتركبة من المواد نفسها،ومن النطف المتماثلة، ومن الحبوب الشبيهة بعضها ببعض، مائة الف طراز من الحيوانات ومائة الف شكل من الطيور ومائة الف نوع من النباتات، ومائة الف صنف من الاشجار... يخلقها بلا خطأ وبلا نقص وبلا التباس، يخلقها مزينة جميلة وموزونة منظمة، مع تميّز بعضها عن البعض الآخر واختلاف بعضها عن بعض، يخلقها باستمرار ولاسيما ايام كل ربيع امام اعيننا في منتهى السرعة، وفي منتهى السهولة، وفي منتهى السعة، وفي منتهى الوفرة.. فخلقُ جميع هذه المتشابهات المتوافقات المتداخلات من المخلوقات على النمط نفسه والاشكال عينها، ضمن عظمة هذه القدرة المطلقة وحشمتها، يظهر لنا بوضوح وحدانيته سبحانه وتعالى وأحديته.

وقد افهمتني الآية أنه لايمكن المشاركة ولا المداخلة قطعاً في فعل هذه الربوبية والخلاقية الذي يبرز هذه المعجزات غير المحدودة ..

ثم نظرت الى «انا» الموجود في «**نا**» حسبنا، اي نظرت الى نفسي وتأملت فيها ورأيت ان الذي خلق الحيوانات من قطرة ماء خلقني ايضاً منها. وبرأني معجزة من معجزاته، وشق سمعي وبصري ووضع دماغاً في رأسي وقلباً في صدري ولساناً في

فمي بحيث خلق في ذلك الدماغ والقلب واللسان مئات من الموازين الدقيقة والمقاييس الرقيقة التي تتمكن من أن تزن وتعرف جميع هدايا الرحمن المدّخرة في خزائن الرحمة الإلهية وعطاياه الكريمة، وادرج في تلك الاعضاء الوفاً من الآلات التي تتمكن من أن تفتح كنوز تجليات الاسماء الإلهية التي لا نهاية لها، وأمدّ تلك الآلات والاجهزة معرّفات معينة مساعدة بعدد الروائح والطعوم والالوان.

وكذا ادرج سبحانه بكمال الانتظام احاسيس شاعرة وحواس باطنة، ولطائف معنوية رقيقة في منتهى النظام والاتقان، فضلاً عما خلق بكمال الحكمة في وجودي في غاية الكمال والانتظام اجهزةً متقنة وجوارح بديعة وضرورية لحياة الانسان، ليذيقني جميع انواع نعمه وعموم اشكال آلائه ويحسسني بها جميعاً، ويفهّمني ويعرّفني بتجليات اسمائه الحسنى وبمظاهرها المتنوعة، بتلك المشاعر الدقيقة والحواس اللطيفة، ويدفعني الى تذوقها والتلذذ بها.

وعلاوة على انه جعل وجودي - هذا الذي يبدو حقيراً فقيراً تافهاً - كوجود كل مؤمن في أحسن تقويم للكون، ونسخة مصغرة للعالم الاكبر، ومثالاً مصغراً لهذه الدنيا، ومعجزة زاهرة لمصنوعاته سبحانه، وشارياً طالباً لكل نوع من انواع نعمه التي لاتعد ولاتحصى، ومركزاً لقوانين ربوبيته، ووسيلة لتنفيذ اجراءاته واوامره، ونموذجاً لحديقة ازاهير عطايا حكمته ورحمته، والمخاطب المدرك لخطابه السبحاني، فانه سبحانه وهب لي «الحياة» ليجعل الوجود - وهو النعمة الكبرى - كبيراً وكثيراً في وجودي أنا، إذ يمكن لنعمة وجودي هذا ان ينبسط بالحياة بقدر عالم الشهادة.

وكذا منح «الانسانية» ففتحتْ نعمةُ الوجود بتلك الانسانية وبانكشافها طريق الاستفادة من تلك الموائد المنصوبة الواسعة في العوالم المادية والمعنوية بمشاعر خاصة بالانسان.

وكذا أنعم عليّ بـ«الاسلام» فتوسعت نعمة الوجود - بذلك الاسلام - سعة عالم الغيب والشهادة.

وكذا أنعم عليّ بالايمان التحقيقي، فغدت نعمة الوجود بذلك الايمان منطوية على نعم الدنيا والآخرة وقادرة على استيعابها.

وكذا اعطى «معرفته» و «محبته» ضمن ذلك الايمان التحقيقي، فاحسن اليّ مرتبة تمكن نعمة الوجود تلك من أن تمدّ ايديها بالحمد والثناء الى دوائر كثيرة جداً ابتداءً من دائرة الممكنات الى عالم الوجوب ودائرة الاسماء الحسنى، لتستفيد منها.

وكذا تفضّل عليّ – بصفة خاصة – بعلم قرآني وحكمة ايمانية؛ فاولاني باحسانه هذا تفوقاً على كثير من مخلوقاته.

وهكذا فقد منح سبحانه الانسان جامعية من جهات كثيرة جداً، كالمذكورة سابقاً، ووهب له من الاستعداد ما يجعله مرآةً كاملة لأحديته وصمدانيته، ويمكّنه من ان يلبي بعبودية كلية واسعة، ربوبيةً كلية مقدسة.

ولقد علمت علماً يقيناً وآمنت ايماناً كاملاً أنه سبحانه يشتري مني امانته المودعة فيّ وهديته المهداة اليّ وعطيته الكريمة لي، تلك هي وجودي وحياتي ونفسي، يشتريها، كما نص عليه القرآن الكريم، واجمع عليه ما انزله من الكتب والصحف المقدسة على الانبياء، واتفق عليه جميع الأنبياء والاولياء والاصفياء، يشتريها مني لئلا تضيع عندي، ولأجل الحفاظ عليها واعادتها اليّ، مقابل سعادة ابدية وجنة خالدة قد وعد بها وعداً قاطعاً وتعهّد لها عهداً صادقاً.

ولقد استلهمت من هذه الآية الكريمة ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾ ان لي رباً عظيماً ذا الجلال والاكرام يفتح صور مئات الالوف من انواع الحيوانات وأصناف النباتات باسمه «الفتّاح» يفتحها من قطرات متشابهة محددة، ومن نوى متماثلة محدودة العدد، يفتحها في منتهى السهولة واليسر وفي غاية السرعة والاتقان، وقد أولى سبحانه وتعالى هذا الانسان اهمية عظيمة تحير العقول – كما ذكرناه آنفاً – حتى جعله مداراً لشؤون ربوبيته الجليلة، وانه سيوجد الحشر ايجاده للربيع المقبل في سهولة ويسر وبقطعية مجيئه وتحققه، وسينعم علينا بالجنة والسعادة الابدية.

نعم! هذا ما تعلمته من هذه الآية الكريمة ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل** ﴾، فلو كنت استطيع لتلوتها فعلاً بألسنة جميع المخلوقات، ولكن تلوتها بالنية وبالتصور وبالخيال حيث لااستطيع ذلك فعلاً، بل ارغب في أن اكررها دوماً الى أبد الآبدين.

المرتبة النورية الحسبية الرابعة

حينما وافقت العوارض المزلزلة لكياني أمثال الشيب والغربة والمرض وكوني مغلوباً على أمري، فترة غفلتي، وكأن وجودي الذي أتعلق به بشدة يذهب الى العدم، بل وجود المخلوقات كلها يفني وينتهي الى الزوال.. ولّد عندي ذهاب الجميع الى العدم قلقاً شديداً واضطراباً أليماً فراجعت الآية الكريمة ايضاً ﴿ **حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيل** ﴾ فقالت لي: «تدبّر في معانيّ، وانظر اليها بمنظار الايمان». وانا بدوري نظرت الى معانيها بعين الايمان فرأيت: ان وجودي الذي هو ذرة صغيرة جداً، مرآةٌ لوجود غير محدود، ووسيلة للظفر بانواع من وجود غير محدود بإنبساط غير متناهٍ.. وهو بمثابة كلمة حكيمة تثمر من انواع الوجود الكثيرة الباقية ما هو اكثر قيمة من وجودي وأعلى منه نفاسة حتى أن لحظة عيش له من حيث انتسابه الايماني ثمين جداً، وله قيمة عالية كقيمة وجود أبدي دائم، فعلمت كل ذلك بعلم اليقين؛ لأنه ادركت بالشعور الايماني ان وجودي هذا أثرٌ من آثار واجب الوجود وصنعةٌ من صنعته وجلوة من جلواته. فنجوت من ظلمات لا حدّ لها تورثها أوهام موحشة، وتخلصت من آلام لاحدّ لها نابعة من افتراقات وفراقات غير متناهية، ودفعتني لأمدّ روابط اخوة وثيقة الى جميع الموجودات ولاسيما الى ذوي الحياة، روابط بعدد الافعال والاسماء الإلهية المتعلقة بالموجودات. وعلمت أن هناك وصالاً دائماً مع جميع ما أحبه من الموجودات من خلال فراق مؤقت.

ومن المعلوم أن الذين تربطهم رابطة القرية الواحدة او المدينة الواحدة او البلد الواحد او الفرقة العسكرية الواحدة او القائد الواحد او الاستاذ المرشد الواحد وأمثالها من الروابط الواحدة يشعرون بأخوة لطيفة وصداقة قوية تربط فيما بينهم، بينما المحرومون من مثل هذه الروابط الواحدة يقاسون دائماً عذاباً مريراً من ظلمات أليمة.

وكذا لو كانت لثمرات شجرة شعور لشعرتْ كلٌّ منها أنها اخت الاخرى وبديلتها وصاحبتها وناظرتها، ولكن لو لم تكن شجرة، او اقتطفت تلك الثمرات منها لشعرت كل ثمرة بآلام فراقٍ بعدد الثمرات.

وهكذا ظفر وجودي ايضاً – كأي مؤمن آخر – بالايمان وبالانتساب الذي فيه بأنوار لافراق فيها تشع من انواع من وجود غير متناه، فلو رحل وجودي فإن بقاء تلك الانواع من الوجود عقبه يجعل وجودي راضياً مطمئناً كأنه قد بقي بنفسه كاملاً.

زد على ذلك ان وجود كل ذي حياة ولاسيما من ذوي الارواح، هو بمثابة كلمة تُقال وتُكتب، ثم تغيب، بعد ان تترك بدلها انواعاً من وجود - تعدّ تالية لوجودها - هي معناها، وهويتها المثالية، وصورتها، ونتائجها، وثوابها - ان كانت كلمة طيبة - وحقيقتها.. وامثالها من انواع الوجود الكثيرة التي تتركها ثم تغيب وتختفي، وقد اثبتنا ذلك تفصيلاً في «المكتوب الرابع والعشرين».

فوجودي ايضاً مثل تلك الكلمة تماماً، وكذا وجود كل ذي حياة. اذا ما رحل عن الوجود الظاهري، فانه يترك روحه - ان كان من ذوي الارواح - ويترك معناه، وحقيقته، ومثاله، ونتائجه الدنيوية لماهيته الشخصية وثمراتها الاخروية، وهويته، وصورته، يترك كل ذلك في القوى الحافظة لذاكرة الناس، وفي الالواح المحفوظة، وفي شرائط افلام المناظر السرمدية، وفي مشاهد العلم الازلي، مودعاً في دفتر اعماله تسبيحاته الفطرية التي تمثله وتمنحه البقاء وتلبيته الفطرية لتجليات الاسماء الإلهية ومقتضياتها، وقيامه بوظيفة المرآة الظاهرة، فعلمت علم اليقين أن الموجود يترك بدلاً من وجوده الظاهري انواعاً كثيرة من وجود معنوي - امثال ما ذكر - هي اسمى وارقى منه ثم يرحل.

وهكذا يمكن ان يكون الانسان مالكاً لهذه الانواع المذكورة من وجود معنوي باقٍ خالد، بالايمان وبما فيه من شعور وانتساب. وانه لولا الايمان لضاع في العبث وذهب الى العدم، فضلاً عن حرمانه من تلك الانواع من الوجود.

كنت أتأسف كثيراً - في وقت ما - على زوال ازاهير الربيع وفنائها بسرعة، حتى كنت أتألم لحال تلك اللطيفات، ولكن الحقيقة الايمانية التي وضحت هنا قد بيّنت ان تلك الازاهير -كما ذكر- هي بذور ونوى في عالم المعنى تثمر كالشجرة والسنبل جميع انواع ذلك الوجود -عدا الروح- كما ذكر؛ فما تغنمه اذن تلك الازاهير من حيث نور الوجود هي مائة ضعف وضعف لما تفقده من وجود، اذ وجودها الظاهري لا يُمحى بل يختفي.. فضلاً عن ان تلك الازاهير هي صور متجددة لحقيقتها النوعية الباقية؛ اذ موجودات الربيع الماضي من اوراق وازاهير وثمرات وامثالها هي امثال ما في هذا الربيع. والفرق هو اعتباري فحسب، ففهمت أن هذا الفرق الاعتباري ايضاً انما هو لإضفاء معاني متعددة ومختلفة على كلمات الحكمة هذه، وعبارات الرحمة

وحروف القدرة الإلهية هذه. وهذا الفهم دفعني الى ان أردد: ما شاء الله.. بارك الله.. بدلاً من ان تذهب نفسي حسراتٍ على زوال تلك الازاهير.

ولقد شعرت من بعيد بشعور الايمان ببديع السموات والارض وبرابطة الانتساب اليه كم يكون الانسان – لو كان ذا شعور – فخوراً ومكرّماً ، بأنه اثرٌ من آثار ذلك الخالق القدير وانه مصنوع مَن زيّن السموات بمصابيح النجوم وجمّل الارض بالأزاهير وبدائع المخلوقات واظهر مئات المعجزات في كل ما أبدعته قدرته. وكم يكون الانسان مناط قيمة عظيمة وكرامة فائقة بالايمان به والانتساب اليه والشعور به لاسيما اذا ما كتب – ذلك الصانع المعجز المطلق – كتاب السموات والارض، ذلك الكتاب الضخم في نسخة مصغرة وهي الانسان، واذا ما جعل هذا الانسان منتخباً وخلاصة كاملة لذلك الكتاب فانه سيملك ذلك الشرف والكمال والقيمة العالية بالايمان وبالشعور والانتساب.

ولما كنت قد تعلمت هذا الدرس من الآية الكريمة ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾ فقد تلوتها وانا احمل نية وتصوراً انني اتلوها بلسان الموجودات كلها.

المرتبة النورية الحسبية الخامسة

لقد تصدّعت حياتي حيناً تحت اعباء ثقيلة جداً، حتى لفتت نظري الى العمر، والى الحياة فرأيت أن عمري يجري حثيثاً الى الآخرة.. وان حياتي التي قربت الى الانتهاء قد توجهت نحو الانطفاء تحت المضايقات العديدة، ولكن الوظائف المهمة للحياة ومزاياها الراقية وفوائدها الثمينة المذكورة في الرسالة التي تبحث عن اسم «الحي» لاتليق بهذا الانطفاء السريع، بل تليق بحياة طويلة، مديدة، ففكرت في هذا بكل ألم وأسى، وراجعت استاذي الآية الكريمة ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾ فقالت لي: انظر الى الحياة كما يريدها «الحي القيوم» الذي وهب لك الحياة فنظرت اليها بهذا المنظار وشاهدت أنه ان كان للحياة وجه واحد متوجه اليّ انا فان لها مائة وجه متوجه الى «الحي المحيي» وان كانت لها نتيجة واحدة تعود اليّ انا، فان لها الفاً من النتائج تعود الى خالقي؛ لذا فان لحظة واحدة من الحياة، او آناً من الوقت ضمن هذه الجهة كافٍ جداً، فلا حاجة الى زمان طويل.

ولما كانت هذه الحقيقة قد وضحت بالبراهين في اجزاء رسائل النور، نبيّن خلاصة مختصرة لها في اربع مسائل.

المسألة الاولى:

نظرت الى الحياة من حيث توجّه ماهيتها وحقيقتها الى «الحي القيوم» فرأيت وعلمت:

ان ماهية حياتي هي مخزن مفاتيح كنوز الاسماء الإلهية.. وخريطة مصغرة لنقوشها البديعة.. وفهرس تجلياتها.. ومقياس دقيق وميزان حساس لوزن حقائق الكون الكبرى.. وكلمة حكيمة مكتوبة تَعرف وتُعرّف وتَفهم وتُفهّم الاسماء الجليلة القيمة للحي القيوم. فحقيقة الحياة بهذا النمط تكسب الوفاً من مراتب القيمة والمكانة، بل يجد دوامها ساعة من الزمان اهمية عمر مديد. لذا لاينظر الى طولها وقصرها من حيث علاقتها بالذات الجليلة المنزّهة عن الزمان.

المسألة الثانية:

نظرت الى حقوق الحياة الحقيقية فرأيت:

ان حياتي رسالة ربانية تستقرئ نفسها لأخوتي المخلوقات من ذوات الشعور، وهي موضع مطالعة يعرّف الخالق الكريم. وهي لوحة اعلان تعلن كمالات خالقي.. وفهمت أن من حقوقها التزّين بشعور تام بما أنعم عليها خالق الحياة – بالحياة – من هدايا قيّمة وخلعاً نفيسة لعرضها امام نظر السلطان الجليل في العرض اليومي المكرر عرضاً مكللاً بالايمان والشعور والشكر والامتنان.

وكذا من حقوقها ادراك تحيات ذوي الحياة غير المحدودين الذين يصفون بها خالقهم، وفهم هدايا تسبيحاتهم التي يقدّمونها شكراً وحمداً لله، ومشاهدتها والاعلان عنها بالشهادة عليها.

وكذا من حقوقها اظهار محاسن ربوبية «الحي القيوم» بلسان الحال والمقال والعبودية له.. وهكذا فلا تتطلب امثال هذه الحقوق الرفيعة للحياة مدة مديدة، فضلاً عن انها ترفع من قيمة الحياة ودرجتها ألف مرة وهي أعلى وأسمى وافضل بمائة مرة من حقوق دنيوية للحياة.

واذ علمت هذا علم اليقين قلت: سبحان الله، ما اعظم الايمان! وما اكثره حيوية، ما دخل في شئ الاّ نفخ فيه الحياة، بل ان شعلة منه تحول مثل هذه الحياة الفانية الى حياة باقية دائمة وتزيل ختم الفناء المضروب عليها.

المسألة الثالثة:

نظرت الى الفوائد المعنوية والوظائف الفطرية لحياتي المتوجهة الى خالقي الكريم. فرأيت: أن حياتي تؤدي وظيفة المرآة لخالق الحياة بثلاثة وجوه:

الوجه الاول: ان حياتي بضعفها وعجزها وفقرها واحتياجها، تؤدي مهمة مرآة عاكسة لقدرة خالق الحياة وقوته وغناه ورحمته. اذ كما تُعلم درجات لذة الطعام بمقدار الجوع، وتُعلم مراتب الضوء بمراتب الظلام، وتُعلم درجات الحرارة بمقياس البرودة. كذلك عرفتُ بالعجز والفقر غير المحدودين الكامنين في حياتي القدرة المطلقة لخالقي ورحمته الواسعة من حيث ازالة حاجاتي التي لاتنتهي ودفع اعدائي الذين لايعدون،. فعلمت وظيفة العبودية وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء والتذلل.

الوجه الثاني: هو قيام معاني العلم والارادة والسمع والبصر وامثالها من الاوصاف الجزئية في حياتي، قيامها بوظيفة مرآة عاكسة لصفات كلية محيطة وشؤون جليلة لخالقي الكريم.

نعم! لقد علمت بجزئيات صفات كالعلم والسمع والبصر والكلام والارادة التي تتصف بها حياتي الخاصة وافعالي التي اؤديها بشعور، علمت بها - بنسبة صغري الى عظم الكون - الصفات الكلية المحيطة لخالقي مِن علم وارادة وسمع وبصر وحياة وقدرة وفهمت بها كذلك شؤونه الجليلة امثال المحبة والغضب والرأفة والشفقة فآمنت بتلك الصفات والشؤون الجليلة وصدّقت بها وشهدت عليها ووجدت منها طريقاً آخر الى معرفة الله.

الوجه الثالث: هو قيام حياتي بوظيفة المرآة للاسماء الإلهية التي تتجلى عليها نقوشها.

نعم! كلما نظرت الى حياتي والى جسمي لمست مئات الانماط من آثار المعجزات والنقوش والابداع فضلاً عن مشاهدتي بأني أُربّى تربية في منتهى الشفقة والرحمة

فعرفت بنور الايمان ان الذي خلقني ويديم حياتي هو في منتهى السخاء والرحمة واللطف وفي غاية القدرة والابداع. وعرفت ماذا يعني التسبيح والتقديس والحمد والشكر والتكبير والتعظيم والتوحيد والتهليل وامثالها من وظائف الفطرة وغاية الخلقة ونتائج الحياة.

فعلمت بعلم اليقين سبب كون الحياة ارقى مخلوق في الكون، وسرّ كون كل شئ مسخراً للحياة، وحكمة وجود شوق فطري لدى الجميع نحو الحياة، وأن روح الحياة انما هو الايمان.

المسألة الرابعة:

ترى ما اللذة الحقيقية لحياتي الدنيوية هذه، وماسعادتها؟ راجعت الآية الكريمة ايضاً ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾ لأجد الجواب؛ فرأيت وفهمت منها:

ان اصفى لذة وانقى سعادة لحياتي هذه، انما هو في الايمان. اي: الايمان الجازم بأني مخلوق من خلقني ورباني، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته وعنايته ومحتاج اليه كل حين، وهو ربي وإلهي وهو الرحيم والرؤوف بي.

فايماني هذا لذة مابعدها لذة، لذةٌ كافية وافية دائمة وسعادة خالصة نقية لايعكرها ألم. ففهمت من تلك الآية الكريمةكم يكون اذن عبارة «الحمد لله على نعمة الايمان» عبارة جديرة ولائقة.

وهكذا وضحت هذه المسائل الاربع التي تخص حقيقة الحياة وحقوقها ووظائفها ولذتها المعنوية :

ان الحياة كلما توجهت الى «الحي القيوم الباقي» وكان الايمان حياةً وروحاً ممّداً لها، اكتسبت البقاء، بل اعطت ثماراً باقية، بل رقت وعلت الى درجة الحظوة بتجلي السرمدية. وعندها لايُنظر الى قصر العمر وطوله.

نعم هكذا فهمت من الآية الكريمة، وتلقيت درسي منها وتلوت ﴿**حَسبُنا الله ونِعمَ الوَكيل**﴾ نية وتصوراً وخيالاً باسم جميع انواع الحياة وذوي الحياة.

المرتبة النورية الحسبية السادسة

من خلال الشيب الذي يذكّر بفراقي الخاص، ومن خلال تلك الفراقات العامة الشاملة التي تنبئ عن حوادث قيام الساعة ودمار الدنيا، ومن خلال الانكشاف الواسع فوق العادة في اوآخر عمري لأحاسيس الجمال والعشق له والافتتان بالكمالات المغروزة في فطرتي.. من خلال كل هذا:

رأيت ان الزوال والفناء اللذين يدمران دائماً، وان الموت والعدم اللذين يفرّقان باستمرار، رأيتهما يفسدان بشكل مرعب ومخيف، جمال هذه الدنيا الرائعة الجمال ويشوهانه بتحطيمهما لها، ويُتلفان لطافة هذه المخلوقات.. فتألّمت من اعماقي بالغ التألم لما رأيت. ففار ما في فطرتي من عشق مجازي فوراناً شديداً وبدأ يتاجج بالرفض والعصيان امام هذه الحالة المفجعة، فلم يك لي منها بد الاّ مراجعة الآية الكريمة ايضاً لأجد المتنفس والسلوان، فقالت: «إقرأني جيداً، أنعم النظر في معانيَّ» وأنا بدوري دخلت الى مركز الارصاد لسورة النور لآية ﴿ **الله نور السموات والارض...** ﴾. فنظرت من هناك «بمنظار» الايمان الى أبعد طبقات الآية الحسبية، وفي الوقت نفسه نظرت «بمجهر» الشعور الايماني الى أدق اسرارها... فرأيت انه مثلما تظهر المرايا والزجاج والمواد الشفافة وحتى زبد البحر وحبابه الجمال المخفي المتنوع لضوء الشمس، ومختلف جمال الألوان السبعة لضوئها، وبتجددها وبتحركها وقابليتها المختلفة وانكساراتها المتنوعة تجدد الجمال المتستر للشمس ولضوئها ولألوانها السبعة، فكذلك الامر في هذه المصنوعات الجميلة وهذه المخلوقات اللطيفة والموجودات الجميلة لاتلبث أن تذهب دون توقف لتقوم مقام مرايا عاكسة للجميل ذي الجلال الذي هو «نور الأزل والابد» مجدّدة بذلك تجليات جماله المقدس وتجليات الجمال السرمدي لأسمائه الحسنى جل وعلا. فالجمال الظاهر في هذه المخلوقات والحسن البارز فيها اذن ليس هو ملك ذاتها، وانما هو اشارات الى ذلك الجمال المقدس السرمدي الذي يريد الظهور، وعلامات ولمعات لذلك الحسن المجرد الدائم التجلي والجمال المنزّه الذي يريد المشاهدة والاشهاد. وقد وضحّت هذا مفصلاً في «رسائل النور» بدلائله القاطعة وبراهينه الدامغة لذا سنشير هنا الى ثلاثة براهين منها فقط اشارة قصيرة.

□ البرهان الاول:

ان جمال اثر مصنوع يدل دلالة قاطعة على جمال صُنعه، وان جمال الصنع واتقانه هذا يدل على جمال عنوان صانعه الناشئ من تلك الصنعة، وان جمال عنوان الصانع المتقن يدل على جمال صفة ذلك الصانع التي تعود الى تلك الصنعة، وان جمال صفته هذه يدل على جمال قابليته واستعداده، وان جمال قابليته يدل على جمال ذاته وجمال حقيقته.

فكما ان هذه الدلالات قاطعة وبدهية، كذلك الحسن والجمال الظاهر في المخلوقات الجميلة، في هذا العالم كله، والصنع البديع المشاهد في المصنوعات الجميلة كلها يشهد شهادة قاطعة على حسن أفعال الصانع الجليل وجمالها. وان الحسن في افعاله – تعالى – وجمالها يدل بلا ريب على حسن العناوين المشرفة على تلك الافعال وجمالها، اي على حسن الاسماء وجمالها. وان حسن الاسماء وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الصفات المقدسة وجمالها، التي هي منشأ تلك الاسماء. وان حسن الصفات وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الشؤون الذاتية وجمالها، التي هي مبدأ تلك الصفات. وان حسن الشؤون الذاتية وجمالها يدل بالبداهة ويشهد شهادة قاطعة على حسن «الذات» وجماله، الذي هو الفاعل والمسمّى والموصوف، ويدل على الكمال المقدس لماهيته والجمال المنزّه لحقيقته. بمعنى ان للصانع الجميل جمال وحُسن لاحد له يليق بذاته المقدسة، بحيث أن ظلاً من ظلاله قد جمّل هذه الموجودات كلها. وأن له سبحانه جمالاً منزّهاً مقدساً بحيث أن جلوة من جلواته قد أضفت الجمال على الكون كله، ونورت دائرة الممكنات كلها بلمعات حسن وجمال وزينتها بأبهى زينة.

نعم، ان الاثر المصنوع كما لايمكن أن يكون بلا فعل، فالفعل كذلك لايمكن أن يكون بلا فاعل، وكما أنه محال أن تكون اسماء بلا مسميات كذلك محال أن تكون الصفات بلا موصوف.

فما دام وجود مصنوعٍ واثرٍ يدل بالبداهة على فعلِ فاعل ذلك الاثر، وان وجود ذلك الفعل يدل على وجود فاعله وعلى عنوانه وعلى صفاته التي انتجت ذلك الاثر

وعلى اسمه، فلاشك ان كمال اثرٍ ما وجماله ايضاً، يدل على كمال الفعل وجماله الخاصّين به، وهذا يدل على جمال الاسم الذي يليق به، وهذا يدل على كمال الذات والحقيقة وجمالها بما يليق ويوافق الذات والحقيقة دلالة قاطعة بعلم اليقين وبالبداهة.

وكذلك الامر في الفعالية الدائمة التي تستشف من خلال حجب هذه الآثار البديعة،فكما انها محال أن تكون بلا فاعل،كذلك جلوات الاسماء التي تشاهد نقوشها على هذه المصنوعات محال أن تكون بلا مسمّى، وكذا القدرة والارادة وأمثالها من الصفات الجليلة التي تُحس احساساً قاطعاً كانك تراها محال أن تكون بلا موصوف.

لذا فان جميع الاثار والمخلوقات والمصنوعات في هذا الكون كله تدل بوجودها غير المحدود دلالة قاطعة على وجود افعال خالقها وصانعها وفاعلها وعلى وجود اسمائه وعلى وجود اوصافه وعلى وجود شؤونه الذاتية وعلى وجوب وجود ذاته المقدسة جل جلاله.

كذلك فان مايشاهد على جميع المصنوعات من انواع الكمال المتنوعة واضراب الجمال المختلفة والوان الحسن المتغايرة يدل دلالة في غاية القطعية ويشهد شهادة في منتهى الصراحة على كمالات لاحد لها ومحاسن لانهاية لها في افعال الصانع الجليل وفي أسمائه وفي صفاته وفي شؤونه وفي ذاته المقدسة، بما يلائم ويوافق قدسيته ووجوبه وتعاليه ويدل كذلك على جمال متنوع عال سام هو أرفع من الكون طراً.

□ البرهان الثاني: فيه خمس نقط:

النقطة الاولى:

ان أئمة اهل الحقيقة كلهم – مع الاختلاف في مشاربهم والبعد في مسالكهم – يعتقدون مستندين الى الذوق والكشف ويقررون بالاجماع والاتفاق: ان الحسن والجمال الموجود في الموجودات كلها انما هو ظل جمالٍ مقدس لواجب الوجود وحسنه المنزّه، وانما هو لمعاته وجلواته من وراء حجب واستار.

النقطة الثانية:

ان جميع المخلوقات الجميلة تأتي الى هذا العالم قافلة اثر اخرى ثم تغادره وتغيب في افق الفناء، ولكن الجمال السامي المنزّه عن التبدل، والذي يظهر نفسه بتجليه على تلك المرايا يبقى ويدوم، مما يدل دلالة قاطعة على أن ذلك الجمال ليس ملك تلك الجميلات ولاجمال تلك المرايا، بل هو أشعة جمال سرمدي، كما يدل دوام جمال اشعة الشمس على حباب الماء الجاري على جمالها الدائم.

النقطة الثالثة:

ان مجئ النور من النوراني، والوجود من الموجود، والاحسان من الغنى، والسخاء من الثروة، والتعليم من العلم امور بدهية، كذلك من البدهي ان منح الحسن ايضاً هو من الحسن واضفاء الجمال لايكون الاّ من الجميل.

فبناء على هذه الحقيقة نعتقد ونقول:

ان جميع انواع الجمال المشاهدة على الكائنات كلها، تأتي من جميل لامنتهى لجماله بحيث أن هذه الكائنات المتبدلة دوماً والمتجددة باستمرار تصف جمال ذلك الجميل وتعرّفه، بجميع موجوداتها وبألسنة ادائها لوظيفة مرآة عاكسة لذلك الجمال.

النقطة الرابعة:

كما أن الجسد يستند الى الروح ويقوم بها وتُبعث فيه الحياة بها، واللفظ يتنور على وفق المعنى، والصورة تستند الى حقيقة وتتزود منها قيمتها. كذلك هذا العالم، عالم الشهادة المادي الجسماني انما هو جسد، ولفظ، وصورة، يستند الى الاسماء الإلهية المحتجبة وراء ستار عالم الغيب، فهو يحيا بتلك الاسماء التي تبعث فيه الحيوية، ويتوجه اليها، فيزداد جمالاً وبهاءً.

فجميع انواع الجمال المادي نابع من جمال معنوي لمعانيها، ومن حسن معنوي لحقائقها. أما حقائقها فتستفيض من الاسماء الإلهية، وهي نوع من ظلال تلك الاسماء.

هذه الحقيقة اثبتت في رسائل النور اثباتاً قاطعاً.

بمعنى أن جميع انواع الجمال الموجود في هذا الكون وجميع انماطه وألوانه، انما هو تجليات واشارات وامارات جمال مقدس عن القصور ومجرّد عن المادة تتجلى من وراء عالم الغيب بوساطة اسماء . ولكن كما ان الذات الإلهية المقدسة لاتشبه ابداً اية ذات اخرى، وان صفاته تعالى جليلة منزّهة كلياً عن صفات الممكنات. كذلك جماله المقدس ايضاً لايشبه جمال الممكنات وليس كحسن المخلوقات قطعاً. بل هو جمال سام عال رفيع منزّه مقدس مطلق.

نعم! ان كانت الجنة الباهرة، الرائعة مع جميع مظاهر حسنها وروعتها هي تجلٍ من تجليات جماله سبحانه وان رؤية اهل الجنة جماله تعالى لساعة من زمان يُنسيهم حتى تلك الجنة الجميلة، فلاشك ان هذا الجمال السرمدي لانهاية له، ولاشبيه له، ولانظير له، ولامثيل له قطعاً.

ومن المعلوم أن حُسن كل شئ يلائمه ويكون على وفقه، وانه يوجد بالوف الانماط من الجمال والالوان فيختلف بعضها عن بعض، كاختلاف الانواع في المخلوقات.

فمثلاً: الجمال الذي يحسّ بالعين لايشبه حتماً حسناً تحسه الاذن، وان حسناً عقلياً يدرك بالعقل لايشبه حسن الطعام الذي يحس بالفم ويتذوقه، كذلك الجمال الذي يستحسنه ويشعر به القلب والروح وسائر الحواس الظاهرة والباطنة، هذا الجمال مختلف كذلك كأختلاف تلك اللطائف والحواس.

ومثلاً: جمال الايمان وجمال الحقيقة وحُسن النور وحُسن الزهرة، وجمال الروح وجمال الصورة وجمال الشفقة وجمال العدالة وحسن الرحمة وحسن الحكمة.. كل نوع من انواع هذا الجمال مختلف عن الآخر. كذلك جمال الاسماء الحسنى لجميل ذي جلال، هذا الجمال الذي هو جمال مطلق يختلف بعضه عن بعض، لذلك اختلفت انواع الحسن والجمال في الموجودات لأجله.

فان شئت ان تشاهد جلوة من انواع حسن اسماء الجميل ذي الجلال المتجلية على مرايا الموجودات، فانظر بعين خيالية واسعة الى سطح الارض لتراه كحديقة صغيرة امامك واعلم ان الرحمانية والرحيمية والحكيمية والعادلية وامثالها من التعابير، انما هي اشارات الى اسماء الله تعالى والى افعاله والى صفاته والى شؤونه الجليلة.

فانظر الى أرزاق الاحياء – وفي مقدمتها الانسان – انها ترسل بانتظام بديع من وراء ستار الغيب.. فشاهد جمال الرحمانية الإلهية.

وانظر الى اعاشة الصغار جميعها، اعاشة خارقة، يسيل لها كالسلسبيل الطاهر ألذ غذاء واصفاه من اثداء امهاتها المتدلية فوق رؤوسها.. فشاهد الجمال الجاذب، جمال الرحيمية الربانية.

وانظر الى الكائنات كلها بانواعها جميعها كيف جعلتها الحكمة الإلهية ككتاب كبير، كتاب حكمة بليغة بحيث ان في كل حرف منه مائة كلمة، وفي كل كلمة مئات الأسطر وفي كل سطر الف باب وباب وفي كل باب الوف الكتب الصغيرة.. فشاهد الجمال بلا نظير، جمال الحكيمية الإلهية.

وانظر الى الكون اجمع، لقد ضم العدل الإلهي جميع موجوداته تحت جناح ميزانه ويديم موازنة الاجرام العلوية والسفلية، ويعطيها التناسب والتلاؤم الذي هو أهم اساس للجمال، ويجعل كل شئ في افضل وضع واجمله، ويعطي كل ذي حياة حق الحياة، فيحق الحق ويحدّ من تجاوز المعتدين ويعاقبهم.. فشاهد الجمال الباهر جمال هذه العادلية الإلهية.

وانظر الى الانسان، لقد كتب الحفيظ تأريخ حياته السابقة في قوة حافظته وذاكرته التي لاتتجاوز حبة حنطة، وادرج تاريخ الحياة التالية لكل نبات وشجر في بذيراته ونوياته واعطى كل ذي حياة ما يعينه على حفظ حياته من آلات واجهزة فانظر مثلاً: الى جناح النحل وابرة لسعها، والى رماح الازهار المشوكة الدقيقة، والى القشور الصلبة للبذور. فشاهد الجمال اللطيف جمال الحافظية لطافة جمال الحفيظية الربانية.

وانظر الى مضايف الرحمن الرحيم الكريم المنصوبة على سفرة الارض كلها.

وانظر الى مافي هذه الاطعمة غير المحدودة من روائح طيبة متنوعة، والوان جميلة متباينة ومذاقات لذيذة مختلفة، ثم أنعم النظر في اجهزة كل ذي حياة كيف أنها تتلائم مع اذواق حياته ولذائذها.. فشاهد الجمال الحلو الذي لا جمال فوقه جمال الاكرام، والكريمية الربانية.

وانظر الى صور الحيوانات ولاسيما الانسان، تلك الصور البديعة الحكيمة، التي تتفتح من نطف جميع الحيوانات بتجليات إسمَي «الفتاح والمصوّر» وتأمل في الوجوه

الملاح لازاهير الربيع وهي في غاية الجاذبة المتفتحة من بذيرات متناهية في الصغر.. فشاهد الجمال المعجز، جمال الفتاحية والمصورية الإلهية.

وهكذا على غرار هذه الامثلة المذكورة؛ فإن لكل اسم من الاسماء الحسنى جمالاً خاصاً به، جمالاً مقدساً منزّهاً، بحيث أن جلوة من جلواته تجمّل عالماً ضخماً بكامله، وتلقي الحسن والبهاء على نوع لايحد.

فكما تشاهد تجلي جمال اسمٍ من الاسماء في زهرة واحدة، فالربيع كذلك زهرة والجنة كذلك زهرة لايراها النظر.

فان كنت تستطيع أن تنظر الى الربيع، كل الربيع، وترى الجنة بعين الايمان، فانظر وشاهد لتدرك مدى عظمة الجمال السرمدي.

فان قابلت ذلك الجمال الباهر بجمال الايمان وبجمال العبودية تكن أحسن مخلوق وفي احسن تقويم ولكن ان قابلت ذلك الجمال بقبح الضلالة غير المحدود، وقبح العصيان البغيض، تكن اقبح مخلوق وارداه، وابغض مخلوق معنىً لدى جميع الموجودات الجميلة.

النقطة الخامسة:

ان شخصاً عظيماً يملك مئات المهارات والابداعات والمزايا والكمالات والمحاسن، قد بنى قصراً فخماً خارقاً، ليعرّف ويبين به مهاراته وابداعاته وصنعته المتقنة وكمالاته وجماله المخفي، وذلك حسب قاعدة: ان كل مهارة تطلب الاعلان عن نفسها، وكل صنعة جميلة متقنة تريد أن تدفع الآخرين الى تقديرها، وكل كمال ومزية يحاول إظهار نفسه، وكل جمال وحسن يريد ان يبين نفسه.

هذا وان كل مَن يشاهد هذا القصر المنيف المليء بالمعجزات والخوارق لاشك ينتقل فكره مباشرة الى حذاقة بانيه ومهارته، وابداع مالكه واتقانه، وجمال صاحبه وكمالاته ومزاياه، حتى يقوده هذا التأمل الى التصديق بتلك الفضائل والمزايا والايمان بها كأنه يشاهدها بعينه؛ اذ يقول: «ان مَن لم يكن جميلاً بنواحيه وجوانبه كافة، ومبدعاً في اموره وشؤونه كافة، لايمكن أن يكون مصدر هذا القصر البديع في كل جهة من جهاته ولايمكن أن يكون موجده وبانيه ومخترعه ـ اي من غير تقليد ـ بل أن

محاسن ذلك الباني المعنوية وكمالاته كأنها قد تجسمت بهذا القصر.. هكذا يقول وهكذا يقضي ويقرر».

والامر كذلك فيمن ينظر الى جمال هذا العالم المسمى بالكون، هذا المعرض البديع والقصر الباذخ والمخلوقات العجيبة، اذ لاشك ان فكره ينتقل مباشرة الى ان هذا القصر الذي تزيّن بهذا الجمال الرائع انما هو مرآة عاكسة لإظهار محاسن غيره وجماله وكماله، مالم يختل عقله ويفسد قلبه.

نعم، مادام هذا القصر، قصر العالم ليس له مثيل يشبهه، كي يُقتبس الجمال منه وتُقلّد المحاسن منه، فلاشك أن صانعه وبانيه له من المحاسن والجمال مايليق به في ذاته وفي اسمائه، بحيث يقتبس العالم الجمال منه. ولأجل ذلك بني هذا العالم على وفق انوار ذلك الجمال، وكُتب كالكتاب المتقن البديع ليعبّر عن ذلك الجمال.

□ البرهان الثالث: له ثلاث نكات:

النكتة الاولى:

وهي الحقيقة المذكورة في «الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين» والتي جاءت فيه بتفصيل جميل للغاية مع حجج قوية دامغة. نحيل تفاصيلها الى تلك الرسالة مشيرين هنا اشارات مختصرة اليها على النحو الآتي:

اننا ننظر الى هذه المصنوعات ولاسيما الحيوانات والنباتات الماثلة امامنا، فنرى ان تزييناً دائماً وتجميلاً لطيفاً وتنظيماً دقيقاً - لايمكن احالته على المصادفة - يهيمن عليها، مما يبيّن القصد والارادة ويُشعر بالعلم والحكمة.

ويشاهد كذلك ان في كل شئ صنعة متقنة وحكمة دقيقة وزينة رفيعة وترتيباً ذا شفقة ووضعاً حلواً، لاستجلاب الاعجاب الى الصنعة، ولفت الانظار اليها، وارضاء المشاهدين. مما يفهم بداهة ان وراء حجاب الغيب صانعاً بديعاً يريد أن يعرّف نفسه الى ذوي الشعور، ويحبّب نفسه اليهم ويسوقهم الى الثناء عليه بابراز كثير من ابداعاته وكمالاته في كل صنعة من مصنوعاته.

وكذا يشاهد أنه سبحانه يُحسن اليهم بأنواع من النعم الطيبة اللذيذة، يحسنها اليهم من حيث لم يحتسبوا – مما لايمكن حمله على المصادفة – ليجعل اولئك الشاعرين في امتنان ورضى عنه واودّاء له.

وكذا يشاهد، معاملة معرفة حميمة معنوية، مكللة بالكرم، ويسمع مكالمة ومخاطبة بلسان الحال ينم عن الود والمحبة، واستجابة وقبول للادعية، استجابة تتسم بالرحمة.. مما يشعر شفقة عميقة جداً ورحمة رفيعة جداً.

بمعنى أن ما يشاهد من الاكرام بالانعام واذاقة اللذة، وراء التعريف والتودد الظاهرين ظهور الشمس، انما ينبعان من ارادة شفقة في منتهى الاصالة والرسوخ، ومن رغبة في الرحمة في منتهى القوة والسعة.

فوجود مثل هذه الارادة القوية الاصيلة في الشفقة والرحمة في مَن هو مستغنٍ مطلق، اي لاحاجة له الى اي شئ كان ابداً، دليل على أنه يملك جمالاً سرمدياً في منتهى الكمال، وحسناً ازلياً لايزول ابداً، وجمالاً لامثيل له على الاطلاق ولاشبيه، هذا الجمال السرمدي الخالد، من مقتضى ماهيته انه يريد الشهود والاشهاد في المرايا، ومن شأن حقيقته أنه يريد الظهور والبروز حتى اتخذ صورة الرحمة والشفقة، لأجل اراءة نفسه ورؤيته في المرايا المختلفة، واتخذ صورة الانعام والاحسان في المرايا ذات المشاعر،ثم تقلّد وضع التحبب والتودّد والتعرف، ثم اعطى النور، نور التجميل، وضياء التزيين الى الكائنات طراً.

ان وجود عشق إلهي شديد ومحبة ربانية قوية لدى مَن لايحصيهم العد من بنى الانسان ولاسيما في طبقته العليا، على الرغم من اختلاف مسالكهم، يشير – بالبداهة – الى جمال لامثيل له بل يشهد له شهادة قاطعة.

نعم! ان مثل هذا العشق يصوب نظره الى مثل هذا الجمال ويقتضيه، وان مثل هذه المحبة تتطلب مثل هذا الحسن. بل ان ما في جميع الموجودات من حمد وثناء عام سواءً بلسان الحال او المقال، انما يتوجه الى ذلك الحسن الازلي ويصعد اليه.

بل ان جميع الانجذابات والاشواق والجاذبات والجواذب الموجودة في الكون كله والحقائق الجذابة انما هي اشارات الى حقيقة جاذبة ابدية ازلية وان دوران الاجرام

العلوية والسفلية وحركاتها التي تؤديها كالمريد المولوي العاشق الذي ينهض للسماع، انما هو مقابلة ذات عشق في اداء الوظيفة تجاه الظهور المهيمن للجمال المقدس لتلك الحقيقة الجاذبة. كما هو لدى بعض العاشقين امثال شمس التبريزي (١).

النكتة الثالثة:

لقد اجمع اهل التحقيق: ان الوجود خير محض ونور، وان العدم شر محض وظلام واتفق ائمة اهل القلب والعقل على ان جميع الخيرات والحسنات والمحاسن واللذائذ- نتيجة التحليل - ناشئة من الوجود، وان جميع المفاسد والشرور والمصائب والآلام - حتى المعاصي - راجعة الى العدم.

ان قلت :

كيف يكون الوجود منبع جميع المحاسن، وفي الوجود كفر وانانية النفس ؟

الجواب: اما الكفر، فلانه انكار لحقائق الايمان ونفي لها، فهو عدم. واما وجود الانانية فهو عدم، الاّ أنه اصطبغ بصبغة الوجود واتخذ صورته حيث أنه تصوّر الموهوم حقيقةً واقعة، وتملّك غيرحقيقي وجهل الانانية كونها مرآة ليس الاّ.

فما دام منبع جميع انواع الجمال هو الوجود ومنبع جميع انواع القبائح هو العدم، فلاشك ان أقوى وجود واعلاه وأسطعه وأبعده عن العدم، هو وجود واجب ازلي وابدي. وهو يتطلب اقوى جمالاً واعلاه وأسطعه وأبعده عن القصور، بل يعبّر عن مثل هذا الجمال، بل يكون هذا الجمال، اذ كما تستلزم الشمس الضياء المحيط بها يستلزم الواجب الوجود جمالاً سرمدياً ايضاً، فينور به.

الحمد لله على نعمة الايمان

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾

﴿ سبحانك لاعلم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ﴾

* * *

(١) هو شمس الدين بن علي بن ملك داد التبريزي، الصوفي، المتخلص بشمس صاحب جلال الدين الرومي، المتوفي سنة ٦٤٥هـ. له ديوان شعره، فارسي. (هدية العارفين ١٢٣/٢ وقاموس الاعلام ٢٨٧٢/٤). المترجم.

ملاحظة:

كان المؤمل أن تكتب تسع مراتب من المراتب النورية الحسبية. الاّ أنه أُجلت حالياً ثلاث مراتب منها بناء على بعض الاسباب.

تنبيه:

ان رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فان فيها تكرارات ضرورية مُساقة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة، الحكيمة، الضرورية، والتي لاتُسئم القارئ ابداً.

وكذا لأن رسائل النور هي دلائل كلمة التوحيد التي تكرر باستمرار على الألسنة في ذوق وشوق دون سأم، فان تكراراتها الضرورية لاتعدّ نقصاً فيها، ولاتضجر القارئ ولاينبغي لها أن تضجر.

الباب الخامس

في مراتب ﴿حَسبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ﴾ (١).

وهو خمس نكت..

□النكتة الاولى:

فهذا الكلام دواء مجرب لمرض العجز البشري وسقم الفقر الانساني ﴿حَسبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ﴾؛ اذ هو الموجد الموجود الباقي فلا بأس بزوال الموجودات لدوام الوجود المحبوب ببقاء موجده الواجب الوجود.

وهو الصانع الفاطر الباقي فلاحُزن على زوال المصنوع لبقاء مدار المحبة في صانعه.

وهو المَلكُ المالكُ الباقي فلا تأسّفَ على زوال المُلك المتجدد في زوال وذهاب.

وهو الشاهدُ العالمُ الباقي فلا تحسّر على غيبوبة المحبوبات من الدنيا لبقائها في دائرة علم شاهدها وفي نظره.

وهو الصاحب الفاطرُ الباقي فلا كدر على زوال المستحسنات لدوام منشأ محاسنها في اسماء فاطرها.

وهو الوارثُ الباعثُ الباقي فلا تلهّف على فراق الاحباب لبقاء من يرثهم ويبعثهم.

وهو الجميلُ الجليلُ الباقي فلا تحزّنَ على زوال الجميلات اللاتي هنّ مرايا للاسماء الجميلات لبقاء الاسماء بجمالها بعد زوال المرايا.

وهو المعبودُ المحبوبُ الباقي فلا تألّم من زوال المحبوبات المجازية لبقاء المحبوب الحقيقي.

(١) هذا الباب هو الباب الخامس من اللمعة التاسعة والعشرين العربية أدرجه الاستاذ النورسي هنا من دون الهوامش. فمن شاء فليراجعه كاملاً في اللمعة المذكورة. - المترجم.

وهو الرحمنُ الرحيمُ الودودُ الرؤوفُ الباقي فلا غمّ ولامأيوسيةَ ولا اهميةَ من زوال المنعمين المشفقين الظاهرين لبقاء مَن وسعتْ رحمتُه وشفقتهُ كلّ شئ.

وهو الجميلُ اللطيفُ العطوفُ الباقي فلا حُرقة ولاعبرةَ بزوال اللطيفات المشفقات لبقاء مَن يقوم مقام كلها، ولايقوم الكلُّ مقام تجلٍ واحدٍ من تجلياته، فبقاؤه بهذه الاوصاف يقوم مقام كل ما فني وزال من انواع محبوبات كل احدٍ من الدنيا.

﴿حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكيلُ﴾

نعم، حسبي من بقاء الدنيا وما فيها بقاءُ مالكها وصانعها وفاطرها.

❑ النكتة الثانية:

حسبي من بقائي أن الله هو إلهيَ الباقي، وخالقيَ الباقي، وموجديَ الباقي، وفاطريَ الباقي، ومالكيَ الباقي، وشاهديَ الباقي، ومعبوديَ الباقي، وباعثيَ الباقي، فلابأس ولا حزن ولا تأسّفَ ولا تحسر على زوال وجودي لبقاء موجدي، وايجاده باسمائه. ومافي شخصي من صفةٍ إلاّ وهي من شعاع اسمٍ من اسمائه الباقية، فزوالُ تلك الصفة وفناؤها ليس اعداماً لها، لانها موجودةٌ في دائرة العلم وباقيةٌ ومشهودة لخالقها.

وكذا حسبي من البقاء ولذّته علمي واذعاني وشعوري وايماني بأنه إلهي الباقي المتمثل شعاعُ اسمه الباقي في مرآة ماهيتي؛ وما حقيقة ماهيتي الاّ ظلٌّ لذلك الاسم. فبسرّ تمثّله في مرآة حقيقتي صارت نفسُ حقيقتي محبوبةً لا لذاتها بل بسرّ ما فيها وبقاءُ ما تمثل فيها انواعُ بقاءٍ لها.

❑ النكتة الثالثة:

﴿حَسبُنا الله ونعمَ الوكيل﴾ اذ هو الواجبُ الوجود الذي ما هذه الموجوداتُ السيالاتُ الاّ مظاهرُ لتجدّد تجليات ايجاده ووجوده، به وبالانتساب اليه وبمعرفته انوارُ الوجود بلاحدٍ، وبدونه ظلماتُ العَدَمات وآلام الفراقات الغير المحدودات.

وما هذه الموجودات السيالة الاّ وهي مرايا، وهي متجددة بتبدل التعينات الاعتبارية في فنائها وزوالها وبقائها بستة وجوه:

الاول: بقاءُ معانيها الجميلة وهوياتها المثالية.

والثاني: بقاءُ صورها في الالواح المثالية.

والثالث: بقاءُ ثمراتها الأخروية.

والرابع: بقاءُ تسبيحاتها الربانية المتمثلة لها، التي هي نوع وجودٍ لها.

والخامس: بقاؤها في المشاهد العلمية والمناظر السرمدية.

والسادس: بقاءُ ارواحها ان كانت من ذوي الارواح، وما وظيفتها في كيفياتها المتخالفة في موتها وفنائها وزوالها وعدمها وظهورها وانطفائها الاّ اظهار المقتضيات لاسماءٍ إلهية. فمن سرّ هذه الوظيفة صارت الموجودات كسيلٍ في غاية السرعة تتموّج موتاً وحياة ووجوداً وعدماً. ومن هذه الوظيفة تتظاهر الفعالية الدائمة والخلاّقية المستمرة، فلابد لي ولكل احدٍ أن يقول:

﴿حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيلُ﴾ يعني حسبي من الوجود انيّ اثر من آثار واجب الوجود. كفاني آن سيال من هذا الوجود المنور المظهر، من ملايين السنة من الوجود المزوّر الأبتر.

نعم بسرّ الانتساب الايماني تقوم دقيقةٌ من الوجود مقامَ أُلوف السنين بلا انتسابٍ ايماني، بل تلك الدقيقة أتم واوسع بمراتب من تلك الالاف سنةً.

وكذا حسبي من الوجود وقيمته أنيّ صنعةُ مَن هو في السماء عظمتُه وفي الارض آياتُه، وخَلقَ السموات والارض في ستة ايام.

وكذا حسبي من الوجود وكماله أني مَصنوعُ مَن زيّنَ ونوّرَ السماء بمصابيحَ، وزيّنَ وبهر الارض بازاهير.

وكذا حسبي من الفخر والشرف أني مخلوقٌ ومملوكٌ، وعبدٌ لمن هذه الكائنات بجميع كمالاتها ومحاسنها ظل ضعيفٌ بالنسبة الى كماله وجماله، ومن آيات كماله واشارات جماله.

وكذا حسبي من كل شئ مَن يدخر ما لايعد ولايحصى من نعمه في صنيدقاتٍ لطيفة هي بين (الكاف والنون) فيدّخر بقدرته ملايين القناطير في قبضة واحدة فيها صنيدقات لطيفة تسمى بذوراً ونوىً.

وكذا حسبي من كل ذي جمال وذي احسان، الجميلُ الرحيمُ الذي ما هذه المصنوعات الجميلات الاّ مرايا متفانية لتجدد انوار جماله بمرّ الفصول والعصور والدهور، وهذه النعم المتواترة والاثمار المتعاقبة في الربيع والصيف مظاهر لتجدد مراتب إنعامه الدائم على مرّ الانام والايام والاعوام.

وكذا حسبي من الحياة وماهيتها أني خريطةٌ وفهرستةٌ وفذلكةٌ وميزانٌ ومقياسٌ لجلواتِ اسماءِ خالقِ الموت والحياة.

وكذا حسبي من الحياة ووظيفتها كوني ككلمةٍ مكتوبةٍ بقلم القدرة، ومُفهمةٍ دالةٍ على اسماء القدير المطلق الحي القيوم بمظهرية حياتي للشؤون الذاتية لفاطري الذي له الاسماء الحسنى.

وكذا حسبي من الحياة وحقوقها اعلاني وتشهيري بين اخواني المخلوقاتِ واعلاني واظهاري لنظر شهود خالق الكائنات بتزيّني بجلواتِ اسماء خالقي الذي زيّنني بمرصّعات حُلّة وجودي وخِلعة فطرتي وقلادة حياتي المنتظمة التي فيها مزيّنات هدايا رحمته.

وكذا حسبي من حقوق حياتي فهمي لتحيات ذوي الحياة لواهب الحياة وشهودي لها وشهاداتٌ عليها.

وكذا حسبي من حقوق حياتي تبرّجي وتزيني بمرصّعات جواهر إحسانه بشعورٍ ايماني للعرض لنظر شهود سلطاني الازلي.

وكذا حسبي من الحياة ولذّتها علمي واذعاني وشعوري وايماني بأني عبدُه ومصنوعُه ومخلوقه وفقيرُه ومحتاجٌ اليه، وهو خالقي رحيمٌ بي كريمٌ لطيفٌ منعمٌ عليّ يُربيني كما يليق بحكمته ورحمته.

وكذا حسبي من الحياة وقيمتها مقياسيتي بامثال عجزي المطلق وفقري المطلق وضعفي المطلق، لمراتب قدرة القدير المطلق ودرجات رحمة الرحيم المطلق وطبقات قوة القوي المطلق.

وكذا حسبي بمعكسيتي بجزئيات صفاتي من العلم والارادة والقدرة الجزئية لفهم الصفات المحيطة لخالقي. فأفهمُ علمَه المحيط بميزان علمي الجزئي.

وكذا حسبي من الكمال، علمي بأن إلهي هو الكامل المطلق، فكلُّ مافي الكون من الكمال، من ايات كماله اشارات الى كماله.

وكذا حسبي من الكمال في نفسي، الايمان بالله، اذ الايمان للبشر منبعٌ لكل كمالاته.

وكذا حسبي من كل شئ لإنواع حاجاتي المطلوبة بانواع ألسنة جهازاتي المختلفة، إلهي وربي وخالقي ومصوري الذي له الاسماء الحسنى الذي هو يطعمني ويسقيني ويربيني ويدبرني ويكملني جلّ جلاله وعمّ نواله.

❑ النكتة الرابعة:

حسبي لكل مطالبي مَن فتح صورتي وصورة امثالي من ذوي الحياة في الماء بلطيف صنعه ولطيف قدرته ولطيف حكمته ولطيف ربوبيته.

وكذا حسبي لكلِ مقاصدي مَن انشأني وشقّ سمعِي وبصري، وأدرج في جسمي لساناً وجناناً، واودع فيها وفي جهازاتي موازين حساسة لاتعد لوزن مدّخرات انواع خزائن رحمته.

وكذا أدمج في لساني وجناني وفطرتي الآتٍ جساسة لاتحصى لفهم انواع كنوز اسمائه.

وكذا حسبي مَن ادرج في شخصي الصغير الحقير، وادمج في وجودي الضعيف الفقير هذه الاعضاء والالات وهذه الجوارح والجهازات وهذه الحواس والحسيات وهذه اللطائف والمعنويات، لإحساس جميع انواع نعمه ولإذاقة اكثر تجليات اسمائه بجليل الوهيته وجميل رحمته وبكبير ربوبيته وكريم رأفته وبعظيم قدرته ولطيف حكمته.

❑ النكتة الخامسة:

لابدّ لي ولكل احدٍ ان يقول حالاً وقالاً ومتشكراً ومفتخراً:

حسبي مَن خلقني، واخرجني من ظلمة العدم وأنعمَ عليّ بنور الوجود.

وكذا حسبي مَن جعلني حياً فأنعم عليّ نعمة الحياة التي تعطي لصاحبها كل شئ وتُمد يَد صاحبها الى كل شئ.

وكذا حسبي مَن جعلني انساناً فأنعم عليّ بنعمة الانسانية التي صيّرت الانسان عالماً.

وكذا حسبي مَن جعلني مؤمناً فأنعم عليّ نعمةَ الايمان الذي يصيرُ الدنيا والآخرة كسفرتين مملوءتين من النعم يقدّمهما الى المؤمن بيد الايمان.

وكذا حسبي مَن جعلني من امة حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام، فأنعم عليّ بما في الايمان من المحبة والمحبوبية الإلهية، التي هي من أعلى مراتب الكمالات البشرية، وبتلك المحبة الايمانية تمتد ايادي استفادة المؤمن الى ما لايتناهى من مشتملات دائرة الامكان والوجوب.

وكذا حسبي مَن فضّلني جنساً ونوعاً وديناً وايماناً على كثير من مخلوقاته، فلم يجعلني جامداً ولاحيواناً ولاضالاً، فله الحمد وله الشكر.

وكذا حسبي مَن جعلني مظهراً جامعاً لتجليات اسمائه وانعم عليّ بنعمة لاتسعها الكائنات بسرّ حديث: (لايسعني ارضي ولاسمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن)[1] يعني ان الماهية الانسانية مظهر لجميع تجليات الاسماء المتجلية في جميع الكائنات.

وكذا حسبي مَن اشترى ملكه الذي عندي مني، ليحفظه لي ثم يُعيده اليّ، واعطانا ثمنه الجنةَ، فله الشكر وله الحمد بعدد ضرب ذرات وجودي في ذرات الكائنات.

حسبي ربي جلّ الله نور محمد صلى الله

لا إله الاّ الله

حسبي ربي جلّ الله سرّ قلبي ذكر الله

ذكرُ احمد صلى الله

لا إله الاّ الله

---

(١) الحديث «ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». ذكره في الاحياء بلفظ مقارب. قال العراقي في تخريجه: لم ار له أصلاً (كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٩٥ باختصار). وقال السيوطي في الدرر المنتثرة: قلت اخرج الامام احمد في الزهد عن وهب بن منبه: ان اللهفتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما اعظمك يارب! فقال الله: ان السموات والارض ضعفن ان يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين» اهـ. قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلاً منهما كفر، وصالحو الصوفية اعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وانما يريدون بذلك ان قلب المؤمن يسع الايمان بالله ومحبته ومعرفته. اهـ. – المترجم.

الشعاع الخامس

اشراط الساعة

ان مسائل «سد ذي القرنين» و«يأجوج ومأجوج» وسائر «اشراط الساعة» الاخرى قد بحثناها في كتابنا المطبوع «المحاكمات» المؤلف قبل ثلاثين سنة (المقصود سنة ١٩١١) وقد وضعنا عشرين مسألة تدور حول تلك المباحث لتكون تتمة لها — كتب قسم من مسودتها قبل ثلاث عشرة سنة — الا انها بيّضت نزولاً عند رغبة صديق عزيز وصارت الشعاع الخامس.

تنبيه: لتقرأ اولاً المسائل التي تلي المقدمة، كي يفهم القصد من المقدمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كتبت نكتة لطيفة من نكات الآية الكريمة ﴿**فقد جاء اشراطها**﴾ (محمد:١٧) في الوقت الحاضر وذلك حفاظاً على عقيدة عوام المؤمنين، وصيانة لها من ورود الشبهات.

وحيث ان قسماً من الاحاديث النبوية التي تخبر عن حوادث ستقع في آخر الزمان تحمل معاني عميقة جداً، كـ(المتشابهات)القرآنية؛ فلا تفسر كـ(المحكمات)، ولايتمكن كل واحد من معرفتها، بل ربما يؤوّلها العلماء بدلا من تفسيرها. وان تأويلاتها تفهم بعد وقوع الحادثة، ويعرف عندئذ المراد منها، بمضمون الآية الكريمة ﴿**وما يَعلَمُ تأويلَهُ إلاّ الله والرَاسخُونَ في العلم**﴾ (آل عمران: ٧) ويبين تلك الحقائق الراسخون في العلم ويقولون: ﴿**آمنا بِهِ كلٌ مِنْ عِندِ ربنا**﴾.

ان لهذا الشعاع الخامس مقدمة وثلاثاً وعشرين مسألة.

المقدمة

عبارة عن خمس نقاط

● *النقطة الاولى:*

ان الايمان والتكليف، امتحان واختبار ومسابقة ضمن دائرة الاختيار، فلا تكون مسائله النظرية المبهمة وغير الصريحة والعميقة والتي هي بحاجة الى الاختبار وانعام النظر فيها، واضحة وضوح البديهة؛ بحيث يصدقها كل أحد سواء أراد أم لم يرد؛ وذلك ليتميز ايمان أبي بكر عن كفر ابي جهل، فيسمو المؤمنون الى أعلى عليين ويتردى الكفار الى أسفل سافلين، اذ لاتكليف بلا اختيار. ولأجل هذه الحكمة تؤتى المعجزات متفرقة وبشكل نادر.

ثم ان في دار التكليف والامتحان تكون علامات القيامة واشراط الساعة التي يمكن مشاهدتها بالعين، مبهمة وغير صريحة ومحتمل التأويل - كبعض المتشابهات القرآنية - عدا «علامة طلوع الشمس من مغربها» فهي واضحة وضوح البديهة، حتى انها تدفع الجميع الى الايمان من دون اختيار، ولذلك ينغلق باب التوبة عندئذ، فلاقيمة للايمان ولاجدوى من التوبة. حيث يتساوى في التصديق من يملك ايماناً كأبي بكر مع أعتى الكفرة كأبي جهل.

بل حتى ان نزول عيسى عليه السلام، ومعرفة كونه هو عيسى عليه السلام لاغيره، انما يعرف بنور الايمان النافذ، ولايستطيع كل واحد معرفته.

بل حتى «الدجال» و«السفياني»[1] من الاشخاص المرعبين الذين سيظهرون مع اشراط الساعة، لايعرفان نفسيهما أنهما «الدجال» و «السفياني» بادئ الامر.

● *النقطة الثانية:*

ان الامور الغيبية التي عُلِّمَها الرسول الكريم ﷺ ليست سواء، فقسم منها عُلِّمَها تفصيلا، فلا تصرّف ولاتدخّل له قط في هذا القسم، كالقرآن الكريم ومحكمات الاحاديث القدسية..

والقسم الآخر قد عُلِّمها اجمالا، وترك أمر تصويرها وتفصيلها الى اجتهاده ﷺ كالاحاديث التي تدور حول الحوادث الكونية والاحداث المستقبلية التي هي ليست من اسس الايمان.

فالرسول ﷺ هو الذي يصور ويفصل ببلاغته - باساليب التشبيه والتمثيل - تلك الامور بما يوافق حكمة التكليف.

---

(١) وردت احاديث كثيرة بحق دجال المسلمين الموصوف بـ«السفياني» نذكر منها:
«عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من اهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني، فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير منهم اليه السفياني بمن معه حتى اذا صار ببيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو منهم الا المخبر عنهم».
أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٢٠ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. (كلب: ماء بين الكوفة والشام. يبقر: يفتح - لايمنع ذنب تلعة: لا يخلو منه موضع).
واورده السيوطي في اللآلىء ٢/٣٨٨ والاسفرايني ٢/٧٥. وانظر ايضا الى النهاية لابن كثير ١/٢٤- ٣٢ وتذكرة القرطبي ٦٠٩ والاشاعة في اشراط الساعة للبرزنجي ٩٥ - ٩٦ والفتاوى الحديثية للهيتمي ٢٧ - ٣٤ والحاوي للفتاوى للسيوطي ٢/٢١٣ وما بعدها.

فمثلاً: سمع دوي في مجلس الرسول ﷺ فقال: ان هذا صوت حجر ظل يتدحرج الى جهنم منذ سبعين سنة، الآن وصل الى قعرها [١] وبعد مرور بضع دقائق على هذا الحدث المثير أتى أحدهم واخبر رسول الله ﷺ: ان المنافق الفلاني وهو يناهز السبعين من عمره قد مات وولى الى جهنم وبئس المصير. فأظهر تأويل البلاغة الفائقة لكلام الرسول ﷺ.

تنبيه: لايعير نظر النبوة اهتماماً لحوادث المستقبل الجزئية التي لاتدخل ضمن الحقائق الايمانية.

● *النقطة الثالثة:*

وهي عبارة عن نكتتين:

اولاهما:

ان قسماً من الاحاديث المروية على صورة تشبيهات وتمثيلات تلقّاه العوام بمرور الزمن حقائق مادية، لذا لايبدو في نظرهم مطابقاً لواقع الحال، على الرغم من انه حقيقة ثابتة.

مثلاً: ان الملكين اللذين هما من حملة الارض - كما للعرش حملته - اللذين على صورة «الثور» و«الحوت» وسميا باسمهما قد تصورهما العوام ثوراً ضخماً حقيقياً وحوتاً هائلاً حقيقيا!

ثانيتهما:

ان قسماً من الاحاديث قد ورد من حيث كثرة المسلمين في تلك المنطقة، او من حيث وجود الحكومة الاسلامية هناك، او من حيث مركز الخلافة الاسلامية، لكنه ظُنَّ أنه شامل لجميع المسلمين، ولجميع أنحاء العالم، وعلى الرغم انه خاص من جهة، الا انه تُلقي كلياً وعاماً.

---

(١) روى مسلم في كتاب الزهد، وصفة الجنة والايمان، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ اذ سمع وجبة (اي سقطة) فقال النبي ﷺ: تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى الى قعرها) زاد في رواية «فسمعتم وجبتها» (٢١٨٤/٤ - ٢١٨٥ رقم ٢٨٤٤).

وروى عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد ان تدفن الراكب، فزعم ان رسول الله ﷺ قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق، فلما قدم المدينة فاذا منافق عظيم من المنافقين قد مات». (٢١٤٥/٤ رقم ٢٧٨٢). ورواه احمد بغير هذا اللفظ (٣٤١/٣، ٣٤٦). وانظر شرح الشفا لعلي القاري (٦٩٧/١).

فمثلاً: ورد في الحديث الشريف: (لاتقوم الساعة حتى لايقال في الارض: الله.. الله)(١).

أي: ستغلق ابواب أماكن الذكر، وستنادى بالاذان وباقامة الصلاة بالتركية.

● *النقطة الرابعة:*

مثلما حُجبت امور غيبية كالاجل والموت لحكم ومصالح شتى، فان القيامة – التي هي سكرات موت الدنيا واجل البشرية وموت الحيوان – قد أخفيت كذلك لمصالح كثيرة.

اذ لو كان الاجل معيناً وقته، لاختلت الموازنة بين الخوف والرجاء، تلك الموازنة المبنية على مصالح وحكم؛ اذ كان نصف العمر يمضي في غفلة مطبقة، يعقبه خوف رهيب كمن يساق خطوة خطوة نحو المشنقة.

واجل الدنيا وسكراتها اي القيامة يشبه هذا تماماً، اذ لوكان وقتها معيناً، لكانت القرون الاولى والوسطى غير متأثرة بفكرة الآخرة الا قليلا ولا ينفعل بها الا جزئياً، اما القرون الاخرى فكانت تعيش في رعب مستديم. وما كانت لتبقى – حينئذ – للحياة متعة وقيمة، ولا للعبادة – التي هي طاعة الفرد باختياره ضمن الخوف والرجاء – أهمية وحكمة.

ثم، لو كان وقت القيامة معيناً، لدخل قسم من الحقائق الايمانية ضمن البديهيات، أي يصدق بها الجميع سواء أرادوا أم لم يريدوا، ولاختل عندئذ سر التكليف وحكمة الايمان المرتبطان بارادة الانسان واختياره.

وهكذا اخفيت الامور الغيبية لأجل مصالح كثيرة امثال هذه، فصار الانسان يتوقع مجيء أجله كل دقيقة مثلما يتوقع بقاءه فيها، ويفكر فيهما معاً، ويسعى بجد للدنيا سعيه للآخرة، ومثلما يتوقع قيام الساعة في كل عصر يتوقع دوام الدنيا فيه ايضاً. ومن هنا غدا الانسان متمكناً من العمل للحياة الابدية وهو ينظر الى فناء الدنيا، ويعمل في الوقت نفسه لعمارة الدنيا، وكأنه يعيش أبداً.

ثم أنه لو كان وقت المصائب والبلايا معيناً، لتجرع الانسان أذى وألماً معنويين من جراء انتظاره وقوع المصيبة ونزول البلاء أضعاف أضعاف ألم المصيبة نفسها. لذا

(١) حديث صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم ١٤٨ واحمد والترمذي والحاكم ٤/٤٩٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ستـرت الحكمـة الإلهيـة ورحمتـهـا الواسعـة المصـائب، فظلت مخفـية عن الانسـان ومستورة عنه، فلا يتأذى بمثل ذلك الالم المعنوي.

وحيث ان اغلب الحوادث الكونية الغيبية تتضمن امثال هذه الحكم، فقد منع الاخبار عن الغيب. وحتى الذين يخبرون عنه باذن رباني، فقد أخبروا عنه اخباراً على صورة اشارات فقط، مع شئ من الابهام دون الصراحة المكشوفة، فيما عدا الحقائق الايمانية وما هو مدار التكليف، وذلك لئلا يكون هناك قلة توقير وعدم امتثال كامل للدستور الإلهي:

﴿قُل لا يَعلَمُ مَن في السّموات والارضِ الغيبَ إلاّ الله﴾ (النمل: ٦٥).

بل حتى البشارات التي وردت في حق رسولنا الكريم ﷺ في التوراة والانجيل والزبور، قد جاءت بشئ من الابهام وعدم التصريح، مما حدا بأناس من اهل تلك الكتب ان يؤولوا تلك الاشارات فلم ينعموا بالايمان بالرسول الكريم ﷺ.

اما المسائل التي هي ضمن العقائد الايمانية فبمقتضى حكمة التكليف بحاجة الى تبليغ أمين ووضوح تام وصراحة كاملة وتكرار، لذا فصّل القرآن الكريم ومبلغه الأمين ﷺ وبينا بياناً وافياً امور الآخرة، في حين انهما ذكرا الحوادث الدنيوية المستقبلية ذكراً مجملاً.

● *النقطة الخامسة:*

لقد رويت الامور الخارقة – فوق المعتادة – التي تخص عصر «الدجالين» – أي دجال المسلمين والدجال الاكبر – مقرونة بذكرهما، فتوهمت كأنها ستصدر من شخصيهما بالذات وفهمت هكذا. لذا اصبحت تلك الروايات من المتشابهات، لاحتجاب المعنى.

فمثلا: تجوله بالطائرة والقطار..

ومثلا: قد اشتهر: ان الشيطان الذي يخدم دجال المسلمين سيصيح حين موته عند «ديكيلى طاش[1] في استانبول» صيحة يسمعها الناس كلهم بـ«أنه مات»، اي سيعلن عنه بالراديو، اعلاناً عجيباً تتحير منه الشياطين أنفسهم. ثم ان الاحوال الرهيبة والاجراءات المدهشة التي تخص حكم الدجال ونظامه ومنظماته وحكومته، قد رويت مقرونة مع شخصه، وكأنها ذات علاقة معه بالذات، لذا خفي المعنى واستتر.

(١) ديكيلى طاش: منطقة فى استانبول كانت فيها اذاعتها – المترجم.

فمثلا: هنالك رواية بهذا المعنى: انه يملك من القوة والدوام ما لا يمكن ان يقتله الا سيدنا عيسى عليه السلام والا فلا سبيل لقتله.(١)

وهذا يعني: ان الذي يدمر منهجه ونظامه الشرس الرهيب ويقضي عليه قضاء نهائياً ليس الا ديناً سماوياً رفيعاً يظهر في العيسويين، فيقتدي بحقائق القرآن، ويتحد معها، فهذا الدين العيسوي هو الذي يمحو بنزول عيسى عليه السلام ذلك المنهج الالحادي فيقضي عليه قضاء تاماً. والاّ فان شخص ذلك الدجال يمكن ان يُقتل بجرثومة أو بمرض بسيط كالزكام.

ثم ان قسماً من تفسير بعض الرواة وحكمهم – النابع من اجتهاداتهم الشخصية، التي تحتمل الخطأ – قد اختلط مع متن الحديث النبوي، فيشتبه أنه منه، وعند ذاك يحتجب المعنى ويختفي، اذ لاتظهر مطابقة الحديث مع الواقع، فيدخل ضمن حكم المتشابه.

ثم ان الشخص المعنوي للجماعة وللمجتمع لم يكن واضحاً في السابق، كما هو في الوقت الحاضر، اذ كان الفكر الانفرادي والاهتمام بالفرد هو الغالب؛ لذا اسندت الاجراءات الضخمة للجماعة وصفاتها العظيمة الى الذين يترأسون تلك الجماعة، ومن هنا صُوّر اولئك الرؤساء تصويراً عجيباً بأنهم يملكون صفات كلية خارقة، واجساماً ضخمة هائلة تفوق مائة ضعف عما هم عليه، وان لهم قوة وقدرة خارقتين، لكي تلائم تلك الاجراءات المهولة. والحال ان هذا التصوير لايطابق الواقع. لذا أصبحت تلك الرواية متشابهة.

ثم، انه على الرغم من التباين بين صفات «الدجالين» واختلاف حالتيهما، يلتبس الامر في تلك الروايات التي وردت بصورتها المطلقة، فيظن هذا ذاك.

ثم ان أحوال «المهدي الكبير» لاتطابق احوال المهديين السابقين له، في الروايات التي تشير اليهم، فتصبح تلك الروايات في حكم المتشابه.

ان الامام علياً رضي الله عنه يذكر «دجال المسلمين» فقط.

انتهت المقدمة.. فنبدأ بالمسائل.

* * *

(١) انظر هامش المسألة الثالثة عشرة – المترجم.

من بين مئات الامثلة الدالة على الحوادث الغيبية سيبين – في الوقت الحاضر – بعناية الله وتوفيقه ثلاث وعشرون مسألة – بياناً مختصراً جداً – تلك المسائل التي دأب الملحدون على اشاعتها بغية افساد عقائد عوام المسلمين. ألا خاب ظنهم، فان اظهار لمعة اعجاز نبوي كريم في كل مسألة من تلك المسائل واثبات تأويلاتها الحقيقية وابرازها، سيكون باذن الله داعياً قوياً وسبباً مهماً لاسناد عقيدة العوام وترسيخ ايمانهم. هذا ما أرجوه من رحمة ربي الرحيم، واتضرع اليه سبحانه ان يستر ذنوبي وأخطائي بمغفرته الواسعة. انه سميع مجيب.

المقام الثاني

مسائل الشعاع الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الاولى:

ورد: ان «السفياني» وهو من اشخاص آخر الزمان ستنخرق كفه.

ان أحد أوجه التأويل لهذا، والله أعلم:

لايبقى المال في يده، لكثرة اسرافه وتبذيره في السفاهة واللهو والعبث. فالمال يجري من كفه الى الاسراف، وفي المثل: «فلان منخرق الكف». أي مبذر مسرف. فـ«السفياني» بحضه الناس على الاسراف، يثير فيهم حرصاً شديداً ويهيج طمعاً غالباً. فيسخرهم لمآربه من نواحي ضعفهم تلك. هذا ما ينبه اليه الحديث الشريف ويخبرنا: ان المسرف يكون في أسره، فيتوسل اليه ويتذلل له.

المسألة الثانية:

ورد: ان شخصاً رهيباً – من اشخاص آخر الزمان – يصبح واذا على جبينه مكتوب: هذا كافر [1].

(١) قال الرسول ﷺ في حديث صحيح: «.. وان الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب..» رواه احمد والبخاري في الفتن، باب ذكر الدجال، وفي الانبياء، باب ما ذكر في بني اسرائيل، وكذا رواية اخرى مشابهة في التوحيد، باب قول الله ﴿ولتصنع على عيني﴾. ورواه مسلم برقم ٢٩٣٤، ٢٩٣٥، وكذا برقم ٢٩٣٣، وابو داود ٤٣١٥ وكذا في ٤٣١٦، ٤٣١٧، ٤٣١٨ عن حذيفة وابي مسعود معاً. ورواه الترمذي.

ان تأويل هذا، والله اعلم بالصواب، هو:

ان ذلك «السفياني» سيلبس قبعة الافرنج، ويُكره الناس على لبسها، ولكن لأنه يعمم لبسها بالاكراه والقانون، وتلك القبعة ستهتدي باذن الله - حيث تهوي الى السجود - لذا لايكون كافراً من لبسها مكرهاً عليها غير راغب فيها.

المسألة الثالثة:

ورد: ان لحكام آخر الزمان المستبدين، ولاسيما للدجال جنة وجهنم زائفتين (١).
ان أحد أوجه التأويل لهذا والعلم عند الله هو:

انه اشارة الى ما في الدوائر الحكومية من اوضاع متقابلة متناظرة. كالمدرسة الاعدادية مع السجن، إحداهما صورة مشوهة للحور والغلمان، والاخرى موضع عذاب وسجن.

المسألة الرابعة:

ورد: أنه لايبقى من يقول: الله.. الله في آخر الزمان.

ان تأويلا لهذا - ولايعلم الغيب الا الله - هو:

ان الزوايا التي يذكر فيها: الله.. الله.. الله، والتكايا وأماكن الذكر والمدارس الدينية ستغلق أبوابها، وسيُوضع اسم آخر بدلا من اسم الله في الشعائر الاسلامية كالاذان والاقامة.

والا فليس معنى هذه الرواية ان الناس كلهم سيتردون في الكفر المطلق؛ لان انكار الله أبعد عن العقل من انكار الكون، فالعقل لا يقبل وقوع معظم الناس في هذا الانكار، فضلاً عن كلهم. علما ان الكفار لاينكرون وجود الله وانما تزل عقولهم في مباحث صفاته الجليلة سبحانه.

وتأويله الآخر هو: أن ارواح المؤمنين تقبض قبيل قيام الساعة كيلا يروا هول أحداثها فتندلع القيامة على رؤوس الكفار وحدهم.

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه. ان رسول الله ﷺ قال: «ألا أحدثكم عن الدجال، ما حدّثَ به نبي قومه؟ انه أعور، وانه يجيءُ بمثال الجنة والنار. فالتي يقول انها الجنة، هي النار. واني انذركم به كما انذر به نوح قومه» رواه البخاري في الانبياء، ومسلم برقم ٢٩٣٦.

المسألة الخامسة:

ورد: ان الدجال وامثاله – سيدّعون الألوهية في آخر الزمان ويكرهون الناس على السجود لهم (١). أحد أوجه التأويل لهذا، والله اعلم هو:

كما أن قائداً جاهلاً ينكر وجود الملك، يتصور في نفسه والآخرين نوعاً من الملكية، كل حسب حاكميته، كذلك الذين يقودون مذهب الطبيعيين والماديين يتخيلون في انفسهم نوعاً من الربوبية، كل حسب درجته. فيسوق – الدجال – رعيته لخدمة قوته ويخضعهم خضوع عبودية له ولتماثيله، اي يجعلهم يحنون رؤوسهم لها.

المسألة السادسة:

ورد: ان فتنة آخر الزمان عظيمة الى حد لايملك أحد نفسه (٢) حتى استعاذت الامة منها منذ ثلاثة عشر قرناً، كما أمر بها الرسول ﷺ فجعلتها الامة قرينة لاستعاذتها من عذاب القبر (٣).

ان تأويلاً لهذا والله اعلم بالصواب هو:

ان تلك الفتن تستميل النفوس وتغريها وتجذبها اليها، وتجعلها مفتونة بها، فيرتكب الناس الآثام باختيارهم، بل ربما يتلذذون بها، كاختلاط النساء بالرجال عرايا في حمامات روسيا، اذ النساء يرتمين الى هذه الفتنة برغبة منهن، فيضللن ويغوين لما يحملن من ميل فطري لاظهار جمالهن. اما الرجال الذين يعشقون الجمال فطرة،

---

(١) عن هشام بن عامر الانصاري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ان رأس الدجال من ورائه حَبَك حَبَك، وانه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: انت ربي، افتتن، ومن قال: كذبت. ربي الله وعليه توكلت واليه انيب، فلا يضره، او قال: فلا فتنة عليه» اخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٠٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وانظر كذلك: النهاية او الملاحم ٢/١٢٣، جمع الفوائد ٢/٧٣٧، مسند الفردوس ٢/٢٣٦، مسند احمد ٣/٢١١ مختصر تذكرة القرطبي ص١٤٧ كنز العمال ١٤/٣١٠ نقلا عن الحاكم و ١٤/٣١٢. وفي الحديث الذي خرجه ابن ابي شيبة: «فانه متى يخرج يزعم انه الله فمن آمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يعاتب بشئ من عمل سلف. وانه سيظهر على الارض كلها، الا الحرم وبيت المقدس، وانه يحصر المؤمنين في بيت المقدس».

(٢) انظر الى الفتح الكبير ١/٣١٥، ٢/١٨٥، ٣/٩، مختصر تذكرة القرطبي ١٤٨ – ١٥٢ مسند الفردوس ١/٢٦٦ اسعاف الراغبين – هامش نور الابصار ص١٤٥ نقلا عن الحاكم، الحاوي للفتاوى ٢/٢١٧، النهاية او الملاحم ١/٣٢ – ٤٨.

(٣) عن ابي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال». صحيح مسلم ٢/٢٢٠٠ البخاري ١/٢١١، ٢/١٢٦، ٨/٩٧، ٩٨، ١٠٠.

فيصرعون امام طيش النفس فيقعون في تلك النار المتأججة، ويحترقون، وهم نشاوى من الفرح والسرور.

وهكذا تجلب فتنة ذلك الزمان – بملاهيها ومسارحها ومراقصها واماكن البدع وارتكاب الكبائر فيها – عباد النفس الامارة، فيحومون حول تلك الاماكن كالفراش حول النار، وينجذبون اليها حيارى مشدوهين.

وإلاّ لو كان بالاكراه والارغام والجبر المطلق، فلا اختيار اذن، ومن ثم فلا اثم.

المسألة السابعة:

ورد: ان «السفياني» سيكون عالماً عظيماً، ويضل الناس بالعلم، ويتبعه علماء كثيرون. ان تأويلا لهذا والعلم عند الله هو:

انه بدهائه وفنونه وعلمه السياسي يحصل على ذلك الموقع، اذ ليس له من الوسائل التي توصله الى السلطة كما هو الحال لدى حكام آخرين من وجود العصبة او القدرة او الانتساب الى قبيلة وعشيرة، او الشجاعة او الثروة وغيرها. فيسخر بعقله عقول كثير من العلماء، ويجعلهم يدورون في فلكه ويصدرون له الفتاوى، ويجعل كثيراً من المعلمين موالين له. ويسعى حثيثاً لتعميم التعليم المجرد من دروس الدين وجعله نهجاً رائداً.

المسألة الثامنة:

تبين الروايات: ان فتنة الدجال الرهيبة ستقع في صفوف المسلمين حتى استعاذت منها الامة كلها. ان تأويلا لهذا، ولا يعلم الغيب الا الله هو:

ان دجال المسلمين غير دجال الكفار (١)، حتى ان قسماً من العلماء المحققين قد قالوا مثلما قال الامام علي رضي الله عنه بان دجال المسلمين هو «السفياني» وسيظهر بين المسلمين ويفتنهم بالخداع والتمويه. بينما دجال الكفار الكبير غير «السفياني».

والا فالذي لايرضخ لجبروت الدجال الكبير المطلق يصبح شهيداً، ومن يتبعه مرغماً وكارهاً لايكون كافراً، وربما لايكون آثماً ايضاً.

(١) انظر الى العرف الوردي في اخبار المهدي للسيوطي، الحاوي للفتاوي ٢/٢٣٤، الفتوحات الاسلامية لأحمد زيني دحلان ٢٩٤ الاشاعة في اشراط الساعة للبرزنجي ٩٥ – ٩٩ مختصر تذكرة القرطبي ١٣٣ – ١٣٤ الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ٣٦.

المسألة التاسعة:

لقد صورت في الروايات وقائع «السفياني» وحوادث فتن آخر الزمان انها تقع حول الشام او في الجزيرة العربية. ان تأويلا لهذا والله اعلم هو:

ان مركز الخلافة في السابق كان في العراق والشام والمدينة، لذا فسر الرواة – باجتهادهم الشخصي – وصوروا تلك الاحداث التي تقع حول مركز الدولة الاسلامية – وكأن الخلافة ستظل هكذا – فقالوا: في الشام.. حلب. ففصلوا باجتهادهم الشخصي ما ورد مجملا في الاحاديث.

المسألة العاشرة:

لقد ذكرت الروايات: القدرة الهائلة الخارقة لأشخاص آخر الزمان.

ان تأويلاً لهذا – والعلم عند الله – هو:

انه كناية عن عظمة الشخصية المعنوية التي يمثلونها. مثلما صور في حينه القائد الياباني الذي دحر روسيا، بأن أحد قدميه في البحر المحيط والاخرى في قلعة پورت آرثر. أي ان عظمة الشخص المعنوي الرهيبة، تصور في ممثل تلك الشخصية وفي تماثيل ذلك الممثل الضخمة. اما قدراتهم الفائقة وقوتهم الخارقة، فلكون اكثر اجراءاتهم من قبيل التخريب واثارة الشهوات وتحريك الرغبات، مما تظهر اقتداراً فوق المعتاد، اذ التخريب سهل. فعود ثقاب واحد يمكنه ان يحرق قرية كاملة، واثارة الشهوات وتحريك الرغبات تسري سريعاً لميل النفوس اليها.

المسألة الحادية عشرة:

ورد: ان في آخر الزمان يكون لأربعين امرأة قيّم واحد [١].

---

(١) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال – عند قرب وفاته – « لأحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ لايحدثكم به احد عنه بعدي! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاتقوم الساعة – او قال – ان من اشراط الساعة: ان يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزنا، ويذهب الرجال ويبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد». وفي رواية: «يظهر الزنا، ويذهب الرجال ويكثر النساء». رواه البخاري في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، وفي النكاح باب يقل الرجال ويكثر النساء، وفي الاشربة في فاتحة، وفي المحاربين باب الزكاة. ورواه مسلم برقم ٢٦٧١ والترمذي.

ان لهذا تأويلين والله اعلم بالصواب:

الاول: ان الزواج الشرعي يقل في ذلك الزمان او يرفع، كما حدث في روسيا؛ فالرجل السائب الذي تجنب من الارتباط بامرأة واحدة، يكون قيماً على اربعين امرأة شقية.

الثاني: انه كناية عن هلاك أغلب الرجال في الحروب التي تقع في تلك الفتنة. وعن كون اكثر الولادات من الاناث بناء على حكمة إلهية. وربما يلهب تحرر النساء تحرراً كلياً شهواتهن فيتغلبن بغلبة الشبق فطرة على أزواجهن. مما يسبب نزوع الطفل الى صورتها فتصبح الاناث كثيرات جداً بأمر إلهي.

المسألة الثانية عشرة:

ورد في الروايات: ان اليوم الاول للدجال سنة، والثاني شهر، والثالث اسبوع، والرابع كسائر الايام [1]. لهذا تأويلان، ولا يعلم الغيب الا الله.

الاول:

انه اشارة وكناية عن ظهور الدجال الكبير في دائرة القطب الشمالي وجهة الشمال من العالم؛ لأن السنة في منطقة القطب الشمالي عبارة عن يوم وليلة.

فلو سافر أحدهم من هناك متجهاً نحونا بالقطار يوماً كاملا يرى الشمس لاتغرب شهراً كاملا في الصيف. واذا اقترب بالسيارة يوماً آخر يرى الشمس اسبوعاً كاملا، ولقد كنت في مكان قريب من هذا عندما كنت أسيراً هناك. بمعنى ان هذا اخبار معجز بأن الدجال الكبير سيتعدى من الشمال الى هذه الجهة.

اما تأويله الثاني فهو:

ان هناك أياماً ثلاثة بمعنى الادوار الثلاثة الاستبدادية للدجال الكبير ودجال المسلمين:

«يومه: اي في دورة حكومته، يقوم باجراءات عظيمة ما لاينجز في ثلاثمائة سنة.

---

(١) الاحاديث في هذا الباب كثيرة، نذكر منها: «قلنا يارسول الله ما لبثه في الارض ؟ قال: اربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر ايامه كأيامكم» صحيح مسلم بشرح النووي ٦٦/١٨. واخرجه بسياق قريب ابو داود (٤٣٢١، ٤٣٢٢) والترمذي كلهم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

يومه الثاني، اي دورته الثانية: انه يجري في سنة واحدة من الاجراءات ما لايجري في ثلاثين سنة.

يومه الثالث ودورته: ينفذ من التغييرات في سنة واحدة ما لا ينفذ في عشر سنوات.

يومه الرابع ودورته: يكون اعتيادياً لايقوم بشئ سوى سعيه للحفاظ على الوضع». وهكذا أخبر الرسول الكريم ﷺ أمته ببلاغته الفائقة عما سيقع من احداث المستقبل.

المسألة الثالثة عشرة:

في رواية صحيحة: ان عيسى عليه السلام يقتل الدجال الاكبر [١].

ولهذا ايضاً وجهان والعلم عند الله:

الوجه الاول: ان الدجال الذي يحافظ على نفسه باموره الخارقة التي يستدرج بها الناس ويسخرهم باستخدام السحر والتنويم المغناطيسي والارواح وامثالها، لايقدر على قتله وتغيير مسلكه الا مَن هو خارق، وذو معجزات ومرضيّ لدى الجميع ومن هو اكثر علاقة وارتباطاً، ويعتقد بنبوته اغلب الناس، ذلك النبي عيسى عليه السلام.

الوجه الثاني هو: ان الذي سيقتل الشخصية المعنوية لشخص الدجال – المقتول بسيف شخص عيسى عليه السلام – ويبيد كيان الالحاد الهائل والمادية الرهيبة التي كونها، ويُفني ما يدعو اليه من الكفر بانكار الالوهية، هم الروحانيون النصارى، فهؤلاء الروحانيون يهلكونه – ويقتلونه معنى – بقوة نابعة من مزجهم حقيقة النصرانية مع حقائق الاسلام. حتى ان ما ورد بأن عيسى عليه السلام سينزل ويقتدى بالمهدي في الصلاة [٢]، يشير الى هذا الاتفاق، والى ريادة الحقيقة القرآنية وهيمنتها.

---

(١) عن مجمع بن جارية الانصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد»: رواه الترمذي ٢٣٤٥ (تحفة الأحوذي) وقال هذا حديث صحيح. وزاد المباركفوري نسبته لأحمد في المسند والطبراني في الكبير. وكذا الحاكم ٥٢٩/٤ – ٥٣٠ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) اقتداء عيسى عليه السلام بالمهدي، فيه احاديث صحيحة كثيرة، نسوق منها: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، فينزل عيسى، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة» رواه مسلم ١٥٦، ورواية ثانية حول الاقتداء في البخاري ٣٤٥/٤ ومسلم ١٥٥.

المسألة الرابعة عشرة:

ورد: ان اليهود هم القوة العظيمة للدجال ويتبعونه طوعاً (١).

فيمكننا ان نقول والله اعلم:

ان جزءاً من تأويل هذه الرواية قد تحقق في روسيا، اذ اليهود الذين قاسوا مظالم بيد الحكومات كلها تجمعوا بكثرة في ألمانيا، لاجل ان ينتقموا من الدول والشعوب، فكانت لـ«تروتسكي» اليهودي اليد الطولى في تأسيس منظمة الشيوعية، حتى أوصلوه الى القيادة العامة، ومن بعد ذلك جعلوه في رئاسة الحكومة في روسيا خلفاً لـ«لينين» الذى ربّوه، فدمروا روسيا دماراً رهيباً وأبادوا محاصيلها لألف سنة. وأظهروا – أي اليهود – بهذا انهم منظمة من منظمات الدجال الكبير ومنفذو اعماله وقد زعزعوا كيان سائر الحكومات ايضاً واثاروا فيها الاضطرابات والقلاقل.

المسألة الخامسة عشرة:

ان القرآن الكريم الذي يورد حوادث يأجوج ومأجوج مجملا يذكرها الحديث الشريف بشئ من التفصيل، ولكن تلك التفصيلات ليست بمثل اجمال القرآن الكريم محكمة بل ربما تعد من المتشابهات الى حد ما فتحتاج الى تأويل بل الى تعبير لاختلاط اجتهادات الرواة فيها. ان تأويلا لهذا ولايعلم الغيب الا الله هو:

انه كناية واشارة الى ان قبائل المانجور والمغول – الذين يطلق عليهم القرآن بلغته السماوية يأجوج ومأجوج – سيدمرون العالم كله في الازمان المقبلة مثلما أغاروا – عدة مرات – على آسيا واوروبا مع قبائل من الصين وما حولها، واحلوا فيهما الهرج والمرج. حتى ان الارهابيين المشهورين في المنظمات الشيوعية الآن ينتمون اليهم.

نعم، ان الفكر الاشتراكي تولد في الثورة الفرنسية وترعرع بدعوتها الى التحرر، ولما كان هذا الفكر الاشتراكي يدعو الى تدمير قسم من المقدسات فقد انقلب أخيراً الى البلشفية وقد نشرت البلشفية ايضاً بذور الافساد لتحطيم كثير من المقدسات

---

(١) عن انس بن مالك رضي الله عنه، ان النبي ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة»: رواه مسلم ٢٩٤٤ (وفي بعض النسخ اصفهان بالفاء وكلاهما صواب).

والمثل الاخلاقية والانسانية وستثمر تلك البذور حتماً حناظل الفوضوية والارهاب التي لاتعرف حدوداً لشئ، ولاتقيم وزناً له، اذ القلب الانساني اذا انتزع منه الرأفة والرحمة والاحترام فان العقل والذكاء يسيطران – عندئذ – على زمام الانسان ويجعلان اولئك الناس كالوحوش الضارية والكلاب المسعورة فلا يجدي معهم الضبط السياسي.

ان أخصب مرتع للفكر الفوضوي الارهابي هو الاماكن المزدحمة بالمظلومين، والقبائل البعيدة عن الحضارة، وعن الحكومة والدولة، والتي اعتادت النهب والاغارة، فهذه الشروط تنطبق على قبائل المانچور والمغول وقسم من قبائل القرغيز الذين كانوا السبب في بناء سد الصين بطول أربعين يوماً والذي يعد أحد عجائب الدنيا السبع.

وهكذا فالرسول الكريم ﷺ الذي يفسر ما اجمله القرآن الكريم قد أخبر عنهم اخباراً معجزاً، محققاً.

المسألة السادسة عشرة:

في سياق قتل عيسى عليه السلام الدجال تبين الروايات ان للدجال جسماً خارقاً في الضخامة والعلو حتى يعلو على المنارة، وان عيسى عليه السلام بالنسبة له صغير جداً (١). ان أحد أوجه تأويل هذا، ولايعلم الغيب الا الله ينبغي ان يكون هكذا:

انه كناية واشارة الى ان الذين يعرفون (عيسى) عليه السلام ويتبعونه بنور الايمان – وهم جماعة الروحانيين المجاهدين – هم قلة قليلة بالنسبة لجنود الدجال العلمية والمادية اي الثقافية والعسكرية.

المسألة السابعة عشرة:

ورد: ان الدنيا تسمع ظهور الدجال يوم ظهوره، ويسيح في الارض اربعين يوماً وله حمار، دابة خارقة.

---

(١) ورد في كتاب «الاشاعة لاشراط الساعة ص١٨٨ عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أن طول الدجال اربعون ذراعاً بالذراع الاول، تحته حمار أقمر – اي شديد البياض – طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً، ما بين حافر حماره الى الحافر الآخر، مسيرة يوم وليلة، تطوى له الارض منهلا منهلا، يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس الى مغيبها، يخوض البحر الى كعبه..» اهـ الحديث بطوله. وانظر النهاية او الملاحم ٢/٨٠، ٨٢ كنز العمال ١٤/٣٣٠، مختصر تذكرة القرطبي ١٤٤، ١٤٨. جمع الجوامع ١٠٦٦٢ الدر المنثور ٥/٣٥٥ فيض القدير رقم ٤٢٤٩ مجمع الزوائد ٨/٣٤٤ الحاوي للفتاوى ٢/٥٨٨.

هذه الروايات بشرط صحتها لها عدة تأويلات والله اعلم هي:

ان هذه الروايات تخبر أخباراً معجزاً عن: ان وسائط النقل والمخابرة ستتقدم في زمن ظهور الدجال بحيث ان حادثة واحدة تسمع في اليوم الواحد في انحاء العالم كله، فيصيح الدجال بالراديو ويسمعه الشرق والغرب، وتقرأ الحادثة في جميع صحفه وجرائده. وان الانسان يستطيع ان يسيح في العالم كله في غضون اربعين يوماً فيرى قاراته السبع وحكوماته السبعين. فهذه الروايات تخبر اخباراً معجزاً عن التلغراف والتلفون والراديو والطيارة قبل ظهورها بعشرة قرون.

ثم ان الدجال لايُسمع – في العالم – بكونه دجالا، وانما بصفة ملك وحاكم مستبد مطلق، وان سياحته في الارض ليست للاستيلاء على الاماكن كلها وانما لايقاظ الفتنة والاضلال والاغواء. اما دابته وحماره، فاما انه القطار الذي احدى اذنيه ورأسه مصدر النار كجهنم. واذنه الاخرى مكان مفروش ومزين كجنة كاذبة، فيرسل اعداءه الى الرأس ذي النار ويجعل اصدقاءه في الرأس المعد للضيافة.. او أن حماره ودابته سيارة عجيبة.. او طائرة.. او..(يجب السكوت).

المسألة الثامنة عشرة:

ورد انه: اذا استقامت امتي فلها يوم، اي يدوم ملكها وحكمها ألف سنة دواماً تاماً نافذاً (١)، بدلالة الآية الكريمة ﴿ **في يوم كان مقداره ألف سنة** ﴾ (السجدة: ٥). وان عدلت عن الاستقامة فلها نصف يوم، اي تحافظ على حكمها وسيطرتها بما يقارب خمسمائة سنة.

ان هذه الرواية – والله اعلم – ليست اخباراً عن القيامة، وانما هي رواية عن عزة الاسلام وسلطنة الخلافة، وقد تحققت فعلا حقيقة ثابتة ومعجزة غيبية، اذ عاشت الدولة العباسية ما يقرب خمسمائة سنة حينما فقد الحكام السياسيون في أواخر العباسيين طريق الاستقامة. الا ان الامة الاسلامية بمجموعها حافظت على الاستقامة لذلك فقد امدتهم الخلافة العثمانية، فادامت السلطة الى ألف وثلاثمائة سنة تقريباً.

---

(١) وفي ابي داود ١٢٣/٤ (٤٣٥٠) عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: اني لأرجو ان لاتعجز امتي عند ربها ان يوخرهم نصف يوم، قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم قال: خمسمائة سنة. وانظر الى النهاية او الملاحم لابن كثير ١٣/١ واليواقيت والجواهر للشعراني ٤٢/٢، ١٢٧.

ثم لما عجز السياسيون العثمانيون عن الحفاظ على الاستقامة، عاشت هي الاخرى خمسمائة سنة بالخلافة.. فصدقت الخلافة العثمانية بوفاتها الاخبار المعجز لهذا الحديث الشريف. وحيث اننا بحثنا هذا الحديث في رسائل اخرى اختصرناه هنا.

المسألة التاسعة عشرة:

ان هناك اخباراً متباينة عن المهدي (١) الذي هو من آل البيت، وظهوره من علامات الساعة. حتى حكم قسم من اهل العلم واهل الولاية على سبق ظهوره.

ان تأويلاً لهذه الروايات المتباينة والله اعلم بالصواب هو:

ان للمهدي الكبير مهمات كثيرة ووظائف عدة، فكما ان له اجراءات في عوالم ودوائر كثيرة كعالم السياسة وعالم الدين وعالم السلطة وعالم الجهاد، كذلك يحتاج اهل كل عصر عندما يُخيّم عليهم اليأس الى من هو كالمهدي ليشد من قواهم المعنوية، او يحتاجون الى ترقب مجيئ المهدي وظهوره لإمدادهم في ذلك الوقت. لذا ظهر من آل البيت من هو كالمهدي في كل دور بل في كل عصر برحمة من الله سبحانه، فحافظ على شريعة جده الامجد، واحياء سنته المطهرة، فمثلا: ظهر المهدي العباسي في عالم السياسة والدولة، وظهر الشيخ الكيلاني (٢) والشاه النقشبند (٣) والاقطاب الاربعة والأئمة الاثنا عشر وامثالهم من الافذاذ في عالم الدين والايمان فنفذوا قسماً من مهمات المهدي ووظائفه. فلظهور هؤلاء وقيامهم بقسم من اعمال

(١) واحاديث المهدي عند الترمذي، وابي داود، وابن ماجة، والحاكم، والطبراني، وابي يعلى الموصلي، واسندوها الى جماعة من الصحابة.. قال الشوكاني في التوضيح: والاحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلاشك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الاصول، واما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة ايضاً لها حكم الرفع، اذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. اهـ (الاذاعة لمحمد صديق حسن خان ١١٣ - ١١٤).

(٢) الكيلاني (عبد القادر): هو ابن ابي صالح ابو محمد الجيلي. ولد بجيلان سنة ٤٧٠ هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على ابي سعيد المخرمي الحنبلي، وهو احد الاقطاب المعروفين لدى اهل السنة والجماعة، ومجدد عظيم استقام على يديه كثير من المسلمين واسلم كثير من اليهود والنصارى. من مصنفاته: كتاب الغنية وفتوح الغيب والفتح الرباني، توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ. المترجم.

(٣) النقشبند (الشاه): هو محمد بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ولد في قرية قصر العارفان، قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في الثامنة عشرة من عمره، انتسب الى شيوخ كثيرين وعاد اخيراً الى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وانشأ فيها طريقته ونشرها، وتوفي في ٣ ربيع الأول ٧٩١هـ ١٣٨٩م عن (٧٣) سنة من العمر. من مصنفاته: رسالة الواردات والاوراد البهائية، حياتنامة، تنبيه الغافلين.- المترجم.

المهـدي – التي تتـوجه الى احـيـاء الشـريعة وسنـة الرسول ﷺ – وكـونهم مـدار نظر الرسـول محـمـد ﷺ اخـتلفت الروايات الواردة بحق المهـدي، فـحدا بقـسم من اهل الحقيقة الى ان يقولوا: انه ظهر في الماضي.

وعلى كل حال فقد وضحت رسائل النور هذه المسألة، فنحيل اليها الا اننا نقول:

انه ليس في الدنيـا قاطبـة عصـبة متـساندة نبـيلة شريفـة ترقى الى شرف آل الـبيت ومنزلتهم، وليس فيها قـبيلة متوافقة ترقى الى اتفاق قبيلة آل البيت، وليس فـيها مجتمع او جماعة منورة أنور من مجتمع آل البيت وجماعتهم.

نعم! ان آل البيت الذين غُذوا بروح الحقيقة القـرآنية وارتضعوا من منبعها، وتنوروا بنور الايمان وشـرف الاسلام فعـرجوا الى الكمـالات، وانجبـوا مئات الابـطال الافذاذ وقدمـوا ألوف القواد المعنويين لقـيادة الامـة.. لابد انهـم يظهرون للدنيـا العدالة التـامة لقائدهـم الاعظم المهدي الاكـبر، وحقانيتـه باحياء الشريعة المحـمدية والحقيقة الفـرقانية والسنة الاحـمدية واعلانها وتطبيقها واجرائها..

وهذا الامـر في غـاية المعـقـوليـة فـضلا عـن انه في غـاية اللزوم والضـرورة، بل هو مقتضى دساتير الحياة الاجتماعية الانسانية.

المسألة العشرون:

طلوع الشمس من مغربها وظهور دابة الارض.

اما طلوع الشمس من مغربهـا فهو علامة بديهية لقيام الساعـة ولبداهته اصبح معناه ظاهراً لاداعي لتـفسيـره، ولاحاجـة الى التأويل، اذ هو حـادثة سماوية يغلـق بها باب التوبة المرتبط باختيار العقل.. الا ان هناك أمراً هو:

ان السبب الظاهري لذلك الطلوع والله اعلم هو:

انه حالما يرفع القـرآن من الارض – الذي هو بمثابة عقلهـا – تفقد الارض صـوابها فتصطـدم – باذن الهي – بكوكـب سيار آخر، فـتعود القهـقرى عن حركتهـا، وتصبح دورتهـا – بارادة الله سبـحـانه – من الشـرق الى الغرب بدلا من الـغرب الى الشـرق، وعندها تبدأ الشمس بالطلوع من مغربها.

نعم! اذا انقطعت قوة جاذبة القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين والذي يشد الارض بالشمس، والفرش بالعرش، انحلت عرى الكرة الارضية، فتظل تدور دوراناً تائهاً سائباً، فتطلع الشمس من مغربها بعدم انتظام حركتها وبمعكوسيتها.

هذا وللحديث تأويل آخر هو:

ان القيامة تقوم نتيجة التصادم – بالكواكب السيارة – بأمر إلهي مقدر.

اما «دابة الارض» فان هناك اشارة اليها في غاية الاجمال في القرآن الكريم مع كلام مختصر بلسان حالها.

اما تفصيلها فلا أعرفه الآن معرفة جازمة ـ وباقتناع قاطع ـ بمثل المسائل الاخرى. الا انني أتمكن ان اقول، ولا يعلم الغيب الا الله:

انه كما سلط الله سبحانه آفة الجراد والقمل على قوم فرعون، وسلط (طيراً ابابيل) على قوم أبرهة الذين أتوا لهدم الكعبة، كذلك الذين ينساقون طوعاً وعلى علم بفتن «السفياني والدجاجلة» فيتمادون في العصيان والطغيان والفساد، ويترددون في الالحاد والكفر والكفران والتوحش والغدر بدافع الارهاب والفوضى التي يشيعها يأجوج ومأجوج يخرج عليهم حيوان من الارض – لحكمة ربانية لاعادة صوابهم – فيسلط عليهم ويدمرهم تدميراً.

ان تلك الدابة – والله اعلم – هي نوع وليست فرداً، لانه لو كانت فرداً وحيواناً واحداً ضخماً جداً، لما بلغ كل شخص في كل مكان، فهو اذن طائفة حيوانية مخيفة، وربما هي حيوان كالارضة التي تقضم الخشب وتأكله كما تشير اليها الآية الكريمة ﴿**الا دابة الارض تأكل منسأته**﴾ (السبأ: ١٤). فهذا الحيوان ايضاً يقضم عظام الانسان وينخرها كنخر تلك الدابة الخشب ويستقر في جميع اجزاء جسم الانسان من أسنانه الى اظفاره.

وقد انطقت الآية الكريمة تلك الدابة بخصوص الايمان مشيرة: بان المؤمنين ينجون منها ببركة الايمان ويمنه، وبتحرزهم من السفاهة، وتجنبهم الاسراف وسوء الاخلاق.

﴿**ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا او أخطأنا**﴾

﴿**سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم**﴾

(تتمة المسائل العشرين السابقة في ثلاث مسائل)

المسألة الاولى:

لقد اطلق في الروايات اسم «المسيح» على سيدنا عيسى عليه السلام، واطلق الاسم نفسه على الدجالين ايضاً، كما ورد في الاستعاذة: «من فتنة المسيح الدجال».

فما حكمة هذه التسمية وما تأويلها (١)؟

الجواب: ان حكمتها – والله اعلم – هي:

ان عيسى عليه السلام قد رفع – بأمر إلهي – قسماً من التكاليف الشاقة التي كانت في شريعة سيدنا موسى عليه السلام، واحل بعض ما تشتهيه النفوس كالخمر، كذلك يفعل الدجال الكبير – بإغواء من الشيطان وبنفوذه – فيرفع قسماً من أحكام شريعة سيدنا عيسى عليه السلام فيخل بالروابط التي بها تدار الحياة الاجتماعية للنصارى ممهداً الاوضاع للفوضى والارهاب ومجيئ يأجوج ومأجوج.

وكذلك «السفياني» الذي هو دجال المسلمين يسعى لرفع قسم من الاحكام الخالدة للشريعة المحمدية (على صاحبها افضل الصلاة والسلام) بدسائس النفس الامارة وبمعاونة الشيطان، فيخل بالروابط المادية والمعنوية للبشرية ويطلق النفوس الحائرة العصبية الذاهلة من عقالها لتتيه ضائعة شاردة. فينقض العرى النورانية التي تربط افراد المجتمع الانساني كالاحترام والمحبة، ويكره الناس على حرية هي عين الاستبداد، لتتصارع النفوس الضالة في مستنقع الاهواء والرذيلة، فاتحاً الطريق الى ارهاب شنيع وفوضى رهيبة بحيث لايمكن – في ذلك الوقت – ان ينضبط اولئك الناس الا باستبداد في منتهى الشدة والقسوة.

المسألة الثانية:

لقد ذكرت الروايات اعمالاً خارقة يقوم بها كلا الدجالين، وعن اقتدارهما فوق المعتاد، وعن هيبتهما وعظمتهما الفائقة، حتى حدا الامر ببعض الناس التعساء ان يسندوا اليهما شيئاً من الالوهية! هكذا جاء في الروايات.. فما سبب هذا؟

---

(١) قال الحافظ في الفتح: ٩٤/١٣: وحكى شيخنا مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس في اللغة، انه اجتمع له من الاقوال في سبب تسمية الدجال خمسون قولا.

الجواب: والعلم عند الله. اما كون اجراءاتهم واعمالهم عظيمة وخارقة، فلأن معظمها تسوق الى التخريب، وتدفع الى هوى النفس. لذا يمكنهم بكل سهولة ويسر القيام باعمال فوق المعتادة، لانها تخريب. حتى ان ما ورد في الحديث من: «يوم كسنة» اي: ان ما ينجزونه في سنة واحدة من الاعمال لايمكن انجازها في ثلاثمائة سنة. اما سبب ظهور اقتدارهم بما هو فوق المعتاد، فان هناك اربعة اسباب وجهات:

اولاها:

اسنادهم الى انفسهم ظلماً وزوراً وبالاستدراج كل ما في حكوماتهم الهائلة المستبدة من اعمال حسنة وترقيات حصلت بقوة الجيش الشجاع والامة النشطة، هو الذي يسبب التوهم من ان اشخاصهم لها اقتدار ألف شخص، علماً ان القاعدة والحقيقة تقتضيان: ان ما ينشأ من عمل الجماعة من المحاسن والاعمال الايجابية والشرف والغنيمة يقسم على افراد الجماعة ويعود الى افرادها، في حين تسند السيئات والسلبيات والخسائر والتخريبات الى سوء ادارة رئيس الجماعة وتقصيراته.

فمثلا: اذا اقتحم فوج من الجيش قلعة وفتحوها. فان شرف الانتصار والغنائم التي يحصلون عليها تعود الى قوة سلاحهم. اما اذا وجدت السلبيات والخسائر فانها تعود الى آمرهم. وهكذا خلافاً لهذا الدستور الاساسي المبني على الحق والحقيقة ينال اولئك الرؤساء المرعبون بالاستدراج والخداع محبة عموم اهل الغفلة، رغم انهم يستحقون ان يقابلوا بكراهية الناس كلهم، وذلك لاسنادهم الحسنات والايجابيات والتقدم الى انفسهم واسناد السلبيات والسيئات والاخطاء الى امتهم المسكينة.

الجهة الثانية والسبب الثاني:

ان كلا الدجالين يجريان حكمهما باستبداد مطلق وارهاب شديد وظلم شنيع وقسوة متناهية، لذا يبدو اقتداراً عظيماً.

نعم! ان استبدادهم عجيب حتى انهم يتدخلون – بستار القانون – الى وجدان كل شخص، والى مقدساته، بل حتى الى نوع ملابسه.

وأخال ان دعاة التحرر من المسلمين والاتراك – في العصر الاخير – قد أحسوا بهذا الاستبداد – بالحس قبل الوقوع – فصوبوا له سهامهم وهاجموه بشدة، الا انهم انخدعوا انخداعاً كلياً، واخطأوا الهدف، اذ هاجموا في غير موقع الجبهة!

اما ظلمهم وقسوتهم فهما من الشناعة بحيث تدمر - بجريرة شخص واحد - مائة قرية، وتعاقب الابرياء، ويهجّرون من اماكنهم ويذلون.

الجهة الثالثة والسبب الثالث:

ان كلا الدجالين يحصلان على معاونة المنظمات السرية اليهودية الحاقدة على الاسلام والنصارى حقداً شديداً، ومؤازرة منظمة رهيبة اخرى تعمل تحت ستار حرية النساء؛ حتى ان دجال المسلمين يتمكن من خداع لجان الماسونيين، فيكسب ودهم وتأييدهم.. لذا يُتوهم ان لهم اقتداراً عظيماً.

هذا ويفهم من استخراجات بعض الاولياء الصالحين: ان «الدجال السفياني» الذي سيرأس دولة الاسلام.. يجد له رئيس وزراء في غاية الاقتدار والدهاء والفعالية مع بعد عن حب الظهور، وعدم مبالاة بالشهرة والصيت.. ويجد له ايضاً قائداً عاماً للجيش في منتهى الشجاعة والقدرة والصلابة مع نشاط دائم وعدم اكتراث بالشهرة.. فيسخرهما «الدجال السفياني» لغايات شخصه، ويسند الى نفسه ما يقومان به من اعمال عظيمة - ينجزانها بدهائهما - مستغلا بعدهما عن الرياء.

وهكذا.. بهذه الوسيلة يسند الى نفسه ما تقوم به الدولة والجيش العظيم من تجدد وانقلاب ورقي حصلوا عليه بدافع من الحاجة الناجمة من الحرب العالمية. ويدفع المداحين ليشيعوا في الاوساط ان في شخصه قوة عجيبة خارقة واقتداراً فوق المعتاد.

الجهة الرابعة والسبب الرابع:

يملك الدجال الكبير حواس لها من التأثير والتسخير ما يشبه التنويم المغناطيسي والتأثير على الارواح، ودجال المسلمين كذلك له في احدى عينيه قوة تسخير مغناطيسية، حتى ورد «أنه أعور» ملفتاً الانظار الى عينه. ففي الحديث اشارة الى: ان الدجال الكبير أعور. والآخر احدى عينيه ممسوحة، اي بحكم العوراء بالنسبة للاخرى، وبانهما كافران كفراً مطلقاً، فليست لهما إلاّ عين واحدة فقط تنحصر رؤيتها في الحياة الدنيا. أما الاخرى التي لها القدرة على رؤية العقبى والآخرة فعوراء ممسوحة.

ولقد رأيت في عالم معنوي دجال المسلمين، وشاهدت بعيني ما في احدى عينيه من قوة تسخير مغناطيسية، وعرفته منكراً كلياً لله. هذا الانكار هو الذي يدفعه الى الهجوم بجرأة على المقدسات ولكن عامة الناس يجهلون الحقيقة فيظنون انه يقوم بأعماله بجرأة فائقة وقدرة عظيمة.

ان امة بطلة مجيدة – وهي تتجرع هزائمها – بدافع الاعجاب بالبطولة تشيد ببطولة هذا القائد المكار المستدرج الذي نال شهرة وحظاً وانتصارات، وتصرف نظرها عن ماهيته الحقيقية، وتحاول ستر سيئاته.. فياهلاكها.. ولكن – كما نفهم من الروايات – بان نور الايمان وضياء القرآن الموجود في روح الجيش البطل المجاهد والامة المتمسكة بدينها يدفعهما الى مشاهدة حقيقة الحال فيحاولون تعمير ما دمره ذلك القائد من دمار مريع.

المسألة الثالثة الصغيرة:

وهي حوادث ثلاث ذات عبر:

الحادثة الاولى:

انطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ يوماً فاشار ﷺ الى احدهم بين صبيان اليهود، وقال: هذا صورته فقال عمر رضي الله عنه: ذرني يارسول الله اضرب عنقه، فقال ﷺ «ان يكُنه فلن تسلط عليه – اي ان يكن هذا السفياني – وان لم يكن فلا خير لك في قتله» (١).

فهذه الرواية تشير الى ان صورته ستظهر في كثير من الاشياء زمن حكمه والى أنه سيولد بين اليهود.

ومن الغريب ان سيدنا عمر رضي الله عنه الذي حمل عداوة وغضباً شديداً على صورته المشاهدة في صبي حتى أراد قتله، اصبح لدى ذلك «السفياني» اكثر من يثني عليه، ويعجب به ويقدره..

---

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ان عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط من اصحابه قبل ابن صياد، حتى وجده يلعب مع الصبيان عند اطم بني مغاله... فقال عمر بن الخطاب ذرني يارسول الله أضرب عنقه، فقال له رسول الله ﷺ: «ان يكنه، فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك في قتله». رواه البخاري ومسلم ٢٩٢٤، ٢٩٣٠، وابو داود ٤٣٢٩ وغيرهم بألفاظ متقاربة.

الحادثة الثانية:

نقل الكثيرون: ان دجال المسلمين كان متلهفاً الى معنى السورة الكريمة: « والتين والزيتون » ويستفسر عنه.

ومن الغريب: ان سورة « اقرأ باسم ربك » هي عقب هذه السورة: وفيها الآية الكريمة: ﴿ **ان الانسان ليطغى** ﴾ التي تشير الى مكانه وشخصه بالذات - بمعناها وبحساب علم الجفر - فضلا عن دلالتها على طغيانه على المصلين والمساجد.

اي ان ذلك الشخص المستدرج يشعر ان سورة قصيرة ذات علاقة به، ولكنه يخطئ فيطرق باب جارتها.

الحادثة الثالثة:

في رواية ان دجال المسلمين سيظهر في خراسان [١]. ان تأويلاً لهذا - ولايعلم الغيب الا الله - هو:

ان الشعب التركي الذي هو اشجع قوم في الشرق وأقواهم وأزيدهم عدداً واكثرهم اقداماً في جند الاسلام كان يقطن أطراف خراسان زمن تلك الرواية، ولّما سكنوا بعدُ في الاناضول. فالرواية تشير - بذكرها موطن سكناهم في ذلك الوقت - الى ظهور « الدجال السفياني » فيهم.

وانه لغريب بل غريب جداً ان الشعب التركي الذي كان رمزاً لشرف الاسلام وعزته، وسيفاً الماسياً ممتازاً بيد الاسلام والقرآن طوال سبعمائة سنة، يسعى « الدجال السفياني » ان يستعمل - مؤقتاً - هذا الشعب والقومية التركية ضد قسم من شعائر الاسلام.. ولكن هيهات، فلا يفلح في عمل، بل يتقهقر حتماً، كما يفهم من الروايات: « ان الجيش البطل سينقذ زمامه من يده ». والله اعلم بالصواب

ولا يعلم الغيب الا الله

* * *

(١) عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: (ان الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها، خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة). حديث صحيح. رجاله ثقات. أخرجه احمد برقم ١٢، ٣٣، والترمذي رقم ٢٢٣٨ في الفتن باب ما جاء من اين يخرج الدجال. وابن ماجة (٤٠٧٢) في الفتنة باب فتنة الدجال كذا في مسند ابي بكر الصديق تحقيق شعيب الارناووط رقم الحديث ٥٧ ص١١٨ - ١١٩.

الشعاع السادس

« عبارة عن نكتتين فقط »

بسم الله الرحمن الرحيم

سيُبين باختصار في هذا « الشعاع السادس » نكتتان فقط من بين مئات النكات التي يتضمنها التشهد في الصلاة « التحيات المباركات، الصلوات، الطيبات.. لله.. » وهما جوابان مختصران عن سؤالين يتعلقان بنقطتين في التشهد. اما سائر حقائقه فنعلقه الى وقت آخر بمشيئة الله.

السؤال الاول:

ما حكمة قراءة كلمات التشهد المباركة في الصلاة، مع انها محاورة جرت بين الرب الجليل ورسوله الكريم ﷺ في ليلة المعراج؟

الجواب: ان صلاة كل مؤمن معراجه، فالكلمات اللائقة لذلك المثول بين يدي الله سبحانه هي تلك التي وردت في المعراج العظيم لسيدنا محمد ﷺ.

ويتذكر الانسان تلك المحاورة السامية والصحبة المقدسة بذكر تلك الكلمات، وبذلك التذكر تصعد معاني تلك الكلمات الطيبة الى مراقي الكليات متحررة من

الجزئيات وتُتصوّر – او يمكن ان تتصور – تلك المعاني الكلية المحيطة السامية. وبذلك التصور تتعالى قيمتها ويتسامى نورها ويتسع.

فمثلاً: لقد قال الرسول الكريم ﷺ في تلك الليلة المباركة امام الحضور الإلهي بدلاً عن السلام: «التحيات لله»..

اي: ان مايظهره جميع ذوي الحياة من تسبيحات حياتية، بحياتها.. ومايقدّمونه من هدايا فطرية الى صانعهم الجليل.. يخصّك وحدك ياربي. وانا بدوري اقدم جميعها بتصوري لها وايماني بها.

نعم، كما نوى الرسول الكريم ﷺ جميع العبادات الفطرية لذوي الحياة وقدّمها الى ديوان الرب الجليل بكلمة «التحيات» كذلك يقول ﷺ بكلمة «المباركات» التي هي خلاصة التحيات بمعنى واسع يضم عبادات وتبركات فطرية وبركات جميع المخلوقات التي هي مدار البركة والتبريك من قبل الناظرين اليها، والتي هي خلاصة الحياة وذوي الحياة. ولاسيما البذور والنوى والحبوب والبيوض.

وانه ﷺ بكلمة «الصلوات» التي هي خلاصة «المباركات» يتصور العبادات المخصوصة لذوي الارواح الذين هم خلاصة ذوي الحياة، ويعرضها الى ديوان الحضرة الإلهية بمعناها الواسع المحيط.

وانه ﷺ بكلمة «الطيبات» التي هي خلاصة «الصلوات» يقصد العبادات الرفيعة النورانية للناس الكاملين - وهم خلاصة ذوي الارواح - والملائكة المقربين. فيقدمها خاصة الى معبوده سبحانه.

ثم ان ما قاله الرب الجليل في تلك الليلة من: «السلام عليك يا ايها النبي» يُشعر اشعاراً يتسم بالامر ان يقول كل انسان من مئات الملايين من البشر في المستقبل: السلام عليك يا ايها النبي.. يقوله كلٌّ منهم كل يوم، عشر مرات في الاقل. فيمنح ذلك السلام الإلهي تلك الكلمة نوراً محيطاً ومعنىً سامياً.

كما ان قول الرسول الاكرم ﷺ: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» رداً للسلام الإلهي يفيد ويذكّر أنه سأل خالقه الكريم راجياً وداعياً ان تنال في المستقبل امته المعظمة وصالحي امته الاسلام الذي يمثل السلام الإلهي، وان تتبادل الامة كلهم فيما بينهم: السلام عليك وعليك السلام؛ ذلك الشعار الاسلامي العام.

وان قول جبرائيل عليه السلام الذي له حظ من تلك الصحبة السامية في تلك الليلة بأمر الهي: «اشهد ان لا اله الاّ الله واشهد ان محمداً رسول الله» يبشر عن ان الامة جميعهم سيشهدون هذه الشهادة وسينطقون بها الى يوم القيامة.

وهكذا تسطع معاني الكلمات وتتوسع بتذكر هذه المحاورة المقدسة السامية.

ان حالة روحية غريبة قد أعانتني على انكشاف هذه الحقيقة، وهي الآتية:

لقد تراءى لخيالي حاضر هذا الكون العظيم فيما مضى من خلال غربة مظلمة قاتمة، واثناء ليلة حالكة، ومن ثنايا غفلة دامسة، تراءى في صورة جنازة مخيفة، جامداً لاروح فيه ولاحياة، خالياً قفراً. وخُيل الزمان الماضي الراحل مخيفاً لاروح فيه ولاحياة وخالياً قفراً ايضاً، واتخذ ذلك المكان الواسع غير المحدود، وذلك الزمان غير المحدود مستوحشاً مخيفاً فالتجأت من روعي الى الصلاة لأنجو من تلك الحالة الرهيبة وحينما قلت «التحيات» في الصلاة، اذا بالكون كله يبعث وتدبّ فيه الحياة ويتنور وغدا مرآةً ساطعة لتجليات الحي القيوم.

وعلمت بعلم اليقين بل بحق اليقين وشاهدت ان الكون مع جميع اجزائه الحيوية يقدم دائماً الى الحي القيوم تحيات وهدايا حياته.

وحينما قلت: السلام عليك يا ايها النبي، انقلب ذلك الزمان المقفر الموحش غير المحدود فجأة الى متنزه مليء بذوي الارواح، لطيف مؤنس برئاسة الرسول الاكرم ﷺ.

السؤال الثاني:

ان التشبيه الموجود في ختام التشهد وهو «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم» هذا التشبيه لايوافق قواعد التشبيه، لان محمداً ﷺ هو اعظم من ابراهيم عليه السلام واكثر حظوة منه للرحمة الإلهية.

فما سر هذا التشبيه؟ وما حكمة تخصيص هذا النوع من الصلوات في التشهد؟ وما سر الحكمة في تكرار الدعاء نفسه في الصلوات منذ القدم، وفي كل وقت، ومن قبل ملايين المقبولي الدعاء، وسؤالهم بالحاح مع انه يكفي لدعاءٍ أن يستجاب مرة

واحدة؛ ولاسيما أنه قد أقترن بوعد الهي – حيث قد وعد سبحانه في قوله تعالى ﴿**عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ (الاسراء: ٧٩) وروى في الاذان والاقامة قوله ﷺ (وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)[١] فالامة جميعاً يدعون لانجاز ذلك الوعد. فما سر هذا؟

الجواب: يتضمن هذا السؤال ثلاثة اسئلة وثلاث جهات:

الجهة الاولى:

على الرغم من ان سيدنا ابراهيم لايبلغ سيدنا محمداً ﷺ، الاّ أن آل ابراهيم هم انبياء، بينما آل محمد ﷺ هم اولياء. والاولياء لايبلغون الانبياء.

والدليل على قبول هذا الدعاء الذي يخص الآل قبولاً واضحاً هو:

كون الاولياء الذين جاؤا من نسل اثنين من آل محمد وهما الحسن والحسين رضي الله عنهما، هم باكثريتهم المطلقة ائمة مسالك الحقيقة والطريقة ومرشديها من بين ثلاثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين ونالوا مرتبة كمرتبة انبياء بني اسرائيل كما ورد (علماء امتي كانبياء بني اسرائيل)[٢].

فكل منهم أرشد القسم الاعظم من الامة الى طريق الحقيقة وسبيل حقائق الاسلام فهؤلاء ثمرات استجابة الدعاء الذي يخص الآل، منهم في المقدمة، جعفر الصادق[٣] والشيخ الگيلاني والشاه النقشبند (رضي الله عنهم).

الجهة الثانية:

اما حكمة تخصيص هذا النوع من الصلوات بالصلاة فهي:

---

(١) عن جابر مرفوعاً: من قال حين يسمع النداء: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» حلت له شفاعتي يوم القيامة. رواه احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعاً (كشف الخفاء ١/٤٠٢).

(٢) قال السخاوى فى المقاصد: قال شيخنا يعني ابن حجر: لا اصل له، قال: وقال النجم: وممن نقله جازماً بانه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين بن قدامة واشار الى الاخذ بمعناه التفتازاني والسيوطي في الخصائص. (باختصار عن كشف الخفاء ٢/٦٤) (وانظر تذكرة الموضوعات ص٢٠).

(٣) جعفر الصادق (٨٠ – ١٤٨هـ/ ٦٩٩ – ٧٦٥م) جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط، سادس الائمة الاثنى عشر عند الامامية. كان من اجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة فى العلم، اخذ عنه جماعة، منهم الامامان ابو حنيفة ومالك، مولده ووفاته بالمدينة (عن الاعلام ٢/١٢٦) المترجم.

تذكّر المرء بالتحاقه ورفاقته بذلك الركب الميمون والقافلة العظمى للانبياء والاولياء الذين هم انور افاضل البشر واكملهم واكثرهم استقامة وسلوكه الطريق الذي فتحوه ونهجوا ذلك الصراط المستقيم وهم المؤيدون بقوة مئات الاجماع ومئات التواتر، تلك الجماعة المباركة الذين لايزيغون ابداً. وبتذكره هذا ينجو من شبهات الشيطان والاوهام الرديئة.

اما الدليل على ان هذه القافلة الميمونة هم اولياء رب العالمين المرضيين عنده. وان معارضيهم هم اعداؤه المبغوضين من مخلوقاته هو: الامداد الغيبي لذلك الركب الكريم دوماً منذ زمن آدم عليه السلام، ونزول المصائب والويلات السماوية بمخالفيهم.

نعم ان جميع المعارضين من امثال قوم نوح وثمود وعاد وفرعون ونمرود قد تلقوا صفعات غيبية تُشعر بالغضب الإلهي وعذابه. بينما نال الركب العظيم من امثال نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام ومحمدﷺ وامثالهم من الانبياء الكرام والائمة السامين، المعجزات العظيمة والآلاء الربانية بصورة خارقة.

ولما كانت صفعة واحدة تدل على الغضب والاكرام الواحد يدل على المحبة فقد نزلت الوف الصفعات على المعارضين وألوف الاكرامات والامدادات على اولئك الابرار الميامين مما يشهد بداهة وبوضوح النهار على أحقية وصواب تلك القافلة المباركة وانهم على هدى وعلى صراط مستقيم.

وان ماجاء في ختام سورة الفاتحة ﴿ **صراط الذين انعمت عليهم** ﴾ متوجه الى اولئك الابرار الذين انعم الله عليهم. بينما «المغضوب عليهم» «والضالين» تبين معارضيهم. وهذه النكتة التي بيناها وضحت بجلاء في ختام سورة الفاتحة.

الجهة الثالثة:

ان سر الحكمة الكامن في السؤال الملحّ المكرر لشئ يمنح قطعاً هو: ان الشئ المراد، كالمقام المحمود انما هو طرف وغصن من حقيقة عظمى تضم الوف الحقائق الجليلة كحقيقة المقام المحمود. وهو ثمرة لاعظم نتيجة لخلق الكون.

اما طلب تلك الثمرة وذلك الغصن والطرف، فهو طلب تحقيق تلك الحقيقة العامة الشاملة العظمى وحصولها، وطلب مجيئ العالم الباقي الذي هو أعظم غصن من شجرة الخلق وطلب تحققه. وطلب تحقق القيامة والحشر الذي هو اعظم نتيجة للكون وطلب انفتاح دار السعادة.

فيتذكر المرء انه ايضاً - بهذا الطلب والسؤال - يشترك في العبودية البشرية والادعية الانسانية التي هي اهم سبب لوجود دار السعادة والجنة الخالدة.

ومن هنا نجد ان هذه الادعية غير المحدودة قليلة ايضاً بالنسبة لهذا المقصد العظيم غير المحدود.

وكذا فان اعطاء (المقام المحمود) لسيدنا الرسول ﷺ اشارة الى شفاعته الكبرى لامته عامة فهو اذن ذوعلاقة مع سعادة جميع امته.

ولهذا فان طلبه ادعية الصلوات غير المحدودة والرحمة غير المحدودة من امته هو عين الحكمة.

﴿ سبحانك لاعلم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ﴾

* * *

الشعاع السابع

الآية الكبرى

تنبيه مهم وايضاح

على الرغم من أهمية هذه الرسالة وعظيم شأنها، لايفهم كل شخص، كل مسألة من مسائلها. ولكن لايبقى دون حظ منها، فالذي يدخل بستاناً عظيماً، ولاتصل يده الى جميع ثماره؛ فحسبه ما ناله منها، اذ البستان لم يخصص له وحده، بل لذوي الايدي الطويلة حصتهم وحظهم كذلك.

وهناك خمسة اسباب تعيق فهم هذه الرسالة:

اولها: أنني كتبت مشاهداتي كما تراءت لي وفق فهمي، كتبتها لنفسي، فهي لم تكتب شأن الرسائل الاخرى بمستوى فهم الآخرين ومدى تلقيهم.

ثانيها: أن التوحيد الحقيقي قد كُتب في صورته العظمى، بفيض تجلي «الاسم الاعظم»، فأصبحت مسائله واسعة جداً، وعميقة جداً، وطويلة جداً؛ لذا لا يتمكن كل شخص أن يحيط بها مباشرة ولأول وهلة.

ثالثها: أن كل مسألة من مسائلها بحد ذاتها حقيقة كبرى طويلة – وحفاظاً على وحدة الحقيقة وعدم تجزئتها – قد تصبح الصحيفة الواحدة جملة مطولة واحدة، فهناك مقدمات كثيرة تورد بمثابة دليل واحد فقط.

رابعها : ان كل مسألة – من أغلب المسائل التي تعالجها هذه الرسالة – لها أدلتها الكثيرة، وحججها الوفيرة، فعند القيام بضم عشرة أدلة او عشرين أحياناً لسوقها برهاناً واحداً تكون المسألة طويلة، لاتسعها المدارك القصيرة.

خامسها : لقد تعرّضتُ لأنوار هذه الرسالة بفيوضات شهر رمضان المبارك ونفحاته، الاّ أنها كُتبت على عجل، واكتفيت بالمسودة الاولى؛ لما كنت أعانيه من الأسقام ومتاعب المضايقات من مختلف الجهات وكنت اشعر عند كتابتها انها ترد الى القلب دون اختيار مني ولا ارادة، فلم أر من اللائق أن أمسها بشئ من التنظيم أو التشذيب حسب تفكيري؛ لذا أخذت الرسالة هذا الشكل الذي يستشكل على الفهم. فضلاً عما درجت فيها فقرات المقام الاول الذي كتب باللغة العربية. (١)

ولكن رغم هذه الاسباب الخمسة التي هي مدار القصور والاشكال فان الرسالة ذات أهمية عظيمة.

فهذه الرسالة التي هي حقيقة من حقائق «الآية الكبرى» وتفسير لها، هي الشعاع السابع والحجة الايمانية الاولى «من مجموعة عصا موسى».

يتكون هذا الشعاع من مقامين، مع مقدمة توضح أربع مسائل مهمة:

المقام الاول: يبين باللغة العربية تفسير الآية الكبرى.

والمقام الثاني: يبين براهين المقام الاول ويوضحها ويثبتها.

إن طول المقدمة الآتية، وتوضيحها المسهب، كان بدون اختيار مني، فهناك اذن حاجة أن أملي عليّ هكذا، وقد يرى البعض طولها قصراً.

سعيد النورسي

(١) وضعنا الفقرات الواردة باللغة العربية في النص محصورة بين قوسين مركنين [ ] .المترجم.

المقدمة

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالانسَ إلاّ لِيَعْبُدُون ﴾ (الذاريات:٥٦)

يفهم من اسرار هذه الآية الجليلة: ان حكمة مجيئ الانسان الى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والايمان به، والقيام بعبادته. كما ان وظيفة فطرته، وفريضة ذمّته، هي: معرفة الله والايمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعاناً ويقيناً.

نعم، ان الانسان الضعيف الذي ينشد فطرةً الحياة الدائمة الخالدة، والعيش الأبدي الرغيد، والذي له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية، لابد ان تكون جميع الاشياء والكمالات هابطة تافهة بالنسبة اليه، بل ليس لأكثرها أية قيمة تذكر، ما عدا الايمان بالله ومعرفته، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده الى ذلك الايمان الذي هو اس الاساس لتلك الحياة الأبدية ومفتاحها.

ولما كانت «رسائل النور» قد اثبتت هذه الحقيقة بوضوح تام، وببراهين قاطعة، نحيل اليها، مبينين هنا ورطتين تزعزعان ذلك اليقين الايماني في هذا العصر، وتؤديان الى الحيرة والتردد، وذلك ضمن «مسائل أربع»:

الورطة الاولى

وسبيل النجاة منها مسألتان:

○ المسألة الاولى:

مثلما أثبت في «اللمعة الثالثة عشرة» من «المكتوب الحادي والثلاثين» بالتفصيل أنه: «لاقيمة للنفي في المسائل العامة امام الاثبات، فحكمه ضعيف وهزيل».

مثال ذلك: اذا اثبت شـاهدان من عامة الناس رؤية الهلال في أول شهـر رمضان، ونفى الرؤية آلاف من الوجـهاء والعلمـاء قائـلين: «اننا لم نر الهلال» فـان نفيـهم هذا يبقى غير ذي قـيمة او أهمية؛ ذلك لأن «بالاثبات» يؤازر الواحد الآخر ويقـويه، ففيه تساند واجتماع. بينما «النفي» فـلا فرق فيه ان يكون صادراً من شخص واحد أو من ألف شخص؛ اذ النافي منفرد باعتبار انه وحده الذي ينفي. ذلك لأن المثبت ينظر الى الامر نفسه ثم يصـدر حكمه، كما هو الحال في مثـالنا اذا قال أحدهم: هو ذا الهلال في السمـاء؛ فان الآخر يصدّقه ويؤيـده مشيراً الى المكان نفسه، فيشتـركان في النظر الى المكان نفســه، فيتـسـاندان، ويقوى حكـمهـمـا ويرسخ. أمـا في النفي والانكار فالنافي لاينظر الى الأمر نفـسه ولايسعه ذلك، لذا أصبحـت القـاعدة: «لايمكن اثبات النفي غير الخاص وغير المحدد مكانه» قاعدة مشهورة.

مـثال ذلك: اذا اثبتُّ لك وجود شئ مـعين في الدنيـا، وانكرتَ انت وجـوده في الدنيا فـينبغي لك ان تقـوم بالبحث والتـحري عنه في ارجـاء الدنيا كافة لتثبت عدم وجود ذلك الشئ الذي أتمكن بنـفسي أن أثبته بمنـتهى السهولة، وبـإيماءة بسيطة مني اليـه، بل عليك أن تغوص ايضـاً في اعمـاق الأزمنة الغابرة، حـتى تستطيع أن تـقول: «لايوجد فعلاً... لم تحدث حادثة كهذه!»

ولما كـان النافـون والمنكرون لاينـظرون الى الأمـر بذاته، وانما يصـدرون احكامـهم حسب انفسهم، ووفق عقـولهم ونظراتهم؛ لذا لايمكن ان يساند أحدهم الآخر، وان يكون ظهـيراً له؛ ذلك لأن حـجب الرؤية مـختلفة لديهم والاسبـاب المانعة للمـعرفة مـتنوعـة عندهـم. اذ يسـتطيع كل شـخص ان يقـول: انـني لا أرى الشئ الفـلاني.. وعندي انه غير موجود.. وباعتـقادي انه لا يوجد.. ولكنه لايمكنه ان يقول: إنه فعلاً لايوجد. واذا قال بهذا النفي ـ وبخاصة في المسائل الايمانية التي تشمل الكون كله ـ فان كلامه يكون إفكاً عظيماً وكذباً كـبيراً بكبر الدنيا، ولن يكون صدقاً قط ولايمكن ان يُستصوب أو يقوّم ابداً.

نخلص مما تقدم: ان النتيـجة في الاثبـات واحدة، وان فيه تسانداً، أمـا في النفي فالنتيجة ليـست واحدة بل متـعددة، إذ القيـود: عندي.. في نظري.. وباعتـقادي.. وأمـثالـها من الاسبـاب التي تحجب الرؤية الصـحيـحـة تتـعدد وتـختلف بـاختـلاف الاشخاص؛ لذا تأتي النتائج متعددة ايضاً، ومتفرقة، فلا يحصل التساند مطلقاً.

وهكذا، إنطلاقاً من هذه الحقيقة:

فلا قيمة او أهمية للكثرة الظاهرة للكفار والمنكرين الذين يصدون عن الايمان..

ولكن، في الوقت الذي لا ينبغي ان يتأثر يقين المؤمن ولا يشوب ايمانه بأي نوع من أنواع الشك والتردد، نرى ان ما يثيره فلاسفة اوروبا من شبهات وجحود في هذا العصر قد جلب الحيرة الى بعض المنكوبين المفتونين بهم، فأزال يقينهم وأباد سعادتهم الأبدية وأوقعهم في شقاء وتعاسة؛ ذلك لأن انكارهم هذا حوّل معنى «الموت» الذي يصيب يومياً ثلاثين ألفاً من الناس من معناه الحقيقي الذي هو: إنهاء وظيفة الانسان على الارض، الى صورة الاعدام الابدي والفناء النهائي والنهاية المرعبة المخيفة. واصبح القبر – الذي لا ينغلق بابه – يسمم لذائذ حياة ذلك المنكر وينغص عليه عيشه بآلام مبرحة ملوّحاً له العدم الرهيب دائماً بإعدامه الابدي. فافهم من هذا:

ما اعظم الايمان وما اعظم نعمته! وافهم كيف انه «حياة» للحياة!

o المسألة الثانية:

لايؤخذ بكلام من هم خارج إطار علم او صنعة في مسألة من مسائلهما، دارت حولها المناقشة، حتى لو كانوا عظماء وعلماء وصناعاً مهرة في اختصاصاتهم. ولايؤخذ حكمهم حجة في تلك المسألة، ولايدخلون ضمن اجماع علماء ذلك الضرب من العلم.

فمثلاً: لايسري حكم مهندس عظيم كواحد من الاطباء في تشخيص مرض ما أو علاجه. لذا لاتؤخذ الاقوال المنكرة الصادرة من أعظم فيلسوف بنظر الاعتبار فيما يخص المعنويات ولايُقام لها وزن، وبخاصة مَن توغل منهم كثيراً في الماديات فطمس على بصيرته وتعامى عن النور، فتبلّد ذهنه عن المعنويات وانحدر عقله الى عينيه وتردى حتى اصبح لايرى غير المادة ولايعقل شيئاً دونها.

فيا تُرى ما قيمة أقوال فلاسفة ذهلوا امام تفرعات اصغر الاجزاء، وتاهوا امام اكثرها تشتتاً وغرقوا فيها، وكم يساوي كلامهم واقوالهم في مسائل التوحيد والايمان والمعنويات السامية التي اتفقت عليها مئات الآلاف من اهل العلم والحقيقة امثال الشيخ الكيلاني – قدس الله سره – ذي الدهاء القدسي والبصيرة الخارقة الذي كان

يعاين العرش الاعظم وهو بعدُ على الارض، والذي سعى مرتقياً مراتب المعنويات زهاء تسعين سنة، حتى كشف الحقائق الايمانية بعلم اليقين وعين اليقين بل حتى بحق اليقين؟. ألا يكون انكارهم واعتراضهم خافتاً واهياً اشبه بطنين البعوضة امام هدير السماء ودويّ رعودها؟!.

ان ماهية الكفر الذي يظهر العداء للحقائق الاسلامية ويبارزها انما هي انكار، وجهل، ونفي. وحتى لو بدت - ظاهرياً - اثباتاً ووجودياً، الاّ ان معناها عدمٌ، ونفي.

أما الايمان: فهو علمٌ، ووجودي، واثبات، وحكم. وحتى مسائله السلبية فهي ستار لحقيقة ايجابية وعنوان لها.

ولو ان اهل الكفر – الذين يصدّون عن الايمان – سعوا ليثبتوا – بمشكلات عويصة – اعتقاداتهم المنكرة السلبية ويجعلوها مقبولة بصورة « قبول العدم » و « تصديق العدم »، فان ذلك الكفر يمكن ان يعدّ – من جهة – علماً خطأً وحكماً غير صائب. وإلاّ فان ما هو سهل ارتكابه من مجرد « عدم القبول » و « الانكار » و « عدم التصديق » ليس الاّ جهلاً مطلقاً، وعدم حكم.

والخلاصة: ان الاعتقاد بالكفر قسمان:

اولهما: ما ليس له علاقة بالحقائق الاسلامية. فهو تصديق خطأ، واعتقاد باطل، وقبولٌ خطأ، وحكم ظالم خاصٌ به. فهذا القسم من الكفر خارج اطار بحثنا، لاشأن لنا به ولاشأن له بنا.

ثانيهما: ما يبارز الحقائق الايمانية ويعارضها، وهذا ايضاً قسمان:

الاول:

هو رفضٌ، وعدم قبول، وهو مجرد عدم تصديق الاثبات، وليس هذا الكفر الاّ جهلاً، والاّ عدمَ حكمٍ، وهو سهل ارتكابه، وهو خارج نطاق بحثنا ايضاً.

الثاني:

هو قبولٌ للعدم، وتصديق قلبي للعدم، فهذا القسم من الكفر هو حكمٌ، وهو اعتقاد يفضي بصاحبه الى الالتزام. فيضطر الى اثبات نفيه وانكاره.

والنفي بدوره قسمان:

اولهما: ان يقول النافي: انه لايوجد في موقع خاص وفي جهة معينة، الشئ الفلاني. وهذا القسم من النفي المعيَّن يمكن اثباته، وهو ايضاً خارج بحثنا.

القسم الثاني: هو نفي وانكار المسائل الايمانية والقدسية والعامة والمحيطة التي تتوجّه الى الدنيا، وتشمل الكون، وتتطلع الى الآخرة، وتضم العصور. وهذا النفي – كما اثبتنا في المسألة الاولى – لايمكن اثباته مطلقاً، لانه يلزم ان يكون هناك نظرٌ محيط بالكون، ورؤية شاملة للآخرة ومشاهدة نافذة في الزمان غير المحدود بجميع جهاته، ليثبت مثل هذا النفي.

الورطة الثانية

وسبيل النجاة منها: وهي مسألتان ايضاً:

الاولى: ان العقول التي ضاقت امام «العظمة» و«الكبرياء» و«المطلق غير المتناهي» وقصرت عن ادراكها نتيجة الغفلة او المعصية او الانغماس في الماديات والانسياق وراءها قد أخذت – هذه العقول – تزل الى الانكار وتنفي – بغرور علمي – المسائل الهائلة العظمى لعجزها عن الاحاطة بها.

نعم، ان الذين عجزوا عن استيعاب المسائل الايمانية المحيطة الواسعة جداً، والعميقة جداً، في عقولهم الصلدة الضيقة – معنىً – ويقروها في قلوبهم الفاسدة الميتة – تجاه المعنويات – يقذفون بأنفسهم الى أحضان الكفر والضلال، فيغرقون.

ولكن اذا ما تمكن هؤلاء من إنعام النظر في كنه كفرهم، وفي ماهية ضلالهم، لرأوا: أن ما هو معقول في الايمان تجاه العظمة ولائق بها وضروري لها، يقابله المحال تلو المحال، وغير الممكن والممتنع طي ذلك الكفر وضمنه.

وقد اثبتت «رسائل النور» هذه الحقيقة بمئات الموازين والموازنات، وبقطعية تامة كقطعية حاصل ضرب الاثنين في اثنين يساوي أربعاً. فمثلاً: ان الذي يعجز ان يقبل الايمان بوجوب وجوده سبحانه وتعالى وبأزليته وبصفاته المحيطة، لعظمته سبحانه ولعظمة صفاته الجليلة، سيحيل وجوب الوجود، وأزليته سبحانه، وصفات الالوهية

الى جميع الموجودات غير المحدودة، بل الى الذرات غير المتناهية، ليتمكن من الاعتقاد بكفره. او عليه ان يتخلى عن العقل كالسوفسطائيين الحمقى بانكاره وجود نفسه، ونفيه وجود الكون.

وهكذا تستقر الحقائق الايمانية والاسلامية كلها باستنادها الى «العظمة» – التي هي من شأن تلك الحقائق ومن مقتضاها – وتثبت في القلوب الصافية والعقول السليمة، بكمال الاذعان والتسليم المطمئن، منقذة أصحابها مما يجابهها من الكفر ومحالاته المدهشة وخرافاته الموحشة وجهالاته المظلمة.

نعم، ان العظمة والكبرياء ستاران ضروريان لابد منهما؛ ويتبين ذلك من اعلان تلك العظمة والكبرياء في كل وقت: في الأذان، في الصلاة، وفي اغلب الشعائر الاسلامية بترديد:

الله اكبر.. الله اكبر.. الله اكبر.. الله اكبر

ويتضح ذلك ايضاً في الحديث القدسي (العظمة ازاري والكبرياء ردائي)(١).

ويظهر ايضاً في العقدة السادسة والثمانين من المناجاة الاحمدية ﷺ البليغة في «الجوشن الكبير»:

يا من لاملك الا ملكه * يامن لايحصي العباد ثناءه

يا من لاتصف الخلائق جلاله * يا من لاتنال الاوهام كنهه

يا من لايدرك الابصار كماله * يا من لايبلغ الافهام صفاته

يا من لاينال الافكار كبرياءه * يا من لايحسن الانسان نعوته

يا من لايرد العباد قضاءه * يا من ظهر في كل شئ آياته

سُبحَانَكَ يا لا إلَهَ الاّ أنت اَلأمانُ الأمانُ نجّنا من النار *

---

(١) اصل الحديث: قال الله تعالى: (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) رواه احمد وابو داود وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه، وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما (صحيح الجامع الصغير برقم ٤١٨٧).

الآية الكبرى

مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّموَاتُ السَبْعُ وَالاَرضُ وَمَنْ فيهنَّ وإنْ منْ شَيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلَكِنْ لا تفقَهونَ تَسبيحَهُمْ إنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً** ﴾ (الاسراء: ٤٤)

ان هذا المقــام الثــاني في الوقت الذي يفــسِّرُ هذه «الآية الكبــرى» يُبــيّنُ كــذلك براهين المقـام الاول الذي يتضــمنه والذي جاء باللغة العربية ويوضح حججه.

ان آيات كثيرة في القرآن الكريم – أمثال هذه الآية العظمى – تذكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون «**السماوات**» التي هي اسطع صحيفة للتوحيد بحيث ما يتأمل فيها متأمل الاّ تغمره الحيرة ويغشاه الاعجاب، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة؛ فالأولى اذن ان يُستهل بها.

نعم؛ ان كل من يأتي ضيفاً الى مملكة هذه الدنيا ويحل في دار ضيافتها، كلما فتح عينيه ونظر رأى:

مضيفاً في غاية الكرم.. ومعرضاً في غاية الابداع.. ومعسكر تدريب في غاية الهيبة.. ومتنزهاً جميلاً في غاية الروعة.. ومشهراً في غاية الاثارة للشوق والبهجة.. وكتاباً مفتوحاً ذا معان في غاية البلاغة والحكمة.

وبينما يولع الضيف السائح ان يعلم ويتعرف على صاحب هذه الضيافة الكريمة، وعلى مؤلف هذا الكتاب الكبير، وعلى سلطان هذه المملكة المهيبة، اذا بوجه السموات الجميل المتلألئ بالنجوم النيّرة يطل عليه منادياً: «انظر اليّ، فانا اعرّفك بالذي تبحث عنه». فينظر السائح ويرى:

أن ربوبية ظاهرة تتجلّى:

في رفعها مئات الالوف من الاجرام السماوية بلا عمد ولاسند، منها ما هو اكبر من أرضنا ألف مرة، وما هو أسرع إنطلاقاً من القذيفة بسبعين مرة.

وفي تسييرها وجريها تلك الاجرام معاً بسرعة فائقة بلا مزاحمة ولا مصادمة..

وفي ايقادها تلك القناديل المتدلية التي لاتعد، بلا زيت ولا إنطفاء..

وفي ادارتها تلك الكتل الهائلة التي لا حد لها، بلا ضوضاء ولاصخب ولا اختلال.. ويرى تجليها كذلك:

في تسخيرها تلك المخلوقات العظيمة في مهام معينة كاستسلام الشمس والقمر لأداء وظائفهما دون إحجام أو تلكؤ..

وفي تصريفها هذا العدد الهائل الذي لاتحده الارقام ضمن ذلك البعد الشاسع غير المتناهي ما بين دائرة القطبين تصريفاً يجري في الوقت نفسه، وبالقوة نفسها، وبالطراز نفسه، وبسكة الفطرة نفسها، وبالصورة نفسها، ومجتمعة، دون ان تصاب بأدنى نقص او خلل..

وهاله ما يرى من تجلي الربوبية:

في اخضاعها تلك السيارات الضخمة التي تملك قوى هائلة ومتجاوزة لحدودها، منقادةً مطيعةً لقانونها دون ان تتجاوز او تنحرف.

وفي جعلها وجه السماء صافياً نقياً يتنظف طاهراً مما تلوثه انقاض تلك الاجرام المزدحمة دون ان يُرى عليه قذى ولا أذى.

وفي سوقها تلك الاجرام كأنها مناورة عسكرية منسقة وعرضها امام المخلوقات المشاهدين كأنها مشاهد فلم سينمائي، بتدوير الارض بالليل والنهار، وتجديدها انماط

المناظر الحقيقية الخلابة المثيرة للخيال لتلك المناورة الرائعة وابرازها في كل ليلة، وفي كل سنة.

فهذه الربوبية الجليلة الظاهرة وما تظهر ضمن فعاليتها من حقيقة جلية مركبة من: «التسخير، والتدبير، والادارة، والتنظيم، والتنظيف، والتوظيف» تشهد على وجوب وجود خالق تلك السموات وعلى وحدته، بعظمتها المهيبة هذه، وباحاطتها الكلية هذه، وتشهد – كما هو مشاهد – بان وجوده جلّ وعلا أجلى من وجود هاتيك السموات.

وقد ذكر هذا المعنى في المرتبة الاولى من المقام الاول كالآتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: السموات بجميع ما فيها، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة: التسخير، والتدبير، والتدوير، والتنظيم، والتنظيف، والتوظيف، الواسعة المكملة بالمشاهدة]

* * *

ثم ان الفضاء الذي هو محشر العجائب ومعرض الخوارق والمسمى بـ« **الجو** »نادى بصوت هادر ذلك القادم الى الدنيا.. ذلك الضيف السائح: « انظر إليّ لارشدك الى مَن تبحث عنه بشوق ولهفة، واعرّفك بذاك الذي أرسلك الى هنا ».

فينظر الى وجه الفضاء المكفهر وهو يتقطّر رحمة! ويستمع الى دويّه المخيف المرهب وهو يحمل رحيق البشرى! فيرى ان:

« **السحاب** » الذي علّق بين السماء والارض يسقي روضة الارض سقياً يتفجّرُ حكمةً ورحمة، ويُمد سكنتها بالماء الباعث للحياة، ملطّفاً به شدة الحرارة – أي شدة ضرام العيش – ويدرك توا أينما كانت الحاجة. ومع ان ذلك السحاب الثقيل الضخم يقوم بوظائف كثيرة امثال هذه، فانه يختفي ويتبدد فوراً بعد ان ملأ أرجاء الجو. فتنسحب جميع أجزائه لتخلد الى الراحة، فيتوارى عن الانظار دون ان يترك أثراً بمثل ظهور واختفاء الجيش المنظم طبقاً لأوامر فورية. ولكن ما ان يتسلّم أمر « هيا لإنزال

المطر» الاّ ويجتمع ويملأ الجو في ساعة بل يغمره في دقائق، ويتهيأ متأهباً كالجندي المنتظر أمر القائد!

ثم ينظر ذلك السائح الى «**الرياح**» التي تجول في الجو فيرى ان الهواء يستخدم في وظائف كثيرة، في منتهى الحكمة والكرم استخداماً كأن كل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد – وهي لاتملك شعوراً – تسمع وتعي مايلقى اليها من الأوامر الصادرة من سلطان هذا الكون. فتؤدي خدماتها بقوة ذلك الآمر وهيمنته وتنفّذها بكل انتظام ودقة دون أن تتوانى في شئ منها كاستنشاق جميع أحياء الارض، او نقل الاصوات او المواد الضرورية لذوي الحياة كالحرارة والضوء والكهرباء، او التوسط لتلقيح النباتات او ما شابهها من الوظائف الكثيرة، فهي تستخدم بجميع هذه الخدمات من قبل يد غيبية استخداماً في منتهى الشعور، والعلم، والحيوية.

ثم ينظر الى «**المطر**» فيرى أن تلك القطرات اللطيفة البراقة العذبة التي ارسلت واغدقت من خزينة الرحمة الغيبية، تزخر بهدايا رحمانية ووظائف غزيرة حتى كأن الرحمة المهداة قد تجسّدت منصبة من عيون الخزينة الربانية على صورة تلك القطرات المتهاطلة.. ولهذا أطلق على المطر اسم «الغيث».. و«الرحمة».

ثم ينظر الى «**البرق**» ويصغي الى «**الرعد**» ، فيرى أنهما يستخدمان في امور بالغ الاعجاب والغرابة.

فيرجع بَصَرَهُ الى عقله، ويساور نفسه قائلاً: ان هذا السحاب الجامد الخالي من الشعور، والمنفوش كالعهن، لاشك أنه يجهلنا ولا يعرفنا، ولايمكن ان يسعى بنفسه لامدادنا رأفة بنا ورقة لحالنا، ولايمكن أن يظهر بادياً في السماء ويختفي منقشعاً بدون أمر، بل لابد انه يسعى في وظيفته وفق أمر صادر من آمر قدير مطلق القدرة، ورحيم مطلق الرحمة. حيث يختفي دون ان يعقب، ثم يظهر فجأة، متسلماً مهام عمله، فيملأ عالم الجو ويفرغه بين الفينة والفينة تنفيذاً لأمر سلطان جليل متعال فعال، فيخط على لوحة السماء دوماً بحكمة، ويمحو بالاعفاء، محولاً اياها الى «لوحة المحو والاثبات» والى صورة مصغرة للحشر والقيامة. اذ يركب السحاب متون الرياح بأمر من حاكم مدبّر ذي ألطاف واحسان وذي إكرام وعناية، حاملاً خزائن أمطار واسعة سعة الجبال وضخامتها مسعفاً بها مواضع من الارض محتاجة اليها، وكأنه يرقّ لحالها فيبكي عليها بدموعه ويطلقها ضاحكة بالازاهير والرياحين، ويخفف من شدة لفحة

الشمس ويسقي بساتين الارض ومروجها ويغسل وجهها واديمها ويطهرها من الاقذار ليشرق بالصفاء والرواء.

ثم يحاور ذلك المسافر الشغوف عقله قائلاً:

ان هذا الهواء الجامد الذي لاحياة له ولاشعور ولاثبات له ولاهدف، وهو في اضطراب دائم، وهيجان لايسكن، وذا عواصف وأعاصير لاتهدأ، تأتي الى الوجود وتبرز بسببه - وبصورته الظاهرة - مئات الألوف من الاعمال والوظائف والنعم والامدادات العامرة بالحكمة والرحمة والاتقان، مما يثبت بداهة: انه ليست لهذه الرياح الدائبة حركة ذاتية، فلا تتحرك بذاتها ابداً وانما يحركها أمر صادر من آمر قدير عليم مطلق وحكيم كريم مطلق، وكأن كل ذرة من ذراته تفهم وتسمع - كالجندي المطيع - كل أمر صادر من لدن ذلك الآمر وتدركه فتنقاد اليه، وتقوم بمهمة تنفس الأحياء جميعها وتساهم في ادامة حياتها، وتشارك في تلقيح النباتات ونموها، وتعاون في سوق المواد الضرورية لحياتها، وسوق السحب وادارتها وسير السفن التي لا وقود لها وتمخيرها وسياحتها، وتتوسط خاصة في ايصال الاصوات والمكالمات والاتصالات عبر امواج اللاسلكي والبرق والراديو، وامثال هذه الخدمات العامة الكلية، فضلاً عن ان ذرات الهواء مركبة من مواد بسيطة كالازوت ومولد الحموضة (الاوكسجين) ومع تماثل بعضها لبعض فلا أراها الاّ أنها تستخدم بيد حكيمة وبانتظام كامل في مئات الألوف من انماط المصنوعات الربانية.

لذا حكم السائح قائلاً: حقاً مثلما صرّحت به الآية الكريمة:

﴿ **وتصريف الرياح والسحاب المسخّرِ بين السّماء والارض** ﴾(البقرة:١٦٤) فان الذي يجري أمره على الهواء ويستعمله في خدمات ووظائف ربانية غير محدودة، بتصريف الرياح، وفي اعمال رحمانية غير محدودة، بتسخير السحاب، ويوجد الهواء على تلك الصورة،ليس الاّ رباً واجب الوجود، قادراً على كل شئ، وعالماً بكل شئ ذا جلال واكرام.

ثم يرجع بنظره الى« **الغيث** » فيرى انه مثقل بمنافع بعدد شآبيبه ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته، ويظهر حِكماً بقدر رشحاته، ويرىٰ أن تلك القطرات العذبة

اللطيفة المباركة تُخلق في غاية الانتظام وفي منتهى الجمال والبهاء وبخاصة البَرَد الذي يرسل – وينزل حتى صيفاً – بانتظام وميزان، بحيث أن العواصف والرياح العاتية – التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة – لا تخل في موازنة ذلك البَرَد ولا انتظامه، ولا تجعله كتلاً مضرة جمعاً بين حبّاته !. فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لايملك شعوراً، يُستخدم في امثال هذه الاعمال الحكيمة، وبخاصة استخدامه في الاحياء والتروية، وهو المركب من مادتين بسيطتين جامدتين خاليتين من الشعور؛ هما مولد الماء ومولد الحموضة – الهيدروجين والاوكسجين – الاّ انه يستخدم في مئات الآلاف من الخدمات والصنائع المختلفة المشحونة بالحكمة والشعور.

فهذا الغيث اذاً ما هو الاّ رحمة متجسمة بعينها، ولايتم صنعه الاّ في خزينة الغيب لرحمة «الرحمن الرحيم»، وهو بنزوله وانصبابه على الارض يفسّر عملياً وبوضوح الآية الكريمة:

﴿ **وهو الذي يُنزّلُ الغيثَ من بعدِما قَنَطوا وينشُرُ رَحْمَتَه** ﴾ (الشورى:٢٨).

ثم يصغي ذاهلاً الى «الرعد» وينظر مندهشاً الى «البرق» فيرى ان هاتين الظاهرتين الجويتين العجيبتين تفسران تماماً الآيتين الجليلتين:

﴿ **ويُسبّح الرّعدُ بحمده** ﴾ (الرعد: ١٣)

﴿ **يكاد سنا برقه يَذهَب بالابصار** ﴾ (النور: ٤٣).

فانهما تخبران كذلك عن قدوم الغيث فتبشران المعوزين الملهوفين.. نعم، ان انطاق الجو المظلم بغتة بصيحة هائلة تزمجر وتجلجل، وملء الظلام الدامس بنور يكاد يذهب بالابصار وبنار ترعب كل موجود واشعال السحب العظيمة كالجبال والمنفوشة كالعهن، المحملة بالبرد والثلج والماء.. وما شابهها من هذه الاوضاع الحكيمة الغريبة؛ لتنبِّه الانسان الغافل وتوقظه، وتلوّح بالدرّة على رأسه المخفوض قائلة:

يا هذا!. ارفع رأسك وانظر الى غرائب الصنعة وبدائع الخلقة للفعال القدير الذي يريد ان يُعرّف نفسه لعباده. فكما انك لست طليقاً سائباً مفلوت الزمام في هذا

الوجود، فلن تكون هذه الحوادث سدى ولاعبثاً، بل كل منها تساق الى وظائف حكيمة بخضوع واستسلام وكل منها يستخدم من لدن ربٍ مدبّر حكيم.

وهكذا يسمع هذا السائح الولوع شهادة سامية جليّة لحقيقة مركبة من تسخير السحاب، وتصريف الرياح، وانزال الغيث، وتدبير الظواهر الجوية فيقول: آمنت بالله..

وقد أفادت (١) المرتبة الثانية من المقام الاول مشاهدات هذا السائح في الجو كالآتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده: الجوّ بجميع ما فيه، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة: التسخير، والتصريف، والتنزيل، والتدبير، الواسعة المكملة بالمشاهدة].

* * *

ثم ان ذلك السائح المتفكر، المعتاد على السياحة الفكرية، هتفت به « **كرة الارض** » بلسان حالها، قائلة: « لِمَ تجول في الهواء وتدور في ارجاء السماء والفضاء؟ هلمّ اليّ لأعرّفك بالذي تبحث عنه. تأمل فيما ازاول من وظائف. وأقرأ ما هو مكتوب في صحائفي ». فأخذ السائح ينظر، فيرى:

ان الارض – كالمولوي العاشق – تخط بحركتيها في أطراف ميدان الحشر الاعظم دائرة تحصل بها الايام والسنون والفصول.. وهي كسفينة ربانية عظيمة حاملة لاكثر من مائة ألف نوع من أنواع ذوي الحياة مع جميع أرزاقها ومتطلباتها المعاشية، فتمخر عباب الفضاء وتطوف في رحلة سياحية وتجوال حول الشمس بكمال الموازنة والانتظام الاتم.

ثم ينظر الى صحائفها فيرى ان كل صحيفة منها تعرّف ربها بآلاف آياتها.. ولكن لمّا لم يجد متسعاً من الوقت لمطالعة الصحائف كلها، فقد اقتصر بالنظر الى صحيفة

(١) [تنبيه]: كنت اريد ان اوضح المراتب الثلاث والثلاثين من مراتب التوحيد المذكورة في « المقام الاول » الآ ان عدم سماح وضعي في الوقت الحاضر جعلني مضطراً الى الاكتفاء ببراهينها المختصرة جداً وترجمة معانيها فحسب. وحيث ان ثلاثين رسالة من رسائل النور بل مائة رسالة منها قد بيّنت – كل رسالة – قسماً من تلك المراتب الثلاث والثلاثين مع دلائلها بأساليب مختلفة؛ لذا احيلت التفاصيل اليها – المؤلف.

واحدة منها فقط، وهي صحيفة تجسّد ايجاد ذوي الحياة وادارتها في فصل الربيع. فشاهد ان افراداً غير محدودين لمائة ألف من الانواع تنفتح صورُها وتنبسط من مادة بسيطة بمنتهى الانتظام، وتُربّى بمنتهى الرحمة، وتنشر في الارجاء بمنتهى السعة وتمنح بذور قسم منها جُنيحات رقيقة للطيران في غاية الاعجاز.. وانها تدار بمنتهى التدبير، وتعّيش وتغذّى بمنتهى الشفقة والرأفة، وتؤمّن ارزاقها الوفيرة المتنوعة اللذيذة الطيبة بمنتهى الرحمة والإرزاق، فتُوافى من غير شئ، ومن تراب يابس، ومن جذور صلبة كالعظام ومن بذور متماثلة، ومن قطرات ماء متشابهة، وتبعث من خزينة الغيب الى ذوي الحياة كل ربيع – كحمولة قطار مشحون – مائة ألف نوع ونوع من الاطعمة واللوازم بكمال الانتظام والاتساق. وبخاصة ارسال اللبن الخالص اللذيذ الدفاق من ينابيع أثداء الوالدات الرؤوم الملفعة بالشفقة والرحمة والحكمة هدايا للصغار والاطفال.. كل ذلك يثبت بداهة انه تجلٍ في منتهى التربية والرأفة من تجليات رحمة الرحمن الرحيم وإحسانه العميم.

والخلاصة:

لقد فهم السائح بمشاهدة هذه الصحيفة الحياتية للربيع الجميل، انها صورة من صور الحشر والنشور بمئات الآلاف من النماذج والنظائر، فهي تفسّر عملياً تفسيراً محسوساً رائعاً الآية الكريمة:

﴿**فانظر الى آثار رحمت الله كيف يُحيي الارضَ بعدَ موتها إن ذلك لَمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير**﴾ (الروم: ٥٠).والآية نفسها تفيد باعجاز جميل المعاني الواردة في هذه الصحيفة.

وفهم ما تردده كرة الارض بجميع صحائفها وبنسبة جسامتها وقوتها من: لا إلهَ إلاّ هو.

وهكذا لاجل بيان شهادة مختصرة، لوجه واحد فقط، من عشرين وجهاً، من وجوه صحيفة واحدة، من الصحائف الواسعة لكرة الارض، التي تربو على عشرين صحيفة، ولاجل بيان ما أفادته مشاهدات ذلك السائح في سائر الوجوه والصحائف.. ذكر في المرتبة الثالثة من المقام الاول:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: الارض بجميع ما فيها، وما عليها، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة: التسخير، والتدبير، والتربية، والفتاحية وتوزيع البذور والمحافظة والادارة، والاعاشة، لجميع ذوي الحياة، والرحمانية والرحيمية العامة الشاملة المكملة بالمشاهدة].

* * *

ثم اصبح ذلك المسافر المتفكر كلما قرأ صحيفة قوي ايمانه الذي هو مفتاح السعادة، وزادت معرفته بالله التي هي مفتاح المدارج المعنوية، وانكشفت لبصيرته درجة اخرى من حقيقة الايمان بالله الذي هو الاساس القويم لجميع الكمالات ومنبعها الثر العذب. ومع انه قد وعى دروساً بليغة وتامة من السماء والجو والارض، بات يطلب المزيد. كلما منحته تلك الصحائف أذواقاً معنوية لطيفة، ولذائذ روحية كثيرة، مثيرة شغفه، منبهة ولعه بشدة قائلاً: هل من مزيد، واذا به يسمع صدى اذكار «البحار والانهار العظيمة» التي تتدفق خشوعاً وشوقاً، فينصت الى همس أصواتها الحزينة اللذيذة، وهي تقول بلسان الحال والمقال: «ألا تنظر إلينا ؟ ألا تطالعنا ؟.» فينظر بلهفة حائرة ويرى:

ان **البحار** التي تتماوج بحيوية وتتلاطم بشدة دوماً، والتي من شأنها التشتت والانسكاب والاغراق، قد أحاطت بكرة الارض، فهما تُسيّران معاً في منتهى السرعة وتجريان في سنة واحدة ضمن دائرة مقدارها خمس وعشرون ألف سنة. وعلى الرغم من كل هذا فهي لاتتفرق ابداً ولاتنسكب مطلقاً ولاتستولي على جارتها اليابسة، فلابد من انها تسكن وتسيّر وتحفظ بأمر من له القدرة المطلقة، والعظمة المطلقة.

ثم ينظر الى **جوف البحر** فيرى علاوة على لآلئه المشعة التي هي في غاية الجمال والزينة والانتظام، فان اعاشة آلاف الحيوانات المتنوعة وادارتها وتعيين مواليدها ووفياتها تجري في منتهى الانتظام والاتقان. وأن مجئ ارزاقها ونشوء اقواتها من رمل بسيط ومن ماء اجاج، ميسور وكامل بحيث يثبت بداهة أنه لايتم إلاّ بادارة القدير ذي الجلال، واعاشة الرحيم ذي الجمال.

ثم ينظر ذلك المسافر الى **الانهار** فيرى ان فيها من المنافع والمصالح ولها من الخدمات والوظائف وما تنتجه من مصاريف وما ترده من موارد محسوب بحكمة واسعة، وبرحمة عظيمة بحيث تثبت بداهة ان جميع الجداول والترع والينابيع والسيول والانهار العظيمة تنبع وتجري من خزينة الرحمن ذي الجلال والاكرام. بل انها تُخزن وتدّخر ادخاراً خارقاً للمألوف، فتصرف وتجري جرياً فوق المعتاد حتى ورد في الحديث الشريف ما معناه: أن أنهاراً اربعة تجري من الجنة [١].

بمعنى ان جريان هذه الانهار؛ هو فوق حسابات الاسباب الظاهرة بكثير، لذا فهي لاتجري إلاّ من خزينة جنة معنوية لا ينضب ومن فيض منبع غيبي لاينفد.

فمثلاً: هذا نهر النيل الذي حوّل صحراء مصر القاحلة الى جنة الدنيا، يجري كبحر صغير دون نفاد، وينبع من جبل واقع في الجنوب يدعى جبل القمر، فلو جُمّعت صرفياته لستة أشهر وجُمّدت، لحصل ما هو اعظم من ذلك الجبل ا والحال ان ما خصّص له من مكان للخزن لايبلغ سُدس ذلك الجبل. اما وارداته فقليلة ضئيلة، حيث ان شحة الامطار وشدة حرارة المنطقة وتعطش الارض، كل ذلك مجتمعاً لايفسح مجالاً للخزن الاّ للقليل، ولايسمح للمحافظة على ميزان وارداته وصرفياته؛ لذا قد روي أنه يجري من «جنة» غيبية هي فوق القوانين الارضية المعتادة. فأفادت تلك الرواية حقيقة لطيفة ذات مغزى عميق جداً.

وهكذا رأى السائح شهادة واحدة وحقيقة واحدة، من آلاف الشهادات والحقائق التي هي واسعة سعة البحار نفسها، وفهم ان جميعها تردد معاً بالاجماع، وبقوة عظمة البحار: «لا إله إلاّ هو» وبرز أمامه شهود بعدد مخلوقات البحار على صدق هذه الشهادة.

ولبيان شهادات البحار والانهار جميعها، أفادت المرتبة الرابعة من المقام الاول ما يأتي:

---

(١) عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «سيْحان وجَيحان والفرات والنيل كلٌّ من انهار الجنة». ـ مسلم: كتاب الجنة:٢٦، وفي الخطيب البغدادي «ليس من الجنة في الارض شئ إلاّ ثلاثة اشياء: غرس العجوة والحجر وأواقٍ تنزل في الفرات كلّ يوم بركة من الجنة». وانظر فيض القدير ٣٨١/٥.

[لا إله إلا الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوبِ وجوده في وحدته: جميع البحار، والأنهار، بجميع ما فيها، بشهادة عظمةِ إحاطةِ حقيقة: التسخير، والمحافظة والادارة الواسعة المنتظمة بالمشاهدة].

* * *

ثم تدعو **الجبال والصحارى** ذلك المسافر المستغرق في السياحة الفكرية قائلة: «ألا تقرأ صحيفتنا ايضاً ؟».. فهو بدوره يحدق النظر، ويرى:

ان وظائف الجبال الكلية، وفوائدها العامة هي من العظمة والحكمة مما يُحير العقول.

فمثلاً: بروز الجبال واندفاعها من الارض بأمر رباني يهدئ هيجان الارض ويخفف من غضبها وسخطها وحدتها الناجمة من تقلباتها الباطنية، ويدعها تتنفس مستريحة بفوران تلك الجبال ومن خلال منافذها، فتتخلص بذلك من الزلازل المهلكة والتصدّعات المدمّرة، فلا تعد تسلب راحة الآمنين من سكنتها. وكما يُنصب على السفن الاعمدة والاوتاد حفاظاً على توازنها ووقايتها من التزعزع والغرق، كذلك الجبال هي اوتاد ذات خزائن لسفينة الارض، تقيها من الزلزال وتُثبتها وتحفظ توازنها. وقد بيّن القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة منها:

﴿ **والجبال اوتاداً** ﴾ (النبأ: ٧) ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ (الحجر: ١٩) ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ (النازعات: ٣٢)

ومثلاً: ان ما في جوف الجبال من أنواع الينابيع والمياه والمعادن والمواد والادوية التي يحتاج الى كل منها ذوو الحياة، قد أدخرت بحكمة، وأحضرت بكرم، وخزنت بتدبير. بحيث تثبت بداهة ان هذه الجبال هي خزائن ومستودعات إدخار تحت أمر القدير الذي لا نهاية لقدرته، والحكيم الذي لا نهاية لحكمته. فيدرك السائح هذا، ويقيس على هاتين الجوهرتين ما يليهما من وظائف الجبال والصحارى وحِكَمهما – التي هي بضخامة الجبال وسعة الصحارى – فيرى ان الجبال والصحارى تشهدان، وتوحّدان بـ«لا إله إلاّ هو» بلسان جميع حِكَمهما وبلغة جميع وظائفهما وبخاصة

ادخارهما للاحتياطي من المواد. وأن تلك الشهـادة والتوحيد همـا من القوة والرسوخ ما لـلشم العوالي، وهمـا من الشمـول والسعـة ما للقـفار والصـحارى، فيردد اللـسان بخشوع: آمنت بالله.

وهكذا ذكر في المرتبة الخامسة من المقام الاول لبيان هذا المعنى مايأتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجـود الذي دلّ على وجوب وجـوده: جـميع الجبـال والصحـارى، بجميع مـا فيهـا، وما عليـها، بشهـادة عظمة احاطة حـقيقـة: الادخار، والادارة، ونشـر البـذور، والمحـافظة، والتدبيـر الاحتيـاطيـة الربانية الواسـعـة العـامـة المنتظمة المكملة بالمشـاهدة].

* * *

وبينما كان ذلك المسافر يجول بفكره في الجبال والصحارى، انفتح امام فكره باب عالم « الاشجار والنباتات » يدعوه قائلاً: « هلمّ إلينا وَجُل في رياضنا واقرأ سطورنا » .. فدخل ورأى:

ان **الاشجار والنباتات** قد عقدت مجلساً فخماً رائعاً للتهليل والتوحيد، وشكلت حلقـة مـهـيبـة للذكـر والشكر. ففـهـم من ألسنة أحـوالهـا كـأنهـا تلهج مـعـاً، وتردد بالاجمـاع: « لا إله إلاّ هو » لما رأى من ثلاث حقائـق كبرى كليّة تدل على أن جـميع الاشجـار المثمرة وجميع النباتات المزهرة تؤدي شـهادتها مسبّحة وتقول مـعاً بالألسنة الفصيحة لأوراقـها الموزونة، وبالكلام الجزيل لأزهارها الجميلة، وبالكلمات البليغة لأثمارها المنتظمة « لا إله إلاّ هو »:

اولاها: حقيـقة الانعام والاكرام المقصودين، والاحـسان والامتنان الاراديين. التي يُحسُّ معناها إحسـاساً ظاهراً في كل نبات وشجر. مثلما هي حقيقة واضحة وضوح ضوء الشمس في الكل.

ثانيتها: حقيـقة التمييز والتفريق المقصودين بحكمة، والتـزيين والتصوير الاراديين برحـمة، وهي واضحـة وضوح النـهار – حقـيقـةً ومعنىً – فـالتمـييـز بين تلك الانواع والافـراد غيـر المحدودة غـرض مـقصـود، والاخـتـلاف والتبـاين بينهـا حكـمـة مطلوبة،

ولمسات التجميل والتحسين رحمة مرادة، وهذه الحقيقة واضحة وضوحاً لايدع مجالاً قط لنسبتها الى المصادفة، مما يُظهر عياناً انها آثار الصانع الحكيم ونقوشه البديعة.

ثالثتها : حقيقة فتح صور المصنوعات غير المحدودة، بمئات الآلاف من الانماط المختلفة والاشكال المتنوعة فتحاً من حبوب معدودة متشابهة، ومن نوى محدودة متماثلة، واستنباتها في غاية الانتظام والميزان وبمنتهى الزينة والجمال، رغم انها بسيطة جامدة ومختلطة بعضها ببعض. ففتح صور كل فرد من أفراد تلك الأنواع المتباينة -- التي تربو على مائتي ألف نوع – كل على إنفراد، بانتظام كامل، وبموازنة تامة، وبحيوية وحكمة، وبدون خطأ، لهو حقيقة ساطعة جلية أسطع من الشمس..

ففهم السائح ان هناك شهوداً ودلائل اثبات على تلك الحقيقة بعدد أزهار الربيع، وبعدد أثماره وبعدد أوراقه وموجوداته فعبّر عمّا جاش في قلبه من معان كريمة فقال: الحمد لله على نعمة الايمان.

ولبيان هذه الحقائق والشهادات ذكر في المرتبة السادسة من المقام الاول الآتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: اجماع جميع أنواع الاشجار والنباتات، المسبحات الناطقات: بكلمات أوراقها الموزونات الفصيحات، وأزهارها المزينات الجزيلات، واثمارها المنتظمات البليغات، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة: الانعام، والاكرام، والاحسان، بقصدٍ ورحمةٍ. وحقيقة: التمييز، والتزيين، والتصوير، بارادةٍ وحكمةٍ، مع قطعية دلالة حقيقة فتح جميع صورها الموزونات المزيّنات المتباينة المتنوعة غير المحدودة، من نَويات وحبّات متماثلة متشابهة محصورة معدودة].

* * *

وبينما كان السائح الشغوف – الذي ازداد بالسمو ذوقاً وشوقاً – عائداً من تلك السياحة الفكرية مبتهجاً بلذة وقوفه على الحقيقة وعثوره على جنات الايمان، راجعاً من بستان الربيع، حاملاً باقة كبيرة واسعة – من ازهار المعرفة والايمان – سعة الربيع نفسه، اذا بباب **عالم الطيور والحيوانات** ينفتح ازاء عقله التوّاق للحقيقة، وفكره

المشتاق للمعرفة، تدعوه تلك الطيور والحيوانات بمئات الألوف من الاصوات المتباينة، والألسنة المختلفة، للدخول الى ذلك العالم الفسيح، وترحب بمقدمه الى عالمها.. فدخله، ورأى ان جميع الطيور، وجميع الحيوانات، بأنواعها وطوائفها وأممها كافة تذكر متفقة: «لا إله إلا هو» بلسان حالها ومقالها، حتى لكأن سطح الارض مجلس ذكر مهيب، ومجمع تهليل عظيم.. ورأى أن كلاً منها بحد ذاته بمثابة قصيدة ربانية تترنم بآلاء الربوبية.. وكلمة سبحانية ناطقة بالتقديس لبارئها.. وحرف رحماني ذي مغزى ينم عن الرحمة الإلهية؛ فالجميع يثنون على خالقهم، ويصفونه بالحمد والثناء، وكأن حواس تلك الطيور والحيوانات ومشاعرها واعضاءها، وآلاتها، واجهزتها، وقواها، كلمات موزونة منظومة، وكلام فصيح بليغ..

فشاهد السائح في ذلك ثلاث حقائق عظيمة محيطة، تدل دلالة صادقة على ان تلك الطيور والحيوانات تؤدي شكرها تجاه خلاّقها ورزاقها بتلك الكلمات، وتشهد على وحدانيته سبحانه بذلك الكلام:

اولاها: حقيقة الايجاد والصنع والابداع، أي حقيقة الإحياء ومنح الروح، التي لا يمكن نسبتها مطلقاً الى المصادفة العشواء والقوة العمياء والطبيعة الصماء؛ إذ هي ايجاد من عدم يقع بحكمة، وابداع مقرون باتقان، وخلق مصحوب بارادة، وانشاء مبني على علم. وهي تُظهر بجلاء تجلي «العلم والحكمة والارادة» بعشرين وجهاً، وهي برهان باهر على وجوب وجود «الحي القيوم» وشاهد حق على صفاته السبعة الجليلة وآية صدق على وحدانيته جل وعلا. أي أن حقيقة الاحياء تدفع الى الوجود شهود إثبات بعدد ذوي الأرواح كلها.

ثانيتها: حقيقة التمييز والتزيين والتصوير التي تتضح من خلال تلك المصنوعات غير المحدودة التي يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة متميزة في الوجوه، وباشكال مزينة جميلة متباينة، وبمقادير موزونة دقيقة مختلفة، وبصور منتظمة منسقة. فهي حقيقة قوية عظمى بحيث لايمكن ان يمتلك هذا الفعل المحيط الذي يُبرز عياناً ألفاً من الحِكَمْ والخوارق سوى القادر على كل شئ، والعالم بكل شئ، وليس هناك إمكان أو احتمال آخر قط.

ثالثتها: حقيقة فتح صور تلك الحيوانات غير المحدودة بمئات الآلاف من الأشكال والانماط، من بيوض وبويضات متماثلة معدودة، ومن قطرات محدودة، متشابهة أو مختلفة بفارق طفيف.. ففتح تلك الصور – التي هي بحد ذاتها معجزة الحكمة – بانتظام كامل، وموازنة تامة، دونما خطأ ولا زيادة او نقصان، انما هو حقيقة ساطعة باهرة تستقي نورها من دلائل وأسانيد بعدد الحيوانات جميعها.

وهكذا شاهد السائح عالم الطيور والحيوانات وتلّقى درساً كاملاً من دلالة هذه «الحقائق الثلاث» المتفقة، دلالة واضحة على ان جميع أنواع الحيوانات تشهد قائلة معاً: «لا إله إلا هو» حتى غدت الارض كأنها انسان ضخم جداً، تذكر «لا إله إلا هو» بنسبة كبرها وضخامتها فتملأ من شدتها وقوتها قبة السماء حتى يسمعها اهل السماوات.

وقد ذكر في المرتبة السابعة من المقام الاول لبيان هذه الحقائق ما يأتي:

[لا إله إلاّ الله الواجبُ الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: إتفاقُ جميع أنواع الحيوانات، والطيور، الحامدات الشاهدات بكلمات حواسِّها، وقواها، وحسياتها، ولطائفها، الموزونات المنتظمات الفصيحات، وبكلمات اجهزتها وجوارحها، واعضائها، والاتها المكملة البليغات، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة الايجاد والصنع، والابداع، بالارادة، وحقيقة: التمييز والتزيين، بالقصد. وحقيقة: التقدير والتصوير، بالحكمة مع قطعية دلالة حقيقة: فتح جميع صورها المنتظمة المتخالفة المتنوعة غير المحصورة من بيضاتٍ وقطراتٍ متماثلة متشابهة محصورة محدودة].

* * *

ثم اراد هذا السائح المتأمل ان يدخل **عالم الانسان** ودنيا البشر كي يمضي صعداً في مراتب غير محدودة للمعرفة الإلهية ويرقى درجة أعلى في أذواقها، ومنزلة أسمى في أنوارها غير المتناهية، وعندها دعته الى الدخول صفوة البشر أولاً وهم «**الانبياء** عليهم السلام» فدخل ومضى يسبر غور الازمان قبل كل شئ فرأى ان جميع الانبياء عليهم السلام وهم خيرة نوع البشر وأكملهم قاطبة، يذكرون بلسان واحد ويرددون

معاً بالاجماع «لا إله إلاّ هو» وهم جميعاً يدعـون الى التوحيد الخالص بقوة ما لايحد من معجزاتهم الباهرة المصدّقة لهم ولدعـواهم، ورأى انهم جميعاً يدعون البشرية الى الايمان بالله لاخـراجهـا من مرتبـة الحيـوانيـة، ورفعـها الى درجـة المَلَك؛ لذا فقـد جثـا السائح على ركبتيه بأدب جم وتوقير عظيم في أروقة تلك المدرسة النورانية، ورأى أن بين يدي كل من اولئك الائمة الهـداة الاعلام للبشـرية معجزات وخـوارق هي علائم تصديق لهم من لدن رب العالمين سبحانه.. وانه قد تكونـت طـائفة عظيمة وأمة غفيرة مصدّقة من البشر دخلت حظيـرة الايمان بتبليغ كل منهـم.. لذا تمكن السائح من قياس مدى قـوة التوحيـد ورصانته، تلك الحقيقة التـي اتفق عليها اولئك الصـادقون الذين يربون على مـائة ألف.. وفـهم كـذلك مـدى الخطأ الجسـيم والجناية الـكبـرى التي يرتكبـهـا اهل الضلالة المنـكرون لتلك الحقـيـقة الراسـخـة التي تملك هذه القـوة والتي صدّقـها وأيدها هذا الـعدد من المخبـرين الصادقين وأثـبتوها بمعـجزاتهم الـتي لا تحد.. وادرك كذلك مدى ما يستحقـونه من عذاب أليم خـالد.. وعرف ايضاً مدى صواب وأحقيـة الذين صدقوهم وآمنوا بهم فدخلوا حظيـرة الايمان. فبدت أمامـه بذلك مرتبة عظمى هائلة لقدسية الايمان وسمو التوحيد.

نعم،ان المعـجزات التي لاحصـر لها تصـديق فعلي من لدن الحق سبحانـه وتعالى للأنبيـاء عليـهـم السـلام، والصفـعات السـمـاوية التي نزلت بالمنكرين المعـارضين لهـم أظهرت أحـقيتـهـم وتأييد الله لهم، وكمـالاتهـم الشـخـصية وارشـاداتهم السـديدة دالة على انهم على حق أبلج، وقـوة ايمانهم وغـاية جديتـهـم ونهـاية تجردهم تشـهـد كلهـا على صـدقـهم وصـواب دعـوتهم، ومـا في ايديهم من الكتـب والصـحف المقـدسـة، وتلاميـذهـم غير المحدودين الذيـن بلغوا الحقيـقة وارتقوا الى الكمـال واهتدوا الى النور باتباعـهم لهم، يشهـد كلها على أحقـية سبـيلهم وصواب طريقـهم. وعلاوة على كل هذا فـان اجمـاع اولئك المبلّغين الصـادقين في المسـائل المثبتـة لهو حـجـة قاطعـة على صدق الايمان وقوة عظيـمة تعزز حقيـقته بحيث لا تستطيع قطعـاً اية قوة في العالم ان تصارعها. فهي حقيقة دامغة تنحسر امامها كل شبهة او ريب.

فعلم السائح حكمـة كون تصديق الرسل كافـة ركناً من اركان الايمان، وكيف انه ينبوع دفـاق ومصدر قـوة عظيمـة لايمانه، فسـرعان مـا انكب يغترف مـن هذا الينبوع الثر.

وقد ذكر في المرتبة الثامنة من المقام الاول ما يفيد معنى الدرس المذكور لهذا السائح:

[لا إله إلاّ الله الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: إجماع جميع الانبياء، بقوة معجزاتهم الباهرة، المُصدّقة المُصَدّقَة].

* * *

وحينما كان السائح الطالب الذي تذوق مذاقات سامية من قوة الايمان وتنسم انسام الحياة صافية خالصة، يرجع من مجلس الانبياء عليهم السلام. دعاه اولئك الذين أثبتوا دعاوى الانبياء بعلم اليقين واقاموا الحجج الدامغة على صدقها، من العلماء المحققين والمجتهدين المتبحرين الذين يطلق عليهم جميعاً **الاصفياء والصديقون**.. دعاه اولئك الى مدارسهم فدخل ورأى مجمعاً حافلاً يضم:

ألوفاً من العباقرة الافذاذ، ومئات الالوف من المدققين من اهل العلم والتحقيق وهم يقيمون الدلائل وينصبون البراهين ويثبتون بتدقيقاتهم العميقة التي لا تدع أدنى شبهة المسائل الايمانية المثبتة، وفي مقدمتها وجوب وجود الخالق سبحانه ووحدانيته.

نعم ان اتفاق اولئك العلماء الفطاحل – مع تفاوت استعداداتهم وتباين مواهبهم الفطرية واختلاف مسالكهم – على اصول الايمان واركانه، مستنداً كل منهم على قوة براهينه ويقينها، لهو حجة قاطعة لايمكن لأحد معارضتها او دحضها او المماراة فيها الا اذا كان يملك ذكاءً أحدّ وارقى من ذكاء اولئك الفحول، وكان برهانه اقوى من براهين الجميع وحجته ابلغ من حجتهم جميعاً !! وهذا محال. لذا لايمكن مجابهتها الاّ بالجهل والتجاهل والانكار، فيما لايمكن اثباته من المسائل المنفية، او بالعناد وإغماض العين ازاء ذلك النور. والحال ان من يغمض عينيه فقد جعل نهاره ليلاً.

ففهم السائح أن الانوار التي نشرها هؤلاء الاساتذة المتبحرون لهذه المدرسة السامية الشاسعة قد أضاءت نصف الكرة الارضية خلال ألف من السنين. ووجد من هذا قوة معنوية هائلة تنصبّ في كيانه، وتملأ جوانحه بحيث لو اجتمع اهل الانكار وارباب العناد جميعاً لن يقدروا على زعزعتها ولو قيد شعرة. وهكذا ذكرت اشارة مختصرة في المرتبة التاسعة من المقام الاول لما اقتبسه السائح في هذه المدرسة من دروس وعبر كما يأتي:

[لا إله إلاّ الله الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: اتفاقُ جميع الأصفياء، بقوة براهينهم الزاهرة المحققة المتفقة].

* * *

وحينما كان يؤوب ذلك المسافر المتأمل من مدرسة العلماء ألحف عليه شوق ملح الى زيادة الايمان وانكشافه واستولت عليه رغبة عنيفة الى رؤية الانوار والأذواق التي هي في طريق الارتقاء من درجة علم اليقين الى مرتبة عين اليقين. فدعاه ألوف وملايين «**الاولياء الصالحين**» المرشدين السامين الذين سعوا الى الحقيقة، وبلغوا الحق، ووصلوا مرتبة عين اليقين بسموهم وعروجهم تحت ظل المعراج الاحمدي وعلى أثر الرسول ﷺ في الجادة المحمدية الكبرى، دعاه هؤلاء الى محل ذكر عظيم بهيج، ومقام إرشاد قويم كريم، يشع فيضاً ونوراً يملأ الارجاء كلها ويتدفق نابعاً من تلاحق ما لا يحد من تكاياهم وزواياهم ومرابطهم فدخل ورأى ان اهل الكشف والكرامات هؤلاء يرددون بالاتفاق والاجماع: «لاإله إلاّ هو» معلنين به وجوب وجود الرب سبحانه وتعالى، ووحدانيته، مستندين الى كشفياتهم وكراماتهم ومشاهداتهم.

نعم، كما يستدل على الشمس بألوان ضيائها السبعة؛ فان حقيقة التوحيد كذلك يصدقها هؤلاء الافذاذ العارفون والجهابذة المنورون بالاجماع والاتفاق، وهم يمثلون اهل الطرق المتنوعة الصادقة واصحاب المسالك المختلفة الصائبة وذوي المشارب العديدة الحقة الذين اصطبغوا بسبعين لوناً، بل بعدد اسماء الله الحسنى، من الالوان المنورة المتباينة، والانوار الملونة المختلفة المتجلية على القلوب والافاق من نور الابد والأزل.

وقد شاهد السائح تجلي تلك الحقيقة الباهرة؛ بعين اليقين. لذا رأى ان حقيقة يُجمع عليها الانبياء عليهم السلام، ويتفق على صدقها العلماء الاصفياء، ويتوافق معها الاولياء الصالحون لهي حقيقة أسطع من ضوء النهار الدال على الشمس.

وهكذا ذكرت في المرتبة العاشرة من المقام الاول اشارة مختصرة الى ما أخذه هذا المسافر من فيض في المرابط الصوفية وزواياهم:

[لاإله إلاّ الله الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: إجماع الاولياء بكشفياتهم، وكراماتهم الظاهرة المحققة المصدّقة].

* * *

ثم ان ذلك السائح أراد بكل لطائفه وقواه أن يزداد رقيّاً وسمواً في قوة الايمان وانكشاف معرفته لله، لعلمه بأن محبة الله الناشئة من الايمان بالله، والمتفجرة من معرفته، هي أعظم كمال إنساني وأهمه وأوسعه، بل هي منبع جميع الكمالات واساسها؛ لذا رفع رأسه ناظراً في السماوات وخاطب عقله:

ما دامت الحياة هي اغلى شئ في الكون، والموجودات كلها مسخرة للحياة، وأن أثمن ذوي الحياة هم ذوو الروح، وأرقى ذوي الارواح هم ذوو الشعور.. وما دامت الكرة الارضية – لأجل هذه المنزلة الرفيعة – تخلى في كل عصر وفي كل سنة، وتملأ باستمرار، تكثيراً لذوي الحياة. فلابد ـ ولامحالة ـ ان تكون لهذه السماوات العُلى المزينة، سكنتها واهلوها المتلائمون معها من ذوي الحياة وذوي الارواح وذوي المشاعر. حتى نقلت روايات متواترة تؤكد رؤية «الملائكة» والتكلم معهم منذ القديم، كتمثل جبرائيل عليه السلام في صورة انسان وظهوره امام الصحابة في مجلس الرسول ﷺ.

فقال السائح: ليتني اصل الى شرف رؤية اهل السماوات، وليتني أقف على ما عندهم حول حقيقة الايمان والتوحيد. لأن أهم شهادة في حق خالق الكون هي شهادتهم.. ولم يكد يتم حديثه حتى سمع فجأة كأن هاتفاً سماوياً يقول:

«ما دمت تريد أن تلتقي معنا، وتستمع الى درسنا، فاعلم: ان المسائل الايمانية التي أُنزلت بوساطتنا الى جميع الانبياء وفي مقدمتهم محمد ﷺ بالقرآن الكريم، قد آمنا بها نحن اولاً. واعلم كذلك ان جميع الارواح الطيبة منا، والمتمثلة للانسان قد شهدت كلها بلا إستثناء وبالاتفاق على وجوب وجود خالق الكون، وعلى وحدانيته، وعلى صفاته القدسية. وان ما أخبرت به من اخبار كثيرة يوافق بعضه بعضاً، ويطابقه مطابقة تامة. فتوافق هذه الاخبار غير المحدودة، وتطابقها دليل لك كالشمس». فوعى السائح ما يقصدونه، وتألق نور ايمانه وسطع، حتى عرج صاعداً الى السماوات.

وهكذا ذكرت اشارة قصيرة لما أخذه هذا السائح من درس الملائكة في المرتبة الحادية عشرة من المقام الاول:

[لاإله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: اتفاق الملائكة المتمثلين لأنظار الناس، والمتكلمين مع خواص البشر، باخبارهم المتطابقة المتوافقة].

* * *

ثم ان ذلك المسافر المتلهف المشتاق، بالدرس الذي تلقاه من ألسنة طوائف معينة ومن أحوالها، في عالم الشهادة والجانب الجسماني والمادي منه، اشتاق القيام بمزيد من السياحة والاسفار والتحري والبحث عن الحقيقة فتقدم الى مطالعة: ما في عالم الغيب وعالم البرزخ ايضاً. فانفتح امامه باب «**العقول المستقيمة المنورة والقلوب السليمة النورانية**» اللتان لاتخلو منهما طائفة من طوائف البشر، فالعقل والقلب هما بحكم نواة الانسان ولبّه وبفضلهما استطاع ان يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع ما يمكنهما ان يطويا العالم كله رغم صغرهما، فرأى السائح:

ان القلوب والعقول برازخ انسانية بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين – بالنسبة للانسان – تجري في تلك النقاط؛ لذا خاطب عقله وقلبه معاً قائلاً: «أقبلا، فان اقصر الطرق الموصلة الى الحقيقة هي من بابكما فهيا لنستفد بمطالعتنا العقول والقلوب المتصفة بالايمان ودراستنا كيفياتهما وألوانهما، فهذا درس لا يؤخذ من الألسنة كما هو الحال في الطرق الاخرى». فباشر يقلب صفحات العقول وينشر صفحات القلوب ممعناً النظر مطيلاً الفكر، فرأى ان جميع العقول المستقيمة المنورة تتفق في العقيدة الراسخة الواضحة في الايمان والتوحيد، وتتطابق في اليقين الجازم والاقتناع المطمئن، رغم التباين الواسع في استعداداتها والبعد والمخالفة بين مذاهبها. أي أنها استندت وارتبطت بعقيدة لاتتبدل، ودخلت في حقيقة عريقة لا تنفصم؛ لذا فان إجماع هذه العقول في الايمان،

والوجوب، والتوحيد انما هو سلسلة نورانية لاتنقطع، ونافذة واسعة وضّاءة مطلة على الحقيقة.

ورأى كذلك ان جميع القلوب السليمة النورانية تتوافق فيما بينها في كشفياتها ومشاهداتها – التي هي ذات اتفاق واطمئنان وانجذاب – في اركان الايمان، وتتطابق في التوحيد، رغم تباعد مسالكها وتباين مشاربها. أي ان كل قلب من هذه القلوب النورانية عرش صغير جداً تستوي عليها المعرفة الربانية، وهي مرآة جامعة لأنوار التجليات الصمدانية، بما يقابل الحقيقة ويوصل اليها، ويتمثل بها، فهي اذاً نوافذ مفتوحة تجاه شمس الحقيقة. أي ان مجموع هذه القلوب يشكل معاً مرآة عظمى واسعة كالبحر أمام تلك الشمس.

وان اتفاق هذه القلوب والعقول واجماعها في وجوب وجوده سبحانه، وفي وحدانيته لهو دليل أكمل ومرشد اكبر لايتحير ولايحيّر؛ اذ ليس هناك إمكان قط ولا إحتمال قطعاً – في أية جهة كانت – ان يخدع وهمٌ لاحقيقة له، وفكرٌ لايمت الى الحقيقة بصلة، وصفةٌ لا اصل لها، جميع هذه العيون البصيرة النافذة الحادة لهذه الكثرة الكاثرة من ذوي القلوب الصافية والعقول الرزينة، وان يستمر هذا الخداع عبر قرون وبرسوخ تام ! او أن يوقعهم جميعاً في شباك التمويه والغفلة ! فهل هناك من يجد احتمالاً كهذا غير من يحمل عقلاً فاسداً عفناً ؟ بل حتى السوفسطائيون الحمقى الذين ينكرون الكون يردّونه ولا يرضون به !.

هكذا فهم السائح، فقال منسجماً مع عقله وقلبه: آمنت بالله

واشارة الى المعرفة الايمانية مما استفاد هذا السائح من العقول المستقيمة والقلوب المنوّرة ذكر في المرتبة الثالثة عشرة من المقام الاول ما يأتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: اجماع العقول المستقيمة المنوّرة، باعتقاداتها المتوافقة وبقناعاتها، ويقيناتها المتطابقة، مع تخالف الاستعدادات والمذاهب، وكذا دلّ على وجوب وجوده في وحدته اتفاق القلوب السليمة النورانية، بكشفياتها المتطابقة وبمشاهداتها المتوافقة، مع تباين المسالك والمشارب].

* * *

ثم ان ذلك السائح الذي نظر الى **عالم الغيب** من قريب، وتجوّل في عالمي العقل والقلب، أخذ يطرق باب ذلك العالم بهذا النمط من التفكير: «يا ترى ماذا يقول عالم الغيب ؟». إذ مادمنا نرى في عالم الشهادة الجسماني هذا، ان المحتجب وراء ستار الغيب سبحانه يعرّف نفسه لنا بهذا القدر الهائل من مصنوعاته المزينة المتقنة ويسوقنا الى محبته بهذا القدر الذي لايحصى من نعمه اللذيذة الطيبة ويخبرنا عن كمالاته الخفية بهذا القدر الزاخر من آثاره الخارقة البديعة.. نعم ان الذي يعرّف نفسه ويحببها فعلاً وبلسان الحال الذي هو أبين من الكلام والتكلم؛ لابد انه سيتكلم قولاً وتكلماً مثلما يتكلم فعلاً وحالاً، معرّفاً نفسه ومحبباً ذاته.

لذا خاطب السائح نفسه قائلاً: علينا ان نعرفه سبحانه من مظاهر الوهيته وربوبيته في عالم الغيب. فغاص قلبه في الاعماق ورأى بعين عقله:

ان حقيقة «**الوحي الإلهي**» مهيمنة كل حين – بظواهر في غاية القوة والوضوح – على ارجاء عالم الغيب كافة. فتأتي الشهادة لوجوده وتوحيده سبحانه من لدن علاّم الغيوب. وهي شهادة الوحي والالهام وهي أقوى بكثير من شهادة الكائنات والمخلوقات؛ إذ لا يدع سبحانه تعريف ذاته ولا دلائل وجوده ووحدانيته، محصوراً في شهادة مخلوقاته وحدها، بل يتكلم كلاماً أزلياً يليق بذاته، فلا حدّ ولا نهاية لكلام من هو حاضر وناظر بقدرته وعلمه في كل مكان. ومثلما يعرّفه معنى كلامه، فان تكلمه ايضاً يعرّفه بصفته

نعم، ان تواتر مائة ألف من الانبياء عليهم السلام واتفاقهم في جميع إخباراتهم الصادرة من الوحي الإلهي، ودلائل ومعجزات الكتب المقدسة والصحف السماوية التي هي الوحي المشهود وثماره، والتي صدقتها الاكثرية المطلقة للبشرية واقتدت بها، واهتدت بهديها.. جعل السائح يفهم بداهة أن الوحي حقيقة ثابتة لامراء فيها. وفهم كذلك ان حقيقة الوحي تفيد خمس حقائق قدسية وتؤكدها وتنورها:

اولاها: ان التكلم وفق مفاهيم البشر وبمستوى عقليتهم هو الذي يطلق عليه «التنزلات الإلهية الى عقول البشر».. نعم، ان الذي أنطق جميع ذوي الارواح من مخلوقاته، ويعلم ما يتكلمونه، تقتضي ربوبيته ان يصب معاني كلامه الازلي في كلمات يتيسر للبشر ان يتلوها بين كلامهم.

ثانيتها: ان الذي برأ الوجود معجزةً، وملأه بمعجزاته الباهرة لتُفصح عنه وجعلها ألسنةً ناطقة بكمالاته، لابد أنه سيعرّف ذاته ايضاً بكلامه هو.

ثالثتها: ان الذي يقابل فعلاً مناجاة الناس الحقيقيين وشكرهم، وهم خلاصة الموجودات وزبدتها وأكثرهم حاجة واشدهم شوقاً وأرقهم لطفاً، فان مقابلة تلك المناجاة والشكر بكلامه سبحانه هي من شأن الخلاقية.

رابعتها: ان صفة المكالمة التي هي ضرورية لازمة وظاهرة مضيئة لصفتي «العلم» و «الحياة» لابد أنها توجد بصورة محيطة وبسرمدية خالدة عند من له علم محيط وحياة سرمدية.

خامستها: ان الذي فطر مخلوقاته على العجز والشوق، والفقر والحاجة، والقلق من العاقبة، ومنحهم المحبة والعبودية حتى اصبحوا يحسون حباً شديداً وشوقاً غامراً نحو معرفة مولاهم الحق ومالك امرهم، ويشعرون بحاجتهم الماسة الى قوة يستندون اليها ويأوون الى كنفها – وهم يتقلبون في فقر وعجز وتوجس من العقبى– فمن مقتضى الوهيته ان يُشعرهم وجوده بتكلمه سبحانه.

وهكذا فهم السائح ان الدلائل التي تدل بالاجماع على وجود واجب الوجود، ووحدانيته سبحانه في الوحي السماوي العام المتضمن لحقائق «التنزلات الإلهية» و «التعرف الرباني» و «المقابلة الرحمانية» و «المكالمة السبحانية» و «الاشعار الصمداني» هي حجة كبرى، بل هي أقوى من شهادة الشمس على نفسها في رابعة النهار.

ثم نظر الى حيث «**الالهامات**» فرأى ان الالهامات الصادقة مع انها تتشابه – من جهة – مع الوحي، من حيث انها نوع من المكالمة الربانية، الاّ ان هناك فرقين:

اولهما:

ان معظم الوحي الذي هو أسمى واعلى من الالهام بكثير إنما يتم بوساطة الملائكة، بينما اغلب الالهام يتم دون وساطة. ولإيضاح ذلك نورد المثال الآتي:

من المعلوم ان هناك شكلين من صور التخاطب واصدار الاوامر للسلطان:

الاول: باسم الدولة وعظمتها وحاكميتها وسيادتها على الجميع. فيرسل احد مبعوثيه الى احد ولاته، ويجتمع – أحياناً – معه، ومن ثم يبلّغ الامر، وذلك اظهاراً لعظمة تلك الحاكمية واهمية ذلك الامر.

الثاني: باسمه الشخصي، وليس باسم السلطنة، ولا بعنوان السلطان، فيتكلم كلاماً خاصاً، بهاتفه الخاص، في أمر خاص، وفي معاملة جزئية، مع خادمه الخاص او مع أحد رعيته من العوام.

وكذلك كلام سلطان الازل سبحانه وتعالى. فله كلام بالوحي والالهام الشامل – الذي يقوم بوظائف الوحي – يتكلم باسم رب العالمين، وبعنوان خالق الكون. وله ايضاً طراز آخر من الكلام، وبشكل خاص، ومن وراء حجب واستار، مع كل فرد ومع كل ذي حياة، حسب قابلياتهم، وذلك لكونه ربهم وخالقهم.

الفرق الثاني:

ان الوحي صاف، ودون ظل، خاص للخواص. أما الالهام ففيه ظل واختلاط ألوان. وهو عام وله اشكال متنوعة ومتفاوتة جداً؛ كإلهامات الملائكة، وإلهامات الانسان، والهامات الحيوانات. وهي بأنواعها المختلفة واشكالها المتباينة جداً، تبين مدى سعة وكثرة الكلمات الربانية التي تزيد على عدد قطرات البحار.. ففهم السائح من هذا وجهاً من تفسير الآية الكريمة: ﴿ **قل لو كان البحرُ مداداً لكلمات ربّي لَنَفِدَ البحرُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربي..** ﴾ (الكهف: ١٠٩).

ثم نظر الى ماهية الالهام يستبطن سره ويتعرف على حكمته وشهادته، فرأى ان ماهيته، وحكمته، ونتيجته، تتركب من اربعة أنوار:

النور الاول: انه مثلما يتودد الله سبحانه الى مخلوقاته عن طريق افعاله فيهم الذي يُعرف (بالتودد الإلهي) فان من مقتضيات الودودية والرحمانية (اي كونه ودوداً ورحمان) ان يتحبب اليهم ويتودد قولاً وحضوراً وصحبة ايضاً.

النور الثاني: انه مثلما يستجيب سبحانه دعاء عباده بافعاله. فان من شأن الرحيمية إجابته لهم قولاً ايضاً من وراء الحجب.

النور الثالث: انه مثلما يمدّ سبحانه بالافعال استمداد مخلوقاته المصابين بالبلايا العسيرة والنوائب الشديدة واستغاثتهم وتضرعهم فان من لازم الربوبية أن يؤنسهم ويبدد وحشتهم فيمدّهم بأقوال إلهامية هي في حكم نوع من كلامه.

النور الرابع: انه مثلما يُشعر سبحانه فعلاً وجوده وحضوره وحمايته لأرباب الشعور من خلقه – الذين هم في عجز وضعف شديدين، وفي فقر واضطرار كبيرين، وفي أشد الحاجة والشوق لمعرفة مالكهم وحاميهم ومدبرهم وحفيظهم – فانه من مقتضى رأفة الالوهية ورحمة الربانية، وضرورة لازمة لهما، ان يُشعر كذلك حضوره ومعيّته ووجوده، لمخلوق معين، بوجه خاص، حسب قابليته، بوساطة قسم من الالهامات الصادقة، قولاً الى هاتف قلبه، مما يعدّ في حكم نوع من المكالمة الربانية.

ثم نظر الى شهادة الالهام فرأى انه لو كانت للشمس حياة وشعورٌ – فرضاً – وكانت الألوان السبعة التي في ضيائها – فرضاً – سبع صفات لها، لكان لها اذاً نمط من التكلم باشعتها وتجلياتها التي في ضيائها. ففي هذه الحالة: فان وجود صورتها وانعكاسها في الاشياء الشفافة؛ اي تكلمها مع كل مرآة عاكسة، ومع كل شئ لماع، ومع قطع الزجاج وحباب البحر وقطراته، حتى مع الذرات الشفافة حسب قابلية كل منها.. واستجابتها لحاجات كل منها.. كل ذلك سيكون شاهد صدق على وجود الشمس، وعلى عدم ممانعة فعل عن فعل ولا مزاحمة كلام من كلامها لآخر..

فمثلما يشاهد هذا بوضوح، كذلك الامر في مكالمة سلطان الازل والابد ذي الجلال، وخالق جميع الموجودات ذي الجمال، النور الازلي، هي مكالمة كليّة ومحيطة، كعلمه سبحانه وقدرته. لذا يدرك بداهة تجليّها الواسع حسب قابلية كل شئ، من دون ان يزاحم سؤال سؤالاً، ولا يمنع فعل فعلاً، ولا يختلط خطاب بخطاب.

فعلم السائح بعلم يقيني اقرب ما يكون الى عين اليقين، ان جميع تلك التجليات والمكالمات والالهامات كل منها، وبمجموعها، تدل وتشهد بالاتفاق على وجوب ذلك المنّور الازلي سبحانه، وعلى حضوره سبحانه، وعلى وحدته، وعلى احديته.

وهكذا ذكرت إشارة مختصرة الى ما تلقاه هذا السائح المتلهف من درس المعرفة من عالم الغيب في المرتبة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من المقام الاول:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الواحد الاحد الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: إجماع جميع الوحيات الحقة المتضمنة للتنزلات الإلهية، وللمكالمات السبحانية، وللتعرفات الربانية، وللمقابلات الرحمانية، عند مناجاة عباده، وللاشعارات الصمدانية لوجوده لمخلوقاته، وكذا دلّ على وجوب وجوده في وحدته: إتفاق الالهامات الصادقة المتضمنة للتوددات الالهية، وللاجابات الرحمانية لدعوات مخلوقاته، وللامدادات الربانية لاستغاثات عباده، وللاحساسات السبحانية لوجوده لمصنوعاته].

* * *

ثم خاطب ذلك السائح في الدنيا عقله قائلاً: ما دمت أبحث عن مالكي وخالقي ستنطاق موجودات الكون هذا. فمن الأولى لي أن أزور من هو اكمل انسان في الوجود، واعظم من يقود الى الخير — حتى بتصديق أعدائه — وأعلاهم صيتاً وأصدقهم حديثاً وأسماهم منزلة وأنورهم عقلاً، ألا وهو **محمد** ﷺ الذي أضاء بفضائله وبقرآنه أربعة عشر قرناً من الزمان.. ولأجل أن أحظى بزيارته الكريمة وأستفسر منه ما أبحث عنه، ينبغي ان نذهب معاً الى خير القرون.. الى عصر السعادة.. عصر النبوة.. فدخل بعقله الى ذلك العصر فرأى ان ذلك العصر قد صار به ﷺ عصر سعادة للبشرية حقاً. لانه ﷺ قد حول في زمن يسير وبالنور الذي أتى به قوماً غارقاً في أشد أمية، وأعرق بداوة، حوّلهم الى أساتذة العالم وسادته.

وكذا خاطب عقله قائلاً: «علينا قبل كل شئ ان نعرف شيئاً عن عظمة هذه الذات المعجزة، وذلك من أحقية أحاديثه، وصدق أخباره ثم نستفسر منه عن خالقنا سبحانه».. فباشر بالبحث. فوجد على صدق نبوته من الادلة القاطعة الثابتة ما لايعد ولايحصى، ولكنه خلص الى تسع منها:

اولها: هو اتصافه ﷺ بجميع السجايا الفاضلة والخصال الحميدة، حتى شهد لها غرماؤه.. وظهور مئات المعجزات منه؛ كانشقاق القمر الذي انشق الى نصفين باشارة

من أصبعه كما نص عليه القرآن: ﴿ وانشق القمر ﴾ (القمر:١). وانهزام جيش الاعداء بما دخل أعينهم جميعاً من التراب القليل الذي رماه عليهم بقبضته. كما نصت عليه الآية الكريمة: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (الانفال: ١٧). وارتواء اصحابه من الماء النابع كالكوثر من بين أصابعه الخمسة المباركة عندما اشتد بهم العطش.. وغيرها من مئات المعجزات التي ظهرت بين يديه، والمنقولة إلينا نقلاً صحيحاً قاطعاً أو متواتراً، فاستطلعها السائح الى (المكتوب التاسع عشر) اي رسالة «المعجزات الاحمدية» تلك الرسالة الخارقة ذات الكرامة، المتضمنة لاكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزاته ﷺ، بدلائلها القاطعة واسانيدها الموثوقة.

ثم حدّث نفسه قائلاً: «ان من كان ذا اخلاق حسنة بهذا القدر وفضائل الى هذا الحد، وذا معجزات باهرة بهذه الكثرة، فلا جرم انه صاحب أصدق حديث .. فلا يمكن أبداً – وحاشاه – ان يتنازل الى الحيلة والكذب والتمويه التي هي دأب الفاسدين».

ثانيها: كون القرآن الذي بيده ﷺ معجزاً من سبعة اوجه، ذلك الامر الصادر من مالك الكون الذي يسلّم به ويصدقه اكثر من ثلاثمائة مليونٍ من البشر في كل عصر. ولما كانت (الكلمة الخامسة والعشرون) اي رسالة «المعجزات القرآنية» وهي شمس رسائل النور قد أثبتت بدلائل قوية أن هذا القرآن الكريم معجز من أربعين وجهاً، وانه كلام رب العالمين، لذا احال السائح ذلك الى تلك الرسالة المشهورة لبيانها المفصل للاعجاز. ثم قال: ان الأمين على كلام الله، والمترجم الفعلي له، والمبلغ لهذا النبأ العظيم الى الناس كافة، وهو الحق بعينه والحقيقة بذاتها، لايمكن ان يصدر منه كذب قط، ولن يكون موضع شبهة ابداً.

ثالثها: انه ﷺ قد بعث بشريعة مطهرة، وبدين فطري، وبعبودية خالصة، وبدعاء خاشع، وبدعوة شاملة، وبايمان راسخ، لامثيل لما بعث به ولن يكون، وما وجد أكمل منه ولن يوجد.

لأن «الشريعة» التي تجلّت من أميّ ﷺ وادارت خمس البشرية على اختلافها منذ أربعة عشر قرناً إدارة قائمة على الحق والعدل بقوانينها الدقيقة الغزيرة، لا تقبل مثيلاً ابداً.

وكذا «الاسلام» الذي صدر من افعال مَن هو أميّ ﷺ ومن اقواله، ومن احواله، هو رائد ومصدر ثلاثمائة مليون من البشر ومرجعهم في كل عصر، ومعلم لعقولهم ومرشد لها، ومنوّر لقلوبهم ومهذّب لها ومربّ لنفوسهم ومزكٍ لها، ومدار لانبساط أرواحهم ومعدن لسموها.. لم يأت ولن يأتي له مثيل.

وكذا تفوقه ﷺ في جميع انواع «العبادات» التي يتضمنها دينه، وتقواه العظيمة، وخشيته الشديدة من الله ومجاهدته المتواصلة ورعايته الفائقة لأدق أسرار العبودية ضمن أشد الاحوال والظروف، وقيامه ﷺ بتلك العبودية الخالصة، دون ان يقلد أحداً وبكل معانيها مبتدئاً، وبأكمل صورة، موصلاً الابتداء بالانتهاء. .لاشك لم يُرَ ولن يُرى لها مثيل.

وكذا فانه يصف، بالجوشن الكبير – الذي هو واحد من آلاف أدعيته ومناجاته – يصف ربه بمعرفة ربانية سامية لم يبلغ العارفون والاولياء جميعاً الى تلك المرتبة من المعرفة، ولا الى درجة ذلك الوصف منذ القدم مع تلاحق الافكار.. مما يظهر أنه لامثيل له في «الدعاء». ومن ينظر الى الايضاح المختصر لفقرة واحدة من بين تسع وتسعين فقرة للجوشن الكبير، وذلك في مستهل رسالة «المناجاة» لايسعه الاّ القول انه لامثيل لهذا الدعاء الرائع (الجوشن) الذي يمثل قمة المعرفة الربانية.

وكذا فان إظهاره في «تبليغ الرسالة» وفي دعوته الناس الى الحق من الصلابة والثبات والشجاعة ما لا يقاربها أحد. فلم يداخله – ولو بمقدار ذرة – أي أثرٍ للتردد ولا ساوره قلق قط، ولم ينل الخوف منه شيئاً، رغم معاداة الدول الكبرى والاديان العظمى له حتى ناصبه قومه وقبيلته وعمه العداء الشديد، فتحدى وحده الدنيا بأسرها حتى نصره الله وأعزّه، فكلل هامة الدنيا بتاج الاسلام.. فمَن مثل محمد ﷺ في تبليغ رسالات الله ؟..

وكذا حمله «ايماناً قوياً راسخاً» ويقيناً جازماً خارقاً، ونمواً للفطرة معجزاً، واعتقاداً سامياً ملأ العالم نوراً. فلم تتمكن أن تؤثر فيه جميع الافكار والعقائد وحكمة الحكماء وعلوم الرؤساء الروحانيين السائدة في ذلك العصر، ولو بشبهة او بتردد او بضعف او بوسوسة. نعم، لم تتمكن ان تؤثر لا في يقينه ولا في اعتقاده ولا في

اعتماده على الله ولا في اطمئنانه اليه، مع معارضتها له ومخالفتها إياه، وانكارها عليه. زد على هذا استلهام جميع الذين ترقوا في المعنويات والمراتب الايمانية من اهل الولاية والصلاح، وفي مقدمتهم الصحابة الكرام، واستفاضتهم دوماً من مرتبته الايمانية، ورؤيتهم له انه في أسمى الدرجات والمراتب. كل ذلك يظهر بداهة ان ايمانه ﷺ لا مثيل له ايضاً.

ففهم السائح، وصدّق عقله ان مَن كان صاحب هذه الشريعة السمحاء التي لا مثيل لها، والاسلام الحنيف الذي لاشبيه له، والعبودية الخالصة التي لانظير لها، والدعاء البديع الرائع، والدعوة الكونية الشاملة والايمان المعجز، لن يكون عنده كذب قط، ولن يكون خادعاً مطلقاً.

الدليل الرابع: اجماع الانبياء عليهم السلام واتفاقهم على الحقائق الايمانية نفسها هو دليل قاطع على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته، وهو شهادة صادقة ايضاً على صدق هذا النبي ﷺ وعلى رسالته، ذلك لأن كل مايدل على صدق نبوة اولئك الانبياء عليهم السلام، وكل ما هو مدارٌ لنبوتهم من الصفات القدسية، والمعجزات، والمهام التي اضطلعوا بها توجد مثلها وباكمل منها فيه ﷺ، كما هو مصدّقٌ تاريخاً. فاولئك الانبياء عليهم السلام قد اخبروا بلسان المقال ـ اي بالتوراة والانجيل والزبور والصحف التي بين ايديهم ـ بمجئ هذه الذات المباركة وبشروا الناس بقدومه ﷺ (حتى ان اكثر من عشرين اشارة واضحة ظاهرة من الاشارات المبشرة لتلك الكتب المقدسة قد بُينت بياناً جلياً واثبتت في رسالة المعجزات الاحمدية) فكما انهم قد بشروا بمجيئه ﷺ فانهم يصدّقونه ﷺ بلسان حالهم ـ اي بنبوتهم وبمعجزاتهم ـ ويختمون بالتأييد على صدق دعوته اذ هو السابق الاكمل في مهمة النبوة والدعوة الى الله، فادرك السائح انهم مثلما يدلّون ـ اي اولئك الانبياء ـ بلسان المقال وبالاجماع على الوحدانية، فانهم يشهدون ـ بلسان الحال وبالاتفاق كذلك ـ على صدق هذا النبي الكريم ﷺ.

الدليل الخامس: ان وصول آلاف الاولياء الى الحق والحقيقة، وما نالوا من الكمالات والكرامات وما فازوا من الكشفيات والمشاهدات ليس الاّ بالاقتداء بهدي دساتير هذا النبي الكريم ﷺ وبتربيته، وباتباعه وتعقب أثره، فمثلما انهم يدلّون

جميعاً على الوحدانية فهم يشهدون بالاجماع والاتفاق على صدق هذا النبي الكريم ﷺ – استاذهم وامامهم – وعلى أحقية رسالته. فرأى السائح ان مشاهدة هؤلاء قسماً مما أخبر به ﷺ من عالم الغيب بنور الولاية ورؤيتهم لجميع ما أخبر به بنور الايمان، واعتقادهم به وتصديقهم له – إما بعلم اليقين او بعين اليقين او بحق اليقين – انما تُظهر ظهوراً كالشمس مدى صدق مرشدهم الاعظم ومدى صواب رائدهم الاكبر ﷺ.

الدليل السادس: ان ملايين العلماء المدققين الاصفياء، والمحققين الصديقين، ودهاة الحكماء المؤمنين، ممن بلغوا أعلى المراتب بفضل مادرسوا وتتلمذوا على ما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ – مع كونه أمياً – من الحقائق القدسية، وما نبع منها من العلوم العالية، وما كشفت عنه من المعرفة الإلهية.. ان هؤلاء جميعاً مثلما يثبتون الوحدانية التي هي الاساس لدعوته ﷺ ويصدقونها متفقين – ببراهينهم القاطعة – فانهم يتفقون كذلك ويشهدون على صدق هذا المعلم الاكبر وصواب هذا الاستاذ الاعظم وعلى احقيّة كلامه ﷺ. فشهادتهم هذه حجة واضحة كالنهار على صدقه وصواب رسالته. وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المائة – مثلاً – إلاّ برهان واحد فقط على صدق وصواب هذا النبي الحبيب ﷺ.

الدليل السابع: ان الجمع العظيم الذين يطلق عليهم «الآل والاصحاب» الذين هم اشهر بني البشر بعد الانبياء، فراسةً واكثرهم درايةً، واسماهم كمالاتٍ، وافضلهم منزلة، واعلاهم صيتاً، واشدهم اعتصاماً بالدين، وأحدّهم نظراً .. ففهم السائح أن تحري هؤلاء وتفتيشهم وتدقيقهم لجميع ما خفي وما ظهر من احوال هذا النبي الكريم ﷺ وافكاره وتصرفاته بحثاً بكمال اللهفة والشوق، وبغاية الدقة، وبمنتهى الجدية، ثم تصديقهم بالاتفاق والاجماع انه ﷺ اصدق مَن في الدنيا حديثاً، واسماهم مكانة، واشدهم اعتصاماً بالحق والحقيقة، فتصديقهم هذا الذي لايتزعزع مع ما يملكون من إيمان عميق، انما هو دليل باهر كدلالة النهار على ضياء الشمس.

الدليل الثامن: كما ان هذا الكون يدل على صانعه وكاتبه، ومصوّره الذي اوجده، والذي يديره، ويرتبه، ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ اوكأنه كتاب كبير او كأنه معرض بديع او كأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لامحالة وجود من يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلم ويُعلّم

المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات. أي يقتضي داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، واستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فادرك السائح ان الكون – من حيث هذا الاقتضاء – يدل ويشهد على صدق هذا النبي الكريم ﷺ وصوابه الذي هو افضل من أتم هذه الوظائف والمهمات وعلى كونه أفضل واصدق مبعوث لرب العالمين.

الدليل التاسع: ما دام هناك وراء الحجاب من يشهر كمال بديعيته واتقانه، بمصنوعاته هذه؛ ذات الاتقان والحكمة.. ويعرّف نفسه ويوددها، بمخلوقاته غير المحدودة، ذات الزينة والجمال.. ويُوجب الشكر والحمد له، بنعمه التي لاتحصى، ذات اللذة والنفاسة.. ويشوق الخلق الى العبادة نحو ربوبيته بعبودية تتسم بالحب والامتنان والشكر إزاء هذه التربية والاعاشة العامة، ذات الشفقة والحماية (حتى انه يهيئ اطعمة وضيافات ربانية ما تُطمئن ادق اذواق الافواه وجميع انواع الاشتهاء).. ويدين الخلق الى الايمان والتسليم والانقياد والطاعة نحو الوهيته التي يظهرها بتبديل المواسم، وتكوير الليل على النهار، واختلافهما وامثالها من التصرفات العظيمة، والاجراءات الجليلة، والفعالية المدهشة والخلاقية الحكيمة.. ويُظهر عدالته وحقانيته بحمايته دوماً البر والابرار وازالته الشر والاشرار ومحقه الظالمين والمكذبين واهلاكهم بنوازل سماوية. فلا جرم، ان احب مخلوق لدى ذلك المتستر بالغيب، واصدق عبد له هو مَن كان عاملاً عملاً خالصاً لمقاصده المذكورة آنفاً، ومَن يحل السر الاعظم في خلق الكون ويكشف لغزه، ومن يسعى دوماً باسم خالقه ويستمد القوة منه ويستعينه وحده في كل شئ فينال المدد والتوفيق منه سبحانه. ومن ذا يكون هذا غير محمد القرشي ﷺ.

ثم خاطب السائح عقله: لما كانت هذه الحقائق التسع شاهدة اثبات على صدق هذا النبي الكريم ﷺ فلا ريب اذن انه قطب شرف البشرية، ومدار افتخار العالم، وانه حري ولائق جداً تسميته شرف بني آدم، وتلقيبه بفخر العالمين. وان ما في يده من أمر الرحمن وهو القرآن الكريم المهيمن جلال سلطانه المعنوي على نصف الارض مع ما يملك من كمالاته الشخصية وخصاله السامية يظهران ان اعظم انسان في الوجود هو هذا النبي العظيم، فالقول الفصل اذن بحق خالقنا سبحانه هو قوله ﷺ.

فتعال ياعقلي وتأمل! ان أساس جميع دعاوى هذا النبي الكريم ﷺ، وغاية حياته كلها، هي الشهادة على وجود واجب الوجود، والدلالة على وحدانيته، وبيان صفاته الجليلة، واظهار اسمائه الحسنى، واثبات كل ذلك، واعلانه واعلامه؛ استناداً الى ما في دينه من ألوف الحقائق الراسخة الاساس والى قوة ما اظهره الله بيده مئات من معجزاته القاطعة الباهرة.

اي ان الشمس المعنوية التي تضئ هذا الكون والبرهان النيّر على وجود خالقنا سبحانه ووحدانيته، هو هذا النبي الكريم الملقب بـ« حبيب الله » ﷺ فهنالك ثلاثة انواع من الاجماع عظيمة لا تَغفل ولا تُغفِل، تؤيد شهادته وتصدّقها:

الاجماع الاول: اجماع الذين اشتهروا، وتميزوا في العالم باسم « آل محمد » عليه وعلى آله الصلاة والسلام. تلك الجماعة النورانية التي يتقدمها الامام علي رضي الله عنه الذي قال: « لو رُفع الحجاب ما ازددت يقيناً »، وخلفه آلاف الاولياء العظام من ذوي البصائر الحادة والنظر الثاقب للغيب من امثال الشيخ الكيلاني (قدس سره) الذي كان يعاين ببصيرته النافذة العرش الاعظم واسرافيل بعظمته وهو بعد على الارض.

الاجماع الثاني: اجماع تلك الجماعة المعروفة بالصحابة الكرام المشهورين في العالم رضي الله عنهم اجمعين، وتصديقهم بالاتفاق وبايمان راسخ قوي لهذا النبي الكريم ﷺ حتى ساقهم ذلك الى التضحية والفداء بأرواحهم واموالهم وآبائهم وعشيرتهم، وهم الذين كانوا قوماً بدواً يقطنون في محيط أميّ خالٍ من مظاهر الحياة الاجتماعية والافكار السياسية، ليس لهم هدى ولا كتاب منير. وكانوا مغمورين في ظلمة عصر الفترة، فصاروا في زمن يسير اساتذة مرشدين وسياسيين وحكاماً عادلين لأرقى الامم حضارة وعلماً واجتماعاً وسياسةً،فحكموا العالم شرقاً وغرباً ورفرفت رايات عدالتهم براً وبحراً.

الاجماع الثالث: هو تصديق الجماعة العظيمة من العلماء الاجلاء الذين لايعدون ولايحصون المتبحرين في علومهم والمحققين المدققين الذين نشأوا في أمته وسلكوا مسالك شتى ولهم في كل عصر آلاف من الحائزين على قصب السبق بدهائهم في كل علم. فتصديق هؤلاء جميعاً له بالاتفاق وبدرجة علم اليقين اجماع اي اجماع!..

فحكم السائح بان شهادة هذا النبي الامي على الوحدانية ليست شهادة شخصية وجزئية، بل هي شهادة عامة وكلية راسخة لاتتزعزع، ولن تستطيع أن تجابهها الشياطين كافة في أية جهة ولو اجتمعوا عليها.

وهكذا ذكرت إشارة مختصرة لما تلقاه ذلك السائح الذي جال بعقله في عصر السعادة جوانب الحياة من تلك المدرسة النورانية في المرتبة السادسة عشرة من المقام الاول كالآتي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الواحدُ الاحدُ الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: فخرُ عالمٍ وشرف نوع بني آدم، بعظمة سلطنةِ قرآنه، وحشمةِ وسعةِ دينه، وكثرةِ كمالاته، وعلويّة اخلاقه، حتى بتصديق أعدائه. وكذا شهدَ وبرهنَ بقوةِ مئاتِ المعجزات الظاهرات الباهرات المُصدَّقة، وبقوة آلافِ حقائق دينه الساطعة القاطعة، باجماع آله ذوي الانوار، وباتفاق اصحابه ذوي الابصار، وبتوافق مُحققي أمتهِ ذوي البراهين والبصائر النّوارة].

* * *

ثم ان السائح الذي لا يناله تعب ولاشبع والذي علم ان غاية الحياة في هذه الدنيا بل حياة الحياة انما هو الايمان، حاور هذا السائح قلبه قائلاً:

ان كلام من نبحث عنه هو اشهر كلام في هذا الوجود واصدقه واحكمه، وقد تحدى في كل عصر من لا ينقاد اليه، ذلك **القرآن الكريم** ذو البيان المعجز.. فلنراجع اذاً هذا الكتاب الكريم، ولنفهم ماذا يقول.. ولكن لنقف لحظة قبل دخولنا هذا العالم الجميل لنبحث عما يجعلنا نستيقن أنه كتاب خالقنا نحن.. وهكذا باشر بالتدقيق والبحث.

وحيث ان هذا السائح من المعاصرين فقد نظر اولاً الى رسائل النور التي هي لمعات الاعجاز المعنوي للقرآن الكريم، فرأى ان هذه الرسائل البالغة مائة وثلاثين رسالة هي بذاتها تفسير قيّم للآيات الفرقانية اذ إنها تكشف عن نكاتها الدقيقة وأنوارها الزاهية.

ورغم ان رسائل النور قد نشرت الحقائق القرآنية بجهاد متواصل الى الآفاق كافة، في هذا العصر العنيد الملحد، لم يستطع أحد أن يعارضها أو ينقدها، مما يثبت ان القرآن الكريم الذي هو رائدها ومنبعها ومرجعها وشمسها، انما هو سماوي من كلام

الله رب العالمين، وليس بكلام بشر. حتى ان «الكلمة الخامسة والعشرين» وختام «المكتوب التاسع عشر» وهما حجة واحدة من بين مئات الحجج، تقيمها رسائل النور لبيان إعجاز القرآن، فتثبته بأربعين وجهاً، إثباتاً حيّر كل من نظر اليها، فقدّرها واعجب بها - ناهيك عن انهم لم ينقدوها ولم يعترضوا عليها قط - بل اثنوا عليها كثيراً.

هذا وقد أحال السائح اثبات وجه الاعجاز للقرآن الكريم، وانه كلام الله سبحانه حقاً الى «رسائل النور» الاّ انه انعم النظر في بضع نقاط تبين باشارة مختصرة عظمة القرآن الكريم:

النقطة الاولى: مثلما ان القرآن الكريم بكل معجزاته وحقائقه الدالة على أحقيته هو معجزة لمحمد ﷺ، فان محمداً عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة ايضاً للقرآن الكريم وحجة قاطعة على ان القرآن الكريم كلام الله رب العالمين.

النقطة الثانية: ان القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً نوّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً سواء في نفوس البشر وقلوبهم، او في ارواحهم وعقولهم، او في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره، بحيث إن آياته البالغة ستة آلاف وستمائة وستاً وستين آية يتلى منذ أربعة عشر قرناً في كل آن بألسنة أكثر من مائة مليون شخص في الاقل بكل إجلال واحترام، فيربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الارواح إنكشافاً ورقياً، والعقول إستقامة ونوراً، والحياة حياةً وسعادة. فلا شك انه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولاشبيه له ولامثيل. فهو خارق، وهو معجزة.

النقطة الثالثة: ان القرآن الكريم قد أظهر بلاغة أيما بلاغة، منذ ذلك العصر الى زماننا هذا، حتى انه حطّ من قيمة «المعلقات السبع» المشهورة وهي قصائد أبلغ الشعراء، كتبت بالذهب وعُلّقت على جدران الكعبة، حتى ان ابنة «لبيد»(١) أنزلت قصيدة أبيها من على جدار الكعبة قائلة:

(١) لبيد بن ربيعة العامري أحد الشعراء الفرسان الاشراف في الجاهلية، ادرك الاسلام، ووفد على النبي ﷺ ويعدّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، وهو احد أصحاب المعلقات، وكان كريماً .. (الاعلام للزركلي٥/ ٢٤٠). - المترجم

«أما وقد جاءت الآيات فليس لمثلك هنا مقام».

وكذا عندما سمع أعرابيٌّ أديب الآية الكريمة: ﴿فاصْدَعْ بما تُؤمَر﴾ (الحجر: ٩٤) خرّ ساجداً فقيل له:

– أأسلمتَ ؟

قال:

– لا، بل سجدت لبلاغة هذه الآية.

وكذا، فان آلافاً من أئمة البلاغة وفحول الأدب، امثال: عبد القاهر الجرجاني(١)، والسكاكي(٢)، والزمخشري(٣)، قد اقرّوا بالاجماع والاتفاق:

«ان بلاغة القرآن فوق طاقة البشر ولايمكن أن يُدرك».

وكذا، فان القرآن الكريم منذ نزوله – وما زال – يتحدى كل مغرور ومتعنت من الادباء والبلغاء، وينال من عتوهم وتعاليهم، تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله.. او ان يرضوا بالهلاك والذل في الدنيا والآخرة...

وبينما يعلن القرآن تحديه هذا، اذا ببلغاء ذلك العصر العنيدين قد تركوا السبيل القصيرة وهي المضاهاة والمعارضة والاتيان بسورة من مثله، سالكين السبيل الطويلة، سبيل الحرب التي تأتي بالويل والدمار على الارواح والاموال، مما يثبت اختيارهم هذا انه لا يمكن المسير في تلك السبيل القصيرة.

وكذا، ففي متناول الايدي ملايين الكتب العربية التي كتبها اولياء القرآن بشغف اقتباس اسلوبه وتقليده او كتبها أعداؤه لأجل معارضته ونقده، فكل ما كتب

(١) (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) امام في اللغة والبلاغة، له مصنفات. منها: كتاب المغني (٣٠مجلد) المقتصد (٣مجلدات) اعجاز القرآن، المفتاح، دلائل الاعجاز، اسرارالبلاغة.

(٢) ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) من اعلام البلاغة، مؤلف كتاب «المفتاح» الذي يعد أوسع ما كتب في البيان في زمانه وله شروح كثيرة. وضع علوم البلاغة في قالبها العلمي. مولده ووفاته بخوارزم. – المترجم.

(٣) هو ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جارالله. ولد بزمخشر سنة ٤٦٧ توفي بعد رجوعه من مكة المكرمة سنة ٥٣٨هـ. إمام عصره في اللغة والتفسير، له «الكشاف عن حقائق التنزيل» و «الفائق في غريب الحديث» و «المفصل» في النحو و«اساس البلاغة» وغيرها. – المترجم.

ويكتب، مع التقدم والرقي في الاسلوب الناشئ من تلاحق الافكار - ومنذ ذلك الوقت والى الآن - لايمكن ان يضاهي او يداني أيٌّ منها اسلوب القرآن، حتى لو استمع رجل عامي لما يتلى من القرآن الكريم لاضطر الى القول: ان هذا القرآن لايشبه أياً من هذه الكتب، ولن يستطيع انسان كائنا من كان، ولا كافر، ولا أحمق ان يقول: انها اسفل الجميع، فلابد اذاً ان مرتبة بلاغته فوق الجميع. حتى قد تلا أحدهم الآية الكريمة: ﴿سَبَّحَ للهِ ما في الَّسموات والارضِ﴾ (الحديد:١) ثم قال:

- «اني لا أرى الوجه المعجز الذي ترونه في بلاغة هذه الآية الكريمة».

فقيل له:

- «عد بخيالك - كهذا السائح - الى ذلك العصر واستمع اليها هناك».

وبينما هو يتخيل نفسه هناك فيما قبل نزول القرآن الكريم، اذا به يرى ان موجودات العالم ملقاة في فضاء خالٍ شاسع دون حدود، في دنيا فانية زائلة، وهي في حالة يائسة مضطربة تتخبط في ظلمة قاتمة، وهي جامدة دون حياة وشعور، وعاطلة دون وظيفة ومهام. ولكن حالما أنصت الى هذه الآية الكريمة وتدبر فيها اذا به يرى ان هذه الآية قد كشفت حجاباً مسدلاً عن وجه الكون وعن وجه العالم كله حتى بان ذلك الوجه مشرقاً ساطعاً، فألقى هذا الكلام الازلي والامر السرمدي درساً على جميع ارباب المشاعر المصطفين حسب العصور كلها ومظهراً لهم:

أن هذا الكون بحكم مسجد كبير، وان جميع المخلوقات - ولاسيما السموات والارض - منهمكة في ذكر وتهليل وتسبيح ينبض بالحيوية. وقد تسنم الكل وظائفهم بكل شوق ونشوة، وهم ينجزونها بكل سعادة وإمتنان..

هكذا شاهد السائح سريان مفعول هذه الآية الكريمة في الكون، فتذوق مدى سمو بلاغتها، وقاس عليها سائر الآيات الكريمة، فأدرك السر في هيمنة بلاغة القرآن الفريدة لنصف الارض وخمس البشرية، وعلم حكمة واحدة من آلاف الحكم لديمومة جلال سلطان القرآن الكريم بكل توقير وتعظيم على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان دون إنقطاع.

النقطة الرابعة: ان القرآن الكريم قد أظهر عذوبة وحلاوة ذات اصالة وحقيقة بحيث ان التكرار الكثير – المسبب للسآمة حتى من أطيب الاشياء – لايورث الملال عند من لم يفسد قلبه ويبلد ذوقه، بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته. وهذا أمر مسلّم به عند الجميع منذ ذلك العصر، حتى غدا مضرب الامثال.

وكذا فقد أظهر القرآن الكريم من الطراوة والفتوة والنضارة والجدّة بحيث يحتفظ بها وكأنه قد نزل الآن، رغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان عليه، ورغم تيسر الحصول عليه للجميع. فكل عصر قد تلقاه شاباً نضراً وكأنه يخاطبه. وكل طائفة علمية مع انهم يجدونه في متناول ايديهم وينهلون منه كل حين ويقتفون أثر اسلوب بيانه، يرونه محافظاً دائماً على الجدة نفسها في اسلوبه والفتوة عينها في طُرز بيانه.

النقطة الخامسة: ان القرآن الكريم قد بسط احد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل، فالحقيقة التي اتفق عليها الانبياء السابقون هي جذر القرآن وأحد جناحيه، فهو يصدقهم ويؤيدهم، وهم بدورهم يؤيدونه ويصدقونه بلسان حال التوافق.

وكذلك فان الاولياء الصالحين والعلماء الاصفياء هم ثمار استمدت الحياة من شجرة القرآن الكريم، فتكاملهم الحيوي يدل ان شجرتهم المباركة هي ذات حياة وعطاء وذات فيض دائم وذات حقيقة واصالة. فالذين انضووا تحت حماية جناحه الثاني، وعاشوا في ظلاله من اصحاب جميع الطرق الحقة للولاية، وارباب جميع العلوم الحقة للاسلام يشهدون ان القرآن هو عين الحق ومجمع الحقائق، ولامثيل له في جامعيته وشموليته، فهو معجزة باهرة.

النقطة السادسة: ان الجهات الست للقرآن الكريم منورة مضيئة، مما يُبين صدقه وعدله.

نعم، فمن تحته أعمدة الحجج والبراهين، وعليه تتألق سكة الاعجاز، وبين يديه – هدفه – هدايا سعادة الدارين، ومن خلفه – أي نقطة استناده – حقائق الوحي السماوي، وعن يمينه تصديق ما لايحد من أدلة العقول المستقيمة، وعن يساره الاطمئنان الجاد والانجذاب الخالص والاستسلام التام للقلوب السليمة والضمائر الطاهرة.

واذ تثبت – تلك الجهات الست – ان القرآن الكريم حصن حصين سماوي في الارض لايقوى على خرقه خارق ولاينفذ من جداره نافذ، هناك ايضاً ستة «مقامات» تؤكد انه الصدق بذاته والحق بعينه، وانه ليس بكلام بشر قط، وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأول تلك المقامات تأييد مصرّف هذا الكون ومدبّره له، الذي اتخذ اظهار الجميل وحماية البر والصدق ومحق الخداعين وازالة المفترين، سنة جارية لفعاليته سبحانه، فأيّد سبحانه وصدّقَ هذا القرآن بما منحه من مقام إحترام وتعظيم وأولاه من مرتبة توفيق وفلاح هو اكثر قبولاً واعلى مرتبة واعظم هيمنة في العالم.

وكذا فان الاعتقاد الراسخ والتوقير اللائق من الذات المباركة ﷺ نحو القرآن الكريم يفوق الجميع وهو منبع الاسلام وترجمان القرآن، وكونه بين اليقظة والنوم حينما يتنزل عليه الوحي فيتنزل عليه دون ارادته، وعدم بلوغ سائر كلامه شأوه، بل عدم مشابهته له رغم أنه أُفصح الناس، وبيانه – بهذا القرآن – بياناً غيبياً لما مضى من الحوادث الكونية الواقعة ولما ستأتي منها مع أميته، من دون تردد وبكل إطمئنان. وعدم ظهور أية حيلة او خطأ او ما شابهها من الاوضاع منه مهما صغرت رغم انه بين أنظار أشد الناس انعاماً لتصرفاته.. فايمان هذا الترجمان الكريم والمبلغ العظيم ﷺ وتصديقه بكل قوته لكل حكم من احكام القرآن الكريم، وعدم زعزعة اي شئ له مهما عظم يؤيد ويؤكد أن القرآن سماوي وكله صدق وعدل وكلام مبارك للرب الرحيم.

وكذا فان ارتباط خمس البشرية، بل الشطر الاعظم منهم بذلك القرآن الكريم المشاهد امامهم، إرتباط انجذاب وتدين، واستماعهم اليه بجد وشوق ولهفة، وتوافد الجن والملك والروحانيين اليه والتفافهم حوله عند تلاوته التفاف الفراشة العاشقة للنور بشهادة امارات ووقائع وكشفيات صادقة كثيرة.. كل ذلك تصديق بان هذا القرآن هو محل رضى الكون واعجابه، وان له فيه اسمى مقام واعلاه.

وكذا فان أخذ كل طبقة من طبقات البشر ابتداءً من الغبي الشديد الغباء والعامي، الى الذكي الحاد الذكاء والعالم نصيبها كاملة من الدروس التي يلقيها القرآن الكريم،

وتفهمهم منه اعمق الحقائق، واستنباط جميع الطوائف من علماء مئات العلوم والفنون الاسلامية، وبخاصة مجتهدي الشريعة السمحة ومحققي اصول الدين وعباقرة علم الكلام وامثالهم، واستخراجهم الاجوبة الشافية لما يحتاجونه من المسائل التي تخص علومهم من القرآن الكريم، انما هو تصديق بأن القرآن الكريم هو منبع الحق ومعدن الحقيقة.

وكذا فان عدم معارضة ادباء العرب الذين هم في المقدمة في الادب ولاسيما الذين لم يدخلوا الاسلام – مع رغبتهم الملحة في المعارضة – وعجزهم عجزاً تاماً امام وجه واحد – وهو الوجه البلاغي – من بين وجوه اعجاز القرآن السبعة الكبرى، وعجزهم عن الاتيان بسورة واحدة فقط من سور القرآن الكريم، وصدودهم عن ذلك، وعدم معارضته ممن اتى من مشاهير البلغاء وعباقرة العلماء لحد الان لأي وجه من وجوه الاعجاز – مع رغبتهم في ذيوع صيتهم بالمعارضة – وسكوتهم عاجزين عن ذلك، لهو حجة قاطعة على ان القرآن الكريم معجزة وفوق طاقة البشر.

نعم ان قيمة الكلام وعلوه وبلاغته تتوضح في بيان: «مَن قاله ؟ ولمن قاله ؟ ولِمَ قاله ؟».

وبناء على هذا فان القرآن الكريم لم يأت ولن يأتي مثله ولن يدانيه شئ قط؛ ذلك لان القرآن الكريم انما هو خطاب من رب العوالم جميعاً وكلام من خالقها، وهو مكالمة لايمكن تقليدها – باي جانب من الجوانب – وليس فيه امارة تومئ بالتصنع. ثم ان المخاطب هو مبعوث باسم البشرية قاطبة، بل باسم المخلوقات جميعاً، وهو اكرم من اصبح مخاطباً وارفعهم ذكراً، وهو الذي ترشح الاسلام العظيم من قوة إيمانه وسعته، حتى عرج به الى قاب قوسين او ادنى فنزل مكللاً بالمخاطبة الصمدانية. ثم ان القرآن الكريم المعجز البيان قد بيّن سبيل سعادة الدارين، ووضح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية موضحاً ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الايمان السامي الواسع الذي يضم الحقائق الاسلامية كلها عارضاً كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل ومقلباً إياه كمن يقلب خارطة او ساعة امامه. معلّماً الانسان صانعه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته، فلاريب ولابد انه لايمكن الاتيان بمثل هذا القرآن ابداً، ولايمكن مطلقاً ان تنال درجة إعجازه.

وكـذا فان الآلاف من العلمـاء الافـذاذ الذين قام كل منـهـم بكتابة تفـسـير للقـرآن الكريم في مجلدات بلغ قسم منها ثلاثين او اربعين مـجلداً بل سبعين مجلداً، وبيانهم باسانيدهم ودلائلهم لما في القرآن الكريم مما لايحد من المزايا الساميـة والنكات البليغة والخواص الدقيقة والاسرار اللطيفة والمعاني الرفيعـة والاخبارات الغيبية الكثيرة بانواعها المختلفـة، واظهار كل هؤلاء لتلك المزايا واثبـاتهم لها دليل قاطع على أن القرآن الكريم معـجزة إلـهيـة خارقـة وبخاصـة اثبات كل كـتاب من كـتب رسائل النور البـالغة مـائة وثلاثين كتاباً لمزية من مزايا القرآن الكريم ولنكتة من نكاته البديعة إثباتاً قاطعاً بالبراهين الدامغـة، ولاسيمـا رسالة «المعجـزات القرآنية» و «المقـام الثاني من الكلمة العـشرين» الذي يستخـرج كثيراً من خـوارق الحضارة من القرآن الكريم امـثال القطار والطائرة. و «الشعـاع الاول» المسمى «بالاشارات القـرآنية» الذي يبين اشـارات آيات الى رسائل النور والى الكهرباء، والـرسائل الصغيرة الثمانـية المسماة «بـالرموز الثمـانية» التي تبين مدى الانتـظام الدقيق في حـروف القرآن الكريم، وكم هي ذات اسـرار ومعـان غزيرة، والرسالة الصـغيرة التي تبين خواتيم سـورة الفتح وتثبت إعجازها بخـمسـة وجوه من حيث الاخـبار الغـيبي، وامـثالها من الرسـائل.. فان إظهـار كل جزء من أجـزاء رسائل النور لحقـيقة من حـقائق القـرآن الكريم، ولنور من انواره كل ذلك تصديق وتأكـيد بان القرآن الكريم ليس له مـثيل، وانه معجزة وخـارقة، وانه لسان الغيب في عـالم الشهادة هذا، وانه كلام علام الغيوب.

وهكذا، لاجل هذه المزايا والخواص للقـرآن الكريم التي اشير اليهـا في ست نقاط، وفي ست جـهات، وفي سـتـة مقـامـات، دامت حاكـميتـه النورانيـة الجليلة وسلطانه المقدس المعظم، بـكمال الوقار والاحـترام مضـيئة وجـوه العصـور ومنورة وجه الارض ايضاً، طوال ألف وثلاثمائة سنة. ولاجل تلك الخواص ايضـاً نال القرآن الكريم ميزات قدسية حـيث ان لكل حرف من حروفه عشرة أثوبة وعشـر حسنات في الاقل، وعشر ثمار خالدة، بل ان كل حرف من حروف قسم من الآيات والسور يثمر مائة او ألفاً او اكثر، من ثمار الآخرة، ويتصاعد نور كل حرف وثوابه وقيمته في الاوقات المباركة من عشرة الى المئـات.. وامثالها من المزايا القـدسية قد فهـمها سائح العالم، فـخاطب قلبه قائلاً:

ـ حقاً أن هذا القرآن الكريم المعجز في كل ناحية من نواحيه قد شهد باجماع سوره وباتفاق آياته، وبتوافق أسراره وأنواره، وبتطابق ثماره وآثاره، شهادةً ثابتة بالدلائل على وجود واجب الوجود، وعلى وحدانيته سبحانه، وعلى صفاته الجليلة، وعلى اسمائه الحسنى، حتى ترشحت الشهادات غير المحدودة لجميع اهل الايمان من تلك الشهادة.

وهكذا، فقد ذكرت في المرتبة السابعة عشرة من المقام الاول اشارة قصيرة لما تلقاه السائح، من درس التوحيد والايمان من القرآن الكريم:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الواحد الاحد الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: القرآن المعجز البيان، المقبولُ المرغوبُ لأجناس المَلَك والانس والجان، المقروء كل آياته في كل دقيقة بكمال الاحترام، بألسنة مئات الملايين من نوع الانسان، الدائم سلطنته القدسية على اقطار الارض والاكوان، وعلى وجوه الاعصار والزمان، والجاري حاكميته المعنوية النورانية على نصف الارض وخُمس البشر في اربعة عشر عصراً بكمال الاحتشام.. وكذا شَهِدَ وبرهن باجماع سورهِ القدسية السماوية، وباتفاق آياته النورانية الإلهية، وبتوافق أسراره وأنواره وبتطابق حقائقه وثمراته وآثاره بالمشاهدة والعيان].

* * *

ثم ان السائح والمسافر المذكور قد علم يقيناً ان الايمان الذي توصل اليه هو اعظم رأس مال الانسان؛ اذ لايملّكه ـ وهو الفقير ـ مزرعة فانية ومسكناً مؤقتاً، بل يملّكه الكون العظيم، ويجعله لائقاً ليظفر بملك واسع باقٍ اوسع من الدنيا، ويوجد له ـ وهو الانسان الفاني ـ لوازم حياة أبدية خالدة؛ فينقذه ـ وهو المسكين المنتظر لمشنقة الاجل ـ من النهاية المرعبة والاعدام الابدي، فاتحاً له خزائن السعادة السرمدية، لذا خاطب السائح نفسه قائلاً:

«هيا تقدمي ! لنفز مرتبة اخرى من مراتب الايمان التي لايحصرها حد.. فلنطلع على **مجموع الكون**، ولننصت اليه لنرى ماذا يقول هو ايضاً، كي نضفي نوراً على تلك الدروس التي تلقيناها من أركان الكون واجزائه».

فنظر السائح الى مجموع الكون بمنظار واسع محيط قد استعاره من القرآن الكريم، فرأى ان هذا الكون منظم تنظيماً بديعا، ومنطوٍ على معاني جمة وفيرة بحيث يبدو على صورة كتاب سبحاني مجسم، او قرآن رباني جسماني، او قصر مزين صمداني، او بلد منتظم رحماني؛ اذ ان جميع سور ذلك الكتاب وآياته وكلماته، بل حروفه وأبوابه وفصوله، وصحائفه وسطوره، وما يجري على الجميع من «المحو والاثبات» ذي المعنى اللطيف، ومن التحويل والتغيير ذي الحكمة والابداع.. كل ذلك بالاجماع يفيد بداهة وجود عليم بكل شئ، قدير على كل شئ. ويعبّر عن وجود بارئ ذي جلال، ومصور ذي كمال، يرى كل شئ في كل شئ، ويعلم علاقة كل شئ بكل شئ، فيراعيه.

وهكذا، فان جميع ما في الكون باركانه، وانواعه، واجزائه، وجزئياته، وساكنيه، ومشتملاته، ووارداته، ومصاريفه، وتبديلاته ذات المصلحة، وتجديداته ذات الحكمة، يفيد ويفهّم بالاتفاق وجود ووحدانية خالقٍ رفيع الدرجات، وصانع ليس كمثله شئ، يعمل بقدرة لاحد لها، وبحكمة لانهاية لها.

وتثبت شهادة الكون العظيمة هذه – على وجود الخالق ووحدانيته – حقيقتان عظيمتان واسعتان متناسبتان مع سعة الكون وعظمته، وهما:

الحقيقة الاولى: وهي حقيقة الحدوث والامكان التي رآها حكماء الاسلام والعلماء الدهاة لاصول الدين وعلم الكلام، واثبتوها ببراهين دامغة.

فقد قالوا: «لما كان في العالم، وفي كل شئ، تغيّر وتبدل، فانه فانٍ وحادث، ولايكون قديماً. ولانه حادث، فلابد له من صانع مُحدث. ولما كان كل شئ على السواء ان لم يكن في ذاته سبب وجودي وعدمي فلن يكون واجباً ولا أزلياً..». وقد اثبت ايضاً ببراهين قاطعة انه لايمكن ايجاد الاشياء بعضها للبعض الآخر بالدور والتسلسل الذي هو باطل ومحال. فيلزم اذاً وجود واجب للوجود، يمتنع نظيره، ومحالٌ مثيله، كل ما عداه ممكن، وكل ما سواه مخلوق.

نعم ان حقيقة الحدوث قد استولت على الكون، فالعين ترى اكثرها، والعقل يرى القسم الآخر منها؛ ذلك لاننا نشاهد انه مع حلول الخريف في كل سنة يموت عالم

عظيم جداً، فتموت معه أفراد غير محدودة لمائة ألف نوع من النباتات والحيوانات الصغيرة، كل نوعٍ منه بحكم كون ذي حياة. ولكن ذلك الموت يجري في غاية الانتظام، بحيث تودع تلك الافراد بذورها ونواها وبويضاتها – التي تصبح مداراً لحشرها ونشورها، والتي هي بذاتها معجزات الرحمة والحكمة وخوارق القدرة والعلم ـ تودعها امانة لدى حكمة الحفيظ ذي الجلال، وتحت رعايته وحمايته، مسلمةً الى ايديها صحف اعمالها، وبرامج ما قدمت من وظائف، وبعد ذلك تموت.. وبحلول موسم الربيع تبعث باعيانها تلك التي توفيت من الاشجار والاصول والحيوانات الصغيرة. وتُحيا وتخلق امثال ومشابهات قسم اخر منها في أماكنها. فتمثل بذلك مائة ألف مثال ونموذج للحشر الاعظم ومائة ألف دليل عليه. فموجودات الربيع الماضي بنشرها لصحائف ما قامت بها من اعمال، وما ادت من وظائف، واعلانها تلك الصحائف في هذا الربيع، تظهر بوضوح مثالاً للآية الكريمة:

﴿ وإذا الصُحُفُ نُشِرَت ﴾ (التكوير: ١٠).

وكذا من جانب الكون ككل؛ ففي كل خريف وفي كل ربيع يموت عالم كبير، ويأتي الى الوجود عالم جديد، وما فيهما من الوفيات والمواليد لأنواع لاتحصى من الاحياء تجري في غاية الانتظام والميزان، حتى كأن الدنيا محط ومنزل، يستضاف فيه الكائنات الحية، فتأتيها عوالم سيّاحة ودنىً سيارة تؤدي فيها وظائفها، ثم ترحل عنها وتغادرها.

وهكذا فان إحداث عوالم ذات حياة، وايجاد كائنات موظفة في هذه الدنيا، إحداثاً وايجاداً بكل علم وحكمة، وميزان وموازنة، وانتظام ونظام، واستعمالها بقدرة، واستخدامها برحمة في المقاصد الربانية، وفي الغايات الإلهية، وفي الخدمات الرحمانية، تدل بالبداهة على وجوب وجود ذات مقدسة جليلة لاحدّ لقدرتها، ولانهاية لحكمتها، ويظهرها للعقول واضحة كالشمس.

نغلق باب مسائل الحدوث ونحيلها الى رسائل النور وكتب علماء الكلام.

اما جهة «الامكان» فهو الآخر قد استولى على الكون واحاط به، اذ نشاهد ان كل شئ سواء أكان كلياً ام جزئياً كبيراً ام صغيراً، وكل موجود من العرش الى الفرش،

ومن الذرات الى السيارات، إنما يُرسل الى الدنيا، بذاتية خاصة، وبصورة معينة، وبشخصية متميزة، وبصفات خاصة، وبكيفيات حكيمة، وبأجهزة ذات مصالح وفوائد. والحال ان اعطاء تلك الخصوصية، لتلك الذات الخاصة ولتلك الماهية، من بين إمكانات غير محدودة.. وكذا إكساء تلك الصورة المعينة ذات النقوش والعلامات الفارقة المتناسبة، من بين امكانات واحتمالات عديدة بعدد الصور.. وكذا تخصيص تلك الشخصية اللائقة بانتقاء متميز لذلك الموجود المضطرب بين امكانات بقدر اشخاص بني جنسه.. وكذا تمكين صفات خاصة ملائمة ذات مصالح في ذلك المصنوع الذي ليس له شكل والمتردد ضمن امكانات واحتمالات بعدد أنواع الصفات ومراتبها.. وكذا تجهيز ذلك المخلوق بتلك الكيفيات ذات الحكمة، وتقليده بتلك الاجهزة ذات العناية التي من الممكن ان تكون في طرق شتى وطرز غير محدودة، وهو المتحير السائب بلا هدف ضمن ما لايحد من الامكانات والاحتمالات.. ان جميع هذه الاشارات والدلالات والشهادات، الصادرة من حقيقة «الامكان» تشكل بلاشك أحد جناحي هذه الشهادة العظمى للكون؛ لانه بعدد جميع الممكنات الكلية والجزئية، وبعدد امكانات كل ممكن – مما ذكر – من ماهية وهوية، وما له من هيئة وصورة، وما يتميز به من صفة ووضعية، هناك اشارات ودلالات وشهادات على وجود واجب الوجود سبحانه، الذي يخصّص ويُرجّح ويعيّن ويحدِث، ولاحد لقدرته، ولانهاية لحكمته، ولا يخفى عليه شئ ولاشأن، ولا يعجزه شئ، ولا يعزب عنه شئ، فاكبر شئ عنده يسير كاصغره. وهو القادر على ايجاد ربيع بيسر إيجاد شجرة، وعلى ايجاد شجرة بسهولة إيجاد بذرة.

ولما كانت أجزاء رسائل النور (وبخاصة الكلمة الثانية والعشرين، والثانية والثلاثين، والمكتوب العشرين والثالث والثلاثين) قد أثبتت إثباتاً كاملاً، وأوضحت إيضاحاً تاماً شهادة الكون بكلا جناحيها، وبكلتا حقيقتيها، لذا نختم هذه المسألة الطويلة جداً باحالتها الى تلك الرسائل.

اما الجناح الثاني للشهادة الكبرى الكلية الصادرة من مجموع الكون فهو:

الحقيقة الثانية: حقيقة التعاون

ان حقيقة التعاون تشاهد فيما هو خارج عن طوق المخلوقات الساعية لحفظ وجودها ومهامها، وصيانة حياتها – ان كانت ذات حياة – وايفاء وظيفتها ضمن هذه الانقلابات المضطربة المستمرة والتحولات المتلاطمة الدائمةً. فمثلاً: ان سعي العناصر لامداد الاحياء، وبخاصة مدّ السحاب للنباتات، ومساعدة النباتات بدورها للحيوانات، ومعاونة الحيوانات للانسان، واللبن السائغ في الأثداء والمتدفق لاطعام الصغار، وتسليم حاجات الاحياء وارزاقها الكثيرة جداً والخارجة عن طاقتها وطوقها الى أيديها من حيث لاتحتسب، وجري الذرات الغذائية لبناء خلايا البدن.. وما شابهها من الامثلة الغزيرة لحقيقة التعاون الجارية بالتسخير الرباني وبالاستخدام الرحماني، تُظهر بجلاء ربوبية رب العالمين العامة المحيطة ورحيميته الواسعة الشاملة والذي يدير الكون الواسع برمته بسهولة ادارة قصر بسيط.

نعم ان اظهار الاشياء المتعاونة – وهي جامدة وبلا شعور ولا شفقة – اوضاعاً تنم عن الشفقة وتتسم بالشعور فيما بينها دليل وأيّ دليل على أنها تُدفع دفعاً للامداد والمعاونة فتجري بقوة رب ذي جلال، وبرحمة رحيم مطلق الرحمة، وبأمر حكيم مطلق الحكمة. وهكذا فان (التعاون) العام الجاري في الكون و(الموازنة) العامة السارية بكمال الانتظام و (المحافظة) الشاملة، ابتداء من المجرات والسيارات الى اجهزة الكائن الحي وأعضائه الدقيقة بل الى ذرات جسمه و (التزيين) الجاري قلمه من وجه السموات المتلألئ الى وجه الارض البهيج، بل الى وجه الازهار الجميلة و(التنظيم) الحاكم ابتداء من درب التبانة الى المنظومة الشمسية والى ثمار الذُرة والرمان وأمثالهما و (التوظيف) القائم ابتداءً من الشمس والقمر والعناصر والسحب الى النحل والنمل.. وامثالها من الحقائق العظيمة جداً، والشاهدة شهادة متناسبة مع عظمتها، تشكل الجناح الثاني لشهادة الكون على وجوده سبحانه ووحدانيته وتثبتها.

فما دامت رسائل النور قد اثبتت هذه الشهادة العظمى وبيّنتها، لذا نكتفي هنا بهذه الاشارة القصيرة جداً.

وهكذا ذكرت في المرتبة الثامنة عشرة من المقام الاول اشارة قصيرة لما تلقاه سائح الدنيا من درس الايمان من الكون:

[لاإله إلاّ الله الواجب الوجود، الممتنع نظيره، الممكن كل ما سواه، الواحد الاحد، الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: هذه الكائنات، الكتاب الكبير المجسم والقرآن الجسماني المعظّم والقصر المزين المنظم، والبلد المحتشم المنتظم، باجماع سوره وآياته وكلماته وحروفه وابوابه وفصوله وصحفه وسطوره، واتفاق اركانه وانواعه واجزائه وجزئياته وسكنته ومشتملاته وارداته ومصارفه، بشهادة عظمة إحاطة حقيقة الحدوث والتغير والامكان، باجماع جميع علماء علم الكلام، وبشهادة حقيقة تبديل صورته ومشتملاته بالحكمة والانتظام، وتجديد حروفه وكلماته بالنظام والميزان، وبشهادة عظمة إحاطة حقيقة: التعاون، والتجاوب، والتساند، والتداخل، والموازنة، والمحافظة، في موجوداته بالمشاهدة والعيان].

* * *

ثم ان السائح الذي أتى الى الدنيا وبحث عن خالقها وصعد في ثماني عشرة مرتبة وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إيماني، ارتقى من مقام المعرفة الغيابية الى مقام الحضور والمخاطبة. فخاطب هذا الولوع المشتاق روحه قائلاً:

ان الحمد والثناء الغيابيين من بدء سورة الفاتحة الى كلمة «إياك» يورثان طمأنينة تصعد بالانسان وترقيه الى مرتبة المخاطبة لـ« إيّاكَ» فعلينا إذاً ان نسأل من نبحث عنه، منه مباشرة، ونَدَع البحث الغيابي عنه، إذ ينبغي السؤال عن الشمس – التي تنور كل شئ – من الشمس نفسها. لان الذي يُظهر كل شئ ويوضحه لاشك انه يظهر نفسه اكثر من كل شئ؛ لذا فكما يمكننا أن نرى الشمس ونتعرف عليها من أشعتها وضيائها، يمكننا ايضاً أن نسعى – حسب قابليتنا – في التعرف على خالقنا سبحانه وتعالى من تجليات اسمائه الحسنى ومن أنوار صفاته الجليلة.

وسنبين في هذه الرسالة بياناً مجملاً ومختصراً حقيقتين فقط من بين الحقائق الغزيرة والتفصيلات المسهبة لمرتبتين من المراتب غير المتناهية لطريقين من الطرق الكثيرة لهذا المقصد:

الحقيقة الاولى: حقيقة الفعالية المستولية. تلك الفعالية المهيمنة على الكون، والمشاهدة امام اعيننا. وهي التي تدير، وتبدل، وتجدد، جميع الموجودات المحيطة والدائمة والمنتظمة والهائلة والسماوية والارضية. والتي تفضي الى الشعور بحقيقة تظاهر الربوبية - بداهة - ضمن حقيقة تلك الفعالية الحكيمة بجميع جهاتها. وهذا الشعور يسوق الى ادراك تبارز الالوهية بالضرورة ضمن حقيقة تظاهر الربوبية المشعة بالرحمة بجميع جهاتها.

اي يُستشعر - كأنه يُرى - افعال فاعل قدير وعليم، من هذه الفعالية الحكيمة المهيمنة الدائمة ومن وراء ستارها. ويُعلم بداهة - الى درجة الاحساس - الاسماء الإلهية الحسنى المتجلية في كل شئ، من هذه الافعال الربانية ذات التدبير والتربية ومن وراء ستارها، ويُعرف بعلم اليقين، بل بعين اليقين، بل بحق اليقين وجود الصفات السبعة القدسية وتحققها من هذه الاسماء الحسنى المتجلية بالجلال والجمال ومن وراء ستارها. ويُعلم كذلك بعلم قاطع وبالبداهة والضرورة وبعلم اليقين وبشهادة جميع المصنوعات، من التجليات غير المتناهية لهذه الصفات السبعة القدسية، ذات الحيوية والقدرة والعلم والسمع والبصر والارادة والكلام، وجود موصوف واجب الوجود، ومسمىً واحد أحد، وفاعل فرد صمد. فيكون وجوده سبحانه للبصيرة أظهر من الشمس للبصر واسطع منها، فتدركه حتى كأنها تراه؛ ذلك لأن الكتاب الجميل ذا المعنى اللطيف، والبناء المنتظم المتقن، يستدعيان بداهة فعلي الكتابة والبناء، وفعلي الكتابة الجميلة والبناء المنتظم يستدعيان ايضاً بداهة إسمَي الكاتب والبنّاء، وإسمي الكاتب والبنّاء يستدعيان ايضاً بداهة صنعة الكتابة والبناء وصفتيهما، وهذه الصنعة والصفات تستلزمان بداهة ذاتاً تكون موصوفة وصانعة، ومسمىً، وفاعلة، اذ كما لايمكن ان يكون هناك فعل دون فاعل، ولا اسم دون مسمى، كذلك لايمكن ان تكون صفة دون موصوف، ولا صنعة دون صانع.

وهكذا يتقرر بناء على هذه الحقيقة والقاعدة ان هذا الكون - بموجوداته كافة - قد كُتب بقلم القدر، وبُني بمطرقة القدرة. فكُتب فيه ما لايحد مما هو بحكم الكتب والرسائل ذات المعاني اللطيفة. وبني فيه ما لا ينتهي مما هو بمثابة بنايات وقصور. فيشير كل واحدة منها اشارات لاحدّ لها بآلاف الأوجه، وتشهد معاً بوجوه غير

محدودة شهادات لا نهاية لها على وجوب وجود ووحدانية ذات جليلة أزلية أبدية، هي موصوف تلك الصفات السبعة المحيطة القدسية ومعدنها؛ بالافعال الربانية والرحمانية غير المتناهية، وبجلوات غير محدودة لألف اسم واسم من الاسماء الحسنى التي هي منشأ تلك الافعال، وبالتجليات غير المتناهية للصفات السبعة السبحانية التي هي منبع تلك الاسماء الحسنى.. وكذا فان ما في تلك الموجودات كلها من جميع اوجه الحسن والجمال وانماط النفاسة والكمال، ومن جمال قدسي يليق بتلك الافعال الربانية والاسماء الإلهية والصفات الصمدانية والشؤون السبحانية ويوافقها، كل منه – بحد ذاته – يشهد وبمجموعه يشهد بداهة على الجمال المقدس والكمال المقدس لذاته سبحانه وتعالى.

وهكذا فان حقيقة الربوبية المتظاهرة ضمن حقيقة الفعالية المستولية تعرّف نفسها وتبيّنها بشؤونها وتصرفها في الخلق والايجاد والصنع والابداع التي تتم بالعلم والحكمة، وتظهرها في التقدير والتصوير والتدبير والادارة التي تتسم بالنظام والميزان، وتبرز في التحويل والتبديل والتنزيل والتكميل التي تنجز بالقصد والارادة، وتوضحها في الاطعام والانعام والاكرام والاحسان التي تُعطى بالشفقة والرحمة.

وان حقيقة تبارز الالوهية ايضاً التي تُحسّ وتوجد بداهة ضمن حقيقة تظاهر الربوبية تعرّف نفسها وتفهمها ايضاً بتجليات الاسماء الحسنى ذات الرحمة والكرم، وبالتجليات الجلالية والجمالية للصفات الثبوتية السبعة التي هي: «الحياة» و «العلم» و «القدرة» و «الارادة» و «السمع» و «البصر» و «الكلام».

نعم فكما ان صفة «الكلام» تعرّف الذات الاقدس سبحانه وتعالى بالوحي والالهامات، فان صفة «القدرة» كذلك تعرّف ذاته جل وعلا بآثارها البديعة التي هي بمثابة كلماتها المجسّمة التي تصف قديراً ذا جلال، وتعرّفه باظهارها الكون من اقصاه الى اقصاه بماهية فرقان جسماني.

وان صفة «العلم» ايضاً تعرّف ذات الواحد الاحد الموصوف، بقدر جميع المصنوعات الحكيمة المنتظمة الموزونة، وبعدد جميع المخلوقات التي تدار وتدبّر وتزيّن وتميّز بالعلم.

اما صفة « الحياة » فان جميع الآثار الدالة على « القدرة » والصور والاحوال ذات الانتظام والحكمة والميزان والزينة، التي تنبئ عن وجود « العلم » وجميع الدلائل التي تخبر عن بقية الصفات الجليلة، مع دلائل صفات « الحياة » نفسها تدل على تحقق صفة « الحياة ». والحياة نفسها كذلك مع جميع ادلتها تلك، تبرز جميع ذوي الحياة التي هي بحكم مراياها، وتحوّل الكون برمته الى صورة مرآة كبيرة جداً متكونة من مرايا غير محدودة متبدلة دائماً ومتجددة باستمرار لاجل إظهار التجليات البديعة والنقوش الرائعة المتنوعة جديدة فتية في كل حين.

وقياساً على هذا فان صفات (البصر) و (السمع) و (الارادة) و (الكلام) كل منها تعرّف الذات الاقدس تعريفاً واسعاً جداً بسعة الكون وتفهمّها. وان تلك الصفات مثلما انها تدل على وجود ذاته جل وعلا، فهي تدل كذلك بداهة على وجود الحياة وتحققها، وعلى انه سبحانه وتعالى « حي »؛ ذلك لان العلم علامة الحياة، والسمع أمارة الحيوية، والبصر يخصّ الاحياء، والارادة تكون مع الحياة، والقدرة الاختيارية توجد في ذوي الحياة، أما التكلم فهو شأن الاحياء المدركين.

وهكذا يفهم من هذه النقاط: ان لصفة « الحياة » أدلة وبراهين تبلغ سبعة أضعاف سعة الكون، تعرّف وجودها ووجود موصوفها « الحي » حتى اصبحت « الحياة » اساس جميع الصفات ومنبعها، ومصدر الاسم الاعظم ومداره..

وحيث ان رسائل النور قد أوضحت شيئاً من هذه الحقيقة الاولى واثبتتها ببراهين دامغة، نكتفي حالياً بهذه القطرة المذكورة من هذا البحر.

الحقيقة الثانية: هي التكلم الإلهي القادم من صفة الكلام.

إن الكلام الإلهي سبحانه لانهاية له، وذلك بسر الآية الكريمة: ﴿ **قل لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي** ﴾ (الكهف: ١٠٩)

فالكلام أظهر دليل على معرفة وجود المتكلم، اي أن هذه الحقيقة (التكلم الإلهي) تشهد شهادات غير متناهية على وجود المتكلم الازلي سبحانه وعلى وحدانيته. ولقد جاءت شهادتان قويتان لهذه الحقيقة بما بُيّن في المرتبتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من هذه الرسالة من حيث الوحي والالهام، وجاءت شهادة اخرى

واسعة في المرتبة العاشرة منها حيث أشير الى الكتب المقدسة السماوية، وهناك شهادة اخرى ساطعة وباهرة وجامعة هي في المرتبة السابعة عشرة حيث القرآن الكريم المعجز. فنحيل بيان هذه الحقيقة وشهادتها الى تلك المراتب.

وهكذا فقد كانت أنوار واسرار الآية الكريمة: ﴿ **شَهد الله أنه لاإله إلاّ هو والملئكةُ وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيزُ الحكيم** ﴾ (آل عمران: ١٨) التي اعلنت هذه الحقيقة إعلاناً معجزاً، وافادت شهادتها مع شهادة بقية الحقائق، كانت كافية ووافية لصاحبنا السائح حتى انه لم يستطع ان يتجاوزها.

فذكرت في المرتبة التاسعة عشرة من المقام الاول إشارة لمعانٍ مختصرة لما تلقاه هذا المسافر من درس في هذا المقام القدسي:

[لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الواحد الاحد، له الاسماء الحسنى، وله الصفات العليا، وله المثل الاعلى، الذي دلّ على وجوب وجوده في وحدته: الذاتُ الواجب الوجود، باجماع جميع صفاته القدسيّة المحيطة، وجميع اسمائه الحسنى المتجلية، وباتفاق جميع شؤوناته وافعاله المتصرفة، بشهادة عظمة حقيقة تبارزِ الالوهية في تظاهر الربوبية، في دوام الفعالية المستولية، بفعل الايجاد والخلق والصنع والابداع بارادةٍ وقدرةٍ، وبفعل التقدير والتدبير والتدوير باختيار وحكمةٍ، وبفعل التصريف والتنظيم والمحافظة والادارة والاعاشة بقصدٍ ورحمةٍ، وبكمال الانتظام والموازنة. وبشهادة عظمة إحاطة حقيقة اسرار:

﴿ **شَهدَ الله أنه لا إله إلاّ هو والملئكةُ وأولوا العلمِ قائماً بالقسط لاإله إلاّ هو العزيزُ الحكيم** ﴾].

* * *

تنبيه

إن كل حقيقة من الحقائق الشاهدة لتسع عشرة مرتبة من مراتب الباب الاول للمقام الثاني المذكور آنفاً، كما تدل على وجوب الوجود بتحققها ووجودها، كذلك تدل باحاطتها على الوحدة والاحدية. الاّ انها عدّت « دلائل وجوب الوجود » حيث أثبتت صراحة الوجود مقدماً.

أما الباب الثاني للمقام الثانى فلقيامه باثبات التوحيد صراحة أولاً، واثبات الوجود ضمنه، فقد اطلق عليه « براهين التوحيد ». وإلاّ فكلاهما – أي الباب الاول والثاني – يثبتان الوجود والتوحيد معاً، ولكن لأجل التمييز بينهما يكرر في الباب الاول فقرة « بشهادة عظمة احاطة حقيقة »، وفي الباب الثاني فقرة « بمشاهدة عظمة احاطة حقيقة »، إشارة للوحدانية الظاهرة الجلية، وكأنها مشاهدة.

ولقد عزمت على توضيح مراتب الباب الثاني القابل، كما هو في الباب الاول، ولكن موانع بعض الاحوال اضطرتنى الى الاختصار والاجمال؛ لذا نحيل الى رسائل النور لاستيفاء حقه من البيان والوضوح.

الباب الثاني

براهين التوحيد

ان ذلك المسافر الذي أُرسل الى الدنيا لأجل الايمان، والذي قام بسياحة فكرية في عالم الكائنات للاستفسار عن خالقه من كل شئ، والتعرف على ربّه في كل مكان، وترسخ ايمانه بدرجة حق اليقين، بوجوب وجود إلهه الذي يبحث عنه خاطب هذا السائح عقله قائلاً:

هلّم لنخرج معاً في سياحة اخرى جديدة لنَرَ من خلالها براهين تقودنا الى وحدانية خالقنا الجليل سبحانه وتعالى. وطفقا معاً يبحثان بشوق غامر عن (براهين التوحيد) هذه، فوجدا في أولى المنازل أن هناك أربع حقائق قدسية تستحوذ على الكائنات، وتستلزم التوحيد بدرجة البداهة.

الحقيقة الاولى: الالوهية المطلقة

إن إنهماك كل طائفة من طوائف البشرية بنوع من انواع العبادة وانشغالهم به انشغالاً كأنه فطري.. وقيام سائر ذوي الحياة بل حتى الجمادات بخدماتها ووظائفها الفطرية التي هي بحكم نوع من انواع العبادة.. وكون كلٍ من النعم والآلاء المادية والمعنوية التي تغمر الكائنات وسيلة عبادة وشكر لمعبودية تمدّهم بسبل العبادة والحمد.. واعلان الوحي والالهام ما ترشح وما تجلى معنوياً من الغيب، بمعبودية الاله الواحد.. كل هذا يثبت بالبداهة تحقق الالوهية الواحدة المطلقة وهيمنتها.

فما دامت حقيقة هذه الالوهية كائنة وموجودة، فلن تقبل إذاً المشاركة معها؛ لأن الذين يقابلون تلك الالوهية (اي المعبودية) بالشكر والعبادة هم ثمرات ذات مشاعر في قمة شجرة الكائنات، لذا فان إمكان وجود آخرين يشدّون انتباه اولئك الشاعرين، ويجذبونهم اليهم، ويجعلونهم ممتنين لهم وشاكرين، محاولين تنسيتهم معبودهم الحق - الذي يمكن أن ينسّى بسرعة لغيابه عن الرؤية ولاحتجابه عن الانظار - مناقض لماهية الالوهية ومناف لمقاصدها القدسية، ولايمكن قبوله إطلاقاً. ومن هنا أفاض القرآن الكريم في رفض الشرك بشدة، وهدد المشركين بعذاب جهنم.

* * *

الحقيقة الثانية: الربوبية المطلقة

ان التصرف العام الشامل من لدن يدٍ غيبية في جميع الكائنات - وبخاصة الاحياء منها - بحكمة ورحمة في تربيتها وفي اعاشتها، اللتين تتمان معاً بالطريقة نفسها، في كل جهة من الجهات، وبصورة غير مأمولة ومتوقعة، مع اكتناف بعضها البعض الآخر، انما هو رشحات وضياء يدل على الربوبية الواحدة المطلقة؛ بل هو برهان قاطع على تحققها.

فما دامت هناك ربوبية واحدة مطلقة فلن تقبل اذاً الشرك، ولا المشاركة قطعاً؛ ذلك لان اهم غايات تلك الربوبية، واقصى مقاصدها هو إظهار جمالها، واعلان كمالها، وعرض صنائعها النفيسة، وابراز بدائعها القيّمة، وقد تجمعت هذه المقاصد جميعها في كل ذي روح، بل حتى في الجزئيات؛ لذا لايمكن أن تقبل الربوبية

الواحـدة المطلقـة الشرك ولا الشـركـاء إطلاقاً، إذ إن تدخـلاً عـشوائيـاً للشـرك في أي موجود من الموجـودات – مهما كان جـزئياً – وفي أي كائن حي – مهمـا كان بسيطاً او صغيراً – يفـسد تلك الغايات، ويبـطل تلك المقاصد، ويصـرف الأذهان عن تلك الغـايات، وعـمن أرادها وقصـدها، الى الاسـبـاب. وهذا مـا يخالـف ماهيـة الربوبيـة المطلقة تمامـاً ويعاديها. فلابد اذاً أن تمنع هـذه الربوبية الواحدة المطلقة الشـرك وصوره بأي شكل من الاشكال. فارشادات القرآن الكريم الغزيرة المسـتمرة الى التوحيد، والى التقديس والتنزيه والتسبيح، في آياته الكريمة، وفي كلـماته، وحتى في حروفه وهيئاته، نابعة من هذا السر الاعظم.

* * *

الحقيقة الثالثة: الكمالات

نعم؛ ان جميع ما في الكون من حكم ساميـة ومن جمال خارق ومن قوانين عادلة ومن غايات حكيـمة، إنما تدل بالبداهة على وجود حـقيقة الكمـالات.. وهي شهادة ظاهرة على كـمال الخالق سبحانـه الذي أوجد هذا الكون من العـدم، ويدبّر أمره في كل جـهة وناحـية، إدارة مـعجـزة جذابة جـميلة، فـضلاً عن انهـا دلالة واضحـة على كمال الانسان الذي هو المرآة الشاعرة العاكسة لتجليات الخالق جل وعلا.

فمـا دامت هناك حقـيقة الكمـالات، ومادام كـمال الخالق الذي أوجـد الكون في الكمـال هو ثابت ومـحـقق، ومـادام كـمـال الانسـان الذي هو أفـضل ثمـرة للكون، وخليفة الله في الارض، واكرم مصنوع وأحب مخلوق للخالق سبحانه وتعالى؛ حقيقة ثابتـة مـحـققـة ايضـاً. فـلابد ان الشـرك الذي يحـوّل صـورة الكون – ذات الكمـال والحكمة الظاهرة – الى ألعوبة بيـد المصادفة، والى لهو تعبث به الطبيـعة، والى مجزرة ظالمة رهيبـة لذوي الحياة، والى مـأتم مظلم مخيف لذوي الشـعور – حيث يهوي فـيه كل شئ الى الفناء، وينـحدر الى الزوال ويمضي حـثيثـاً بلا غـاية ولاهدف – والذي يردي الانسان الواضحة كمالاته من آثـاره الى اسفل درك من دركات الحيوان كأتعس مخلوق وأذله، والذي يسدل السـتار على مرايا تجليات كمال الخـالق سبحانه – وهي جميع الموجودات الشاهدة على الكمال المقدس المطلق للخالق الكريم – مبطلاً بذلك

نتيجة فعاليته، وخلاّقيته سبحانه !! فلا يمكن ان يستند هذا الشرك على حقيقة ما مطلقاً، ولا يمكن ان يكون موجوداً في الكون ابداً. هذا وان تصدي الشرك للكمالات الإلهية والانسانية والكونية ومعاداته لها وإفساده فيها قد بحث واثبت مفصلاً في «الشعاع الثاني» الذي يبين ثلاث ثمرات للتوحيد وبالاخص في المقام الاول منه مع دلائل قوية قاطعة، فنحيل الى ذلك.

* * *

الحقيقة الرابعة: الحاكمية المطلقة

نعم؛ ان من ينظر نظرة واسعة فاحصة الى الكون، يرى أنه بمثابة مملكة مهيبة جداً؛ في غاية الفعالية والعظمة، وتظهر له كأنه مدينة عظيمة تتم إدارتها ادارة حكيمة، وذات سلطنة وحاكمية في منتهى القوة والهيبة. ويجد أن كل شئ وكل نوع منهمك ومسخر لوظيفة معينة. فالآية الكريمة ﴿ **ولله جُنودُ السموات والارضِ** ﴾ (الفتح: ٧) تشعر بمعاني الجندية في الموجودات التي تتمثل ابتداءً من جيوش الذرات وفرق النباتات وافواج الحيوانات الى جيوش النجوم. كل اولئك جنود ربانية مجندة لله، فنجد في جميع اولئك الموظفين الصغار جداً، وفي جميع هؤلاء الجنود المعظمة جداً، سريان الأوامر التكوينية المهيمنة، وجريان الاحكام النافذة، وقوانين الملك القدوس، مما يدل دلالة عميقة بالبداهة على وجود الحاكمية الواحدة المطلقة والآمرية الواحدة الكلية.

فمادامت الحاكمية الواحدة المطلقة حقيقة كائنة، وهي موجودة. فلابد ان الشرك لاحقيقة له. ذلك لان الحقيقة الجازمة التي تصرح بها الآية الكريمة ﴿ **لَو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسدَتا** ﴾ (الانبياء: ٢٢) تفيد بأنه لو تدخلت أيدٍ متعددة في مسألة معينة وكان لها النفوذ، لاختلطت المسألة نفسها. فلو كان في مملكة ما حاكمان، او حتى لو كان في ناحية ما مسؤولان، فان النظام يفسد ويختل وتتحول الادارة الى هرج ومرج. والحال أن هناك نظاماً رائعاً جداً، يسري ابتداء من جناح البعوضة الى قناديل السماء، ومن الخلايا الجسمية الى أبراج الكواكب والسيارات، مما لايمكن ان يكون للشرك فيه أي تدخل ولو كان بمقدار ذرة.

وكذا، الحاكمية نفسها انما هي مقام للعزة، فلن يقبل هذا المقام منافساً وخصيماً، لما فيه من تجاوز لهيبته وكسر لعزته.

نعم، ان إقدام الانسان المحتاج دوماً الى من يعاونه لضعفه وعجزه، على قتل اخيه او بنيه – ظلماً – لأجل حاكمية ظاهرية مؤقتة جزئية؛ يدل على ان الحاكمية لاتقبل المنافسة أبداً. فلئن كان الانسان – وهو العاجز – يقدم على مثل هذا الفعل لاجل حاكمية جزئية، فلا يمكن بحال من الاحوال ان يرضى من هو القدير المطلق الذي يملك الكون كله تدخلاً او شركاً من أحد في حاكميته الذاتية المقدسة التي هي محور ربوبيته المطلقة، والوهيته الحقيقية الكلية.

ونظراً لاثبات هذه الحقيقة المشعة بدلائل قوية في «المقام الثاني» من «الشعاع الثاني» وفي مواضع عدة من «رسائل النور» فاننا نحيل اليها.

وهكذا فان صاحبنا المسافر بعد أن شهد هذه الحقائق الاربع تحققت لديه وحدانية الله سبحانه بدرجة الشهود. فنما إيمانه وارتقى وبدأ يردد بقوة:

«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له».

واشارة لما تلقاه من درس في هذا المنزل فقد ذكر في المقام الاول من الباب الثاني:

[لا الهَ الاّ الله الواحد الاحد الذي دلّ على وحدانيته ووجوب وجوده مشاهدة عظمة حقيقة تبارز الالوهية المطلقة، وكذا مشاهدة عظمة احاطة حقيقة تظاهر الربوبية المطلقة المقتضية للوحدة. وكذا مشاهدة عظمة احاطة حقيقة الكمالات الناشئة من الوحدة وكذا مشاهدة عظمة احاطة حقيقة الحاكمية المطلقة المانعة والمنافية للشركة].

* * *

ثم ان ذلك المسافر الذي لايسكن ولايهدأ خاطب قلبه قائلاً:

ان تكرار اهل الايمان «لا إله إلاّ هو» باستمرار وبخاصة المتصوفة منهم، واعلانهم نداء التوحيد، وتذكيرهم به يبين لنا ان هناك مراتب كثيرة جداً للتوحيد. وان التوحيد هو اهم وظيفة قدسية، واحلى فريضة فطرية، واسمى عبادة إيمانية. فما دام الامر

هكذا، فتعال ياقلب لنفتح باباً لمنزلٍ آخر من منازل دار العبرة والامتحان هذه، لنتعرف من خلاله على مرتبة اخرى من مراتب التوحيد؛ لان التوحيد الحقيقي الذي ظللنا نبحث عنه ليس مقصوراً على معرفة نابعة من تصور، بل هو ايضاً ما يقابل التصور في علم المنطق من التصديق الذي هو علمٌ، وهو نتيجة نابعة من البرهان، وهو اسمى من مجرد المعرفة التصورية بكثير.

فالتوحيد الحقيقي انما هو حكمٌ وتصديق واذعان وقبول، بحيث يمكّن المرء من ان يهتدي الى ربه من خلال كل شئ. ويمكّنه من ان يرى في كل شئ السبيل المنورة التي توصله الى خالقه الكريم، فلا يمنعه شئ قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه.

فلو لم يكن الامر هكذا، لأضطر المرء الى ان يمزق حجاب الكائنات ويخرقه – كل مرة – كي يتمكن من التعرف على ربّه !. لذا نادى المسافر قائلاً: هيا بنا إذاً لنطرق باب «الكبرياء والعظمة» ولندخل منزل «الآثار والافعال» وعالم «الايجاد والابداع».. فما ان ولج هذا المنزل حتى رأى ان هنالك «خمس حقائق محيطة» تستحوذ على الكون وتثبت التوحيد وتستلزمه بالبداهة.

* * *

الحقيقة الاولى

حقيقة العظمة والكبرياء

نظراً لتوضيح هذه الحقيقة ببراهين في «المقام الثاني» من «الشعاع الثاني» وفي عدة مواضع من رسائل النور نكتفي هنا بما يأتي:

ان الذي اوجد النجوم التي يبعد بعضها عن البعض الآخر آلاف السنين، والذي يتصرف فيها في آن واحد وعلى نمط واحد. والذي يخلق أفراداً غير معدودة لنوع واحد من زهرة نابتة في الشرق او الغرب او الشمال او الجنوب من الارض ويصوّرها في وقت واحد وعلى هيئة واحدة وصورة واحدة، والذي يخبرنا عن اعجب حادثة

ماضية وغيبية في قوله تعالى ﴿**هو الذي خَلقَ السموات والارضَ في ستة ايام**﴾ (الحديد: ٤) مثبتاً تلك الحادثة كأنها تحدث امامنا، بما يخلق من مثيلاتها ونظائرها على وجه الارض، وبخاصة عند حلول موسم الربيع، الذي نجد فيه عياناً اكثر من مائة ألف مثال على الحشر الاعظم لاكثر من مائتي ألف نوع من طوائف النباتات وامم الحيوانات، التي تخلق وتنشأ في بضعة أسابيع فقط.. فلاريب أن من بيده إدارة هذا الحشد الهائل مجتمعاً، وتربيته واعاشته، وتمييز بعضه عن البعض الآخر، وتزيينه بكمال الانتظام والميزان، دون لبس او نقص او خطأ ودون تأخير او اهمال، وهو الذي بيده دوران الارض وحصول ظاهرة الليل والنهار بانتظام بديع كما صرحت به الآية الكريمة ﴿**يولج الّيلَ في النَهار ويولجُ النهار في الّيل**﴾ (لقمان: ٢٩) مسجلاً وممحياً - بهذا الدوران - الحوادث اليومية وتبدلاتها في صحيفة الليل والنهار، وهو الذي يعلم في الوقت نفسه، وفي اللحظة نفسها، خبايا الصدور وخلجات القلوب، فيديرها بارادته.. ينبغي ان يكون - فاعل هذه الافعال التي كل منها فعل واحد منفرد خاص- واحداً أحداً قادراً صاحب جلال، له من العظمة والكبرياء بداهة ما يقتلع كل جذور الشرك ويمحو جميع آثاره واحتمالاته مهما كان نوعها وبأية جهة كانت، وفي أي شئ كان، وفي أي مكان كان.

فما دامت هذه الكبرياء وهذه القدرة العظيمة موجودتين، وما دامت صفة الكبرياء هذه هي في منتهى الكمال والاحاطة التامة، فلا يمكن أن تسمحا مطلقاً لأي نوع من انواع الشرك؛ لأن الشرك يعني اسناد العجز والحاجة الى تلك القدرة المطلقة، والصاق القصور بتلك الكبرياء، وعزو النقص بذلك الكمال، وتحديد تلك الاحاطة بالقيد، وانهاء غير المتناهي المطلق. فلا يمكن ان يقبل ذلك كل من له عقل وشعور، وكل من له فطرة سليمة لم تتفسخ.

وهكذا فالشرك من حيث هو تحدٍ لتلك الكبرياء، وتطاول على عزة ذي الجلال، ومشاركة للعظمة، جريمة نكراء لاتدعُ مجالاً للعفو والصفح والمغفرة. وان القرآن - ذا البيان المعجز - يعبّر عن هذا ويبيّنه ويشفعه بذلك التهديد الصارخ والوعيد الرهيب بقوله تعالى:

﴿**إنَّ الله لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ بهِ ويَغفِرُ ما دونَ ذَلكَ لمنْ يَشاء**﴾(النساء: ٤٨).

* * *

الحقيقة الثانية

ظهور الافعال الربانية ظهوراً مطلقاً ومحيطاً

وهي التي يشاهد تصرفها في الكون قاطبة وتظهر ظهوراً مطلقاً محيطاً، ولا يحدد تلك الافعال الاّ الحكمة الربانية، والارادة الإلهية، وقابليات المظاهر. فالمصادفة العشواء والطبيعة الصماء والقوة العمياء والاسباب الجامدة والعناصر المبعثرة، لن تمتد يدها او تتدخل في تلك الافعال التي هي في منتهى الدقة والميزان والحكمة، والتي تنجز بكل بصيرة وحيوية وانتظام وإحكام. وليست الاسباب الاّ حجاباً ظاهرياً فحسب تستخدمها القدرة الفاعلة لذي الجلال والعزة، وتسخرها على وفق أمره وإرادته وقوته.

ونودّ هنا بيان ثلاثة امثلة عن الافعال الربانية – من بين الآلاف منها – مما تشير اليها الآيات الثلاث المتصلة بعضها ببعض في سورة النحل، ومع ان كل فعل منها يحتوي على نكات لا حصر لها الاّ اننا نذكر منها هنا ثلاثاً فقط.

الآية الاولى:

﴿ وأوحى ربُّكَ الى النَّحلِ أن اتَّخذي منَ الجبالِ بيوتاً ﴾ (النحل: ٦٨).

نعم، ان النحلة معجزة القدرة الربانية فطرةً ووظيفةً، ويا لها من معجزة عظيمة حتى سميت باسمها سورة جليلة في القرآن الكريم؛ ذلك لأن تسجيل البرامج الكاملة لوظيفتها الجسيمة في رأس صغير جداً لماكنة عسل صغيرة.. ووضع أطيب الاطعمة وألذها في جوفها الصغير وطبخها فيه.. واختيار المكان المناسب لوضع سم قاتل مهدم لأعضاء حية في رميحته دون أن يؤثر في الاعضاء الاخرى للجسم.. لايمكن أن يتم – كل هذا – الاّ بمنتهى الدقة والعلم، وبمنتهى الحكمة والارادة، وغاية الموازنة والانتظام؛ لذا لن يتدخل مطلقاً ما لاشعور له ولا نظام ولاميزان من امثال الطبيعة الصماء او المصادفة العمياء في مثل هذه الافعال البديعة.

وهكذا نرى ثلاث معجزات في هذه الصنعة الإلهية، ونشاهد ظهور هذا الفعل الرباني ايضاً فيما لايحد من النحل في ارجاء المعمورة كافة. فبروز هذا الفعل الرباني واحاطته بالجميع، وبالحكمة نفسها، والدقة نفسها، والميزان نفسه، وفي الوقت عينه، وبالنمط عينه، يدل على الوحدة بداهة ويثبت الوحدانية.

الآية الثانية:

﴿ وإنَّ لكم في الانعَامِ لَعِبرَةً نُسقيكُم مِمـا في بُطونِهِ من بينِ فَرثٍ ودمٍ لبَناً خالصاً سائغاً للشاربينَ ﴾ (النحل: ٦٦).

ان هذا الامر الإلهي ليتقطر عبراً ودروساً. نعم، ان اسقاء اللبن الابيض الخالص، النظيف الصافي، المغذي اللذيذ، من مصانع الحليب المغروزة في اثداء الوالدات. وفي مقدمتها البقرة والناقة والمعزى والنعجة، الذي يتدفق بسخاء من بين فرث ودم دون ان يختلط بهما او يتعكر.. وان غرس ما هو ألذ من اللبن وأحلى منه وأطيب واثمن، في أفئدة تلك الوالدات وهو الحنان والشفقة التي تصل حد الفداء والايثار.. ليحتاج حتماً الى مرتبة من الرحمة والحكمة والعلم والقدرة والاختيار والدقة مالا يكون قطعاً من فعل المصادفات العشوائية والعناصر التائهة والقوى العمياء، لذا فان تصرف هذه الصنعة الربانية، واحاطة هذا الفعل الإلهي، وتجليها في الحكمة نفسها، والدقة نفسها، والاعجاز نفسه، وفي آن واحد، وطراز واحد، في أفئدة تلك الآلاف المؤلفة من أضراب الوالدات وفي اثدائها، وعلى وجه الارض كافة، يثبت الوحدة بداهة ويدل على الوحدانية.

الآية الثالثة:

﴿ ومن ثَمرات النَّخيلِ والأعنابِ تتَّخذونَ منهُ سكراً ورزقاً حسناً إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يعقلون ﴾ (النحل: ٦٧).

تلفت هذه الآية الكريمة النظر والانتباه الى النخيل والاعناب، فتنبه الانسان الى: «أن في هاتين الثمرتين آية عظيمة لأولي الالباب، وحجة باهرة على التوحيد».

نعم، ان الثمرتين المذكورتين تعتبران غذاءً وقوتاً، وثمرة وفاكهة في الوقت نفسه، وهما منشأ كثير من المواد الغذائية اللذيذة، رغم ان شجرة كل منهما تنمو في تراب جامد، وتترعرع في ارض قاحلة. فكل منهما معجزة من معجزات القدرة الإلهية، وخارقة من خوارق الحكمة الربانية. وكل منهما مصانع سكر وحلويات، ومعامل شراب معسّل، وصنائع ذات ميزان دقيق حساس وانتظام كامل، ومهارة حكيمة، واتقان تام، بحيث ان الذي يملك مقدار ذرة من عقل وبصيرة يضطر الى القول: «ان الذي خلق هذه الاشياء هكذا، هو الذي أوجد الكائنات قاطبة»؛ لأن ما نراه امام أعيننا – مثلاً – من تدلي ما يقارب عشرين عنقوداً من العنب، من هذا الغصن الصغير النحيف، كل عنقود منه يحمل ما يقارب المائة من الحبات اللطيفة واللباب المعسلة، وكل حبة من تلك الحبات مغلفة بغلاف رقيق لطيف ملوّن زاهٍ، وتضم في جوفها الناعم نوى صلدة حاملة لتواريخ الحياة ومنهاجها.. نعم، ان خلق كل هذا وغيره في جميع العنب وامثاله – وهي لاتعد ولاتحصى – على وجه البسيطة كافة، بالدقة نفسها، والحكمة عينها، وايجاد تلك الصنعة الخارقة المعجزة باعدادها الهائلة في وقت واحد، وعلى نمط واحد، ليثبت بالبداهة ان الذي يقوم بهذا الفعل ان هو الاّ خالق جميع الكائنات، وان هذا الفعل الذي اقتضى تلك القدرة المطلقة والحكمة البالغة، ليس الاّ من فعل ذلك الخالق الجليل.

نعم ان القوى العمياء والطبيعة الصماء والاسباب التائهة المشتتة، لايمكن لها ان تمد أيديها وتتدخل في ذلك الميزان الرقيق الحساس، بالمهارة البالغة، والانتظام الحكيم لتلك الصنعة، بل هي تستخدم وتسخّر بامر رباني في الافعال الربانية، فهي ذات مفعولية وقبول، بل ليست الاّ ستائر وحجباً مسخرة بيده سبحانه.

وهكذا فكما تشير هذه الآيات الثلاث الى حقائق ثلاث، وتدل كل منها على التوحيد بثلاث نكات، فهناك ما لايُحد من الافعال الربانية وما لايحد من تجليات التصرفات الربانية، تدل متفقة على الواحد الاحد وتشهد شهادة صادقة على ذات الواحد الاحد ذي الجلال والاكرام.

* * *

الحقيقة الثالثة

حقيقة الايجاد والابداع

اي ايجاد الموجودات – وبخاصة النباتات والحيوانات – بكثرة مطلقة، في سرعة مطلقة، مع إنتظام مطلق.. وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة، في غاية الحسن والجمال مع المهارة المتقنة والانتظام الكامل.. وابداع المصنوعات في غاية النفاسة والجودة والتمييز الواضح مع منتهى الوفرة وغاية الاختلاط والامتزاج.

نعم، ان ايجاد الاشياء في منتهى الكثرة بمنتهى السرعة، وفي منتهى السهولة واليسر بمنتهى الاتقان والمهارة وبالدقة والانتظام، وفي منتهى الجودة وغلاء القيمة والتميز مع منتهى الوفرة والمبذولية دون خلط او لبس او اختلال رغم كثافة الفروق والتباينات.. لايمكن ان يتم هذا الايجاد – ولن يتم – إلاّ بقدرة قادر واحد احد لايؤوده شئ ولايصعب على قدرته شئ.

نعم، ولكي ندرك ما نراه ونشاهده بأعيننا ينبغي أن تكون النجوم والذرات على حد سواء أمام تلك القدرة. وأكبر الاشياء كأصغرها والافراد غير المحدودة للنوع كالفرد الواحد منه، والكل المحيط العظيم كالجزء الصغير الخاص، واحياء الارض الهائلة كاحياء شجرة واحدة، وانشاء الشجرة الشاهقة كايجاد بذرة متناهية في الصغر.

وبهذا السر المهم الذي تتضمنه هذه المرتبة التوحيدية، وهذه الحقيقة الثالثة وكلمة التوحيد، أي: كون اكبر «كلّ» كأصغر «جزء» امام القدرة الربانية دون ان يكون أدنى فرق بين الكثير والقليل، تنكشف الاسرار الدقيقة الخفية للقرآن الكريم. وببيان وتوضيح هذه الحكمة المحيرة واللغز العظيم الذي هو خارج طور العقل – مع انه اهم اساس للاسلام واعمق مدار للايمان واللبنة الكبرى للتوحيد – يُدرك أخفى الاسرار المجهولة لحقيقة خلق الكون التي عجزت الفلسفة عن ادراكها. فألف شكر وشكر، وألف حمدٍ وثناء لخالقي الرحيم أرفعه بعدد حروف رسائل النور، أن تمكنت (رسائل النور) حلّ هذا السر العجيب، وكشفت هذا الذي يظنه الجاهل غموضاً

غريباً، بل أثبتته ببراهين قاطعة. وبخاصة في بحث « وهو على كل شئ قدير » الموجود في نهاية « المكتوب العشرين » وفي بحث « الفاعل مقتدر » من « الكلمة التاسعة والعشرين » فأثبتت سعة القدرة الإلهية وطلاقتها بالبراهين القاطعة بدرجة حاصل ضرب الاثنين في اثنين يساوي أربعاً وذلك في مراتب « الله اكبر » من « اللمعة التاسعة والعشرين » التي اُلّفت باللغة العربية..

فمع احالة الايضاح والتفصيل الى هناك أردت أن أبين هنا بياناً مجملاً، كفهرست مختصر تلك الاسس والادلة التي تعالج هذا السر وتكشفه وتوضحه، ثم الاشارة الى ثلاثة عشر سراً بثلاث عشرة مرتبة، وبدأت بكتابة السر الاول والثاني، ولكن مانعين قويين ماديين ومعنويين حالا – مع الاسف – بيني وبين كتابة بقية الاسرار في الوقت الحاضر.

السر الاول: اذا كان الشئ ذاتياً، فلا يكون ضده عارضاً له، لأنه اجتماع الضدين وهو محال. فبناءً على هذا السر:

مادامت القدرة الإلهية ذاتية وهي الضرورة اللازمة للذات المقدسة، فلايمكن ان يكون العجز الذي هو ضد تلك القدرة عارضاً للذات القادرة. وما دام وجود المراتب في الشئ الواحد يكون بتداخل ضده – مثلما تتكون مراتب قوة الضياء وضعفه بمداخلة الظلمة، ودرجات ارتفاع الحرارة وهبوطها بتداخل البرودة، ومقادير شدة القوة وضعفها بمقابلة المقاومة وممانعتها لها – فلا يمكن ان تحتوى تلك القدرة الذاتية على مراتب.. فهي تخلق الاشياء وتوجدها كالشئ الواحد. فمادامت تلك القدرة الذاتية متجردة من المراتب ومن الضعف ومن النقص، فلا جرم ان لايقف امامها مانع ولايصعب عليها ايجاد. وما دامت لايشق عليها شئ فلابد ان يكون لديها ايجاد الحشر الاعظم كسهولة ايجاد الربيع، وايجاد الربيع كبساطة ايجاد شجرة واحدة، وايجاد الشجرة كيسر ايجاد زهرة واحدة، وانها تقوم بالايجاد بهذه السهولة واليسر كما تقوم بها في أدق ما تكون الصنعة والاتقان. فنرى انها تخلق الزهرة باتقان الشجرة وبأهميتها وقيمتها، وتخلق الشجرة باعجاز صنع الربيع الهائل، وتخلق الربيع بشمولية الحشر وجامعيته واعجازه، هكذا تخلق، وهكذا نشاهد خلقها امام اعيننا.

وقد اثبتت (رسائل النور) ببراهين كثيرة قاطعة قوية أنه إن لم يُسند الخلق الى الوحدة والوحدانية يصبح خلق زهرة واحدة صعباً كصعوبة خلق شجرة بل اصعب، ويصبح خلق الشجرة أعقد من خلق الربيع. وفوق ذلك سيسقط جميعها من حيث القيمة والاتقان في الصنعة، فالكائن الذي يُخلق في دقيقة واحدة سيُصنع في سنة، بل يستحيل صنعه بالمرة. فبناءً على هذا السر:

فان جميع الاثمار والازهار والاشجار والاحياء الدقيقة المرتبطة بها، تخرج الى الوجود في غاية الوفرة والكثرة مع أنها في منتهى الجودة والنفاسة، وتظهر في منتهى السرعة واليسر مع انها في غاية الاتقان والصنعة، فتخرج الى الوجود بانتظام، مؤدية وظائفها وتسبيحاتها، وموكلة بذورها بديلة عنها، ماضية هي في سبيلها.

السر الثاني: كما ان شمساً واحدة تشع ضياءً الى مرآة واحدة، بتجلٍ من القدرة الذاتية واستناداً الى سر النورانية والشفافية والطاعة، فانها تنعكس بسهولة بالصورة نفسها – ذات الضياء والحرارة – بالفعالية الواسعة لقدرتها غير المحددة بأمر إلهي، الى مالا يحد من المرايا والمواد اللماعة والقطرات.

واذا نُطقت بكلمة واحدة، فإن هذه الكلمة تدخل بسهولة تامة الى اذن شخص – استناداً الى السعة المطلقة للخلاقية – وتدخل اذهان ملايين الاشخاص وآذانهم ببساطة ويسر بالامر الرباني، فأمامها آلاف المستمعين والمستمع الواحد سواء ولا فرق بينهما.

ومثلما تنظر العين الى مكان واحد وآلاف الامكنة بسهولة كاملة، فان نوراً او نورانياً روحانياً – كجبريل عليه السلام – في الوقت الذي يشاهد ويذهب ويحضر في مكان واحد بكل سهولة – استناداً الى كمال سعة الفعالية الربانية في تجلي الرحمة – فهو كذلك يشاهد ويذهب ويحضر – بالقدرة الإلهية – بالسهولة نفسها في آلاف الاماكن. فلا فرق هنا بين القلة والكثرة.

وهكذا القدرة الذاتية الازلية – ولله المثل الاعلى – فلكونها ألطف نور وأخصّه بل هي نور الانوار كلها، ولكون ماهية الاشياء وحقائقها وأوجه الملكوتية فيها شفافة لمّاعة كالمرايا، ولأن كل شئ – ابتداءً من الذرات الى النباتات والى انواع الاحياء قاطبة

والى النجوم والشمـوس والاقمـار – تابع ومنقـاد ومطيع على أتم وجه لحكم تلك القدرة الذاتية ومسخر ومجند وخاضع خضوعاً مطلقاً لأوامر تلك القدرة الازلية. فلا ريب انها تنشئ الاشياء غير المحدودة وتخلقها كالشئ الواحد، وتحضر عند كل شئ في كل آن وفي كل مكان. فلا يمنع شئ شيئاً، فالكبير والصغير، والكثير والقليل، والجزء والكل، سواء عندها. لاتعجز عن شئ ولا يصعب عليها شئ.

واستناداً الى اسرار الانتظام والموازنة وامتثال الاوامر، والطاعة للاحكام – كما ذكرت في الكلمة العاشرة والتاسعة والعشرين – فان سفينة ضخمة جداً يمكن ان تدار وتسيّر بسهولة إدارة طفل لدميته بأصبعه.. وان قائداً مثلما يسوق جندياً واحداً بأمره: «هجوم» فانه بالامر نفسه يسوق جيشاً منتظماً مطيعاً الى الحرب.. واذا كان هناك جبلان في حالة موازنة على طرفي ميزان عظيم حساس جداً ثم أوتي بميزان آخر ووضع في كل من كفتيه بيضة في معادلة تامة، فمثلما يمكن لجوزة واحدة ان ترفع إحدى الكفتين الى الاعلى والاخرى الى الاسفل، كذلك تستطيع تلك الجوزة نفسها – بقانون الحكمة – أن ترفع احدى كفتي الميزان العظيم الحامل للجبل الى قمة جبل وتنزل الاخرى الى قعر الوادي.

فكما أن الامر هكذا، كذلك الامر في القدرة الربانية حيث أنها مطلقة غير متناهية، وهي نورانية، وهي ذاتية وهي سرمدية، وتوجد معها الحكمة المطلقة والعدالة التامة اللتان هما منشأ جميع الانتظام والانظمة والموازنة ومنبعها ومدارها ومصدرها، فالجزئي والكلي والكبير والصغير من اي شئ كان ومن كل شئ مسخر لحكم تلك القدرة ومنقاد لتصرفها.. لذا فان تلك القدرة تسيِّر النجوم والسيارات بسهولة ادارة الذرات وتحريكها؛ وذلك بسر نظام الحكمة. وكما أنها تحيي الذبابة في الربيع بسهولة، تسوق جميع طوائف الحشرات والنباتات والحيوانات الى ميدان الحياة وتحييها بالسهولة نفسها وبالامر نفسه، وبالحكمة المتضمنة فيها وبسر الميزان. وكما انها تنبت شجرة في الربيع بسرعة فائقة فتنفخ الحياة في جذورها وجذوعها التي هي كالعظام، فهي تحيي بتلك القدرة المطلقة الحكيمة العادلة وبالامر نفسه هذه الارض الهائلة التي هي كجنازة ضخمة، مثلما أحيت تلك الشجرة في الربيع ببساطة،

موجودةً مئات الآلاف من انواع الامثلة والنماذج الدّالة على الحشر والنشور. وكما انه سبحانه يحيي الارض بأمر تكويني فانه بمضمون الايات الجليلة الآتية:

﴿ إن كانت الاّ صيحةً واحدةً فاذا هم جميعٌ لدينا مُحضرون ﴾ (يس: ٥٣).

﴿ وما أمرُ الساعةِ إلاّ كلمح البصر او هوَ أقرب ﴾ (النحل: ٧٧).

﴿ ما خلقكم ولا بعثُكم إلاّ كنفسٍ واحدة ﴾ (لقمان: ٢٨).

يأتي بجميع الانس والجن وما هو حيواني وروحاني وملائكي، يأتي بهم جميعاً بالامر نفسه بالسهولة نفسها الى ميدان الحشر الاكبر وامام الميزان الاعظم، فلا يمنع فعل فعلاً قط. هذا وقد أُجلت كتابة بقية الاسرار من السر الثالث الى الثالث عشر خلاف رغبتى الى وقت آخر بمشيئة الله.

* * *

الحقيقة الرابعة

كليّة الموجودات وظهورها معاً

ان وجود الموجودات وظهورها معاً، متداخلة، مشابهاً بعضها البعض الآخر، وكون بعضها مثالاً مصغراً للآخر، او نموذجاً اكبر له، وكون قسم منها كلاً وكليّاً وبقية الاقسام أجزاؤه وافراده، مع التشابه في ختم الفطرة وسكتها، والعلاقة الوثيقة في نقش الصنعة والاتقان، والتعاون فيما بينها، واكمال كل منها وظيفة الآخر الفطرية.. وأمثال هذه من النقاط العديدة لجهة الوحدة الكثيرة في الموجودات، تعلن التوحيد بداهة، وتثبت أن صانعها واحد احد، وتُظهر – من جهة الربوبية المهيمنة – أن الكائنات قاطبة لاتقبل التجزئة والانقسام. فهي بحكم الكل والكلّي.

مثال ذلك: ان ايجاد افراد لايحصرها العد لأربعمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات في الربيع، وادارتها معاً في آن واحد، وعلى نمط واحد، رغم تداخل بعضها في البعض الآخر، من دون خطأ او خلل، واعاشتها بكمال الحكمة وحسن الصنعة والاتقان.. وكذا خلق افراد غير محدودة لانواع الطيور ابتداءً من مثالها

المصغر – الحشرات – الى مثالها الاكبر – الصقور – ومنحها القدرة على السياحة والتجوال في الجو، وتجهيزها بأجهزة تساعدها على المعيشة والحركة والتنزه ونشر البهجة في الجو، ووضع سكة الصنعة المعجزة وختمها في وجوهها، وتركيب ختم الحكمة في اجسامها بكل تدبير، وايداع طغراء الاحدية في ماهيتها بكل إعتناء وتربية.. وكذا امداد خلايا الجسم بذرات الطعام، وامداد الحيوانات بالنباتات، وامداد الانسان بالحيوانات، وامداد الصغار العاجزين بحنان الوالدات ورعايتهن، وجعل هذا السعي والامداد والمعاونة تتم في اطار حكمة تامة وضمن رحمة كاملة.. وكذا التصرف بالنظام نفسه والابداع نفسه وبالفعل نفسه والحكمة نفسها، ابتداءً من مجرة درب التبانة – من الدوائر الكونية الهائلة – الى المنظومة الشمسية، والى العناصر الارضية بل حتى الى حدقة العين واوراق براعم الاوراد وأغلفة عرانيس الذُرة والبذور الكامنة في البطيخ – مثلاً – كأنها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر وبحكم الجزئي والكلي.. كل ذلك ليثبت بداهة ان الذي يقوم بهذه الافعال انما هو واحد أحد، وضع سكته وختمه على ناصية كل شئ في الوجود، وكما لايحده مكان فهو حاضر في كل مكان، وهو قريب الى كل شئ، رغم ان كل شئ بعيد عنه، كالشمس. وكما يسهل عليه اصعب امور الدوائر الكونية العظيمة والمنظومة الشمسية، لاتخفى عليه ايضاً أصغر أمور الكريات في الدم، وأدق الخواطر القلبية. فلا شئ يبقى خارج ادارته ودائرة تصرفه. ومهما كان الشئ كبيراً او كثيراً فهو سهل ويسير عليه كأصغر شئ وأقله، فيخلق الحشرة الصغيرة في نظام الصقر واتقانه، ويخلق الزهرة في ماهية الشجرة وانتظامها، ويخلق الشجرة في صورة الحديقة وابداعها، ويخلق الحديقة في روعة الربيع وزهوه، ويخلق الربيع في عظمة الحشر وهيبته. وهو يقدّم الينا أكثر الاشياء اتقاناً وأغلاه ثمناً بسعر بخس زهيد بل يحسنه الينا إحساناً، ثم لايطلب منا الاّ: «بسم الله» و«الحمد لله» اي أن الثمن المقدّر لتلك النعم، هو «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداءً و«الحمد لله» ختاماً.

نكتفي بهذا القدر نظراً لقيام رسائل النور بايضاح هذه الحقيقة الرابعة واثباتها بتفصيل اكثر. ورأى صاحبنا السائح في المنزل الثاني:

* * *

الحقيقة الخامسة

الانتظام الاكمل ووحدة المواد

اي وحدة الانتظام الاكمل في مجموع الكون واركانه واجزائه بل في كل موجود فيه، ووحدة موظفي ومواد الكون الواسع التي هي محور ادارته ومتعلقة بهيئته العامة. وكون الاسماء والافعال المصرّفة لتلك المدينة العظيمة والمحشر العجيب محيطة وشاملة كل شئ، فالاسم هو نفسه والفعل هو نفسه والماهية هي نفسها في كل مكان، رغم تداخل بعضه في البعض الآخر، وكون العناصر والانواع التي هي الاساس في بناء ذلك القصر الفخم وفي إدارته وفي اضفاء البهجة عليه، محيطة بسطح الارض بانتشارها في اكثر بقاعها، مع بقاء العنصر نفسه، والنوع نفسه واحداً، وذا ماهية واحدة في كل مكان رغم تداخل بعضه في البعض الآخر.. كل ذلك يقتضي بداهة، ويدل ضرورة ويُشهد ويُري ان صانع هذا الكون ومدبّره، وان سلطان هذه المملكة ومربيها، وان صاحب هذا القصر وبانيه، واحد أحد فرد، ليس كمثله شئ، لاوزير له ولامعين، لاشريك له ولاند، منزّه عن العجز، متعال عن القصور.

نعم ان الانتظام التام انما هو دليل بذاته على الوحدة؛ إذ يستدعى منظماً واحداً، فلا يسعه الشرك الذي هو محور المجادلة والمشاكسة.

فما دام هناك انتظام حكيم ودقيق في الكون كله — كلياً كان الشئ أم جزئياً — ابتداءً من دوران الارض اليومي والسنوي، الى سيماء الانسان، والى منظومة شعوره، والى دوران الكريات الحمر والبيض وجريانهما في الدم، فلا يمكن لشئ أن يمد يده ويتدخل قصداً وايجاداً سوى القادر المطلق والحكيم المطلق، بل يبقى كل شئ سواه منفعلاً ومتلقياً ومظهراً للقبول ليس الاّ.

وما دام القيام بالتنظيم ومنح النظام وبخاصة تعقّب الغايات وتتبعها وتنظيمها بابراز المصالح، لايكون الاّ بالعلم والحكمة، والاّ بالارادة النافذة والاختيار، فلابد ان هذا الانتظام الذي يدور مع الحكمة، وهذه الانواع المتنوعة من الانتظام في المخلوقات غير المحدودة التي تتراءى امام أنظارنا والدائرة حول المصالح، يدل بداهة ويشهد بكل

حال ان خالق هذه الموجودات ومدبرها واحد، وهو الفاعل، وهو الذي بيده الاختيار، فكل شئ يخرج الى الوجود إنما يخرج بقدرته هو، ويأخذ وضعاً خاصاً بارادته هو، ويتخذ صورة منتظمة باختياره هو.

ومادام السراج الوهاج لهذه الدنيا المضيف واحداً، وان قنديلها المتدلي لعدّ الايام واحد، وان معصراتها ذات الرحمة واحدة، وان مطبخها ذا الموقد واحد، وان شرابها الذي يبعث على الحياة واحد، وان مزرعتها المحمية واحدة.. واحد.. واحد.. واحد الى ألف وواحد، فلابد أن هذه الآحاد الواحدة تشهد بداهة ان صانع هذا المضيف وصاحبه، واحد، وهو كريم لضيوفه في منتهى الكرم والسخاء حتى أنه يسخر كبار موظفيه هؤلاء ويجعلهم خدماً طائعين لضمان راحة ضيوفه الاحياء.

وما دامت واحدةً تلك الاسماء الحسنى والشؤون الإلهية والافعال الربانية التي تصرف امور الكون والتي تظهر تجلياتها ونقوشها واثارها في كل انحاء العالم.. فالاسماء الحسنى «الحكيم، المصور، المدبر، المحيي، المربي» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وشؤون «الحكمة والرحمة والعناية» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وأفعال «التصوير والادارة والتربية» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وكل منها متداخل بعضه في البعض الآخر، وكل منها في اسمى مرتبة واوسع إحاطة وهيمنة، كما أن كلا منها يكمل نقش الآخر حتى لكأن تلك الاسماء والافعال تتحد مع بعضها اتحاداً، فتصبح القدرة عين الحكمة والرحمة، وتصبح الحكمة عين العناية والحياة. فعندما يظهر – مثلاً – تصرف اسم المحيي في شئ ما، يظهر تصرف اسم الخالق والمصور والرزاق واسماء اخرى كثيرة كذلك في الوقت نفسه، في كل مكان وبالنظام نفسه، فلابد ولامحالة ان ذلك يشهد بداهة على ان مسمّى تلك الاسماء المحيطة، وفاعل تلك الافعال الشاملة والظاهرة في كل مكان بالطراز نفسه، إنما هو فاعل واحد أحد فرد.. آمنا وصدّقنا!.

ومادامت العناصر التي هي مكونات المصنوعات وجواهرها واسسها، تحيط سطح الارض وتتوزع عليه، وكل نوع من انواع المخلوقات – الحاملة لاختام مختلفة تظهر الوحدانية – قد انتشر على ظهر الارض واستولى عليه، رغم كونه نوعاً واحداً، فلابد أن تلك العناصر بمشتملاتها، وتلك الانواع بأفرادها، إنما هي مُلك لواحد،

ومصنوعات مأمورة لدى ذلك الواحد القادر الذي يستخدم بقدرته المطلقة تلك العناصر الضخمة المستولية كأنها خَدَمة طائعات، ويسخّر تلك الانواع المتفرقة في كل جهة من الارض كأنها جنود نظاميون.. وحيث ان (رسائل النور) قد أثبتت هذه الحقيقة وأوضحتها، نقتصر عليها بهذه الاشارة القصيرة.

فلقد أحسّ صاحبنا السائح المسافر بنشوة إيمانية بعد ان اكتسب الفيض الايماني والتذوق التوحيدي من فهمه لهذه الحقائق الخمس فأنشأ يترجم ملخصاً انطباعاته ومشاهداته مخاطباً قلبه:

انظر الى الصحيفة الملونة الزاهية لكتاب الكون الوسيع.

كيف جرى قلم القدرة وصوّر البديع..

لم تبق نقطة مظلمة لأرباب الشعور..

لكأن الرب قد حرّر آياته بالنور.

واعلم ايضاً بأن:

هذه الابعاد غير المحدودة صحائف كتاب العالم

وهذه العصور غير المعدودة سطور حادثات الدهر

قد سطّر في لوح الحقيقة المحفوظ:

كل موجود في العالم، لفظ مجسم حكيم

وانصت كذلك:

چو *لا اله الاّ الله برابر ميذنند هرشى دمادم چويدند ياحق سراسر كويدنند ياحي*(١)

نعم؛ وفي كل شئ له آية تدل على انه واحدٌ.

وهكذا صدّق قلب السائح نفسه، وقالا معاً: نعم، نعم.

(١) يعني: كل شئ في الوجود ينطق ويردد معاً: لاإله إلاّ الله، ويلهج دوماً كل آن: يا حق.. فالكل ينطق والجميع يهتف: ياحي.– المترجم.

هذا وقد جاءت في المنزل الثاني من الباب الثاني من المقام الاول إشارة قصيرة الى ماشاهده سائح الكون والضيف فيه من الحقائق التوحيدية الخمس، وهي:

[لا إله إلاّ الله الواحد الاحد الذي دلّ على وحدته في وجوب وجوده: مشاهدة حقيقة الكبرياء والعظمة في الكمال والاحاطة. وكذا مشاهدة حقيقة ظهور الافعال بالاطلاق وعدم النهاية، لا تقيدها الاّ الارادة والحكمة. وكذا مشاهدة حقيقة ايجاد الموجودات بالكثرة المطلقة في السرعة المطلقة، وخلق المخلوقات بالسهولة المطلقة في الاتقان المطلق، وابداع المصنوعات بالمبذولية المطلقة في غاية حسن الصنعة وغلو القيمة. وكذا مشاهدة حقيقة وجود الموجودات على وجه الكل والكلية والمعية والجامعية والتداخل والمناسبة. وكذا مشاهدة حقيقة الأنتظامات العامة المنافية للشركة. وكذا مشاهدة وحدة مدارات تدابير الكائنات الدالة على وحدة صانعها بالبداهة. وكذا وحدة الاسماء والافعال المتصرفة المحيطة، وكذا وحدة العناصر والانواع المنتشرة المستولية على وجه الارض].

* * *

وحينما كان ذلك السائح في العالم يجول في العصور صادف مدرسة مجدد الألف الثاني الامام الرباني احمد الفاروقي[١] فدخلها وبدأ يصغي اليه. كان الامام يقول في ثنايا درسه: «ان اهم نتيجة للطرق الصوفية كافة هي انكشاف الحقائق الايمانية وانجلاؤها، وان وضوح مسألة واحدة وانكشافها لهو ارجح من ألفٍ من الكرامات».

وكان يقول ايضاً: «لقد قال بعض العظماء في السابق: انه سيأتي أحد من المتكلمين ومن علماء علم الكلام وسيثبت بدلائل عقلية اثباتاً واضحاً جميع الحقائق الايمانية والاسلامية، وياليتني أنا ذلك الشخص، بل ربما هو أنا[٢]. حيث ان الايمان

(١) الامام الرباني: هو احمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي (٩٧١-١٠٣٤هـ) الملقب بحق «مجدد الالف الثاني» برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله وحضور القلب، رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنة «الملك اكبر» التي كادت ان تمحق الاسلام. وفّقه المولى العزيز الى صرف الدولة المغولية القوية من الالحاد والبرهمية الى احتضان الاسلام بما بث من نظام البيعة والاخوة والارشاد بين الناس، طهر معين التصوف من الاكدار، تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح «اورنك زيب» فانتصر المسلمون في زمانه وهان الكفار. انتشرت طريقته «النقشبندية» في ارجاء العالم الاسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (١١٩٢ -١٢٤٣هـ). له مؤلفات عديدة اشهرها «مكتوبات» ترجمها الى العربية محمد مراد في مجلدين. - المترجم.

(٢) لقد اثبت الزمن ان ذلك الشخص ليس شخصاً ولا رجلاً انما هو «رسائل النور». وربما شاهد اهل الكشف فى كشفياتهم «رسائل النور» فى شخص مترجمها ومبلّغها الذى لاقيمة له ولا اهمية،فقالوا: انه شخص. المؤلف.

والتوحيد هما اساس جميع الكمالات الانسانية وجوهرها ونورها وحياتها، وان دستور «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[1] يخص التفكر الايماني، وما الذكر الخفي في الطريقة النقشبندية واهميته الاّ نوع من انواع هذا التفكر السامي».

هكذا كان الامام يعلّم، والسائح ينصت ويصغي بكل إهتمام. ثم رجع الى نفسه وخاطبها:

لما كان هذا الامام الهمام يقول كذا، وان إزدياد قوة الايمان ولو بمقدار ذرة هو أثمن من اطنان من كسب المعارف والكمالات، بل هو ألذ وأطيب مائة مرة من حلاوة الاذواق والوجد. وحيث ان الاعتراضات والشبهات المتراكمة حول الايمان والقرآن – التي تثيرها فلاسفة اوروبا منذ ألف سنة – قد وجدت سبيلها الى قلوب المؤمنين، فيهاجمون بها اهل الايمان، ويحاولون بذلك زعزعة الاركان الايمانية التي هي اساس السعادة الابدية، ومدار الحياة الباقية، ومفتاح الجنة الخالدة. فلابد إذاً – وقبل كل شئ – أن نزيد إيماننا قوة ونحوّله من ايمان تقليدي الى ايمان تحقيقي.

فهيا بنا ايتها النفس لنسرْ قدماً مع هذه المراتب الايمانية التسع والعشرين التي وجدناها، والتي كل منها راسخة رسوخ الجبل الاشم قاصدين إيصالها الى عدد الاذكار والتسبيحات المباركة للصلاة وهو الثلاث والثلاثون. فلنطرق باب الادارة والاعاشة الربانية في عالم الاحياء الذي يترقرق عبراً وعظة، ونفتحه بمفتاح (بسم الله الرحمن الرحيم) كي نرى المنزل الثالث ونشاهد ما فيه...

فطرق السائح باب المنزل الثالث الذي هو محشر العجائب ومجمع الغرائب، طرقه بكل استرحام ورفق ولطف، ومن ثم فتحه بـ« بسم الله الفتاح » فبدا له المنزل الثالث ودخل فيه، ووجد أن هناك أربع حقائق عظمى محيطة تنير ذلك المنزل وتكشف التوحيد وتبينها كالشمس الساطعة.

* * *

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء ١/٥٨: حديث: تفكر ساعة خير من عبادة سنة: ابن حبان كتاب العظمة من حديث ابي هريرة بلفظ ستين سنة باسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه ابو المنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بلفظ ثمانين سنة واسناده ضعيف جداً، ورواه ابو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة. ا هـ. وانظر كشف الخفاء ١/٣١٠ والاحاديث المشكلة ص١١٣.

الحقيقة الاولى: وهي حقيقة «الفتاحية»

أي انفتاح ما لايحد من الصور المنتظمة المتنوعة المختلفة بتجلي اسم « الفتاح » من مادة بسيطة جداً، وانكشافها معاً في كل طرف من انحاء العالم، وفي آن واحد، وبفعل واحد.

نعم، كما ان القدرة الفاطرة قد فتحت الموجودات المختلفة غير المحدودة، في رياض الكائنات كتفتح الازهار؛ فأعطت باسم « الفتاح » كلاً منها طرزاً منتظماً يناسبه، وشخصية منفردة تميزه. فقد منحت كذلك – بشكل اكثر اعجازاً – صورة موزونة، مزينة، ومتميزة، لكل ذي حياة من اربعمائة ألف نوع من انواع الاحياء في حديقة الارض، وهي في غاية الاتقان والحكمة.. نعم، ان فتح الصور هذا اقوى دليل على التوحيد، واعجب معجزة للقدرة الإلهية، حسب ما تفيده الآيات الكريمة:

﴿ يخلقكم في بطون أُمهاتكم خَلقاً من بعدِ خلقٍ في ظُلمات ثلاث ذلكُم الله ربُّكم له المُلكُ لا إله إلاّ هو فأنّى تُصرفون ﴾ (الزمر: ٦).

﴿ إن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الارض ولا في السماء ۞ هُو الذي يُصوركم في الارحام كيف يشاء لا إله إلاّ هُو العزيز الحكيمُ ﴾ (آل عمران: ٥، ٦).

فبناءً على هذه الحكمة، ونظراً لافاضة (رسائل النور) في بيان حقيقة فتح الصور بصورة متنوعة (وبخاصة في المرتبة السادسة والسابعة من الباب الاول من هذه الرسالة). فنحن نحيل اليها ونكتفي هنا بالقول:

لقد ظهرت نتيجة الدراسات المتواصلة والبحوث الدقيقة لعلمي النبات والحيوان وبشهادتهما، أن فتح الصور هذا له من الاحاطة والشمول والاتقان ما لايمكن ان يملك هذا الفعل الجامع المحيط سوى الواحد الاحد القادر المطلق الذي يرى كل شئ، ويصنعه؛ ذلك لان فعل فتح الصور هذا يحتاج الى وجود منتهى الحكمة، ومنتهى الدقة، ومنتهى الاحاطة ضمن قدرة مطلقة تهيمن في كل مكان وفي كل آن. فقدرة كهذه لايملكها الاّ الواحد الاحد الذي بيده مقاليد الارض والسماوات.

نعم فكما جاء في الآية الكريمة المذكورة **﴿ في ظلمات ثلاث ﴾** فان خلق الانسان، وفتح صوره، واحدة واحدة، في ارحام الوالدات بميزان وزينة، وبانتظام

وتميّز، دون خلط او اختلاط، او خطأ او نقص، من مادة بسيطة دليل قاطع على الوحدانية. ومن ثم احاطة هذه الحقيقة - فتح الصور - وشمولها بالقدرة نفسها، والحكمة نفسها، والصنعة نفسها، للناس كافة، وللحيوانات كافة، وللنباتات كافة، على ارجاء الارض كافة، لهي اقوى برهان على الوحدانية؛ ذلك لان فعل الاحاطة هو بذاته وحدة واحدة لايترك مجالاً للشرك.

ومثلما ان الحقائق التسع عشرة في الباب الاول قد شهدت (بوجودها) على وجوب وجود الخالق سبحانه، فهي تشهد كذلك (باحاطتها) على الوحدة والوحدانية..

والحقيقة التي رآها صاحبنا السائح في المنزل الثالث هي:

* * *

الحقيقة الثانية: وهي حقيقة « الرحمانية »

وهي تعني ان هناك واحداً جعل لنا الارض - كما هي ظاهرة امام اعيننا - مضيفاً رائعاً، وغمر وجهها بآلاف هدايا الرحمة، وفرش لنا بتلك الرحمة مأدبة تحوي مئات الآلاف من مختلف الاطعمة اللذيذة المعدّة على تلك المائدة، وجعل لنا جوف الارض - برحمته وحكمته - مخزناً جامعاً عظيماً لآلاف إحسانه وآلائه القيمة. ويقوم بتربيتنا تربية في منتهى الرحمة، بتحميله الارض من عالم الغيب في دورتها السنوية - كأنها باخرة تجارية - بمئات الآلاف من أجود انواع صنوف اللوازم الحياتية للانسان واجملها، ويرسلها كل سنة كأنها سفينة مشحونة او قطار معبأ، فكل ربيع فيها بمثابة قطار تقل أرزاقنا وملابسنا. ولاجل أن ننتفع من تلك الهدايا والنعم كلها فقد وهبنا المئات بل الآلاف من الارزاق والحاجات والرغبات والمشاعر، والحواس..

نعم، لقد وضح في « الشعاع الرابع » الذي يشرح الآية الكريمة ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾(آل عمران: ١٧٣)، وأثبت هناك انه سبحانه قد وهبنا معدة بحيث نستطيع بها هضم أطعمة غير محدودة والتلذذ بها. وأحسن الينا سبحانه حياة بحيث نستفيد بحواسها نعماً غير محدودة مبثوثة في ارجاء هذا العالم المشهود الكبير وكأنه سفرة مفروشة للنعم. وأكرمنا سبحانه بانسانية بحيث نتذوق بآلاتها العديدة - كالعقل

والقلب – من هدايا غير متناهية لعالم المادة ولعالم المعنى ما نتذوق. وعلّمنا إسلاماً بحيث يأخذ النور من خزائن غير متناهية لعالم الغيب ولعالم الشهادة. وهدانا الى إيمانٍ بحيث نستفيد به ونتنور بما لايُحصر من أنوار عوالم الدنيا والآخرة وهداياهما. فكأنّ هذه الكائنات قصر عامر منيف قد زيّن من لدن الرحمة الواسعة بأنفس الاشياء والموجودات، وسلمت بيد الانسان مفاتيح خزائنه ومنازله التي لاتعد ولاتحصى، وأودعت في فطرته جميع الاحتياجات والمشاعر اللازمة للاستفادة من كل ما في القصر.

فرحمة كهذه التي تحيط بالدنيا وبالآخرة معاً، وبكل شئ. لابد أنها تجلٍ من تجليات «الاحدية» في تلك «الواحدية». أي كما ان احاطة ضياء الشمس وشموله جميع الاشياء المقابلة لها مثال بارز على «الواحدية» فان أخذ كل شئ شفاف ولماع حسب قابليته ضياء الشمس وحرارتها والالوان السبعة التي فيها وانعكاساتها، مثال على «الاحدية». لذا فان الذي يرى ضياء الشمس المحيط للعالم يحكم بأن شمس الارض واحدة، وانه بمشاهدته انعكاس ضياء الشمس ذي الحرارة من كل شئ براق، حتى من القطرات، يتمكن ان يقول بأحدية الشمس، أي أنها قريبة من كل شئ بصفاتها، فهي في مرآة قلب كل شئ.

فكما ان الامر في المثال هكذا – ولله المثل الاعلى – فان احاطة رحمة الرحمن ذي الجمال احاطة شاملة، كالضياء، تظهر واحدية ذلك الرحمن وعدم وجود شريك له في اية جهة من الجهات، وان وجود تجليات أنوار اكثر اسماء ذلك الرحمن، ونوعاً من تجلٍ لذاته المقدسة في كل شئ، ولاسيما في كل ذي حياة وبخاصة في الانسان – بما منحه الرحمن تحت ستار رحمته الواسعة الجامعة من حياة جامعة لكل فرد بحيث تمكنه ان يتوجه بها الى الكائنات كافة وينسج علاقات وروابط معها – يثبت احدية ذلك الرحمن سبحانه، وحضوره لدى كل شئ، وأنه « هو » الذي يعمل كل شئ لأي شئ كان.

نعم كما ان ذلك الرحمن بواحدية تلك الرحمة وباحاطتها يظهر هيبة جلاله وبهائه على الكون كله، على الارض كلها. فانه بتجلي أحديته في كل ذي حياة، وبخاصة في الانسان، وبجمعه جميع نماذج تلك النعم وغرزها في اعضاء ذلك

الكائن الحي، وفي أجهزته وتنظيمها، وبجعله ذلك الفرد الواحد يتخذ – من جهة – الكائنات كافة دون تشتت مسكنه ومأواه، كأنه يعلن رأفة جماله، ويعرّف تمركز انواع احسانه في الانسان.

فلو أخذنا البطيخ مثالاً، فان في كل بذرة من بذوره يوجد البطيخ نفسه. فخالق تلك البذرة الواحدة لابد انه هو خالق ذلك البطيخ. اذ يستدرّ تلك النواة منه ويجمعها ويجعلها تتجسم بموازين علمه الخاصة وبقوانين حكمته التي تخصه. فليس هناك شئ قط يستطيع أن يصنع تلك النواة سوى البديع الواحد لذلك البطيخ، بل ان ايجاد غيره له محال اصلاً. وبناءً على هذا فقد اصبح الكون – بتجلي الرحمانية – بمثابة شجرة وبستان، وغدت الارض كالثمرة وكالبطيخ، وصار ذوو الحياة والانسان كالبذرة، لذا ينبغي ان يكون خالق اصغر الاحياء هو خالق الارض قاطبة ورب أدق الاحياء هو رب الكون كله.

نحصل مما سبق:

ان ايجاد جميع الصور المنتظمة لجميع الموجودات وفتحها من مادة بسيطة – بحقيقة الفتاحية التي هي محيطة – يثبت الوحدة بداهة. وان تربية جميع الاحياء كذلك التي أتت الى الوجود ودخلت الحياة الدنيا وبخاصة القادمين الجدد – بحقيقة الرحمانية التي تحيط بكل شئ – تربية في غاية الانتظام، وايصال لوازم حياتها وتوفيرها لها دون نسيان أحد، وشمول الرحمة نفسها ووصولها الى كل فرد، في كل مكان ، وفي كل آن، تُظهرُ الوحدة بداهة، وتُري الاحدية في تلك الوحدة كذلك.

وحيث ان (رسائل النور) هي من مظاهر إسمَي «الحكيم» و «الرحيم» من الاسماء الحسنى وان ايضاح لطائف «حقيقة الرحمة» وتجلياتها مع اثباتها قد ورد في مواضع عدة من الرسائل. لذا إقتصرنا هنا على الاشارة اليها بهذه القطرة من ذلك البحر الواسع.

وما رآه صاحبنا السائح وشاهده في المنزل الثالث هو:

* * *

الحقيقة الثالثة: وهي حقيقة التدبير والادارة

أي حقيقة ادارة الاجرام السماوية وهي في منتهى السرعة والضخامة، وادارة العناصر وهي في منتهى الاختلاط والتشابك، وادارة المخلوقات الارضية وهي في منتهى الحاجة والضعف، ادارةً تتسم بكمال الانتظام والموازنة ويسعى بعضها لمعاونة البعض الآخر، رغم اختلاطها وامتزاجها ببعض. أي هي حقيقة النظر في ادارة أمورها جميعاً وجعل هذا العالم العظيم كأنه مملكة كاملة، ومدينة رائعة ضخمة، وقصر منيف مزين.

وسنأخذ هنا صورة واحدة مقتضبة لجريان تلك الادارة وسريانها على صفحة واحدة من سطح الارض وفي صحيفة واحدة في الربيع، تاركين تلك الدوائر الجبارة والصحائف الواسعة التي تتقطر رحمة. نظراً لأنها قد وضحت واثبتت في رسائل مهمة من (رسائل النور) كالكلمة العاشرة وسنبينها بمثال على النحو الآتي:

اذا قام شخص عظيم خارق بتشكيل جيش من أربعمائة ألف أمة وطائفة مختلفة،ووفّر ما يخص كل جندي من تلك الامم والطوائف المختلفة من الملابس والاسلحة والارزاق والتعليمات والاعفاءات والخدمات المختلفة المتنوعة جداً، وجهّزهم بالاجهزة المختلفة دون أدنى نقص او قصور او خطأ، وزوّدهم بها في أوانه دون أدنى تأخير او خلط، وبكمال الانتظام، فلابد أن تلك الادارة وهي في منتهى السعة والاختلاط والدقة والموازنة والكثرة والعدالة ليس إلاّ من قدرة خارقة لذلك القائد الخارق، فلايمكن لأي سبب أن يمد يده اليها. إذ لو مدّ لأفسد تلك الموازنة ولاختلط الامر.

فكما ان الامر في هذا المثال هكذا؛ فاننا نشاهد بأعيننا كذلك ان يداً غيبية تنشئ في كل ربيع وتدير جيشاً مهيباً مركباً من أربعمائة ألف من مختلف الانواع من الاحياء، ثم في موسم الخريف – الذي هو نموذج القيامة – تُعفي ثلاثمائة ألف من مجموع الاربعمائة ألف نوع من وظائفها بصور الوفاة وباسم الموت. وفي الربيع – الذي هو مثال الحشر والنشور – تنشئ ثلاثمائة ألف نموذج للحشر الاعظم في بضعة اسابيع بكمال الانتظام. حتى انه سبحانه بعد أن يرينا في الشجرة الواحدة اربعة انواع

من الحشر المصغر بنشره الشجرة نفسها، وأوراقها، وأزهارها، وأثمارها -كما هي في الربيع الماضي- فانه يظهر لنا ويثبت وحدانيته واحديته وفرديته واقتداره المطلق ورحمته الواسعة ضمن كمال الربوبية والحاكمية والحكمة، فيكتب سبحانه أمر التوحيد هذا بقلم القدر في صحيفة كل ربيع على وجه الارض، وذلك بمنحه كل نوع وكل طائفة من ذلك الجيش السبحاني البالغ أنواعه أربعمائة ألف نوع، ما يخصه من أرزاقه المختلفة، وما يحتاجه من اسلحته الدفاعية المتنوعة، وما يناسبه من ألبسته المتباينة، وما يلائمه من تعليماته المتفاوتة واعفاءاته المختلفة، وما يوافقه من جميع معدّاته ولوازمه. فيمنح سبحانه كل ذلك بكمال الانتظام والميزان دون أدنى سهو او خطأ ودون خلط او نسيان، ويهبها له في وقته المحدّد المعين، من مصادر لاتخطر على بال.

وبعد أن طالع صاحبنا السائح صحيفة واحدة فقط في ربيع واحد فقط وشاهد فيها أمر التوحيد بجلاء ووضوح خاطب نفسه قائلاً:

إن الذي أنشأ هذه الانواع من الحشر في كل ربيع، التي تربو على الالوف، وتفوق غرابة الحشر الاكبر هو الذي وعد أنبياءه كافة بآلاف الوعود والعهود أن سيأتي بالحشر والقيامة للثواب والعقاب، وهو أهون على قدرته من الربيع نفسه، وضمن آلاف الاشارات حول الحشر في القرآن الكريم، الذي يقرر صراحة في ألف من آياته الكريمة على وعوده سبحانه ووعيده.. فلاشك أن عذاب جهنم لهو عين العدالة بحق من يرتكب جحود الحشر امام ذلك القدير الجبار والقهار ذي الجلال..

هكذا حكم صاحبنا السائح واطمأنت نفسه اليه فرددت هي ايضاً: آمنـــا.

وما شاهده سائح العالم في المنزل الثالث هو:

* * *

الحقيقة الرابعة: وهي المرتبة الثالثة والثلاثون، تلك هي **حقيقة الرحيمية والرزاقية**.

أي حقيقة إعطاء الرزق الى جميع ذوي الحياة وبخاصة ذوي الارواح وبخاصة العاجزين والضعفاء وبخاصة الاطفال والصغار على وجه الارض كافة وفي جوفها وفي جوها وفي بحرها، اعطاءهم ارزاقهم كافة سواء المادية المَعدية منها او المعنوية

القلبيـة بكل شفقة ورأفـة وذلك من الاطعمة المعمـولة من تراب بسيط يابس ومن قطع خشب جافـة جامدة كالعظم وبخـاصة إخراج ألطف تلك الاطعمـة من بين فرث ودم وإخـراج كـميـات هائلـة من الاطعـمـة من بذرة واحـدة صلدة كـالعظم وهي لاتزن درهماً؛ فاخراج كـل ذلك في وقتـه المناسب وامام أنظارنا اخـراجاً مـقنناً دون نسيان أحد او التباس او خطأ لهو حقيقة الارزاق من لدن يد غيبية. نعم، ان الآية الكريمة:

﴿**إنَّ اللهَ هـو الـرزّاقُ ذو الـقُوة المتـين**﴾ (الذاريات: ٥٨) التي تخـصص الاعاشـة والانفاق وتحصرها في الحق سبحانه وتعالى. وكذا الآية الكريمة:

﴿**وما من دابّةٍ في الارض الاّ على الله رِزقُها ويَعلَمُ مُستقرّها ومستَودعَها كلٌّ في كتابٍ مُبين**﴾ (هود: ٦) التي تأخذ أرزاق الناس والحيوان جميعها تحت تعـهد الرب سبحانه وكفالته. وكذا الآية الكريمة:

﴿**وكـأيّن من دابّةٍ لا تحـمِلُ رِزقَهـا الله يَرزُقُهـا وإيّاكُم وهو السـميـعُ العَليمُ**﴾ (العنكبوت: ٦٠) التي تثبت وتعلـن بان الله سبحانـه هو الذي يتكفل – كما هو مـشاهد – بأرزاق المساكين والضـعفـاء والعاجزين وامـثالهم ممن لايستـطيعون أن يتـداركوها، فيـرسلها الـيهم من حـيث لم يحتـسبـوا، ومن مصـادر لا تخطر لهم على بال، بل من الغيب، بل من غير شئ، كامـثال الحشـرات الموجودة في اعمـاق البحار التي تتـغذى على غـير شـئ. وجمـيع الصـغار التـي يأتيهـا رزقـها من حـيث لاتحـتسب، وجمـيع الحيوانات التي قد تكفل سبحانه بارزاقها، وينفق عليها فعلاً من الغيب مباشرة – كما هو مشاهـد في كل ربيع – حتى انه هو الذي يرسل ارزاق اولئك المفتونـين بالاسباب تحت سـتـار الاسـبـاب، فـلا يرزقـهـم سـواه. فكمـا ان تلك الآيات الـكريمة والظواهر المشاهدة تُري الرزاقيـة وتثبتها وتعلنهـا هكذا، كذلك تبين آيات قرآنية كثيرة وشواهد كونيـة لاتحد متفـقة ان كل ذي حياة تربّى تحت كنف رحـيمية رزاق واحـد احد ذي جلال.

نعم، ان تسارع ارزاق الاشجار اليها وهي المحتاجة للرزق دون ان يكون لها اقتدار ولاإختـيار ولاإرادة وهي ساكنة في امـاكنها متـوكلة على الله.. وكذا سيلان الحليب المصفى من تلك المـضخات العجـيبة الى افـواه الصغار العـاجزين،وانقطاع تلك النفـقة

مباشرة عنهم بعد اكتسابهم جزءاً من الاقتدار وشيئاً من الاختيار والارادة، مع استمرار تلك الشفقة الموهوبة للامهات.. كل ذلك؛ ليثبت بداهة ان الرزق الحلال لا يأتي متناسباً مع القدرة والارادة وانما يأتي متناسباً مع الضعف والعجز اللذين يمنحان التوكل.

ولقد ساق وجود قوة الاقتدار والاختيار والذكاء - المثير للحرص القائد الى الحرمان على الاغلب - اولئك الادباء الذين يستشعرون بها، الى التذلل والى ما يشبه التسوّل، بينما اوصل عدم الاقتدار المكلل بالتوكل اغلب العوام البُله الى الثراء والغنى، حتى سار مثلاً:

كم عالمٍ عالمٍ أعيتْ مذاهبُه وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزوقاً

مما يثبت ان الرزق الحلال لايحصل عليه المخلوق ولايجده بقوة الاقتدار والاختيار، وانما يُعطى له من لدن مرحمة قد قبلت كدّه وسعيه، ويحسن اليه من عند شفقة ورأفة رقّت على احتياجه وافتقاره.

غير ان الرزق نوعان:

الاول: الرزق الحقيقي والفطري للمعيشة، الذي هو تحت التعهد الرباني، وهو مقدّر بحيث ان المدّخر منه في الجسم بصورة دهون او بصور اخرى يمكنه ان يعيّش الانسان ويديم حياته اكثر من عشرين يوماً دون ان يذوق طعاماً. فالذين يموتون جوعاً في الظاهر قبل عشرين او ثلاثين يوماً من دون ان ينفد رزقهم الفطري لاينشأ موتهم من انعدام الرزق، بل من مرض ناشئ من سوء التعود ومن ترك العادة.

والقسم الثاني من الرزق: هو الرزق المجازي والاصطناعي الذي يكون بحكم الضروري بعد أن يدمن الانسان عليه بالتعود والاسراف وسوء الاستعمال. وهذا القسم ليس ضمن التعهد الرباني وتكفله بل هو تابع الى احسانه سبحانه. فاما أن يمنحه او يمنعه.

فالسعيد - في هذا الرزق الثاني - والمحظوظ فيه، هو من يعلم ان السعي الحلال بالاقتصاد والقناعة - وهما مدارا السعادة واللذة - هو نوع من العبادة، وهو دعاء فعلي لكسب الرزق، لذا يقضي هذا السعيد حياته بهناء ويقبل ذلك الاحسان شاكراً ممتناً.

والشقي التعس في هذا الرزق هو من يتخلى عن السعي الحلال بالاسراف والحرص – وهما سبب الشقاء والخسارة والألم – فيقضي حياته بل يهلكها بطرق كل باب بالكسل والتظلم والتشكي.

فكما ان المعدة تطلب رزقاً، فالقلب والروح والعقل والعين والاذن والفم وامثالها من لطائف الانسان ومشاعره هي الاخرى تطلب رزقها من الرزاق الرحيم، وتأخذه منه بكل شكر وامتنان. فيهب سبحانه لكل منها من خزائن رحمته، رزقها الذي يناسبها وترضى به وتلتذ. بل ان الرزاق الرحيم قد خلق كلاً من تلك اللطائف كالعين والاذن والقلب والخيال والعقل وامثالها بمثابة مفتاح لخزينة رحمته كي يغمرها بالرزق الواسع. فمثلما العين مفتاح لخزائن الجواهر القيمة من الحسن والجمال المنبسط على وجه الكائنات، فاللطائف الاخرى كذلك كل واحدة منها مفتاح لعالم معين، تستفيد منه بالايمان.. وعلى كل حال فلنرجع الى صدد الموضوع.

فكما ان الخالق القدير الحكيم قد خلق الحياة خلاصة جامعة مستخلصة من الكائنات يحشّد فيها مقاصده العامة وتجليات اسمائه الحسنى. كذلك جعل الرزق في عالم الحياة مركزاً جامعاً للشؤون الربانية، خالقاً في ذوي الحياة غريزة الاشتهاء وتذوق الرزق، ليفسح بذلك المجال لأهم غاية لخلق الكائنات وحكمتها وهي جعل المقابل في شكر ورضى دائمين وكليين يتمان بكل خضوع وعبودية تجاه ربوبيته وتودّده سبحانه.

فمثلاً: أنه سبحانه قد عمّر كل طرف من أطراف المملكة الربانية الواسعة جداً؛ فعمّر السماوات بالملائكة والروحانيين، وعمّر عالم الغيب بالارواح، كما عمّر العالم المادي – لحكمة بث الروح واضفاء البهجة فيه وبخاصة عالم الهواء والارض، بل كل جهة منه وفي كل وقت وأوان - بوجود الاحياء وبخاصة الطيور والطويرات والحشرات. فغرز الاحتياج للرزق وتذوقه في الحيوانات والانسان؛ وجعلهم يسعون دوماً وراء رزقهم. وكأن ذلك الاحتياج سوط تشويق لهم يسوقهم ويحركهم ويجريهم وراء الرزق منتشلاً إياهم من الكسل والعطالة، وما ذلك إلاّ حكمة من حكم الشؤون الربانية. ولولا امثال هذه الحكمة من الحكم المهمة لكان سبحانه يجعل التعيينات المقننة للحيوانات تسعى اليها دون كدٍ وعناء ولحاجة فطرية كما جعل ارزاق النباتات تسعى اليها هكذا.

ولو وجدت عين تستطيع رؤية انواع الجمال لاسم الرحيم وأوجه الحسن لاسم الرزاق وشهادتهما للوحدانية رؤيةً تامة بحيث تتمكن من الاحاطة كلياً بسطح الارض ومشاهدته في آن واحد، لكانت ترى مدى متعة الجمال ومدى لذة الحسن في تجلي شفقة الرزاق الرحيم ورأفته الذي يمدّ إمداداً غيبياً ويحسن احساناً رحمانياً قوافل الحيوانات التي كادت تنفد ارزاقها في اواخر الشتاء، بأطعمة ونعمٍ في منتهى اللذة ومنتهى الكثرة ومنتهى التنوع مودعة اياها في ايدي النباتات وموضوعة على هامات الاشجار ومعلقة في اثداء الوالدات ومرسلة لها من خزائن رحمة غيبية صرفة. وعند ذلك تدرك بأن الذي يصنع تفاحة واحدة – مثلاً – ويهبها رزقاً حقيقياً، منعماً بها على شخص، لايمكن ان يكون الاّ الذي يدير كل المواسم والليالي والايام ويجعل الكرة الارضية كسفينة تجارية يبحرها ويسيحها مستحصلاً بها محاصيل المواسم فيأتي بها الى ضيوفه المعوزين في الارض، ذلك لأن سكة الفطرة، وختم الحكمة، وطغراء الصمدية، وختم الرحمة، الموجودة على جبين تلك التفاحة الواحدة، موجودة كذلك على جبين تفاح الارض كلها وعلى سائر الاثمار والفواكه وعلى النباتات والحيوانات جميعها. لذا فان مالك تلك التفاحة الواحدة وصانعها الحقيقي هو مالك وصانع امثالها واشباه جنسها من سكنة الارض وهو مالك وصانع الارض الضخمة التي هي حديقتها، وهو بارئ شجرة الكائنات التي هي مصنعها. وهو موجد موسمها الذي هو معملها وهو باعث الربيع والصيف اللذين هما ميدان تربيتها ونموها، ذلكم المالك ذو الجلال والخالق ذو الجمال. لاشريك له ولا إله غيره.

فكل ثمرة اذاً هي ختم رائع واضح للوحدة، بحيث يعرّف كاتب وصانع شجرتها وهي الارض، ويعرّف كاتب وخالق حديقتها وهي كتاب الكون، ويبرز وحدته سبحانه، ويشير الى أن أمر الوحدانية قد ختم باختام تصديق عديدة بعدد الاثمار.

ولكون (رسائل النور) مظهراً لأسمي (الرحيم والحكيم) من الاسماء الحسنى ولبيان واثبات لمعات كثيرة لحقيقة الرحيمية وأسرارها الغزيرة في عدة اجزاء من أجزاء رسائل النور، نحيل اليها. وقد أكتفي بهذه الاشارة القصيرة الى تلك الخزينة الغنية الكبيرة نظراً لحالتي غير الملائمة.

* * *

وهكذا فصاحبنا السائح يقول: الحمد لله! الذي وفقني لأسمع الحقائق الثلاث والثلاثين التي تشهد على وجوب وجود خالقي ومالكي وعلى وحدته، والذي ظللت أبحث عنه في كل مكان وأسأل عنه كل شئ. تلك الحقائق التي كل منها عبارة عن شمس مشرقة تبدد كل ظلام، وكل منها بقوة الجبل الراسخ المستقر، وكل منها بتحقيقاتها تشهد في غاية القطعية على وجوده سبحانه وتدل باحاطتها في غاية الجلاء على وحدته، وتثبت خلالها سائر الاركان الايمانية اثباتاً قوياً. وان إجماع مجموع الحقائق واتفاقها قد حولت ايماننا من التقليد الى التحقيق، ومن التحقيق الى علم اليقين، ومن علم اليقين الى عين اليقين، ومن عين اليقين الى حق اليقين، فالحمد لله.. هذا من فضل ربي.

﴿ الحمد لله الذي هَدانا لهذا وما كُنا لِنَهتَديَ لولا أن هدانا الله لقَدْ جاءت رُسُلُ رَبِّنا بالحق ﴾ (الاعراف: ٤٣).

هذا وقد جاءت في الباب الثاني من المقام الاول إشارة قصيرة جداً الى الانوار الايمانية التي اكتسبها هذا السائح الباحث المشتاق في مشاهداته في المنزل الثالث من الحقائق الاربعة المعظمة:

[لا إله إلاّ الله الواحد الاحد الذي دلّ على وحدته في وجوب وجوده: مشاهدة عظمة احاطة حقيقة الفتاحية، بفتح الصور لأربعمائة ألف نوع من ذوي الحياة المكملة بلا قصور، بشهادة فنِ النبات والحيوان.. وكذا مشاهدة عظمة احاطة حقيقة الرحمانية الواسعة المنتظمة بلا نقصان بالمشاهدة والعيان.. وكذا مشاهدة عظمة حقيقة الادارة المحيطة لجميع ذوي الحياة والمنتظمة بلا خطأ ولا نقصان.. وكذا مشاهدة عظمة احاطة حقيقة الرحيمية والاعاشة الشاملة لكل المرتزقين المقننة في كل وقت الحاجة بلاسهو ولا نسيان جل جلاله رَزّقهَا الرحمنُ الرحيمُ الحنان المنان وعَمَّ نوالهُ وشَمِلَ احسانه ولا إله إلاّ هو].

﴿ سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنَا إنك انت العليم الحكيم ﴾

* * *

ياربِّ

بحق بسم الله الرحمن الرحيم. ياالله يارحمن يارحيم صلِ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين بعدد جميع حروف رسائل النور المضروب تلك الحروف في عاشرات دقائق جميع عمرنا في الدنيا والآخرة مع ضرب مجموعها في ذرات وجودي في مدة حياتي واغفر لي ولمن يعينني في نشر رسائل النور وكتابتها بصداقة بكل صلاة منها ولآبائنا ولسأداتنا وشيوخنا ولأخواتنا واخواننا ولطلبة رسالة النور الصادقين وبالخاصة لمن يكتب ويستنسخ هذه الرسالة برحمتك يا ارحم الراحمين.. آمين.

﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾

* * *

«مهمة رسائل النور»

استمعت في هذه الايام ضمن محاورة معنوية لسؤال وجواب، أبين لكم خلاصة منهما:

«قال احدهم: ان التحشيدات العظيمة لرسائل النور وتسلّحها بتجهيزات كلية، وجهادها لاجل الايمان والتوحيد تزداد باطراد. وعلى الرغم من ان واحدة منها كافية لإلزام أعتى عنيد، فلِمَ توالي بهذه الدرجة من الحرارة والفعالية تحشيدات جديدة لذلك؟

قالوا جواباً له: ان رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترم بيتاً صغيراً مهدماً وحده، بل تعمّر ايضاً تخريبات عامة كلية، وترم قلعة محيطة عظيمة – صخورها كالجبال – تحتضن الاسلام وتحيط به. وهي لاتسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى ايضاً وبيدها اعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضماد الافكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الاسس الاسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم انها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والايمان.

فامام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة واعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لاحدّ لها.

هذه هي مهمة رسائل النور النابعة من الاعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان أتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للايمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية».

وعلى هذا المنوال جرت مكالمة طويلة. فسمعتها كاملة، وشكرت الله كثيراً، أجملتها لكم.

سعيد النورسي

* * *

الشعاع التاسع

القطعة الاولى من اللاحقة والتذييل المهم للكلمة العاشرة

بسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

﴿ فسُبحَانَ اللهِ حينَ تُمسونَ وحينَ تُصبحُونَ ولهُ الحَمدُ في السّموات والأرضِ وعَشياً وحينَ تُظهِرونَ ۞ يُخرجُ الحيَّ من الميتِ ويُخرجُ الميّتَ من الحيِّ ويُحيي الأرضَ بعدَ موتِها وكذلكَ تُخرجُونَ ۞ ومنْ آياتهِ أنْ خَلَقكُم من تُرابٍ ثُم اذا أنتُم بَشرٌ تنتشرونَ ۞ ومنْ آياتهِ أن خَلَقَ لكُم من أنفُسكُم أزواجاً لتَسكُنوا إليها وجَعَلَ بينكُم مَودّةً ورحمَةً إنَ في ذلكَ لآياتٍ لقَومٍ يَتفكّرونَ ۞ ومنْ آياته خَلقُ السّمواتِ والارضِ واختلافُ ألسنتكُمْ وألوانكُمْ انّ في ذلكَ لآيَاتٍ للعالمين ۞ ومن آياته منَامُكم بالّيلِ والنّهارِ وإبتغاؤكُم من فضلهِ ان في ذلكَ لآياتٍ لقَومٍ يسمَعُونَ ۞ ومن آياته يُريكُمُ البَرقَ خوفاً وطَمَعاً ويُنزّلُ من السَماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها انّ في ذلكَ لآياتٍ لقوم يعقلونَ ۞ ومنَ آياته انّ تَقومَ السّماءُ والأرضُ بأمرهِ ثمّ اذا دَعاكُم دعوةً منَ الأرضِ اذا أنتُم تَخرُجونَ ۞ ولهُ مَن في السّمواتِ والأرضِ كلٌ لهُ قانتونَ ۞ وهوَ الذي يَبدؤا الخلقَ ثُمّ يُعيدُهُ وهوَ أهونُ عليهِ ولهُ المَثلُ الأعلىَ في السّمواتِ والأرضِ وهوَ العَزيزُ الحكيمُ ﴾ (الروم: ١٧ - ٢٧)

سنُبيّن في هذا (الشعاع التاسع) برهاناً قوياً وحجة كبرى لما تبينه هذه الآيات الكريمة من محور الايمان وقطبه، وهو الحشر. ومن البراهين السامية المقدسة الدالة عليه.

وانه لعناية ربانية لطيفة ان كتب (سعيد القديم) قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلَّفه (المحاكمات) الذي كتبه مقدمة لتفسير (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) ما يأتي:

المقصد الثاني: سوف يفسر آيتين تبيّنان الحشر وتشيران اليه.

ولكنه ابتدأ بـ: نخو [١] بسم الله الرحمن الرحيم. وتوقف، ولم تتح له الكتابة.

فألف شكر وشكر للخالق الكريم - وبعدد دلائل الحشر وأماراته - اذ وفّقني لبيان ذلك التفسير بعد ثلاثين سنة، فأنعم سبحانه وتعالى بتفسير الآية الاولى ﴿**فانظر الى آثار رحمت الله كيفَ يحيي الارضَ بعدَ موتِها ان ذلكَ لَمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير**﴾ (الروم: ٥٠) وذلك بعد نحو عشر سنوات، فأصبحت (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين) وهما حجتان ساطعتان قويتان أخرستا المنكرين الجاحدين. وبعد حوالي عشر سنوات من بيان ذلك الحصن الحصين للحشر، أفاض عليّ سبحانه وتعالى وانعم بتفسير الآيات المتصدرة لهذا الشعاع، فكانت هذه الرسالة. فهذا (الشعاع التاسع) عبارة عن تسعة مقامات سامية مما أشارت اليها الآيات الكريمة مع مقدمة مهمة.

(١) نخو: كلمة كردية باللهجة الكرمانجية الشمالية، تعنى: اذن – المترجم.

المقدمة

هذه المقدمة نقطتان:

سنذكر اولاً وباختصار نتيجة واحدة جامعة – من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية لعقيدة الحشر – مبينين مدى ضرورة هذه العقيدة للحياة الانسانية ولاسيما الاجتماعية. ونورد كذلك حجة كلية واحدة – من بين الحجج العديدة لعقيدة الايمان بالحشر – مبينين ايضاً مدى بداهتها ووضوحها حيث لا يداخلها ريب ولاشبهة.

النقطة الاولى

سنشير الى اربعة أدلة على سبيل المثال – وكنموذج قياسي – من بين مئات الادلة على أن عقيدة الآخرة هي أس الاساس لحياة الانسان الاجتماعية والفردية، واساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته.

الدليل الاول:

ان الاطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لايمكنهم ان يتحملوا تلك الحالة التي تبدو مؤلمةً ومفجعةً للموت والوفاة إلاّ بما يجدونه في انفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من «الايمان بالجنة». ذلك الايمان الذي يفتح باب الامل المشرق امام طبائعهم الرقيقة التي لاتتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه : «ان اخي الصغير او صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو اذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منا». وإلاّ فلولا هذا الايمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً امثاله – وكذلك الكبار – تلك القوة المعنوية

لاولئك الذين لاحيلة لهم ولاقوة، ولحطّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغّصها، فتبكي عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فاما أن تموت احاسيسهم وتغلظ مشاعرهم او يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.

الدليل الثاني:

ان الشيوخ الذين هم نصف البشرية، انما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ«الايمان بالآخرة». ولايجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلاّ في ذلك الايمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالاطفال واصبحوا مرهفي الحس في ارواحهم وطبائعهم، انما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال ويصبرون عليه بالامل في الحياة الآخرة. وإلاّ فلولا هذا الايمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والامهات – الذين هم اجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة الى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة – ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجناً مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة الى عذاب أليم قاسٍ.

الدليل الثالث:

ان الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لايهدّئ فورة مشاعرهم، ولايمنعهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب، ولايمنع طيش انفسهم ونزواتها، ولايؤمّن السير الافضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم، فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا الى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز حيث الحُكمُ للغالب، ولحوّلوا الحياة الانسانية السامية الى حياة حيوانية سافلة .

الدليل الرابع:

ان الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الامين. وان بيت كل فرد هو عالَمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة

والرحمة التي تصل الى حد التضحية والايثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلاّ بالايمان بوجود علاقات صداقة أبدية ورفقة دائمة ومعيّة سرمدية في زمن لانهاية له وتحت ظل حياة لاحدود لها، تربطها علاقات أبوةٍ محترمة مرموقة واخوّةٍ خالصة نقية وصداقةٍ وفيّة نزيهة حيث يحدّث الزوج نفسه: «ان زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الابد والحياة الخالدة، فلا ضير إن اصبحت الآن دميمة او عجوزاً، اذ ان لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم اقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحى بكل ما يتطلبه تلك الصداقة الدائمة».. وهكذا يمكن أن يكنّ هذا الرجل حباً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين. والاّ فان صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة او ساعتين ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا اساس لها ولاسند. ولايمكنها ان تعطي الاّ رحمة مجازية، واحتراماً مصطنعاً، وعطفاً حيواني المشاعر، فضلاً عن تدخل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذٍ تلك الجنة الدنيوية الى جحيم لاتطاق.

وهكذا فان نتيجة واحدة للايمان بالحشر من بين مئات النتائج التي تتعلق بحياة الانسان الاجتماعية، وتعود اليها، والتي لها مئات الاوجه والفوائد، اذا ما قيست على تلك الدلائل الاربعة المذكورة آنفاً، يُدرك أن وقوع حقيقة الحشر وتحققها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الانسان السامية وحاجاته الكلية. بل انها اظهر دلالة من حاجة المعدة الى الاطعمة والاغذية، وأوضح شهادةً منها. ويمكن ان يقدر مدى تحققها تحققاً أعمق واكثر اذا ما سلبت الانسانية من هذه الحقيقة، الحشر. حيث تصبح ماهيتها التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم.

فليصغ الى هذا علماء الاجتماع والسياسة والاخلاق من المعنيين بشؤون الانسان واخلاقه واجتماعه، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملأون هذا الفراغ ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة ؟!.

النقطة الثانية

تبين هذه النقطة بايجاز شديد برهاناً واحداً – من بين البراهين التي لاحصر لها – على حقيقة الحشر وهو ناشئ من خلاصة شهادة سائر الاركان الايمانية. وعلى النحو الآتي:

ان جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد ﷺ مع جميع دلائل نبوته، وجميع البراهين الدالة على صدقه، تشهد بمجموعها معاً، على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها. لأن دعوته ﷺ طوال حياته المباركة قد انصبّت – بعد التوحيد – على الحشر. وأن جميع معجزاته وحججه التي تدل على صدق الانبياء عليهم السلام وتحمل الآخرين على تصديقهم تشهد على الحقيقة نفسها، وهي الحشر. وكذا شهادة «الكتب المنزلة» التي رقّت الشهادة الصادرة من «الرسل الكرام» الى درجة البداهة ووضحتها، تشهدان على الحقيقة نفسها. وعلى النحو الآتي:

ففي المقدمة القرآن الكريم – ذو البيان المعجز – يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه – التي تثبت أحقيّته – على حدوث الحشر ويثبته، حيث أن ثُلث القرآن تقريباً، وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية دالة على الحشر. أي أن القرآن الكريم ينبئ عن الحقيقة نفسها بآلاف من آياته الكريمة صراحة او إشارةً ويثبتها بوضوح، ويظهرها بجلاء. فمثلاً: –

﴿ اذا الشمسُ كُوِّرتْ ﴾(التكوير: ١)

﴿ يا أيها الناسُ اتقوا ربّكم ان زَلزَلةَ السّاعَةِ شئ عظيم ﴾ (الحج: ١)

﴿ اذا زلزلت الارضُ زلزالها ﴾(الزلزلة: ١)

﴿ اذا السّماءُ انفطَرت ﴾ (الانفطار: ١)

﴿ اذا السّماءُ انشقتْ ﴾ (الانشقاق: ١)

﴿ عمّ يتساءلون ﴾ (النبأ: ١)

﴿ هلْ أتاكَ حديثُ الغاشية ﴾ (الغاشية: ١)

فيثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها في مفتتح ما يقارب أربعين سورة ان الحشر لاريب فيه، وأنه حَدثٌ في غاية الاهمية في الكون، وان حدوثه ضروري جداً ولابد منه، ويبين بالآيات الاخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة.

فيا ترى ان كتاباً تثمر اشارةٌ واحدةٌ لآيةٍ من آياته تلك الحقائق العلمية والكونية المعروفة بالعلوم الاسلامية، فكيف بشهادة آلاف من آياته ودلائله التي تبين الايمان بالحشر كالشمس ساطعة ؟ ألا يكون الجحود بهذا الايمان كانكار الشمس بل كانكار الكون قاطبة ؟! ألا يكون ذلك باطلاً ومحالاً في مائة محال ؟!

تُرى هل يمكن ان يوصَم آلاف الوعد والوعيد لكلام سلطان عزيزٍ عظيم بالكذب أو انها بلا حقيقة، في حين يخوض الجيش غمار الحرب لئلا تُكذَّب اشارةٌ صادرة من سلطان.

فكيف السلطان المعنوي العظيم الذي دام حكمه وهيمنته ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع، فربّى ما لاتعد من الارواح والعقول والقلوب والنفوس، وزكّاها وأدارها على الحق والحقيقة، ألا تكفي اشارة واحدة منه لاثبات حقيقة الحشر ؟ علماً أن فيه آلاف الصراحة الواضحة المثبتة ! أليس الذي لا يدرك هذه الحقيقة الواضحة احمق جاهلاً ؟ ألا يكون من العدالة المحضة ان تكون النار مثواه ؟

ثم ان الصحف السماوية والكتب المقدسة جميعها التي حكمت كلٌ منها لفترة من العصور والازمنة، قد صدّقت بآلاف من الدلائل دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر — مع ان بيانها لها مختصر وموجز، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها — تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها، وهيمن على المستقبل كله، بيّنها بجلاء وافاض في ايضاحها.

* * *

يُدرج هنا نص ما جاء في آخر رسالة (المناجاة) — انسجاماً مع البحث — تلك الحجة القاطعة الملخِّصة للحشر، والناشئة من شهادة سائر الاركان الايمانية ودلائلها على الايمان باليوم الآخر، ولاسيما الايمان بالرسل والكتب، والتي تبدد الاوهام والشكوك، حيث جاءت باسلوب موجز، وعلى صورة مناجاة.

« ياربي الرحيم.. لقد أدركت بتعليم الرسول ﷺ وفهمتُ من تدريس القرآن الحكيم: ان الكتب المقدسة جميعها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، والانبياء عليهم السلام جميعهم، وفي مقدمتهم الرسول الاكرم ﷺ، يدلّون ويشهدون ويشيرون بالاجماع والاتفاق الى ان تجليات الاسماء الحسنى ذات الجلال والجمال، الظاهرة آثارها في هذه الدنيا، وفي العوالم كافة، ستدوم دواماً أسطعَ وأبهرَ في أبد الآباد.. وان تجلياتها ذات الرحمة وآلاءها المشاهدة نماذجها في هذا العالم الفاني، ستثمر بأبهى نور وأعظم تألق، وستبقى دوماً في دار السعادة.. وأن اولئك المشتاقين الذين يتملّونها – في هذه الحياة الدنيا القصيرة – بلهفةٍ وشوق سيرافقونها بالمحبة والودّ، ويصحبونها الى الابد، ويظلون معها خالدين.. وانّ جميع الانبياء وهم ذوو الارواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الاكرم ﷺ، وجميع الاولياء وهم اقطاب ذوي القلوب المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيّرة... كل اولئك يؤمنون ايماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه، ويبشرون البشرية بالسعادة الابدية، وينذرون اهل الضلالة بأن مصيرهم النار، ويبشرون اهل الهداية بأن عاقبتهم الجنة، مستندين الى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة، والى ما ذكرته – ياربي – مراراً وتكراراً في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد.. ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك، وشؤونك الجليلة، وصفاتك المقدسة التي تقتضي الحشر كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال، وبناءً على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة التي تنبئ عن آثار الآخرة ورشحاتها. وبناءً على ايمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين.

فيا قدير وياحكيم ويارحمن ويارحيم وياصادق الوعد الكريم، وياذا العزة والعظمة والجلال وياقهار ياذا الجلال. انت مقدّسٌ ومنزّهٌ، وانت متعال عن ان تُوصَم بالكذب كل اوليائك وكل وعودك وصفاتك الجليلة وشؤونك المقدسة.. فتكذّبهم، او تحجب ما تقتضيه قطعاً سلطان ربوبيتك بعدم استجابتك لتلك الادعية الصادرة من عبادك الصالحين الذين احببتهم وأحبّوكَ، وحببوا انفسهم اليك بالايمان والتصديق والطاعة، فأنت منزّه ومتعال مطلق من أن تصدّق أهل الضلالة والكفر في انكارهم الحشر، اولئك الذين يتجاوزون على عظمتك وكبريائك بكفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لك ولوعودك، والذين يستخفّون بعزة جلالك وعظمة ألوهيتك ورأفة ربوبيتك.

فنحن نقدس بلا حد ولا نهاية عدالتَك وجمالك المطلقين ورحمتك الواسعة وننزهها من هذا الظلم والقبح غير المتناهي. ونعتقد ونؤمن بكل ما أُوتينا من قوة بأن الالآف من الرسل الكرام، وبما لايعدّ ولايحصى من الانبياء والاصفياء والاولياء الذين هم المنادون اليك هم شاهدون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين على خزائن رحمتك الاخروية وكنوز احساناتك في عالم البقاء، وتجليات اسمائك الحسنى التي تنكشف كلياً في دار السعادة . ونؤمن ان هذه الشهادة حق وحقيقة، وان اشاراتهم صدق وواقع، وان بشاراتهم صادقة وواقعة.. فهؤلاء جميعاً يؤمنون بأن هذه الحقيقة الكبرى – اي الحشر – شعاع عظيم من اسم «الحق» الذي هو مرجع جميع الحقائق وشمسها، فيرشدون عبادك باذن منك ضمن دائرة الحق، ويعلمونهم بعين الحقيقة.

فياربي ! بحق دروس هؤلاء، وبحرمة ارشاداتهم، آتنا ايماناً كاملاً وارزقنا حسن الخاتمة، لنا ولطلاب النور، واجعلنا أهلاً لشفاعتهم.. آمين».

* * *

وهكذا فكما ان الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية، وان المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الانبياء جميعهم، تثبت بدورها اهم ما يدعون اليه، وهو تحقق الآخرة وتدل عليها. كذلك فان اغلب الادلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والالوهية واعظم مظهر لهما، وهي شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح ابوابها – كما سيُبين في المقامات الآتية – لأن وجوده سبحانه وتعالى، وصفاته الجليلة، واغلب اسمائه الحسنى، وشؤونه الحكيمة، واوصافه المقدسة – امثال الربوبية والالوهية والرحمة والعناية والحكمة والعدالة – تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها، بل تستلزم وجود عالم البقاء بدرجة الوجوب وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب بدرجة الضرورة ايضاً.

نعم، ما دام الله موجوداً، وهو واحدٌ أحدٌ أزلي أبدي، فلابد ان محور سلطان الوهيته ـ وهو الآخرة ـ موجود ايضاً.. وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات ولاسيما في الاحياء، وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة

واضحة، فلابد أن هناك سعادة ابدية تنفي عن الربوبية المطلقة اي ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب، وتبرئ الحكمة من العبث، وتصون الرأفة من الغدر. اي أن تلك الدار موجودة قطعاً ولابد من الدخول فيها.

وما دامت هذه الانواع من الإنعام والاحسان واللطف والكرم والعناية والرحمة مشاهدة وظاهرة امام العقول التي لم تنطفئ وامام القلوب التي لم تمت وتدلنا على وجود رب رحمن رحيم وراء الحجاب، فلابد من حياة باقية خالدة، لتنقذ الانعام من الاستهزاء اي يأخذ الانعام مداه، وتصون الاحسان من الخداع ليستوفي حقيقته، وتنقذ العناية من العبث لتستكمل تحققها، وتنجي الرحمة من النقمة فيتم وجوهها، وتبرئ اللطف والكرم من الاهانة، ليفيضا على العباد. نعم، ان الذي يجعل الاحسان احساناً حقاً، والنعمة نعمةً حقاً، هو وجود حياةٍ باقية خالدة في عالم البقاء والخلود.. نعم، لابد ان يتحقق هذا.

وما دام قلم القدرة الذي يكتب في فصل الربيع وفي صحيفة ضيقة صغيرة، مائة ألف كتاب، كتابةً متداخلة دون خطأ ولانصب ولاتعب، كما هو واضح جليٌّ امام اعيننا. وان صاحب ذلك القلم قد تعهد ووعد مائة ألف مرة لأكتبنّ كتاباً اسهل من كتاب الربيع المكتوب امامكم، ولأكتبنّه كتابة خالدة، في مكان اوسعَ وارحبَ وأجملَ من هذا المكان الضيق المختلط المتداخل.. فهو كتاب لايفنى ابداً، ولأجعلنكم تقرأونه بحيرة واعجاب!. وانه سبحانه يذكر ذلك الكتاب في جميع اوامره، فان اصول ذلك الكتاب اذن قد كُتبت بلاريب، وستُكتب حواشيه وهوامشه بالحشر والنشور، وستدوّن فيه صحائف اعمال الجميع.

ومادامت هذه الارض قد اصبحت ذات اهمية عظمى من حيث احتوائها على كثرة المخلوقات، ومئات الالوف من انواع ذوي الحياة والارواح المختلفة المتبدلة، حتى صارت قلب الكون وخلاصته ومركزه وزبدته ونتيجته وسبب خلقه. فذُكرت دائماً صنواً للسموات كما في ﴿**رب السموات والارض**﴾ في جميع الاوامر السماوية.. ومادام ابن آدم يحكم في شتى جهات هذه الارض – التي لها هذه الماهيات والخواص – ويتصرف في اغلب مخلوقاتها مسخّراً اكثر الاحياء له، جاعلاً اكثر المصنوعات تحوم حوله وفق مقاييسه وهواه، وحسب حاجاته الفطرية، وينظمها،

ويعرضها ويزينها، وينسق الانواع العجيبة منها في كل مكان بحيث لايلفت نظر الانس والجن وحدهم، بل يلفت ايضاً نظر اهل السموات والكون قاطبة، بل حتى نظر الاستحسان من مالك الكون، فنال الاعجاب والتقدير والاستحسان، واصبحت له – من هذه الجهة – اهمية عظيمة، وقيمة عالية، فاظهر بما أوتي من علم ومهارة انه هو المقصود من حكمة خلق الكائنات، وانه هو نتيجتها العظمى، وثمرتها النفيسة، ولاغرو فهو خليفة الارض.. ولكن لكونه يعرض الصنائع البديعة للخالق سبحانه، وينظّمها بشكل جميل جذاب في هذه الدنيا، فقد أُجل عذاب عصيانه وكفره، وسُمح له العيش في الدنيا وأُمهل ليقوم بهذه المهمة بنجاح.

ومادام لابن آدم – الذي له هذه الماهية والمزايا خلقةً وطبعاً، وله حاجات لاتُحدّ مع ضعفه الشديد، وآلام لاتُعدّ مع عجزه الكامل – ربٌ قدير، له من القدرة والرأفة المطلقة ما يجعل هذه الارض الهائلة العظيمة مخزناً عظيماً لأنواع المعادن التي يحتاجها الانسان، ومستودعاً لأنواع الاطعمة الضرورية له، وحانوتاً للأموال المختلفة التي يرغبها، وانه سبحانه ينظر اليه بعين العناية والرأفة ويربيه ويزوده بما يريد..

ومادام الرب سبحانه – كما في هذه الحقيقة – يحبّ الانسان، ويحبّب نفسه اليه، وهو باقٍ، وله عوالم باقية، ويجري الامور وفق عدالته، ويعمل كل شئ وفق حكمته، وان عظمة سلطان هذا الخالق الازلي وسرمدية حاكميته لاتحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولايكفيهما عمر الانسان القصير جداً، ولاعمر هذه الارض المؤقتة الفانية. حيث يظل الانسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم والعصيان، وما يقترفه من انكار وكفر وعصيان تجاه مولاه الذي انعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي النظام المنسق للكون، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها، ويخالف جماله وحُسنه، اذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش. فلاشك ان ماهية تلك العدالة المطلقة – التي يشاهد آثارها في الكائنات – لاتقبل أبداً، ولاترضى مطلقاً، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يساوون معاً امام الموت.

ومادام مالك الملك قد اختار الارض من الكون، واختار الانسان من الارض، ووهب له مكانة سامية، وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الانبياء والاولياء والاصفياء

من بين الناس، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية، وحببّوا انفسهم اليه بالايمان والتسليم، وجعلهم اولياءه المحبوبين المخاطبين له، واكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الاعمال وأدّب اعداءهم بالصفعات السماوية. واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامَهم ورمزَ فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد ﷺ. فنوّر بنوره نصف الكرة الارضية ذات الاهمية، وخُمس البشرية ذوي الاهمية، طوال قرون عدة، حتى كأن الكائنات قد خُلقت لأجله، لبروز غاياتها جميعاً به، وظهورها بالدين الذي بُعث به، وانجلائها بالقرآن الذي أُنزل عليه. فبينما يستحق أن يكافأ ثمن خدماته الجليلة غير المحدودة بعُمرٍ مديد غير محدود وهو اهل له، إلا أنه قضى عمراً وهو ثلاث وستون سنة في مجاهدة ونصب وتعب ! فهل يمكن، وهل يعقل مطلقاً، وهل هناك اي احتمال ألاّ يُبعث هو وامثاله وأحباؤه معاً ؟! وألاّ يكون الآن حياً بروحه ؟! وان يفنى نهائياً ويصير الى العدم ؟ كلا.. ثم كلا.. وحاشاه ألف ألف مرة.

نعم، ان الكون وجميع حقائق العالم يدعو الى بعثه ويريده ويطلب من صاحب الكون حياته.. ولقد بيّنت رسالة «الآية الكبرى» وهي الشعاع السابع واثبتت بثلاثة وثلاثين اجماعاً عظيماً، كل منه يعتبر كالجبل الأشم في قوة حجّته، بأن هذا الكون لم يصدر إلاّ من يد واحدٍ أحد، وليس ملكاً إلاّ لواحدٍ أحد. فاظهرت التوحيد — بتلك البراهين والمراتب بداهةً — انه محور الكمال الإلهي وقطبه. وبيّنت أنه بالوحدة والأحدية يتحول جميعُ الكون بمثابة جنودٍ مستنفرين لذلك الواحد الاحد، وموظفين مسخّرين له. وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته وتصان من السقوط، وتسود عدالته المطلقة وتنجو من الظلم، وتُنزّه حكمته العامة وتبرأ من العبث والسفاهة، وتأخذ رحمته الواسعة مداها وتُنقذ من التعذيب المشين، وتبدو عزته وقدرته المطلقتان وتنقّذان من العجز الذليل، وتتقدس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزهةً جليلة.

فلابد ولاريب مطلقاً ان القيامة ستقوم، وان الحشر والنشور سيحدث، وان أبواب دار الثواب والعقاب ستُفتح، بمقتضى ما في حقائق هذه الفقرات الستة المذكورة المبتدئة بـ«مادام» التي هي مسألة دقيقة ونكتة ذات مغزى لطيف من بين مئات النكات الدقيقة للايمان بالله وذلك: كي تتحقق اهمية الارض ومركزيتها، واهمية

الانسانيـة ومكانتها.. ولكي تتقـرر العدالةُ والحكمة والرحمـة والسلطنة لخالق الارض والانسـان وربهمـا.. ولـكي ينجو الاوليـاء والاحبّاء الحـقيـقيون والمشتاقـون الى الرب البـاقي من الفناء والاعــدام الابدي.. ولكي يرى أعظـمُهم وأحـبّهم وأعـزّهم ثواب عمله، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضى دائمين.. ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتـقصير، وتتنزّه قدرته من العجز، وتبرأ حكمتُه من السفاهة، وتتعالى عدالته عن الظلم.

والخلاصة: مادام الله جل جلاله موجوداً فان الآخرة لاريب فيها مطلقاً.

* * *

وكـما تثبت الاركان الايمانيـة الثـلاثة – المذكورة آنفـاً – الحـشر بجـميع دلائلهـا وتشهد عليه. كذلك يستلزم الركنان الايمانيـان «وبملئكته، وبالقدر خيره وشره من الله تعالـى» ايضاً الحشـر، ويشهـدان شهـادة قوية على العـالم الباقي ويدلان عليـه، على النحو الآتي:

ان جـمـيع الدلائل والمشـاهدات والمكالمات الدالة على وجـود الملائكة ووظائف عبـوديتهم، هي بدورها دلائل على وجـود عالم الارواح وعالم الغـيب، وعالم البـقاء وعالم الاخرة، ودار السعادة والجنة والنار اللـتين ستعمران بالجن والانس، لان الملائكة يمكنهم – بإذن إلهي – ان يـشاهدوا هذه العـوالم ويدخلوها. لذا فـالملائكة المقـربون يخـبرون بالاتفـاق – كجـبريل عليـه السلام الذي قـابل البشـر – بوجود تلك العـوالم المذكورة وتجوالهم فيها. فكما اننا نعلم بديهة وجود قارة امريكا التي لم نرها من كلام القـادمين منها، كـذلك يكون الايمان بديهـة بما اخـبرت به الملائـكة – وهو بقوة مـائة تواتر – عن وجود عالم البقاء ودار الآخرة والجنة والنار.. وهكذا نؤمن ونصدق.

* * *

وكذلك الدلائل التي تثبت «الايمان بالقدر» – كمـا جاءت في «الكلمة السادسة والعشرين» – هي بدورها دلائل على الحشر، ونشـر الصحف، وموازنة الاعمال عند الميزان الاكـبر، ذلك لأن مـانراه امـام اعيننا من تدوين مقـدّرات كل شئ على ألواح النظام والميزان، وكـتابة الاحداث الحـياتية ووقـائعهـا لكل ذي حياة في قـواه الحافظة،

وفي حبوبه ونواه، وفي سائر الالواح المثالية. وتثبيت دفاتر الاعمال لكل ذي روح ولاسيما الانسان واقرارها في ألواح محفوظة.. كل هذا القدر من القَدَر ذي الاحاطة التامة، ومن التقدير ذي الحكمة، ومن التدوين ذي الدقة المتناهية، ومن الكتابة ذات الحفظ والامانة، لايمكن أن يكون الاّ لأجل محكمة كبرى، ولنيل ثواب وعقاب دائمين. والاّ فلا يبقى مغزى اطلاقاً، ولافائدة أبداً، لذلك التدوين المحيط، والكتابة التي تسجل وتحفظ أدق الامور. فيقع اذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة. اي إنْ لم يحدث الحشر فان جميع المعاني الحقة لكتاب الكون التي كتبت بقلم القَدر سوف تمسخ وتفسد ! وهذا لايمكن ان يكون مطلقاً، وليس له احتمال قط، بل هو محال في محال. كانكار هذه الكائنات، بل هو هذيان ليس إلاّ.

نحصل مما تقدم:

ان جميع دلائل اركان الايمان الخمسة هي بدورها دلائل على الحشر ووجوده، وعلى النشور وحدوثه، وعلى وجود الدار الآخرة وانفتاح ابوابها. بل تستدعيه وتشهد عليه، لذا فانه من الوفاق الكامل والانسجام التام ان يبحث ثلث القرآن الكريم المعجز البيان بكامله عن الحشر لما له من الاسس والبراهين التي لاتتزعزع، ويجعله أساساً وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الاساس.

(انتهت المقدمة)

* * *

الشعاع العاشر

عبارة عن رسالة «الفهرس» اعتباراً من اللمعة الخامسة عشرة. نظّمه طلاب النور الاوائل، وادرج كلٌّ فى موضعه من المجموعات.

الشعاع الحادي عشر

ثمرة
من ثمار سجن دنيزلي

هذه الرسالة:

○ دفاع الايمان ترفعه «رسائل النور» لصد الزندقة والكفر المطلق، فليس لنا دفاع حقيقي عن قضيتنا – في سجننا هذا – الاّ هذا الدفاع، فنحن لانسعى الاّ للايمان.

○ وهي خاطرة ثمرة أثمرها سجن «دنيزلي» في يومين من ايام الجمع المباركة.

سعيد النورسي

رسالة الثمرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلَبِثَ في السجن بضع سِنِينَ﴾(يوسف: ٤٢)

نفهم من اسرار هذه الآية الكريمة ان يوسف عليه السلام هو قدوة المسجونين ورائدهم. فيصبح السجن اذاً نوعاً من « مدرسة يوسفية ». وحيث ان عدداً غفيراً من طلاب النور قد دخلوا هذه المدرسة مرتين، لذا ينبغي لهم ان يتدارسوا ويدرّسوا قسماً من خلاصة المسائل الايمانية التي اثبتتها رسائل النور ولها مساس بالسجن، للاسترشاد بها ولتقويم الاخلاق والسلوك في هذه المدرسة المفتوحة لتلقي التربية. وها نحن اولاء نبيّن بضعاً من تلك الخلاصات.

سعيد النورسي

المسألة الاولى

يمكن تلخيص هذه المسألة التي تم ايضاحها في « الكلمة الرابعة » كما يأتي:

ان رأس مال حياتنا هو هذه الساعات الاربع والعشرون التي يحملها الينا اليوم نعمةً خالصة من نِعَم خالقنا الكريم جل جلاله، لنكسب بكل ساعة من هذه الساعات ما يلزمنا، وما هو ضروري في حياتينا كلتيهما الدنيوية والاخروية.

وما لم نصرف ساعة واحدة – وهي كافية لاداء الصلوات المفروضة – لحياتنا الاخروية الخالدة، بينما نصرف ثلاثاً وعشرين ساعة في سبيل هذه الحياة الدنيا

القصيرة، نكون قد ارتكبنا خطأً جسيماً لايستصوبه عقل سليم. فلا جرم اننا نعاني نتيجة هذا الخطأ الفادح غلظة القلب وقسوته، وانقباض الروح وظلمتها، المؤدية بمجموعها الى تعكير صفو الاخلاق، وتلوث نقاوة الروح.. وفوق هذا تمضي حياتنا رتيبة مملّة يائسة خاوية المعنى. فيصيبنا الضجر، فلا نكاد نفيد من دروس هذه المدرسة اليوسفية، ومن محنة الامتحان والابتلاء ما يربينا ويرقى بنا، فنخسر بهذا خسراناً مبيناً.

اما اذا صرفنا ساعة واحدة في اداء الصلوات الخمس، فكل ساعة من ساعات الابتلاء واوقات المحن تتحول الى يوم من العبادة، فكأن الساعات الفانية قد اكتسبت – ببركة هذه الساعة – صفة الخلود، واصبحت في حكم ساعات أبدية باقية.. فتنزاح عن القلب سحب اليأس ويتبدد عن الروح ظلام القنوط.. وتصبح هذه الساعة من العبادة كفّارة لبعض ما ارتُكب من اخطاء وذنوب، ربما كانت السبب في الدخول الى السجن.. وبذلك نكتشف حكمة ابتلائنا بالسجن ويغدو السجن مدرسة نتلقى فيها الدروس النافعة.. ونجد فيه مع اخوتنا في المصيبة والبلاء العزاء والسلوان.

وقد ذكر في «الكلمة الرابعة» ايضاً مثال يبين فداحة الخسارة التي تصيب مَن يلهث وراء حظه من الدنيا ويعزف عن الاخرة وهو:

هناك من يدفع خمساً او عشراً من اربع وعشرين ليرة يملكها في شراء بطاقة قمار اليانصيب – ربما يكون احتمال الفوز بها واحداً من ألف لوجود الف من المشتركين معه – بينما لايصرف واحداً من اربع وعشرين ساعة يملكها في شراء بطاقة تربّحه كنزاً خالداً اخروياً. علماً ان احتمال الفوز بها – للمؤمنين الذين ختمت اعمالهم بالحسنى – هو بيقين تسع وتسعين وتسعمائة من ألف. كما اكد ذلك جميع الانبياء والرسل الكرام عليهم السلام، وصدّقهم كشفاً وتحقيقاً الاولياء والاصفياء الذين لايحصرهم العد.

فهذا الدرس البليغ – من رسائل النور – ينبغي ان يرتاح اليه مسؤولو السجن وكل مَن يعنيه امر البلاد وشؤونها. لانه قد ثبت بالتجربة ان ادارة ألف من المؤمنين المشفقين من عذاب سجن جهنم والمستجيرين بالله منها، هي اسهل بكثير من ادارة عشرة من تاركي الصلاة، ومن فاسدي العقيدة والاخلاق، الذين لايرتدعون الا بعقاب الدنيا وسجنها ولا يميزون الحلال عن الحرام.

خلاصة المسألة الثانية

مثلما بينت رسالة « مرشد الشباب » ووضحتها ايضاحاً جميلاً من أن الموت لامفرّ منه ابداً، بل ان مجيئه أيقن من مجئ الليل لهذا النهار، ومن تعاقب الشتاء لهذا الخريف. وكما ان هذا السجن مضيف مؤقت لايكاد يفرغ حتى يملأ من جديد، فالدنيا كذلك كالفندق، وكمنزل حل وترحال مقام على طريق القوافل المسرعة.

فالموت الذي يفرغ كل مدينة من سكانها مائة مرة، ويدفع بهم الى المقابر لابد أنه يطلب شيئاً اكثر من هذه الحياة الفانية واعظم رفعة منها.

ولقد حلّت « رسائل النور » لغز هذه الحقيقة المدهشة، وكشفتها، وخلاصتها هي:

مادام الموت لايُقتل، وباب القبر لايُغلق، فان اعظم ما سيشغل بال الانسان ويشكل اكبر معضلة له هو النجاة من يد جلاد الموت هذا والخلاص من سجن القبر المنفرد.

ولقد اثبتت رسائل النور اثباتاً جازماً – بفيض من نور القرآن الكريم – ان لهذه المعضلة علاجاً وخلاصته هي:

أن الموت إما هو اعدام ابدي، وفناء تام يصيب المرء واحبته، وذوي قرباه جميعاً، او هو تسريح من العمل للذهاب الى عالم آخر أفضل، وجواز سفر للدخول الى قصور السعادة بشهادة الايمان ووثيقته.

أما القبر فهو اما سجن انفرادي مظلم وبئر سحيق، او هو باب الى روضات خالدة ومضيف منوّر بعد السراح من سجن الدنيا.

وقد اثبتت رسالة « مرشد الشباب » هذه الحقيقة بمثال وهو:

نصبت في فناء هذا السجن اعواد مشانق تستند على جدار، خلفه دائرة عظيمة تمنح جوائز سخية يشترك فيها الناس كلهم. ونحن المساجين الخمسمائة ننتظر دورنا، لنُدعى الى ذلك الميدان، فسندعى اليه فرداً فرداً شئنا أم ابينا، فلا نجاة! فإما أنه سيُقال لكل منا: « تعال تسلّم أمر اعدامك واصعد المشنقة ». او: « تسلم امر السجن

الانفرادي الابدي وادخله من هذا الباب المفتوح». او يقال: «بشراك ! فقد فزت ببطاقة تربّحك ملايين الليرات الذهبية، هيا خذها».

فها نحن اولاء نشاهد اعلانات هذه الدعوة منتشرة هنا وهناك ونرى اناساً يصعدون المشانق بالتعاقب ومنهم مَن يتدلى، ومنهم مَن يتخذها درجاً وسلماً للبلوغ الى دائرة الجوائز الواقعة خلفها، وقد اصبحنا على يقين جازم بما يدور في تلك الدائرة – كأننا نراه رأي العين – استنادا الى ما يرويه كبار موظفي تلك الدائرة من روايات صادقة لاتقبل الشك.

دخلت سجننا – في هذه الاثناء – طائفتان، تحمل احداهما آلات الطرب وقناني الخمر مع حلويات، ظاهرها العسل وباطنها السموم، دسّتها شياطين الانس، وهم يقدمونها الينا ويرغّبوننا في تناولها. اما الجماعة الثانية ففي ايديهم كتب تربوية ومنشورات اخلاقية مع مأكولات طيبة ومشروبات مباركة، يقدمونها هدايا لنا، ويذكرون لنا بالاتفاق والاطمئنان الكامل واليقين التام:

ان ما تقدمه الطائفة الاولى لكم من مأكولات ما هي الا للامتحان والاختبار، فاذا ما قبلتموها ورضيتم بها فسيكون مصيركم كما هو ماثل امامكم في المشانق، اما اذا رضيتم بهدايانا – التي نقدّمها اليكم باسم حاكم هذه البلاد وبأمره – وتلوتم مافي تلك الكتب من تعليمات واذكار فستنجون من الاعدام وتستلمون بطاقة الجائزة من تلك الدائرة، لتفوزوا بالربح العظيم، هدية من السلطان وكرماً منه وفضلاً. صدّقوا بما نقوله لكم واعتقدوا به اعتقاداً راسخاً كأنكم ترونه في وضح النهار.. ولكن حذار من تلك الحلوى المعسلة – المحرّمة او المريبة – فلو اكلتم منها تلوّثت بطونكم بمغص شديد من أثر السموم، فتقاسون منها الالآم لحين صعودكم المشانق.

وهكذا على غرار هذا المثال، سيَهب القدر الإلهي للمؤمنين الذين قضوا حياتهم بالطاعة، وختمت اعمالهم بالحسنى خزائن أبدية لاتنضب بعد أن ينتهي أجلهم في الدنيا. أما اولئك المتمادون في الضلالة والفسق من دون ان يثوبوا الى ربهم فسيُعدمون اعداماً نهائياً – لمن لايؤمن بالآخرة – او يزجوّن في سجن انفرادي مظلم ابدي لمن يتمادى في غيّه وسفهه مع ايمانه ببقاء الروح، فهؤلاء يتسلمون قرار شقائهم

الابدي بيقين يبلغ تسعاً وتسعين بالمائة. نعم يخبر بهذا الخبر الصادق مائة واربعة وعشرون الفا من الانبياء عليهم السلام[١]، وبين ايديهم معجزات تصدقهم، ويخبر اكثر من مائة واربعة وعشرين مليوناً من الاولياء (قدس الله اسرارهم) المقتفين آثار الانبياء والمصدقين بما أُخبروا به كشفا وذوقا، ويخبر به كذلك مَن لايحصيهم العدّ من العلماء المحققين[٢] والمجتهدين والصديقين الذين اثبتوا دعواهم وتصديقهم عقلاً وفكراً بالبراهين الدامغة والحجج القاطعة، فأخبروا يقينا ما أخبر به اولئك الافذاذ من تلكما الطائفتين. فهؤلاء الطوائف الثلاث العظيمة والجماعات الغفيرة من اهل الحق والحقيقة – وهم روّاد الانسانية وشموس البشرية واقمارها – يخبرون جميعا بتلك الحقيقة اجماعاً وتواتراً.. فياخسارة من لايهتم بأوامرهم، ولايسلك الصراط السوي المؤدي الى السعادة الابدية بارشاداتهم، ولايكترث بمصيره المؤلم – وهو بيقين يبلغ تسعا وتسعين بالمائة – في حين أنه لايسلك طريقا فيه احتمال واحد من الخطورة، واستنادا على قول مخبر واحد، بل يستبدل به طريقا آخر ولو كان أطول..

فهؤلاء أشبه بسكير او معتوه شقي يلتهي بلسع الذباب عن انقضاض وحوش كاسرة عليه، اذ قد فَقَد عقله، واضاع قلبه، وافسد روحه، ودمّر انسانيته؛ لانه رغم التبليغات الصادقة الصادرة من اولئك المخبرين الذين لايحصرهم العدّ فقد ترك الطريق الاقصر والاسهل المؤدي الى الفوز المحقق بالجنة والسعادة الابدية، واختار طريقاً اطول منه وأوعر واضيق، والذي يؤدي به الى سجن جهنم والشقاء الابدي حتما.

بينما الانسان – كما قلنا – لايلج طريقا قصيراً في الدنيا فيه احتمال واحد بالمائة من الخطورة، او فيه سجن شهر واحد وبناء على كلام مخبر واحد، وقد يكون كاذباً. بل يفضل عليه طريقا اخر ولو كان طويلا، او من دون نفع، وذلك لمجرد خلوه من الضرر.

(١) قال ابوذر: (قلت: يارسول اللّه كم وفاء عدة الانبياء ؟ قال: مائة الف واربعة وعشرون الفا، الرسل من دلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً) رواه الامام احمد (مشكاة المصابيح ٣/١٢٢ت ٥٧٣٧ قال المحقق: حديث صحيح). وانظر زاد المعاد تحقيق الارناؤوط (١/٤٣ – ٤٤).

(٢) ان احد اولئك العلماء المحققين هو: رسائل النور التي ألجمت أعتى الفلاسفة الماديين، وافحمت اشد الزنادقة تمرداً، طوال العشرين سنة التي خلت، وماتزال قائمة على قدم وساق في ميدان التحدي والمبارزة، وهي في متناول الجميع، فبوسع اي واحد قراءتها دون تفنيدها. – المؤلف.

فما دامت حقيقة الامر هذه، فينبغي لنا نحن معاشر المبتلين بالسجن ان نقبل بكل رضى وسرور هدايا الطائفة الثانية لنأخذ ثأرنا كاملا من مصيبة السجن؛ اذ كما ان لذة دقيقة في الانتقام، ومتعة بضع دقائق، او ساعات في السفاهة قد زجت بنا الى السجن، فيقضي فيه بعضنا خمس عشرة سنة، والبعض الآخر عشر سنوات، وآخرون خمس سنوات، او سنة او سنتين او ثلاثاً من الاحكام.. فعلينا اذن – وانف السجن راغم – ان نحوّل بقبولنا هدايا القافلة الثانية، هذه الساعات القليلة الى ايام من العبادة مثلها، ونحوّل سنتين او ثلاثاً من عقابنا الى عشرين وثلاثين سنة من العمر الخالدة. ونبدل بعشرين سنة او ثلاثين سنة من مكوثنا في السجن ملايين السنوات الخالدة فتكون الاحكام الصادرة علينا وسيلة نجاة من سجن جهنم. وحينها تبتسم حياتنا الاخرى وتسر إزاء بكاء دنيانا وحزنها. ونكون بذلك قد اخذنا ثأرنا كاملا من تلك المحنة واظهرنا حقا ان السجن مدرسة تربوية لتقويم الاخلاق.

فليشاهد مسؤولو السجن ومن يتولون امره، أن من ظنوهم مجرمين قتلة، وحسبوهم سفهاء مخلين بالنظام، قد اصبحوا طلاب مدرسة تربوية مباركة يتعلمون فيها الادب الجميل والخلق القويم وغدوا أعضاء نافعين للبلاد والعباد.. فليشكروا ربهم اجزل شكر

* * *

المسألة الثالثة

وهي حادثة ذات عبرة، سبق ذكرها في «مرشد الشباب» مفصلاً وخلاصتها هي:

كنت في احد ايام عيد الجمهورية جالسا امام شباك سجن «اسكي شهر» الذي يطل على مدرسة اعدادية للبنات.. وكانت طالباتها اليافعات يلعبن ويرقصن في ساحة المدرسة وفنائها ببهجة وسرور، فتراءت لي فجأة على شاشة معنوية ما يؤول اليه حالهن بعد خمسين سنة: فرأيت: أن نحواً من خمسين من مجموع ما يقارب الستين طالبة يتحولن الى تراب ويعذبن في القبر. وان عشرة منهن قد تحولن الى عجائز دميمات بلغن السبعين والثمانين من العمر، شاهت وجوههن وتشوه حسنهن، يقاسين الآلام من نظرات التقزز والاستهجان من الذين كنّ يتوقعن منهم الاعجاب والحب، حيث لم يصنّ عفتهن ايام شبابهن!.. نعم رأيت هذا بيقين قاطع، فبكيت على حالهن المؤلمة بكاء ساخناً أثار انتباه البعض من زملاء السجن، فاسرعوا اليّ مستفسرين.

فقلت لهم: «دعوني الآن وحالي... انصرفوا عني».

أجل، ان ما رأيته حقيقة وليس بخيال، اذ كما سيؤول هذا الصيف والخريف الى الشتاء، فان ما خلف صيف الشباب ووراء خريف الشيب، شتاء القبر والبرزخ. فلو أمكن اظهار حوادث ما بعد خمسين سنة من المستقبل مثلما يمكن ذلك لحوادث الخمسين سنة الفائتة – بجهاز كجهاز السينما – وعرضت حوادث اهل الضلالة واحوالهم في المستقبل، اذن لتقززوا ولتألموا ولبكوا بكاء مراً على ما يفرحون منه الآن ويتلذذون به من المحرّمات في الوقت الحاضر.

وبينما كنت غارقاً في التأمل، ومنصرفاً الى مشاهد الشاشة المعنوية المعروضة امامي في سجن «اسكي شهر» اذ انتصب امامي شخص معنوي كأنه يمثل الشيطان الأنسي يدعو الى السفاهة، ويروّج للضلالة قائلاً لي:

– نحن نريد ان نستمتع بجميع لذائذ الحياة ونمتع الآخرين بها دعنا وشأننا، واليك عنا.

فأجبته قائلا:

- مادمتَ ترمي بنفسك في أحضان الضلالة والسفاهة حصولا على لذة جزئية وذوق ضئيل متناسياً الموت غير آبه به، اذاً فاعلم:

ان «الماضي» كله - حسب ضلالتك - قد مات واندثر وانتهى الى العدم، فهو مقبرة عظيمة موحشة مرعبة، قد رمّت فيها الجثث وبليت فيها الآثار، لذا ان كانت لك مسكة من عقل أوكنت تملك قلبا ينبض بالحياة فان الآلام المتولدة - بمقتضى ضلالتك - من الموت الابدي، ومن انواع الفراق غير المحدود لأقاربك وأحبابك غير المعدودين تزيل تلك اللذة الجزئية المسكرة التي تتذوقها في فترة قصيرة جدا.

وكما ان الماضي معدوم بالنسبة لك، «فالمستقبل» معدوم لك كذلك. وذلك بسبب انعدام ايمانك، بل هو ساحة موحشة رهيبة مظلمة ميتة.. فما من أحد من الموجودات المسكينة يأتي ويبرز الى الوجود - ماراً بالحاضر - إلاّ ويقبضه جلاد الموت ويقذفه الى العدم، وانت لكونك مرتبطا بتلك العوالم - بحكم عقلك - فان المستقبل يصب على رأسك الملحد مطر السوء من الالام الموجعة والقلق الشديد والاضطرابات العنيفة، حتى يجعل جميع لذائذك الجزئية السفيهة أثراً بعد عين.

ولكن ما ان تنبذ طريق الضلالة وتترك سلوك السفاهة داخلا حظيرة الايمان التحقيقي، مستقيما عليه حتى ترى بنور الايمان:

ان ذلك الماضي السحيق ليس بمعدوم وليس بمقبرة تُبلي كلّ شئ وتفنيه، بل هو عالم نوراني موجود فعلا، الذي ينقلب الى المستقبل، وهو ساحة انتظار الارواح الباقية المترقبة للبعث، دخولاً الى فردوس السعادة الابدية المعدة لهم؛ لذا يذيقك - وانت مازلت في الدنيا - لذة الجنة المعنوية حسب درجة ايمانك. كما ان المستقبل ليس مؤلماً ولامقلقاً وليس محلاً للوحشة ولاواديا مظلماً مخيفاً، بل هو بنور الايمان منازل سعادة ابدية للرحمن الرحيم ذي الجلال والاكرام الذي وسعت رحمته كل شئ واحاط كرمه بكل شئ. فكما فرش سبحانه الربيع والخريف مائدتين مملوئتين بأنواع النعم والمطعومات، فقد بسط سبحانه موائد ضيافته الفاخرة في تلك القصور العوالي وفتح معارض احسانه وآلائه العميمة هناك، والناس يشوقون اليها بل يساقون.

نعم هكذا يراها المؤمن بالشاشة الايمانية - كل حسب درجته - وبوسعه أن يشعر شيئاً من لذائذ ذلك النعيم المقيم.

فاذاً اللذة الحقيقية الصافية التي لايكدرها ألم، انما هي في الايمان، وبالايمان وحده يمكن الفوز بها.

وهناك الوف من الثمرات اللذيذة للايمان في هذه الدنيا، وألوف من الفوائد والنتائج، الا أننا سنبين واحدة منها بمثال:

تصور - ايها الاخ - ان ابنك الوحيد الذي تحبه كثيراً جداً طريح الفراش يعاني من سكرات الموت، وانت تغوص في تفكير يائس مرير وتتألم ألماً موجعا شديدا من فراقه الابدي المؤلم.. تصور - وانت في هذه الحالة اليائسة - اذا بطبيب حاذق كالخضر او لقمان عليهما السلام - يأتي ويسقي الطفل دواء مضادا للسموم، واذا به يفتح عينيه فرحا جذلا ببهجة الحياة.. وقد نجا من قبضة الموت. كم يكون ياترى فرحك وسرورك اللذان يغمرانك؟

كذلك الحال في اولئك الملايين المدفونين في مقبرة الماضي الذين تحبهم - كهذا الطفل - حباً كثيراً وترتبط معهم بوشائج. فبينما هم على وشك ان يبادوا ويفنوا من الوجود في مقبرة الماضي - في نظرك - اذا بحقيقة الايمان تبعث من شباك القلب نوراً - كما فعل لقمان الحكيم مع ذلك الطفل - الى تلك المقبرة الواسعة التي يُظن انها مقر الاعدام. واذا الاموات قيام احياء بذلك النور - في عالم البرزخ - ينادون بلسان الحال:

«لسنا أمواتاً.. ولن نموت ابداً.. وسنلتقي عما قريب».

نعم، مثلما يبعث شفاء الطفل فرحاً وبهجة لاحد لهما بعد اليأس والقنوط، كذلك الامر هنا مما يجعلنا نتيقن أن الايمان - ببثه هذا الفرح والسرور في دنيانا هذه - يثبت ان حقيقته بذرة تحمل من الحيوية ما لو تجسمت لنبتت عليها جنة خاصة لكل مؤمن، ولأصبحت لها شجرة طوبى.

هكذا قلت لذلك الشيطان الانسي العنيد، الا انه انبرى لي قائلاً:

– دعنا نحيا ولو كالحيوان، غافلين عما يدور حولنا من هذه الامور الدقيقة، ولنمض حياتنا بلذة اللهو ونشوة اللعب.

فأجبته: انك لا تقاس بالحيوان، ولن تكون مثله. اذ ليس للحيوان ما يفكّر به من ماض ومستقبل. فلا يجد الحيوان مما مضى ألماً ولا أسفاً ولا يأتيه قلق ولاخوف من المستقبل، لذا يجد لذته كاملة فيشكر خالقه الكريم بل حتى الحيوان المعد للذبح لايحس الاّ بألم السكين وهي تمر على حلقومه، وسرعان مايزول هذا الاحساس، فينجو من ذلك الألم.

فيا للرحمة الإلهية والشفقة الربانية ما اعظمها تجلياً في اخفاء الغيب وستر المصائب والبلايا.. ولاسيما في الحيوانات والبهائم.

ولكن ايها الانسان لقد خرج شئ من ماضيك ومستقبلك من الغيب بحكم ما تحمله من عقل، فانت محروم كليا مما تتنعم به الحيوانات من راحة واطمئنان بانسدال ستار الغيب امامها، فالحسرات والآهات الناشئة مما مضى، وانواع الفراق الأليم والمخاوف الناجمة من المستقبل تزيل لذتك الجزئية وتبيدها وتهوي بك في درجة أدنى بكثير من الحيوان من حيث اللذة. فما دامت الحقيقة هكذا فما عليك اذاً إلاّ ان تتبرأ من عقلك وترميه خارجاً وتعد نفسك حيواناً فتنجو. او تنوّر عقلك بنور الايمان وتنصت الى الصوت العذب للقرآن الكريم فتكون أرقى من الحيوان وارفع، مغتنما لذائذ نقية صافية طاهرة وانت مازلت في هذه الدنيا الفانية.

فألزمته بهذه الحجة ولكنه اعترض قائلا:

– سنعيش في الاقل مثل ملاحدة الاجانب !

فقلت له جوابا: لن تكون حتى مثل اولئك الملاحدة الاجانب، لأنهم ان انكروا نبيا واحدا فانهم يؤمنون بسائر الانبياء، وحتى اذا لم يعرفوا احدا من الانبياء، فقد يكون لهم ايمان بالله، وان لم يكن لهم هذا الايمان ايضا فلربما لهم ما يوصلهم الى الكمال من سجايا حميدة وخصال انسانية.. اما إذا انكر المسلم خاتم النبيين ﷺ وجحد بالدين الذي لادين غيره في الحق والشمول، وفسق عن دائرة هدايته، وحل رقبته منها، فلا يرضى بنبي آخر، بل لايقبل الايمان بالله، لأنه ما عرف سائر الانبياء

ولا اهتدى الى الايمان بالله الا عن طريقه ﷺ وبتبليغه وارشاده وهديه.. لذا لا يبقى في قلبه شئ من اولئك دون الايمان به ﷺ ومن هنا كان الناس من سائر الاديان منذ زمن سحيق يدخلون دين الاسلام افواجاً، بينما لم يحدث ان اصبح مسلم واحد قط يهوديا حقيقيا ولا مجوسيا ولا نصرانيا، وربما يصبح ملحداً فاسد الاخلاق والسجايا مضراً بالبلاد والعباد.

هكذا اقمت الحجة على ذلك العنيد من انه لايستطيع التشبه حتى بملاحدة الاجانب.. ولمّا لم يجد ما يستند اليه، خَنس وولى الى جهنم وبئس المصير.

فيا زملائي المجتمعين في هذه المدرسة اليوسفية !

مادامت الحقيقة هي هذه ورسائل النور قد نشرت نورها – ولاتزال – منذ عشرين سنة وهي تكسر عناد المتمردين وترغمهم على الايمان، فعلينا اذن التمسك بالايمان والصراط المستقيم السهل النافع السليم لدنيانا ومستقبلنا وآخرتنا وبلادنا وامتنا. وذلك بأن لانقتل اوقاتنا فيما لايعني من ترهات الخيال وسفساف الآمال، بل نحييها بتلاوة ما نعلمه من سور القرآن الكريم آناء الليل واطراف النهار، وبتعلم معانيها من اخواننا العاملين بها، وبقضاء ما فاتنا من الصلوات المكتوبة، وبكسب الاخلاق الحميدة من بعضنا البعض، فلعل الله سبحانه يجعلنا ممن يغرسون في هذا السجن الغراس ويخرج منه اشجاراً مثمرة نافعة. ونسعى جاهدين ليكون مسؤولو السجن أساتذة مرشدين يهيئون في هذه المدرسة اليوسفية رجالا الى الجنة، ومشرفين طيبين يتولون حسن توجيههم، وليسوا زبانية عذاب على جناة قتلة.

* * *

المسألة الرابعة

سألني يوما اخواني الذين يتولون خدمتي قائلين:

– لقد اخذت الحرب العالمية باهتمام الناس وشغلت الكرة الارضية واوقعتها في اضطراب وقلق وهي ذات علاقة بمقدرات العالم الاسلامي، الاّ اننا نراك لاتسأل عنها رغم مرور خمسين يوما على نشوبها – بل سبع سنين (١) – في الوقت الذي نرى متدينين وعلماء يدعون الجامع والجماعة مهرعين الى استماع الراديو. فهل هناك قضية اعظم منها تشغل بالك ؟ أم أن الانشغال بها فيه خسارة وضرر ؟

فأجبتهم: ان رأس مال العمر قليل، ورحلة العمر هنا قصيرة، بينما الواجبات الضرورية والمهمات التي كُلّفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز حول الانسان:

فابتداء من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيت والمحلة والمدينة والبلاد والكرة الارضية والبشرية وانتهاء الى دائرة الاحياء قاطبة والعالم اجمع كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر، فكل انسان له نوع من الوظيفة في كل دائرة من تلك الدوائر. ولكن اعظم الواجبات واهمها، بل ادومها بالنسبة له هي في اصغر تلك الدوائر واقربها اليه، بينما اصغر الواجبات واقلها شأناً ودواماً هي في اعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه. فقياساً على هذا: يمكن ان تتناسب الوظائف والواجبات تناسباً عكسياً مع سعة الدائرة، اي كلما صغرت الدائرة – وقربت – عظمت الوظيفة، وكلما كبرت الدائرة – وبعدت – قلت اهمية الوظيفة.. ولكن لما كانت الدائرة العظمى فاتنة جذابة، فهي تشغل الانسان بامور غير ضرورية له، وتصرف فكره الى اعمال لا تعنيه بشئ، حتى تجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه، فيهدر – عندئذ – راس مال عمره، ويضيّع حياته سدى، زد على ذلك قد يميل قلبه وينحاز الى احدى الجهتين المتخاصمتين لتتبعه بلهفة اخبار الحرب الطاحنة بينهما. فلا يجد في نفسه انكاراً لمظالم تلك الجهة، بل يرتاح اليها، ويكون شريكاً لها في ظلمها.

(١) هذه الجملة المعترضة تعود الى سنة ١٩٤٦م.

اما الجواب عن النقطة الاولىٰ فهو:

ان امام كل انسان – ولاسيما المسلم – مسألة مهمة، وحادثة خطيرة هي اعظم من الصراع الدائر بين الدول الكبرى لاجل السيطرة على الكرة الارضية. تلك المسألة هي من الاهمية والخطورة مالو امتلك الانسان العاقل قوة الالمان والانكليز، وثروتهما معا، لَما تردد في ان يضعها كلها لاجل كسب تلك القضية المبتغاة.

تلك القضية هي التي اعلنها مائة الف من المصطفين الاخيار، ورفع رايتها مالايحد من نجوم البشرية ومرشديها المستندين الى آلاف من مواثيق رب العالمين ومن وعوده وعهوده، بل لقد شاهدها قسم منهم عياناً، تلك القضية قضية مصيرية للانسان وهي:

ان يكسب الانسان بالايمان او يخسر دونه ملكاً عظيماً خالداً ومساكن طيبة في جنات عدن عرضها السموات والارض. فمن لم يفز بشهادة الايمان ولم يرعها حق رعايتها فسوف يضيّع حتما تلك القضية ويخسرها، وذلك هو الخسران المبين.

ولقد ضيّع الكثيرون في عصرنا هذا – ممن ابتلوا بطاعون المادية – قضيتهم هذه، حتى كشف احدهم وهو من اهل العلم والكشف وشاهد: ان افراداً قلائل فقط من كل اربعين شخصاً – في مكان ما – هم الذين نجوا بايمانهم في سكرات الموت وختمت حياتهم بالحسنى، اما الباقون فهلكوا!. ترى لو عُوض احد هؤلاء سلطان الدنيا وملكها وزينتها بديلا عن تلك القضية العظمى، أ فيكون هذا البديل كفواً لما فاته؟ اوَ يسد مسدّه بحال من الاحوال ؟ كلا !

ولهذا فنحن معاشر طلبة النور نعلم يقينا: ان ترك خدمات عظيمة تكسب لنا تلك القضية، واهمال مهمات وكيلها الذي يصونها لتسعين بالمائة، والانشغال عنها بما لايعني من امور خارجية واهتمامات تافهة كأن الدنيا خالدة ما هو الاّ من سخافة العقل وجنونه.

فنحن على يقين تام واطمئنان كامل من هذا، لذا لو ملَكَ احدُنا عقلاً وادراكاً للامور اضعاف اضعاف ما يملكه الآن لبذله كله فيما يلزم تلك القضية وفي سبيلها.

فيا اخوتي الحديثي العهد بمصيبة السجن! انكم لم تطّلعوا بعد على رسائل النور كما اطلع عليها اخواني السابقون الذين دخلوا معنا السجن، فاني اُسمعكم قولا واُشهد عليه اولئك الاخوة جميعاً واُلوفاً من امثالهم، وقد قلته مراراً، واثبته تكراراً:

ان رسائل النور قد اكسبت تسعين بالمائة منهم تلك القضية العظمى، وهي التي سلمت وثيقة الفوز وشهادته – وهي الايمان التحقيقي – لعشرين الفاً من الناس خلال عشرين سنة خلت. فلا غرو فقد نبعت من المعجزة المعنوية للقرآن الكريم واصبحت في مقدمة وكلاء القضية العظيمة والمدافعين عنها في هذا الزمان، فرغم انقضاء ثماني عشرة سنة والاعداء والزنادقة والماديون يحيكون انواعا من الدسائس والمكر الخبيث، ومازالوا يحرضون قسما من الموظفين علينا مستغفلين اياهم في سبيل ابادتنا حتى زجونا في غياهب السجون مثل هذه المرة. الاّ انهم لم يفعلوا شيئا يذكر، ولن يفعلوا باذن الله، ذلك لانهم لم يتمكنوا ان يتعرضوا لقلعة رسائل النور الفولاذية ولا ان يمسوا اعتدتها البالغة مائة وثلاثين عتاداً – رسالة – سوى رسالتين او ثلاث منها.

لذا فمن اراد ان يوكل محامياً يدافع عن قضيته يكفي ان يتحصن بها ويقتبس من نورها.

فيا ايها الاخوة! لاتخافوا، ان رسائل النور لن تُمنع عن الانظار ولن تحجب عن الرؤية. ولاترفع من الاوساط باذن الله اذ يتداول اجزاءها المهمة – ماعدا رسالتين او ثلاثة – نواب البرلمان واركان الدولة بحرية تامة.

وسيأتي ذلك اليوم الذي يوزع فيه الموظفون والمدراء المحظوظون ان شاء الله رسائل النور على المسجونين كما يوزعون عليهم الخبز والعلاج فيحولوا السجون الى مدارس ارشاد وتربية واصلاح.

* * *

المسألة الخامسة

كما فصّل في رسالة «مرشد الشباب»:

ان الشباب ذاهب وآفل، وسيزول لا محالة؛ اذ كما ان الصيف يخلفه الخريف والشتاء، والنهار يعقبه المساء والليل، فالشباب كذلك سيتحول الى مشيب، والى الموت، بمثل هذه الحقيقة المحتمة.

فاذا ما بذل الشاب ما يملك من طاقة مؤقتة في سبيل الخير والصلاح، ضمن دائرة الطهر والعفة والاستقامة، فان الاوامر السماوية كلها تبشره بأنه سيغنم به شباباً باقيا لازوال له، و كما ان غضب دقيقة واحدة، قد يدفع الانسان الى ارتكاب جريمة قتل فيقضي مقاساة ملايين الدقائق من عذاب السجن، كذلك نشوة الشباب وسفاهته، واذواقه العابرة – في غير ما أحل الله – تسبب له آلاما اكثر واعمق في ذات اللذة نفسها، فضلا عن العقاب الرهيب في الآخرة، والعذاب المرير في القبر، وعلاوة على معاناة الحسرات العميقة المنبعثة من زوال اللذة، والعقاب في الدنيا المترتب على الذنوب والآثام. يشهد بصدق وجود هذه الآلام في اللذة نفسها كل شاب حصيف، بما مر عليه من تجارب، فمثلا:

ان الحب المحرم، او العشق لغير وجه الحق، فيه من الآلام ما ينغّص اللذة الجزئية فيه، منها الشعور بألم الغيرة والحسد، ومنها ألم الفراق عن المعشوق، ومنها ألم عدم مقابلة المحبة بالمثل.. وغيرها كثير من المنغصات التي تجعل تلك اللذة الجزئية بحكم عسل مسموم.

فان كنت تريد أن تفهم ان سوء تصرّف الشباب واسرافهم في امرهم يسبب فيهم من الامراض مايسوقهم الى المستشفيات أو المقابر..

وان كنت تريد ان تفهم ان غرور الشباب وطيشهم يدفعهم الى السجون.

وان كنت تريد أن تفهم ان ما يصيبهم من آلام معنوية وهموم نفسية – من الخواء الروحي والجوع القلبي والفراغ – يسوقهم الى ابواب الحانات والملاهي.. نعم ان

كنت تريد ان تتحقق من هذا، فاسأل المستشفيات والسجون والخمارات والمقابر، فستسمع حتما أنات وآهات، وبكاء مريراً، وحسرات الندم، واصوات الأسى والأسف، يطلقها – على الأغلب – شباب أشقياء، تلقوا الصفعات الموجعة والضربات الأليمة لخروجهم عمّا اباح الله لهم من الطيبات بدافع نزواتهم واسرافهم وسيئ اعمالهم، وارتكابهم المحرمات، وانسياقهم وراء اللذات المشؤومة.

بينما اذا ما قضى الشاب عهد شبابه بما أمره الله به واتبع الصراط السوي واستقام عليه. فانه يجعله احلى نعمة إلهية وأجمل هبة رحمانية، ويتخذه سبيلاً قويماً ممهداً الى الصالحات من الاعمال، ولأثمر له كذلك شباباً ناضراً، وفتوة خالدة دائمة في الاخرة بدلاً من هذا الشباب الفاني الزائل.. ذلك ما تبشرنا به الكتب السماوية والصحف المنزلة جميعها، وفي مقدمتها القرآن الكريم بآياته المحكمة الكريمة.

فما دامت هذه هي الحقيقة.. ومادام ميدان الحلال كافياً ووافياً للأنس والمتعة والنشوة.. ومادامت اللذة الواحدة – ضمن المحرمات – تذيق صاحبها ألما يدوم سنة واحدة من عذاب السجن واحيانا عشر سنوات.. فيلزم اذن قضاء عهد الشباب بالعفة والطهر والاستقامة على الصراط السوي أداء لشكر تلك النعمة اللذيذة المهداة، بل هذا هو الألزم.

* * *

المسألة السادسة

هذه المسألة اشارة مختصرة الى برهان واحد فقط من بين ألوف البراهين الكلية حول (الايمان بالله) والذي تم ايضاحه مع حججه القاطعة في عدة مواضع من رسائل النور.

جاءني فريق من طلاب الثانوية في «قسطموني» قائلين:

«عرّفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لايذكرون الله لنا!».

فقلت لهم:

ان كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فاصغوا الى تلك العلوم دون المدرسين..

فمثلا: لو كانت هناك صيدلية ضخمة، في كل قنينة من قنانيها ادوية ومستحضرات حيوية، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة؛ فكما أنها ترينا ان وراءها صيدلياً حكيماً وكيميائياً ماهراً، كذلك صيدلية الكرة الارضية التي تضم اكثر من أربعمائة ألف نوع من الاحياء – نباتا وحيوانا – وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة فهذه الصيدلية الكبرى تُري حتى للعميان صيدليّها الحكيم ذا الجلال، وتعرّف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها، وانتظامها، وعظمتها، قياسا على تلك الصيدلية التي في السوق، على وفق مقاييس علم الطب الذي تقرأونه.

ومثلاً: كما لو أن مصنعا خارقا عجيبا ينسج ألوفا من انواع المنسوجات المتنوعة، والاقمشة المختلفة، من مادة بسيطة جداً، يرينا بلا شك ان وراءه مهندسا ميكانيكيا ماهراً، ويعرّفه لنا؛ كذلك هذه الماكنة الربانية السيارة المسماة بالكرة الارضية، وهذا المصنع الإلهي الذي فيه مئات الآلاف من مصانع رئيسية، وفي كل منها مئات

الآلاف من المصانع المتقنة، يعرّف لنا – بلاشك – صانعه، ومالكه، وفق مقاييس علم المكائن الذي تقرأونه، يعرّفه بدرجة كمال هذا المصنع الإلهي وعظمته قياساً على ذلك المصنع الانساني.

ومثلاً: كما ان حانوتا او مخزنا للاعاشة والارزاق، ومحلا عظيما للأغذية والمواد، احضر فيه – من كل جانب – ألف نوع ونوع من المواد الغذائية، وميز كل نوع عن الآخر، وصفف في محله الخاص به، يرينا ان له مالكا، ومدبراً؛ كذلك هذا المخزن الرحماني للاعاشة الذي يسيح في كل سنة مسافة اربعة وعشرين ألف سنة، في نظام دقيق متقن، والذي يضم في ثناياه مئات الآلاف من اصناف المخلوقات التي يحتاج كل منها الى نوع خاص من الغذاء. والذي يمر على الفصول الاربعة فيأتي بالربيع كشاحنة محمولة بآلاف الانواع من مختلف الاطعمة، يأتي بها الى الخلق المساكين الذين نفد قوتهم في الشتاء. تلك هي الكرة الارضية، السفينة السبحانية التي تضم آلاف الانواع من البضائع والاجهزة ومعلبات الغذاء. فهذا المخزن والحانوت الرباني، يُري – على وفق مقاييس علم الاعاشة والتجارة الذي تقرأونه – صاحبه ومالكه ومتصرفه بدرجة عظمة هذا المخزن قياسا على ذلك المخزن المصنوع من قبل الانسان، ويعرّفه لنا، ويحببه الينا.

ومثلاً: لو ان جيشا عظيما يضم تحت لوائه أربعمائة ألف نوع من الشعوب والامم، لكل جنس طعامه المستقل عن الآخر، وما يستعمله من سلاح يغاير سلاح الآخر، وما يرتديه من ملابس تختلف عن ألبسة الآخر، ونمط تدريبه وتعليماته يباين الآخر، ومدة عمله وفترة رخصه هي غير المدة للآخر.. فقائد هذا الجيش الذي يزودهم بالارزاق المختلفة، والاسلحة المتباينة، والالبسة المتغايرة، دون نسيان اي منها ولا التباس، ولاحيرة، لهو قائد ذو خوارق بلا ريب. فكما ان هذا المعسكر العجيب يرينا – بداهة – ذلك القائد الخارق، بل يحببه الينا بكل تقدير واعجاب؛ كذلك معسكر الارض، ففي كل ربيع يجند – مجددا – جيشا سبحانيا عظيما مكونا من اربعمائة ألف نوع من شعوب النباتات وامم الحيوانات، ويمنح لكل نوع ألبسته وارزاقه واسلحته وتدريبه ورخصه الخاصة به، من لدن قائد عظيم واحد أحد جل وعلا، دون نسيان لأحد، ولا اختلاط، ولاتحير، وفي منتهى الكمال وغاية الانتظام.. فهذا المعسكر

الشاسع الواسع للربيع الممتد على سطح الارض يُري – لأولي الالباب والبصائر – حاكم الارض – حسب العلوم العسكرية – وربّها ومدبرها، وقائدها الاقدس الاجل، ويعرّف لهم، بدرجة كمال هذا المعسكر المهيب، ومدى عظمته، قياسا الى ذلك المعسكر المذكور، بل يحبب مليكه – سبحانه – بالتحميد والتقديس والتسبيح.

ومثلا: هب ان ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاد للوقود ولا انطفاء؛ الا تُري باعجاب وتقدير أن هناك مهندساً حاذقاً، وكهربائيا بارعاً لمصنع الكهرباء، ولتلك المصابيح؟ فمصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الارض وهي اكبر من الكرة الارضية نفسها بألوف المرات – حسب علم الفلك – وتسير اسرع من انطلاق القذيفة من دون ان تخل بنظامها، او تتصادم مع بعضها مطلقا ومن دون انطفاء، ولا نفاد وقود على وفق ما تقرأونه في علم الفلك. هذه المصابيح تشير باصابع من نور الى قدرة خالقها غير المحدودة، فشمسنا مثلا؛ وهي اكبر بمليون مرة من كرتنا الارضية، وأقدم منها بمليون سنة ماهي الاّ مصباح دائم، وموقد مستمر لدار ضيافة الرحمن. فلأجل ادامة اتقادها واشتعالها وتسجيرها كل يوم يلزم وقوداً بقدر بحار الارض، وفحماً بقدر جبالها، وحطباً بقدر اضعاف اضعاف حجم الارض، ولكن الذي يشعلها – ويشعل جميع النجوم الاخرى امثالها – دون وقود ولافحم ولا زيت ودون انطفاء ويسيّرها بسرعة عظيمة معاً دون اصطدام، انما هي قدرة لا نهاية لها وسلطنة عظيمة لاحدود لها.. فهذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلية يبين بوضوح – على وفق مقاييس علم الكهرباء الذي قرأتموه أو ستقرأونه – سلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير، ويعرّف منوّره ومدبرّه البديع وصانعه الجليل، بشهادة هذه النجوم المتلألئة، ويحببه الى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس بل يسوقهم الى عبادته سبحانه.

ومثلاً: لو كان هناك كتاب، كتب في كل سطر منه كتاب بخط دقيق، وكُتب في كل كلمة من كلماته سورة قرآنية، وكانت جميع مسائله ذات مغزى ومعنى عميق، وكلها يؤيد بعضها البعض، فهذا الكتاب العجيب يبين بلا شك مهارة كاتبه الفائقة، وقدرة مؤلفه الكاملة. اي أن مثل هذا الكتاب يعرّف كاتبه ومصنّفه تعريفا يضاهي وضوح النهار، ويبين كماله وقدرته، ويثير من الاعجاب والتقدير لدى الناظرين اليه ما

لا يملكون معه الا ترديد: تبارك الله سبحان الله ما شاء الله! من كلمات الاستحسان والاعجاب؛ كذلك هذا الكتاب الكبير للكون الذي يُكتب في صحيفة واحدة منه — وهي سطح الارض — ويُكتب في ملزمة واحدة منه — وهي الربيع — ثلثمائة ألف نوع من الكتب المختلفة وهي طوائف الحيوانات واجناس النباتات كل منها بمثابة كتاب.. يُكتب كل ذلك معا ومتداخلة بعضها ببعض دون اختلاط، ولاخطأ، ولانسيان، وفي منتهى الانتظام والكمال بل يُكتب في كل كلمة منه — كالشجرة — قصيدة كاملة رائعة، وفي كل نقطة منه — كالبذرة — فهرس كتاب كامل. وان هذا مشاهد وماثل أمامنا، ويرينا بالتأكيد وراءه قلماً سيالاً يسطر. فلكم ان تقدروا مدى دلالة كتاب الكون الكبير العظيم الذي في كل كلمة منه معان جمة وحكم شتى، ومدى دلالة هذا القرآن الاكبر المجسم — وهو العالم — الى بارئه سبحانه والى كاتبه جل وعلا، قياسا الى ذلك الكتاب المذكور في المثال. وذلك بمقتضى ما تقرأونه من علم حكمة الاشياء او فن القراءة والكتابة، وناوله بمقياس اكبر، وبالنظرة الواسعة الى هذا الكون الكبير. بل تفهمون كيف يعرّف الخالق العظيم بـ« الله اكبر» وكيف يعلّم التقديس بـ« سبحان الله» وكيف يحبّب الله سبحانه الينا بثناء « الحمد لله».

وهكذا فان كل علم من العلوم العديدة جداً، يدل على خالق الكون ذي الجلال — قياسا على ما سبق — ويعرّفه لنا سبحانه باسمائه الحسنى، ويعلّمه ايانا بصفاته الجليلة وكمالاته. وذلك بما يملك من مقاييس واسعة، ومرايا خاصة، وعيون حادة باصرة، ونظرات ذات عبرة.

فقلت لاولئك الطلبة الشباب: ان حكمة تكرار القرآن الكريم من: ﴿ **خلق السموات والارض** ﴾ و ﴿ **ربّ السموات والارض** ﴾ انما هي لأجل الارشاد الى هذه الحقيقة المذكورة، وتلقين هذا البرهان الباهر للتوحيد، ولأجل تعريفنا بخالقنا العظيم سبحانه. فقالوا: شكراً لربنا الخالق بغير حد، على هذا الدرس الذي هو الحقيقة السامية عينها، فجزاك الله عنا خير جزاء ورضي عنك.

قلت: ان الانسان ماكنة حيوية، يتألم بآلاف الانواع من الآلام، ويتلذذ بآلاف الانواع من اللذائذ، ومع أنه في منتهى العجز، فان له من الاعداء ما لا يحد سواء الماديين او المعنويين، ومع أنه في غاية الفقر فان له رغبات باطنة وظاهرة لاتحصر، فهو

مخلوق مسكين يتجرّع آلام صفعات الزوال والفراق باستمرار.. فرغم كل هذا، فانه يجد بانتسابه الى السلطان ذي الجلال – بالايمان والعبودية – مستنداً قوياً، ومرتكزاً عظيماً يحتمي اليه في دفع أعدائه كافة، ويجد فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة، فكما ينتسب كلٌ الى سيده ويفخر بشرف انتسابه اليه، ويعتز بمقامه لديه، كذلك فان انتساب الانسان بالايمان، الى القدير الذي لانهاية لقدرته، والى السلطان الرحيم ذي الرحمة الواسعة، ودخوله عبوديته بالطاعة والشكران، يبدل الأجل والموت من الاعدام الابدي الى تذكرة مرور، ورخصة الى العالم الباقي!. فلكم ان تقدروا كم يكون – هذا الانسان – متلذذاً بحلاوة العبودية بين يدي سيده، وممتناً بالايمان الذي يجده في قلبه، وسعيداً بأنوار الاسلام، ومفتخراً بسيده القدير الرحيم شاكراً له نعمة الايمان والاسلام.

ومثلما قلت ذلك لاخواني الطلبة، اقول كذلك للمسجونين:

ان من عرف الله واطاعه سعيدٌ ولو كان في غياهب السجن، ومن غفل عنه ونسيه شقي ولو كان في قصور مشيدة. فلقد صرخ مظلوم ذات يوم بوجه الظالمين وهو يعتلي منصة الاعدام فرحاً جذلاً وقائلاً: انني لا انتهي الى الفناء ولا أُعدم. بل أُسرّح من سجن الدنيا طليقاً الى السعادة الابدية، ولكني اراكم انتم محكومين بالاعدام الابدي لما ترون الموت فناء وعدماً. فانا اذن قد اخذت ثأري منكم. فسلّم روحه وهو قرير العين يردد: لا إله إلاّ الله.

﴿ سبحانكَ لا عِلمَ لنا إلاّ ما عَلّمتنا إنكَ انت العليمُ الحكيم ﴾

* * *

المسألة السابعة

(ثمرة اينعت في يوم جمعة من ايام سجن دنيزلي)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وما أمرُ الساعةِ إلاّ كَلَمحِ البصر أو هو أقرب ﴾ (النحل : ٧٧)

﴿ ما خلقكم ولا بعثُكم إلاّ كنفسٍ واحدة ﴾ (لقمان : ٢٨)

﴿ فانظر إلى آثار رحمتِ الله كيفَ يُحيي الارضَ بعد موتها إن ذلكَ لَمُحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ (الروم : ٥٠)

كنت قد القيت ذات يوم درسا في « قسطموني » بلغة العلوم المدرسية على بعض طلبة الثانوية الذين جاؤا يسألوني: « عرّفنا بخالقنا » كما جاء في المسألة السادسة المذكورة آنفاً، واطلع عليها بعض من استطاع الاتصال معي من المسجونين في « دنيزلي » فحصل لديهم من الاطمئنان الايماني والقناعة التامة ماجعلهم يستشعرون شوقاً غامراً نحو الآخرة، فبادروا بالقول: « علمنا آخرتنا ايضاً علما كاملا، لاتضلّنا بعده انفسنا وشياطين العصر، فتلقي بنا الى مثل هذه السجون ! ». ونزولاً عند طلب هؤلاء واسعافاً لحاجة طلبة رسائل النور في سجن « دنيزلي » وللرغبة الملحة من اولئك الذين طالعوا « المسألة السادسة »، فقد رأيت لزاما عليّ أن ابين خلاصة موجزة عن الركن الايماني المهم: « الآخرة ». فأقول ملخصاً من رسائل النور:

كما اننا سألنا في « المسألة السادسة » الارض والسموات عن خالقنا سبحانه وتعالى فأجابتنا بلسان العلوم الحاضرة بما عرّفنا بخالقنا الكريم معرفة واضحة وضوح الشمس، فسنسأل كذلك اولاً: ربّنا الذي عرفناه يقينا عن آخرتنا، ثم نسأل رسولنا الاعظم ﷺ ثم قرآننا الكريم، ثم سائر الانبياء عليهم السلام والكتب المقدسة، ثم الملائكة، ثم الكائنات.

فهـا نحن اولاء في اولى المراتب.. نسأل الله سبحانه وتعالى عن «الآخرة» فيخاطبنا – جل وعلا – بجميع اوامره وبجميع رسله الكرام، وبجميع اسمائه الحسنى، وبجميع صفاته الجليلة، قائلا لنا: الآخرة لاريب فيها، وانتم مساقون اليها. وحيث ان «الكلمة العاشرة» قد اثبتت الآخرة باثنتي عشرة حقيقة قاطعة ناصعة، واوضحتها بدلالة قسم من الاسماء الحسنى؛ لذا نشير هنا – اشارة مختصرة – الى تلك الدلالات، مكتفين بذلك الايضاح.

نعم! انه ليس هناك سلطان عظيم دون ان يكون له ثواب للمطيعين وعقاب للعاصين. فلابد من ان السلطان السرمدي – وهو في علياء الربوبية المطلقة – له ثواب للمنتسبين اليه بالايمان والمستسلمين لأوامره بالطاعة، وعقاب للذين انكروا عظمته وعزته بالكفر والعصيان. ولابد من أن ذلك الثواب سيكون لائقا برحمته وجماله، وذلك العقاب سيكون ملائما لعزته وجلاله.

وبهذا يجيبنا اسم «السلطان الديّان» و «رب العالمين» عن سؤالنا حول الآخرة.

ثم اننا نرى باعيننا – رؤية واضحة وضوح الشمس – ان رحمة عامة ورأفة محيطة وكرما شاملا سابغا على وجه الارض؛ فما ان يحل الربيع الزاهي حتى ترى الرحمة تزيّن الاشجار والنباتات المثمرة، وتلبسها ثياباً خضراً كانها حور الجنة، وتسلّم الى ايديها انواعاً مختلفة من ثمار شتى، وتقدمها الينا قائلة: «هاكم كلوا وتفكهوا...» وتراها تطعمنا عسلا مصفى شافياً لذيذاً بأيدي حشرة سامة! وتلبسنا حريراً ناعما تنسجه حشرة بلا يد! وتدّخر في حفنة من بُذيرات وحبوب آلاف الاطنان من الغذاء وتحولها الى كنوز احتياطية لنا.. فالذي له هذه الرحمة الواسعة، وله هذه الرأفة العامة والكرم السابغ، لاريب أنه لن يُفني ولن يُعدم عباده المؤمنين المحبوبين لديه، اولئك الذين رباهم ومَنَّ عليهم، وكرّمهم الى هذه الدرجة من اللطف والرفق والعناية. بل سينهي وظيفتهم في الحياة الدنيا ليهيأهم لرحمات اوسع واعظم.

وبهذا يجيبنا اسم الله «الرحمن» و «الكريم» من الاسماء الحسنى عن سؤالنا حول الآخرة، قائلين لنا: «الجنة حق».

ثم اننا نرى ان وظائف المخلوقات تنسج على منوال الحكمة وتكال بميزان العدل. وهما من الدقة والحساسية لايتصور الانسان أفضل منهما.. فترى الحكمة الازلية قد وهبت للانسان قوة حافظة – كحبة الخردل حجما – وكتبت فيها تفاصيل حياته وما يمسه من احداث لا تعد، وكأنها مكتبة وثائقية مصغرة جداً، ووضعتها في زاوية من دماغه، لتذكره دوماً بيوم الحساب، يوم تنشر مافيها من صحائف الاعمال.

وترى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتنسقه بموازين دقيقة حساسة – ابتداء من ميكروب صغير الى كركدن ضخم، ومن نحل ضعيف الى نسر مهيب، ومن زهرة لطيفة الى ربيع زاهٍ بملايين من الازهار.. وتراها تمنح كل عضو تناسقا لاعبث فيه، وموازنة لانقص فيها، وانتظاماً لاترى فيه الا الابداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر حتى تغدو المخلوقات نماذج مجسمة للابداع والاتقان والجمال.. فضلا عن انها تهب لكل ذي حياة حق الحياة؛ فتيسر له سبل الحياة، وتنصب له موازين عدالة فائقة؛ فجزاء الحسنة حسنة مثلها، وجزاء السيئة سيئة مثلها.. وفي الوقت نفسه تُشعر قوتها وسرمديتها، بما تنزل من عذاب مدمر على الطغاة والظالمين منذ عهد آدم عليه السلام. فكما لاتكون الشمس دون نهار، فتلك الحكمة الازلية، وتلك العدالة السرمدية لن تتحققا تحققاً كلياً الا بحياة اخرى خالدة لذا لن ترضيا ابداً ولن تساعدا بحال من الاحوال على نهاية لاعدالة فيها ولاحكمة ولا احقاق حق، تلك هي الموت الذي لابعث بعده، والذي يتساوى فيه الظالمون العتاة مع المظلومين البائسين ! فلابد اذن ان تكون وراءه حياة اخرى خالدة كي تستكمل الحكمة والعدالة حقيقتهما.

وبهذا يجيبنا – اجابة قاطعة – اسم الله «الحكيم» و«الحكم» و«العدل» و «العادل» من الاسماء الحسنى عن سؤالنا حول الآخرة.

ثم اننا نرى ان كل كائن حي تُوفَّر له حاجاته التي ليس في طوقه الحصول عليها، وتستجاب جميع مطاليبه التي يسألها – بنوع من دعاء – سواء بلسان حاجاته الضرورية، او بلغة استعداداته الفطرية، وتسلّم اليه في أنسب وقت وافضله من لدن يد رحيم واسع الرحمة، وسميع مطلق السمع، ورؤوفٍ شامل الرأفة.. وتُستجاب ايضاً اغلب دعوات الانسان الارادية، ولاسيما دعوات الأصفياء من الناس، وبخاصة

دعوات الانبياء عليهم السلام - التي تستجاب اغلبها استجابة خارقة للعادة - فتلك الاستجابات تفهمنا يقينا ان وراء الحجاب «سميع مجيب» يسمع آهات كل ذي مصيبة وأنات كل ذي داء، ويصغي الى دعاء كل محتاج، ويرى أدنى حاجة لأصغر مخلوق ويسمع أخفى أنين لأضعف كائن فيشمله برأفته ويسعفه فعلا فيرضيه.. فما دام الامر هكذا فان دعاءً للسعادة الاخروية والبقاء والخلود - وهو افضل دعاء واعمه ويمس جميع الكائنات ويرتبط بجميع الاسماء الحسنى وبجميع الصفات الجليلة - هذا الدعاء يسأله أفضل مخلوق - وهو الانسان - ويضمه ضمن ادعيته اعظم عبد واحبه الى الله، ذلك الرسول الاعظم ﷺ، وهو امام الانبياء عليهم السلام الذين هم شموس البشرية وروادها فيؤمّنون على دعائه هذا بل يؤمّن على دعائه بصلواته عليه يوميا كلُّ مؤمن من امته عدة مرات في الاقل بل تشترك جميع المخلوقات في دعائه قائلة: «استجب ياربنا دعاءه فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله».. فمثل هذا الدعاء الشامل للخلود والسعادة الابدية، من مثل هذا الرسول الحبيب ﷺ وضمن هذه الشروط التي لاترد، لاشك مطلقاً انه وحده مبرّر كافٍ وسبب وافٍ لايجاد الجنة الخالدة وإحداث الاخرة من بين اسباب لاتعد ولاتحصى موجبة لايجادها. فضلا عن أن ايجادها سهل على قدرته سبحانه وهيّن عليها كايجاد الربيع وخلقه.

وهكذا يجيبنا اسم الله «المجيب» و «السميع» و «الرحيم» من الاسماء الحسنى عن سؤالنا حول الآخرة.

ثم ان ما في تبدل المواسم من مظاهر الموت ومشاهد البعث على الارض كافة يدل دلالة واضحة - كدلالة النهار على الشمس - على ان وراء الحجاب ربّا يدير الارض الهائلة في غاية الانتظام وفي منتهى السهولة - كادارة حديقة صغيرة بل كادارة شجرة واحدة وبانتظامها - ويدير الربيع الشاسع ويزينه بسهولة ادارة زهرة واحدة وبزينتها الموزونة، ويسطر على صحيفة الارض ثلاثمائة الفٍ من طوائف النباتات والحيوانات التي هي بمثابة ثلاثمائة الف نوع من كتب تعرض نماذج الحشر وامثلة النشور.

فهذا الرب القدير الذي يكتب هذه النماذج المتداخلة دون تحير ولا لبس، ودون سهو ولاخطأ وباتقان وانتظام وبمعان بليغة رغم تشابكها وتشابهها وتماثلها، يُظهر

ضمن جلال العظمة قدرة فاعلة رحيمة حكيمة، فهو سبحانه يشمل الوجود برحمته وحكمته هذه فيهب للانسان مقاماً سامياً ويسخر له الكون الضخم ويجعله مسكناً ومهداً له، ثم ينصبه خليفة في الارض ويحمّله الامانة الكبرى التي أبت السموات والارض والجبال ان يحملنها ويفضّله على سائر المخلوقات، ويشرّفه بكلامه الرباني وبخطابه السبحاني وبموالاته اياه، فضلا عن انه قد قطع على نفسه عهداً، ووعد هذا الانسان وعداً - في جميع كتبه المنزلة - انه سيخلّده بالسعادة الابدية والبقاء الاخروي.. فلاريب انه سيفتح له ابواب سعادة دائمة، وسيحدث الحشر والقيامة حتما وهو أهون عليه من الربيع نفسه.

وبهذا يجيبنا اسم الله «المحيي» و«المميت» و«الحي» و«القيوم» و«القدير» و«العليم» عن سؤالنا حول الآخرة.

حقا ان القدرة الإلهية التي تحيي اصول الاشجار والاعشاب كافة في كل ربيع وتوجد نماذج ثلاثمائة الف نوع من حشر ونشر في الحيوانات والنباتات كافة، بل تُظهر الف مثال للحشر والنشور والف دليل عليه في ألفي ربيع [1] عندما ينظر خيالا الى الف سنة من السنين التي قضاها كل من أمة محمد وموسى عليهما السلام وقوبلا معا ! فكيف يُستبعد بعثُ الاجساد والحشر الجسماني من هذه القدرة المطلقة ؟ أليس استبعاده عمى ما بعده عمى ؟

ثم ان مائة واربعة وعشرين الفاً من افضل بني آدم وهم الانبياء عليهم السلام، قد اعلنوا السعادة الابدية وخلود الآخرة، متفقين، مستندين الى آلاف الوعود والعهود التي قطعها الله سبحانه وتعالى على نفسه. واثبتوا صدقهم بمعجزاتهم الباهرة. وان ما لا يحصر له من الاولياء الصالحين يصدّقون الحقيقة نفسها بالكشف والذوق. فلابد من ان تلك الحقيقة ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار فمَن شك فيها فقد حُرم العقل:

لأن حكم متخصص واحد او اثنين في علم او مهنة في مسألة ضمن اختصاصه، يسقط من الاعتبار قيمة آراء وافكار ألف معارض غير متخصص في ذلك العلم او المهنة ولو كانوا أولي اختصاص في علوم اخرى. وان حكم اثنين من شهود الاثبات

(١) ان كل ربيع يقبل هو بحكم حشر للربيع السابق الذي قامت قيامته وانتهت حياته. - المؤلف.

في مسألة يُرجَّح على آلافٍ من المنكرين او النافين للمسألة. كما هو في رؤية هلال رمضان في يوم الشك، او ادعاء وجود مزارع جوز الهند الشبيهة بعلب الحليب في الارض؛ ذلك لأن المثبت يكسب القضية بمجرد الاشارة اليها او ابراز جوز الهند او بيانه لمكانه. اما النافي الذي ينكر وجوده فانه لايستطيع ان يثبت دعواه الا اذا جاس وجال في انحاء العالم كله وتحرى دعواه في الامكنة كلها. وهكذا الذي يخبر عن الجنة ودار السعادة والخلود فانه يثبتها ويكسب القضية بمجرد اظهاره أثراً من آثار الجنة، او امارة من أماراتها، او ظلا من ظلالها كشفا، في حين لايستطيع من ينفي وجودها وينكرها ان يجد لانكاره مجالا – مهما كدّ – الا اذا شاهد وأشهد الاخرين جميع الاكوان وجميع الازمان من الازل الى الابد، واظهر عدم وجودها واثبت نفيها!! فلأجل هذه الحكمة ارتضى العلماء المحققون على قاعدة اساس هي: «لايمكن اثبات النفي غير المحدد مكانه – كالحقائق الايمانية الشاملة للكون قاطبة – مالم يكن الامر محالا بذاته».

فبناءً على هذه الحقيقة القاطعة ينبغي الاّ يجلب انكار آلاف الفلاسفة ومعارضتهم اية شبهة ولا وسوسة امام مخبر صادق في مثل هذه المسائل الايمانية.. فيا حماقة من يتلوث بشبهة – مهما كانت – في اركان الايمان بمجرد انكار قلة من فلاسفة ماديين تحدرت عقولهم الى عيونهم فلا يرون الا المادة بل ماتت قلوبهم فلا يشعرون بالمعنويات، بينما اتفق على تلك الاركان مائة وعشرون الفا من المثبتين اولي الاختصاص من الانبياء الصادقين عليهم السلام وممن لايحصون ولايعدون من المثبتين والمختصين من اهل الحقيقة الاولياء واصحاب التحقيق العلماء.

ثم اننا نشاهد سواء في انفسنا او فيما حولنا، رحمة عامة، وحكمة شاملة، وعناية دائمة ناشرة نورها كالنهار، ونرى كذلك آثار ربوبية مهيبة وانوار عدالة بصيرة، وتجليات اجراءات جليلة عزيزة، بل نرى «حكمة» تقلد الشجرة حكماً بعدد ازهارها واثمارها، ونرى «رحمة» تقيم على كل إنسان احساناً وعطايا بعدد حواسه وقواه واجهزته. ونرى «عدالة» ذات عزة تهلك بسوط عذابها اقواما عصاة امثال قوم نوح وهود وصالح وقوم عاد وثمود وفرعون، وهي ذات عناية كذلك تحافظ على حقوق

اصغر مخلوق واضعفه. فالآية الكريمة الآتية تبين بايجاز معجز عظمة تلك الربوبية الجليلة وهيبتها المطلقة:

﴿ ومن آياته أن تقوم السماءُ والارض بأمره ثمّ إذا دَعاكم دَعوةً من الارضِ اذا أنتم تخرجون ﴾ (الروم: ٢٤).

اذ تبين ان السموات والارض تمتثلان الامر الإلهي كالجنود المرابطين والراقدين في معسكرين. فكما انهم يهرعون الى أخذ مواقعهم وتسلم اسلحتهم بدعوة من القائد وبنفخة من بوق، كذلك السموات والارض كمعسكرين حالما يُنادى بالاموات الراقدين فيهما بصور اسرافيل عليه السلام، اذا بهم يخرجون من الاجداث سراعاً لابسين ثياب الجسد. بل نرى هذه العظمة والطاعة في كل ربيع اذ يُحشَر ما في معسكر الارض من جنود وينشَرون بنفخة من بوق مَلَك الرعد.. فبناء على التحقيقات السابقة، لابد ان تلك الرحمة والحكمة والعناية والعدالة والسلطنة السرمدية ستحقق ابعادها وغاياتها في دار اخرى، اي انها تقتضي الحشر بالضرورة، كما اثبتتها الكلمة العاشرة؛ اذ لاشك في مجئ الآخرة، بل ان عدم مجيئها محال في الف محال، حيث ان عدمها يعني: تبدل «الرحمة» التي هي في منتهى الجمال قسوة في منتهى البشاعة، ويعني: تحول كمال «الحكمة» الى نقص العبث القاصر وغاية الاسراف، ويعني: انقلاب «العناية» التي هي في منتهى الحسن واللطف الى اهانة في منتهى القبح والمرارة ويعني: تغير «العدالة» التي هي في منتهى الانصاف والحق الى ظلمات في اشد القسوة والبطلان، زد على ذلك فان عدم مجئ الآخرة يعني ايضاً سقوط هيبة السلطنة السرمدية العزيزة وبوار أبهتها وقوتها، ويعني اتهام كمال الربوبية بالعجز والقصور.. فكل هذا باطل ومحال لايقبله عقل اي انسان مهما كان، وهو الممتنع والخارج عن دائرة الامكان؛ لأن كل ذي شعور يعلم ان الله سبحانه قد خلق هذا الانسان في احسن تقويم، ورباه احسن تربية، وزوّده من الاجهزة والاعضاء - كالعقل والقلب - ما يتطلع به الى السعادة الابدية ويسوقه نحوها، ويدرك كذلك مدى الظلم والقسوة اذا ما انتهى مصير هذا الانسان المكرم الى العدم الابدي! ويفهم كذلك مدى البُعد عن الحكمة في عدم البعث الذي يجعل جميع الاجهزة والقوى الفطرية - التي لها آلاف المصالح والفوائد - دون جدوى ودون قيمة! في

الوقت الذي اودع سبحانه مئات من الحِكَم والفوائد في دماغه فحسب !.. ويفهم كذلك مدى العجز الظاهر والجهل التام المنافيين كليا لعظمة تلك السلطنة وكمال الربوبية في عدم الايفاء بآلاف الوعود والعهود ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قس على هذا كلا من «العناية» و «العدالة».

وهكذا يجيبنا اسم الله «الرحمن» و«الحكيم» و«العدل» و«الكريم» و«الحاكم» من الاسماء الحسنى بتلك الحقيقة المذكورة عن سؤالنا الذي سألناه حول الآخرة ويثبتها لنا اثباتا لاشبهة فيه بل واضحاً جلياً كوضوح الشمس وجلائها.

ثم اننا نرى «حفيظية» مهيبة محيطة بادية للعيان، تحكم على كل شئ حي، وتهيمن على كل حادث، تحفظ صوره الكثيرة، تسجّل اعمال وظيفته الفطرية، تدوّن تسبيحاته التي يؤديها – بلسان الحال – تجاه الاسماء الحسنى.. تدوّنها في لوحات مثالية، في بُذيراته ونويّاته، في قواه الحافظة – وهي نماذج مصغرة للّوح المحفوظ – ولاسيما في حافظة الانسان التي هي مكتبة عظمى مصغرة جداً موضوعة في دماغه، فتسجلها في سائر المرايا والمعاكس المادية والمعنوية. وما ان يحل الربيع – تلك الزهرة المجسمة للقدرة الإلهية – حتى تبرز لنا الحفيظية تلك الكتابات المعنوية ظاهرةً مشهودة مجسمة. وتعرض في تلك الزهرة العظمى حقيقة الحشر التي تتضمنها الآية الكريمة ﴿ **واذا الصُحُفُ نُشرت** ﴾(التكوير: ١٠) وتعلنها بألسنة ملايين الملايين من الامثلة والدلائل، وتؤكد لنا يقيناً ان الاشياء جميعها – ولاسيما الاحياء – لم تُخلق لتنتهي الى الفناء، ولالتهوي الى العدم ولا لتمحي الى غير شئ – ولاسيما الانسان – بل خلقوا للمضي بسموهم الى البقاء، وللدخول بتزكية انفسهم الى عالم الحياة الخالدة، وللولوج بالاستعداد الفطري الى وظيفة سرمدية تنتظرهم في دار الخلود.

نعم ! ان كل شجر وجذر وكل حبّة ونواة من النباتات غير المحدودة التي ماتت في قيامة الخريف، ما ان يحين حشر الربيع الا ويتلو الآية الكريمة ﴿ **واذا الصُحُف نُشِرتْ** ﴾ بلسانها الخاص ويفسر معنىً من معانيها، وذلك بقيام كل جزء من اجزائه بمثل الوظائف الفطرية التي قام بها في السنين السابقة، ويبيّن – في الوقت نفسه –

عظمة الحفيظية في اوسع مداها كما تتضمنها الآية الكريمة ﴿ **هُوَ الأولُ والآخرُ والظاهِرُ والبَاطِنُ** ﴾ (الحديد: ٣) وترشدنا الى اربع حقائق جليلة في كل شئ وتقيم الحجة الدامغة على حتمية الحشر كحتمية مجئ الربيع ويسره.

نعم! ان انوار هذه الاسماء الحسنى الاربعة وتجلياتها تسري وتنفذ من اصغر جزئي الى اكبر كليّ.. ولنوضح هذا بمثال:

فالبذرة التي هي اصل الشجرة تبين عظمة الحفيظية بتعرضها لأنوار اسم الله «الاول» وذلك؛ بما تحوي من خطة الشجرة دقيقة كاملة، وبما تضم من اجهزة بديعة لايجادها ونشوئها كاملة غير منقوصة، وبما تشتمل عليه من شرائط تكوين الشجرة، رغم انها علبة صغيرة جدا.

والثمرة ايضا تشهد شهادة صادقة على تلك الحفيظية بتعرضها لأنوار اسم الله «الآخر» وذلك؛ بما تحوي من فهرس جميع الوظائف الفطرية لتلك الشجرة، وبما تضم من صحائف اعمالها، وبما تنطوي عليه من قوانين حياتها الثانية، علماً انها صندوق صغير جدا.

اما ظاهر الشجرة المجسم فانه يظهر عظمة القدرة وكمال الحكمة وجمال الرحمة ضمن الحفيظية المطلقة، ويبرزها للعيان مشهودة بتعرضها لأنوار اسم الله «الظاهر» وذلك؛ بحللها البهية المزدانة بالنقوش البديعة المتنوعة والاوسمة المرصعة، كأنها ثياب الحور العين الملونة بسبعين لونا.

اما الاجهزة الداخلية لتلك الشجرة التي اصبحت كأنها مرآة تعكس انوار اسم الله «الباطن» فهي ايضا تثبت – اثباتا ساطعا كالشمس – كمال القدرة والعدالة، وجمال الرحمة والحكمة، إذ إنها مصنع خارق كامل النظام، بل مختبر كيمياء عظيم، بل مستودع اعاشة وارزاق لايدع غصناً ولاثمراً ولاورقاً إلاّ ويزوده بالغذاء الذي يحتاجه.

وكما يظهر كلٌّ من البذرة، والثمرة، وظاهر الشجرة، وباطنها، تجليات الاسماء الحسنى الاربعة (الاول والآخر والظاهر والباطن) فالكرة الارضية كذلك تظهرها،

وتبين بداهة ان الحفيظ ذا الجلال والاكرام انما يعمل بقدرة وعدالة وحكمة ورحمة مطلقة؛ اذ انها – اي الكرة الارضية – كالشجرة من حيث تبدل المواسم السنوية، فجميع النوى والحبوب التي اودعت في الخريف – بتجلي اسم الله «الاول» – أمانةً الى الحفيظية، ترسلُ ما لايعد من السيقان والاغصان، وتمدها الى شتى الجهات، وتفتَح ما لايحصى من الازهار البهيجة والاثمار الطيبة، فتلبس الارض وشاح الربيع البهيج.. ذلك لأن كلا منها تضم كراسات مصغرة سُطِّرت فيها الاوامر الربانية، وتبطن صحائف مصغّرة دوّن فيها ما انجز في السنة الماضية من اعمال، بل تستوعب تلك البذور والنوى جميع ما يعود الى تركّب شجرة الارض العظيمة.

أما آخر شجرة الارض السنوية فهو مايضعه في علب متناهية في الصغر من جميع الوظائف التي قامت بها الشجرة في الخريف، وجميع التسبيحات والاذكار الفطرية التي ادتها تجاه الاسماء الحسنى، وجميع مايمكن نشره في حشر الربيع المقبل من صحائف الاعمال، ويسلّم هذا جميعا الى يد الحكمة للحفيظ ذي الجلال تالياً بهذا اسم الله «الآخر» بألسنة لاحد لها على اسماع الكائنات وانظارها.

اما ظاهر هذه الشجرة فهو: تلك الازهار الكلية المتنوعة المتباينة التي تفصح عن ثلاثمائة الف نوع من امثلة الحشر واماراته، وهو تلك الموائد المنصوبة للرحمن الرحيم والرزاق الكريم، وهو تلك الضيافات المفتوحة لذوي الحياة كافة، فكل ما في ظاهر تلك الشجرة يذكر ويتلو اسم الله «الظاهر» بألسنة ثمراتها، وازهارها، وطعومها مُظهراً حقيقة ﴿ **وإذا الصُحفُ نُشرت** ﴾ ساطعة كالشمس في كبد السماء.

اما باطن هذه الشجرة العظيمة فهو معمل ومصنع يحرك مالايعد ولايحصى من مكائن منتظمة ومعامل دقيقة حتى انه يعدّ طنا من الاطعمة وينضجها من درهم من المواد وتوصله الى الجائعين، وينهض باعماله في منتهى الدقة بما لايدع مجالاً لتلعب به الصدفة، فيذكر الوجه الباطن للارض اسم الله «الباطن» بل يثبته ويعلنه بمائة الف من الانماط والصور كما يعلنه قسم من الملائكة الذين يسبّحون بمائة الف لسان.

وكما ان الارض من حيث حياتها السنوية كالشجرة، بينت «الحفيظية» التي في تلك الاسماء الحسنى الاربعة بوضوح، وجعلتها مفتاحاً لباب الحشر، فهي كذلك كالشجرة المتناسقة جداً من حيث حياة العصور وحياة الدهور، اذ ترسل ثمراتها – على مدى العصور والدهور – الى سوق الآخرة.

وهكذا تصبح الارض بأسرها مرآةً واسعة جدا لتجليات تلك الاسماء الاربعة، وتفتح سبيلاً واسعاً جداً الى الآخرة بحيث تظل عقولنا ولغاتنا قاصرة وعاجزة عن الاحاطة بها. لذا نكتفي بالآتي ولا نزيد:

ان عقارب الساعة التي تعد الثواني والدقائق والساعات والايام تتشابه فيما بينها، فالواحد يدل على الآخر ويذكّره، فمن يراقب حركة عقرب الثواني يضطر الى تصديق حركة التروس الاخرى. كذلك الدنيا كساعة كبرى لخالق السموات والارض، حيث تتشابه الايام التي تعد ثواني هذه الساعة الكبرى، والسنوات التي تحصي دقائقها، والعصور التي تظهر ساعاتها، والاحقاب التي تعرف ايامها فمع تشابه بعضها مع البعض الآخر فإن كلا منها يدل على الآخر ويثبته.

ومن هذه الزاوية نرى الارض تخبر بامارات لاحدّ لها عن مجئ ربيع خالد وصبح سرمدي بعد شتاء الدنيا الفانية المظلم.. تخبر عنه بحتمية مجئ الصبح لهذا الليل وبقطعية مجئ الربيع بعد هذا الشتاء. وبهذه الحقيقة يجيبنا اسم «الحفيظ» مع الاسماء الحسنى الاربعة: (الاول والآخر والظاهر والباطن) عن سؤالنا الذي سألناه حول الحشر.

وما دمنا نرى باعيننا ونفقه بعقولنا، ان الانسان هو:

خاتمة ثمرات شجرة الكون واجمع مافيها من الصفات.. وهو بذرتها الاصلية من حيث الحقيقة المحمدية.. وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون.. بل هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الاعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن الكريم.. وهو اكرم ضيف في قصر الكون.. وهو انشط موظف مأذون له بالتصرف في سكنة ذلك القصر.. وهو المأمور المكلف عن حرث مزرعة الارض والناظر المسؤول عن وارداتها ومصاريفها، بما جُهز من مئات العلوم والوف المؤهلات.. وهو خليفة

الارض، والمفتش الباحث في مملكة الارض والمرسل من لدن سلطان الازل والابد والعامل تحت رقابته.. وهو المتصرف في شؤون الارض مع تسجيل كامل لأعماله بجزئياتها وكلياتها.. وهو عبد كليّ، مكلف بعبادة واسعة شاملة، والحامل للأمانة الكبرى التي أبت السموات والارض والجبال ان يحملنها، فانفرجت أمامه طريقان: احداهما للاشقياء، والاخرى للسعداء.. وهو الذي يعكس كالمرآة جميع تجليات الاسماء الحسنى ويتجلي فيه اسم الله الاعظم.. وهو المخاطب المقصود للخطاب السبحاني والاكثر فهماً للكلام الرباني.. وهو الاكثر فاقة وعجزاً من بين احياء الكون.. وهو الكائن الحي العاجز الفقير بلا حدود، مع أن له اعداء ومؤذيات بلا عد ومقاصد وآلاماً بلا حد.. وهو اغنى استعداداً من بين ذوي الحياة.. وهو اشد احساسا وشعوراً بالالم – ضمن لذة الحياة – حيث تمتزج لذاته بآلام منغّصة.. وهو أشد شوقاً الى البقاء واكثر حاجة الى الخلود، بل هو الأجدر به.. وهو الذي يتوسل لأجل البقاء والخلود بأدعية غير محدودة فلو أُعطي له ما في الدنيا من متع لما شفت غليله للخلود.. وهو الذي يحب الذي أنعم عليه حباً لحد العبادة، ويحببه للآخرين، وهو المحبوب ايضاً.. وهو اعظم معجزات القدرة الصمدانية بل هو اعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الاكبر ولما تشهد جميع اجهزته بأنه مخلوق للسير قدما نحو الابدية والخلود.

فهذا الانسان الذي يرتبط بمثل هذه الحقائق العشرين الكلية باسم الله «الحق» والذي هو وثيق العلاقة باسم الله «الحفيظ» الذي لايعزب عنه شئ في السموات والارض، يرى ادنى حاجة لأصغر حيّ ويسمع نداء حاجته فيغيثه فيدوّن كتبتهُ الكرام جميع اعمال هذا الانسان وافعاله المتعلقة بالكائنات.. فهذا الانسان – بحكم هذه الحقائق العشرين – لابد ان يكون له حشر ونشور، ولاريب انه سيكافأ – باسم الله الحق – على ما قدّم من خدمات واعمال، وسيجازى على ماقصّر فيها، ولاشبهة أنه سيساق الى المحاسبة والاستجواب عما دوّن من اعماله – باسم الحفيظ – جزئيها وكلّيها، ولاشك ان ستفتح امامه ابواب سعادة خالدة وضيافة ابدية، او ابواب سجون رهيبة وشقاء مقيم؛ وانه لايمكن الاّ يحاسب ويتوارى عن الانظار ضابط قاد اكثر مخلوقات هذا العالم وتدخّل في شؤونها، ولايمكن ألاّ ينبه من رقدته!

لانه لايعقل قط ان يُسمع دعاءٌ اخفت من طنين الذباب ويُغاث فعلا بلوازم الحياة، ثم لايُسمع أدعية لها من القوة ما يهز العرش والفرش والتي تنطلق من تلك الحقائق العشرين وتسأل البقاء والخلود. ولايعقل قط بل هو خارج عن الامكان أن تُهدر وتُضيّع كلياً تلك الحقوق الكثيرة، بل لايمكن لحكمة لاعبث فيها قط – ولو بمقدار جناح ذبابة بشهادة انتظامها واتقانها – أن تعبث كلياً باستعدادات الانسان المرتبطة بها تلك الحقائق، وتعبث بجميع آماله ورغباته الممتدة الى الخلود، وتعبث بجميع تلك الروابط وحقائق الكائنات العديدة التي تنمي تلك الاستعدادات والرغبات، لأن هذا الاحتمال ظلم فظيع وقبح مشين ترده جميع الموجودات وترفضه قائلة: ان ذلك محال في محال بمائة وجه وممتنع مستحيل بآلاف الوجوه. بل تردّه جميع الموجودات الشاهدة على الاسماء الحسنى: «الحق» و «الحفيظ» و «الحكيم» و «الجميل» و «الرحيم».

وهكذا تجيبنا هذه الاسماء الحسنى «الحق» و«الحفيظ» و«الحكيم» و«الجميل» و«الرحيم»، عن سؤالنا حول الآخرة، فتخاطبنا تلك الاسماء قائلة: «ان الحشر حق لاريب فيه، وهو حقيقة راسخة لا مراء فيها، مثلما اننا حق ومثلما تشهد لنا حقيقة ثبوت الموجودات».

ولولا ان المسألة أوضح من الشمس لزدت بياناً، ولكني اختصرت مكتفياً بالامثلة المذكورة، وقياساً على ما في الفقرات السابقة؛ فان كل اسم من الاسماء الحسنى المائة بل الالف المتوجه الى الكون، يثبت مسمّاه سبحانه بداهة بتجلياته وبمراياه التي هي الموجودات، كما يظهر الحشر والدار الآخرة ويثبته اثباتاً قاطعاً.

ومثلما يجيبنا ربنا سبحانه وتعالى جواباً قدسياً وجازماً بجميع اوامره في جميع ما أنزل من كتب، وبجميع اسمائه التي سمّى بها نفسه، عن سؤالنا الذي سألناه، حول الآخرة، كذلك يجيبنا سبحانه بألسنة ملائكته ويعرّفنا الاخرة بنمط آخر، إذ تقول الملائكة:

«هناك امارات ودلالات لاحدّ لها على وجودنا والعالم الروحاني، وقد جرت لقاءات ومكالمات وتعارف بينكم وبيننا وبين الروحانيين منذ زمن آدم عليه السلام،

وهي حوادث يقينية متواترة لاتقبل الريب، ولقد ذكرنا ودوماً نذكر مانراه خلال تجوالنا في منازل الآخرة وصالاتها الى أنبيائكم اثناء لقائنا معهم: اننا نبشركم بشارة لاريب فيها من أن هذه الأروقة الدائمة وما وراءها من قصور خالدة ومنازل معدّة انما اعدّت لاستقبال ضيوف كرام مكرمين وهُيئت لقدومهم».

وبهذا يجيبنا الملائكة الكرام عن سؤالنا حول الآخرة.

ثم ان خالقنا الكريم قد عيّن لنا اعظم معلم.. وأكمل استاذ.. واصدق قدوة.. واقوم رائد.. ألا وهو محمد الهاشمي عليه افضل الصلاة والسلام. وقد ارسله خاتما للرسل الكرام عليهم السلام. فعلينا اذن – وقبل كل شئ – أن نسأل استاذنا ماسألناه من خالقنا عزّ وجل حول الآخرة لعلنا نتكامل في معرفتنا ونترقى من مرتبة علم اليقين الى عين اليقين والى حق اليقين، لان هذا النبي الحبيب الصادق المصدّق من لدن الخالق العليم بألف من المعجزات، مثلما انه معجزة القرآن الكريم، فاثبت للعالم اجمع، أنه كتاب رب العالمين لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد اصبح القرآن الكريم ايضاً معجزة من معجزاته ﷺ ودليلاً على انه الصادق المصدّق وانه رسول رب العالمين.

فكلتا المعجزتين – احداهما لسان عالم الشهادة ومعها تصديق جميع الانبياء عليهم السلام والاولياء، والاخرى لسان عالم الغيب المتضمن جميع الكتب السماوية وجميع حقائق الكون – قد اقامتا الحجج على حقيقة الحشر والنشور راسخة واضحة وضوح الشمس والنهار. بجميع حياة المعجزة الاولى وآلاف من آيات المعجزة الثانية.

حقاً ان مسألة الحشر والآخرة من المسائل التي هي فوق طاقة العقل وحدوده، ولاتفهم الا بتعليم هذين الاستاذين المعجزين «القرآن الكريم والرسول الحبيب ﷺ» وإرشادهما.

أما لِمَ لمْ يُوضح الانبياء السابقون عليهم السلام مسألة الحشر لأممهم كما هو واضح في القرآن الكريم ؟ فلأن عصورهم كانت عصور طفولة البشرية وبداوة الانسانية، والإيضاح يكون وجيزاً في الدروس الابتدائية كما هو معلوم.

وصفوة القول:

ما دام اكثر الاسماء الحسنى تقتضي الآخرة وتدل عليها، فلابد أن الحجج والدلائل الدالة على الاسماء الحسنى هي بدورها دلائل على ثبوت الاخرة وقيامها..

ومادام الملائكة يخبرون عما يشاهدون من منازل الاخرة وعالم البقاء فلابد ان الدلائل الشاهدة على وجود الملائكة والعالم الروحاني وعباداتهم هي بدورها دلائل اثبات على العالم الآخر..

ومادام أهم ما أعلنه محمد ﷺ خلال حياته المطهرة المباركة، واساس ما دعا اليه - بعد التوحيد - هو الآخرة، فلابد ان جميع المعجزات والحجج الدالة على نبوته وصدقه ﷺ هي بدورها شاهدة على حقيقة مجئ الآخرة..

وما دام ربع القرآن الكريم يبحث عن الحشر والآخرة، ويقيم الدلائل عليه بآلاف من آياته ويخبر عنه، فلابد ان الشواهد والحجج والدلائل والبراهين الدالة كلها على أحقية القرآن هي بدورها شاهدة على تحقق الآخرة ودالة عليها.

وهكذا تأملوا في هذا الركن الايماني العظيم لتقدروا مدى قطعية «الايمان بالاخرة» ومدى ثبوته ورسوخه.

* * *

خلاصة المسألة الثامنة

لقد أردنا في «المسألة السابعة» ان نستوضح مسألة الحشر من مقامات كثيرة، الا ان جواب خالقنا باسمائه الحسنى كان شافياً ووافياً جدا؛ اورث اليقين الجازم والقناعة التامة، فأغنانا عن اي استفسار آخر. فاقتصرنا هناك على ذلك الاثبات.

اما في هذه المسألة فسنلخص واحدة من مئات الثمرات والفوائد والنتائج التي يحققها «الايمان بالآخرة» منها ما يعود الى سعادة الانسان في الآخرة، ومنها ما يعود الى سعادته في الدنيا.

اما ما يعود الى السعادة الاخروية فليس بعد ايضاح القرآن الكريم ايضاح آخر، فليرجع اليه، اما مايعود الى «السعادة الدنيوية» فتوضحه «رسائل النور» وسنبين هنا – بياناً موجزاً – بضع نتائج فقط من بين المئات من النتائج التي يحققها «الايمان بالآخرة» لإسعاد الانسان في حياته الشخصية والاجتماعية.

الثمرة الاولى:

كما أن الانسان – خلافاً للحيوان – ذو علاقة مع بيته، فهو ايضاً ذو ارتباط وثيق مع الدنيا. ومثلما انه مرتبط باقاربه بروابط ووشائج، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري. وكما انه يحب البقاء في الدنيا الفانية فهو يتوق الى بقائه في الدار الباقية. وكما أنه يسعى دائما لتأمين حاجات معدته الى الغذاء فهو مضطر بفطرته – بل يسعى – لتأمين الاغذية لعقله وقلبه وروحه وانسانيته وتناولها من الموائد الممتدة على سعة الدنيا، بل الممتدة الى الابد، لما له من آمال ومطاليب لايشبعها سوى السعادة الابدية. فلقد حدّثتُ خيالي في عهد صباي كما اشير اليه في رسالة «الحشر»:

«اي الأمرين تفضّل ؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك الى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة ؟»

فرأيته يرغب في الثانية ويضجر من الاولى، قائلاً:

«انني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم !».

فمادام جميع لذائذ الدنيا لاتشبع الخيال، الذي هو احد خدام الماهية الانسانية، فلابد ان حقيقة الماهية الانسانية الجامعة الشاملة جدا مرتبطة فطرة بالخلود والبقاء.

فكم يكون «الايمان بالآخرة» اذاً كنزاً عظيما كافياً ووافياً لهذا الانسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لاتنتهي، وهو لايملك سوى جزءٍ من الاختيار الجزئي، ويتقلب في الفقر المطلق! وكم يكون هذا الايمان محوراً للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة ! وكم يكون مرجعاً ومدار استمدادٍ وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة ؟ فلو ضحى هذا الانسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت اذن زهيدة !

الثمرة الثانية المتوجهة لحياة الانسان الشخصية:

ان ما يقلق الانسان دوما وينغّص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى اليه مصير أحبته وأقاربه. فتوهم الانسان المسكين - الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز - وتصوّره من أن آلافا بل ملايين الملايين من اخوانه البشر ينتهون الى العدم بالموت - ذلك الفراق الابدي الذي لا لقاء وراءه - سيذيقه هذا التصور ألما شديدا ينبئ بآلام جهنم. وحينما يتلوى هذا الانسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير، يأتي «الايمان بالآخرة» فاتحا بصيرته، مزيلا الغشاوة عن عينيه، قائلا له: انظر.. فينظر بنور الايمان، فاذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم جميعا من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الابدي منتظرين قدومه اليهم. نقتصر على هذا حيث وضحت رسائل النور هذه النتيجة مع حججها.

الثمرة الثالثة التي تعود لعلاقات الانسان:

ان مقام الانسان الراقي وتفوقه على سائر الاحياء وامتيازه عليها انما هو لسجاياه السامية، ولأستعداداته الفطرية الجامعة، ولعبوديته الكلية، ولسعة دوائر وجوده، لذا فالانسان المنحصر في الحاضر فقط المنسلخ من الماضي، المبتوت الصلة بالمستقبل -

وهما معدومان ميتان مظلمان بالنسبة له – هذا الانسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والاخوة والانسانية على اساس حاضره الضيق، وتتحدد عنده على وفق مقاييسه وموازينه المحدودة، فيولي المحبة لأبيه او اخيه او زوجته او امته، ويقوم بخدمتهم على وفق تلك المقاييس الضيقة وكأنه لايعرفهم سابقاً ولن يراهم مستقبلاً فلا يرقى أبداً الى مرتبة الصدق في الوفاء، ولا الى مكانة الاخلاص في الصداقة، ولا الى درجة الود المصفى من الشوائب في المحبة، ولا الى الاحترام المبرأ من الغرض في الخدمة؛ لأن سعة تلك السجايا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها، وحينها يتردى الانسان الى درك أدنى الحيوانات عقلا.

ولكن ما ان يأتي «الايمان بالآخرة» الى هذا الانسان لينقذه ويمده ويغيثه، حتى يحول ذلك الزمن الضيق – الشبيه بالقبر – الى زمان فسيح واسع جدا بحيث يستوعب الماضي والمستقبل معا، فيريه وجودا واسعا بسعة الدنيا، بل بسعة تمتد من الازل الى الابد. وعندئذٍ يقوم هذا الانسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الابوة الممتدة الى دار السعادة وعالم الارواح، ويساعد اخاه ويعاونه – بذلك التفكير – بالاخوة الممتدة الى الابد، ويحب زوجته ويرفق بها ويعاونها لأنها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنة، ولايجعل هذه الدائرة الحياتية الواسعة الفسيحة – وما فيها من علاقات وخدمات مهمة – وسيلة لأمور تافهة دنيوية ولا لأغراضها الجزئية ومنافعها الزهيدة. لذا يظفر بالصداقة التامة، والوفاء الخالص، والاخلاص الاتم، في علاقاته وخدماته، فتبدأ كمالاته وخصاله بالسمو والرقي بالنسبة نفسها، وتتعالى انسانيته، ولكل حسب درجته..

فذلك الانسان الذي ما كان له ان يرقى الى مستوى عصفور في تذوقه الحياة، اصبح الآن – بفضل الايمان بالآخرة – ضيفا مرموقاً في الدنيا، وكائنا سعيدا، ومخلوقاً ممتازا فيها، يرقى فوق جميع الحيوانات، بل يصبح احب مخلوق، وأكرم عبد عند رب الكون ومالكه.

اكتفينا بهذا القدر في بيان هذه النتيجة حيث بيّنتها رسائل النور بحجج وبراهين.

الفائدة الرابعة التي تتطلع الى الحياة الاجتماعية:

وهي التي وضحها «الشعاع التاسع» وخلاصتها هي:

ان «الاطفال» الذين يمثلون ربع البشرية، لايمكنهم ان يعيشوا عيشة انسان سوي ينطوي على نوازع انسانية الا بالايمان بالآخرة. اذ لولا هذا الايمان لاضطروا ان يقضوا حياة ملؤها الوقاحة والاضطراب والهموم الأليمة. فلا يهنأون بألعابهم ولايتسلّون بلُعبهم، لان الموت الذي يصيب من حولهم من الاطفال يؤثر بالغ التأثير في نفس كل طفل، وفي شعوره المرهف الرقيق، وفي قلبه الذي سينطوي في المستقبل على آمال ورغبات كثيرة، وفي روحه التي لاتستطيع الثبات فتصاب بالقلق والحيرة، حتى تصبح حياته وعقله، وسيلتي عذاب له، فلا يجدي ما يتستر به من لهو ولعب نفعا قبل ان يجد لتساؤله وحيرته جوابا.. الا ان ارشاد «الايمان بالآخرة» يجعله يحاور نفسه علىٰ النحو الآتي:

«ان صديقي – او أخي – الذي توفي قد اصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو اكثر منا أنساً وانطلاقاً وتجوالا. وان والدتي – وان توفيت – الا انها مضت الى الرحمة الإلهية الواسعة، وستضمني ايضا الى صدرها الحنون في الجنة، فأرى تلك الوالدة الشفيقة». وبهذا يمكنه ان يعيش هادئاً مطمئناً عيشا يليق بالانسان.

وكذا «الشيوخ» الذين يمثلون ربع البشرية، فانهم لايرون السلوان حيال انطفاء حياتهم قريبا، ودخولهم تحت التراب، وقد أوصدت الدنيا الجميلة الحلوة ابوابها في وجوههم الا بـ«الايمان بالآخرة». اذ لولا هذا الايمان لتجرع اولئك الآباء المحترمون الرحماء، وتلك الامهات الفدائيات الشفيقات الويل تلو الويل، ولباتوا في حالة نفسية تعسة جدا، وفي قلق قلبي عنيف ولأصبحت الدنيا تضيق عليهم كالسجن، ولغدت الحياة نفسها عذابا مقيما لايطاق. بينما الايمان بالآخرة يهتف بهم قائلاً:

«لاتغتموا أيها الشيوخ ولاتبالوا كثيرا، فان لكم شبابا خالدا وهو امامكم وسيأتي حتما. وان حياة ساطعة بهيجة، وعمرا مديدا أبدياً في انتظاركم، وستلتقون اولادكم واقاربكم الذين فقدتموهم، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها..» وهكذا يمنح «الايمان بالآخرة» سلواناً وانشراحاً لهم، بحيث لو حمل احدهم اثقال مائة شيخوخة لتحملها صابرا في انتظار ما سيعقبها من حياة اخروية سعيدة.

وكذا «الشباب» الذين يمثلون ثلث البشرية، قد لايصغون لصوت عقولهم الجريئة. فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان، وهم مغلوبون على امر حواسهم ونوازعهم، فاذا ما فقد هؤلاء الشباب «الايمان بالآخرة» ولم يتذكروا عذاب جهنم، فان اموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر، اذ قد يدمر احدهم سعادة بيت آمن هنيئ لأجل لذة طارئة، ومن ثم يذوق وبال أمره عذابا لسنين عديدة في مثل هذه السجون فيتحول الى ما يشبه الحيوان الكاسر.

ولكن اذا أمده «الايمان بالآخرة» واغاثه، فسرعان ما يسترجع صوابه ويسترشد بعقله، ويخاطب نفسه قائلا:

«على الرغم من ان شرطة الحكومة وعيونها لايمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم، فان ملائكة السلطان الاعظم ذي الجلال الذي يملك سجن جهنم ذلك السجن الاكبر الدائم يسجلون عليّ سيئاتي.. فأنا اذن لست طليقا مفلوت الزمام، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة.. وسأكون – لامحالة – في يوم ما ضعيفا وشيخا مثلهم». فتترشح قطرات الرحمة والرأفة والشفقة – عندئذٍ – من اعماق قلبه، ويشعر بالاحترام لاولئك الذين كان يريد ان يتعدى على حقوقهم ظلما. وحيث ان رسائل النور قد وضحت هذا المعنى، نقتصر على هذا القدر.

وكذلك «المرضى والمظلومين وامثالنا من ذوي المصائب والفقراء والمساجين» الذين حوكموا بعقوبات مشددة، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية، فان لم يُعنهم «الايمان بالآخرة» وان لم يتسلوا به فان الموت الذي يجدونه امامهم دائما بما عندهم من مرض، وأن الاهانة التي يرونها من الظلمة – دون ان يتمكنوا من الاقتصاص منهم ولامن انقاذ شرفهم وكرامتهم من بين مخالبهم – وان اليأس الأليم النابع مما اصاب أموالهم وأولادهم من الضياع في الكوارث، وان الضيق الشديد الناشئ من آلام السجن وعذابه لسنوات عدة نتيجة لذة طارئة لاتستغرق دقائق او ساعات.. كل ذلك يصيّر الدنيا – بلا ريب – سجنا كبيراً لهؤلاء المنكوبين ويجعل الحياة نفسها عذابا أليما لهم! ولكن ما ان يَمدّهم الايمان بالآخرة بالعزاء والسلوان الا وينشرحون فورا، ويتنفسون الصعداء، لما يزيل عنهم من الضيق واليأس والقلق والاضطراب وسَورة الثأر ازالة كلية او جزئية كلٌّ حسب درجات ايمانه.

حتى يمكنني القول انه: لولا الايمان بالآخرة الذي امدّني واخواني في مصيبتنا الرهيبة ودخولنا السجن هذا – دون ذنب اقترفناه – لكان تحمّل مرارة يوم واحد من ايام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة الى ترك الحياة ونبذها. ولكن شكراً لله – بلا عد ولاحد – ان جعلني أتحمل آلام كثير من اخواني الذين هم أحب اليّ من نفسي وأتحمل ضياع آلاف من رسائل النور التي هي أعزّ من عيوني، واتحمل فقدان كثير من مجلداتي الزاهية الثمينة جداً.. فأتحمل كل هذا الحزن والاسى بذلك «الايمان بالآخرة» رغم انني ما كنت أتحمل أية إهانة وتحكّم من احد مهما كان، فاني اقسم لكم – لتطمئنوا – ان نور الايمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسلية، وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم في هذا الامتحان الى حدّ بتّ أعدّ نفسي في مدرسة كلها خير وجمال. وحقٌ أن تطلق عليها «المدرسة اليوسفية» كما ذكرته في مستهل هذه الرسالة، فلولا المرض الذي كان ينتابني احيانا، ولولا الحدة الحاصلة من الكهولة لكنت اسعى بجد اكثر لأتلقى دروسي في هذه المدرسة مع ما أحمله من اطمئنان وسكينة قلب.. على كل حال فقد خرجنا عن الصدد ارجو العفو عن هذا الاستطراد.

وكذلك فان «بيت كل انسان» هو دنياه الصغيرة بل جنته المصغرة فان لم يكن «الايمان بالآخرة» حاكما ومهيمنا في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من افراد تلك العائلة اضطرابا اليما، وعذابا شديدا في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم فتتحول تلك الجنة الى جحيم لايطاق، وقد يخدر عقله باللهو والسفه المؤقت فيكون مَثَلُه في هذا كمثل النعامة اذا رأت الصياد تخفي رأسها في الرمل كيلا يراها الصياد وهي عاجزة عن الفرار والطيران، فهو كذلك يغمر رأسه في الغفلة، لئلا يراه الموت والزوال والفراق، ملغيا شعوره موقتا ببلاهة، وكأنه وجد علاجا لما يُعانيه !

فالوالدة مثلا – التي تضحي بنفسها لأجل ولدها – كلما رأت ابنها يتعرض للخطر ارتعشت هلعا وخوفا عليه. والاولاد كذلك عندما لايستطيعون انقاذ ابائهم أو اخوانهم من المصائب التي لاتنقطع، يظلون في قلق دائم ويحسون خوفا مستمرا. فقياسا على هذا فان حياة تلك العائلة، التي يُظن انها حياة سعيدة، تفقد سعادتها في هذه الدنيا المضطربة الزائلة حيث لاتعطي الرابطة بين الافراد، ولاعلاقة القربى فيما

بينهم – ضمن حياة قصيرة جدا – الصداقة الحقيقية والوفاء الخالص والاخلاص الكامل، والخدمة والمحبة الصافيين، بل تتصاغر الاخلاق وتنكمش بنسبة قصر الحياة نفسها، وربما تسقط وتنعدم كليا.

ولكن ما ان يحل «الايمان بالآخرة» في ذلك البيت حتى ينور ارجاءه مباشرة ويستضيء، لان علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد الى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الابدية، فيقوم – عندئذ – كلُّ فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدي صداقة وفية، صارفاً النظر عن التقصيرات. فتتعالى الاخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الانسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت.

وقد بين هذا المضمون في رسائل النور. اكتفينا هنا بما سلف.

وهكذا فان كل «مدينة» هي بحدّ ذاتها بيت واسع لسكنتها. فان لم يكن «الايمان بالآخرة» مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والانانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الاخلاق الحميدة التي هي الاخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الاخروي. وكانت معاني الارهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والانسانية التي يظهرونها، وحينئذ تتسمم حياة تلك المدينة، فيتصف الاطفال بالوقاحة والاهمال، والشباب بالسُكر والعربدة، والاقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين.

وقياساً على هذا فان «البلاد» بأكملها ما هي الاّ بيت واسع جداً. والوطن بيت عائلة الامة. فاذا ما حكم «الايمان بالآخرة» هذه البيوت وسيطر، فان الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح فيها فتظهر الاحترام المتبادل والرحمة الجادة، والمحبة الخالصة بلا عوض، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال، والمعاشرة والاحسان بلا رياء، والفضيلة والتوقير بلا استكبار، وتشيع الفضائل الاخرى جميعاً ؛ حيث يهتف الايمان بالآخرة بأولئك الاطفال قائلا لهم: «دعوا الوقاحة والاهمال فقدامكم جنة النعيم فلا تشغلوا انفسكم عنها بالألاعيب». فيمكّن الاخلاق عندهم بارشاد القرآن الكريم.

ويخاطب الشباب: «ان امامكم نار جهنم فانتهوا من السكر والعربدة». ويجعلهم يثوبون الى رشدهم.

ويخاطب الظالم: «احذر فان عذابا شديداً سيحلّ بك» فيردعه عن الظلم ويرضخه الى العدالة.

ويخاطب الشيوخ: «أبشروا فان امامكم شبابا خالدا ذا نضارة، وفي انتظاركم سعادة اخروية دائمة باقية، هي اسمى مما فقدتموه من انواع السعادة واعلى منها فهلموا واسعوا للفوز بها». فيحول بكاءهم الى بهجة وفرح.

وقياسا على هذا، فان «الايمان بالآخرة» يبين تأثيره الطيب ويرسل شعاع نوره الى كل طائفة، جزئيها وكلّيها عامها وخاصها قليلها وكثيرها.

فلترن آذان الاجتماعيين والاخلاقيين من المعنيين بشؤون الانسان !.

واذا قيس على ما ذكرناه آنفا من فوائد الايمان بالآخرة ما بقي من الفوائد فسيفهم بوضوح وبشكل قاطع ان محور السعادة في الدارين وفي كلتا الحياتين انما هو الايمان وحده.

* * *

ولقد جاءت في «الكلمة الثامنة والعشرين» وفي رسائل النور الاخرى اجوبة قوية جدا رداً على شبهات تافهة حول: «الحشر الجسماني» - البعث الجسدي - نكتفي بها، الا اننا نشير اليها هنا اشارة مختصرة وقصيرة جداً ، فنقول:

ان اكثر الاسماء الإلهية الحسنى تتجلّى في الجسمانية فهي اجمع مرآة لها.

وان اقصى المقاصد الإلهية من خلق الكائنات تظهر في الجسمانية، فهي أغنى مركز لتلك المقاصد واكثرها فعالية.

وان اكثر انواع الاحسانات الربانية المختلفة وآلاءها العميمة تتبين في الجسمانية.

وان اغلب بذور الادعية التي يرفعها الانسان بلسان حاجاته، واكثر اصول الشكر والحمد المقدّم منه الى خالقه الرحيم نابعة من الجسمانية.

وان ازيد النوى تنوعاً لعوالم المعنويات والروحانيات هي كذلك تكمن في الجسمانية.

فقياسا على هذا:

ان الجسمانية تتمركز فيها مئات من الحقائق الكلّية، لذا فان الخالق الكريم يكثّر من الجسمانية ويزيدها على سطح الارض كي تتجلّى فيها تلك الحقائق المذكورة، فيهب للموجودات وجوداً بسرعة متناهية وبفعالية مدهشة، قافلة إثر قافلة مرسلاً اياها الى معرض العالم هذا، ثم يُنهي خدماتها ويبعث عقبها موجودات اخرى باستمرار. وهكذا يجعل ماكنة الكائنات في عمل دائب وشغل دائم، ناسجاً محاصيل جسمانية على الارض، جاعلاً الارض مزرعة الآخرة ومشتل الجنة حتى أنه سبحانه لأجل ان يُطمئن معدة الانسان (الجسمانية) ويجعلها في امتنان ورضى يَسمع دعاءها الذي ترفعه بلسان الحال، لأجل بقائها، ويستجيب له فعلاً، بما يخلق ما لايحصر ولايحصى من المطعومات اللذيذة المتقنة الصنع، وبايجاده النعم النفيسة بمئات الآلاف من الانماط والانواع، مما يظهر بداهة وبلا ريب ان اغلب انواع اللذائذ المادية المحسوسة في الجنة انما هي جسمانية. وان أهم نعم السعادة الابدية التي يطلبها الجميع ويأنس بها إنما هي في الجسمانية ايضاً.

فيا تُرى هل يمكن وهل يعقل وهل هناك احتمال قط أن يقبل القدير الرحيم والعليم الكريم دوما دعاء لسان حال المعدة البسيطة لإستبقائها، ويستجيب لها قصدا وفعلا - دونما تدخّل للمصادفة - بما يخلق لها من أغذية مادية محسوسة في منتهى الاتقان والاعجاز، فيرضى بها تلك المعدة، ثم لايقبل سبحانه أدعية عامة ودعوات غير نهائية ترفعها المعدة الانسانية الكبرى وفطرتها الاصيلة، ولاتغدق عليها لذائذ جسمانية في الآخرة، تلك التي تأنس بها وترجوها فطرةً بل تريدها في دار الخلود ؟ وهل يمكن الاّ يلبي تلك الادعية فعلا ولا ينجز الحشر الجسماني ؟! ولا يُرضي هذا الانسان الذي هو نتيجة الكائنات وخليفة الارض، والعبد المعزز المكرم رضاءً أبديا ؟ كلا.. ثم كلا!.. فهذا محال في مائة محال بل باطل كليا، اذ كيف يسمع طنين الذباب ولايسمع رعود السماء، وكيف يراعي عدّة الجندي البسيط ولايبالي بالجيش العظيم! فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نعم، ان الصراحة القاطعة للآية الكريمة:

﴿ وفيها ما تَشتهيه الأنفس وتلذّ الاعين ﴾ (الزخرف:٧١) تبين ان اكثر ما يأنس الانسان به من اللذائذ المادية المحسوسة – والذي يتذوق نماذجها في الدنيا – سيراها ويتذوقها بصورتها اللائقة بالجنة. وان ثواب ما يؤديه اللسان والعين والاذن وسائر الاعضاء والجوارح من الشكر الخالص والعبادات الخاصة سيمنح لها بتلك اللذائذ الجسمانية المخصوصة بها. فبيان القرآن الكريم للذائذ الجسمانية صريح في غاية الصراحة، بحيث لايمكن ان يتحمل اي تأويل يصرفه عن المعنى الظاهري، بل يمتنع عدم قبول المعنى الظاهري.

وهكذا تُظهر ثمراتُ الايمان بالآخرة ونتائجُه أنه مثلما تدل حقيقة معدة الانسان وحاجاتها دلالة قاطعة على وجود الاطعمة، فان حقيقة الانسان وكمالاته وحاجاته الفطرية وآماله الابدية وحقائقه واستعداداته تتطلب النتائج والفوائد المذكورة للايمان بالآخرة، وتدل قطعا على الآخرة وعلى الجنة وعلى لذائذ مادية محسوسة باقية، وتشهد على تحققها. وان حقيقة كمالات هذا الكون ايضا وآياته التكوينية الحكيمة وجميع حقائقه المرتبطة بالحقائق الانسانية تدل دلالة قاطعة ايضا على وجود الآخرة وعلى تحققها وتشهد شهادة صادقة على مجئ الحشر وانفتاح ابواب الجنة والنار. ولما كانت رسائل النور قد أثبتت هذه المسألة بصورة رائعة وبحجج قوية جدا دون أن تترك غبارا للشبهة، ولاسيما الكلمة العاشرة والثامنة والعشرون – بمقاميها – والتاسعة والعشرون، والشعاع التاسع، ورسالة المناجاة، فاننا سنكتفي بها.

* * *

ان بيان القرآن الكريم فيما يخص جهنم واضح جلي لم يدع مجالا لأي ايضاح آخر، الا اننا سنبين باختصار شديد ما يزيل بضع شبهات تافهة في نكتتين، محيلين تفاصيلها الى رسائل النور:

النكتة الاولى:

ان التفكير في جهنم والخوف منها لايزيل لذائذ ثمرات الايمان المذكورة ولايفوّتها، لان الرحمة الربانية الواسعة تهتف بذلك الخائف: «تعالَ اليّ فدونك باب التوبة ادخل منه». فان وجود جهنم ليس للتخويف، بل ليعّرفك لذائذ الجنة معرفة

كاملة، وليذيقك اياها تذوقا كاملا، وليأخذ لك وللمخلوقات غير محدودة الثأر والانتقام ممن انتهك حقوق الجميع واعتدى عليها، وليفرحهم جميعا بهذا ويدخل السرور اليهم.

فيا غارقاً في الضلالة – وليس بمستطيع ان يخرج منها – ان وجود جهنم لهو افضل لك من العدم الابدي، إذ في وجودها نوع من الرحمة حتى للكفار انفسهم، لان الانسان – والحيوانات الولودة – يستمتع بتمتع اقاربه واولاده واحبابه ويسعد – من جهة – بسعادتهم. فيا ايها الملحد! إما انك ستسقط في هاوية العدم – باعتبار ضلالتك – او ستدخل نار جهنم. ولما كان العدم شراً محضا، فان الاعدام النهائي لاحبابك جميعا وممن تسعد بسعادتهم من أقاربك وأبائك ونسلك، سيحرق روحك ويعذب قلبك ويؤلم ماهيتك الانسانية اكثر من عذاب جهنم بألف مرّة؛ لأنه لو لم تكن جهنم لما كانت هناك جنة ايضا. فيسقط كل شئ اذن بكفرك الى العدم. ولكن اذا دخلت جهنم وبقيت ضمن دائرة الوجود، فان احبابك واقاربك اما انهم سيسعدون في الجنة او انهم يكونون ضمن دوائر وجود تحت رحمة الله سبحانه. فلا مناص لك إلاّ ان تقبل بوجود جهنم، اذ العداء لوجودها – ورفضه – يعني الانحياز الى العدم المحض، الذي هو ابادة سعادة جميع الاحبة والاصدقاء وافناؤهم!.

نعم ان جهنم دار وجود تؤدي مهمة السجن بحكمة الحكيم الجليل وعدالته، وهي موضع مرعب ومهيب ضمن دائرة الوجود الذي هو الخير المحض، زد على ذلك لها وظائف اخرى وخدمات جليلة، وحكمٌ شتى تخص عالم البقاء. فهي مسكن ذو جلال وهيبة لكثير من ذوي الحياة أمثال الزبانية.

النكتة الثانية:

ان وجود جهنم وعذابها الشديد لاينافي قطعاً الرحمة غير المحدودة، ولا العدالة الحقيقية، ولا الحكمة الموزونة التي لا اسراف فيها، بل ان الرحمة والعدالة والحكمة تتطلب وجود جهنم وتقتضيه، لأن قتل حيوان افترس مائة من الحيوانات او انزال عقاب بظالم هتك حرمات ألفٍ من الابرياء، هو رحمة بآلاف الاضعاف للمظلومين من خلال العدالة. وان اعفاء ذلك الظالم من العقاب او التجاوز عنه، وترك ذلك

الحيوان الوحشي طليقا، فيه ظلم شنيع وعدم رحمة لمئات المساكين بمئات الاضعاف، ازاء رحمة في غير موضعها. ومثل هذا ايضا، الكافر المطلق - الذي يدخل سجن جهنم - فانه بكفره ينكر حقوق الاسماء الإلهية الحسنى، اي يتعدى على تلك الحقوق.. وبتكذيبه لشهادة الموجودات - الشاهدة على تلك الاسماء - يتعدى على حقوقها ايضا.. وبانكاره للوظائف السامية للمخلوقات - وهي تسبيحاتها تجاه الاسماء - يتجاوز على حقوقها.. وبجحوده لانواع العبادات التي تؤديها المخلوقات تجاه تظاهر الربوبية والالوهية - وهي غاية خلقتها وسبب من اسباب وجودها وبقائها - يتعدى تعديا صارخا على حقوق جميع المخلوقات؛ لذا فالكفر جناية عظيمة وظلم شنيع يتجاوز بشاعته كل حدود العفو والمغفرة، فيحق عليه اذن تهديد الآية الكريمة ﴿**إن الله لايَغفِرُ أن يُشرَكَ به..**﴾ (النساء: ٤٨) بل ان عدم القاء مثل هذا الشخص في جهنم رحمةً به هو أمر ينافي الرحمة منافاة كلية في حق هذه الاعداد الهائلة من المخلوقات والكائنات التي انتهكت حقوقها.

وهكذا مثلما يطالب اصحاب الدعاوي بوجود جهنم، فان عزة جلال الله وعظمة كماله سبحانه تطلبانها قطعا.

نعم، اذا قال سفيه او شقي عاصٍ لحاكم عزيز للبلاد: «انك لاتستطيع ان تقذفني في السجن ولن تقدر على ذلك ابداً». متجاوزاً حده ومتعديا على عزة ذلك الحاكم وعظمته، فلابد أن ذلك الحاكم سينشئ سجنا لذلك السفيه المتعدي حتى لو لم يكن هناك سجن في البلاد. كذلك الامر في الكافر المطلق، فانه بكفره يتعدى بشدة على عزة جلاله سبحانه، وبانكاره يتحدى عظمة قدرته، وبتجاوزه يمس كمال ربوبيته، فان لم يكن هناك حتى تلك الاسباب الموجبة وتلك المبررات الكثيرة والحكم العديدة والوظائف الكثيرة لجهنم ولوجودها؛ فان خلق جهنم لمثل هؤلاء الكفار والقاءهم فيها هو من شأن تلك العزة وذلك الجلال.

ثم إن ماهية الكفر نفسها توحي بجهنم؛ اذ كما أن ماهية الايمان اذا تجسمت يمكن ان تبني بلذائذها ونعيم جمالها جنة خاصة في وجدان الانسان وقلبه، هي جنة مصغرة تومئ وتخبر عن جنة الخلد التي تنتظره في الآخرة، كذلك الكفر - ولاسيما الكفر المطلق - والنفاق والردة فيه من الآلام والاعذبة والظلمات المرعبة بحيث لو تجسمت وتأصلت في نفس صاحبها كونت له جهنمه الخاصة به تلك التي تشير الى

ما سيفضي اليه في آخرته من جهنم هي اشد هولاً وأشد عذاباً. ولقد اثبتنا هذا بدلائل قاطعة في رسائل النور، واشير اليه في مستهل هذه المسألة ايضاً.

ولما كانت هذه الدنيا مزرعة الآخرة، فالحقائق الصغيرة التي فيها تثمر وتتسنبل في الآخرة، فهذه البذرة السامة (الكفر) تشير من هذه الزاوية الى شجرة الزقوم تلك، وتقول: «أنا اصل تلك الشجرة وجوهرها.. فمن يحملني في قلبه من المنكوبين سأثمر له نموذجا خاصا من تلك الشجرة الملعونة».

وما دام الكفر تعديا على حقوق غير محدودة، وتجاوزا فاضحا، فهو اذن جناية غير محدودة، لذا يجعل صاحبه مستحقا لعذاب غير محدود. فلئن كان القتل الذي يحدث في دقيقة واحدة يذيق القاتل خمس عشرة سنة من العذاب (ما يقارب ثمانية ملايين دقيقة) ويعتبر ذلك موافقا للعدالة البشرية، وعدّته موافقا للمصلحة العامة وحقوقها، فلا جرم أن دقيقة واحدة من الكفر المطلق – على اعتبار الكفر ألف قتل – تقابل إذن بعذاب يقرب من ثمانية مليارات من الدقائق، على وفق تلك العدالة الانسانية فالذي يقضي سنة كاملة من عمره في الكفر اذاً يستحق عذاب ترليونين وثمانمائة وثمانين مليارا من الدقائق، اي يكون اهلا لـ:

﴿ **خالدين فيها أبداً** ﴾(النساء: ١٦٩).

هذا وان الاسلوب المعجز للقرآن الكريم في بيانه الجنة والنار وما في رسائل النور – التي هي فيض منه وتفسيره – من حجج حول وجودهما، لم يتركا مجالا لأي ايضاح آخر. فآيات كثيرة جدا أمثال: ﴿ **ويتفكّرونَ في خلقِ السّموات والأرض ربّنا ما خَلَقتَ هذا باطلاً سُبحانكَ فقنا عذابَ النار** ﴾ (آل عمران: ١٩٠)

﴿ **ربّنا اصرف عنا عَذابَ جَهَنّمَ ان عَذابَها كانَ غَراماً۞ انّها ساءت مُستَقراً ومُقاما** ﴾ (الفرقان: ٦٥، ٦٦). واغلب ما كان يردده الرسول الاكرمﷺ في ادعيته في كل وقت، والانبياء عليهم السلام واهل الحقيقة من: (أجرنا من النار).. (نجنا من النار).. (خلصنا من النار)... الذي حاز عندهم قطعية تامة بناء على الوحي المشهود.. كل ذلك يبين لنا ان اعظم قضية للبشرية على الارض انما هي النجاة من النار، وان اعظم حقيقة وادهشها من حقائق الكائنات، بل اكثرها اهمية انما هي «جهنم» التي يشهدها

قسم من اولئك المحققين واهل الشهود والكشف، ويرى آخرون ألسنة لهيبها وظلمة سوادها، ويسمع بعضهم أزيز تضرمها وفورانها فيصرخون من هولها «اجرنا من النار».

نعم! ان تقابل الخير والشر في هذا الكون، واللذة والألم، والنور والظلام، والحرارة والبرودة، والجمال والقبح، والهداية والضلالة، وتداخل بعضها ببعض، انما هي لحكمة كبرى، لأنه ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير، وما لم يكن هناك الالم فلا تُعرف اللذة، والضياء من دون ظلام ازاءه لايبين جماله، ودرجات الحرارة تتحقق بوجود البرودة، وتصبح حقيقة واحدة من الجمال ألفاً من الحقائق بوجود القبح، بل يكتسب آلافا من انواع الجمال ومراتب الحسن. ويختفي الكثير من لذائذ الجنة بعدم وجود جهنم. فقياسا على هذا يمكن ان يعرف كل شئ من جهة بضده، وبوجود الضد يمكن ان تثمر حقيقة واحدة حقائق عدة.

فما دامت هذه الموجودات المختلطة تسيل سيلاً من دار الفناء الى دار البقاء. فلابد ان الخير واللذة والنور والجمال والايمان وامثالها تسيل الى الجنة، ويتساقط الشر والالم والظلام والقبح والكفر وامثالها من الامور المضرة الى جهنم. فتسيل سيول هذه الكائنات المتلاطمة دائما الى ذينك الحوضين وتهدأ ساكنة عندهما نهاية المطاف.

نكتفي بهذا القدر ونحيل الى ما جاء في نهاية (الكلمة التاسعة والعشرين) من نكات رمزية.

* * *

يازملاء الدراسة في هذه المدرسة اليوسفية!

ان السبيل اليسيرة للنجاة من السجن الابدي المرعب (جهنم) انما هي في اغتنامنا فرصة بقائنا في السجن الدنيوي، هذا الذي قصّر أيدينا عن كثير من الآثام فأنقذنا منها. فما علينا اذن الا الاستغفار والتوبة عما اقترفناه من ذنوب سابقة، مع أداء للفرائض، كي نحول كل ساعة من ساعات هذا السجن بحكم يوم من العبادة فهي اذن أفضل فرصة لنا للنجاة من السجن الابدي ولدخولنا الجنة النورانية. فلئن فاتتنا هذه الفرصة فسنغرق آخرتنا بالعبرات كما هي حال دنيانا، ويحق علينا قوله تعالى: ﴿**خَسرَ الدنيا والآخرة**﴾ (الحج: ١١).

كانت اصوات تكبيرة عيد الاضحى المبارك تتعالى حينما كان هذا البحث يُكتب، فذهب بي الخيال الى أن خُمس البشرية يرددون (الله اكبر)، وأن أكثر من ثلاثمائة مليون مسلم يرددونه معا، فكأن صوت (الله اكبر) يتعالى بكبر كرة الارض وبسعتها فتسمع الارضُ أخواتها الكواكب السيارة هذه الكلمة المقدسة في ارجاء السماوات. وهناك اكثر من عشرين ألفا من الحجاج في عرفة والعيد يرددون معا صدى ما قاله الرسول الاكرم ﷺ قبل الف وثلاثمائة سنة مع الآل والاصحاب الكرام وأمر به. فأحسست إحساسا كاملا، بل اقتنعت قناعة تامة أن تلك الاصداء والاصوات والترديدات انما هي عبودية واسعة كلية تقابل تجلي الربوبية الإلهية الكلية بعظمة «رب الارض» «رب العالمين».

ثم سألت نفسي: تُرى ما وجه العلاقة بين الآخرة وهذه الكلمة المقدسة (الله اكبر)؟ فتذكرت فوراً أن هذه الكلمة مع الكلمات الطيبات الباقيات الصالحات (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله) وأمثالها من كلمات شعائر الاسلام تذكّر – بلا شك – بالآخرة سواء بصورة جزئية او كلية وتشير الى تحققها.

ان أحد اوجه معاني (الله اكبر) هو: ان قدرة الله وعلمه هي فوق كل شئ واكبر واعظم من كل شئ، فلن يخرج اي شئ كان من دائرة علمه، ولن يهرب من تصرفه وقدرته، ولن يفلت منها قطعا، فهو سبحانه اكبر من كل كبير نخافه ونستعظمه. أي اكبر من ايجاد الحشر – الذي نستهوله – واكبر من انقاذنا من العدم، واكبر من منحنا السعادة الابدية. فهو اكبر من اي شئ نعجب به ومن اي شئ خارج نطاق عقلنا اذ يقول سبحانه: ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفسٍ واحدة** ﴾ (لقمان: ٢٨). فصراحة هذه الآية الكريمة تبين ان حشر البشرية ونشرهم جميعا سهل وهيّن على القدرة الإلهية كايجاد نفس واحدة، فلاعجب ان يجري مجرى الامثال قول الانسان: (الله اكبر، الله اكبر) كلما رأى شيئا عظيما، او مصيبة كبرى، او غاية عظمى، مسلياً بها نفسه جاعلاً من هذه الكلمة العظيمة قوة عظيمة يستند اليها. نعم! ان هذه الكلمة مع قرينتها (سبحان الله والحمد لله) فهرس جميع العبادات وبذور الصلاة وخلاصتها (كما جاءت في الكلمة التاسعة) فتكرار هذه الكلمات وهي حقائق عظمى ثلاث في الصلاة وفي أذكارها انما هو لتقوية معنى الصلاة وتعميقه وترسيخه. وهي اجابة قاطعة للاسئلة التي تنشأ من التعجب واللذة والهيبة التي تأخذ بأقطار نفس الانسان

حينما يشاهد الكون ويرى مايثيره ويحيره ومايسوقه الى الشكران وما هو مدار العظمة والكبرياء من أمور عجيبة وجميلة وعظيمة ووفيرة وما هو فوق ما اعتاده.

نعم! ان الجندي يدخل الى حضرة السلطان وديوانه في العيد بمثل دخول القائد العام اليه، بينما في سائر الايام يعرف سلطانه من رتبة الضابط ومن مقامه - كما جاء في ختام الكلمة السادسة والعشرون - فكل شخص في الحج كذلك يبدأ بمعرفة مولاه الحق سبحانه وتعالى باسم (رب الارض ورب العالمين) معرفة أشبه مايكون بمعرفة الاولياء الصالحين. فكلما تفتحت مراتب الكبرياء والعظمة الإلهية في حنايا قلبه اجاب بـ(الله اكبر) لما تستولي على روحه من اسئلة مكررة ملحة محيرة، فـ(الله اكبر) هو الجواب القاطع لدابر أهم دسائس الشيطان، كما جاء في اللمعة الثالثة عشرة.

نعم ! فكما ان هذه الكلمة (الله اكبر) تجيب عن سؤالنا حول الاخرة اجابة قصيرة وقوية في ذات الوقت، فان جملة (الحمد لله) هي الاخرى تذكّر بالحشر وتستدعيه. اذ تقول لنا: «لايتم معناي دون الآخرة» لان معناي يفيد: (كل حمد او شكر يصدر من اي حامد ويقع على اي محمود كان، ابتداءً من الازل الى الابد، هو خاص به سبحانه) ولان السعادة الابدية هي اصل جميع النعم وذروتها، وهي التي تحيل النعم نعماً حقيقية لاتزول ولاتحول، وهي التي تنقذ جميع ذوي الشعور من مصائب العدم وتخلصهم منها، لذا فهي وحدها يمكن ان تقابل معناي الكلي.

نعم ان ترديد كل مؤمن يوميا عقب الصلاة بما يأمر به الشرع بأكثر من مائة وخمسين مرة (الحمد لله) في الاقل، والتي تفيد حمداً وثناء وشكراً واسعاً جداً ممتداً من الازل الى الابد انما هو ثمن يدفعه مقدماً لنيل السعادة الابدية في الجنة، اذ لايمكن ان يحصر معنى الحمد على نِعم الدنيا القصيرة الفانية المنغصة بالآلام ولايمكن ان يكون مقتصراً عليها. بل حتى لو تأملت في تلك النعم نفسها تراها ماهي إلاّ وسائل لنعم أبدية خالدة تستحق الشكر عليها.

اما كلمة (سبحان الله) فانها تعني: تنزيه الله سبحانه وتقديسه من كل شريك

وتقصير ونقص وظلم وعجز وقسوة وحاجة وحيلة، وكل مايخالف كماله وجماله وجلاله. وهذا المعنى يذكّر بالسعادة الابدية ويدل على الآخرة التي هي محور عظمته سبحانه وجلاله وكماله. ويشير ايضاً الى ما في تلك الدار من جنة نعيم ويدل عليها. والا فلو لم تكن هناك سعادة ابدية فان اصابع الاتهام تتوجه الى عظمته سبحانه وكماله وجلاله وجماله ورحمته فتشوب بالتقصير والنقصان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

اي ان الآخرة لاريب فيها، اذ هي مقتضى سلطان الله وكماله وجلاله وجماله ورحمته سبحانه.

وهكذا فان هذه الكلمات المقدسة الثلاث مع (بسم الله) و (لا اله الاّ الله) وسائر الكلمات المباركة، كل منها بذرة من بذور الاركان الايمانية، وكل منها خلاصة لحقائق الاركان الايمانية والحقائق القرآنية.

وكما ان هذه الكلمات الثلاث هي نوى الصلاة وبذورها فهي نوى القرآن الكريم ايضا، كما تشاهد في بدء بعض السور الباهرة حيث تستفتح وكأنها جوهرة لامعة في مستهلها، وهي كنوز حقيقية واسس متينة لأجزاء من رسائل النور التي تستهل بسوانح التسبيحات، وهي ايضا اوراد الطريقة المحمدية تذكر عقب الصلاة ضمن دائرة واسعة جدا للولاية الاحمدية والعبودية المحمدية، بحيث ان هناك عند كل صلاة اكثر من مائة مليون مؤمن في تلك الحلقة الكبرى للذكر يرددون معا ثلاثا وثلاثين مرة «سبحان الله» و ثلاثاً وثلاثين مرة «الحمد لله» و ثلاثاً وثلاثين مرة «الله اكبر». فلابد أنك تدرك مدى اهمية قراءة تلك الكلمات المباركات الثلاث التي هي بذور القرآن والايمان والصلاة وخلاصتها، ومدى ثواب ترديدها بثلاثاً وثلاثين مرة عقب الصلاة ضمن تلك الحلقة الواسعة.

وهكذا فكما ان المسألة الاولى من هذه الرسالة كانت درسا قيما في الصلاة، فان اخر الرسالة هذه اصبح – دون اختياري – درساً مهماً حول اذكار الصلاة! والحمد لله على نعمائه.

﴿سُبحَانَكَ لا علمَ لَنا إلاّ ما عَلّمتَنا إنكَ أنتَ العَليمُ الحَكيمُ﴾.

* * *

المسألة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ آمَنَ الرَسولُ بمَا أُنزِلَ إليه من رَبّه والمؤمنون كلٌ آمنَ بالله ومَلائكته وكُتُبه ورُسُله لانُفَرّقُ بَينَ أحدٍ من رُسُله... ﴾(البقرة: ٢٨٥)

ان السبب الذي ادى الى ايضاح هذه الآية الجامعة السامية العظيمة ودعا الى بيانها؛ هو حالة خاصة معينة نتجت عن سؤال معنوي مثير. وعن انكشاف نعمة آلهية عظيمة، كالآتي:

فقد ورد الى الروح هذا السؤال: لِمَ يُعتبر كافراً من يُنكرُ جزءاً من حقيقة ايمانية، ولايُعد مسلما مَن لم يقبلها، مع ان نور الايمان بالله واليوم الآخر كالشمس يبدد كل ظلام ؟

ثم، لِمَ يصبح مرتدا مَن ينكر حقيقة او ركناً ايمانياً ويرديه الى الكفر المطلق، ومَن لم يقبلها يخرج من دائرة الاسلام. بينما ينبغي أن ينقذه ايمانه بالاركان الاخرى – ان وجد – من ذلك الكفر المطلق ؟

الجواب:

ان الايمان حقيقة واحدة نابعة من ستة اركان متحدة وموحدة لاتقبل التفريق، وهو كليّ لايتحمل التجزأة، وهو كلٌ لاتقبل اركانه الانقسام، ذلك لان كل ركن من تلك الاركان الايمانية – مع حججها التي تثبته – يثبت بقية الاركان، فيصبح كل ركن حجة قاطعة عظمى لكل من الاركان الاخرى. لذا فالذي لايتمكن من جرح جميع الاركان مع جميع أدلتها يعجز كليا – من وجهة الحقيقة – نفي ركن واحد منها؛ وتفنيد حقيقة واحدة من حقائقها، الا ان يغمض المنكر عينيه ويتشبث بعدم القبول او الرفض، فيدخل عندئذ الكفر العنادي، ويسوقه ذلك بمرور الزمن الى الكفر المطلق، فتنعدم انسانيته ويولى الى جحيم مادي فضلا عمّا هو فيه من جحيم معنوي.

وكما قد بينا باقتضاب في مسائل «الثمرة» دلالة الاركان الايمانية على الحشر كذلك سنبين هنا باشارات مختصرة جدا ومجملة المغزى العميق العظيم لهذه الاية معتمدين على عنايته سبحانه. وذلك في ست نقاط:

النقطة الاولى:

ان (الايمان بالله) بحججه القاطعة يثبت (الايمان بالآخرة) مع اثباته سائر الاركان الايمانية الاخرى. كما وضح في «المسألة السابعة».

نعم؛ ان سلطنة الربوبية وقدرتها الازلية وقوتها الباقية وغناها المطلق وحاكمية الالوهية الابدية الدائمة التي تدير هذا الكون غير المحدود – مع جميع لوازمه وضرورياته – كادارة قصر او مدينة.. والتي تصرف جميع شؤونه ضمن نظام وميزان، وتغيره على وفق حكم كثيرة.. والتي تدير الذرات والكواكب،وتجهز الذباب والنجوم معا كالجنود المطيعين للجيش المنسق.. والتي تسوق الجميع – ضمن ارادتها وأمرها – الى استعراض هائل عام للعبودية الخالصة، من خلال مناورة سامية وابتلاء واختبار وتدريب على الوظائف وتعليم لها، بفعالية ونشاط دائم وسير وجولان مستمر.. هل يمكن، ام هل يعقل، لا بل هل هناك اي احتمال قط في الاّ يكون هناك مقر باق، ومملكة دائمة، وظهور خالد وتجل سرمدي في دار أبدية لمثل هذه السلطنة الابدية ولمثل هذه الحاكمية الباقية الدائمة؟ حاشا وكلا.. والف مرة كلا.

فسلطنة ربوبية الله جل وعلا وعظمتها اذاً، واغلب اسماء الله الحسنى –كما جاء في المسألة السابعة – وجميع دلائل وحجج وجوب وجوده سبحانه وتعالى، تشهد جميعا وتدل على (الآخرة) وتقتضيها.

فما اعظم مرتكز هذا الركن الايماني العظيم، وما أمتن نقطة استناده ! ألا فادرك ذلك، وصدق به كأنك تراه.

* * *

ثم ان (الايمان بالله) كما لايمكن ان يكون دون (الايمان بالآخرة) كذلك لايمكن ولايعقل، ان يكون (الايمان بالله) دون (الايمان بالرسل) – مثلما ذكر ملخصاً في رسالة الحشر – وذلك:

ان الله تعالى الذي خلق هذا الكون اظهاراً لالوهيته ومعبوديته، على هيئة كتاب صمداني مجسم بحيث تعبّر كل صحيفة من صحائفه عن معاني كتاب، ويُظهر كل سطر من اسطره معنى صحيفة.. وخَلقه على شكل قرآن سبحاني مجسم بحيث ان كل آية من آياته التكوينية، وكل كلمة من كلماته، بل حتى كل حرف منه وكل نقطة بمثابة معجزة تقدسه وتسبحه.. وخلقه على صورة مسجد رحماني مهيب وزيّنه بما لايحد من الآيات والنقوش الحكيمة، بحيث أن في كل زاوية من زواياه طائفة منهمكة بنوع من العبادة الفطرية لخالقهم الرحمن..

فهل يمكن الاّ يرسل هذا الخالق المعبود الحق اساتذة ليدرسّوا معاني مافي ذلك الكتاب الكبير ويعلموا مافيه؟.. أم هل يمكن الاّ يبعث مفسرين ليفسروا آيات ذلك القرآن المجسم الصمداني؟.. أم هل يمكن الاّ يعيّن ائمة لذلك المسجد الاكبر ليؤموا الذين يعبدونه بانماط واشكال مختلفة من العبادات؟.. أم هل يمكن الاّ يزود اولئك الاساتذة والمفسرين والائمة بالاوامر السلطانية؟ حاش لله وكلا.. وألف مرة كلا.!

ثم ان الخالق الرحيم الكريم الذي خلق هذا الكون اظهاراً لجمال رحمته على ذوي الشعور وحسن رأفته بهم وكمال ربوبيته لهم وليحثهم على الشكر والحمد، قد خلقه على هيئة دار ضيافة فخمة، ومعرض رائع واسع، ومتنزه جميل بديع. وأعد فيه ما لا يحد من النعم اللذيذة المتنوعة المختلفة، ونظم فيه ما لايعد من خوارق الصنعة وبدائعها الرائعة..

فهل يمكن الاّ يتكلم هذا الخالق الرحيم الكريم – بواسطة رسله – مع ذوي الشعور من مخلوقاته في دار ضيافته الفاخرة هذه.. أم هل يعقل الاّ يعلمهم وظائف شكرهم وكيفية امتنانهم تجاه تلك النعم الجسيمة، ومهام عبوديتهم تجاه رحمته السابغة وتودده الظاهر؟! كلا.. ثم ألف ألف مرة كلا.!

ثم ان الخالق الذي يحب خلقه وصنعته، ويريد جلب الاعجاب والتقدير اليه، بل يطلب استحسانه وتثمينه، بدلالة ايداعه الإحساس بآلاف الانواع من الاذواق في الافواه، فيعرّف نفسه سبحانه بكل مخلوق من مخلوقاته ويظهر به نوعا من جماله المعنوي ويحببها فزيّن هذا الكون ببدائع صنائعه ومخلوقاته.

فهل يعقل الاّ يتكلم هذا الخالق البديع مع أفاضل الانسان الذي هو سيد المخلوقات؟.. وهل يمكن ألاّ يبعث من اولئك الافاضل رسلا، فتظل تلك الصنائع الجميلة دون تقدير، ويظل جمال تلك الاسماء الحسنى الخارقة دون استحسان ولا اعجاب، ويظل تعريفه وتحبيبه دون مقابل ؟! حاش لله وكلا.. ثم ألف مرة كلا.!

ثم ان المتكلم العليم الذي يستجيب – في الوقت المناسب – لدعوات جميع ذوي الحياة، ملبيا حاجاتها الفطرية، ومغيثا تضرعاتها ورغباتها المرفوعة اليه بلسان الحال، فيتكلم صراحة فعلاً وحالاً بإحساناته غير النهائية لهم وانعاماته غير المحدودة عليهم، مُظهراً القصد والاختيار والارادة. فهل يمكن وهل يعقل ان يتكلم هذا المتكلم العليم مع أصغر كائن حي فعلاً وحالاً ويسعف داءه، ويغيثه باحسانه، ويسد حاجاته، ثم لايقابل الرؤساء المعنويين للانسان الذي هو سيد اغلب المخلوقات الارضية، وهو خليفة الله في ارضه، وهو النتيجة المستخلصة من الكائنات؟.. ام هل يعقل ألاّ يتكلم معهم قولا وكلاما مثلما يتكلم مع كل ذي حياة فعلا وحالا؟.. ام هل يمكن الاّ يرسل معهم اوامره، وصحفه وكتبه المقدسة؟ حاشا لله.. ثم ألف مرة كلا.!

وهكذا يثبت «الايمان بالله» مع حججه القاطعة الثابتة الايمان (بكتبه) المقدسة (وبرسله) الكرام عليهم السلام.

* * *

ثم ان الذي جعل الكون يدوي بحقيقة القرآن ويترنم بها، والذي عرف وعرّف باكمل وجه ذلك الخالق البديع فأحبه وحببه، وأدى شكره له ودلّ الآخرين على القيام بشكره، بل جعل الارض تردد «سبحان الله والحمد لله والله اكبر» حتى اسمعت السموات العلى.. والذي قابل الربوبية الظاهرة للخالق بعبودية واسعة كلية، فقاد خمس البشرية كمية ونصفها نوعية خلال ألف وثلاثمائة سنة قيادة اهاج بها البر والبحر وملأهما شوقا ووجدا.. والذي هتف بالقرآن الكريم في اذن الكون وعلى مدى جميع العصور ازاء المقاصد الالهية، فألقى درسا عظيما، ودعاً بدعوة كريمة، مظهراً وظيفة الانسان وقيمته، ومبيناً مرتبته ومنزلته.. ذلك هو محمد الامين ﷺ الصادق المصدق بألف معجزة ومعجزة.

فهل يمكن ألا يكون هذا العبد العزيز المصطفى المختار اكرم رسول لذلك المعبود الحق؟.. وهل يمكن الاّ يكون أعظم نبي له ؟ حاشا وكلا.. ألف ألف مرة كلا.!

فحقيقة (اشهد ان لا إله إلا الله) مع حججها اذاً تثبت حقيقة (اشهد أن محمداً رسول الله).

* * *

ثم ان الخالق الذي جعل مخلوقاته يتبادلون الكلام بمئات الآلاف من الالسنة واللغات وهو الذي يسمع كلام الجميع ويعرفه، فهل يمكن ألاّ يتكلم هو ؟.. كلا ثم كلا ! ثم هل يعقل الاّ يعلّم مقاصده الإلهية بكتاب عظيم كالقرآن الكريم الذي يجيب عن ثلاثة اسئلة تحار العقول امامها: من اين تأتي هذه المخلوقات ؟ والى اين المصير ؟ ولماذا تتعاقب ثم لاتلبث أن تغيب ؟... كلا.

فالقرآن الكريم الذي نوّر ثلاثة عشر قرنا واضاءها..والذي يتناقله في كل ساعة مائة مليون لسان بكل اجلال وتوقير.. والذي سُطر في صدور ملايين الحفاظ بكل سمو وقداسة.. والذي أدار بقوانينه القسم الاعظم من البشرية، وربّى نفوسهم وزكّى ارواحهم، وصفى قلوبهم وأرشد عقولهم.. والذي هو معجزة خالدة كما اثبتنا اعجازه بأربعين وجها في رسائل النور، فوضح ان له اعجازاً لكل طبقة من الطبقات الاربعين للناس (كما جاء في المكتوب التاسع عشر ذات الكرامة الخارقة).. هذا القرآن العظيم استحق بحق ان يطلق عليه «كلام الله» فاصبح محمد ﷺ مع آلاف من معجزاته معجزة باهرة له.

فهل يمكن ألاّ يكون هذا القرآن الكريم كلام ذلك المتكلم الازلي سبحانه ؟ وهل يمكن ألاّ يكون اوامر ذلك الخالق السرمدي جل وعلا ؟ حاش لله وكلا ألف ألف مرة كلا !

فـ«الايمان بالله» مع جميع حججه اذاً يثبت ان القرآن الكريم كلام الله عز وجل.

* * *

ثم ان السلطان ذا الجلال الذي يملأ سطح الارض بذوي الحياة باستمرار ويفرغه، معمراً دنيانا بذوي الشعور لاجل معرفته سبحانه وعبادته وتسبيحه.

هل يمكن لهذا السلطان ذي الجلال ان يترك السموات والنجوم خالية فارغة، ولايعمر تلك القصور السماوية بأهالي وسكنة تناسبها؟..

وهل يمكن ان يترك (هذا السلطان العظيم) سلطنة ربوبيته في اوسع ممالكه بلا هيبة وعظمة، وبلا موظفين مأمورين، وبلا سفراء رسل، وبلا ناظرين مشرفين، وبلا مشاهدين معجبين، وبلا عباد مكرمين، وبلا رعايا مطيعين ؟ حاش لله وكلا.. بعدد الملائكة.

ثم ان الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب، حتى سجل تاريخ حياة كل شجرة في كل بذر من بذورها، ودوّن وظائف حياة كل عشب ومهام كل زهر في جميع نواها. وكتّب جميع حوادث الحياة لكل ذي شعور في قواه الحافظة الصغيرة كحبة الخردل. واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة وبكل حادثة في دوائر سلطنته بالتقاط صورها المتعددة، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الاكبر لاجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي اهم اساس للربوبية..

فهل يمكن لهذا الحاكم الحكيم ولهذا العليم الرحيم الاّ يسجل اعمال الانسان التي تتعلق بالكائنات؟..

وهل يمكن الاّ يدون افعاله للثواب والعقاب ولايكتب سيئاته وحسناته في الواح القدر ؟! حاش لله وكلا بعدد حروف ما كتب في اللوح المحفوظ للقدر.

اي ان حقيقة «الايمان بالله» مع حججها تثبت حقيقة «الايمان بالملائكة» كما تثبت حقيقة «الايمان بالقدر» ايضا اثباتا قاطعا. كالشمس التي تظهر النهار والنهار الذي يدل على الشمس.

وهكذا فالاركان الايمانية يثبت بعضها البعض الآخر.

النقطة الثانية:

ان جميع ما دعت اليه الكتب والصحف السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم وجميع الدعوات التي قام بها الانبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم محمد ﷺ تدور على اسس ثابتة، واركان معينة. ولقد سعى جميعهم لاثبات الاسس وتلقينها للآخرين. لذا فجميع الحجج والدلائل التي تشهد على نبوتهم وصدقهم متوجهة معا الى تلك الاسس والاركان مما يزيدها قوة وأحقية. وما تلك الاسس الا الايمان بالله، وباليوم الآخر، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

فلا يمكن اذن التفريق بين اركان الايمان الستة اطلاقاً، حيث أن كل ركن من الاركان يثبت الاركان عامة بل يستدعيها ويقتضيها، لذا فان الاركان الستة كلٌّ لايقبل التجزأة البتة، وكلّي لا يمكن ان ينقسم ابداً. فكما ان كل غصن من اغصان الشجرة المباركة (شجرة طوبى) الممتد جذرها في السماء، وكل ثمر من ثمارها وكل ورقة من اوراقها يستند على الحياة الخالدة لتلك الشجرة، فلا يمكن لأحد ان ينكر حياة ورقة واحدة متصلة بتلك الشجرة ما لم يتمكن له إنكار حياة تلك الشجرة الظاهرة ظهوراً ساطعاً كالشمس. ولئن انكر فان تلك الشجرة تكذبه بعدد اغصانها وثمارها واوراقها وتسكته، كذلك الايمان بأركانه الستة هو بالصورة نفسها.

هذا ولقد كانت النية معقودة على بيان الاركان الايمانية الستة في ست نقاط وفي كل نقطة خمس نكات ذات مغزى، وكانت الرغبة متوجهة الى اجابة السؤال المثير الوارد في المقدمة ببيان اكثر وتوضيح أوسع، الا أن عوائق وعوارض حالت دون ذلك. بيد أنني أخال أن «النقطة الاولى» لم تدع سبيلا لايضاح اكثر لاهل الدراية، حيث انها مقياس كاف للموضوع.

وهكذا وضح تماماً انه؛ اذا ما انكر المسلم اية حقيقة ايمانية كانت فانه يتردى الى الكفر المطلق؛ اذ تسلسلت الاركان الايمانية بعضها ببعض، وفصّل الاسلام ووضح ماأجمل في الاديان الاخرى. فالمسلم الذي لايعرف محمداً ﷺ ولايصدق به فلايعرف الله سبحانه (بصفاته) ولايعرف الآخرة كذلك.. فايمان المسلم قوي

ورصين الى درجة لايتزعزع ابداً ولايدع مجالاً للانكار قطعاً لاستناده الى حجج كثيرة جداً، حتى كأن العقل يرضخ رضوخاً لقبول هذا الايمان.

النقطة الثالثة:

قلت ذات مرة «الحمد لله». ثم بحثت عن نعمة عظيمة جداً تقابل معناها الواسع جداً، فخطر على القلب الجملة الآتية:

[الحمد لله على الايمان بالله، وعلى وحدانيته، وعلى وجوب وجوده وعلى صفاته، واسمائه، حمداً بعدد تجليات اسمائه من الازل الى الابد].

فتأملت فيها فوجدتها مطابقة تماماً للمعنى.. وهي كالآتي[1]:

....
....

* * *

(١) انتهى النص هنا وكأن الستار اسدل امام الاستاذ فلم يستمر بالكتابة، او لعل الظروف المحيطة به حالت دون ذلك، فاكتفى بالفقرات السابقة. — المترجم.

المسألة العاشرة

زهرة اميرداغ

(رد شاف ومقنع على اعتراضات ترد حول التكرار في القرآن الكريم)

اخواني الاعزاء الاوفياء!

كنت اعاني من حالة مضطربة بائسة حينما تناولت هذه المسألة بالكتابة، لذا اكتنفها شئ من الغموض لكونها بقيت كما جاءت عفو الخاطر. ولكني ادركت ان تلك العبارات المشوشة تنطوي على اعجاز رائع. فيا اسفى لم استطع ان اوفي حق هذا الاعجاز من الاداء والتعبير. فعبارات الرسالة مهما كانت خافتة الانوار الا انها تعد — من حيث تعلقها بالقرآن الكريم — «عبادة فكرية» و صَدَقَة تضم لآلئ نفيسة سامية، فالرجاء ان تصرفوا النظر عن قشرتها وتمعنوا النظر بما فيها من لآلئ ساطعة. فان وجدتموها جديرة حقا فاجعلوها «المسألة العاشرة» — لرسالة الثمرة — والا فاقبلوها رسالة جوابية عن تهانيكم.

ولقد اضطررت الى كتابتها في غاية الاجمال والاقتضاب، لما كنت اكابد من سوء التغذية واوجاع الامراض، حتى انني ادرجت في جملة واحدة منها حقائق وحججا غزيرة، واتممتها — بفضل الله — في يومين من ايام شهر رمضان المبارك، فارجو المعذرة عما بدر مني من تقصير[1].

---

(١) هذه المسألة «زهرة» لطيفة وضاءة لهذا الشهر الكريم ولمدينة «اميرداغ» الحقت بـ«ثمرة» سجن «دنيزلي» على انها «المسألة العاشرة». فهي تزيل باذن الله ماينفثه اهل الضلالة من سموم الاوهام العفنة حول ظاهرة التكرار في القرآن، وذلك ببيانها حكمة من حكمها الكثيرة. — المؤلف.

اخوتي الاوفياء الصادقين!

حينما كنت اتلو القرآن – المعجز البيان – في الشهر المبارك رمضان، تدبّرت في معاني الآيات الثلاث والثلاثين – التي وردت اشاراتها الى رسائل النور في «الشعاع الاول» – فرأيت أن كل آية منها – بل آيات تلك الصفحة في المصحف وموضوعها – كأنها تطل على رسائل النور وطلابها من جهة نيلهم غيضا من فيضها وحظا من معانيها – لاسيما آية النور «في سورة النور» فهي تشير بالاصابع العشر الى رسائل النور، كما أن الآيات التي تعقبها – وهي آية الظلمات – تطل على معارضي الرسائل واعدائها بل تعطيهم حصة اكبر، اذ لايخفى ان مقام تلك الايات وأبعادها ومراميها غير قاصرة على زمان ومكان معينين بل تشمل الأزمنة والامكنة جميعها، اي تخرج من جزئية الامكنة والازمنة الى كلّيتهما الشاملة، لذا شعرت ان رسائل النور وطلابها انما يمثلون في عصرنا هذا – حق التمثيل – فرداً واحداً من افراد تلك الكلية الشاملة.

ان خطاب القرآن الكريم قد اكتسب صفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والاحاطة الشاملة؛ لصدوره مباشرة من المقام الواسع المطلق للربوبية العامة الشاملة للمتكلم الازلي سبحانه.. ويكتسبها من المقام الواسع العظيم لمن أُنزل عليه هذا الكتاب، ذلكم النبي الكريم ﷺ الممثل للنوع البشري والمخاطب باسم الانسانية قاطبة، بل باسم الكائنات جميعا.. ويكتسبها ايضا من توجه الخطاب الى المقام الواسع الفسيح لطبقات البشرية كافة في العصور كافة.. ويكتسبها ايضا من المقام الرفيع المحيط النابع من البيان الشافي لقوانين الله سبحانه المتعلقة بالدنيا والآخرة، بالارض والسماء، بالازل والابد، تلك القوانين التي تخص ربوبيته وتشمل امور المخلوقات كافة.

فهذا الخطاب الجليل الذي اكتسب من السعة والسمو والاحاطة والشمول ما اكتسب، يبرز اعجازاً رائعاً وإحاطة شاملة، بحيث:

ان مراتبه الفطرية والظاهرية التي تلاطف أفهام العوام البسيطة – وهم معظم المخاطبين – تمنح في الوقت نفسه حصة وافرة لأعلى المستويات الفكرية ولأرقى الطبقات العقلية، فلايهب لمخاطبيه شيئا من ارشاداته وحدها، ولايخصهم بعبرة من

حكاية تأريخية فقط، بل يخاطب ايضاً كل طبقة في كل عصر – لكونها فرداً من افراد دستور كلي – خطاباً ندياً طرياً جديداً كأنه الآن ينزل عليهم. ولاسيما كثرة تكراره: «الظالمين.. الظالمين..» وزجره العنيف لهم وانذاره الرهيب من نزول مصائب سماوية وأرضية بذنوبهم ومظالمهم، فيلفت الانظار – بهذا التكرار– الى مظالم لانظير لها في هذا العصر، بعرضه أنواعا من العذاب والمصائب النازلة بقوم عاد وثمود وفرعون. وفي الوقت نفسه يبعث السلوان والطمأنينة الى قلوب المؤمنين المظلومين، بذكره نجاة رسل كرام امثال ابراهيم وموسى عليهما السلام.

ثم ان هذا القرآن العظيم يرشد كل طبقة من كل عصر ارشاداً واضحاً باعجاز رائع مبينا:

ان «الازمنة الغابرة» والعصور المندثرة التي هي في نظر الغافلين الضالين واد من عدم سحيق موحش رهيب، ومقبرة مندرسة أليمة كئيبة، يعرضها صحيفة حية تطفح عبرا ودروسا، وعلما عجيبا ينبض بالحياة ويتدفق بالحيوية من أقصاه الى اقصاه، ومملكة ربانية ترتبط معنا بوشائج وأواصر، فيبينها – باعجازه البديع – واضحة جليلة كأنها مشهودة تعرض أمامنا على شاشة، فتارة يأتي بتلك العصور ماثلة شاخصة أمامنا، وتارة يأخذنا الى تلك العصور.

ويبين بالاعجاز نفسه «الكون» الذي يراه الغافلون فضاء موحشا بلا نهاية، وجمادات مضطربة بلا روح تتدحرج في دوامة الفراق والآلام، يبينه القرآن كتابا بليغا، كتبه الاحد الصمد، ومدينة منسقة عمرها الرحمن الرحيم، ومعرضا بديعا أقامه الرب الكريم لاشهار مصنوعاته. فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات، ويجعل بعضها يسعى لامداد الاخر، وكل جزء يغيث الآخر ويعينه، كأنه يحاوره محاورة ودية صميمة، فكل شئ مسخر وكل شئ انيط به وظيفة وواجب.. وهكذا يلقي القرآن دروس الحكمة الحقيقية والعلم المنور الى الانس والجن والملك كافة فلاريب ان هذا القرآن العظيم – الذي له هذا الاعجاز في البيان – قمين بان يحوز خواص راقية عالية، وميزات مقدسة سامية، امثال:

في كل حرف منه عشر حسنات، بل ألف حسنة أحيانا، بل ألوف الحسنات في احيان اخرى.. وعجز الجن والانس عن الإتيان بمثله ولو اجتمعوا له.. ومخاطبته بني آدم جميعهم بل الكائنات برمتها مخاطبة بليغة حكيمة.. وتلهف الملايين من الناس في كل عصر الى حفظه عن ظهر قلب بشوق ومتعة.. وعدم السأم من تلاوته الكثيرة رغم تكراراته.. واستقراره التام في اذهان الصغار اللطيفة البسيطة مع كثرة ما فيه من جمل ومواضع تلتبس عليهم.. وتلذذ المرضى والمحتضرين – الذين يتألمون حتى من أدنى كلام – من سماعه، وجريانه في اسماعهم عذبا طيبا.. وغيرها من الخواص السامية والمزايا المقدسة التي يحوزها القرآن الكريم، فيمنح قرّاءه وتلاميذه انواعا من سعادة الدارين.

ويظهر اعجازه الجميل ايضا في «اسلوب ارشاده البليغ» حيث راعى أحسن الرعاية أمية مبلغه الكريم ﷺ باحتفاظه التام على سلاسته الفطرية، فهو أجلّ من ان يدنو منه تكلف او تصنع او رياء – مهما كان نوعه – فجاء اسلوبه مستساغا لدى العوام الذين هم اكثرية المخاطبين، ملاطفاً بساطة اذهانهم بتنزلاته الكلامية القريبة من أفهامهم.. باسطاً امامهم صحائف ظاهرة ظهورا بديهيا كالسموات والارض.. موجهاً الانظار الى معجزات القدرة الإلهية وسطور حكمته البالغة المضمرتين تحت العاديات من الامور والاشياء.

ثم ان القرآن الكريم يظهر نوعا من اعجازه البديع ايضا في «تكراره البليغ» لجملة واحدة، اولقصة واحدة، وذلك عند ارشاده طبقات متباينة من المخاطبين الى معان عدة، وعبر كثيرة في تلك الآية او القصة، فاقتضى التكرار حيث أنه: كتاب دعاء ودعوة كما انه كتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كرر في القرآن الكريم اذاً من آية او قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة.

ويظهر اعجازه ايضا عند تناوله «حوادث جزئية» وقعت في حياة الصحابة الكرام اثناء نزوله وارسائه بناء الاسلام وقواعد الشريعة فتراه يأخذ تلك الحوادث بنظر الاهتمام البالغ، مبينا بها: أن ادق الامور لاصغر الحوادث جزئية انما هي تحت نظر رحمته سبحانه، وضمن دائرة تدبيره وإرادته، فضلا عن انه يظهر بها سننا إلهية جارية في الكون ودساتير كلية شاملة. زد على ذلك ان تلك الحوادث التي هي بمثابة

النويات عند تأسيس الاسلام والشريعة ستثمر فيما يأتي من الازمان ثماراً يانعة من الاحكام والفوائد.

ان تكرر الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد اجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة، فارشد باجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين. فهو يكرر جملا تملك ألوف النتائج، ويكرر ارشادات هي نتيجة لأدلة لاحد لها، وذلك عند ترسيخه في الاذهان وتقريره في القلوب ما سيحدث من انقلاب عظيم وتبدل رهيب في العالم وما سيصيبه من دمار وتفتت الاجزاء، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة الرائعة بدلا من هذا العالم الفاني.

ثم انه يكرر تلك الجمل والايات ايضا عند اثباته ان جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات الى النجوم انما هي في قبضة واحد أحد سبحانه وضمن تصرفه جل شأنه.

ويكررها ايضا عند بيانه الغضب الإلهي والسخط الرباني تجاه المظالم التي يرتكبها الانسان عند خرقه الغاية من الخلق، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والارض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها.

لذا فان تكرار تلك الجمل والايات عند بيان امثال هذه الامور العظيمة الهائلة لايعد نقصاً في البلاغة قط، بل هو اعجاز في غاية الروعة والابداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة، وجزالة – بل فصاحة – مطابقة تطابقاً تاماً لمقتضى الحال، فعلى سبيل المثال:

○ ان جملة ﴿ **بسم الله الرّحمنِ الرّحيم** ﴾ هي آية واحدة تتكرر مائة واربع عشرة مرة في القرآن الكريم، ذلك لانها حقيقة كبرى تملأ الكون نورا وضياء وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق - كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة - فما من أحد الاّ وهو بحاجة ماسة الى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات، فالحاجة مازالت قائمة باقية لا ترتوي. اذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي ايضاً كالهواء والضياء الذي يُضطر اليه ويُشتاق كل دقيقة.

o وان الآية الكريمة ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهوَ العزيزُ الرّحيم ﴾ تتكرر ثماني مرات في سورة «الشعراء». فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على الوف الحقائق في سورة تذكُر نجاة الانبياء عليهم السلام وعذاب اقوامهم، انما هو لبيان:

ان مظالم اقوامهم تمس الغاية من الخلق، وتتعرض الى عظمة الربوبية المطلقة، فتقتضي العزة الربانية عذاب تلك الاقوام الظالمة مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الانبياء عليهم السلام. فلو تكررت هذه الآية الوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق اليها، فالتكرار هنا بلاغة راقيةذات اعجاز وايجاز.

o وكذلك الآية الكريمة ﴿ فبأيِّ آلاء ربّكما تُكذّبان ﴾ المكررة في سورة «الرحمن» والآية الكريمة ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمُكذبينَ ﴾ المكررة في سورة «المرسلات» تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن اعلانا صريحاً في اقطار السموات والارض أن كفر الجن والانس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير غضب الكائنات ويجعل الارض والسموات في حنق وغيظ عليهم.. ويخل بحكمة خلق العالم والقصد منه.. ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها.. ويستخف بعظمة الالوهية وينكرها، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من امثال هذه الحقائق، ولهما من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا الوف المرات في خطاب عام موجه الى الجن والانس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة اليها مازالت موجودة باقية. فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة.

o (ومثال آخر نسوقه حول حكمة التكرار في الحديث النبوي ﷺ) فالمناجاة النبوية المسماة بالجوشن الكبير مناجاة رائعة مطابقة لحقيقة القرآن الكريم ونموذج مستخلص منه. نرى فيها جملة «سبحانك يالاإله إلاّ انت الامان الامان خلصنا من النار.. اجرنا من النار.. نجّنا من النار» هذه الجمل تتكرر مائة مرة، فلو تكررت الوف المرات لما ولدت السأم، إذ انها تنطوي على أجلّ حقيقة في الكون وهي التوحيد، وأجل وظيفة من وظائف المخلوقات تجاه ربهم الجليل وهي التسبيح والتحميد والتقديس، واعظم قضية مصيرية للبشرية وهي النجاة من النار والخلاص من الشقاء الخالد، وألزم غاية للعبودية وللعجز البشري وهي الدعاء.

وهكذا نرى امثال هذه الاسس فيما تشتمل عليه انواع التكرار في القرآن الكريم. حتى نرى أنه يعبر اكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد – صراحة او ضمنا – في صحيفة واحدة من المصحف وذلك حسب اقتضاء المقام، ولزوم الحاجة الى الافهام، وبلاغة البيان، فيهيج بالتكرار الشوق الى تكرار التلاوة، ويمد به البلاغة قوة وسموا من دون أن يورث سأماً او مللاً.

ولقد اوضحت اجزاء رسائل النور حكمة التكرار في القرآن الكريم وبينت حججها واثبتت مدى ملاءمة التكرار وانسجامه مع البلاغة، ومدى حسنه وجماله الرائع.

o اما حكمة اختلاف السور المكية عن المدنية من حيث البلاغة، ومن جهة الاعجاز ومن حيث التفصيل والاجمال فهي على النحو الآتي:

ان الصف الاول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش وهم اميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة اسلوبا عاليا قويا واجمالا معجزا مقنعا، وتكراراً يستلزمه التثبيت في الافهام؛ لذا بحثت اغلب السور المكية اركان الايمان ومراتب التوحيد باسلوب في غاية القوة والعلو، وبايجاز في غاية الاعجاز، وكررت الايمان بالله والمبدأ والمعاد والاخرة كثيرا، بل قد عبرت عن تلك الاركان الايمانية في كل صحيفة أو آية، او في جملة واحدة، او كلمة واحدة، بل ربما عبرت عنها في حرف واحد، في تقديم وتأخير، في تعريف وتنكير، في حذف وذكر. فاثبتت اركان الايمان في امثال تلك الحالات والهيئات البلاغية أثباتا جعل علماء البلاغة وائمتها يقفون حيارى مبهوتين امام هذا الاسلوب المعجز. ولقد وضحّت رسائل النور ولاسيما «الكلمة الخامسة والعشرون مع ذيولها» اعجاز القرآن في اربعين وجها من وجوهها، وكذلك تفسير «اشارات الاعجاز في مظان الايجاز» باللغة العربية الذي يبين بيانا رائعا اعجاز القرآن من حيث وجه النظم بين الآيات الكريمة. فاثبتت كلتا الرسالتين فعلاً علو الاسلوب البلاغي الفذ وسمو الايجاز المعجز في الآيات المكية.

اما الآيات المدنية وسورها فالصف الاول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم اهل كتاب مؤمنون بالله. فاقتضت قواعد البلاغة واساليب الارشاد واسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقا لواقع حالهم،

فجاء باسلوب سهل واضح سلس، مع بيان وتوضيح في الجزئيات - دون الاصول والاركان (الايمانية) - لان تلك الجزئيات هي منشأ الاحكام الفرعية والقوانين الكلية، ومدار الاختلافات في الشرائع والاحكام.. لذا فغالباً ما نجد الايات المدنية واضحة سلسة باسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم. ولكن ذكر القرآن فذلكة قوية او نتيجة ملخصة او خاتمة رصينة او حجة دامغة تعقيبا على حادثة جزئية فرعية، يجعل تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة، ومن بعد ذلك يضمن الامتثال بها بترسيخ الايمان بالله الذي يحققه ذكر تلك الفواصل الختامية الملخصة للتوحيد والايمان والاخرة. فترى أن ذلك المقام الواضح السلس يتنور ويسمو بتلك الفواصل الختامية. (ولقد بينت «رسائل النور» واثبتت حتى للمعاندين مدى البلاغة العالية والميزات الراقية وانواع الجزالة السامية الدقيقة الرفيعة في تلك الفذلكات والفواصل وذلك في عشر مميزات ونكت في النور الثاني من الشعلة الثانية للكلمة الخامسة والعشرين الخاصة باعجاز القرآن).

فان شئت فانظر الى ﴿ **إن الله على كلِّ شيءٍ قدير** ﴾ ﴿ **إن الله بكل شيءٍ عليم** ﴾ ﴿ **وهو العزيز الحكيم** ﴾ ﴿ **وهو العزيز الرحيم** ﴾ وامثالها من الآيات التي تفيد التوحيد وتذكّر بالآخرة، والتي تنتهي بها اغلب الآيات الكريمة، ترَ أن القرآن الكريم عند بيانه الاحكام الشرعية الفرعية والقوانين الاجتماعية يرفع نظر المخاطب الى آفاق كلية سامية، فيبدل - بهذه الفواصل الختامية - ذلك الاسلوب السهل الواضح السلس اسلوباً عالياً رفيعاً، كأنه ينقل القارئ من درس الشريعة الى درس التوحيد. فيثبت أن القرآن كتاب شريعة واحكام وحكمة كما هو كتاب عقيدة وايمان، وهو كتاب ذكر وفكر كما هو كتاب دعاء ودعوة.

وهكذا ترى أن هناك نمطا من جزالة معجزة ساطعة في الآيات المدنية هو غير بلاغة الآيات المكية، حسب اختلاف المقام وتنوع مقاصد الارشاد والتبليغ.

فقد ترى هذا النمط في كلمتين فقط: ﴿ **ربك** ﴾ و ﴿ **رب العالمين** ﴾ إذ يعلّم الاحدية بتعبير ﴿ **ربك** ﴾ ويعلّم الواحدية بـ﴿ **رب العالمين** ﴾، فيفيد الاحدية ضمن الواحدية.

بل قد ترى ذلك النمط من البلاغة في جملة واحدة فيريك في آية واحدة مثلا نفوذ علمه في موضع الذرة في بؤبؤ العين وموقع الشمس في كبد السماء، واحاطة قدرته التي تضع بآلالة الواحدة كلاً في مكانه، جاعلة من الشمس كأنها عين السماء فيعقب ﴿ **وهو عَليمٌ بذات الصُدور** ﴾ بعد آيات ﴿ **هو الذى خلقَ السموات والارض... يُولج الليلَ في النهارِ ويُولجُ النّهار في الليل** ﴾ (الحديد: ٤-٦) اي يعقب نفوذ علمه سبحانه في خفايا الصدور بعد ذكره عظمة الخلق في السموات والارض وبسطها امام الانظار. فيقر في الاذهان أنه يعلم خواطر القلوب وخوافي شؤونها ضمن جلال خلاقيته للسموات والارض وتدبيره لشؤونها. فهذا التعقيب: ﴿ **وهو عَليمٌ بذات الصُدور** ﴾ لون من البيان يحول ذلك الاسلوب السهل الواضح الفطري – القريب الى افهام العوام – الى ارشاد سام وتبليغ عام جذاب.

سؤال:

ان النظرة السطحية العابرة لاتستطيع ان ترى ما يورده القرآن الكريم من حقيقة ذات اهمية، فلاتعرف نوع المناسبة والعلاقة بين فذلكة تعبّر عن توحيد سام او تفيد دستوراً كلياً، وبين حادثة جزئية معتادة؛ لذا يتوهم البعض ان هناك شيئا من قصور في البلاغة، فمثلا: لاتظهر المناسبة البلاغية في ذكر دستور عظيم: ﴿ **وفَوقَ كل ذي علم عَليم** ﴾ (يوسف: ٧٦) تعقيبا على حادثة جزئية وهي ايواء يوسف عليه السلام اخاه اليه بتدبير ذكي، فيرجى بيان السر في ذلك وكشف الحجاب عن حكمته ؟

الجواب: ان اغلب السور المطولة والمتوسطة – التي كل منها كأنها قرآن على حدة – لاتكتفي بمقصدين او ثلاثة من مقاصد القرآن الاربعة (وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية) بل القرآن بماهيته، اي كل منها: كتاب ذكر وايمان وفكر، كما أنه كتاب شريعة وحكمة وهداية، يتضمن كُتباً عدة، ويرشد الى دروس مختلفة متنوعة. فتجد ان كل مقام – بل حتى الصحيفة الواحدة – يفتح امام الانسان ابوابا للايمان ولمعرفة الله ومراتب التوحيد يحقق بها اقرار مقاصد عديدة، حيث أن القرآن يقرأ ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح، فيرسخ في اعماق المؤمن احاطة ربوبيته سبحانه بكل شئ، ويريه تجلياتها المهيبة في الافاق والانفس، لذا فإن ما يبدو ظاهراً من مناسبة ضعيفة، يبنى عليها مقاصد كلية، فتتلاحق مناسبات وثيقة

وعلاقات قوية بتلك المناسبة الضعيفة ظاهراً، فيكون الاسلوب مطابقا تماما لمقتضى ذلك المقام، فتتعالى مرتبته البلاغية.

سؤال آخر:

ما حكمة سَوق القرآن الوف الدلائل لاثبات امور الآخرة وتلقين التوحيد واثابة البشر ؟ وما السر في لفته الانظار الى تلك الامور صراحة وضمنا واشارة في كل سورة بل في كل صحيفة من المصحف وفي كل مقام ؟

الجواب: لان القرآن الكريم ينبه الانسان الى اعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات ودائرة الممكنات في تاريخ العالم.. وهو الآخرة. ويرشده الى اعظم مسألة تخصه وهو الحامل للامانة الكبرى وخلافة الارض.. تلك هي مسألة التوحيد الذي يدور عليه سعادته وشقاوته الابديتان. وفي الوقت نفسه يزيل القرآن سيل الشبهات الواردة دون انقطاع، ويحطم اشد انواع الجحود والانكار المقيت.

لذا لو قام القرآن بتوجيه الانظار الى الايمان بتلك الانقلابات المدهشة وحمل الآخرين على تصديق تلك المسألة العظيمة الضرورية للبشر.. نعم لو قام به آلاف المرات وكرر تلك المسائل ملايين المرات لايعدّ ذلك منه اسرافاً في البلاغة قط، كما أنه لايولد سأما ولا مللا ألبتة، بل لاتنقطع الحاجة الى تكرار تلاوتها في القرآن الكريم، حيث ليس هناك اهم ولا اعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة.

فمثلاً: ان حقيقة الآية الكريمة: ﴿ **انّ الذين آمنوا وعَملوا الصّالحات لَهُم جَناتٌ تجري من تحتها الانهارُ ذلك الفوز الكبير** ﴾ (البروج: ١١) هي بشرى السعادة الخالدة تزفها هذه الآية الكريمة الى الانسان المسكين الذي يلاقي حقيقة الموت كل حين، فتنقذه هذه البشرى من تصور الموت اعداما ابديا، وتنجيه - وعالمه وجميع احبته - من قبضة الفناء، بل تمنحه سلطنة ابدية، وتكسبه سعادة دائمة.. فلو تكررت هذه الآية الكريمة ملياراً من المرات لايعد من الاسراف قط، ولايمس بلاغته شئ.

وهكذا ترى أن القرآن الكريم الذي يعالج امثال هذه المسائل القيمة ويسعى لاقناع المخاطبين بها باقامة الحجج الدامغة يعمق في الاذهان والقلوب تلك التحولات العظيمة والتبدلات الضخمة في الكون، ويجعلها امامهم سهلة واضحة كتبدل المنزل

وتغير شكله. فلابد أن لفت الانظار الى امثال هذه المسائل – صراحة وضمنا واشارة – بالوف المرات تجديد لإحسانه وضروري جداً كضرورة الانسان الى نعمة الخبز والهواء والضياء التي تتكرر حاجته اليها دائما.

ومثلاً: ان حكمة تكرار القرآن الكريم في: ﴿ **والذين كَفروا لهُم نار جهنم** ﴾(فاطر: ٣٦). ﴿ **ان الظالمين لَهُم عَذاب أليم** ﴾(ابراهيم: ٢٢) وامثالها من آيات الانذار والتهديد. وسوقها باسلوب في غاية الشدة والعنف، هي (كما اثبتناها في رسائل النور اثباتا قاطعا):

ان كفر الانسان انما هو تجاوز – ايّ تجاوز – على حقوق الكائنات واغلب المخلوقات، ممايثير غضب السماوات والارض، ويملأ صدور العناصر حنقا وغيظا على الكافرين، حتى تقوم تلك العناصر بصفع اولئك الظالمين بالطوفان وغيره. بل حتى الجحيم تغضب عليهم غضبا تكاد تتفجر من شدته كما هو صريح الآية الكريمة: ﴿ **اذا أُلقوا فيها سمِعوا لها شهيقاً وهي تفور۞ تكاد تميَّزُ من الغيظ** ﴾(الملك: ٧، ٨). فلو يكرر سلطان الكون في اوامره تلك الجناية العظمى (الكفر) وعقوبتها باسلوب في غاية الزجر والشدة ألوف المرات، بل ملايين المرات، بل مليارات المرات لما عدّ ذلك اسرافا مطلقا ولانقصا في البلاغة، نظراً لضخامة تلك الجناية العامة وتجاوز الحقوق غير المحدودة، وبناء على حكمة اظهار اهمية حقوق رعيته سبحانه وابراز القبح غير المتناهي في كفر المنكرين وظلمهم الشنيع. اذ لايكرر ذلك لضآلة الانسان وحقارته بل لهول تجاوز الكافر وعظم ظلمه.

ونحن نرى ان مئات الملايين من الناس منذ الف ومئات من السنين يتلون القرآن الكريم بلهفة وشوق وبحاجة ماسة اليه دون ملل ولا سأم.

نعم، ان كل وقت وكل يوم انما هو عالمٌ يمضي وباب ينفتح لعالم جديد لذا فان تكرار « لا إله إلاّ الله » بشوق الحاجة اليها ألوف المرات لاجل اضاءة تلك العوالم السيارة كلها وانارتها بنور الايمان، يجعل تلك الجملة التوحيدية كأنها سراج منير في استار تلك العوالم والايام. فكما أن الامر هكذا في « لاإله إلاّ الله » كذلك بتلاوة تكرارات القرآن الكريم يعرف المرء عظم جزاء الجنايات الحاصلة بالظلام المخيم على

تلك الكثرة الكاثرة من المشاهد السارية، وعلى تلك العوالم السيارة المتجددة، وقبح صورها المنعكسة في مرآة الحياة، وتجعل تلك الاوضاع المقبلة شهوداً له يوم القيامة لاشهوداً عليه، وترقّيه الى مرتبة معرفة عِظم جزاء الجنايات، وتجعله يدرك قيمة النذر المخيفة لسلطان الازل والابد التي تشتت عناد الظالمين الطغاة، وتشوّقه الى الخلاص من طغيان النفس الامارة بالسوء.. فلأجل هذه الحكم كلها يكرر القرآن الكريم مايكرر في غاية الحكمة، مظهراً ان النذر القرآنية الكثيرة الى هذا القدر، وبهذه القوة والشدة والتكرار حقيقة عظمى، ينهزم الشيطان من توهمها باطلا، ويهرب من تخيلها عبثا. نعم ان عذاب جهنم لهو عين العدالة لأولئك الكفار الذين لايعيرون للنذر سمعاً.

○ ومن المكررات القرآنية «قصص الانبياء» عليهم السلام، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام – مثلاً – التي لها من الحكم والفوائد ما لعصا موسى، وكذا الحكمة في تكرار قصص الانبياء انما هي لاثبات الرسالة الاحمدية وذلك بإظهار نبوة الانبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة الاحمدية وصدقها؛ حيث لايمكن أن ينكرها الا من ينكر نبوتهم جميعا. فذكرها اذن دليل على الرسالة.

ثم ان كثيراً من الناس لايستطيعون كل حين ولا يوفقون الى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما يتيسر لهم منه. ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار اركان الايمان الضرورية. اي أن تكرار هذه القصص هو مقتضى البلاغة وليس فيه اسراف قط. زد على ذلك فان فيه تعليماً بأن حادثة ظهور محمد ﷺ اعظم حادثة للبشرية واجل مسألة من مسائل الكون.

نعم! ان منح ذات الرسول الكريم ﷺ اعظم مقام واسماه في القرآن الكريم، وجعل «محمد رسول الله» – الذي يتضمن اربعة من اركان الايمان – مقروناً بـ«لا اله الا الله» دليل – وأيّ دليل – على أن الرسالة المحمدية هي اكبر حقيقة في الكون، وان محمداً ﷺ لهو اشرف المخلوقات طراً. وان الحقيقة المحمدية التي تمثل الشخصية المعنوية الكلية والمقام السامي والمرتبة الرفيعة لمحمد ﷺ هي السراج المنير للعالمين كليهما، وانه ﷺ اهل لهذا المقام الخارق، كما قد اثبت ذلك في اجزاء رسائل النور بحجج وبراهين عديدة اثباتا قاطعاً. نورد هنا واحداً من الف منها. وكما يأتي:

ان كل ما قام به جميع أمة محمد ﷺ من حسنات في الازمنة قاطبة يكتب مثلها في صحيفة حسناته ﷺ، وذلك حسب قاعدة «السبب كالفاعل».

وان تنويره لجميع حقائق الكائنات بالنور الذي اتى به لايجعل الجن والانس والملك وذوي الحياة في امتنان ورضى وحدهم بل يجعل ايضاً الكون برمته والسماوات والارض جميعا راضية عنه محدثة بفضائله.

وان ما يبعثه صالحو الامة – الذين يبلغون المليارات – يوميا من أدعية فطرية مستجابة لاترد – بدلالة القبول الفعلي المشاهد لأدعية النباتات بلسان الاستعداد، وادعية الحيوانات بلسان حاجة الفطرة – ومن ادعية الرحمة بالصلاة والسلام عليه، وما يرسلونه بما ظفروا من مكاسب معنوية وحسنات هداياً، انما تقدم اليه اولا.

فضلا عما يدخل في دفتر حسناته ﷺ من انوار لاحدود لها بما تتلوه أمته – بمجرد التلاوة – من القرآن الكريم الذي في كل حرف من حروفه – التي تزيد على ثلاثمائة الف حرف – عشر حسنات وعشر ثمار اخروية، بل مائة بل الف من الحسنات..

نعم ! ان علام الغيوب سبحانه قد سبق علمه وشاهد أن الحقيقة المحمدية التي هي الشخصية المعنوية لتلك الذات المباركة ﷺ ستكون كمثال شجرة طوبى الجنة، لذا أولاه في قرآنه تلك الاهمية العظمى، حيث هو المستحق لذلك المقام الرفيع. وبيّن في اوامره بأن نيل شفاعته هو باتباعه والاقتداء بسنته الشريفة وهو اعظم مسألة من مسائل الانسان. بل أخذ بنظر الاعتبار – بين حين وآخر – اوضاعه الانسانية البشرية التي هي بمثابة بذرة شجرة طوبى الجنة.

وهكذا فلأن حقائق القرآن المكررة تملك هذه القيمة الراقية وفيها من الحكم ما فيها، فالفطرة السليمة تشهد أن في تكراره معجزة معنوية قوية وواسعة، الامَن مرض قلبه وسقم وجدانه بطاعون المادية، فتشمله القاعدة المشهورة:

قد ينكر المرءُ ضوء الشمس من رَمَد   ويُنكر الفمُ طعم الماء من سَقَم

* * *

خاتمة

هذه المسألة العاشرة في حاشيتين

الحاشية الاولى:

طرق سمعي قبل اثنتي عشرة سنة، ان زنديقاً عنيداً، قد فضح سوء طويته وخبث قصده باقدامه على ترجمة القرآن الكريم، فحاك خطة رهيبة، للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته. وصرح قائلاً: ليترجم القرآن لتظهر قيمته؟ اي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلاً منه! الى آخره من الافكار السامة. الا أن رسائل النور بفضل الله قد شلت تلك الفكرة وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة وبانتشارها الواسع في كل مكان، فاثبتت اثباتاً قاطعاً أنه:

لايمكن قطعا ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية.. وان أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكته البلاغية اللطيفة.. وان الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحل – باي حال – محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرف من حروفها حسنات تتصاعد من العشرة الى الالف، لذا لايمكن مطلقا تلاوة الترجمة بدلاً منه.

بيد ان المنافقين الذين تتلمذوا على يد ذلك الزنديق، سعوا بمحاولات هوجاء في سبيل الشيطان ليطفئوا نور القرآن الكريم بأفواههم. ولكن لما كنت لا التقي احداً، فلا علم لي بحقيقة ما يدور من اوضاع، الا أن اغلب ظني ان ما أوردته آنفا هو السبب الذي دعا الى إملاء هذه «المسألة العاشرة» علي رغم ما يحيط بي من ضيق.

الحاشية الثانية:

كنت جالسا ذات يوم في الطابق العلوي من فندق «شهر» عقب اطلاق سراحنا من سجن «دنيزلي» أتأمل فيما حوالي من اشجار الحَوَر (الصفصاف) الكثيرة في الحدائق الغناء والبساتين الجميلة، رأيتها جذلانة بحركاتها الراقصة الجذابة، تتمايل بجذوعها واغصانها، وتهتز اوراقها بادنى لمسة من نسيم. فبدت امامي بابهى صورة واحلاها، وكأنها تسبح لله في حلقات ذكر وتهليل.

مسّت هذه الحركات اللطيفة أوتار قلبي المحزون من فراق إخواني، وانا مغموم لانفرادي وبقائي وحيداً.. فخطر على البال - فجأة - موسما الخريف والشتاء وانتابتني غفلة، اذ ستتناثر الاوراق وسيذهب الرواء والجمال.. وبدأت أتألم على تلك الحُوَر الجميلة، واتحسر على سائر الاحياء التي تتجلى فيها تلك النشوة الفائقة تألماً شديداً حتى اغرورقت عيناي واحتشدت على رأسي أحزان تدفقت من الزوال والفراق تملأ هذا الستار المزركش البهيج للكائنات !.

وبينما أنا في هذه الحالة المحزنة اذا بالنور الذي اتت به الحقيقة المحمدية عليه الصلاة والسلام يغيثني - مثلما يغيث كل مؤمن ويسعفه - فبدّل تلك الأحزان والغموم التي لاحدود لها مسرات وأفراحاً لاحد لها، فبتّ في امتنان أبدي ورضى دائم من الحقيقة المحمدية التي انقذني فيض واحد من فيوضات انوارها غير المحدودة، فنشر ذلك الفيض السلوان في ارجاء نفسي واعماق وجداني، وكان ذلك على النحو الآتي:

ان تلك النظرة الغافلة أظهرت تلك الاوراق الرقيقة والاشجار الفارعة الهيفاء من دون وظيفة ولامهمة، لانفع فيها ولاجدوى، وانها لاتهتز اهتزازها اللطيف من شدة الشوق والنشوة بل ترتعد من هول العدم والفراق.. فتباً لها من نظرة غافلة اصابت صميم ما هو مغروز فيّ - كما هو عند غيري - من عشق للبقاء، وحب الحياة، والافتتان بالمحاسن، والشفقة على بني الجنس.. فحولت الدنيا الى جهنم معنوية، والعقل الى عضو للشقاء والتعذيب. فبينما كنت اقاسي هذا الوضع المؤلم، اذا بالنور الذي أنار به محمد ﷺ البشرية جمعاء يرفع الغطاء ويزيل الغشاوة ويبرز حِكماً ومعاني ووظائف ومهمات غزيرة جداً تبلغ عدد اوراق الحَور. وان نتائجها ليست الى العدم والعبث والإعدام والفناء.. وقد أثبتت رسائل النور ان تلك الوظائف والحكم تنقسم الى ثلاثة أقسام [1]:

القسم الاول: وهو المتوجه الى الاسماء الحسنى للصانع الجليل. فكما ان صانعا ماهرا اذا ما قام بصنع ماكنة بديعة، يثني عليه الجميع ويقدرون صنعته ويباركون ابداعه، فان تلك الماكنة هي بدورها كذلك تبارك صانعها وتثني عليه بلسان حالها،

(١) اكتفى الاستاذ هنا بذكر الوظيفتين، حيث الثالثة تعود الى الشئ نفسه. - المترجم.

وذلك باراءتها النتائج المقصودة منها اراءة تامة. كذلك كل حي وكل شئ مثل تلك الماكنة، يبارك صانعه بالتسبيحات.

اما القسم الثاني: فهو المتوجه الى انظار ذوي الحياة وذوي الشعور من المخلوقات اي يكون موضع مطالعة حلوة وتأمل لذيذ، فيكون كل شئ كأنه كتاب معرفة وعلم، ولايغادر هذا العالم – عالم الشهادة – الاّ بعد وضع معانيه في اذهان ذوي الشعور، وطبع صوره في حافظتهم، وانطباع صورته في الالواح المثالية وفي سجلات عالم الغيب، اي لاينسحب من عالم الشهادة الى عالم الغيب الاّ بعد دخوله ضمن دوائر وجود كثيرة ويكسب انواعاً من الوجود المعنوي والغيبي والعلمي، بدلاً عن وجود صورى ظاهرى.

نعم مادام الله موجوداً، وعلمه يحيط بكل شئ، فلابد ألاّ يكون هناك في عالم المؤمن عدم، واعدام، وانعدام، وعبث، ومحو، وفناء، من زاوية الحقيقة.. بينما دنيا الكفار زاخرة بالعدم والفراق والانعدام ومليئة بالعبث والفناء. ومما يوضح هذه الحقيقة ما يدور على الالسنة من قول مشهور هو:

«من كان له الله كان له كل شئ، ومن لم يكن له الله لم يكن له شئ».

الخلاصة: ان الايمان مثلما ينقذ الانسان من الاعدام الابدي اثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص ايضا من ظلمات العدم والانعدام والعبث. بينما الكفر – ولاسيما ان كان مطلقا – فانه يعدم ذلك الانسان، ويعدم دنياه الخاصة به بالموت. ويلقيه في ظلمات جهنم معنوية محولا لذائذ حياته آلاما وغصصا.

فلترّن آذان الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، وليأتوا بعلاج لهذا الامر ان كانوا صادقين، او ليدخلوا حظيرة الايمان ويخلصوا انفسهم من هذه الخسارة الفادحة.

﴿ سبحانك لا علمَ لنا إلاّ ما عَلمتَنا إنكَ انت العليمُ الحكيم ﴾

اخوكم الراجي دعواتكم والمشتاق اليكم

سعيد النورسي

المسألة الحادية عشرة

ان الشجرة المقدسة للاركان الايمانية الكلية لها ثمرات يانعة احداها هي الجنة، والاخرى هي السعادة الابدية، والثالثة هي رؤية الله جل جلاله. ولما كانت رسائل النور قد اوضحت مئات من تلك الثمار - كلّيها وجزئيها - مع حججها الدامغة في «سراج النور» فنحيل اليها ونشير هنا الى بضعة نماذج فقط لثمرات جزئية بل الى جزء الجزئي والخاص من تلك الثمار الطيبة.

احداها: كنت ذات يوم ادعو دعاء بهذا المضمون «يارب أتوسل اليك بحرمة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وبشفاعتهم ان تحفظني من شرور شياطين الجن والانس..» وحالما ذكرت اسم عزرائيل - الذي يملأ ذكره الناس رعباً وارتجافاً - شعرت بحالة ذات طعم في غاية الحلاوة والسلوان، فحمدت الله قائلا: الحمد لله، وبدأت أحب عزرائيل حباً خالصاً، على أنه واحد من الملائكة الذين يعتبر الايمان بوجودهم ركناً من أركان الايمان. وسنشير بإلمامة قصيرة الى ثمرة جزئية واحدة من عديد الثمار للايمان بهذا المَلَك.

منها: ان اثمن ما عند الانسان، واعظم ما يحرص عليه ويدافع عنه ويجهد في الحفاظ عليه، هو روحه بلاشك.. فلقد أحسست يقيناً بفرح عميق ازاء تسليم الانسان لأعز ما يملكه في الوجود - وهو روحه - الى يد «قوي أمين» ليحفظه من العبث والضياع والفناء.

ثم تذكرت الملائكة الموكَّلين بتسجيل اعمال الانسان، فرأيت أن لهم ثمرات لذيذة جداً كهذه:

منها: ان كل انسان لأجل أن تخلد أعماله الطيبة، وتبقى كلماته القيمة، يسعى للحفاظ عليها وصيانتها من الضياع، سواء عن طريق الكتابة او الشعر، او حتى

بالشريط السينمائي، وبخاصة اذا كان لتلك الاعمال ثمراتها الباقية في الجنة، فيشتاق الى حفظها اكثر..

والكرام الكاتبون واقفون على منكبي الانسان ليُظهروه في مشاهد أبدية، وليصوروا اعماله في مناظر خالدة، ليكافأ اصحابها ولينالوا الجوائز الثمينة الدائمة.. ولقد تلذذت من طعوم هذه الثمرة بلذائذ حلوة لا أستطيع أن أصفها.

وعندما جردني اهل الضلالة من اسباب الحياة الاجتماعية، وابعدوني عن كتبي وأحبتي وخدمي وكل ما كان يمنحني السلوان، وألقوني في ديار الغربة والوحشة، وكنت في ضيق وضجر من حالي الى درجة كنت أشعر أن الدنيا الفارغة ستتهدم على رأسي.. فبينما انا في هذه الحالة اذا بثمرة من ثمرات الايمان بالملائكة تأتي لأغاثتي، فتضيئ ارجاء دنياي كلها، وتنور العالم من حولي، وتعمّره بالملائكة وتؤهله بالارواح الطيبة حتى دب السرور والبهجة في كل مكان (١). وأرتني كذلك كم كانت دنيا اهل الضلالة ملآى بصرخات الوحشة وحسرات العبث والظلام..

فبينما كان خيالي فرحاً جذلاً بالتمتع بلذة هذه الثمرة، اذا به يتسلم ثمرة من الثمار الوفيرة – الشبيهة بهذه – من الايمان بالرسل عليهم السلام، فذاقها فعلا، واحسست تواً أن ايماني قد توسع ونما وانبسط حتى اصبح كليا شاملا، اذ أشرقت لديّ تلك الأزمنة الغابرة كلها واستضاءت بنور التصديق والايمان بهم، حتى كنت أشعر كأنني أعيش معهم، وبات كل نبي من الانبياء يصدق بآلاف التصديق على اركان الايمان التي جاء بها ودعا اليها، خاتمهم ﷺ، مما أخرس الشيطان وأسكته..

ثم قفز الى القلب السؤال ذو الجواب الشافي الوارد في لمعة «حكمة الاستعاذة» وهو: ان اهل الايمان الذين لهم مثل هذه الثمرات للايمان، ومثل هذه الفوائد والنتائج اللذيذة ذات الطعوم غير المحدودة، ولهم النتائج الجميلة الطيبة للحسنات ومنافعها الكثيرة، ولهم العناية الدائمة من «أرحم الراحمين» وتوفيقه ورحمته.. كل ذلك يمنحهم القوة والاسناد، فلِمَ إذاً يتغلب اهل الضلالة غالباً عليهم، بل قد يتغلب عشرون من اهل الضلالة على مائة منهم، ويهلكونهم؟!.. وفي ثنايا هذا التفكير

(١) «اطت السماء وحق لها ان تئط، ما من موضع اربع اصابع الا عليه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى». رواه احمد (١٧٣/٥) والترمذي (زهد/٩) وابن ماجة (زهد/١٩) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

خطر لي: لمَ يحشّد القرآن الكريم هذا الحشد العظيم لأهل الايمان بذكر إمداد الله إياهم بالملائكة وهم يواجهون دسائس شيطانية واهية ضعيفة؟..

وبما ان رسائل النور قد وضحت حكمة ذلك بحجج قاطعة. فسنشير هنا الى الجواب عن ذلك السؤال في غاية الايجاز:

نعم، يتولى احياناً مائة من الاشخاص المحافظة على قصر، عندما يحاول أحدُ الشريرين أو أي شخص مخرّب إلقاء النار فيه خفية لتدميره. بل قد يُلجأ الى السلطان أو الدولة للحفاظ على القصر، ذلك لأن بقاء بناء القصر يتوقف على جميع الشروط والاركان والاسباب الداعية الى البقاء. اما تخريبه وهدمه فيكون بانعدام شرط واحد فقط. فعلى غرار هذا المثال نفهم كيف ان شياطين الجن والانس يقومون بتخريب مدهش وبحريق معنوي عظيم بفعل قليل جدا، بمثل مايقوم شرير بتدمير بناءٍ فخم بالقاء عود كبريت فيه.

نعم، ان اساس وخميرة الشرور والرذائل والخطايا كلها هو العدم والهدم. وما يبدو من وجودها الظاهر يختفي تحته الافساد، والتعطل، والعدم.

واستناداً الى هذه النقطة فان شياطين الجن والانس والشريرين يتمكنون بقوة هزيلة جدا، أن يصدّوا قوة لاحد لها لاهل الحق والحقيقة ويلجئوهم الى باب الله عز وجل والسعي اليه دائماً. ولأجل هذا يضع القرآن الكريم تلك الحشود الهائلة لحمايتهم. وتسلّم الى ايديهم تسعة وتسعين اسماً من الاسماء الحسنى، ويصدر اوامر مشددة ليثبتوا تجاه اولئك الاعداء.

ومن هذا الجواب ظهر فجأة اساس مسألة مدهشة وبداية حقيقة عظيمة وهو:

كما أن الجنة تخزن محاصيل جميع عوالم الوجود ونتائجها، وتستثمر النوى المزروعة في الدنيا، فتجعلها تؤتي أُكلها كل حين. فان جهنم تحمص محاصيل العدم وتعصف بها لاجل اظهار النتائج الأليمة جدا لعوالم العدم والفناء غير المحدودة، فمصنع جهنم الرهيب – فضلا عن وظائفها العديدة – يطهّر ما في عالم الوجود من اوساخ عالم العدم وأدرانه. سنوضح هذه المسألة العظيمة فيما بعد ان شاء الله لأننا لانريد فتح بابها هنا.

وكذا فان جزءاً من ثمرات الايمان بالملائكة هو الذي يعود الى المنكر والنكير (١)، وهو كالآتي:

قلت ذات يوم: «انني لابد – كأي فرد كان – داخل لامحالة في القبر».. فدخلت اليه خيالا: وفيما كنت استوحش يائسا من سجن القبر الانفرادي، ومن تجردي المطلق من كل شئ، وحيداً دون معين، في ذلك المكان الضيق المظلم البارد، اذا بصديقين كريمين من طائفة «المنكر والنكير» قد برزا وجاءا اليّ وبدءا بالمناظرة معي.. وسّعا كلا من قلبي وقبري، فاستضاءا وتدفئا، وفُتحت شبابيك نوافذ مطلة على عالم الارواح.. سُررت من اعماق روحي وشكرت الله كثيرا على ما رأيت من الاوضاع التي ستتحقق حتما في المستقبل وان كنت أراها الآن خيالا.

فكما أنه عندما توفي طالب علم اثناء تعلمه الصرف والنحو، سأله المنكر والنكير في القبر: مَن ربك ؟ أجاب: مَن مبتدأ وربُك خبره.. أسألوني سؤالاً صعباً فهذا سهل!! – يحسب نفسه انه لايزال في المدرسة يتلقى الدرس – كما أن هذا الجواب أضحك الملائكة والارواح الحاضرة وذلك الولي الصالح الذي انكشف له القبر فشاهد الحادثة، بل جعل الرحمة الإلهية تبتسم؛ فأنقذه من العذاب.. كذلك فقد أجاب شهيد بطل من طلاب رسائل النور وهو (الحافظ علي)(٢) وقد توفي في السجن وهو لايزال يقرأ ويكتب «رسالة الثمرة» بكمال الشوق، أجاب عن اسئلة المَلَكين في القبر – مثلما أجاب في المحكمة – بحقائق «رسالة الثمرة». وأنا كذلك وسائر طلبة رسائل النور سنجيب إن شاء الله عن تلك الاسئلة التي هي حقيقة في المستقبل، ومجاز في الوقت الحاضر. سنجيب عنها بحجج رسائل النور الساطعة وبراهينها الدامغة ونسوقهم بها الى التصديق والاستحسان والتقدير.

---

(١) روى الترمذي (جنائز/٧٠) وابو داود بمعناه (٢/٥٤٠، ٥٤١) وابن ماجة (جنائز/٦٥) واحمد (١٢٦/٣، ٢٨٨/٤): «اذا قبر الميت أتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخرين نكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبدالله ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وان كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا ادري. فيقولون: قد علمنا انك تقول ذلك، فيقال للارض التئمي عليه، فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك». – المترجم.

(٢) وهو من الاوائل الذين تتلمذوا على الاستاذ النورسي، كان دؤوباً في الاستنساخ، لما انعم الله عليه من جودة الخط ومن علو الهمة، استشهد في سجن (دنيزلي) سنة ١٩٤٤ رحمه الله رحمة واسعة.

وكذا فان نموذجا جزئياً للايمان بالملائكة محوراً لسعادة الدنيا هو:

بينما كان طفل برئ يتلقى درسه الايماني في مبادئ الفقه، اذ يأتيه طفل آخر باكياً مولولا لوفاة أخيه البرئ فيهدئه ويسليه، قائلا: لاتبك يأأخي، بل اشكر الله؛ لأن أخاك قد ذهب مع الملائكة ومضى الى الجنة وسيتجول ويسرح هناك بحرية كاملة كالملائكة وسيجد الفرحة والهناء احسن منا، وسيطير كالملائكة ويشاهد كل مكان.. فبدّل بكاءه وصراخه وعويله ابتسامة وسروراً.

فانا كذلك مثل هذا الطفل الباكِي، فقد تلقيت مع ما انا فيه من وضع أليم وفي هذا الشتاء الكئيب نبأ وفاة اثنين ونَعيهما بأسى وألم بالغين.

احدهما: هو ابن اخي المرحوم «فؤاد» الذي أحرز الدرجة الاولى في المدارس العليا وهو الناشر لحقائق رسائل النور.

الثاني: تلك التي حجت وطافت البيت وهي تعاني سكرات الموت وسلمت روحها في الطواف، وهي المرحومة اختي العالمة «خانم».

فبينما ابكاني وفاة هذين القريبين كبكائِي على «عبد الرحمن»[1] – المذكور في رسالة الشيوخ – رأيت بنور الايمان – قلباً ومعنى – صداقة الملائكة ورفاقة الحُور العين لذلك الشاب الطيب «فؤاد» ولتلك السيدة الصالحة، عوضاً عن صداقة الناس، ورأيت نجاتَهما من مهالك الدنيا وخلاصهما من خطاياها. فبدأت أشكر الله وهو أرحم الراحمين ألف شكر وشكر، بما حوّل ذلك الحزن الشديد الى الشعور بالبهجة، والاحساس بالسرور.. وبدأت أهنئهم واهنئ اخي عبدالمجيد[2] (ابا فؤاد) واهنئ نفسي كذلك. ولقد كُتب هذا وسُجل هاهنا من اجل أن ينال هذان المرحومان بركة الدعاء.

ان جميع ما في رسائل النور من موازين ومقارنات انما هو لبيان ثمار سعادة الايمان ونتائجها التي تعود للحياة الدنيا والحياة الاخرى، فتلك الثمار الكلية الضخمة تُري في

(١) هو عبد الرحمن بن عبدالله، ابن شقيق الاستاذ النورسي ولد سنة ١٩٠٣ في نورس وتوفي سنة ١٩٢٨ ودفن في قرية (ذو الفضل) في انقرة. كتب تاريخ حياة الاستاذ حتى عام ١٩١٨ ونشره بكتاب طبع في استانبول. – المترجم.

(٢) عبد المجيد: هو اصغر اخوة الاستاذ النورسي. ترجم كثيراً من رسائله الى اللغة العربية الا انها نشرت في وقتها في نطاق ضيق وترجم الى التركية رسائله العربية (اشارات الاعجاز) و(المثنوى العربى). كان مدرساً للغة العربية ثم مفتياً ثم مدرساً للعلوم الاسلامية في معهد الائمة والخطباء والمعهد الاسلامي في قونيا. توفي سنة ١٩٦٧م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة. – المترجم.

الدنيا سعادة الحياة وتذيق لذائذها خلال العمر، كما تخبر: أن ايمان كل مؤمن سيكسبه في الآخرة سعادة ابدية، بل ستثمر وتتكشف وتنبسط بالصورة نفسها هناك. فمن نماذج تلك الثمار الكلية العديدة كتبت خمس ثمار منها على أنها (للمعراج) في نهاية «الكلمة الحادية والثلاثين» وخمس ثمار في «الغصن الخامس من الكلمة الرابعة والعشرين».

فكما ذكرنا آنفاً ان لكل ركن من اركان الايمان ثماراً كثيرة جداً بلا حدود، فلمجموع اركان الايمان معاً ثمرات لاحدّ لها ايضاً: احداها: الجنة العظيمة.. والاخرى: السعادة الابدية.. والثالثة: هي ألذّها وهي رؤية الله جل جلاله هناك.

وقد وضح بجلاء في المقارنة المعقودة في نهاية «الكلمة الثانية والثلاثين» بعض ثمار الايمان الذي هو محور سعادة الدارين.

هذا وان الدليل على ان «الايمان بالقدر» له ثماره النفيسة ايضاً في هذه الدنيا هو ما يدور على ألسنة الجميع، حتى غدا مضرباً للأمثال: (مَن آمن بالقدر أمِنَ من الكدر). وفي نهاية «رسالة القدر» بينت احدى ثماره الكلية بمثال هو: دخول رجلين حديقة قصر سلطاني.. حتى انني شاهدت من خلال حياتي بالالاف من تجاربي وعرفت أن لاسعادة للحياة الدنيا دون الايمان بالقدر، فلولا هذا الايمان لُمحيت اذاً تلك السعادة وفنيت. بل كنت كلما نظرت الى المصائب الأليمة من زاوية الايمان بالقدر كانت تلك المصائب تخف ويقل وطؤها عليّ، فكنت أسأل بحيرة: ياترى كيف يستطيع العيش من لايؤمن بالقدر؟

وقد أشير الى احدى الثمار الكلية للركن الايماني (الايمان بالملائكة) في المقام الثاني للكلمة (الثانية والعشرين) بما يأتي:

ان عزرائيل عليه السلام قال مناجياً ربه عز وجل: ان عبادك سوف يشتكون مني ويسخطون عليّ عند ادائي وظيفة قبض الارواح. فقيل له جواباً: سأجعل الامراض والمصائب ستائر لوظيفتك لتتوجه شكاواهم الى تلك الاسباب لا اليك. ووظيفة عزرائيل نفسها هي الاخرى ستار من تلك الستائر كيلا تتوجه الشكاوى الباطلة الى الحق سبحانه وتعالى، وذلك لان الحكمة والرحمة والجمال والمصلحة الموجودة في الموت قد لايراها كل أحد؛ اذ ينظر الى ظاهر الامور ويبدأ بالاعتراض والشكوى،

فلاجل هذه الحكمة – اي لئلا تتوجه الشكاوى الباطلة الى الرحيم المطلق – فقد اصبح عزرائيل عليه السلام ستاراً.

ومثل هذا تماما ما يقوم به جميع الملائكة، وجميع الاسباب الظاهرة من واجبات ووظائف إنما ستائر لعزة الربوبية، لتبقى عزة القدرة الإلهية وقدسيتها ورحمة الله المحيطة الشاملة مصونةً في الامور والاشياء التي لاترى فيها اوجه الجمال، ولاتعلم فيها حقائق الحكمة، من دون ان تكون هدفاً للاعتراضات الباطلة. ولايشاهد عندئذ بالنظر الظاهري مباشرةُ يد القدرة في الامور الجزئية والمنافية للرحمة والاشياء التافهة. هذا وأن رسائل النور قد اثبتت بدلائلها الغزيرة جداً، انه ليس لأي سبب من الاسباب تأثير حقيقي، وليس له قابلية الايجاد اصلاً. وان سكك التوحيد واختامها غير المحدودة موضوعة على كل شئ وان الخلق والايجاد يخصه هو سبحانه وتعالى، فليست الاسباب الاّ مجرد ستائر، وليس للملائكة – وهم ذوو شعور – غير جزءٍ من الاختيار الجزئي الذي له الكسب دون الايجاد، وهو نوع من الخدمة الفطرية ونمط من العبودية العملية لا غير.

اجل ان العزة والعظمة تقتضيان وضع الاسباب الظاهرية ستائر امام نظر العقل، الا ان التوحيد والجلال يرفعان ايدي الاسباب ويردّانها عن التأثير الحقيقي.

وهكذا، فكما ان الملائكة والاسباب الظاهرية المستخدمة في امور الخير والوجود، هي وسائل للتقديس الرباني وتسبيحه، فيما لايُرى ولايُعلم جماله من الاشياء، وذلك بتنزيه القدرة الربانية وصيانتها عن التقصير والظلم، كذلك فان استخدام شياطين الجن والانس والعناصر المضرة في امور الشر والعدم، هو الآخر نوع من الخدمة للتسبيحات الربانية ووسيلة للتقديس والتنزيه والتبرئة من كل مايُظن نقصاً وتقصيراً في الكائنات وذلك لصيانة القدرة السبحانية، كيلا تكون هدفاً لإلصاق الظلم بها وتوجيه الاعتراضات الباطلة اليها، ذلك لأن جميع التقصيرات تأتي من العدم، ومن العجز، ومن الهدم، ومن اهمال الواجبات – الذي كل منه عدم – ومما ليس له وجود من الافعال العدمية. فهذه الستائر الشيطانية والشريرة قد أضحت وسائل لتقديس الحق سبحانه وتعالى لما حملت على عاتقها – باستحقاق – تلك الاعتراضات والشكاوى لكونها مرجعاً لتلك التقصيرات ومصدراً لها. اذ الاعمال الشريرة والعدمية والتخريبية

لا تتطلب – اصلاً – القـوة والقدرة، فالفـعل القليل او القوة الجزئيـة بل إهمال لواجب مـا احيـاناً، يؤدي الى انواع من العـدم والـفسـاد. لـذا يُظن ان القـائم بتلك الافـعـال الشـريرة هو ذو قـدرة، بينمـا الامـر في الحـقـيـقـة أنه لاتأثيـر له الاّ العـدم ولاقوة له الاّ الكسب الجزئي. ولما كـانت تلك الشرور ناشئـة من العدم فان اولئك الاشـرار يعدّون هم الفـاعلين الحقـيقـيين لهـا؛ فان كـانوا من ذوي الشـعور اسـتحـقوا ان يذوقـوا وبال امـرهم. وهذا يعني؛ ان اولـئك الاشـرار الفـاسـدين هم فـاعلون للسيـئـات. امـا في الحسنات والخير والاعمـال الصالحة فلانهـا وجودية، فان الاخيـار ليسـوا هم الفاعلين الحقيـقيين لها، وانما هـم اهلٌ لكي تجـري الحسنات على ايديهم فيـقبلوا الكرم الإلهي. ومـا إثابتـهـم على اعـمالهم الاّ كـرم وفـيض إلهي مـحض. والقـرآن الكريم يوضح هذا بأمره:

﴿ **ما أصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وما أصابَكَ مِنْ سَيِّئةٍ فَمِنْ نَفسِكَ** ﴾ (النساء:٧٩)

ومجمل القول:

ان عـوالم الوجـود وعـوالم العدم غـير المحـدودتين عندمـا تتصـادمان مـعاً، وعندمـا تثمران الجنة والنار، وعندما تقول جميع عوالم الوجود: «الحمد لله، الحمد لله» وتردد جميع عوالم العدم: «سـبحان الله، سـبحان الله» وحـتى عندما تتـصارع الملائكة مع الشياطين، والخيرات مع الشرور، بل حتى عندما يدور الجدال حول القلب بين الالهام والوسـوسة.. عندمـا يحـدث كل هذا بقانون المبارزة المحيط، تتجـلى ثمرة من ثمـار الايمان بالملائكة فتحسم القضيـة وتحل المشكلة، منورةً الكائنات المظلمة مبدية لنا نوراً من أنوار: ﴿ **الله نور السـموات والارض** ﴾ فتـذيقنا من حلاوتهـا.. ما احـلاها! وما ألذها!!.

هذا وان كلاً من الكلمـة «الرابعة والعشـرين»، «والكلمة التاسـعة والعشـرين» قد اشارتا الى ثمرة كلية اخرى واثبتتا اثباتاً ساطعاً وجود الملائكة ووظائفهم.

نعم ان ربوبية جليلة رحـيمة واسعـة التي عرّفت نفسهـا وحببتـها، بما بثت من كل شئ في جنبات الكون سواء أكان كليـاً ام جزئياً، يجب ان يقابَل ذلك الجلال، وتلك الرحمة، وذلك التعرّف والتـحبب بعبودية واسعة محيطة شـاملة شاكرة ضمن تقديس وحمد وثناء.

وحيث ان الجمادات والاركان العظيمة للكون التي ليس لها شعور لايمكنها القيام بهذه العبودية العظيمة، فلايقوم بها عنهم الاّ ما لايحصى من الملائكة.. فهؤلاء هم الذين يمكنهم أن يمثلوا - بكل حكمة وجلال - أجراءات سلطنة الربوبية في كل ركن من اركان الكون، وفي كل جزء من أجزائه من الثرى الى الثريا من اعماق الارض الى اعالي الفضاء.

فمثلاً: ان ما تصوره القوانين الميتة للفلسفة من خلق الارض ووظيفتها الفطرية بشكل موحش مظلم، تحوّلها هذه الثمرة الايمانية صورةً مؤنسة مضيئة حيث المَلَكان المسمّيان بالثور والحوت، يحملان على كتفهما - اي تحت اشرافهما - الكرة الارضية، حيث قد أُحضرت من الجنة وجُلبت منها تلك المادة الأُخروية، وتلك الحقيقة الاخروية المسماة بـ« الصخرة » لتصبح الحجر الاساس الباقي لهذه الكرة الارضية الفانية، اشارةً الى أن قسماً من الارض سيُفرغ ويحوّل الى الجنة الباقية، فاصبحت الصخرة نقطة استناد للمَلَكين « الثور والحوت ».. هكذا رويت هذه الرواية عن بعض انبياء بني اسرائيل السابقين، وهي مروية كذلك عن ابن عباس رضي الله عنه. ولكن المؤسف جداً ان يتحول هذا التشبيه اللطيف وهذا المعنى السامي بمرور الزمن الى حقيقة مادية مجسّمة عند العوام، بحيث اصبحت خارجة عن نطاق العقل؛ اذ الملائكة يستطيعون أن يصولوا ويجولوا في التراب وفي الصخور وفي مركز الارض كجولانهم في الهواء، فليسوا اذاً بحاجة أبداً - ولا الكرة الارضية نفسها بحاجة - الى صخرة مادية مجسمة ولا الى ثور وحوت ماديين مجسمين! بمعنى ان تلك الرواية ليست الا للتشبيه (١).

ومثلا: لما كانت الكرة الارضية تسبّح لله بعدد رؤوس الانواع الموجودة فيها، من حيوان ونبات وجماد. وبعدد ألسنة افراد تلك الانواع، وبمقدار اعضاء تلك الافراد،

---

(١) عن مالك في قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) قال: ان الصخرة التي تحت الارض السابعة، ومنتهى الخلق، على ارجائها اربعة من الملائكة، لكل ملك منهم اربعة وجوه: وجه انسان ووجه اسد، ووجه نسر، ووجه ثور، فهم قيام عليها قد احاطو بالارض والسموات ورؤسهم تحت الكرسي والكرسي (تحت) العرش. قال: وهو واضع رجليه تبارك وتعالى على الكرسي.

أخرجه عبدالله بن الامام احمد في كتاب (السنة) برقم ٥٨٩، ١/٣:٣ في اسناده مجهول والمدى معروف بالوهم وبقية رجاله ثقات. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٢٩ لعبد بن حميد وابو الشيخ في العظمة واخرجه ايضاً البيهقي في الاسماء والصفات ص/٤٠٣ وقد اخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور باختلاف في السياق ٦/٢٦١ من كلام وهب بن منبه وهو ثقة كثير النقل من كتب الاسرائيليات(انظر الميزان ٤/٣٥٢).

وبعدد اوراقها واثمارها، فان تقديم هذه العبودية الفطرية غير الشعورية العظيمة جداً، وتمثيلها، وعرضها بعلم وشعور، على الحضرة الإلهية المقدسة، يتطلب حتماً مَلَكاً موكلاً له اربعون ألف رأس، وفي كل رأس اربعون ألف لسان يسبح بكل لسان اربعين ألف تسبيحة، مثلما أخبر المخبر الصادق بهذه الحقيقة نفسها. نعم إنه من مقتضيات جلال الربوبية وعظمتها وسلطانها أن يكون جبرائيل عليه السلام على ماهية عجيبة وهو المؤهل لتبليغ العلاقات الربانية للانسان الذي هو اهم نتيجة لخلق الكون. وأن يكون إسرافيل وعزرائيل عليهما السلام على ماهية عجيبة ايضاً، وهما يمثلان – مجرد تمثيل – الاجراءات الإلهية الخاصة للخالق سبحانه، ويشرفان بعبودية خالصة على أعظم شئ في عالم الاحياء، وهو البعث والموت. وأن يكون ميكائيل عليه السلام على ماهية عجيبة ايضاً، اذ يمثل بشعور كامل أنواع الشكر غير الشعورية على الاحسانات الرحمانية في الرزق الذي هو أجمع دائرة من دوائر الحياة وأوسعها للرحمة واكثرها تذوقاً، فضلاً عن اشرافه عليها.

نعم، انه من مقتضيات جلال الربوبية وأبهتها، بقاء الروح، ووجود امثال هؤلاء الملائكة على ماهية عجيبة جداً، اذ إن وجود هؤلاء، ووجود كل طائفة خاصة منهم، قطعي الثبوت ولاريب فيه مطلقاً، فهو ثابت بدرجة تليق بثبوت وجود الجلال والسلطنة الظاهرة في الكون كالشمس. وليقس على هذا المواد الاخرى التي تخص الملائكة.

نعم، ان الذي يخلق في الكرة الارضية اربعمائة الف نوع من الاحياء، بل يخلق من ابسط المواد ومن العفونات، ذوات أرواح بكثرة هائلة، ويعمّر بهم أرجاء الأرض ويجعلهم ينطقون بلسانهم اعجاباً: «ماشاء الله، بارك الله، سبحان الله» امام معجزات صنعته سبحانه، والذي جعل حتى الحيوانات الدقيقة تنطق بـ «الحمد لله والشكر لله والله اكبر» حيال احسانات الرحمة الواسعة وآلائها. ان هذا القدير ذا الجلال والجمال قد خلق بلاريب ولاشبهة سكنةً روحانيين تناسب السموات الشاسعة، ممن لايعصون أمره، ويعبدونه دوماً، فيعمّر بهم السموات دون أن يدعها خالية مقفرة. فأوجد أنواعاً كثيرة جداً من الملائكة هي اكثر بكثير من انواع الاحياء وطوائفها، فقسم منهم صغير جداً يمتطون قطرات الامطار وبلورات الثلوج، ويباركون

الصنعة الإلهية مهللين لرحمتها الواسعة بلسانهم الخاص، وقسم منهم يمتطون ظهور الكواكب السيارة فيسيحون في فضاء الكون معلنين للعالم أجمع عبوديتهم بالتكبير والتهليل امام عظمة الربوبية وعزتها وجلالها (١).

نعم، ان اتفاق كل الكتب السماوية، وجميع الاديان، منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام على وجود الملائكة وعلى عبوديتهم، وان ما روي من الروايات الكثيرة المتواترة من التحدث مع الملائكة والمحاورة معهم خلال جميع العصور، اثبت اثباتاً قاطعاً وجود الملائكة وعلاقتهم معنا، بدرجة ثبوت وجود الناس الذين لم نرهم في امريكا..

والآن انظر بنور الايمان الى هذه الثمرة الكلية الثانية وذقها لترى كيف أنها ابهجت الكائنات من أولها الى آخرها وعمرّتها وزيّنتها وحوّلتها الى مسجد اكبر ومعبد اعظم، فالكون المظلم البارد الذي ليس فيه حياة – كما تصوره مادية العلم والفلسفة – يصبح بالايمان، كوناً ذا حياة وشعور، ومنوراً ومؤنساً ولذيذاً، فتذيق هذه الثمرة أهل الايمان شعاعاً من لذة الحياة الباقية وهم لايزالون في الدنيا كلٌّ حسب درجته.

تتمــة:

كما ان بسر الوحدة والاحدية، توجَد القُدرة نفسها، والاسمُ نفسهُ، والحكمةُ نفسها والابداع نفسه، في كل جهة من جهات الكون، فيعلن كلُّ مصنوع – كلياً أم جزئياً – بلسان حاله: وحدانيةَ الخالق سبحانه وتصرفه وايجاده وربوبيته وخلاّقيته وقدسيته، كذلك فانه سبحانه يخلق ملائكة في ارجاء الكون كله ليقوموا – بألسنتهم الذاكرة الحامدة – بتسبيحات يؤديها كل مخلوق بلسان حاله بلا شعور منه. فالملائكة لايعصون الله ما يأمرهم. وليس لهم الاّ العبودية الخالصة، وليس لهم اي ايجاد كان، ولا دخل لهم دون إذن، ولا تكون لهم شفاعة دون إذن منه سبحانه، لذا نالوا شرف:

﴿ بل عبادٌ مكرَمون ﴾ (الانبياء: ٢٦) ﴿ ويَفعلون ما يُؤمرون ﴾ (التحريم: ٦).

* * *

(١) روى ابو داود بسند صحيح ان النبي ﷺ قال: أُذن لي ان اتحدث عن ملَك من حملة العرش رجلاه في الارض السفلي وعلى قرنه العرش، ومن شحمة اذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام فيقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت. – المترجم.

الشعاع الثاني عشر

دفاع محكمة دنيزلي (*)

باسمه سبحانه

ايها السادة!

انني اؤكد لكم ان الذوات الموجودين هنا إما لاتربطهم رابطة مع رسائل النور او هناك مجرد رابطة بسيطة معها، مع ان لي العديد من الاخوة الحقيقيين بكل معاني الاخوة التي تستطيعون تصورها. ولي على درب الحقيقة العديد من الاصدقاء الواصلين للحقيقة.

اننا ايها السادة على يقين تام لايتزعزع بان الموت بالنسبة لنا - بسر القرآن الكريم - ليس اعداماً ابدياً بل تذكرة تسريح.. بينما يعد هذا الموت بالنسبة لمعارضينا وبالنسبة للسائرين في درب الضلالة موتاً اكيداً واعداماً ابدياً (ان لم يكن يؤمن بالآخرة ايماناً لاشبهة فيه).. او ان هذا الموت يعد بالنسبة اليه سجناً انفرادياً ابدياً ومظلماً (ان كان يؤمن بالآخرة ولكنه منغمس في حياة السفاهة والضلالة).

انني أسألكم: أتوجد في هذه الدنيا مسألة اكبر من مسألة الموت؟.. أهناك مسألة انسانية أهم واكبر من هذه المسألة؟ فكيف اذن يمكن ان تستغل هذه المسألة من اجل

(*) لقد اجرى استاذنا بديع الزمان سعيد النورسى فى دفاعه امام محكمة «دنيزلى» بعض ما يلزم من الاضافة والحذف ورفعه دفاعاً فى محكمة «آفيون» وذلك لوحدة القضية. وقد ادمج ايضاً القسم الاعظم من هذا الدفاع مع دفاعه فى محكمة «آفيون» واطلق عليه اسم «الشعاع الرابع عشر» - طلاب النور.

شئ آخر؟.. ومادام من المستحيل ان يكون هناك شئ آخر أهم من هذه المسألة، اذن فلِمَ انتم منشغلون بنا هكذا؟

اننا لاننظر الى اشد عقوبتكم واقصاها الا انها تسريح وتذكرة سفر الى عالم النور، لذا فاننا ننتظرها بثبات كامل .. ولكننا نعلم علم اليقين ان الذين وقفوا ضدنا واصدروا الاحكام ضدنا سيلقون عن قريب عقابهم بالاعدام الابدي وبالسجن الانفرادي، ذلك العقاب المرعب.. اننا موقنون من ذلك وكاننا نشاهدهم في عذابهم هذا كما نشاهدكم انتم في هذا المجلس .. اننا نشاهدهم هكذا ونتألم كثيراً من الناحية الانسانية من اجلهم. وانا على اتم استعداد لإثبات هذه الحقيقة المهمة والبرهنة عليها وافحام اكبر المنكرين لها وإلزام اشد المتمردين عليها.. وانا على اتم استعداد لقبول اي عقاب كان ان لم اقم بهذا الاثبات اوضح من الشمس في رابعة النهار وامام اكبر علمائكم وفلاسفتكم وليس فقط امام المختصين من هذه اللجنة الذين لايملكون اي نصيب من العلم ومن الاختصاص، انهم مشبعون بالحقد ولا علم لهم بالمعنويات ولايهتمون بها.

وكمثال على هذا نذكر اننا قمنا في ظرف اسبوعين بتأليف رسالة «الثمرة» للمسجونين، وهي رسالة تلخص اهداف رسائل النور وتبين اسسها وغاياتها. فهي بمثابة رسالة دفاع عن رسائل النور، لذا فاني اقدمها وابرزها لكم، ولكي تقدم هذه الرسالة الى المراجع الرسمية في «انقرة» فاننا نبذل في السر جهوداً مضنية لكتابتها بالحروف الجديدة [1] وانا ادعوكم لقراءة هذه الرسالة، فان لم تصدقني قلوبكم بعد قراءتها – ولا اقول نفوسكم – فانني سارضى بكل ألوان التعذيب والاهانة في سجني الانفرادي الموجود انا فيه حالياً. ولن انبس ببنت شفة او بأي شكوى.

والخلاصة ان امامكم طريقان: إما ان تطلقوا الحرية الكاملة لرسائل النور او تحاولوا – ان استطعتم – ان تغلبوا الحقائق الواردة فيها وتقضوا عليها.

انني لم اكن حتى الآن افكر فيكم ولا في دنياكم، وما كان في نيتي ان افكر فيهما في المستقبل، ولكنكم اضطررتموني الى هذا، وربما كان هذا ضرورياً لتنبيهكم

(١) اي بالحروف اللاتينية. – المترجم

وايقاظكم، ولعل القدر الإلهي هو الذي ساقنا الى هذا. اما نحن فان مرشدنا هو الدستور القائل (مَن آمن بالقدر أمِن من الكدر) لذا فقد عقدنا العزم على تحمل جميع صنوف مضايقاتكم بكل صبر.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

ايها السادة!

انني مقتنع تماماً - نتيجة شواهد ودلائل عديدة - بان الهجمات التي تُشن علينا ليس مبعثها الزعم القائل باننا «نستغل الشعور الديني للاخلال بالأمن الداخلي».. كلا، ولكن ذلك الهجوم - الذي يتم تحت ذلك الغطاء الزائف - يتم في سبيل الكفر والزندقة ويستهدف ايماننا وإنهاء مساعينا وخدماتنا في سبيل هذا الايمان ومن اجل اقرار الهدوء.. ونحن نملك ادلة وبراهين عديدة على هذا. ولنقدم هنا برهاناً واحداً فقط على ذلك:

لقد قرأ عشرون ألف فرد عشرين الف نسخة من رسائل النور في ظرف عشرين سنة، ورضوا بها وتقبلوها. ومع ذلك لم تقع حادثة واحدة مخلة بالأمن من قبل طلاب رسائل النور. ولم تسجل المراجع الرسمية اية حادثة من هذا القبيل، كما لم تستطع المحكمة السابقة ولا المحكمة الحالية العثور على مثل هذه الحادثة، علماً بان نتائج مثل هذه الدعاية القوية والمنتشرة بكثرة كان لابد لها من الظهور في ظرف عشرين يوماً بشكل حوادث ووقائع.

اذن فان القانون رقم (١٦٣)[1] ليس إلاّ غطاء كاذباً وزائفاً يشهر ضد حرية الضمير وحرية الوجدان والعقيدة، وقانوناً مطاطاً يراد منه ان يشمل كل المتدينين وكل

(١) ينص هذا القانون على معاقبة كل من سعى لاقامة دولة دينية في تركيا او استغل الشعور الديني في هذا السبيل، وهو القانون الذي اتكأت عليه جميع الحكومات لضرب الحركات الاسلامية في تركيا. - المترجم

الناصحين والدعاة، ولا يريد اهل الالحاد والزندقة الاّ القيام باستغفال بعض المسؤولين الحكوميين لضربنا وتحطيمنا.

وما دامت هذه هي الحقيقة فاننا نصرخ بكل قوتنا:

ايها البائسون الذين سقطوا في درك الكفر المطلق.. يامن بعتم دينكم بدنياكم!.. اعملوا كل ما تستطيعون عمله، ولتكن دنياكم وبالاً عليكم.. وستكون.. اما نحن فقد وضعنا رؤوسنا فداءً للحقيقة القدسية التي تفتديها مئات الملايين من الابطال برؤوسهم.. فنحن متهيأون وجاهزون لاستقبال كل انواع عقوباتكم .. بل حتى اعدامكم.

ان وضعنا وحالنا خارج السجن – تحت هذه الظروف – أسوأ مائة مرة من حالنا داخله، ولايبقى بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه الينا اي نوع من انواع الحرية.. لا الحرية العلمية ولا الحرية الوجدانية ولا الحرية الدينية.. اي لايبقى امام اهل الشهامة واهل الديانة وامام مناصري الحرية ومحبيها من سبيل الا الموت او الدخول الى السجن.

اما نحن فلا يسعنا الا ان نقول: ﴿ **إنا لله وانا اليه راجعون** ﴾ ونعتصم بربنا ونلوذ به.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

السيد علي رضا رئيس المحكمة المحترم!

لكي استطيع الدفاع عن حقوقي فانني اتقدم بطلب وبرجاء مهم:

انني لا اعرف الحروف الجديدة، كما ان خطي في الحروف القديمة غير جيد، ثم انهم منعوني من لقاء الآخرين ومواجهتهم. اي انني اكاد اكون في عزلة كاملة او في سجن انفرادي.. الى درجة انهم سحبوا مني ورقة اتهام الادعاء العام بعد ربع ساعة

فقط من اعطائها لي. كما انني لا استطيع من الناحية المالية الاستعانة بمحام. وماقدمت لكم دفاعي الا بعد مشقة كبيرة، ولم استطع ان احصل على نسخة من هذا الدفاع بالحروف الجديدة الا بصورة سرية. وكنت قد امليت كتابة رسالة «الثمرة» (التي هي بمثابة دفاع عن رسائل النور وبمثابة خلاصة مسلكها) لكي اقدمها الى الادعاء العام وارسل منها نسخة او نسختين الى الجهات الرسمية في «انقرة». ولكنهم سحبوها مني ولم يعيدوها الي. بينما كانت الجهات العدلية في محكمة «اسكي شهر» قد قامت بارسال آلة طابعة إليّ في السجن، فاستطعنا كتابة بضع نسخ من دفاعي بالحروف الجديدة، كما قامت المحكمة نفسها بالكتابة ايضاً.

وهكذا فان طلبي الذي اعدّه مهماً، هو قيامكم بارسال آلة طابعة، او السماح لنا بجلب هذه الطابعة لكي يتسنى لنا القيام بطبع بضع نسخ بالحروف الجديدة من رسالة «الثمرة» التي تعد – كما قلت – بمثابة دفاع عني وعن رسائل النور، وذلك بغية إرسال نسخ منها الى وزارة العدل والى مجلس الوزراء ومجلس النواب ومجلس الشورى للدولة، ذلك لأن التهم التي وجهها اليّ الادعاء العام تنحصر كلها حول رسائل النور، ولاشك ان اي دعوى حول رسائل النور واي اعتراض عليها لايعد شيئاً هيناً او بسيطاً، ولايعدّ مسألة شخصية غير ذات اهمية، بل هي مسألة عامة وحادثة ذات شأن كبير تهمّ هذا البلد وهذه الامة وهذه الحكومة مما تجذب اليها باهتمام انظار العالم الاسلامي بأسره.

ان الاصابع التي تحارب رسائل النور من خلف الاستار هي الاصابع الاجنبية التي تحاول تحطيم وكسر الود والمحبة والاخوة التي يكنها العالم الاسلامي نحو هذه الامة في هذا الوطن. هذه المحبة والاخوة التي تعد اكبر قوة لهذه الامة. لذا فلكي يتم تحطيم هذه المحبة وهذه الاخوة وتبديلها وتغييرها الى بغض ونفور فان هناك اصابع تحاول استغلال السياسة وجعلها آلة ووسيلة لتشجيع الالحاد والكفر المطلق، وهي بذلك انما تقوم بعملية خداعٍ للحكومة. وقامت مرتين بعملية تضليل للعدالة عندما تقول لها: «ان طلاب رسائل النور يستغلون الدين من اجل السياسة وان هناك احتمالاً ان يتضرر من ذلك أمن البلد».

ايها البائسون!.. ان رسائل النور لاعلاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق – الذي اسفله الفوضى واعلاه الاستبداد المطلق – وتفتيته وردّه على اعقابه. واكبر برهان على ذلك هو رسالة «الثمرة» التي هي بمثابة دليل واحد من بين مائة حجة ودليل على ان رسائل النور تسعى لتأسيس الامن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد، لذا اطلب تكليف هيئة علمية واجتماعية عالية لتدقيق هذه الرسالة، فان لم تقتنع هذه الهيئة بما اقول فانني ارضى بكل عقاب وباي نوع من انواع الاعدام.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

السيد الرئيس!

لقد تم اتخاذ ثلاثة اسس في قرار المحكمة:

المادة الاولى: الجمعية

انني أُشهد جميع طلاب النور الموجودين هنا وجميع من تحدثوا وتقابلوا معي وجميع من قرأوا او استنسخوا رسائل النور، وتستطيعون ان تسألوا انتم منهم بانني لم اقل لاي أحد: اننا سنشكل جميعة سياسية او طريقة نقشبندية، بل كنت اقول دائماً: «اننا نحاول انقاذ ايماننا، ولم يجر بيننا حديث خارج عموم اهل الايمان وخارج الجماعة الاسلامية المقدسة التي يربو عدد افرادها على ثلاثمائة مليون مسلم[1]، ولم نجد لانفسنا مكاناً خارج ما اطلق القرآن الكريم عليه اسم «حزب الله» الذي يجمع تحت ظل اخوة الايمان جميع اهل الايمان. ولاننا حصرنا جهدنا في خدمة القرآن فلاشك اننا من «حزب القرآن» ومن «حزب الله» فان كان قرار الاتهام يشير الى هذا فاننا نقر بذلك خلجة من خلجات ارواحنا وبكل فخر واعتزاز. اما ان كان يشير الى معانٍ اخرى فاننا لانعلم عنها شيئاً.

(١) كان هذا هو تقريباً عدد المسلمين في العالم آنذاك. – المترجم

المادة الثانية:

ان قرار الاتهام يعترف – استناداً الى تقرير وشهادة شرطة « قسطموني » – بان « رسالة الحجاب » و « رسالة الهجمات الست وذيلها » وجدت داخل صناديق مغلقة ومسمّرة وتحت اكوام الحطب والفحم. اي لم تكن معدة للنشر ابداً. وقد مرت من تدقيق ونقد محكمة «اسكي شهر» وادت الى اصدار عقوبة خفيفة لي. ولكن الادعاء العام الذي اخذ بعض الجمل من هذه الرسائل واعطى لها مفهوماً ومعاني غير صحيحة، يريد ان يرجع بنا تسع سنوات الى الوراء وان يحمّلنا مسؤولية جديدة حول تهمة سبق وان عوقبنا من اجلها.

المادة الثالثة:

وردت في قرار الاتهام وفي مواضع عدة عبارات امثال (يمكن ان يخل بأمن الدولة). اي تم وضع الاحتمالات والامكانات محل الوقائع الثابتة. وانا اقول: ان من الممكن ومن المحتمل ان يقوم كل شخص باقتراف جريمة القتل، فهل يمكن إدانة كل شخص وتجريمه على اساس الاحتمال؟

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

السيد رئيس المحكمة!

ارفق لكم طياً صورة من دفاعي الذي قدمته كعريضة الى المراجع الرسمية في « انقرة » والى رئيس الجمهورية، وكذلك الرسالة الجوابية التي ارسلتها رئاسة الوزارة، مما يظهر مدى قبولها واهتمامها بعريضتي. وقد ادرجت في دفاعي هذا الاجوبة القاطعة التي ردت على بيان الادعاء العام المملوء بالتهم التي لا اساس لها من الصحة وبالاوهام التي لامبرر لها. كما يوجد في هذا الادعاء كثير من الاقوال المبنية على

مضابط الشرطة المغرضة والسطحية والتي عارضها تقرير الخبراء، وقد سبق وان قدمت اعتراضاتي عليها والتي يمكن تلخيصها بالآتي:

كما ذكرت لكم سابقاً فانه عندما ارادت محكمة «اسكي شهر» تجريمي حسب المادة رقم ١٦٣ قلت لها:

«لقد وافق ١٦٣ نائباً من نواب البرلمان للحكومة الجمهورية البالغ عددهم مائتي نائب (اي بنفس عدد المادة ١٦٣) على تخصيص مائة وخمسين الف ليرة لانشاء «دار الفنون» — الجامعة — في مدينة «وان». وان موافقتهم هذه والاهتمام الذي ابدته حكومة الجمهورية نحوي يعني اسقاط التهمة الموجهة الي حسب المادة ١٦٣»

عندما قلت هذا للمحكمة قامت اللجنة الاستشارية لتلك المحكمة بتحريف ماقلته وادعت ان ١٦٣ نائباً اجروا تحقيقاً حول سعيد وطالبوا بمحاكمته!.

وهكذا، واستناداً الى امثال هذه التهم الباطلة لتلك اللجنة الاستشارية يحاول الادعاء العام جعلنا مسؤولين امام هذه التهم، بينما جاء بالاجماع قرار الهيئة المختصة ذات المستوى الرفيع من العلم التي تشكلت بقرار من المجلس النيابي وحول اليها تدقيق رسائل النور مايأتي:

«لاتوجد فيما كتبه سعيد او طلاب النور اية دلائل او امارات صريحة حول استغلال الدين او المقدسات وجعلها اداة ووسيلة للاخلال بأمن الدولة او التحريض على ذلك ولا على محاولة القيام بتشكيل جمعية ولا اية نيات او مقاصد سيئة، ولم نجد في وسائل تخاطب طلاب النور وخطاباتهم اية نيات سيئة ضد الحكومة ولا اية مقاصد لتشكيل جمعية او طريقة صوفية. وقد تبين انهم لا ينطلقون في حركتهم من هذا المنطلق».

كما قررت هذه الهيئة المختصة وبالاجماع كذلك على مايأتي:

«ان تسعين بالمائة من رسائل النور لم تبتعد قيد انملة عن مبادئ الدين واسسه ولا عن مبادئ العلم والحقيقة، وقد كتبت باخلاص وبتجرد. ومن الواضح تماماً ان هذه الرسائل لاتنوي استغلال الدين ولا القيام بتشكيل جمعية ولا محاولة الإخلال بأمن الدولة، كما ان الرسائل المتبادلة بين طلاب النور، او بين طلاب النور وبين سعيد

النورسي تحمل هذا الطابع ايضاً. وباستثناء بعض الرسائل السرية (لايتجاوز عددها عشر رسائل) التي لم تتطرق الى مواضيع علمية. بل تحمل طابع الشكوى والالم، فقد كتبت جميع رسائل النور إما لشرح آية او لتوضيح معنى حديث شريف وبيانه. كما ان معظم رسائل النور كتبت لتوضيح الحقائق الدينية والايمانية، وحول عقائد الايمان بالله وبرسوله واليوم الآخر. ولكي تتوضح هذه الحقائق بشكل افضل انتهجت رسائل النور اسلوب ضرب الامثال وايراد القصص، وقدمت رأيها العلمي وارشاداتها ونصائحها الاخلاقية ضمن مناقب حميدة وتجارب في الحياة وقصص ذات عبر، ولا تحتوي هذه الرسائل على اي شئ يمكن ان يمس الحكومة او المراجع الرسمية».

لذا فاننا في الحقيقة متأثرون جداً من قيام الادعاء العام باهمال تقرير هذه الهيئة العلمية المتخصصة ذات المستوى المرموق وتركه جانباً، والتوجه الى التقرير القديم الناقص والمشوش والمضطرب، ثم بناء اتهاماته الغريبة استناداً اليه. لذا فان من الطبيعي ان نرى هذا غير لائق بعدالة هذه المحكمة التي نسلم بها وبانصافها. وهذا يشبه – ولا مشاحة في الامثال – ماجرى مع «البكطاشي»[1] الذي قيل له: «لماذا لاتصلي؟» فاجاب: «لانه ورد في القرآن ﴿ **لاتقربوا الصلاة** ﴾» فقيل له: «ولكن لماذا لاتكمل قراءة الآية وهي تقول ﴿ **وانتم سكارى** ﴾» فاجاب: «انني لست حافظاً للقرآن». وعلى هذا المثال تؤخذ جملة معينة من «رسائل النور» وتبنى عليها الاتهامات ضدنا دون ان تُقرأ وتدقق الجمل التالية والموضحة لها، وسترون امثلة عديدة – حوالي اربعين مثالاً – على هذا في مذكرة دفاعي التي ساقدمها لكم. وكانموذج لهذا اقدم هذه الحادثة الطريفة:

وردت سهواً عبارة «ان رسائل النور تفسد الشعب» في مذكرة الادعاء العام فى محكمة «اسكى شهر» عندما كان يشرح اثر الدروس الايمانية لرسائل النور، ومع ان المحكمة شطبت فيما بعد هذه الجملة، الاّ ان احد طلاب النور (واسمه عبدالرزاق) قال بعد مضي سنة على تلك المحكمة:

---

(١) البكطاشي: اي من اتباع الطريقة «البكطاشية» التي بدأت على اسس سليمة ثم انحرفت حتى اصبح افرادها يضرب بهم المثل في ترك الصلاة والصوم وفي شرب الخمور. – المترجم

ايها الشـقي! كيف يستطيع احـد ان يقول عن « ارشاد » رسائل النور « افساداً » ؟ أيقال بحق رسائل النور التي ظهرت وتاكدت قيمتها الدينية ولم تبدر منها خلال عشرين سنة اية اساءة او ضرر نحو الادارة الحكومية ولا نحو اي شخص، بل قامت بارشاد الالاف من الشباب وتقوية ايمانهم وتقويم اخلاقهم ؟ اذن فكيف تستطيع ان تصف « ارشاد » رسائل النور بانه « افساد »؟ ألا تخش الله؟.. قطع الله لسانك!.

اننا نحيل ما قاله مقام الادعاء العام – الذي اطلع على الاقوال المحقة لطالب النور هذا – من ان « سعيداً ينشر الفساد من حواليه ».. نحيله الى ضمائركم والى شعور الانصاف في وجدانكم .

ولكي يجد مقام الادعاء فرصة لغمز الدروس الاجتماعية لرسائل النور قال:

« ان الوجدان هو مقام ومكان الدين، فالدين لايرتبط بالحكم ولا بالقانون، اذ عندما ارتبط بهما في السابق ظهرت الفوضى الاجتماعية ».

وانا اقول:

ان الدين ليس عبارة عن الايمان فقط، بل العمل الصالح ايضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن او من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تسمم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ اذن يستلزم ان نخصص لكل شخص شرطياً مراقباً لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيها وتبتعد عن هذه القذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الايمان، وعندما يتذكر الانسان سجن جهنم والغضب الإلهي فانه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة.

وقد بيّن الادعاء العام امارة لامعنى لها عندما ابرز اسماء الموقعين على التوافقات الظاهرة فى احدى الرسائل، وقال: انهم افراد جمعية! فيا ترى هل يمكن اعطاء اسم الجمعية على اصحاب التواقيع الموجودة فى سجلات اصحاب المحلات والدكاكين؟. ولقد حدث وهمٌ شبيه بهذا فى محكمة « اسكى شهر» واجبت عنه ايضاً.. فلو كانت هناك جمعية دنيوية فيما بيننا، لكان المتضررون بسببى ينفرون منى نفوراً شديداً ويهربون. ولكن مثلما لي ولنا ارتباط لا ينفصم مع الامام الغزالى، حيث انها

رابطة اخروية لا دنيوية، كذلك هؤلاء الابرياء المتدينين لهم رابطة قوية بهذا الضعيف لاجل ما تلقوا من دروس ايمانية. ومن هنا نشأ ذلك الوهم «جمعية سياسية».

كلمتى الاخيرة:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

الموقوف
فى السجن الانفرادى
سعيد النورسى

* * *

هذا الجزء له اهمية بالغة

باسمه سبحانه

ايها السادة!..

السيد رئيس المحكمة!

ارجو ان تنتبهوا وتعوا جيداً بان اصدار اي حكم بمعاقبة طلاب النور ليس الا خدمة مباشرة للكفر والالحاد، وليس الا اتهاماً للحقائق القرآنية وللحقائق الايمانية التي سار على هداها كل عام ثلاثمائة مليون مسلم منذ الف وثلاثمائة سنة، اي هو محاولة لسد الجادة الكبرى واغلاق الطريق القويم المؤدي الى الحقيقة والى سعادة الدارين لما يقرب من ثلاثمائة مليار مسلم، مما سيجلب نفور هؤلاء واعتراضهم، ذلك لان سالكي هذه الجادة وهذا الطريق يدعو فيه الخلف للسلف ويعينه بحسناته وبدعواته (١) ثم ان هؤلاء - الواقفين موقف العداء للايمان - سيكونون سبباً في اثارة مشكلة كبيرة في هذا الوطن، فاذا وقف امامكم يوم القيامة ويوم المحكمة الكبرى ثلاثمائة مليار خصم وسألوا منكم:

(١) ذلك لان الخلف وصلوا الى نعمة الايمان بوساطة السلف (بفضل من الله تعالى) لذا فان اية حسنة يعملها الخلف سجل مثله حسنة للسلف. - المترجم

« لماذا سمحتم لكتب إلحادية ولكتب تهاجم الاسلام بصراحة امثال كتاب « تاريخ الاسلام » للدكتور دوزي[1] وامتلأت بها مكاتبكم وسمحتم بقراءتها بكل حرية ولطلابها بتشكيل الجمعيات حسب قوانينكم؟ ولماذا لاتتعرضون ابداً للالحاد ولا للشيوعية ولا للفوضى ولا للمنظمات المفسدة العريقة ولا للطورانية العنصرية مع انها تتعارض مع سياستكم؟ وتتعرضون لأشخاص لاعلاقة لهم قطعاً بالسياسة، بل همهم الوحيد سلوك طريق الايمان والطريق القويم للقرآن الكريم، يقرأون رسائل النور التي تبحث عن الحق والحقيقة لانها التفسير الحقيقي للقرآن، لكي يخلصوا وينقذوا انفسهم ومواطنيهم من الاعدام الأبدي ومن السجن الانفرادي. هذا في الوقت الذي لاتوجد لهم اية علاقة او ارتباط باية جمعية سياسية؟ ولكنكم تتعرضون لهم لانكم تتوهمون ان الصداقة والاخوة في الله التي تربط ما بين قلوبهم كأنها ناشئة بسبب ارتباطهم بجمعية معينة، لذا قمتم ومازلتم تقومون باتهامهم وبالحكم عليهم بقانون عجيب.. فلماذا؟

إن قالوا لكم هذا فماذا ستجيبون؟ ونحن ايضاً نستفسر هذا ونسأله منكم.

ان الذين استغفلوكم وضللوا المراجع العدلية واشغلوا الحكومة بنا بما يجلب الضرر للامة وللوطن هم المعارضون لنا من الملحدين والزنادقة والمنافقين، فهؤلاء خدعوكم واشغلوا الحكومة عندما اطلقوا اسم « الجمهورية » على الاستبداد المطلق واسم « النظام » على الارتداد المطلق واسم « المدنية » على السفاهة الصرفة واسم القانون على ماوضعوه من امور قسرية واعتباطية وكفرية، فآذونا وضيقوا علينا ووجهوا ضرباتهم نحو حكم الاسلام وحكم الامة خدمةً للاجنبي.

ايها السادة!

ان وقوع اربع زلازل رهيبة في ظرف اربع سنوات، وتوافق وقوعها دائماً مع تواريخ إلقاء القبض على طلاب رسائل النور وظلمهم والتضييق الشديد عليهم،

---

(١) دوزى: (١٨٢٠ - ١٨٨٣م) هو رينهارت بيتر آن دوزي، مستشرق هولندى من اصل فرنسي، بروتستانتي المذهب، مولده ووفاته في ليدن، درّس في جامعاتها نحو ثلاثين عاماً. وكان من اعضاء عدة مجامع علمية قرأ آداب اللغات الاوروبية ثم انصرفت عنايته الى العربية، اشهر آثاره (معجم دوزي) في مجلدين بالعربية والفرنسية، و(تاريخ الاسلام) من فجره حتى عام ١٨٦٣ كتبه بالهولندية وترجم الى التركية (الاعلام للزركلي ٣٨/٣ باختصار).

وتوافق انتهائها مع انتهاء التعرض لهم، يشير الى انكم انتم مسؤولون عن المصائب والبلايا السماوية والارضية الواقعة في محاكمتنا الحالية.(١)

سعيد النورسي

السجين سجناً انفرادياً في سجن « دنيزلي »

* * *

باسمه سبحانه

(قسم من الكلمة الاخيرة)

ايها السادة !

لكوني لا استطيع ان اعرف شيئاً عن الحياة الاجتماعية الحالية، ونظراً للاتجاه الذي يسير فيه مقام الادعاء العام، واصراركم على اصدار قرار بالحكم عليّ تحت ذريعة اتهامي بتشكيل جمعية، مع انني قد اجبت على هذه التهمة ونفيتها باجابات قاطعة وببراهين دامغة، كما ان اللجنة الاستشارية التي تشكلت في « انقرة » من اهل العلم والاختصاص نفت ذلك ايضاً بالاجماع، واذ انا في حيرة حول اصراركم على هذه المسألة خطر الى قلبى هذا المعنى:

مادامت الصداقة والميل الى التجمع الاخوى، والجمعية الاخروية هى من اسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضرورات الفطرة الانسانية، ومن اهم الروابط واكثرها ضرورة بدءاً من حياة العائلة والقبيلة ووصولاً الى حياة الامة والى الحياة الاسلامية والانسانية، ونقطة استناد وأنس لكل انسان تجاه ما يلاقيه في الكون من مصاعب لا يستطيع مواجهتها وحده، وللتغلب على جميع العوائق والموانع المادية والمعنوية التي تحاول اعاقته عن القيام بايفاء واجباته الاسلامية والانسانية، ومع ان الصداقة والاخوة التي يجتمع عليها طلاب النور تخلو من اي جانب سياسي، بل هي اخوة صادقة وخالصة ووسيلة الى خير الدنيا والسعادة في الآخرة، لانهم يجتمعون في دروس الايمان والقرآن في ظل صداقة خالصة وزمالة مخلصة في طريق الحق، وهم

(١) يعلل الاستاذ النورسى هذه بان رسائل النور كلمات طيبة من نوع الصدقة المقبولة التى هى وسيلة لدفع البلاء، لذا فان منع انتشارها وحجبها عن الناس يفتح الطريق لنزول البلاء.— المترجم.

متساندون ضد ما يضر بالامة وبالوطن، لذا فقد كان من الواجب ان يكونوا محط تقدير واعجاب وهم يجتمعون هذه الاجتماعات الايمانية. واما من يعطي انطباعاً ومعنى جمعية سياسية لهذه الاجتماعات فهو اما مخدوع خداعاً كبيراً، او هو فوضوي غدار يخاصم الانسانية خصاماً وحشياً ويعادي الاسلام معاداة نمرودية، ويخاصم الحياة الاجتماعية باسوأ اسلوب من الاساليب الفوضوية، اي يحارب الوطن والامة والنفوذ الاسلامي والمقدسات الدينية محاربة المرتدين والمتمردين اللدودين. او هو زنديق خناس يعمل لحساب الاجنبي ويحاول قص شريان حياة هذه الامة او افسادها فيستغفل الحكومة ويضلل المراجع العدلية، لكي ينجح في تحويل اسلحتنا المعنوية (التي استعملناها حتى الآن ضد الفراعنة وضد الفوضويين) نحو وطننا، او الى كسر وتحطيم هذه الاسلحة.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

ايها السادة !

هناك منظمة سرية تعمل منذ حوالى اربعين سنة لحساب الاجنبي لإفساد هذه الامة باسم الكفر والالحاد، وتحاول تمزيق هذا الوطن، وذلك بالهجوم على حقائق القرآن وحقائق الايمان بكل الوسائل وبكل الطرق. وهذه الفئة السرية المفسدة تتشكل في اشكال مختلفة. وانا اود ان تسمحوا لي ان اخاطب امامكم بعض الموظفين الغافلين والبعيدين عن الانصاف الذين جعلتهم هذه الفئة ستاراً تحتمي خلفهم وتضلل بهم المحكمة.

(ولكن صدور قرار البراءة في اليوم التالي اجّل ذلك الخطاب العنيف).

الموقوف في السجن الانفرادي
والمعزول عزلاً كلياً
سعيد النورسي

* * *

جواب حقيقي لسؤال مهم

سألني بعض الموظفين المرموقين:

« لماذا لم تقبل ما عرضه عليك مصطفى كمال حول جعلك واعظاً عاماً ومسؤولاً عن عموم « كردستان » والولايات الشرقية بدلاً عن الشيخ السنوسي[١] براتب قدره ثلاثمائة ليرة [٢]؟ ذلك لانك لو كنت قبلت هذا العرض منه لكنت سبباً في انقاذ ارواح مئات الآلاف من الرجال الذين ذهبوا ضحية الثورة »[٣].

فقلت لهم جواباً على سؤالهم هذا:

بدلاً من قيامي بانقاذ عشرين او ثلاثين سنة من الحياة الدنيوية لهؤلاء الرجال، فان رسائل النور كانت وسيلة وسبباً لإنقاذ ملايين السنين للحياة الاخروية لمئات الالاف من المواطنين، اي انها قامت بعمل يكافئ اضعاف تلك الخسارة بآلاف المرات، فلو انني قبلت ذلك العرض لما ظهرت رسائل النور التي تحمل في طياتها سر الاخلاص والتي لاتكون تابعاً لاي أحد ولا وسيلة استغلال لاي شئ كان. حتى انني قلت لاصدقائي المحترمين في السجن: « لو ان الحكام الموجودين في انقرة الذين آلمتهم صفعات رسائل النور الشديدة فحكموا عليّ بالشنق، ثم استطاعت رسائل النور ان تنقذ ايمانهم وان تنقذهم من الاعدام الأبدي، فاشهدوا بانني اصفح عنهم من كل قلبي ».

وقد قلت لمدير الشرطة وللمفتشين الذين ازعجوني غاية الازعاج بترصداتهم ومراقباتهم لي بعد صدور قرار التبرئة من محكمة « دنيزلي »:

« لاشك ان من كرامة رسائل النور التي لايمكن انكارها انه بعد بحث وتدقيق دام تسعة اشهر، لم يستطع احد من ان يعثر على اية وثيقة او اية علاقة مع اي تيار او مع اية جمعية او جماعة داخلية او خارجية لافي مئات الرسائل والخطابات التي كتبتها

---

(١) الشيخ السنوسي: عمل واعظاً دينياً في الولايات الشرقية وكان له دور بارز في اصدار فتوى الجهاد ضد الانكليز اثناء الاحتلال — المترجم.

(٢) هذا الراتب كان راتباً ضخماً جداً آنذاك ولا يأخذه الا الوزراء. المترجم

(٣) حدثت في الولايات الشرقية (كردستان) عدة ثورات، كان اهمها الثورة التي قادها احد رؤساء العشائر الكردية « الشيخ سعيد پيران » ضد سياسة مصطفى كمال المعادية للاسلام. واستطاع مصطفى كمال القضاء عليها واعدام قائد الثورة وسبعاً واربعين ممن معه في ١٥ /١٩٢٥/٤ — المترجم

خلال عشرين سنة من حياتي المليئة بالالام وبانواع الظلم، ولامع طلاب النور الذين يُعدون بالالاف. فهل يستطيع اي فكر او اي تدبير ان يعطينا مثل هذا الوضع الباهر. اذ لو انكشفت اسرار شخص واحد لبضع سنين من عمره، لظهرت عشرون مادة تدينه وتفضحه. اذن فهذه هي الحقيقة.

ولكن لو قلتم: «ان هناك ذكاء وعبقرية لاتبارى تنسق هذا العمل وتسيّره»

او لو قلتم: «هناك عناية ربانية فائقة وحفظ إلهي».. عند ذلك اقول لكم:

«اذن فان من الخطأ محاربة هذه العبقرية، لأن فيها ضرر كبير للامة وللوطن، كما ان مجابهة ومعارضة العناية الربانية والحفظ الإلهي ليست الاّ تمرداً فرعونياً».

ولو قلتم:

«اننا إن لم نقم بمراقبتك ورصد حركاتك، تستطيع ان تعكر حياتنا الاجتماعية بدروسك وباسرارك الخفية»

لقلت لكم:

لقد حصلت الحكومة على جميع دروسي بلا استثناء، فلم تجد فيها اي شئ يوجب العقاب، ومع ان ما يقرب من خمسين الف نسخة من الرسائل من هذه الدروس متداولة بين افراد الشعب وهم يقرأونها بكل اهتمام وبكل لهفة، فما من ضرر لحق باي شخص كان، بل على العكس رأينا منافعها. وقد اقرت المحكمة السابقة والمحكمة الحالية: انه لم يتم العثور فيها على اي شئ يوجب التهمة او المؤاخذة، فاصدرت المحكمة الحالية قرارها بالبراءة بالاجماع. اما المحكمة السابقة فانها احتجّت ببضع كلمات وردت ضمن مائة وثلاثين رسالة لكي تكون عذراً لها في اصدار حكم بالحبس لمدة ستة اشهر على خمسة عشر طالباً من طلاب النور من بين مائة وعشرين من الموقوفين منهم، وذلك من اجل شخص مشهور في العالم [1]. اذن فهذا برهان قوي وحجة قاطعة على ان تعرضكم لي ولرسائل النور ليس الا نتيجة توهم لامعنى له وليس الا ظلماً قبيحاً. ثم انه لاتوجد عندي دروس جديدة وليس لي سر مطوي وخفي لكي تقوموا بمثل هذه المراقبة والترصد.

---

(١) المقصود مصطفى كمال. – المترجم

انني الآن في حاجة ملحة الى حريتي. ألا يكفي هذا الترصد غير المجدي والمراقبة العقيمة والملاحقة الظالمة المستمرة منذ عشرين سنة؟ لقد نفد صبري.. وربما ادعو عليكم بسبب ضعفي وشيخوختي دعاء لم ادعه من قبل، وان « دعوة المظلوم ليس بينها وبين العرش حجاب »[١] حقيقة راسخة.

ولكن ذلك الظالم وهؤلاء التعساء المتبوأين وظائف دنيوية عالية قالوا لنا:

« انك ومنذ عشرين عاماً لم تضع قبعتنا على رأسك حتى ولا مرة واحدة. ولم تحسر عن رأسك امام المحاكم - السابقة منها واللاحقة - بل بقيت في قيافتك القديمة مع ان سبعة عشر مليوناً لبسوا القيافة الجديدة ».

قلت لهم:

« ليس هناك سبعة عشر مليوناً، ولاسبعة ملايين، بل ولا يوجد من يلبسها بمحض اختياره سوى سبعة الاف من السكارى عبدة الغرب ومقلديه. لذا فبدلاً من ان ألبس قيافة تجبرني عليها قوة القانون وتسمح لي بذلك الرخصة الشرعية [٢] فاني افضل ان ألبس قيافة سبعة مليار من الذوات المحترمين وسلوك طريق العزيمة والتقوى. ولايمكن ان يقال لشخص مثلي ترك الحياة الاجتماعية وهجرها انه « يعاند وهو معارض ومخالف لنا ». ولنفرض انه عناد، فمادام مصطفى كمال نفسه لم يستطع ان يكسر هذا العناد، ومادامت محكمتان ومحافظ ثلاث ولايات لم تكسره فمن انتم حتى تحاولوا مثل هذه المحاولة العقيمة، ولماذا تحاولون هذا عبثاً مع انها لاتأتي بخير للامة ولا لهذه الحكومة؟ حتى لو افترضنا انني معارض سياسي فمادمتم تقرون وتعترفون بانني شخص قد قطع علاقته مع الدنيا منذ عشرين عاماً وبانني أعد بذلك شخصاً ميتاً من الناحية المعنوية منذ عشرين عاماً، لذا فليست هناك من فائدة من ان يبعث هذا الشخص من جديد في معترك الحياة السياسية بمواجهتكم، بل يشكل هذا ضرراً بالغاً له، لذا فان توقع المعارضة السياسية من مثل هذا الشخص ليس الاّ جنوناً مطبقاً. ولما

---

(١) اصل الحديث: « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه مسلم - كتاب الايمان ٢٩. والبخارى - الجهاد ١٨٠، الزكاة ٦٣، المظالم ٩، المغازى ٦٠.

(٢) حيث انه اكراه. - المترجم.

كان الحديث الجاد مع المجانين يعدّ جنوناً فانني ساترك التحدث مع امثالكم.. افعلوا ماشئتم..».

فأدى قولي هذا الى اسكاتهم واغضابهم في الوقت نفسه.

كلمتي الاخيرة:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

﴿حسبي الله لا اله الاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾

* * *

قلت لهم في دفاعي الموجز هذه المرة

ان ماتحتويها رسائل النور من الحقيقة والرحمة والحق قد منعتنا من الخوض في السياسة. ذلك لان الخوض فيها يؤدي الى وقوع الابرياء في بلايا ومصائب عديدة فاكون ظالماً لهم. وقد طلب بعضهم ايضاح هذا الامر فقلت لهم:

انه بسبب التعصب العنصري والانانية التي نشأت في هذا العصر العاصف من المدنية الغادرة، والدكتاتورية العسكرية التي اعقبت الحرب العالمية، وما افرزته الضلالة من القسوة وعدم الرحمة، ساد اشد انواع الظلم واشد انواع الاستبداد، بحيث لو قام اهل الحق بالدفاع عن حقوقهم بالقوة لأصاب الكثير من الابرياء والضعفاء اشد الظلم نتيجة الحيدة عن العدل، فيبقى هؤلاء مغلوبين على امرهم يقاسون اشد انواع الظلم. ذلك لان الظالمين الذين تدفعهم النوازع المذكورة آنفاً لايترددون ابداً في مدّ يد الاذى والبطش والظلم بعشرين او ثلاثين من الابرياء ويؤاخذونهم بجريرة او خطأ شخص او شخصين باسباب واهية ومعاذير شتى. فلو قام اهل الحق بضرب ذلك الموضع في سبيل الحق والعدل لأعطوا خسارة بمعدل ثلاثين الى واحد. ولو قاموا باتباع القاعدة الظالمة المتمثلة بالمقابلة بالمثل وبطشوا بعشرين او ثلاثين شخصاً مأخوذين بجريرة واحد او اثنين من الظالمين لاقترفوا – باسم الحق وتحت شعاره – ظلماً عظيماً وشنيعاً.

هذا هو السبب والحكمة من تهربنا الشديد ونفورنا من التعرض للسياسة وللحكم وذلك بامر القرآن، وإلاّ فان عندنا من قوة الحق ما يمكننا من الدفاع عن حقنا بكل جدارة. ثم مادام كل شئ زائلاً وفانياً ومادام الموت موجوداً والقبر لايزال فاغراً فاه، ومادام الاذى ينقلب الى رحمة، فاننا نفضل ان نصبر ونتوكل على الله ونشكره ونسكت. اما محاولة الاخلال بسكوتنا وهدوئنا بالاكراه بايقاع الاذى بنا فانها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية الملية.

وخلاصة الكلام:

انه لايوجد هناك لاهل السياسة ولا لأرباب الحكم ولا لاصحاب الادارة ولا للشرطة ولا لدوائر العدل شئ يستدعي منهم التعرض لنا. كل ما هنالك ان بعض الزنادقة المتسترين استطاعوا بشيطنتهم وبالتعصب الزنديقي الناجم عن الكفر المطلق (الذي يعد طاعوناً بشرياً ونتاج الفلسفة المادية والذي لاتوجد هناك في الدنيا اية حكومة تدافع عنه ولا اي شخص عاقل يأنس به).. استطاعوا بهذه الشيطنة ان يخدعوا بعض موظفي الدولة ويلقوا اليهم باوهام وبمخاوف لكي يوجسوا منا خيفة وبذلك دفعوهم ضدنا.

ونحن نقول:

اننا بعون الله تعالى وبالقوة التي نستمدها من القرآن الكريم لن نترك الميدان ولن نهرب ولو اقاموا الدنيا باجمعها ضدنا وليس فقط بعض هؤلاء الاشخاص المصابين بالاوهام. ولن نسلم السلاح تجاه هؤلاء المرتدين الزنادقة من الكفار.

سعيد النورسى

* * *

الشعاع الثالث عشر

هذا الشعاع عبارة عن رسائل نيّرة في غاية الاهمية، بعث بها الاستاذ النورسي الى طلابه (في السجن) وهي تبين بوضوح تام جهاد رسائل النور الساطع.

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

اهنئ ليلتكم المباركة التي مرت، ليلة القدر، مع العيد السعيد المقبل، اهنئكم بكل ما املك، واودعكم امانةً الى رحمة الرحمن الرحيم والى وحدانيته جلّ وعلا.

ومع انني لا اراكم بحاجة للسلوان فمضمون «من آمَنَ بالقَدرِ أَمِنَ مِنَ الكَدَرِ» كافٍ ويغني، الاّ انني اقول:

لقد شاهدت شهود يقين السلوان الكامل الذي يبعثه المعنى الاشاري للآية الكريمة: ﴿ **واصبِرْ لِحُكْمِ رَبّكَ فإنّكَ بِأعْيُنِنا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** ﴾ (الطور: ٤٨) وذلك:

بينما كنت اتأمل في قضائنا شهر رمضان المبارك براحة وطمأنينة مع نسيان هموم الدنيا، اذا بهذه الحادثة الرهيبة التي لاتطاق، تحل بنا، والتي لم تخطر على بال، فاشهدها شهود عيان انها محض العناية الالهية لي، ولرسائل النور، ولكم، ولشهر رمضاننا ولإخوتنا.

وفيما يخصني من فوائدها الكثيرة اذكر بضع فوائد منها فقط:

اولاها:

انها دفعتني الى السعي المتواصل في شهر رمضان بانفعال شديد وجدية صارمة والتجاء قوي وتضرع رقيق، متغلباً على المرض.

ثانيتها:

ان الرغبة كانت شديدة في لقاء كل منكم وقريباً منكم في هذه السنة ايضاً، فقد كنت ارضى بهذه المعاناة والمشقات التي اتحملها ازاء لقاء واحد منكم والمجئ الى «اسپارطة».

ثالثتها:

ان جميع الحالات المؤلمة تتبدل فجأة ودفعة، سواء في «قسطموني» أو في الطريق أو هنا وبصورة غير معتادة وبخلاف رغبتي وتوقعي، بحيث تشاهد ان يد عناية ربانية وراء الاحداث، حتى تجعلنا ننطق بـ: «الخير فيما اختاره الله» وتستقرئ رسائل النور - التي افكر فيها دوماً - حتى الغارقين في الغفلة المتسنمين وظائف دنيوية مرموقة فاتحة ميادين عمل جديدة في ساحات اخرى.

انه ازاء آلام كلٍ منكم وحسراته، المتجمعة عليّ والتي تمسّ عطفي ورقتي اليكم كثيراً، فضلاً عن آلامي، و وقوع هذه المصيبة في شهر رمضان المبارك الذي كل ساعة منه في حكم مائة ساعة، يجعل كل ساعة من تلك الاثوبة المائة بمثابة عشر ساعات من العبادة، حتى يبلغها الالف ساعة من العبادة.

ثم ان الذين درسوا رسائل النور من امثالكم المخلصين وفهموها حق الفهم، وادركوا ان الدنيا فانية عابرة، وانها ليست الاّ متجر موقت، والذين ضحّوا بكل ما يملكون في سبيل ايمانهم وآخرتهم، واعتقدوا ان المشقات الزائلة التي يعانونها في هذه المدرسة اليوسفية لذائذ دائمة وفوائد خالدة، قد بدّلت - هذه الفوائد - التألم لحالكم والبكاء عليكم النابع من العطف الشديد، الى حالة تهنئة وتقدير لثباتكم، فقلت بدوري: الحمدلله على كل حال سوى الكفر والضلال.

فأمثال هذه الفوائد التي تخصني، هناك فوائد تخصكم، وتخص اخوتنا، وتخص رسائل النور، وشهرنا المبارك، شهر رمضان، بحيث لو رفع الحجاب، لحملتكم تلك الفوائد على القول: « يارب لك الحمد والشكر، حقاً ان هذا البلاء النازل بنا عناية بحقنا ». وانا مطمئن من هذا ومقتنع به.

لاتعاتبوا – يا اخوتي – الذين اصبحوا السبب في وقوع الحادثة. ان هذه الخطة الرهيبة الواسعة قد حيكت منذ مدة مديدة، الاّ انها جاءت مخففة معنى وستزول بسرعة بإذن الله فلا تتألموا بل استرشدوا بالآية الكريمة:

﴿ وَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ ﴾(البقرة: ٢١٦).

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء!

انني محظوظ جداً لوجودي بقربكم، واخاطب احياناً خيالكم فأجد السلوان. اعلموا انه لو كان من المستطاع لتحملت جميع مشاقكم وضيقكم، وبكل فخر وسرور.

فانا احب لأجلكم « اسبارطة » وحواليها بترابها وحجرها، حتى انني اقول، وسأقوله في المحافل االرسمية: لو عاقبني مسؤولو الدولة في « اسبارطة » وبرّأتني ولاية اخرى لفضلت هذه المدينة ايضاً.

نعم، اننى من اسپارطة بثلاث جهات رغم اني لا استطيع الاثبات تاريخياً، ولكن لى القناعة بأن أصل (سعيد) المولود في ناحية « اسباريت »(١) قد رحل من هنا.

وكذا فان ولاية اسپارطة قد وهبت لى من الاخوة الصادقين ما يجعلنى لا اضحى لأجل كل منهم بـ(عبد المجيد) وبـ(عبد الرحمن) بل اضحي بسعيد وبكل امتنان ورضى.

---

(١) ناحية تقع بقربها قرية « نورس » حيث مسقط رأس الاستاذ النورسى.– المترجم.

انني اعتقد انه ليس هناك على الكرة الارضية – حالياً – من يعاني من الضيق قلباً وروحاً وفكراً اقل من طلاب النور، لأن قلوبهم وارواحهم وعقولهم لا تعاني الضيق بفضل انوار الايمان التحقيقي. اما المصاعب المادية والمشقات الدنيوية فهم يقابلونها بصدور ملؤها الشكر والصبر لما تعلّموه من رسائل النور انها عابرة تافهة، حاملة للثواب ووسيلة لانفتاح مجال عمل لخدمة الايمان وتوسعها.. فهم يثبتون باحوالهم ان الايمان التحقيقي هو مبعث السعادة حتى في دار الدنيا.

نعم، انهم يسعون بجد لتحويل هذه المشقات الفانية الى رحمات باقية، قائلين:

لنر المولى ماذا يفعل، انما يفعله هو الاجمل.

نسأل الله الرحمن الرحيم ان يكثر من امثال اولئك ويجعلهم مدارشرف هذه البلاد واعتزازها وسعادتها ويرزقهم السعادة الابدية في جنة الفردوس. آمين.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصادقين!

ان نزول هذا القضاء الإلهي بنا – من زاوية عدالة القدر – ناشئ من ميل عدد من طلاب النور الجدد الى كسب امور دنيوية ايضاً برسائل النور، مما لاينسجم مع سر الاخلاص؛ لذا وجدوا انفسهم امام نفعيين دنيويين، منافسين لهم.

ان الحصول على رسالة كُتب اصلها قبل خمس وعشرين سنة (اي الشعاع الخامس) في مكان بعيد، والتي لم احصل عليها الاّ مرة أو مرتين خلال ثماني سنوات، وضيّعت في الوقت نفسه دفع اشباه العلماء الى تقلّد طور المنافس، فبثوا الاوهام والشكوك في صفوف دوائر العدل.

وفي الوقت نفسه فقد انعكس خبر طبع رسالة «الآية الكبرى» بالحروف الجديدة مع عدم موافقتي، بدلاً من رسالة «مفتاح الايمان»[1] التي كنت ارغب في طبعها، ووصول نسخٍ منها الى هنا، انعكس – هذا الخبر – على الدوائر الحكومية، فالتبست عليهم احدى المسألتين بالاخرى.

(١) كتيب يضم مستلات من كليات رسائل النور.– المترجم.

فكأن « الشعاع الخامس » قد طبع، خلافاً للقوانين المدنية، مما استهول ذلك ارباب الاغراض الشخصية واستعظموه جاعلين من الحبة مائة قبة. حتى زجّونا ظلماً وعدواناً في هذا المعتكف.

اما القدر الإلهي فقد ساقنا الى هنا لنكسب به منافع. فلقد اكسبنا ثواباً عظيماً اكثر مما كان يغنمه الزهاد المنزوون في معتكفاتهم الاختيارية. ودعانا القدر الإلهي الى المدرسة اليوسفية مرة اخرى ليعلّمنا درس الاخلاص تعليماً تاماً وليقوّم علاقاتنا واواصرنا مع الدنيا التي هي تافهة حقاً.

اننا نقول ازاء شكوك اهل الدنيا واوهامهم:

ان « الشعاع السابع » من اوله الى اخره بحث في الايمان، فلقد إلتبس عليكم الامر وانخدعتم. وان « الشعاع الخامس » يختلف عنه كلياً وهو رسالة خاصة وسرية للغاية حتى لم يعثر عليها عندنا رغم التحريات الدقيقة. وان اصل هذه الرسالة قد كتب قبل عشرين سنة فنحن لا نرضى بطبعها وحدها بل ولا باراءتها ايضاً الى اى احد كان في الوقت الحاضر. فهي رسالة تخبر عن احداث مستقبلية، وقد صدّقها الواقع هناك، وهي لا تتحدى أحداً.

* * *

باسمه سبحانه

مع تهنئتي لكم بعيدكم السعيد مرة اخرى، اقول: لاتتأسفوا على عدم اللقاء فيما بيننا لقاءً ظاهرياً، فنحن في الحقيقة معاً دائماً. وستدوم هذه المعية في طريق الابد باذن الله. وانني على قناعة من ان الاثوبة الابدية التى تكسبونها في عملكم في سبيل الايمان والفضائل والمزايا الروحية والمباهج القلبية التي تحصلون عليها تزيل الغموم والضجر التي تنتابكم موقتاً في الوقت الحاضر.

نعم، انه لم يحصل لحد الان نظير طلاب النور بمعاناتهم اقل مشاق في سبيل اعظم عمل مقدس. نعم ان الجنة غالية ليست رخيصة، وان انقاذ الايمان من قبضة

الكفر المطلق الذي يمحي الحياتين معاً له اهميته البالغة في هذا الوقت، وحتى لو وقع شئ من المشاق، فينبغي ان يجابه بالشوق والشكر والصبر، اذ لما كان خالقنا الذي يستخدمنا في هذه الخدمة ويدفعنا اليها، رحيم وحكيم. فعلينا اذن ان نستقبل كل مصيبة تنزل بنا بالرضى والسرور والالتجاء الى رحمته تعالى والاطمئنان الى حكمته.

ان احد اخواننا الابطال قد تحمل المسؤولية الكاملة المترتبة عل طبع رسالة « الآية الكبرى ». انه اظهر حقاً انه اهل للفضيلة والشرف الاخروي الرفيع، باستنساخه للحزب القرآني(١)والحزب النوري(٢)، لقد ابكتني حالته بكاءً ممزوجاً بسرور عميق.

فلقد جلب الشعاع السابع « الآية الكبرى » الانظار اليها، اذ المصادرة الحالية الموقتة تنطوي على حكمة تهيئة مجالات وفتوحات لائقة بها في المستقبل. فنحن نأمل من رحمته تعالى الاّ يضيع خدمات ومصاريف اخينا المذكور ورفقائه بل يجعلها ساطعة منورة. ان الذي يدخلكم جميعاً ضمن ادعيته الواردة بصيغة المتكلم مع الغير، امثال: اجرنا وارحمنا واحفظنا، دون استثناء احد منكم، ويسعى على وفق دستورنا « الاشتراك المعنوى » الذى هو بمثابة اجساد كثيرة وروح واحدة، ويتألم اكثر من آلامكم ومقاساتكم، وينتظر الهمة والعون والثبات والمتانة والشفاعة من شخصكم المعنوي هو:

اخوكم
سعيد النورسي

* * *

اخي العزيز الصادق السيد رأفت!

ان اسئلتكم المتسمة بالعلم، قد اصبحت مفاتيح لحقائق جليلة من مجموعة « المكتوبات » لكليات رسائل النور، لذا لا اقف غير مكترث باسئلتكم. فالجواب المختصر لهذا السؤال هو:

(١) الحزب القرآني: عبارة عن مجموعة آيات مختارة من سور القرآن الكريم والتى تعمق الايمان وتخص التفكر الايماني فى الكون. المترجم.

(٢) الحزب النورى: عبارة عن خلاصة تأملات فكرية، كتبها الاستاذ النورسى باللغة العربية وسينشر باذن الله مع « الملاحق ». المترجم.

لما كان القرآن الكريم خطبة ازلية، يخاطب طبقات البشر كافة وطوائف اصحاب العبادة كافة، فلا بد ان يكون له معاني متعددة على وفق مداركهم، وان يتضمن معناه الكلي مراتب كثيرة. وقد يفضل بعض المفسرين المعنى الاعم فحسب، أو المعنى الصريح وحده، أو الواجب فقط، أو المعنى الذى يفيد سنة مؤكدة. فمثلاً: يذكر ان قوله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾(الطور: ٤٩) يبين ركعتي صلاة التهجد التي هي سنة نبوية مهمة، واستخلص من قوله تعالى ﴿ وإِدْبَارَ النَّجُومِ ﴾(الطور: ٤٩) انها سنة الفجر المؤكدة.

والحال ان المعنى الاول له افراد كثيرة جداً فضلاً عن ذلك المعنى.

اخي! ان المحاورة معك لم تنقطع.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء:

اديّت الآن صلاة الظهر، ووردتم بخاطري في اثناء الاذكار، بأن كلاً منكم يحزن لتفكره بنفسه وبأحوال أقاربه الساكنين معه. وفجأة ورد الى القلب:

ان الذين آثروا آخرتهم على دنياهم في السابق قد انزووا في مغارات وصوامع انقاذاً لأنفسهم من آثام الحياة الاجتماعية. وذلك سعياً لكسب الآخرة سعياً خالصاً، وقد قضوا حياتهم في المداومة على الرياضة الروحية.. اقول لو كان اولئك في هذا الزمان لكانوا طلاباً لرسائل النور.

فلاشك ان هؤلاء – وهم تحت هذه الظروف الحالية – محتاجون اكثر من اولئك بعشر مرات، ويغنمون من الفضائل والمزايا اكثر منهم بعشر مرات، و ينعمون بالاطمئنان اكثر منهم بعشر درجات.

* * *

اخوتي الاعزاء الميامين!

سلام وافر كثير.. لقد كنا في مدينتنا سابقاً نقرأ سورة «الاخلاص» الف مرة يوم عرفة، ولكني الآن استطيع قراءتها خمسمائة مرة قبل يوم عرفة بيوم وخمسمائة مرة يوم عرفة. فمن يستطع منكم ان يقرأها كلها مرة واحدة فليفعل. وعلى الرغم من انني لا التقي معكم ولا بواحد منكم ولكنني في اغلب الاوقات استطيع رؤية كل منكم والتقيه لقاءً خاصاً ضمن الدعاء واحياناً بإسمه.

* * *

اخوتي الاعزاء!

لقد تألمت في اذكار صلاة الفجر اليوم على حال (الحافظ توفيق)(١)، اذ خطر لي انه يعاني للمرة الثانية المشاق والعنت. ولكن خطر بالبال فجأة: هنّئه! انه كان يرغب في ان يسحب نفسه قليلاً عن المقام العظيم لرسائل النور ويتخلف عن كسب حظها العظيم لأجل حذر لانفع فيه. بيد ان قدسية عمله وعظمته، وفّقته ايضاً لإغتنام تلك الحصة العظيمة وذلك الثواب الجزيل. نعم، ينبغي عدم التخلف عن مثل هذا الشرف المعنوي الرفيع لأجل تعب قليل وضيق عابر.

نعم يا اخوتي! لما كان كل شئ عابراً زائلاً، إن كان لذة ومتعة، تذهب دون جدوى وتخلف حسرة وأسفاً. بينما يدع فوائد جليلة دنيوية واخروية إن كان تعباً وضيقاً، من حيث زاوية نظر الخدمة المقدسة. حيث تنطوي على فوائد لذيذة حلوة تزيل تلك المشقات. فانى اطمئنكم باننى راضٍ عن حالي والتحلي بالصبر الجميل والشكر الكامل على الرغم من انني اكبركم سناً – سوى واحد منكم – واكثركم معاناة ومشقات . وما الشكر على المصيبة الاّ لأجل الثواب الذي فيها، ولفوائدها الاخروية والدنيوية.

* * *

(١) الحافظ توفيق: (١٨٨٧ – ١٩٦٥م) من اوائل طلاب النور وكتابها، لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذى كان ضابطاً هناك، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والتقوى، لازم الاستاذ فى بارلا وفي سجون اسكى شهر ودنيزلي. تغمده الله برحمته. المترجم.

اخوتي الاعزاء!

ان موانع كانت تحول دون اتمام مسائل رسالة « الثمرة ». احدها البرد الشديد، والآخر: اندهاش الماسونيين من قوتها. ولكن بزوال تلك الموانع سيُباشر بها باذن الله.

انني افكر في هذه المصيبة التي حلت بنا، جانبَ القدر الالهي، فاجد مصاعبي تتلاشى وتتحول الى رحمة إلهية.

نعم! كما هو موضح في «رساله القدر» ان في كل حادثة سببين اثنين:

الاول : سبب ظاهري، يحكم الناس على وفقه، وكثيراً ما يظلمون.

والآخر: سبب حقيقي،يقضي القدر الالهي على وفقه، فيعدل – تحت ظلم البشر– في الحادثة نفسها.

مثال ذلك : يلقى احد الاشخاص في السجن بتهمة سرقة لم يرتكبها. ولكن يقضي القدر الإلهي عليه بسجنه لجناية له خفية، فيعدل من خلال ظلم البشر نفسه.

ففي قضيتنا هذه، والامتحان العسير الذي دخلنا فيه لاجل تمييز الالماس من قطع زجاجية تافهة، وفرز الصدّيقين الفدائيين من المترددين المرتابين، وتمحيص الخالصين المخلصين ممن لايدعون انانيتهم ومصالحهم الشخصية.. هذا الامتحان العسير الذي دخلناه ينطوي على سببين:

الأول: خدمة الدين خدمة فائقة، من خلال تساند وترابط واخلاص قوي ، حتى أثار حفيظة اهل الدنيا والسياسة، وقد نظر البشر الى هذا السبب فظلمَنا.

الثاني: لمّا لم يبين كل منا اخلاصاً تاماً، ولا أظهر تسانداً كاملاً ولا اهلية تستحقها الخدمة المقدسة، نظر القدر الإلهي الى هذا السبب، وعدل في حقنا.

فهذا القدر الإلهي هو رحمة إلهية بحقنا في عين العدالة نفسها. اذ جمع في مجلس واحد اخوة مشتاق بعضهم الى بعض وبدّل المصاعب الى عبادات، وحوّل الاموال الضائعة الى صدقات، واستقطب الانظار الى الرسائل المستنسخة. وافهمنا ان اموال الدنيا واولادها، وراحة الانسان فيها امور مؤقتة زائلة، وانه سيدعها حتماً ماضياً الى التراب، فلا داعي لان يفسد آخرته لاجلها، بل ليتعود على الصبر

والتحمل، وان يكون قدوة حسنة ورائداً بطلاً بل اماماً لاخوانه في المستقبل.. وما شابهها من النواحي الاخرى التي كلها رحمة إلهية محضة.

بيد ان هناك جهة واحدة فقط تشغل فكري وهي:

ان القلب والروح سينشغلان بجروح ما المّ بنا من مصاعب ومضايقات في حياتنا التي دخلناها والتي هي بحكم الضرورة، مثلما يترك العقل والقلب والعين وظائفها المهمة اذا ما جرح اصبع من الانسان، فتنشغل تلك الجوارح بذلك الجرح.

حتى ان تلك الحالة ساقتني فكراً الى مجلس الماسونيين مع انه كان من الضروري نسيان الدنيا في ذلك الوقت. واشغلت فكرى بانزال صفعات التأديب بهم. وقد وجدت السلوان في احتمال ان يقبل سبحانه وتعالى هذه الحالة، حالة الغفلة، نوعاً من جهاد فكري.

لقد تسلمت سلام الاخ (علي گول) شقيق (الحافظ محمد) المعلم القدير لرسائل النور.

وانا بدوري ارسل الف سلام ودعاء اليه والى جميع اخوته، والى جميع اهالي قرية «ساو»[١] احياءً وامواتاً.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان ثباتكم وصلابتكم تبطل جميع خطط الماسونيين والمنافقين وتجعلها بائرة عقيمة.

نعم يا اخوتي، لاداعي للاخفاء، ان اولئك الزنادقة قد قاسوا رسائل النور وطلابها بالطرق الصوفية ولا سيما بالطريقة النقشبندية. فقد شنوا هجومهم علينا بالخطط نفسها التي غلبوا بها اهل الطرق الصوفية أملاً بأن يفرّقونا ويهوّنوا من شأننا. فقد استعملوا:

---

(١) قرية ساو: قرية قريبة من منفى الاستاذ النورسي «بارلا». واهالى هذه القرية شيباً وشباباً رجالاً ونساءاً خدموا الايمان عن طريق نشر رسائل النور واستنساخها. المترجم.

اولاً: وسائل التنفير والتخويف وابراز اعمال اسيئت استعمالها في المسلك.

ثانياً: اشهار واعلان نقائص وتقصيرات اركان ذلك المسلك ومنتسبيه.

ثالثاً: ان الوسائل التي استعملوها تجاه الطريقة النقشبندية والطرق الاخرى، وهي اشاعة الفساد بالفلسفة المادية، ونشر سفاهة حضارتها الفتانة، وتذليل متعها المخدرة المسمومة لتحطيم عرى التساند، وأواصر الاخوة فيما بينهم مع الحط من شأن استاذهم ومرشدهم بالاهانات، وتهوين شأن مسلكهم لديهم بايراد دساتير العلم والفلسفة.. هذه الوسائل والاسلحة هي التي يستعملونها لدى هجومهم علينا ايضاً.. الاّ انهم انخدعوا، لان مسلك (رسائل النور) قد اسس على الاخلاص التام، وترك الانانية، واستشعار الرحمة الإلهية في زحمة الاعمال ومشقاتها، وتحرى اللذائذ الباقية وتذوقها في ثنايا الالام العابرة، واظهار الآلام المبرحة في لذائذ السفه نفسها، وبيان ان مدار اللذة الخالصة غير المتناهية في الدنيا ايضاً هو في الايمان. فضلاً عن قيامها بتعليم الحقائق، وتفهيم المسائل التي تعجز الفلسفة أياً كانت ان تبلغها.

لذا ستخيب آمالهم، وتبوء خططهم بالاخفاق باذن الله،وسيجابهون بـ: ان مسلك رسائل النور لايقاس مع الطرق الصوفية. ويبهتون.

* * *

لطيفة:

ناداني احدهم صباحاً من قاعة الجندرمة المجاورة لي. فصعدت الشباك.

فقال: ان باب قاعتنا قد انسد من تلقاء نفسه، ولا نقدر على فتحه مهما حاولنا..

قلت: هذه اشارة لكم بأن الذين تراقبونهم وتسدون عليهم الباب، فيهم ابرياء امثالكم. فلقد اهانوني بحجة لقاء لدقيقة واحدة مع احد اخوتي في الدين لم اره منذ عشر سنوات وسدّوا حتى الباب الخارجي الآخر بحجة اخرى، فانسد بابكم عقاباً لذاك.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء!

كنت اصرف منذ سنة من كيلو من الشعرية والرز، ولم تبق لي شبهة ان فيها بركة عظيمة. الاّ انكم الآن لاتدعونني لأطبخ بنفسي، لذا اقدمها لكم هدية مباركة.

ولقد شاهدت مرة بركة خارقة من تلك الشعرية فقد كنت اجفف حباتها بعد الطبخ. وشاهدت – انا وآخرون – ان كلاً من حباتها كانت تطول الى عشر امثالها.

* * *

اخوتي الاعزاء!

كان الحراس وغيرهم يسمعونني عندما كنت منشغلاً هذه الليلة بقراءة الاوراد، فخطر للقلب: ألا ينقص هذا الاظهار من الثواب؟ فقلقت واضطربت ولكن خطر بالبال قول حجة الاسلام الامام الغزالي الذى يقول: رب إظهار خير من إخفاء.

اي ان قراءة الاوراد علناً، فيها: استفادة الاخرين أو تقليدهم أو تنبيههم من الغفلة أو اظهار العزة الدينية بما يشبه من اعلان للشعائر الاسلامية امام الضال السادر في السفاهة، وغيرها من الفوائد.. ولاسيما في هذا الزمان. فلا يدخل الرياء في اعمال الذين تعلّموا دروس الاخلاص تعليماً تاماً، بل هو افضل من الاخفاء بكثير، بشرط عدم تدخل التصنع. وهكذا وجدت السلوان من هذا الكلام.

وعندما استدعاني حاكم التحقيق قبل يومين كنت افكر في كيفية الدفاع عن اخواني، وفتحت كتاب «الحزب المصون» للامام الغزالي واذا بالآيات الكريمة الآتية تلفت نظري:

﴿إنّ اللّهَ يُدافِعُ عَن الّذينَ آمَنُوا.....﴾(الحج: ٣٨)

﴿يَسْعى نُورُهم بَينَ أيْديهِم وَبِأيْمانِهم .....﴾(الحديد: ١٢)

﴿اللّهُ حَفيظٌ عَليهِم.....﴾(الشورى: ٦)

﴿ طُوبى لَهُم..... ﴾(الرعد: ٢٩)

﴿ رَبَّنا اتْمِم لَنا نُورَنا وَاغْفِر لَنا ..... ﴾(التحريم: ٨)

* * *

اخوتي الاعزاء الصدّيقين!

ان الذين اجتازوا الامتحان الشديد في هاتين المدرستين اليوسفيتين - القديمة والجديدة(١) - ولم يتزعزعوا، ولم يدعوا درسهم الايماني، ولم يتخلوا عن صفة الطالب مهما كانت الظروف، ولم تنل من معنوياتهم هذه الكثرة الهائلة من الهجمات.. ان هؤلاء يرحب بهم الملائكة والروحانيون، كما سيرحب بهم أهل الحقيقة والجيل المقبل. فأنا مقتنع بهذا، ولكن الضيق المادي شديد لوجود المرضى والفقراء المساكين فيما بينكم. فتجاه هذا الأمر، ليكن كلٌّ منكم مسلياً لكلٍ من اولئك، وقدوة حسنة له في الصبر والاخلاق، وأخاً شفيقاً عليه في التساند واللطف، ومخاطباً ذكياً ومجيباً عن اسئلته اثناء الدرس الايماني، ومرآة صافية لانعكاس السجايا الفاضلة.. وعندئذ تجدون المضايقات قد ولّت واضمحل السأم وتلاشى الضجر. نعم! هكذا أتصور الأمر وأتسلى به يا اخوتي يا من أحبهم أكثر من روحي.

سأرسل لكم يوماً جبة مولانا خالد (قدس سره)(٢) والتي عمرها مائة وعشرون سنة. فكما انه قد البسنيها فانا بدوري سارسلها اليكم متى شئتم، ليلبسها كلٌّ منكم باسمه.

لقد اجرى الطبيب عليّ لقاح الجدري في بداية مجيئنا هنا. فتورمت الذراع، وتسرب الورم الى الاسفل حتى لا يدعني ان انام، ويزعجني اثناء الوضوء. ترى هل ان جسمي لا يتحمل التطعيم بالجدرى ام هناك معنى آخر في الامر؟ وقد اخذت

(١) المقصود: سجن «اسكي شهر» و «دنيزلي». المترجم.

(٢) هو ابو البهاء ضياء الدين المشهور بمولانا خالد الشهرزوري (١١٩٠ - ١٢٤٢هـ) مجدد عصره، من ائمة الطريقة النقشبندية، فاق علماء عصره في العلم والتقوى، ربّى كثيراً من الاولياء. تلقى الدرس من عبدالله الدهلوي. توفي في الشام. وجبته هذه ورثتها السيدة «آسيا» واحتفظت بها حتى اهدتها الى احد طلاب النور في «اسپارطة» ليسلّمها هدية الى الاستاذ النورسي الذي احتفظ بها حتى وفاته. - المترجم.

التطعيم بالجدري قبل عشرين عاماً في «آنقرة» ويلتهب موضع التطعيم الى الآن بين حين وآخر، ويزعجني. فأخشى ان يكون هذا كذلك مثله، فكيف الأمر عندكم؟.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان حكمة واحدة لسوق عدالة القدر الإلهي ايانا الى المدرسة اليوسفية لـ« دنيزلي » هو حاجة المسجونين فيها واهاليها وربما موظفيها ومأموري دائرة العدل، الى رسائل النور والى طلابها اكثر من اي مكان آخر. وبناءً على هذا فقد دخلنا امتحانا عسيرا بوظيفة ايمانية واخروية، اذ ما كان الاّ واحداً او اثنين من كل عشرين او ثلاثين مسجوناً يؤدون صلاتهم ويوفون حقها من تعديل الاركان، ولكن ما ان دخل اربعون اوخمسون طالباً من طلاب النور وكلهم يؤدون صلاتهم اداءً تاماً دون استثناء إلاّ كان لهم درساً بليغاً وارشاداً فعلياً بلسان الحال، بحيث يزيل هذا الضيق والضجر والرهق بل قد يحببه. فمثلما يرشد طلاب النور الى هذا الامر بافعالهم واحوالهم، نأمل من رحمته تعالى ان يجعلهم بما يحملون من ايمان تحقيقي في قلوبهم، قلعة حصينة، ينقذون بها اهل الايمان من سهام شبهات اهل الضلال.

انه لاضير مما يفعله اهل الدنيا من منعنا عن مخاطبة الآخرين ولقائهم؛ اذ لسان الحال أبيَن من لسان المقال واكثر تأثيراً منه.

فما دام دخول السجن هو لأجل التربية، فإن كانوا يحبون الامة حقاً فليسمحوا بلقاء المسجونين مع طلاب النور كي يحصلوا في شهر واحد بل في يوم واحد على التربية المرجوة حصولها في اكثر من سنة. وليصبح اولئك المسجونون افراداً نافعين للبلاد والعباد وينقذوا مستقبلهم وآخرتهم.

لو كان عندنا رسالة « مرشد الشباب » لكانت تنفع كثيراً. نسأل الله ان ييسر دخولها هنا.

سعيد النورسي

* * *

اخواني الاعزاء الصديقين!

تذكرت اليوم ما جرى من الحوار المعروف لديكم حول «الشيخ ضياء الدين»(١) بيني وبين أخي الكبير المرحوم «الملا عبد الله» (٢). ثم فكرت فيكم. وقلت في قلبي:

ان الذي يظهر ثباتاً الى هذه الدرجة في هذا الزمان الذي قلما يثبت فيه أحد، هؤلاء الاتقياء المخلصون والمسلمون الجادون الذين لا يتزعزعون في دوامة هذه الاحوال المحرقة المؤلمة، أقول: لو رفع الحجاب – حجاب الغيب – وبدا لي كل منهم في درجة الأولياء الصالحين بل حتى لو ظهر في مرتبة القطبية فلا يزيد شئ في نظري عنهم ولا اغير ما اوليهم من اهتمام وعلاقة ما اوليه في الوقت الحاضر الاّ قليلاً، وكذلك لو بدوا لي اشخاصاً اعتياديين من العوام، فلا أنقص أبداً مما امنحهم في الوقت الحاضر من قيمة كريمة ومنزلة رفيعة.

هكذا قررت، ذلك لأن خدمة انقاذ الايمان في مثل هذه الأحوال الصعبة والشروط القاسية هي فوق كل شئ.

فالمقامات الشخصية والمزايا التي يضفيها حسن الظن على الاشخاص تتزلزل وتتصدع في مثل هذه الاحوال المضطربة المزعزعة فيقل حسن الظن وبدوره المحبة، زد على ذلك ان صاحب الفضيلة والمزية يشعر بضرورة التصنع واالتكلف والوقار المصطنع كي يحافظ على مكانته في نظرهم.

فشكراً لله بما لا يتناهى من الشكر، اننا لا نحتاج الى مثل هذه التكلفات المصطنعة الباردة.

سعيد النورسي

* * *

(١) من الاولياء الصالحين المشهورين في شرقي تركيا، وهو والد الشيخ «معصوم». والمحاورة المذكورة سترد مفصلة في «الملاحق» باذن الله.— المترجم.

(٢) الملا عبدالله: هو الاخ الكبير للاستاذ النورسي ودرّسه ايام صباه ثم تتلمذ عليه بعد ان شاهد نبوغه. المترجم.

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ابارك لكم الليالي العشر بكل روحي وقلبي وعقلي. ونسأله تعالى ونأمل من رحمته الواسعة ان تكسبنا مكاسب عظيمة جداً وفق ما بيننا من اشتراك معنوي.

لقد رأيت الليلة فيما يرى النائم انني قد أتيتكم، وما ان بدأت أصلي بكم اماماً حتى استيقظت. وفي الوقت الذي اتوقع تحقق رؤياي - حسب تجاربي - اذا بأخوين اثنين من اخواننا الميامين في قرية «ساو» و«حوما»(١) قد أتيا، تعبيراً عن الرؤيا باسمكم جميعاً. فسررت كثيراً وكأنني قد التقيتكم جميعاً.

اخوتي!

على الرغم من ان هذا الوضع - السجن - قد سبب نوعاً من التوجس والخيفة ازاء رسائل النور لدى الموالين - للحكومة - ولدى قسم من الموظفين، الاّ انه سبّب في المعارضين جميعاً ولدى اهل الدين والموظفين ذوي العلاقة اهتماماً واشتياقاً نحوها.

لا تقلقوا يا اخوتي ستسطع تلك الانوار.(٢)

* * *

اخوتي الاعزاء!

انني اخال ان الرسالة الصغيرة التى اثمرها سجن «دنيزلى» ستكون دفاعنا الحقيقي والاخير، لأن الخطط المنصوبة للقضاء علينا سابقاً والناشئة من اوهام وشكوك اثيرت ضدنا منذ سنة، قد صممت على نطاق واسع، وهي: العمل لطريقة صوفية.. انهم منظمة سرية.. واداة لتيارات خارجية.. إثارة المشاعر الدينية واستغلالها في سبيل السياسة، والسعي لهدم الجمهورية والتعرض للدولة واخلال أمن البلاد.. واشباهها من الحجج التي لا اساس لها من الصحة. لذا شنوا هجومهم علينا.

---

(١) حوما: قرية قريبة من «بارلا» - المترجم.

(٢) انتبه يااخي! بينما كانت جميع اسباب العالم في سجن «دنيزلي» تستهدف الاستاذ ظاهراً فيساق الى المحاكم ويقرر بحقه احكام الاعدام، يقول الاستاذ: لا تقلقوا يا اخوتي ستسطع تلك الانوار. فانظر كيف تحقق هذا الكلام. - (طلاب النور).

فلله الحمد والمنة بما لا يتناهى من الحمد والشكر، اصبحت خططهم بائرة وباءت بالاخفاق، اذ لم يجدوا في هذا الميدان الواسع وبين مئات من الطلاب ومئات من الرسائل والكتب طوال ثماني عشرة سنة سوى ابحاث في حقيقة الايمان والقرآن وتحقق الآخرة والسعي للسعادة الابدية، لذا بدأوا يتحرون عن حجج تافهة جداً ليستروا بها خططهم.

ولكن ازاء احتمال الهجوم علينا باستغفال بعض اركان الحكومة والتغرير بهم واثارتهم علينا من قبل منظمة ملحدة رهيبة متسترة تعمل حالياً عملاً مباشراً في سبيل الكفر المطلق، فان رسالة «الثمرة» الواضحة كالشمس والمزيلة للشبهات والأوهام، والراسخة رسوخ الشم العوالي، تكون أقوى دفاع لنا تجاههم، وسوف تسكتهم باذن الله.

واحسب انها كتّبت لنا لأجل هذا.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي!

على الرغم من ضيق مكانكم ضيقاً شديداً، فان قلوبكم أوسع من ذلك الضيق، فضلاً عن ان لكم حرية اكثر مما عندنا.

اعلموا يا اخوتي! ان أهم اساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي: التساند. واياكم النظر الى تقصيرات بعضكم البعض، مما يولده الانفعال في الاعصاب من جراء هذه المصائب. فالشكاوى هي بمثابة الاعتراض على القدر الإلهي، فلا يقولن أحدكم: لو لم يكن كذا لما حدث هكذا. ولايغضب بعضكم على البعض الآخر. فلقد علمت انه لانجاة ولاحيلة لنا من هجوم هؤلاء. فكانوا يهجمون علينا مهما كنا نعمل. وماعلينا الاّ ان نقابلهم بالصبر والشكر والرضى بالقضاء الإلهي والتسليم بقدره، لتمدنا العناية الإلهية.

فينبغي لنا ان نسعى لكسب الثواب العظيم والحسنات الكثيرة في زمن قليل وبعمل قليل. دعواتنا الخالصة بسلامة اخواننا هناك.

* * *

اخواني الاوفياء الصادقين !

ان لقاء الاصدقاء ومجالسة الاخوان منبعٌ ثرٌ للسلوان، لما يعاني منه الانسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا، ومن زوالها وفسادها، ومن فنائها وفناء متعها التي لا تجدي شيئاً، ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالانسان ..

نعم! قد يقطع انسان مسافة عشرين يوماً ويصرف مائة ليرة لاجل لقاء اخيه لساعات معدودة.

ففي هذا الزمان العجيب الذي قلما يوجد فيه صديق صدوق، لاتعد هذه المشقات والمصاعب التي نزلت بنا مع ضياع الاموال ذات اهمية تذكر ازاء رؤية اربعين او خمسين من الاصدقاء الصادقين والاخوة المخلصين دفعة واحدة طوال شهرين من الزمان، ومجالستهم ومحاورتهم في سبيل الله، والتسلي بهم وتسليتهم تسلية حقيقية.

فانا شخصياً كنت ارضى بهذه المصاعب والمشقات رجاء رؤية واحد من اخوتي هنا فحسب بعد فراقي عنهم عشر سنوات.

اعلموا ان الشكوى اعتراض على القدر والشكر تسليم له.

ثقوا يا اخواني؛ انه لو حضر الأجل الآن، وتوفيت، لاستقبلته براحة قلب وانشراح صدر، لانني على قناعة تامة من ان فيكم (سعيدين) كثيرين شبان أقوياء ثابتين سيتولون القيام بمهمة (رسائل النور) والدفاع عنها وحمايتها ووراثتها، أفضل بكثير من هذا (السعيد) الضعيف العجوز العاجز المريض.

* * *

اخواني الأوفياء الصادقين الاعزاء!

لما كنتم قد ارتبطتم برسائل النور نيلاً لثواب الآخرة، واداءً لنوع من العبادة، فلا شك ان كل ساعة من ساعاتكم – تحت هذه الشروط والأحوال الصعبة – تصبح في حكم عبادة عشرين ساعة، والعشرين ساعة من العمل في خدمة القرآن والايمان – لما

فيها من جهاد معنوي – تكسب أهمية مائة ساعة، والمائة ساعة التي تمضي في لقاء مجاهدين حقيقيين من اخوة طيبين – كل منهم يعادل في الأهمية مائة شخص – وعقد أواصر الأخوة معهم، وامدادهم – بالقوة المعنوية – والاستمداد منهم، وتسليتهم والتسلي بهم، والاستمرار معهم في خدمة الايمان السامية بترابط حقيقي وثبات تام، والانتفاع بسجاياهم الكريمة، وكسب أهلية الطالب في مدرسة الزهراء بالدخول في مجلس الامتحان هذا، في هذه المدرسة اليوسفية، وأخذ كل طالب قسمته المقسومة له قَدَراً، وتناوله رزقه المقدّر له فيها، نيلاً للثواب.. تستوجب الشكر على مجيئكم الى هنا، والتجمل بالصبر وتحمل جميع المشقات والمضايقات مع التفكر في الفوائد المذكورة.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي !

انني ارغب قلباً في ان يظهر هنا من « قسطموني » وما جاورها، كما ظهر من « اسپارطة » وحواليها ابطال ميامين ثابتون ثبات الحديد والفولاذ (امثال خسرو (١) والحافظ علي). فلله الحمد والمنة بما لا يتناهى من الحمد الشكر فقد حققت ولاية « قسطموني » امنيتي تحقيقاً تاماً، فأمدتنا بعديدٍ من الابطال.

تحياتي الى الاخوة جميعاً الذين يدورون دوماً في خيالى فرداً فرداً ممن لم اكتب اسماءهم، وادعو لهم بالسلامة والامان.

* * *

(١) خسرو: كان فى مقدمة الذين استنسخوا المئات من الرسائل ونشروها فى احلك الظروف، وقضى معظم حياته مع استاذه فى سجون اسكى شهر ودنيزلى وآفيون وهو الذى كتب مصحفاً بتوجيه من الاستاذ النورسى لاظهار الاعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة. ولد في اسپارطة سنة ١٨٩٩ وتوفي في استانبول سنة ١٩٧٧م رحمه الله رحمة واسعة.ـ المترجم.

اخوتي الاعزاء الصادقين الاوفياء الثابتين!

ابيّن حالة من احوالي لكم لا لأجعلكم تتألمون عليّ ولا لتحاولوا اخذ التدابير المادية اللازمة، بل لأستفيد من اكثار دعواتكم حسب قاعدة توحيد المساعى المعنوية، وللاستزادة من ضبط النفس وأخذ الحذر والتحلي بالصبر والتحمل والحفاظ على ترابطكم الوثيق.

ان ما اقاسيه هنا من عذاب وعنت في يوم واحد، ما كنت اقاسيه في شهر في سجن «اسكى شهر». لقد سلط الماسونيون الرهيبون عليّ ماسونياً ظالماً، كي يجدوا مبرراً من قولي: «كفى الى هذا الحد» النابع من حدّتي وشدة غضبي إزاء تعذيبهم اياي، فيستغلوا هذا القول ويجعلوه سبباً لتعدياتهم الجائرة ويستروا تحته اكاذيبهم.

انني أصبر شاكراً، واعدّه أثراً خارقاً من آثار إحسان إلهي، وقررت الاستمرار على الصبر والشكر. فما دمنا مستسلمين للقدر الإلهي، وهذه المضايقات التي نشعر بها تعدّ وسيلة لكسب ثواب اكثر ونيل أجر أكبر، وذلك بمضمون القاعدة: «خير الأمور أحمزها»[١] لذا نعتبرها من هذه الناحية نعمة معنوية.

ثم ان المصائب الدنيوية الزائلة تنتهي بالافراح والخيرات على الأكثر. ونحن مقتنعون قناعة تامة بحق اليقين اننا قد نذرنا حياتنا على حقيقة جليلة اسطع من الشمس، وجميلة كجمال الجنة، وحلوة لذيذة كلذة السعادة الأبدية. لأجل ذلك ما ينبغي ان يصدر منا الشكوى قط بل تدفعنا هذه الأحوال الصعبة الى ان نقول: نحن في جهاد معنوي نعتز به ونشكر ربنا الكريم الذي تفضل به علينا.

* * *

اخوتي الاعزاء!

ان اول ما نوصيه وآخره: الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الانانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس.

سعيد النورسي

* * *

(١) اي اقواها واشدها (انظر كشف الخفاء ١/١٥٥) – المترجم.

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

لقد فهم من الادعاء الذي قدّمه المدعي العام، ان خطط الزنادقة المتسترين الذين يغررون ببعض اركان الحكومة ويستغفلونهم قد باءت بالفشل وظهر زيفها وأكاذيبها. الاّ انهم يتشبثون الآن بحجج واهية كإسناد تأسيس جمعية وتشكيل منظمة سرية محاولين به الستر على اكاذيبهم. وقد ظهر اثر عملهم هذا في منع الناس – ايا كان – من اللقاء معي، وكأنه اذا ما حدث اللقاء سينضم الشخص الينا فوراً. بل حتى الموظفين الكبار يتوجسون خيفة او يحببون انفسهم لآمريهم بتشديد خناق المضايقة عليّ.

ولقد كنت عازماً على قول هذه الفقرة الآتية ختام الاعتراض الذى قدمناه اليهم، الاّ ان حادثة حدثت وحالت دون ذلك.والفقرة هي:

اجل نحن جمعية، تلك الجمعية التي لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً من الاعضاء في كل عصر. وهم يؤكدون كمال احترامهم وصادق ارتباطهم وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة – باقامة الصلاة – خمس مرات يومياً، ويتسابقون في مدّ يد العون والمساعدة بعضهم الى بعض، سواء بدعواتهم الشخصية عن ظهر الغيب، ام بمكاسبهم المعنوية الوفيرة وفق الدستور الإلهي:﴿ **إنّما المؤمنون أخوةٌ** ﴾(الحجرات: ١٠).

وهكذا فنحن اعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظمى اذاً، اما وظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية فهي: تبليغ الحقائق الايمانية التى يتضمنها القرآن الكريم الى طلاب الحق والايمان على اصح وانزه وجه، انقاذاً لأنفسنا واياهم من الاعدام الابدي وبرزخ السجن الانفرادي السرمدي.

اما الجمعيات الدنيوية المؤسسة على الدسائس والاحابيل السياسية فلا علاقة لنا بها من قريب او بعيد بل نترفع عنها.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

لقد شعرت بألم تام تجاه كلٍ منكم فجر هذا اليوم، ولكن خطرت بالبال فجأة «رسالة المرضى» فأورثت السلوان.

نعم ان هذه المصيبة شبيهة بنوع من مرض اجتماعى، وان اكثر الادوية الايمانية المذكورة في تلك الرسالة تعمل عملها في هذا المرض ايضاً، ولاسيما الآلام التي تورثها المصيبة فقد ولّت قبل هذه الساعة بينما ثبت اجرها وخيراتها وفوائدها الدنيوية والاخروية والايمانية والقرآنية، مثلما ذكرته للمريض الميمون من ارضروم.

بمعنى ان تلك المصيبة الواحدة العابرة قد انقلبت الى نعمٍ متعددة دائمة.

اما الزمان القابل فلأنه غير موجود الآن، فلا ألم حالياً لما ستدوم فيه من مصيبة. لذا فايراث الألم من العدم بالتوهم، هو عدم ثقة برحمة الله وقدره سبحانه وتعالى.

ثانياً: ان اغلب البشر على سطح الارض مبتلون بمصائب مادية ومعنوية قلباً وروحاً وفكراً. وان مصيبتنا بالنسبة اليها خفيف الوطء جداً ومربحة، فضلاً عن انها تورث مكاسب وفوائد مادية ومعنوية للقلب والروح والايمان والصحة والسلامة.

ثالثاً: لولم نكن ندخل الى هنا (السجن) في خضم هذه الاعاصير الهوج، لكانت وطأة هذه المصيبة الخفيفة ثقيلة جداً لدى لقاء الموظفين الذين تساور قلوبهم الشكوك والاوهام، ولكان ينزل بنا بلاء التصنع والتزلف لهم.

رابعاً: ان رؤية احباء حقيقيين رحماء - ارحم على الانسان من شقيقه - في هذا الشتاء المادي والمعنوي المضاعف، الذى تعطلت فيه الاعمال، وفي هذه المدرسة اليوسفية التي هي مدرسة واحدة من مدارس الزهراء، واللقاء باخوة الآخرة، وهم بمثابة مرشدين ناصحين، وزيارتهم والاستفادة من مزاياهم الخاصة والتزود من حسناتهم التي تسري سريان النور والنوراني في المواد الشفافة، وحصول ذلك بمنتهى الرخص وبتكاليف قليلة، فضلاً عن الاستمداد من معاونتهم المعنوية ومن مسرّاتهم وسلوانهم.. كل ذلك يجعل هذه المصيبة ان تبدل شكلها متحولة الى نوع من مشهد عناية ربانية معنوية.

نعم ان ظرافة لطيفة لهذه العناية الخفية هي انهم يطلقون على جميع طلاب النور القادمين الى هنا لقب: «العلماء». فترى على لسان الجميع ذكرهم باحترام واجلال بكلمة «علماء.. علماء..»

فضمن هذه الظرافة اشارة لطيفة، وهي ان السجن قد تحول الى مدرسة علمية واصبح طلاب النور مدرسين ومعلمين فيها، وستصبح باذن الله سائر السجون بمثابة مدارس بفضل هؤلاء العلماء.

* * *

اخوتي:

لو تُقرأ احياناً امثال هذه الرسائل الصغيرة المسلية، علاوة على مطالعة رسالة «الثمرة» ولاسيما المسائل الإخيرة منها، وتداول الاخوة فيما بينهم تداولاً فكرياً المسائل التي تخطر على البال من رسائل النور، لكسب المرء باذن الله شرف طالب العلوم الشرعية. ولقد اولى علماء افذاذ الاهمية لطلبة العلوم الشرعية حتى قال الامام الشافعى رضي الله عنه: نوم طلبة العلوم يعدّ عبادة.

لذا لو حدثت مائة الف ضيق وضيق من جراء التتلمذ، هذا الشرف الرفيع، في مثل هذه المواضع المؤلمة الشاقة، وبخاصة في مثل هذا الزمان الذى انعدمت فيه المدارس الشرعية. ينبغى عدم الاهتمام بتلك المضايقات، بل التبسم بفرح وسرور في وجه تلك المصاعب قائلين: خير الامور احمزها.

اما من حيث تكاليف العيش لعوائل الاخوة الفقراء، فحيث ان النظر يكون في المصيبة الى الاكثر مصيبة وفي النعم الى الاقل نعمة. وذلك بناء على قاعدة قرآنية ايمانية ونورية؛ لذا فهم في راحة تامة اكثر من ثمانين بالمائة من الناس. فليس لهم حق الشكوى، بل عليهم حق الشكر بثمانين درجة، شكر فوق شكر.

ثم ان حصولنا على ماقسم الله لنا هنا من رزق قد عينه القدر الالهى، وجمعتنا عدالة الرحمة الالهية مودعة الاهل والاطفال الى رزاقهم الحقيقي ومسرّحة لهم من

وظيفة الاشراف على رزقهم موقتاً كما سيعزله يوماً ما عزلاً تاماً. فما دامت الحقيقة هي هذه فعلينا ان نقول : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران: ١٧٣) مسلّمين امرنا اليه تعالى شاكرين له اجزل شكر.

* * *

اخوتي الاعزاء الصادقين!

انني محظوظ وشاكر لله بوجودي قريباً منكم وفي بناية واحدة (من السجن)، رغم انني لا اقابلكم وجهاً لوجه. واحياناً يخطر الى قلبي اخذ تدابير لازمة دون اختيارٍ مني. فمثلاً:

لقد ارسل الماسونيون الى الزنزانة المجاورة بنا سجيناً جاسوساً كذاباً.

ولما كان التخريب سهل – ولا سيما في مثل هؤلاء الشباب الطائشين – فقد علمت من ايذاء هذا المدعو ايذاء مؤلماً لي وإفساده الشباب، ان الزنادقة يسعون لبث الفساد وهدم الاخلاق ازاء قيامكم بالارشاد والاصلاح.

فيا اخوتي! تجاه هذا الوضع يلزم - بل في غاية الضرورة - اخذ الحذر الشديد، وعدم ابداء مشاعر الاستياء من المسجونين السابقين قدر الامكان، وعدم فسح المجال ليستاؤوا منكم والحيلولة دون حدوث التفرقة والثنائية، مع التحلي بضبط النفس والتجمل بالصبر.

ويلزم على اخواننا المحافظة على قوة التساند والاخوة وذلك بابداء التضحية وترك الانانية والتواضع قدر الامكان.

ان الانشغال بامور الدنيا يؤلمني، فاعتمد على فطنتكم لأنني لا استطيع التوجه اليها من غير اضطرار.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي!

لقد اصبح ضرورياً بيان مسألة أخطرت صباح هذا اليوم إزاءكل احتمال :

كثيراً ما تحرى نفسي وشيطاني منذ عشرين عاماً الحقائق التى استنبطناها من القرآن، والتي هي أشبه بالشمس او النهار لا تقبل اي شك او ريب او تردّد قائلين:

« مارأي الفلاسفة المتزندقة تجاه هذا وما مستندهم؟ »

ولما لم يجد نفسي وشيطاني ثلمة او نقصاً، سكتا. واعتقد ان الحقيقة التى اسكتت نفسي وشيطاني الحساسين جداً والعاملين معاً، قادرة على حمل اشد الناس تمرداً على الصمت والسكوت ايضاً.

وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهمّ الحقائق وأجلّها، وأشدها ثبوتاً ورسوخاً؛ ولا يمكن تقييمها أو تقديرها بأي قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبيب، بل الدنيا باسرها في سبيل تحققها، فلابد اذاً من ان نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وان نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء. اذ من المحتمل جداً ان يُحرِّكَ ضدنا مشايخ أو علماء متظاهرون بالتقوى، مخدوعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم.. وتجاه موقف كهذا، لابد لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل والنقاش الفارغ.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لقد شعرت بإخطار معنوي فجر هذا اليوم ان السبب الحقيقي لهذا الهجوم الواسع والتعدي علينا ليس « الشعاع الخامس » بل « الحزب النوري » و « مفتاح الايمان » و « الحجة البالغة » [١]. فقد قرأت بامعان قسماً من « الحزب النوري » وتأملت في « مفتاح الايمان » فعلمت :

(١) الحجة البالغة: هى القسم الثانى من مجموعة « عصا موسى » ويضم احدى عشرة حجة ايمانية.ـ المترجم.

ان الزنادقة لا يستطيعون الحفاظ على مسلكهم ازاء ضربات هذين السيفين الحادين الالماسيين، ولكن أظهروا «الشعاع الخامس» سبباً ظاهرياً وذلك لعلاقته الجزئية بالسياسة، واستغفلوا به الحكومة وأثاروهم ضدنا.

ولقد ورد بالبال مع هذا الإخطار نفسه: «لو تخلى بعض الاخوة الضعفاء عن العمل موقتاً، لربما ينجو من هذه المصيبة» فاردت ان اسمح لهم بهذا. ولكن فجأة أُخطر للقلب: ان الذى دامت علاقته الى هذا الحد ودخل هذا الامتحان مرتين، والذي قاسى لأجله ما قاسى وتضرر اضراراً بليغة، لا يجوز له التخلي قلباً – والذي فيه الضرر دون النفع – بل يمكنه ذلك لمجرد خداعهم باظهار اجتناب ظاهري بحت. والاّ يلحق الضرر بنفسه وبنا وبمسلكنا المقدس وتأتيه لطمة تأديب بخلاف مقصوده جزاء لما يفعل.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان الذي يقاسي عذاب هذا السجن ومشقاته الذى هو أشد برودة وضيقاً من سائر الاماكن، لاشك ان تكون له رغبة في التهرب مما سبب هذا السجن وادّى الى الدخول فيه، كل حسب درجته. ولكن سببه الظاهري الذي هو «رسائل النور» التي تكسب اولئك الذين يقاسون المتاعب، الايمان التحقيقي وحسن الخاتمة، والثواب الجزيل من الاعمال الصالحة لمئات العاملين الناشئ من الاشتراك المعنوي، اقول: ان هذه الفوائد تبدل تلك المشقات المرة الى رحمات حلوة لذيذة، لذا فان ثمن هاتين النتيجتين هو: الثبات التام والوفاء الخالص الذي لا يتزعزع.

ومن هنا فان الندم والتخلي خسارتان جسيمتان. فهذا السجن خير لأُولئك الطلاب الذين لا علاقة لهم بالدنيا، او لهم علاقة واهية جداً. بل هو موضع حرية لهم من جهة.

اما الذين لهم حرث في الدنيا وامورهم المعاشية على ما يرام، فان النقود المصروفة تكون بمثابة صدقات مضاعفة لهم، وتبدل ساعات العمر الماضية الى عبادات مضاعفة لذا ينبغي لهم الشكر بدل الشكوى.

اما قسم الفقراء والضعفاء المساكين، فلانهم كانوا لا يكسبون ثواباً كثيراً خارج السجن بل يتحملون مسؤوليات شاقة، فهذا السجن الذي يكسبهم الخير الكثير والثواب العظيم ومن دون ان تكون على عاتقهم مسؤولية ما، والمشقات التي تتخفف بالتسلي بين الاخوان.. تكون مبعث شكر لهم.

* * *

يا اخوتي الأوفياء الأعزاء!

قال لي أحد الأتقياء في «قسطموني» شاكياً: «لقد تردّيت، وتقهقرت عن حالي السابق اذ فقدتُ ما كنت عليه من أحوال وأذواق وأنوار».

فقلت له: بل قد ترقيت، واستعليت على الأذواق والكشفيات التي تلاطف النفس وتذيقها ثمراتها الاخروية في الدنيا، وتعطيها الشعور بالانانية والغرور. وقد طِرتَ الى مقام أعلى وأسمى وذلك بنكران الذات وترك الانانية والغرور، وبعدم التحري عن الأذواق الفانية.

نعم ان احساناً الهياً مهماً هو عدم احساس من لم يدع انانيته باحسانه، كيلا يصيبه الغرور والعجب.

فيا اخوتي!

بناءً على هذه الحقيقة، فان من يفكر مثل هذا الشخص، أو يهتم بمقامات باهرة يمنحها حسن الظن، عندما ينظر اليكم، ويرى فيكم طلاباً قد لبسوا لباس التقوى والتواضع التام وتسربلوا بخدمة الناس، يتصوركم من العوام، أو أناساً اعتياديين، فيقول: «أهؤلاء هم أبطال الحقيقة ورجالها، أوَ هؤلاء يتحدون الدنيا بأسرها! هيهات!. أين هؤلاء من اولئك المجاهدين في سبيل هذه الخدمة المقدسة، والذين سبقوا الأولياء الصالحين في هذا الزمان فأعجزوهم عن اللحاق بهم».

فان كان صديقاً تصيبه خيبة أمل، وان كان معارضاً يجد نفسه محقاً.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

ان ثمرات[١] سجنكم في نظرى حلوة وذات اهمية كثمرات الفردوس . فكما انها حققت الآمال العظيمة التي كنت اعقدها عليكم وصدّقت دعاويّ، فقد اظهرت قوة التساند والترابط بافضل ما يكون. ان تلك الاقلام المباركة كلما اتحدت اظهرت قيمة ثلاثمائة او اربعمائة من الاقلام تحت هذه الشروط والضغوط، كاتحاد ثلاث او اربع ألفات(المذكورة في رسالة الاخلاص). وان الحالة الروحية التي تحافظ على وحدتكم تحت هذه الاحوال المضطربة تثبت دعواي بالأمس.

نعم – ولا مشاحة في المثال – فكما ان ولياً عظيماً لا يرتقي الى موقع صحابي صغير في العمل للاسلام كما اتفق عليه اهل السنة، كذلك ان اخاً خالصاً من اخواننا الذي ترك حظوظ نفسه في هذا الزمان وعمل في خدمة الايمان وسعى في سبيل نكران الذات وبذل ما في وسعه للحفاظ على التساند والاتحاد، هذا الاخ يحرز موقعاً اكثر من الولي.

هكذا اقتنعت وانتم بدوركم تسندون قناعتي هذه، ليرضى الله عنكم ابداً، آمين.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

ان «رسالة الثمرة» ذات اهمية عظيمة وقيمة عالية. آمل ان يفتح الله بها قلوب الكثيرين في وقت ما. وانتم قد ادركتم قيمتها وقدّرتموها حق قدرها حتى لم تدعوا هذه المدرسة اليوسفية دون درس.

اقول ما يعود لنفسي:

ان ثمرة هذه الاتعاب التي تكابدونها والمصاريف التي تبذلونها إن كانت هي هذه «الرسالة» وحدها ورسالة «الدفاع» واللقاء معكم في موضع واحد.. زهيدة تلك المصاريف، وتلك الاتعاب، بل لو حمّلت عشرة امثال هذه المصيبة لكانت رخيصة في سبيل هذه الامور.

(١) اي ما استنسخوه من الرسائل – المترجم.

ولقد اقتنعت قناعة كاملة نتيجة تجاربي الكثيرة ولاسيما في هذا السجن الضيق:

ان الاشتغال برسائل النور قراءة وكتابة يخفف كثيراً من الضيق والضجر، ويورث الفرح والانشراح، وفي الوقت الذي لا أنشغل بها تتضاعف تلك المصيبة، وتؤلمني امور تافهة. وبناء على بعض الاسباب، كنت اظن ان (خسرو والحافظ علي وطاهري)[1] في ضيق شديد، ولكن رأيت انهم ومن معهم اكثر ثباتاً واكثر استسلاماً لأمر الله، وينعمون براحة القلب واطمئنانه.

فكنت اقول: ترى ما السبب؟ وادركت الآن: انهم يؤدون وظيفتهم الحقيقية، ولا ينشغلون بما لا يعنيهم من امور ولا يتدخلون بأمر القضاء والقدر. ولا يقلقون ولا يضطربون ولا ينتقدون احداً، ذلك التنقيد النابع من الانانية وقصد النفع. فلقد بيضوا وجوه طلاب النور بثباتهم واطمئنان قلوبهم. واظهروا القوة المعنوية لرسائل النور تجاه الزندقة.

نسأل الله ان يعمم ما في اولئك من تواضع تام وعزة كاملة في نكران الذات وخصال البطولة والريادة ويشملها جميع اخواننا. آمين.

* * *

اخوتي !

ان غروراً رهيباً ناشئاً من الغفلة وحب الدنيا، يجري حكمه في هذا الزمان، فعلى اهل الحق ترك الغرور والانانية وقصد المنافع حتى لو كان في طريق مشروع ايضاً. وحيث ان طلاب رسائل النور الحقيقيين قد أذابوا انانيتهم الشبيهة بقطعة ثلج في الشخص المعنوي والحوض المشترك للجماعة، لا يتزعزعون باذن الله في غمرة هذه العواصف والاعاصير.

نعم، ان خطة مهمة ومجربة للمنافقين هي: جمع امثال هؤلاء الذين كل منهم يملك شخصية ضابط وحاكم، في مسألة واحدة، في مكان ضيق يهيج الاعصاب

---

(١) طاهري موطلو: هو احد طلاب النور المقربين للاستاذ النورسي، صاحبه في السجن، تولى شؤون الرسائل، انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٧٧م عن سبع وسبعين سنة من العمر.– المترجم.

ويورث الضجر والنقاش الحاد والجدال والنقد، ويثيرون فيهم النزاع لبعثرة قوتهم المعنوية. ثم يؤدبون من فقد قوته المعنوية بيسر وسهولة.

فطلاب رسائل النور لانهم يسلكون مسلك الخلة والاخوة والفناء في الاخوان سيُفشلون هذه الخطة المهمة المجربة للمنافقين باذن الله.

* * *

اخوتي الأوفياء الاعزاء

فيما مضى، كان مريدون كثيرون جداً ينتمون الى شيخ جليل، في بلد من البلدان، فقلقت منهم رجالات الدولة فيها، خوفاً من تعرضهم لامور السياسة، فارادوا تشتيت جماعة الشيخ. فقال لهم: ليس لي الاّ مريد واحد ونصف مريد، لا غير، وان شئتم نقيم عليهم التجربة والاختبار.

نصب الشيخ خيمة في ضاحية من ضواحي المدينة، ودعا الألوف من مريديه الى هناك ثم امر بقوله: سوف أجري امتحاناً، فمن كان حقاً مريدي ويطيع أمري فسيمضي الى الجنة. فدعاهم الى الخيمة واحداً إثر واحد، الاّ انه ذبح خروفاً بطريقة خفية. وبدا للمريدين كأنه ذبح أحد مريديه الخواص وارسله الى الجنة. وما ان رأى الوف المريدين جريان الدم من الخيمة الى الخارج تراجعوا عنه ولم يسمعوا لأمره، بل رفضوه وانكروا عليه، الاّ رجلاً واحداً قال: ليكن رأسي فداء له، فذهب اليه، ثم اعقبته امرأة. اما الآخرون فتفرقوا عنه. فقال ذلك الشيخ لرجال الدولة: ها قد شاهدتم ان لي مريداً ونصف مريد!

اما نحن فنشكره تعالى الف شكر وشكر، اذ لم تفقد (رسائل النور) الاّ طالباً ونصف طالب في امتحان «اسكي شهر» ومحاكماتها، بخلاف ذلك الشيخ – في السابق – حيث انضم الى الطلاب عشرة الاف شخص بدلاً من الواحد والنصف الضائع، وذلك بفضل الله ثم همة وجهود ابطال «اسبارطة» وحواليها.

وباذن الله لن يضيع الكثيرون في هذا الامتحان، بهمة ابطال شرقي البلاد وغربيها، بل نضم بدلاً من الضائع الواحد عشر اشخاص.

* * *

باسمه سبحانه

كان فيما مضى شخص غير مسلم، قد وجد وسيلة لبلوغ مرتبة خليفة الشيخ ضمن السير والسلوك في طريقة صوفية، وشرع بوظيفة الارشاد، وعندما بدأ مريدوه الذين يتولى تربيتهم بالرقى الروحي ، كشف احدهم، ان مرشدهم هذا في منتهى السقوط والتردي. ثم أدرك ذلك الشخص ايضاً – بفراسته – انه قد كُشف حاله، فقال لذلك المريد: لقد عرفتني اذاً!

قال له المريد: «ما دمتُ قد بلغت هذا المقام بارشادكم، سأجلّك واوقرك بعد الآن أعظم من قبل». وبدأ بالتضرع الى الله العلي القدير ان يهدي مرشده الى سواء السبيل، حتى أنقذه الله مما فيه، وفاق مريديه كلهم في الرقي الروحي، فظل مرشداً حقيقياً لهم.. اذن يكون المريد احياناً شيخاً لشيخه.

فالفضل والسبق اذاً هو: ان لا يترك الطالب أخاه، عندما يراه مبتلىً بفساد، بل يزيد اخوّته معه، ويسعى لاصلاحه. فهذا هو شأن الأوفياء الصادقين. اما المنافقون فيستغلون مثل هذه الأوضاع ويروّجون: «ان هؤلاء الذين تهتم بهم كثيراً ليسوا سوى اناس اعتياديين عاجزين». وذلك افساداً لحسن الظن القائم بين الاخوة، وتهويناً لتساندهم.

وعلى كل حال فعلى الرغم من اضرار كثيرة تلحق بنا في المصيبة، الاّ انها قضية تهم العالم الاسلامي قاطبة، لذا فان لها قيمة عظيمة يهون تجاهها كل شئ. علماً ان حوادث مشابهة لها لم تصبح ملكاً للعالم الاسلامي لأسباب سياسية دينية او اسباب اخرى.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

ان سبب اهتمامي البالغ بتساندكم وترابطكم، لا ينحصر في منافعه التي تكسب رسائل النور وتمسها، وانما لعوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن الايمان التحقيقي. فهم أحوج ما يكونون الى نقطة استناد والى حقيقة ثابتة عضت عليها جماعة بالنواجذ،

فيرتكزون على تلك الحقيقة القاطعة للثبات تجاه تيارات الضلالة الرهيبة، حيث تكون لهم حجة قوية، ومرشداً ثبتاً، ومرجعاً لا ينخدع ولا يخدع ولا يتراجع ولا يتزعزع.

فمن يشاهد ترابطكم المتين وتساندكم القوي يطمئن قلبه، اذ يدرك ان هناك حقيقة راسخة لا تُضحى بشئ، ولا يغلبها شئ، ولا تحنى رأسها لأهل الضلالة.. فيقوى ايمانه، وتعمق قوته المعنوية وينجو - باذن الله - من الالتحاق بصفوف أهل السفاهة والدنيا.

* * *

اخواني الأوفياء الصادقين.

اياكم والمراء، احذروا المناقشة. فالآذان المتجسسة تستفيد منها، اذ مهما يكن المناقش فهو على باطل في وضعنا الحالي، سواءً أكان محقاً أم لا! اذ ربما يلحق بنا ضرراً جسيماً في حين ليس له الاّ النزر اليسير من الحق.

اكرر لكم الحقيقة التى ذكرتها لاخواني الحساسين في سجن «اسكي شهر»:

كنت مع تسعين من ضباطنا - في الحرب العالمية السابقة - اسرى معتقلين في ردهة طويلة، في شمالي روسيا. وكنت لا أسمح بالضوضاء والصخب باسداء النصح لهم، اذ كانوا يحترمونني بما يفوق قدري بكثير. ولكن على حين غرة أثار الغضب الناشئ من توتر الاعصاب والانقباض المستولي على النفوس مناقشات حادة. فقلت لبضعٍ منهم: اذهبوا الى حيث الضجيج والصياح، وساندوا المبطل دون المحق.

وقد قاموا بدورهم. فانقطع دابر المناقشات الضارة.

ثم سألوني: لِمَ قمت بهذا العمل الباطل؟.

قلت لهم: ان المحق يكون منصفاً يضحي بحقه الجزئي في سبيل راحة الآخرين ومصلحتهم التي هي كثيرة وكبيرة. اما المبطل فهو على الأغلب مغرور وأناني لا يضحي بشئ، فيزداد الصخب.

* * *

اخوتي!

اقرأوا مكرراً وبامعان ما كتب في الرسائل الصغيرة من مدار السلوان والصبر والتحمل. فأنا اضعفكم واكثركم نصيباً من هذه المصيبة الضجرة. الاّ انني بفضل الله اتحمل ذلك الضيق. فلله الحمد والشكر لم امتعض ابداً ممن يحمّلون الاخطاء والتبعات كلها عليّ. ولم اضجر ايضاً ممن دافعوا عن انفسهم وألقوا التبعات ضمناً على الجماعة وحمّلوها علينا باعتبار وحدة المسألة.

فما دمنا نحن اخوة في الله فارجو الاقتداء بي في هذا الصبر.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء ويا اصحابي في مضيف هذه الدنيا!

لقد فكرت هذه الليلة – بمشاعر سعيد القديم العزيزة – في سوقنا معاً الى المحكمة مكبل اليدين وسط جنود مدججين بالسلاح الابيض، فانتابتنى غضب شديد. وفجأة أُخطر الى القلب:

ينبغي استقبال هذا المشهد بالشكر المكلل بالفخر والسرور، لا بالغضب والحدة. لأن هؤلاء في نظر ما لا يعد ولايحصى من ذوي الشعور والملك والروحانيين واهل الحقيقة من الناس واصحاب الضمائر واهل الايمان التحقيقي، يظهرون بمظهر قافلة الابطال الميامين الذين يتحدّون هذا العصر في سبيل الحق والحقيقة ورفع راية القرآن والايمان. وحيث ان الرحمة الآلهية والرضى الرباني متوجهتان اليهم، ويقدّرون في نظرهما بالاستحسان والاعجاب، فلا قيمة ولا أهمية لنظر الاهانة الآتية من قبل شرذمة من السفهاء السائبين.

حتى انني عندما ذهبت بالسيارة – بسبب المرض – استشعرت ضيقاً شديداً. بينما شعرت بانشراح عظيم عندما كنت معكم اثناء السوق مكبل اليدين مثلكم. بمعنى ان تلك الحالة ناشئة من هذا السر. اكرر ما قلته مراراً:

انه لايشاهد في التاريخ من يتحمل في سبيل الحق أقل المشاق وينال أعظم الثواب مثل طلاب رسائل النور. فمهما تحملنا من مشاق فهي زهيدة ايضاً.

* * *

باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

اخوتي الاعزاء الاوفياء !

كان من الصعوبة النجاة من مصيبتنا هذه والتهرب منها بجهتين:

اولاها: كان لابد لنا من المجئ الى هنا، ليطعمنا القدر الإلهي هنا ما قسّمه لنا. اذن فهذا الوضع هو افضله واكثره خيراً.

ثانيتها: لم نتمكن من الخلاص من المؤامرة والشباك التى حيكت لنا. فقد شعرت بها ولكن لاخلاص. حتى ان الشيخ عبد الحكيم[١] والشيخ عبدالباقى لم ينجيا. بمعنى ان شكوى بعضنا لبعض في مصيبتنا هذه باطل لا أساس له، ولا معنى، وهو مضر، ونوع من الاعراض عن رسائل النور.

حذار حذار من جعل ما اظهره الاركان الخواص من اعمال وخدمات سبباً لهذه المصيبة ومن ثم الاستياء منهم، فهذا تخلف عن رسائل النور وندامة على تعلم الحقائق الايمانية. وتلك مصيبة معنوية أدهى من المصيبة المادية.

فانا اطمئنكم مقسماً بالله انه بالرغم من ان لى نصيب في هذه المصيبة اكثر من كل منكم بعشرين او ثلاثين درجة، فلا استاء ممن سبّب هذه المصيبة بنيّة خالصة ومن جراء فعاليته في الخدمة وعدم أخذه بالحذر، بل حتى لو تضاعفت هذه المصيبة بعشر امثالها فلا امتعض منهم ولا استاء. وكذا لا معنى للاعتراض على ما فات. لانه غير قابل للترميم.

اخوتي! ان القلق يضاعف المصيبة ويكون جذراً في القلب لتستقر عليه المصيبة المادية فضلاً عن انه يومئ ويشمّ منه نوع من الاعتراض والنقد تجاه القدر الإلهي وهو نوع من الاتهام تجاه الرحمة الالهية.

(١) الشيخ عبد الحكيم الارواسي (١٨٦٤ – ١٩٤٣) ساح العراق وتركيا طلباً للعلم مدة عشرين سنة، أسس مدرسة للعلوم الاسلامية في تركيا ودرّس فيها عشرين سنة. له منزلة رفيعة فى التصوف. قاوم الروس فى الحرب العالمية الاولى. وعندما اغلقت التكايا والمدارس الدينية، قال: ان الدولة لم تغلق ابواب التكايا بل اغلقت اماكن خاوية من الروح، فتلك الاماكن قد اغلقت نفسها منذ مدة مديدة – المترجم.

فما دام في كل شئ جهة جمال وجلوة من الرحمة الآلهية وان القدر يفعل ما يفعل وفق عدالة وحكمة. فلابد اننا مكلفون بعدم الاهتمام بالمشقات الهينة في سبيل وظيفة مقدسة في هذا الزمان وذات مساس بالعالم الاسلامي عامة.

* * *

(حالة جزئية اعتيادية بسيطة من احوالي استوجبت كتابتها اليكم)

اخوتي!

انني اقتنعت قناعة تامة: ان العين تصيبني وتؤثر فيّ تأثيراً شديداً وتمرضني. وقد جربت هذا كثيراً.

فانا احب مصاحبتكم من صميم روحي في كل الاحوال ولكن حسب القاعدة المشهورة: (النظر يدخل الجمل القدر والرجل القبر)[1] تصيبني العين والنظر. لان الذي ينظر اليّ إما انه ينظر بعداوة شديدة، او بالتقدير والاحترام، فكلا النظرين ايضاً موجودان لدى بعض الناس الذين يحملون خاصية الاصابة في نظرهم، لذا اذا كان من المستطاع ولم يرغموني على مرافقتكم، فلا آتي المحكمة برفقتكم دائماً.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

حسب مضمون الآية الكريمة ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(البقرة: ٢١٦)

والقاعدة المقررة (الخير فيما اختاره الله) فان بلوغ اكثر الرسائل سرية الى ايادي أغرب الناس عنّا، وتحديها لأعتى المتكبرين، واظهار اخطاء مَن هم في اعلى مناصب الدولة.. جعلتها تنسل من تحت ستار القاعدة المقررة «سراً تنورت». فقد كان الغرض الى الآن استصغار قضية رسائل النور ولكن على كل حال قد علموا انها قضية عظيمة جداً، وان جلبها للانظار يفتح السبيل الى فتوحات باهرة جديدة للرسائل ويلجئ

(١) «العين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر» رواه ابو نعيم عن جابر مرفوعاً، وحديث العين حق بدون الزيادة متفق عليه عن ابى هريرة، والزيادة ضعيفة... (باختصار عن كشف الخفاء ١٧٩٧، ٧٦/٢).

كذلك اعداءها الى قراءتها باعجاب واهتمام. حتى انها نورت كثيراً من المترددين في محكمة «اسكي شهر» والمتحيرين والمحتاجين وانقذتهم. فبدّلت مشقاتنا تلك الى رحمات. وستُظهر تلك الخدمة المقدسة فتوحاتها باذن الله هذه المرة في ساحة اوسع وفي محاكم كثيرة، ومراكز عديدة.

نعم ان من يشاهد اسلوب بيان رسائل النور لا يمكن ان لايهتم بها، فهي لا تشبه المؤلفات الاخرى بتأثيرها في العقل والقلب وحدهما بل تسخّر ايضاً النفس والمشاعر.

ان تبرئة ساحتكم والافراج عنكم لايضر هذه الحقيقة ولكن براءتي انا، فيه ضرر. لانه حتى نفسي الامارة قد قبلت بان اضحي لاجل حقيقة واحدة تمس العالم الاسلامي لابحياتي الدنيوية وحدها بل اذا لزم الامر بحياتي الاخروية وسعادتها ايضاً في سبيل إسعاد اهل الايمان برسائل النور.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء الصادقين!

لقد غيرتُ احد ادعيتي منذ بضعة ايام، اذ رفعت كلمة (الصادقين) من دعائي الذي يضم: «واغفر لنا» .. أو «وفّق طلبة رسائل النور الصادقين». والذي كنت اكرره لحد الآن مائة مرة احياناً. وذلك لئلا يُحرم من تلك الادعية اولئك الاخوة الذين يرون انفسهم مضطرين الى العمل بالرخصة الشرعية ويتبرأون منّا ظاهراً، مما يسببه الضيق والشبهات المثارة من ضجر ويأس واتخاذ موقف يخالف العزيمة والوفاء.

* * *

اخي العزيز الحافظ علي!

لاتهتم لمرضك، نسأله تعالى ان يرزقك الشفاء. آمين. فانك رابح غانم كثيراً، لان كل ساعة من العبادة في السجن بمثابة اثنتي عشرة ساعة. فان كنت محتاجاً الى الدواء فلديّ بعضها لأرسلها اليك. علماً ان وباءً خفيفاً منتشر في الاوساط. ففي

اليـوم الذي اذهـب فيـه الى المحكمـة أتمرض بلاشك.. ولعلك اصبحـت معينـاً لي في ذلك فأخـذت شيئاً من مـرضي، كما كانـت تحدث بطولات خارقة سـابقاً، فيتـمرض احدهم بدلاً من اخيه او يموت بدلاً منه.

* * *

« عزاء جميل وفي انسب وقت »

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لكل مصيبة نقول: ﴿ **إنّا لله وإنّا إليهِ راجعون** ﴾(البقرة: ١٥٦)

اعزّى نفـسي واعزّيكم واعـزّي رسائل النور. ولكنني اهنئ المرحـوم « الحافظ علي » واهنئ مقبرة « دنيزلي » لان اخينا الرائد الذى ادرك حقيقة « رسالة الثمرة » علم اليقين، قد ترك جسده في القبر، صاعداً كالملائكة الى النجوم وعالم الارواح، لاجل الارتقاء الى مقام عين اليقين وحق اليقين، وخلد الى الراحة والسكون متسرحاً عن وظيفته التي ادّاها حق الاداء.

نسأل الله الرحمن الرحيم ان يكتب حسنات في سجل اعماله بعدد جميع حروف رسائل النور المكتوبة والمقروءة. آمين.

وينزل شآبيب رحمته بعددها على روحه... آمين.

ويجعل القرآن الكريم ورسائل النور مؤنسين لطيفين له في القبر.. آمين.

ويحسن الى مصنع « النور » عشر عاملين بدلاً منه.. آمين.. آمين.. آمين.

اما انتـم فيا اخـوتي اذكروه في ادعـيتكم، كـما اذكـره انا، مسـتعملين الـف لسان عوضاً عن لسانه،راجين من رحـمته تعالى ان يكسبه الف حيـاة والف لسان بدلاً عما فقده من حياة واحدة ولسانٍ واحد.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

نحمد الله سبحانه وتعالى بما لا يتناهى من الحمد والشكر،على ما يسّر لنا من نيل شرف المقام الرفيع لطلبة العلوم واعمالهم الجليلة بوساطتكم في هذا الزمان العجيب والمكان الغريب.

ولقد ثبت بوقائع عديدة بمشاهدة اهل كشف القبور، ان طالب علم جاد تواق للعلوم عندما يتوفى اثناء تحصيله لها، يرى نفسه — كالشهداء — حياً يُرزق ويزاول الدرس. حتى ان احد اهل كشف القبور المشهورين قد راقب كيفية اجابة طالب علم متوفى اثناء دراسته لعلم الصرف والنحو، لاسئلة المنكر والنكير في القبر، فشاهد انه عندما سأله الملك: من ربك؟ اجاب: مَن: مبتدأ، ربك : خبره، وذلك على وفق علم النحو، يحسب نفسه انه مازال في المدرسة يتلقى العلم.

فبناء على هذه الحادثة:

فاني اعتقد ان المرحوم «الحافظ علي» منهمك برسائل النور كما كان دأبه في الحياة، وهو على هيئة طالب علم يتلقى ارفع علم واسماه، وقد تسنم مرتبة الشهداء حقاً ويزاول نمط حياتهم.

وبناء على هذه القاعدة ادعو له في ادعيتي، وادعو لمثيله (محمد زهدي) و(الحافظ محمد) قائلاً:

يارب سخر هؤلاء الى يوم القيامة لينشغلوا بحقائق الايمان واسرار القرآن ضمن رسائل النور بكمال الفرح والسرور... آمين. ان شاء الله.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

انني لا استطيع نسيان الاخ «الحافظ علي» وقد هزّني ألم فراقه هزاً عنيفاً. واحسب ان ذلك المرحوم قد رحل بدلاً مني كما كان اشخاص مضحون يتوفّون احياناً بدلاً من اصحابهم. فلولا ان قام امثالكم بما قام به هو من خدمات جليلة وعلى نسقه، لَلحق العمل للقرآن وللاسلام ضرر كبير. وانني كلما تذكرت بوارثيه، وهم انتم، زالت تلك الآلام وتركت مكانها للسرور والانشراح.

وانه لمن المحير فقد تولد لديّ حالياً شوق للذهاب الى ذلك العالم، عالم البرزخ الذي ذهب اليه اخونا بحياته المعنوية بل المادية وانكشف لروحى مشهد آخر.

وكما نتحاور ونتسامر مع اخوتنا في «اسپارطة» بالمراسلات ونحن مازلنا هنا، ونهدي لهم التحيات ونتجاذب اطراف الحديث معهم، كذلك عالم البرزخ الذي سكن فيه «الحافظ علي» قد اصبح في نظري مثل «اسپارطه» و«قسطموني». حتى طرق سمعي انه قد رحل احدهم هذه الليلة الى هناك (اي توفي) فتأسفت اكثر من عشر مرات: لِمَ لم ابعث معه السلام الى «الحافظ علي»؟ ثم أُخطر الى القلب: لاحاجة الى وسائط لإبلاغ السلام. فان رابطته كالتلفون، فضلاً عن انه يأتي ويستلم!

ان ذلك الشهيد العظيم قد حبّب اليّ مدينة «دنيزلي» فلا ارغب في مغادرتها.

ان ما انجزه هو و(محمد زهدي) و(الحافظ محمد) من خدمات في سبيل الايمان والنور تدوم باذن الله، وهم يشاهدونها من اقرب موضع، وربما يعاونون في انجازها.

وحيث انهم قد اخذوا مواقع رفيعه لدى دائرة الاولياء العظام - من حيث خدماتهم الجليلة - فانا اذكر ذينك الاثنين مع (الحافظ محمد) ضمن سلسلة الاقطاب وابعث اليهم هدايانا.

* * *

اخوتي الاعزاء الصادقين!

ان ما تتحلّون به من اخلاص ووفاء وثبات كاف لغض الطرف عن نقائص بعضكُم البعض الآخر وسترها وانتم ترزحون تحت ثقل هذه المضايقات والمشقات. وان رابطة الاخوة الموثوقة بسلسلة رسائل النور لحسنةٌ عظيمة تذهب بألف سيئة، فينبغي التعامل بالمحبة والصفح فيما بينكم حسب رجحان الحسنات على السيئات كما هو في الحشر الاعظم حيث تُذهب العدالةُ الالهية السيئات برجحان الحسنات. وبخلاف ذلك فان الانفعال وسورة الغضب ازاء سيئة واحدة، والاثارة المضرة الناجمة من الضجر والضيق، يكون ظلماً مضاعفاً.

نسأل الله ان تزيلوا الضجر والسآمة بمعاونة بعضكم البعض الآخر في السراء وبث السلوان.

* * *

اخوتي الاعزاء الميامين الاوفياء!

ان سبب عدم محاورتي معكم منذ بضعة ايام هو ما انتابني من مرض شديد مسمّم لم أر مثله لحد الان.

فأنا اشكر الله عز وجل باسم رسائل النور الى آخر رمق من حياتي، وافتخر باخوتي الثابتين الاقوياء العاملين الذين لا يتزعزعون ضمن دائرة «النور»[١] ودائرة «الورد»[٢]، مع الاوفياء المضحين في «قسطموني». وأجد السلوان التام والمرتكز القوي معهم ازاء جميع ما يصبّه الظلمة علينا من عذاب. وحتى لو متّ الآن لاستقبلت الأجل بصدر رحب وقلب بهيج، ما داموا موجودين.

ان اهل الدنيا تساورهم شكوك واوهام لا اساس لها اصلاً، وكأنني اتحداهم وابارزهم في الميدان، لذا ألقوني في غياهب السجن. بينما القدر الإلهي ألقاني في السجن، لأنني لم ادعوهم الى الخير ولم احاول اصلاحهم.

(١) دائرة النور: المقصود مجموعة من طلاب النور في قرية «اسلام كوي» وفي مقدمتهم الحافظ علي. المترجم.

(٢) دائرة الورد: المقصود مجموعة من طلاب النور في «اسبارطة» وفي مقدمتهم خسرو. – المترجم.

ولئن لبثت في السجن مع بضع من أحبتي فحسب، لطالبت السلطات في «آنقرة» باجراء محاكمة علنية تهم العالم الاسلامي. وسنرسل ان شاء الله نسخاً عدة من رسالة «الثمرة» واجزاء من «الدفاع» بالحروف الجديدة، الى المراجع العليا المهمة.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان قسماً من الاحاديث النبوية متشابهات، ليس خاصاً ولا جزئياً، ولايتوجه الى مواضع عامة. وقسم آخر من الاحاديث يبيّن من الفتن الدينية التى تصيب الامة الاسلامية زماناً واحداً فقط ومواضع محددة كالحجاز والعراق مثالاً لها.

وفي الحقيقة ظهرت في زمن العباسيين فرق ضالة كثيرة اضرت بالاسلام كالمعتزلة والروافض والجبرية والزنادقة والملاحدة المتسترين. وقد اخمد ائمة الاسلام العظام كالامام مالك والامام احمد بن حنبل والامام الغزالي والشيخ الگيلاني والجنيد البغدادي[1] نار تلك الفتن التي دبّت في مجال الشريعة والعقيدة.

وعلى الرغم من مرور ثلاثمائة سنة على هذا الظهور الايماني فان تلك الفرق الضالة المتسترة قد اوقعت المسلمين في فتنة هولاكو وجنكيز خان عن طريق السياسة. وقد اشار الحديث الشريف والامام علي رضي الله عنه الى هذه الفتنة اشارة صريحة وبتاريخها. ولما كانت فتنة زماننا هذا اعظم الفتن فقد اخبرت احاديث شريفة متعددة واشارات قرآنية كثيرة عنها بتواريخها.

وقياساً على هذا، عندما يبيّن حديثٌ شريف الاحداث التي تمر على الامة بصورة كلية، يبين حادثة واحدة – احياناً – بتاريخها كمثال من ذلك الكلي. فمثل هذه الاحاديث المتشابهة قد لاتدرك معانيها على الوجه الصحيح، وقد اثبتت اجزاء رسائل النور اثباتاً واضحاً تأويل تلك الاحاديث. واظهرت هذه الحقيقة مع قواعدها واصولها في كل من «الكلمة الرابعة والعشرين» و«الشعاع الخامس».

* * *

(١) هو جنيد بن محمد (ابو القاسم الزجاج القواريرى)(ت ٢٩٧هـ/١٩١٠): صوفي وزاهد، سيد الطائفة. ولد وتوفي ببغداد تلقى العلوم الفقهية عن سفيان الثوري والعلوم الصوفية عن خاله السري السقطي.

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لقد أخطر الى قلبي ان ابين لكم حقيقة لئلا يتهم بعضكم بعضاً بالانانية وعدم الوفاء.

لقد رأيت – يوماً – من ولي عظيم قد ترك الانانية وانمحت نفسه الامارة، رأيت منه انه يشكو بشدة من النفس الامارة. فحرت في الامر. ثم عرفت يقيناً انه لأجل إدامة المجاهدة المثابة عليها الى نهاية العمر تتحوّل اعتدة النفس الامارة بموتها الى العروق والمشاعر.

وهكذا يشكو اولئك الاولياء العظام من هذا العدو الثاني الوارث للنفس الامارة.

فضلاً عن ان القيمة والمقام والمزية المعنوية لا تتوجه الى هذه الدنيا كي تُشعر بنفسها. بل ان بعضاً ممن هم في اعلى المقامات، يعدّون انفسهم اكثر الناس ضعفاً وعجزاً وافلاساً لانهم لا يستشعرون احساناً الهياً أُنعم عليهم. مما يدل على ان الكشف والكرامة والاذواق والانوار التي تعتبر في نظر العوام مدار الكمالات، لا تكون قطعاً محكاً ولامداراً لتلك المقامات والقيمة المعنوية. ومما يثبت هذه الحقيقة انه بينما ساعة واحدة من حياة صحابي كريم تعادل يوماً من حياة ولي بل اياماً من معاناته واعتكافه، لا تبدو في كل صحابي تلك الحالات الخارقة المعنوية والكشف كما هو لدى الاولياء.

وهكذا فيا اخوتي!

تأملوا جيداً وراقبوا انفسكم لئلا تخدعكم نفوسكم الامارة بالسوء من زاوية قياس الآخرين بالنفس، ومن حيث سوء الظن بالآخرين، ولا تساوركم الشبهة في ان رسائل النور لاتربّي طلابها.

* * *

اخواني الاعزاء الصديقين!

لقد كشف وزير المعارف (التربية) النقاب عن وجهه واظهر الكفر السافر في ثوب آخر. فقد كتب ذلك البيان بوسيلة اخرى قبل ان يتسلم دفاعاتنا الاخيرة. والواقع انني لم اكن افكر في ارسالها الى تلك الدائرة، إلاّ انه بناء على توصية اخواننا واستحسانهم فقد اتضح ان ارسالها كان ضرورياً وملائماً. لان وزيراً متعصباً للالحاد الى هذه الدرجة لايمكن ان يظل مكتوف اليد امام تلك الاوراق والرسائل السرية الخاصة المرسلة الى «آنقرة»، أو يقابلها بعدم الاكتراث. ولقد وقعت تلك المرافعات غير القابلة للطعن وقع الصاعقة على رأسه. وحسناً ما حدث.

ولسوف تبعث تلك الرسائل باذن الله تياراً قوياً متعاطفاً مع رسائل النور في تلك الدائرة ايضاً.

إخوتي! مادامت حقيقة بعض الناس على نحو ما بيّنا. فان الاستسلام لذلك البعض ما هو الاّ ضرب من الانتحار، بل يعتبر ندامة على الانتماء الى الاسلام، بل يعد انسلاخاً من الدين. لانهم قد بلغوا من التعصب للالحاد حداً لا يرضون من امثالنا مجرد الطاعة والاستسلام والمصانعة، وانما يقولون: دع قلبك ووجدانك وضميرك واعمل للدنيا وحدها.

ولا يسعنا تجاه وضع كهذا سوى الحفاظ على كمال المتانة وضبط النفس والتوكل على الله عز وجل وترك الامر الى عنايته سبحانه مع الدعاء لظهور رسائل النور عليهم بحقائق قوية والتي وصلتهم في اربعة صناديق.

هذا، وقد افادتنا التجارب مراراً بان لا جدوى اطلاقاً من وراء التهرب اوالمجافاة او إضمار مشاعر الاستياء بعضنا لبعض، ولا فائدة كذلك من الابتعاد عن رسائل النور أومحاولة الاستسلام لهم اوحتى الالتحاق بهم. وقد اثبت الزمان هذا بالتجارب.

لاتقلقوا ابداً! فمهما يكن من شئ فان مخاوف ذلك الوزير خوف الفئران ان دلت على أمر تدل على جبنه وضعفه، وهي لا تدل على محاولة الاعتداء بقدر دلالتها على اضطراره للتنصل والدفاع عن النفس.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء الثابتين المدركين لماهية التوكل وقيمته!

لم تكن لي الرغبة في قراءة اية صحيفة من الصحف ولا الاستفسار عنها منذ عشرين سنة خلت، الاّ انني اليوم اطّلعت على موضوع في جريدة – مع الاسف و نزولاً لرغبة عدد من اخواننا الضعفاء – فادركت: ان تيارات لها اهميتها تلعب دورها الخطر في الخفاء والعلن. ولما كنا نحن نُشاهَد في الساحة، فيرد في الحسبان ان لنا علاقة مع تلك التيارات.

نسأل الله ان تكون لرسائل النور المرسلة في اربعة صناديق والحاملة للدلائل القاطعة غير القابلة للجرح مع مجموعة من دفاتر الدفاع نتائج تبشر بالخير لنا وللايمان والقرآن والاسلام.

اننا لم نتدخل بامور دنياهم، ولم يثبتوا علينا اي دليل كان على تدخلنا فيها، لذا اضطرت انقرة الى طلب جميع رسائل النور لاجراء التحقيق عليها.

فما دامت الحقيقة هي هذه، وقد شاهدنا الى الآن تجلي العناية الربانية في العمل لرسائل النور بما لا يمكن انكاره، وقد شعر كلٌ منا بها جزئياً كان ام كلياً، وما دامت التيارات السياسية العالمية تحشد كل منها قواها تجاه الآخر، ونحن لانقدر الاّ على الرضى بالقضاء الإلهي والتسليم بقدره والسلوان العظيم السامي النابع من العمل للايمان والقرآن والنور. فان ألزم ما ينبغي لنا عمله هو عدم القلق والاضطراب، وعدم اليأس، واسناد كل منا الآخر وامداد روحه المعنوية، وعدم الخوف، واستقبال هذه المصيبة بالتوكل، وعدم الاكتراث باقوال الصحف التي يطلقونها جزافاً ويستهولون كل حبة صغيرة، بل علينا استصغار ما استعظموه من امور.

إخوتي! انه لا اهمية لهذه الحياة الدنيوية، وبخاصة في هذا الزمان وتحت هذه الظروف والضغوط. نعم، لنستقبل بالرضى كل ما يصيبنا.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصادقين!

لقد وجد بضعة من اخواننا سلواناً جميلاً يسلون به انفسهم. وهو على هذه الصورة. فهم يقولون:

«ان قسماً من اخواننا الحديثي العهد بالسجن، يتحملون هذه المصيبة ويصبرون عليها بضع سنين بل عشر سنين من جراء عمل غير مشروع اقترفوه في ساعة أو ساعتين. بل يقول بعضهم: حمداً لله لقد نجونا من آثام اخرى. فلِمَ نشكو اذن من ضيق وعنت خيّر، من جراء عمل مشروع جداً وخدمة ايمانية بوساطة رسائل النور، يستغرق بضعة اشهر؟»

وانا بدوري اقول لهم: الف الف بارك الله فيكم.

نعم ان مقاساة المرء خمسة او عشرة شهور من المشاق بنية انقاذ ايمانه وايمان غيره لخمسة او عشر سنوات، انما هو مبعث شكر وافتخار واعتزاز في سبيل خدمة حلوة خيّرة سامية وعبادة فكرية رفيعة.

ولقد ورد في حديث شريف (لئن يهدىَ الله بك رجلاً خيرٌ لك من حمر النعم)[1] فتأملوا في عدد الذين ينقذون – أو سينقذون – ايمانهم من اعاصير الشبهات الرهيبة بوساطة خدماتكم وكتاباتكم سواء هنا أو في ارجاء البلاد كلها أو في آنقرة. فاشكروا ربكم من خلال الصبر والامتنان والرضى التام.

وإذا ما اصرّ حزب الشعب الجمهورى الحاكم في آنقرة وعاند تجاه رسائل النور ذات الحجج الرصينة والمرسلة الى هناك. ولم يحاول حمايتها والحفاظ عليها بالمصالحة معها. فهذا يعني ان افضل مكان لنا هو السجن. ويعني ايضاً ان الملحدين قد وحّدوا بين الزندقة والشيوعية، وان الحكومة ستضطر الى الخضوع لأقوالهم. وعندئذٍ تنسحب رسائل النور من الميدان ويتوقف عملها، وتبدأ المصائب المادية والمعنوية بالهجوم.

* * *

(١) جزء من حديث صحيح، اخرجه البخارى فى المغازى: باب غزوة خيبر، وفى الجهاد: باب دعاء النبى ﷺ الى الاسلام والنبوة، وباب فضل من اسلم على يديه رجل، وفى فضائل اصحاب النبى ﷺ: باب مناقب على بن ابي طالب. واخرجه احمد ٥/٣٣٣ ومسلم برقم ٢٤٠٦.

باسمه سبحانه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾(الانعام: ١٣٠)

جـواب استـاذنا عن سؤال ورد لحل الاشكال في صـدد بعثـة الرسل من الجن ايضاً كما هو مفهوم الآية الكريمة.

اخي العزيز!

حقاً ان لسـؤالك هذا اهمية كبيرة، ولكن لما كانت اهم مهمـة لرسائل النور، انقاذ الانسان من شـباك الضلالة وظلمـات الكفر المطلق، فان تـسلسل الاولوية يحول دون بلوغ مثل هذه المسائل، فـلا تفتح باب البحث فيها، علمـاً ان السلف الصالح ايضاً لم يبحـثوا فيـها كثيراً، لأن مثل هذه الامـور الغيـبية المحـجوبة قد يسـاء فيهـا الاستعـمال ويستطيع الماكـرون ان يتخذوها وسيلة لمآربهم الذاتيـة. مثلما يخادع اصـحاب التنويم المغناطيـسي في الوقت الحاضر الناس ويـغررون بهم باسم تلقّي الأخـبار عن الجن، لذا لا يبحث في مثل هذه الامور كثيراً، لئلا يساء الى الدين.

ثم انه لم يبعث نبي في الجن بعد خاتم الانبياء ﷺ.

ثم ان رسـائل النـور قـد سـعت في هذا الزمـان لاثبـات وجـود الجـن والروحـانيين بحـجج قـاطعة لتبطل مـفهوم المادية السـاري سريان الطاعون في البـشرية. فنظرت الى هذه المسائل بالدرجة الثالثة تاركة امر تفاصيلها للآخرين.

ولعل الله يهيئ احد طلاب النور فيفسّر «سورة الرحمن» ويحل هذه المسألة.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لكل مصيبة نقول: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة:١٥٦)

حقاً ان وفاة (الحافظ علي) و(الحافظ محمد) و(محمد زهدي) ليس ضياعاً كبيراً لنا ولاسپارطة وحدها بل ضياع ايضاً للعالم الاسلامي، ولكن تجلي العناية الربانية قد جرى الى الآن، انه عند ضياع أحد طلاب النور، يليه مثنى أو ثلاث من الطلاب على النمط نفسه، فيظهرون في الساحة.

فنحن على أمل كبير أن يظهر طلاب جادّون - بشكل آخر - يؤدون وظيفة اولئك الابطال، وسيظهرون باذن الله. فلقد ادى اولئك الميامين الثلاثة في فترة قصيرة مهمة مائة سنة من العمل.

نسأل الله ان ينزل عليهم شآبيب رحمته بعدد حروف رسائل النور التي قرأوها وكتبوها ونشروها.. آمين.

ابلغوا عني التعازي الى اقرباء (الحافظ محمد) وقريته الطيبة، وانا بدوري قد جعلته رفيقاً للحافظ علي ومحمد زهدي وضممت أسماء اولئك الثلاثة بين أسماء اساتذتي الاقطاب. وقد جعلت الحافظ عاكف كذلك رفيقاً لعاصم ولطفي.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان في تأخير مسألتنا هذه خير، والخير فيما اختاره الله. لأن محبة ذلك الرجل الميت الرهيب يُلقّن في جميع المدارس والدوائر الحكومية وفي اوساط الشعب عامة. وستؤثر هذه الحالة تأثيراً أليماً وفجيعاً جداً في العالم الاسلامى وفي المستقبل.

ثم ان حصول اولئك الذين لهم علاقة معه - وهم آخر من يتخلون عنه - على رسائل النور التى تثبت وتظهر حججاً قاطعة حول ماهية ذلك الرجل، وقراءتها بلهفة وامعان، حادثة مهمة بحيث تجعل دخول الوفٍ من امثالنا في السجن بل حتى سوقهم

الى الاعدام زهيداً رخيصاً في سبيل الذود عن الدين الاسلامي، لانها تنقذ في الاقل اكثر المتمردين عتواً من الكفر المطلق والارتداد عن الدين وتخرجهم الى كفر مشكوك فيه، ويحدّ من تعديهم الجرئ وتجاوزهم المتعنت.

« ولتكن رؤوسنا فداءً لحقيقة افتدتها ملايين رؤوس الابطال »

هذه الجملة التي صدعتُ بها وجوههم في المحكمة ختام مرافعتي، اعلنا بها اننا نثبت حتى النهاية، فلا نتخلى عن هذه الدعوى، وآمل الاّ يكون فيكم من يتخلى عنها، فما دمتم قد صبرتم وصمدتم حتى الآن، فتجملو بالصبر والتحمل فان قسمتنا من الرزق ووظيفتنا هنا لم تنتهيا بعد.. ولن تكون هناك حركة عنيدة مضادة لرسائل النور دفاعاً عن مسلك الاعدام الابدي والسجنِ المنفرد الدائم اللذين اثبتتهما « رسالة الثمرة » بحجج دامغة لايمكن انكارها، بل ستُبحث عن وسيلة للمصالحة أو الترك. والصبر مفتاح الفرج والسرور.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان الذين يسوموننا العذاب قد قبضوا بايديهم على وسائل الحياة ومباهج الحضارة والمتع والملذات ويتهموننا: اننا لا نعبأ بذلك الطراز من الحياة، بل يدينوننا على ذلك، حتى انهم يريدون ان يعاقبونا بالاعدام أو بعقوبات مشددة من السجن، ولكن لا يجدون حجة قانونية لذلك.

اما نحن فنقبض بايدينا الموت الذى هو ستار دون الحياة الباقية، ونسعى ايضاً بكل ما نملك من قوة لإنقاذهم من تبعات المسؤولية الحقيقية، ومن الحكم عليهم ومن الاعدام الابدي والسجن المنفرد الدائمي. حتى أنهم اذا اصدروا اشد العقوبات عليّ بسبب الرسائل القوية المرسلة الى «آنقرة» فان قلبي وكذا نفسي تطاوعاني على انزال تلك العقوبات الصارمة بي اذا نجا اولئك الذين يصدرون تلك الاحكام من اعدام الموت بسبب تلك الرسائل.

بمعنى اننا نريد لهم الحياة في كلا العالمين ونتحرى لهم عن دواعي ذلك، اما هم فيريدون القضاء علينا ويتشبثون بحجج لذلك.

الاّ ان حقيقة الموت الظاهرة كالشمس والمشاهدة جلياً كالنهار والمصدقة بثلاثين الف جنازة يومياً من البشر، تعلن وتبين لأهل الضلالة ثلاثين الفاً من اعدام ابدي وثلاثين الفاً من سجن انفرادي.

اننا لسنا مغلوبين امامهم، ليقضوا ماهم يقضون. فالآية الكريمة ﴿ **فإنّ حزب الله هُم الغالبُون** ﴾(المائدة: ٥٦) تبشر بظهورنا عليهم منذ اثنتي عشر سنة...

ما دام الأمر هكذا سنقول بعد الآن للمحكمة وللناس: اننا نسعى لانقاذ انفسنا من الاعدام الابدي للموت الماثل امامنا والذي يرقبنا، ونجهد للنجاة من السجن الانفرادي الدائمي المظلم للقبر الذي فتح بابه على مصراعيه داعياً لنا، ويقحمنا فيه... اننا نعاونكم في انقاذ انفسكم من تلك المصيبة التي لاحيلة لكم دونها.

ألا إن أهم مسألة دنيوية وسياسية في نظركم، قليلة الاهمية في نظرنا وفي نظر الحقيقة بل لا اهمية لها ولاقيمة لدى الذين لم يعهد اليهم تلك الوظائف، بل تعدّ من الامور التى لاتعنيهم بشئ. بينما الوظيفة الضرورية الانسانية التى ننهمك بها، لها علاقات مع الناس قاطبة وفي الاوقات كافة.

فالذين لايروق لهم وظيفتنا هذه ويحاولون رفعها وازالتها، عليهم رفع الموت اولاً وازالته وسدّ باب القبر وغلقه.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

انها لتجلٍ من تجليات العناية الربانية انفجار وزير التربية بالغيظ والحقد وقذفه جامّ غضبه وهجومه العنيف علينا قبل ان يرى دفاعاتنا ويدرس اوراقنا وكتبنا، بل كان ذلك بشعور مبطن منه. وبينما كنا ننتظر ان تتخذ «آنقرة» تجاهنا طور الشدة والعنف،

بالنسبة لعظم المسألة، والناشئة من تدقيق اعلى المستويات في الدولة الرسائل السرية الخاصة امثال «الشعاع الخامس» و «ذيل الهجمات الست» ودفاعاتي التي تتعرض بشدة للكفر المطلق وتنزل ضرباتها به بكل شجاعة.

اقول بينما كنا ننتظر ذلك اذا بتلك المراجع العليا في «آنقرة» تأخذ موقف اللين، بل بما يتسم بالمصالحة.

ان حكمة واحدة من تجلي العناية الربانية هذه هي قراءة رسائل النور قراءة عامة تشمل البلاد كلها، وقراءتها في المراجع العليا في الدولة قراءة بامعان وبشوق، فلا شك ان قراءة درس رفيع كهذا الدرس، وفي هذا الزمان بالذات، وفي مجتمعات واسعة ودوائر رفيعة كلية هي عناية ربانية، وامارة قوية على ظهور رسائل النور على الكفر المطلق.

اخوتي!

ان قسماً من اصحاب العوائل ذوي الموارد القليلة، قد يجدون لأنفسهم عذراً بالانسحاب من ميدان رسائل النور والتنائي عنا وربما التخلي عن رسائل النور تحت هذا العنف والضيق والاضرار التي لحقت بهم.

فبينما كنت افكر في هذا الظن المحتمل، تبدل الامر بعد الافراج. فاقول:

ان الذي دفع كل هذه الاثمان الغالية المادية والمعنوية حفاظاً على هذه البضاعة القيمة النفيسة جداً، وتحمّل صنوف العذاب في سبيلها، اذا ماتخلى عنها فقد خسر خسراناً مبيناً. وانه لضررلا مبررله للشخص وللخدمة معاً اذا ما تخلى احدهم عن اجزاء رسائل النور وانقطعت علاقته عمّا يتعلق بها وترك الحفاظ علينا واحجم عن مدّ يد العون الينا وودّع الخدمة كلياً ، لذا ينبغي عدم استبدال شئ بالوفاء والارتباط والصلة وخدمة الايمان مع اخذ الحذر.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

انه لتجلٍ من تجليات العناية الربانية وحماية من الحفظ الإلهي، ان غُلب الخبراء في آنقرة امام حقائق رسائل النور . ومع أن هناك اسباباً كثيرة للنقد والاعتراض الاّ انهم قرروا براءتها - حسب ما سمعت - علماً ان العبارات القوية الشديدة للرسائل السرية الخاصة، وتحديات الدفاعات التي تتعرض لهم ، والهجوم العنيف لوزير التربية، ووجود عضوين تربيا على الفلسفة المادية في هيئة الخبراء من منتسبي وزارة التربية، ووجود عالم كبير يؤيد مستحدثات الامور (الانقلابات) واثارة منظمة الزندقة المتسترة منذ سنة حزب الشعب الجمهوري ووزارة التربية ضدنا.. اقول: بينما كنا ننتظر ان تصدر هيئة الخبراء اعتراضات شديدة - للاسباب المذكورة - واتهامنا اتهامات تنزل بنا اقصى العقوبات، اغاثتنا الحماية الالهية والعناية الرحمانية، واظهرت لهم المقام الرفيع لرسائل النور وصرفتهم عن الانتقادات الشديدة، حتى انهم لأجل انقاذنا من العقوبات، وصرف النظر عن كوني مجرماً سياسياً له سوابق - من قضية اسكي شهر وحادثة ٣١ مارت المشهورة - وكوننا لانعمل الاّ للدين والعقيدة، واظهار عدم وجود تآمر سياسى في عملنا، قالوا:

« ان سعيداً النورسي منذ السابق يدّعي احياناً وراثة النبوة ، ، ويتخذ طور المجدد في خدمة القرآن والايمان، اي انه يتصرف احياناً تصرف منجذب بجذبة روحية »

فهذه الفقرة التي هي من التعابير الفلسفية الملحدة والتي تعني ان الشخص اياً كان طالما يعمل للدين فهو اذاً يعمل للتجديد بوراثة النبوة!

ولقد استعملوا ذلك التعبير الفلسفي الملحد بانتقاد حسن الظن المفرط لدى بعض اخواننا، واسناد الانجذاب الروحي والانتشاء اليّ اثناء كلامي العنيف، لأجل تبرئتي من السياسة والحيلولة دون انزال العقوبة بي، فضلاً عن تخفيف حدّة معارضينا واعدائنا بنوع من التلطيف، ولأجل كسر ما فيّ ايضاً - حسب ظنهم - من حب للجاه يقيناً والانانية وقصد المصلحة والنفع الذاتي، قياساً على الآخرين.

ولكن رسائل النور كلها من اولها الى آخرها جواب واضح وضوح الشمس ازاء ذلك التعبير وتزيل كل معنى يشم منه ذلك التعبير ويمحيه، بان مسلكنا هو ترك الانانية

والغرور والالتزام بالاخوة. لذا فلا شطحات تنم بالغرور عندنا. فضلاً عن ان حياة «سعيد الجديد» في رسائل النور المتسمة بالتذلل لله، وتعديله حسن الظن المفرط لدى اخوانه بدروس مكررة دون النظر الى شعور احد، تزيل كل ما يشم من ذلك التعبيرمن معنى.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لاارسل اليكم حالياً القرار الذي اتفقت عليه هيئة الخبراء، لئلا يتضرر المخبر والكاتب.

ان هذه الهيئة الاخيرة قد حاولت بكل ما لديها من جهد ان تنقذنا وتحافظ علينا من شر اهل الضلالة والبدع، فقد اقرت بالاتفاق على براءتنا من كل ما اسند الينا من التهم - شاعرين بمسؤوليتهم تجاه رسائل النور التي استرشدوا بها - وان اكثرية الرسائل قد كتبت كتابة علمية ايمانية، وان «سعيداً» يبين ما اقتنع به بياناً جاداً خالصاً، وان ما لديه من قوة واقتدار ليسا كما يسند اليه من إحداث طريقة صوفية وتأسيس جماعة والمجابهة مع الحكومة، بل قوته واقتداره ليستا الاّ لإبلاغ حقائق القرآن الى المحتاجين اليها.

وقالوا ايضاً بشأن الرسائل السرية الخاصة التي عبّر عنها: انها غير علمية: «انه ينجذب احياناً جذبات روحية ويراوده هيجان الشعور واضطراب الروح، فينبغى الاّ يكون مسؤولاً بسبب هذه المؤلفات». هكذا يفهم من قرارهم.

وكذا انه بتعبير «سعيد القديم» و«سعيد الجديد» له شخصيتان، وفي الثانية قوة ايمانية خارقة وعلم حقائق القرآن.

وقالوا مراعاة لمشاعر اهل الفلسفة المادية: «ربما ينجذب روحياً، وله خلل في الدماغ». قالوا ذلك لأجل انقاذنا من تبعات التعابير العنيفة للرسائل السرية الخاصة، ولتهدئة شعور معارضينا، وقالوا ايضاً - ضمن هذا الشعور -: «ربما هو مصاب باختلال عقلي يرى الخيال واقعاً».

ان ما يبطل احتمالهم هذا من اساسة والجواب الشافي الكافي لهم هو ما حصلوا عليه من رسائل النور التي سبقت جميع العقول، ورسالة « الدفاع » و« الثمرة » اللتان اوقعتا جميع المحامين في حيرة واعجاب.

انني احمد الله كثيراً انه قد وُهب لي - بهذا الاحتمال - ما يشير اليه حديث شريف.

ثم ان خبراء قد قرروا بالاتفاق على تبرئة ساحتنا جميعاً - انا واخوتي - من التهم ويقولون: « انهم ارتبطوا بسعيد بسبب مؤلفاته العلمية الدقيقة انقاذاً لايمانهم وآخرتهم. ولم نجد اية امارة او صراحة تشير الى سوء قصدهم تجاه الحكومة لا في مراسلاتهم ولا في كتبهم » ووقع القرار ثلاثة اشخاص: احدهم الفيلسوف نجاتي، والاخر يوسف ضياء (عالم) وآخر الفيلسوف يوسف.

وانه لتوافق لطيف، اذ بينما نطلق على هذا السجن انه مدرسة يوسفية بحقّنا، وان رسالة « الثمرة » ثمرتها، فان هذين المسميين بـ « يوسف » قالوا بلسان الحال: نحن ايضاً لنا حصة خفية في درس هذه المدرسة اليوسفية.

اما دليلهم اللطيف على الجذبة والانجذاب الروحي، فهو عبارة: « الكلمة الثالثة والثلاثون والمكتوب الثالث والثلاثون بثلاث وثلاثين نافذة.. » وامثالها من التعابير.. وكذا « انه يسمع بتسبيحات القطط بـ: يارحيم يارحيم.. وانه يعدّ نفسه شاهد قبر.. » فاظهروا هذه التعابير دليلاً على الانجذاب ورؤية الخيال واقعاً!

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ما دمنا نحن تحت العناية الربانية كما تشير اليها امارات كثيرة، وان رسائل النور لم تُغلب تجاه اعداء ظلمة كثيرة جداً، وانها اسكتت الى حدّ ما وزير التربية وحزب الشعب الجمهوري، وان الذين استهولوا مسألتنا كلياً حتى اوقعوا الحكومة في قلق

واضطراب سيحاولون بكل وسيلة اخفاء اكاذيبهم وافتراءاتهم.. فلابد ان نتحلى بالصبر والحيطة مع كمال الاستسلام لأمر الله والثبات على الخدمة وعدم الوقوع في خيبة الامل بالذات، وعدم اليأس من ظهور خلاف المأمول، وعدم التزعزع امام اعاصير موقتة زائلة.

نعم ان خيبة الامل التي تفتّ من القوة المعنوية لأهل الدنيا وتكسر شوكتهم، تكون لطلاب رسائل النور الذين يرون ألطاف العناية ولمسات الرحمة تحت المشاق والمضايقات والمجاهدات، دافعة الى العمل والجد.

ولقد ساقني اهل الدنيا السياسيون قبل اربعين سنة الى مستشفى المجاذيب بإلصاق جنون موقت بي. فقلت لهم: ان ما ترونه عقلانيا اراه خلافاً للعقل، فانا اتبرأ من مثل هذه الامور. وارى ان هذه القاعدة تسري فيكم «وكل الناس مجنون ولكن على قدر الهوى اختلف الجنون».

والان كذلك اقول الكلام نفسه الى الذين اسندوا الجنون الموقت اليّ لانقاذي وانقاذ اخواني من مسؤولية كبيرة، وكأن نوعاً من جنون ينتابني من حيث الرسائل السرية الخاصة. واعيد القول مع بيان رضاي من الجنون من جهتين:

الاول: لقد ورد في حديث شريف ما معناه: ان من اكمل المؤمنين ايماناً ان يعدّه الناس مجنوناً(١).

الثاني: انني لا ارضى فقط باسناد الجنون اليّ وحده بل اضحي بعقلي الكامل وحياتي كلها وبكل فخر واعتزاز لاجل انقاذ اخواني وسلامتهم ونجاتهم من ظلمات هذا السجن.

واذا ارتأيتم ان تُكتب رسالة شكر الى اولئك الذوات الثلاث ويبلّغون اننا نشركهم في مكاسبنا المعنوية فافعلوا.

* * *

(١) هناك روايات كثيرة بهذا المعنى، نذكر منها: (اكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون). رواه احمد ٨٦/٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٣/٩ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٩٩/٢ والحاكم في المستدرك ٤٩٩/١

١)

اخواني الأوفياء الصادقين، ورفقائي المخلصين في خدمة القرآن والايمان.

لمناسبة دنو زمن فراق بعضنا بعضاً. ينبغي لكل منكم التجاوز عن تقصير أخيه والصفح عنه كلياً عما سببته الانفعالات من الضجر و الذنوب التي حالت دون الحفاظ على دساتير الاخلاص. فأنتم أقوى اخوّة من أشقاء النسب، والأخ يستر تقصير أخيه، ويتناسى نقصه، ويصفح عنه.

فأنا هنا أحيل اختلافكم وانانيتكم غير المتوقعة الى النفس الأمارة، ولا أجده لائقاً بطلاب النور، بل اعدّه نوعاً من انانية موقتة، توجد في أولياء صالحين أيضاً ممن غلبتهم نفوسهم الأمارة.

فلا تخيبوا يا اخواني حسن ظني بكم بالاصرار والعناد. تصالحوا.

* * *

الشعاع الرابع عشر

«الدفاعات»

تتمة قصيرة جداً لإفادتي

أُبين لمحكمة آفيون:

ان افادتي التي قدمتها لأنظاركم ولعدالة القانون، والتي تتضمن تحري منزلي تحرياً غير قانوني بثلاث وجوه، وسوقي للاستجواب ومن ثم توقيفي واعتقالي. كل ذلك تعرّض لكرامة ثلاث محاكم ومسّ لعدالتها واحترامها، بل استخفاف بها. لأن تلك المحاكم الثلاث وهيئات الخبراء الثلاث، قد أتمت تدقيق ما ألّفته خلال عشرين سنة من مؤلفات، وماكتبته من مكاتيب، واجمعوا قرارهم على براءتنا. فاعيدت الينا كتبنا ومكاتيبنا.

وبعد البراءة، ومنذ سنوات ثلاث وانا أعيش في انزواء عن الناس، وتحت ترصد شديد بحيث لا اكتب غير رسالة واحدة لاضررفيها لبعض اصدقائي. فعلاقتي بالدنيا شبه مقطوعة، بل لم اذهب الى موطني رغم السماح.

والآن فان تجديد المسألة نفسها بما ينم عن عدم الاكتراث بالقرار العادل للمحاكم الثلاث انما هو استهانة بكرامة تلك المحاكم وحط من شرفها.

لذا لأجل الحفاظ على كرامة تلك المحاكم التي عدلت في حقي، ارجو من محكمتكم ان تبحث عن سبب آخر ومسألة اخرىٰ لتتهموني بها غير المسائل التي هي: رسائل النور، تشكيل جمعية، تأسيس طريقة صوفية، احتمال الاخلال بالأمن والنظام.

ان ذنوبي وتقصيراتي كثيرة، لذا قررت ان اعينكم بقدر ما يتعلق الأمر بمسؤوليتي، فلقد تعذبت خارج السجن عذاباً يفوق كثيراً عمّا في داخله. حتى غدا القبر او السجن موضع راحتي الآن. ولقد سئمت الحياة حقاً. كفى الإهانات والتعذيب والترصد المؤلم فيما يشبه السجن الانفرادي طوال عشرين سنة فلقد بلغ السيل الزبىٰ، واوشك ان يمسّ غيرة الله، وعنده يا لخسارة هذه البلاد. اني اذكّركم بهذا.

ان اعظم ملجأ لنا واقواه:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

﴿حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

* * *

«ردّ على لائحة الادعاء»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بعد صمت دام ثمانية عشر عاماً، اضطررت الى اعادة تقديم هذه الدعوى رداً على لائحة الادعاء، رغم تقديمها الى المحكمة وتقديم صورة منها الى المراجع العليا في آنقرة.

ادناه خلاصة لدفاع قصير — هو الحقيقة عينها — قد قلته للمدعيين العامين وضابطي الشرطة الذين أتوا لتحري منزلي في «قسطموني» ثلاث مرات، وقلته ايضاً لمدير الشرطة ولثلة من افراد الشرطة — في المرة الثالثة — ولمحكمة «دنيزلي وآفيون». فليكن معلوماً لديكم ان ماقلته لهم هو:

انني اعيش معتكفاً ومنزوياً منذ عشرين سنة. فطوال ثماني سنوات في «قسطموني» بقيت مقابل مخفرالشرطة وكذا الحال في بقية الاماكن، كنت طوال هذه الفترة تحت المراقبة والترصد الدائم. وقد تحرّوا منزلي عدة مرات، ومع ذلك لم يعثروا على اية امارة لها علاقة بالدنيا او بالسياسة. فلو كان لي شئ من التدخل بها لكانت الشرطة والعدلية تعلم به، أو علمتْ به ولكن لم تعر له بالاً، بمعنى انهم مسؤولون اكثر مني.

فما دام الامر هكذا فلمَ تتعرضون لي الى هذا الحد دون داع اليه وبما يلحق الضرر بالبلاد والعباد. علماً انه لا يُتعرض في الدنيا كلها للمنزوين المعتكفين المنشغلين بآخرتهم.

نحن طلاب النور آلينا على انفسنا الاّ نجعل من رسائل النور اداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله. فضلاً عن ان القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الاشتغال بالسياسة.

نعم، ان مهمة رسائل النور الاساس هي: خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الابدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سماً زعافاً وجحيماً لا تطاق.

ومنهجها في ذلك: هو اظهار الحقائق الايمانية الناصعة المدعمة بالادلة والبراهين القاطعة التي تلزم اشد الفلاسفة والمتزندفة تمرداً على التسليم بالايمان. لذا فليس من حقنا ان نجعل رسائل النور اداة لاي شئ كان، وذلك لأسباب:

أولاً: كي لا تحول الحقائق القرآنية التي تفوق الالماس نفاسة الى قطع الزجاج المتكسر في نظر أهل الغفلة، حيث يتوهمونها كأنها دعاية سياسية تخدم اغراضاً معينة، وكي لا نمتهن تلك المعاني القرآنية القيمة.

ثانياً: ان منهج رسائل النور الذي هو عبارة عن: الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة عن التدخل بالامور السياسية أو بالسلطة الحاكمة. لأنه اذا كان هناك بعض ممن ابتلوا بالالحاد واستحقوا بذلك العقاب فإن وراء كل واحد منهم عدداً من الاطفال والمرضى والشيوخ الابرياء. فاذا نزل بأحد اولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة او مصيبة، فان اولئك الابرياء ايضاً سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه. وكذا لان حصول النتيجة المرجوة امر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة عن التدخل في الشؤون الادارية بما يخل بأمن البلاد ونظامها عن طريق وسائل سياسية.

ثالثاً: في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة اسس ثابتة، حتى يمكن انقاذ البلاد وانقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

١– الاحترام المتبادل

٢– الشفقة والرحمة

٣– الابتعاد عن الحرام

٤– الحفاظ على الأمن

٥– نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على ان رسائل النور في نظرتها الى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الاسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على الحجر الاساس لأمن البلاد، هو ان رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً ان تجعل اكثر من مائة الف رجل اعضاء نافعين للبلاد والعباد دون ان يتأذى او يتضرر بهم احد من الناس. ولعل محافظتي «اسپارطة وقسطموني» خير شاهد وابرز دليل على صدق ما نقول.

فاذا كانت هذه هي الحقيقة. فلا شك ان اكثر اولئك الذين يتعرضون لاجزاء رسائل النور انما يخونون الوطن والأمة والسيادة الاسلامية. ويعملون – سواءً بعلم او بدون علم – لحساب الفوضوية والتطرف.

ان مائة وثلاثين رسالة من اجزاء رسائل النور التي منحت مائة وثلاثين حسنة وفائدة لهذه البلاد، لا تزيلها الاضرار الموهومة التي يتوهمها اهل الغفلة القاصرو النظر الشكاكون، من نقص وقصور في رسالتين او ثلاث. فالذي يهوّن من شأن تلك الرسائل بهذه الاوهام والشبهات ظلومٌ مبين.

أما تقصيراتي وذنوبي التي تمس شخصي الذي لا اهمية له، فاني اضطر دون رغبة مني الى القول:

ان الذي قضى حياة الاغتراب التي هي اشبه ما تكون بالسجن الانفرادي طوال اثنتين وعشرين سنة، معتكفاً ومنزوياً عن احوال الناس. والذي لم يخرج باختياره طوال هذه الفترة الى مجمع الناس في السوق وفي الجوامع الكبيرة. والذي اجري عليه اشد انواع الضيق والعنت وخالف امثاله من المنفيين فلم يراجع الحكومة ولو لمرة واحدة. ولم يقرأ جريدة ولم يستمع اليها، بل لم يكترث بها طوال هذه الفترة.

وخير شاهدعلى هذا القريبون من اصدقائه واحبّائه خلال سنتين في «قسطموني» وخلال سبع سنوات في اماكن اخرى. بل لم يعرف احداث الحرب العالمية ولا المنتصر من المغلوب، ولم يهتم بالمعاهدة والصلح، بل لم يعرف حتى من هم اطراف الحرب، ولم يتحرك فضوله لمعرفتهم، ولم يسأل عنهم ولم يستمع الى الراديو القريب منه خلال ثلاث سنوات سوى ثلاث مرات. والذي يواجه الكفر المطلق برسائل النور، ذلك الكفر الذي يفني الحياة الابدية ويزيد آلام الحياة الدنيا ويجعلها عذاباً في

عذاب. والشاهد الصادق لذلك مائة الف ممن انقذوا ايمانهم برسائل النور المترشحة من فيض نور القرآن العظيم والتي تجعل الموت بحق مائة الف شخص تذكرة تسريح بدلاً من الاعدام الابدي.

ترى اي قانون يسمح بالتعرض لهذا الرجل - يقصد نفسه - وجعله في يأس عن الحياة، ودفعه الى البكاء والحزن، مما يدفع مائة الف من اخوانه الى البكاء؟ بل اية مصلحة في ذلك؟.

ألا يرتكبون باسم العدالة غدراً لا مثيل له ولا نظير ؟

أفلا يكون باسم القانون خروجاً عن القانون ؟

اما اذا قلتم واحتججتم بتصرفكم هذا بما يحتج به فريق من الموظفين - في هذه التحريات - وادعيتم كما يدعون، بانك وطائفة من رسائلك تخالفان نظمنا ومبادءنا.

فالجواب:

اولاً : ليس من حق نظمكم ومبادئكم المبتدعة هذه ان تدخل معتكفات المنزوين اطلاقاً.

ثانياً : ان ردّ امرٍ ما شئ وعدم قبوله قلبياً شئ آخر. وعدم العمل به شئ اخر تماماً. وان ولاة الامور انما ينظرون الى اليد لا الى القلب. وهناك في كل قطر وفي كل مكان معارضون شديدون للحكومة لا يتدخلون في شؤون الادارة والأمن. حتى انه في عهد سيدنا عمر رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ لم يمسّ النصارى بشئ مع انهم كانوا ينكرون الاسلام وقوانين الشريعة.

وعلى هذا واستناداً الى مبدأ حرية الفكر والوجدان، اذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادءكم، وينتقدونها على اساس علمي نقداً بناءاً، او إن صدرت منهم اعمال وتصرفات لا تتفق وتلك المبادئ، بما في ذلك اضمار العداء لأولى الأمر، فليس من حق القانون ان يحاسبهم على ذلك بشرط واحد وهو: ان لايتدخلوا في الشؤون الادارية، والاّ يخلّو بالأمن والنظام.

اما بـالنسبـة للرسائل، فـقد اطلقنا على تلك الرسـائل انها سـرية وخاصـة، وحظرنا نشرها. حـتى ان احـدهم قد اتـى لي بنسـخة واحـدة من الرسـالة التي سـببت هذه الحادثة لمرة او مرتين طوال ثماني سنوات في «قسطموني»، وضيعناها في اليوم نفسه. وأنتم الآن تشهرونها بالقوة والإكراه، وقد اشتهرت حقاً.

ومن المعلوم أنه اذا وجـد نقص يوجب الذنـب في رسالة مـا، فـان تلك الكلمـات وحدها تُحذف وتسمح بالبقية، ولقد وجدوا خمس عشرة كلمة فقط هي مدار النقد من بين مائة رسـالة من رسائل النور بعد اجـراء تدقيقات عـليها دامت اربعة اشـهر في محـكمة «اسكي شـهر». ووجدوا فـي صفحـتين فقط مـن بين اربعمـائة صفحـة من مجموعة «ذوالفقار»[١] موضـع نقد بعـدم تلاؤمهـا مع القانون المدني حـيث فيـهمـا تفسـيرالآيات الكريمة الخاصـة بميراث المرأة وحجـابها، ذلك التفـسير الذي كـتب قبل ثلاثين سنة.. كل ذلك يـثبت ان هدف رسـائل النور لـيست الدنيـا، بل الناس كـافـة بحاجة الـيها. فلا تصادر تلك المجـموعة «ذوالفقـار» لأجل تلكما الصفحـتين. ولترفع اذن الصفحتان وتعاد لنا مجموعتنا. نعم من حقنا ان نطالب باعادتها لنا.

أما اذا خلتم الالحاد ضرباً من مـتطلبات السياسة وزعمـتم كما يزعم البعض: انك برسائلك هذه تفسد علينا مدنيتنا وتحول دون تمتعنا بمباهج الحياة وملذاتها.

فأنا اقول: «انه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بلا دين» وهذا دستور عام، معترف به في الدنيا كلها. ولا سيما ان كان هناك كفراً مـطلقاً فانه يسبب لصاحبه عذاباً اشد ايلامـاً من عـذاب جهـنم في الدنيـا نفسـهـا. كـمـا اثبت ذلك بادلة وبراهين لا تقـبل المناقشة في رسـالة «مرشد الشباب»، تلك الرسالة المطبوعة رسمياً، اذ لو ارتد مسلم – والعـياذ بالله – فـانه يقع في الكفـر المطلق، ولن يبق في الكفـر المشكوك الذي يمهل الحياة لصاحـبه الى حد ما. ولا يكون كملاحدة الاجانب ايضـاً. بل من حيث التمتع بملذات الحـياة التي قـد يتـصورها، لا يكـون حظه من ذلك سوى الهـبـوط الى مرتبـة أدنى من مرتبة الحـيوانات بمائة مرة التي لامعنى للماضي والمسـتقبل لديها. وذلك لأن موت الموجـودات السابقـة واللاحقـة وفراقـها الابدي، يتـرك في نفسـه آلاماً مـستـمرة متعاقبة بسبب ضلاله.

(١) تضم هذه المجموعة الرسائل الآتية: المعجزات القرآنية والمعجزات الأحمدية ورسالة الحشر وذيولها. المترجم

أما اذا جاء الايمان ولامس بشاشة القلب وتمكّن فيه، فان اولئك الاصدقاء الذين لا يحصيهم العد سيحيون فجأةً ويقولون بلسان حالهم: نحن لم نمت.. ولم نفن..! وحينئذٍ تنقلب تلك الحالة الجهنمية الى لذائذ فيحاء وروضة غناء.

فما دامت الحقيقية هي هذه، فانني اذكّركم بالآتي:

لا تبارزوا مع رسائل النور المستند الى القرآن الكريم فانها لا تُغلب. وإلاّ سيكون امر هذه البلاد مؤسفاً اذا ما حاول احد طمس نورها (١) وسوف تذهب الى مكان آخر، وتنور ايضاً.

ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفُصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن احني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن اتخلى بحال من الاحوال عن هذه الخدمة الايمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها.

لا شك انه لا ينظر الى نقائص تقع في إفادة معتكف منذ عشرين سنة، ولا يقال أنه خرج عن الصدد، ذلك لأنه يدافع عن رسائل النور، اذ ما دامت محكمة «أسكي شهر» لم تجد غير مادة أو مادتين لرسالة أورسالتين من بين مائة من الرسائل السرية الخاصة والعلنية العامة، اثناء اجراء التدقيق عليها خلال اربعة أشهر، علماً ان المادتين توجبان عقاباً خفيفاً، حتى ان المحكمة حكمت بالسجن لمدة ستة اشهر على خمسة عشرة من المتهمين البالغ عددهم مائة وعشرين شخصاً، ونحن بدورنا قضينا هذا العقاب..

وما دامت جميع اجزاء رسائل النور قد اصبحت في متناول المسؤولين ـ قبل سنوات ـ واعيدت الى اصحابها بعد اجراء التدقيق عليها خلال شهور عدة..

وما دامت لم تظهر اية امارة تمس العدلية والأمن طوال ثماني سنوات في« قسطموني » رغم التحريات الدقيقة..

وما دام قد تحقق لدى هيئة التحريات الاخيرة في « قسطموني » – قبل سنوات – ان بعض الرسائل وجدت تحت اكوام الحطب، مما يومي الى عدم نشرها بل فقدانها..

(١) ولعل الزلازل العنيفة التي حدثت اثناء المبارزة تثبت صدق حكم: «سيكون أمر هذا البلاد مؤسفاً». – المؤلف.

وما دام مدير الشرطة في « قسطموني » ومسؤول العدلية قد وعداني وعداً قاطعاً باعادة الكتب المخفية لي وقبل استلامي لها ساقوني في اليوم التالي بمجرد مجيئ امر التوقيف من « اسپارطة »..

ومادامت محكمتا « دنيزلي وانقرة » قد برأتا ساحتنا واعادتا الينا جميع الرسائل..

فلا بد وبناء على هذه الحقائق الست ومن مقتضى واجب محكمة « دنيزلي » ومدعيها العام كما هو من واجب عدلية «آفيون » ومدعيها العام اخذ جميع حقوقي المهمة بنظر الاعتبار. فأنا على امل ان المدعي العام الذي يدافع عن الحقوق العامة سيدافع عن حقوقي الشخصية التي اصبحت بمثابة الحقوق العامة لمناسبة رسائل النور. بل انتظر ذلك منه.

ان سعيداً الجديد الذي انسحب من ميدان الحياة الاجتماعية منذ اثنتين وعشرين سنة، ويجهل القوانين الحاضرة واصول الدفاع الحالية، والتي قدم مائة صحيفة من الدفاع المبرهن ببراهين لا تجرح والذي قدّمها سابقاً الى محكمتي « اسكي شهر ودنيزلي » وقاسى جزاء تقصيراته الى ذلك الوقت. ومن بعده في « قسطموني » وفي « اميرداغ » حيث قضى حياته فيما يشبه السجن المنفرد وتحت الرقابة الدائمة.. اقول ان هذا السعيد الجديد وأمره هذا، يؤثر جانب الصمت ويدع الكلام لسعيد القديم.

يقول سعيد القديم:

لما كان سعيد الجديد قد اعرض عن الدنيا ولا يتكلم مع اهلها ولا يجد مبرراً للدفاع الاّ اذا اضطر الى ذلك. الاّ ان المسألة تمس الكثيرين من الابرياء من الفلاحين واصحاب الاعمال حيث يعتقلون بمناسبة علاقتهم الواهية معنا، وتصيب اعمالهم الكساد لعجزهم عن تدارك حاجات اهليهم واطفالهم في موسم العمل هذا.. ان هذا الأمر قد مسّ وجداني مساً قوياً وابكاني من الاعماق.

لذا اقسم بالله العظيم انه لو كان باستطاعتي ان آخذ على عاتقي جميع مشاق اولئك لأخذتها، فالذنب كله يعود لي – ان كان هناك ذنب – وهم ابرياء اصلاً. فلأجل هذه الحالة المؤلمة، على الرغم من سكوت سعيد الجديد اقول:

لما كـان سعيـد الجديد يجيب عن مـائة من الاسئلـة التافـهة لـلمدعين العـامين ـ لولايتي اسپارطة ودنيزلي وآفيون ـ فأنا كذلك من حقي ان أسأل ثلاثة اسئلة من وزير الداخلية التي يرأسها شكري قايا، وأسأل من وزارة العدل الحاضرة. والأسئلة هي:

السؤال الاول:

بأي قانون يجري توقيفي وتوقيف مائة وعشرين شخصاً معي، جراء مشادة كلامية لم تفض الى حادثة، جـرت بين شخص اعتيـادي من «اگريدر» وهو ليس من طلاب النور وبين عريف شـرطة (چاويش) لمجرد ان وجد بحـوزته احد مكاتيبي الاعتيادية، ومن ثم اجـراء التحـقـيق عليـه من قبل المحكمـة في اربعـة أشهـر، ومن بعـد ذلك ابراء ساحة الجميع سوى خمسة عشرة شخصاً من الضعفاء المساكين، مع إلحاق ضرر مالي لأكثر من مائة شخص باكثر من ألف ليرة؟.

تُرى بأي أصل من اصـول القانون يمكن جـعل الامكانات والاحـتمـالات بدلاً عن الوقوعات؟ وعلى وفق اي دستـور يتم اضرار سبعين شخصاً من «دنيـزلي» ضرراً مالياً يقدّر بالوف الليرات بعد ان كسبوا البراءة؟

السؤال الثاني:

الدستور الالهي هو﴿ **ولاتزر وازرة وزر اخرى** ﴾ (الانعام:١٦٤) وان وجود رسـالة صغيرة قد حظرنا نشرها، ولم احصل عليـها خلال ثماني سنوات سوى مرة او مرتين، وقد كـتب اصلها قـبل خمس وعـشرين سنة وهي التي تنقـذ الايمان من الشبـهات في نقاط مـهمة فيـها، وتنجي المرء من الوقوع في انكـار الاحاديث المتشابهـة.. اقول: ان حصول هذه الرسالة الصـغيرة لدى رجل لا نعرفه وفي مكان بعيـد عنا، ومنحها معنىً مغايراً لها، ووجدان مكتوب في «كوتاهية» و«باليكسير» ينم عن تعرض طفيف، ثم توقـيفنا جـراء ذلك في شهـر رمضان المبـارك حينهـا وفي هذا الجو الـقارس حاليـاً، مع كثـير من الفلاحين والكسـبة الابرياء، وتوقـيف شخص لمجرد وجـود مكتوب اعتـيادي قـديم لنا بحوزته، أو جـولّني بسيـارته، أو أبدى عـلاقة صـداقة مـعنا، او لقراءته احـد كتبي، وإلحاق ضرر مادي ومعنوي بهم وبالوطن وبالأمة بقدر الوف الليـرات استناداً الى شبـهات تافهة.. أتسـاءل: اي قانون من قوانين العدالة يجـري كل هذا؟ وحسب اية مادة قانونية تنفذ الامور؟ اننا نطالب بمعرفة تلك القوانين لئلا نخطئ في المسير!

نعم، ان حقيقة احد الاسباب التي ادت الى اعتقالنا في كل من « دنيزلي » و «آفيون» هي « الشعاع الخامس». علماً ان هذه الرسالة كتب اصله قبل فترة دار الحكمة الاسلامية بكثير، بنية انقاذ إيمان العوام تجاه المنكرين لطائفة من احاديث نبوية شريفة لجهلهم بمراميها وتأويلاتها، حتى قالوا: لا يطيب لها العقل. ولنفرض فرضاً محالاً ان هذه الرسالة متوجهة الى الدنيا والسياسة، وكتبت في الوقت الحاضر. ولكن لانها رسالة سرية، ولم يعثر عليها عندنا لدى إجراء التحريات، وان ما اخبرت به من امور مستقبلية هي صحيحة، وانها تزيل الشبهات الواردة على الايمان، ولا تمس الأمن والنظام ولا تتعرض لأشخاص معينين، بل تبين حقيقة علمية بياناً كلياً.. اقول: لو فرضنا هذا فرضاً محالاً، فلا يشكل ايضاً ذنباً. وذلك لأنها أخذت بالسرية التامة للحيلولة دون حدوث مناقشة حولها. قبل ان تنشرها وتعلن عنها المحاكم.

ثم ان ردّ شئ ما ورفضه يخالف تماماً عدم قبوله قبولاً علمياً ويباين كلياً عدم العمل به. فتلك الرسالة لا تقبل علمياً النظام الذي سيأتي في المستقبل القريب، بل ترفضه، وهذا لا يشكل ذنباً. ولا نجد احتمال وجود ذنب بمثل هذا في قوانين العدالة في العالم كله.

حاصل الكلام: ان الكفر المطلق يبيد الحياة الابدية ويحول الحياة الدنيوية الى سّم زعاف ويمحي لذتها ومتعها.. فرسائل النور منذ ثلاثين سنة تقطع دابر هذا الكفر. وقد حازت التوفيق في دحرها المفهوم الكفري الرهيب الذي يحمله الماديون الطبيعيون، وتثبت ببراهين ساطعة دساتير سعادة هذه الامة في حياتيها، وتستند الى حقيقة القرآن السامية. فرسائل هذا شأنها لوكانت لها ألف نقص ونقص – وليست مسألة او مسألتين – تترجح حسناتها التي تفوق الالوف على نقائصها بل تذهبها. نحن ندّعي هذا ومستعدون للاثبات.

السؤال الثالث:

من المعلوم انه لو شوهدت خمس كلمات غير مستساغة قانوناً في مكتوب يحمل عشرين كلمة فان تلك الكلمات الخمس تحذف وتسمح بالاخريات. ولقد تُوهّم في خمس عشرة كلمة وهماً ظاهرياً على انها تحمل ذنباً، وذلك في محكمة

« اسكي شهر » بعد اجراء التدقيق عليها لمدة اربعة اشهر. ولم تجد هيئة الوكلاء في مجموعة « ذوالفقار » البالغة اربعمائة صفحة ما يخالف القانون الحالي سوى صفحتين فقط، لا تلائمان القوانين الحاضرة. علماً ان الصفحتين لم تتعرضا الاّ لتفسير آيتين كريمتين كتب قبل ثلاثين سنة، وان خبراء « دنيزلي » و « آنقرة » لم يجدوا الاّ خمسة عشر سهواً في رسائل النور، التي اصبحت وسيلة لاصلاح مئات الالوف من الناس الى الآن، وحققت للبلاد والامة الفاً من المنافع..

ثم ان اخذ عائلة « چالشقان » الى التوقيف في موسم العمل هذا وفي عز الشتاء القارس مع ايّ مبدأ يتلائم من مبادئ الجمهورية؟ وايّ قانون من قوانينها يجيزه؟ علماً بان كل ما قامت به هذه العائلة هي انها قدمت خدمات بسيطة للرسائل واستنسخوها لانقاذ ايمانهم وعاونوني في غربتي في « امير داغ » اشفاقاً على شيخوختي وابتغاء لوجه الله.

وما دامت مبادئ الجمهورية لا تتعرض للملاحدة، وفقاً لمبدأ حرية الضمير والوجدان، فمن الأولى والأحق ان لاتتعرض لأولئك الذين لا علاقة لهم بالدنيا، ولا يجادلون مع اهلها، ويعملون لآخرتهم وايمانهم ووطنهم بشكل نافع. كما لا ينبغي ولا يحق لأرباب السياسة الذين بيدهم السلطة في آسيا التي تشرفت بالانبياء ان يحملوا الشعب على التخلي عن الصلاح والتقوىٰ اللذين هما بمثابة الغذاء والعلاج من الحاجات الضرورية لهذه الامة منذ الف عام.

انه من مقتضى الانسانية الصفح عن تقصيرات ترد ضمن اسئلة من قضى عشرين سنة من عمره مكتعفاً منزوياً عن الناس تلك التي يسألها بعقل سعيد القديم قبل عشرين سنة.

انني اذكركم بالآتي لمنفعة الامة والأمن وكواجب من واجباتي الوطنية:

ان اعتقال او محاولة الاساءة الى اولئك الذين لهم علاقة واهية بنا وبرسائل النور، قد يدفع بالكثيرين ممن لهم منافع ايجابية للوطن والنظام ان يتحولوا الى أناس معادين للادارة، ويفسح المجال للفوضى والارهاب.

نعم، ان عدد الذين انقذوا ايمانهم برسائل النور، واندفع بها خطرهم عن المجتمع، بل اصبحوا اعضاء نافعين ايجابيين يزيد كثيراً على مائة الف شخص. وهم يشغلون مناصب رفيعة في كل دائرة من دوائر الحكومة الجمهورية، ويمثلون مختلف طبقات الناس، وهم يعملون بتفانٍ واخلاص كاملين وعلى اتم وجه من الصدق والنفع والاستقامة.. فالانصاف يقتضي اذاً حماية هؤلاء ومساندتهم لا محاولة الاساءة إليهم.

ان فريقاً من الموظفين الرسميين الذي ضربوا صفحاً عن الانصات الى شكوانا ولم يسمحوا لنا بالكلام ويتذرعون بمختلف الحجج والادعاءات الزائفة في مضايقتنا ليحملوننا على الاعتقاد، اعتقاداً قوياً، بأنهم بتصرفهم هذا انما يفسحون المجال للفوضى في البلاد.

ثم اني اقول باسم مصلحة الحكومة:

ما دامت محكمتا «دنيزلي وانقرة» لم يتعرضا «للشعاع الخامس» بعد اجراء التدقيق عليه واعيد الينا. فمن الضروري للادارة الاّ تقحمه في امور رسمية ثانية فتجعل منه موضع نقاش.

فكما اننا قد اخفينا تلك الرسالة قبل ان تحصل عليها المحكمة وتعلن عنها. فعلى محكمة «آفيون» الاّ تجعل منها مدار سؤال وجواب. لأن تلك الرسالة قوية، لا تردّ. وقد اخبرت عن حوادث قبل وقوعها، ووقعت كما اخبرت. فضلاً عن انها لا تستهدف امور الدنيا. وكل ما في الامر أن احد معانيها الكثيرة توافق رجلاً مات وانتهى امره[1]. فلقد حملني وجداني أن اذكركم لمصلحة البلاد والامة ولأجل صيانة الامن والنظام والادارة بالآتي:

لا يدفعنكم التعصب لذلك الرجل الميت الى اقحام ذلك الخبر الغيبي والمعنى الوارد في تلك الرسالة في امور رسمية فانها تفسح المجال لزيادة الاعلان عنها.

* * *

(١) المقصود مصطفى كمال:– المترجم.

الى السادة رئيس محكمة افيون والمدعي العام والاعضاء

اقدم لكم هنا نص الدفاع الذي كنت قد قدمته الى المراجع العدلية في « دنيزلي » والذي اشتمل على تسعة اسس.

انني – كما تعلمون – شخص قد ترك الحياة الاجتماعية ولاسيما الحياة الرسمية والسياسية التي لها نواح دقيقة. لذا فانني لا اعلم ما يجب عليّ عمله حيالها، ولا افكر في ذلك، اذ ان التفكير فيه يؤلمني ألماً شديداً، ولكني مضطر الى ان ادرج دفاعي هذا لانني تعرضت في محكمة سابقة الى اسئلة متكررة عديدة لا داعي لها من شخص لايتصف بالانصاف، وهذا الدفاع (الذي يعد بمثابة خاتمة للاجوبة التي قدمتها آنذاك) قد يخرج احياناً عن الصدد، وقد يكون فيه تكرار لالزوم له، وقد يخلو من النظام والاتساق، وقد يحوي على عبارات عنيفة يمكن ان تستغل ضدي، او جملاً تخالف بعض القوانين الجديدة التي لااعرفها، ولكن مادام هذا الدفاع يتوجه نحو الحقيقة ويستهدفها لذا يمكن التجاوز عن جوانب القصور هذه من اجل الحقيقة. ان دفاعي كان يستند الى تسعة اسس:

الاول:

مادامت حكومة الجمهورية لاتتعرض لاهل الالحاد ولاهل السفاهة وذلك تحت شعار حرية الوجدان السارية في الجمهورية، لذا فان عليها – من باب اولى – الاّ تتعرض لأهل الدين ولاهل التقوى.. ومادامت أية امة لاتستطيع العيش دون دين، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان امم قارة اسيا لاتشبه امم اوروبا من ناحية الدين، وان الاسلام لايشبه النصرانية من زاوية الحياة الشخصية والحياة الاخروية فالمسلم الملحد لايشبه الملاحدة الآخرين. لذا اصبح هذا الدين حاجة فطرية في اعماق هذه الامة التي نورت ارجاء الدنيا منذ الف عام بدينها وبدفاعها البطولي عن تمسكها بهذا الدين تجاه جميع غارات العالم وهجومه عليه. وليس هناك اي تقدم واية مدنية تستطيع الحلول محل تعلم الصلاح والدين وحقائق الايمان في نفس هذه الامة.. لاتستطيع ان تحل محله ولا ان تنسيها اياه: اذن فان على اية حكومة تحكم امة هذا

الوطن وتأخذ العدالة والأمن بنظر الاعتبار ألا تتعرض لرسائل النور، ويجب الاّ يسوقها احد الى ذلك.

الاساس الثاني:

هناك فرق كبير بين ان ترفض وترد شيئاً ما وبين الاّ تعمل بذلك الشئ. ففي كل حكومة هناك جماعة معارضة لها بشدة، فقد يكون هناك جماعة مسلمون تحت حكم مجوسي، وقد يكون هناك يهود او نصارى تحت حكم اسلامي كما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومع ذلك تصان الحرية الشخصية لمن لايخل بالامن ولايتعرض لادارة الحكومة، فالحكومات يهمها الظاهر ولاتنقب ما في داخل القلوب. علماً بان اي شخص يروم التعرض للامن وللسياسة ولادارة الدولة لابد ان يطالع الجرائد ويتتبع ما يجري في الدنيا من احداث لكي يحيط علماً بالتيارات وبالاوضاع المساعدة لها، لكي لايخطأ في تصرفه ولاتزل قدمه. اما رسائل النور فقد منعت طلابها عن هذا منعاً باتاً، حتى ان اصدقائي المقربين يعلمون بانني ومنذ خمسة وعشرين سنة تركت الجرائد ولم اسأل ولم استفسر عن اية جريدة ولم يكن لدي فضول او رغبة فيها فضلا عن قراءتها. واما الآن فلا اعرف (ومنذ عشر سنوات) اي شئ عن اخبار العالم واوضاعها سوى عن هزيمة الالمان وانتصار البلاشفة.. الى هذه الدرجة منعتني رسائل النور وابعدتني عن الحياة الاجتماعية. اذن فمن المفروض ومن الواجب ان تمنع حكمة الحكومة وقانون السياسة ودستور العدالة التعرض لي او لاخواني من امثالي، وكل من يتعرض لايفعل ذلك الاّ تحت تأثير اوهامه او احقاده او عناده.

الاساس الثالث:

لقد اضطررت الى تقديم الشرح الطويل التالي جواباً على اعتراضات خاطئة لامعنى لها ولا ضرورة لها، التي قدمها المدعي العام في المحكمة السابقة حول ماجاء في «الشعاع الخامس». ولم يكن هذا المدعي يستند الى مادة في القانون، بل الى حب وتعصب لشخص ميت.

اولاً: لقد كنا نحتفظ بـ«الشعاع الخامس» بشكل سري قبل ان تقع هذه الرسالة في يد الحكومة، ورغم التحريات التي اجريت لم تعثر الحكومة عندي على نسخة

منها. ولم تكن غاية هذه الرسالة الآ انقاذ ايمان العوام وازالة شبههم وانقاذهم من رد وانكار بعض الاحاديث المتشابهة. ولم تلتفت هذه الرسالة الى شؤون الدنيا الآ بالدرجة الثالثة او الرابعة وكشيء عرضي. علماً بان ما اخبرته كان صحيحاً ولم تتعرض لاهل السياسة ولاهل الدنيا ولم تخاصمهم او تبارزهم، بل اكتفت بسوق الاخبار دون ان تعيّن الاشخاص او ان تسمي المسميات، بل تبين حقيقة حديث نبوي بشكل كلي وعام. ولكنهم قاموا بتطبيق هذه الحقيقة على شخص مدهش عاش في هذا العصر فانطبقت عليه تماماً، لذا فقد اظهروا اعتراضهم لانهم حسبوا ان هذه الرسالة أُلفت في هذه السنوات، علماً بان تاريخ هذه الرسالة اقدم من تاريخ انتسابي الى «دار الحكمة الاسلامية» ولكنها نسّقت فيما بعد ودخلت ضمن رسائل النور، واليكم التفاصيل:

قدمت الى استانبول قبل اربعين سنة، اي قبل عام واحد فقط من اعلان الحرية[1]، وكان القائد الياباني العام آنذاك قد وجّه الى علماء الاسلام بعض الاسئلة الدينية، فتوجه علماء استانبول بهذه الاسئلة اليّ كما طرحوا عليّ اسئلة اخرى عديدة بهذه المناسبة، ومن ضمن هذه الاسئلة ماورد في احد الاحاديث الشريفة انه:

(يصبح شخص رهيب في آخر الزمان وقد كتب على جبينه: هذا كافر) فقلت:

سيتولى امر هذه الامة شخص عجيب، ويصبح وقد لبس قبعة على رأسه، ويكره الناس على لبسها. فسألوني بعد هذا الجواب:

ألا يكون من يلبسها آنذاك كافراً؟ قلت:

عندما تستقر القبعة على الرأس ستقول: لاتسجد، ولكن الايمان الموجود في الرأس سيرغم تلك القبعة الى السجود ان شاء الله، وسيدخلها الاسلام.

ثم قالوا:

وسيشرب هذا الشخص ماءً وستنثقب يده، وعند ذلك سيعلم الجميع انه «السفياني»

---

(١) اعلان الحرية: المقصود منه الاعلان الثاني للدستور، اى المشروطية الثانية وتم ذلك سنة ١٩٠٨ من قبل السلطان عبد الحميد الثاني. — المترجم.

فاجبتهم:

هناك مثل يضرب للمسرف فيقال عنه: ان يده مثقوبة وكفه منخرقة، اي ان المال لايبقى في يده، بل يسيل ويضيع.

وهكذا فان ذلك الشخص المدهش والعجيب سيبتلى بالادمان على الخمر (وهو سائل) وسيمرض جراء هذا الادمان مما سيقوده الى اسرافات لاحدود لها، وسيعوّد غيره ايضاً على الاسراف.

فسأل احدهم:

عندما يموت هذا الشخص سيهتف الشيطان في منطقة «ديكيلي طاش» في استانبول للدنيا ان فلاناً قد مات.

فقلت له آنذاك:

«سيعلن هذا النبأ عن طريق البرقيات». ولكني عندما سمعت فيما بعد باختراع الراديو علمت ان جوابي القديم لم يكن تاماً.. وقلت بعد ثماني سنوات عندما كنت في دار الحكمة:

«سيتم اعلان النبأ الى العالم اجمع بوساطة الراديو».

ثم سألوا اسئلة عديدة حول سد ذي القرنين ويأجوج ومأجوج وحول دابة الارض والدجال وعن نزول عيسى عليه السلام، فاجبت عنها، حتى ان قسماً من هذه الاجوبة ادرج في بعض مؤلفاتي القديمة.

بعد مدة ارسل مصطفى كمال رسالتين بالشفرة الى صديقي تحسين بك الذي كان آنذاك والياً على مدينة «وان» يستدعيني الى «انقرة» لكي يكافئني على قيامي بنشر رسالة «الخطوات الست»[1] فذهبت اليها. فعرض عليّ تعييني في وظيفة الواعظ العام في الولايات الشرقية براتب قدره ثلاثمائة ليرة في محل الشيخ السنوسي وذلك لعدم معرفة الشيخ اللغة الكردية، وكذلك تعييني نائباً في مجلس المبعوثان

(١) في تلك الفترة كانت هناك حكومتان: حكومة الخلافة في استانبول تحت الاحتلال الانكليزي. وحكومة منشقة في انقرة برئاسة مصطفى كمال تقاتل دول الاحتلال. وكان الاستاذ النورسي في استانبول آنذاك فنشر هناك هذه الرسالة الموجهة ضد احتلال الانكليز ودحض سياستهم، وكان لها وقع كبير آنذاك. - المترجم.

(المجلس النيابى) وفي رئاسة الشؤون الدينية مع عضوية في « دار الحكمة »، وكان يريد بذلك ارضائي وتعويضي عن وظيفتي السابقة، وكان السلطان رشاد قد خصص تسعة آلاف ليرة ذهبية لانشاء مدرسة الزهراء — التي كنت قد وضعت اسسها — ودار الفنون في مدينة « وان » فقرر مجلس المبعوثان زيادة هذا المبلغ الى مائة وخمسين الف ليرة ورقية حيث وقّع ثلاث وستون ومائة نائباً من بين اعضاء المجلس البالغ عددهم مائتي نائب بالموافقة على ذلك.

ولكني عندما لاحظت ان قسماً مما جاء من الاخبار في المتن الاصلي لرسالة « الشعاع الخامس » ينطبق على شخص شاهدته هناك، فقد اضطررت الى ترك تلك الوظائف المهمة، اذ اقتنعت بان من المستحيل التفاهم مع هذا الشخص او التعامل معه او الوقوف امامه، فنبذت امور الدنيا وامور السياسة والحياة الاجتماعية، وحصرت وقتي في سبيل انقاذ الايمان فقط. ولكن بعض الموظفين الطاغين والبعيدين عن الانصاف استكتبوني رسالتين او ثلاث من الرسائل المتوجهة الى الدنيا ثم قمت ـ نزولاً عند رغبة بعض الذوات ـ بجمع وتنظيم اصول تلك الرسائل القديمة بمناسبة الاسئلة المتعلقة بالاحاديث النبوية المتشابهة حول علامات يوم القيامة حيث اخذت هذه الرسالة اسم « الشعاع الخامس » من رسائل النور. وان ارقام رسائل النور ليست مطردة مع ترتيب او تسلسل تأليفها، فالمكتوب الثالث والثلاثون مثلاً ألّف قبل المكتوب الاول، كما ان اصل « الشعاع الخامس » هذا مع بعض اجزاء رسائل النور تم تأليفها قبل رسائل النور. على اية حال فان تعصب المدعي العام لمصطفى كمال وصداقته له — وهو يشغل مثل هذا المقام — ادّى الى اسئلة واعتراضات غير قانونية وغير ضرورية وخاطئة مما ساقني الى تقديم هذه الايضاحات الخارجة عن الصدد، وانا ابين هنا احد اقواله كمثال على كلامه المشوب بالمزاج الشخصي الخارج عن القانون.

قال: ألم تندم من قلبك بما اوردته في « الشعاع الخامس »؟ ذلك لانك قمت باهانته وتحقيره عندما قلت عنه: انه اصبح مثل قربة الماء من كثرة شربه الخمر والشراب.

وانا اقول جواباً لتعصبه الذميم والخاطئ تماماً الناشئ من صداقته له:

لايمكن اسناد شرف انتصار الجيش البطل اليه وحده، ولكن تكون له حصة معينة فقط من هذا الانتصار. فمن الظلم ومن الخروج على العدالة بشكل صارخ اعطاء غنائم الجيش وامواله وارزاقه الى قائد واحد.

وكما قام ذلك المدعي العام البعيد عن الانصاف باتهامي لكوني لا احب ذلك الشخص ذا العيوب الكثيرة، الى درجة انه وضعني موضع الخائن للوطن، فانني اتهمه ايضاً بعدم حبه للجيش، ذلك لانه عندما يعطي الى صديقه ذاك كل الشرف وكل المغانم المعنوية فانه يكون بذلك قد جرد الجيش من الشرف، بينما الحقيقة هي وجوب توزيع الامور الايجابية والحسنات والافضال على الجماعة وعلى الجيش، اما الامور السلبية والتقصيرات والتخريبات فيجب توجيهها الى القيادة والى الرأس المدبر والى الممسك بزمام الامور. ذلك لان وجود اي شئ لايتحقق الا بتحقق جميع شرائط واركان الوجود، والقائد هنا شرط واحد فقط من هذه الشروط. اما انتفاء اي شئ وفساده فيكفي له عدم وجود شرط واحد او فساد ركن واحد فقط. لذا يمكن عزو ذلك الفساد الى الرأس المدبر والى الرئيس لان الحسنات والامور الجيدة تكون عادة ايجابية ووجودية. فلايمكن حصرها على من هم في رأس الدولة. بينما السيئات والتقصيرات عدمية وتخريبية ويكون الرؤساء هم المسؤولون عنها. ومادام هذا هو الحق وهو الحقيقة فكيف يمكن ان يقال لرئيس عشيرة قامت بفتوحات: «احسنت ياحسن آغا»؟ واذا غُلبت تلك العشيرة وجهت الى افرادها الاهانة والتحقير؟.. ان مثل هذا التصرف يكون مجانباً للحق تماماً ومعاكساً له.

وهكذا فان ذلك المدعي العام الذي قام باتهامي قد جانب الحق والحقيقة وجانب الصواب، ومع ذلك فهو بزعمه قد حكم باسم العدالة.

وعلى مثال خطأ هذا الشخص فقد جاءني قبيل الحرب العالمية السابقة في مدينة «وان» بعض الاشخاص المتدينين والمتقين وقالوا لي:

«هناك بعض القواد تصدر منهم اعمال ضد الدين. فاشترك معنا لاننا سنعلن العصيان عليهم».

قلت لهم:

« ان تلك الاعمال اللادينية وتلك السيئات تعود الى أمثال اولئك القواد. ولايمكن ان نحمّل الجيش مسؤوليتها، ففي هذا الجيش العثماني قد يوجد مائة الفٍ من اولياء الله. وانا لا استطيع ان امتشق سيفي ضد هذا الجيش، لذا لا استطيع ان اشترك معكم». فتركني هؤلاء، وشهروا اسلحتهم، وكانت النتيجة حدوث واقعة « بتليس »[1] التي لم تحقق اي هدف. وبعد قليل اندلعت الحرب العالمية، واشترك ذلك الجيش في تلك الحرب تحت راية الدين ودخل حومة الجهاد، فارتقت منه مئات الالاف من الشهداء الى مرتبة الاولياء، فقد وقعوا بدمائهم على شهادات الولاية. وكان هذا برهاناً وتصديقاً على صحة سلوكي وصواب تصرفي في تلك الدعوى.

على اية حال.. لقد اضطررت الى الاطالة قليلاً وقد ساقتني اليها تصرفات المدعي العام العجيبة والمتسمة بالاهانة تجاهي وتجاه رسائل النور، مع ان من الواجب عند من يتكلم باسم العدالة الاّ يسمح لأية عواطف شخصية ولا لأية مؤثرات خارجية بالتأثير عليه وجرّه الى الخطأ وان كان جزئياً او الى عدم الحياد والى الحكم بانفعالات شخصية ونفسية.

الاساس الرابع:

بعد ان قامت محكمة « اسكي شهر » بتدقيق مئات الرسائل والخطابات طوال اربعة اشهر، اعطت حكماً بالسجن ستة اشهر لخمسة عشر شخصاً فقط من بين مائة وعشرين متهماً. اما بالنسبة لي فقد حكم عليّ بالسجن سنة واحدة. فمع انهم دققوا مائة رسالة (من رسائلي) فلم يجدوا فيها شيئاً سوى خمس عشرة كلمة في رسالة او في رسالتين. وصدر القرار ببراءتي في مسائل تشكيل الطرق الصوفية والجمعيات السياسية وفي موضوع القبعة، وقد قضينا مدة الحكم في السجن. وبعد ذلك وفي « قسطموني » لم يجدوا شيئاً لادانتي مع انهم تحروا وبحثوا وفتشوا كثيراً ولعدة مرات. وقبل سنوات وضعت الحكومة يدها في « اسپارطة » على جميع اجزاء رسائل

---

[1] (١) عصيان قامت به العشائر الكردية المحيطة بمدينة بتليس ضد حكم الاتحاد والترقي قبيل الحرب العالمية الاولى. — المترجم.

النور بلا استثناء، العلنية منها والسرية الخاصة، وبعد تدقيق هذه الرسائل لمدة ثلاثة اشهر اعادتها الى اصحابها. وبعد عدة سنوات بقيت جميع الرسائل تحت تدقيق محكمة « دنيزلي » ومحكمة « انقرة » لمدة سنتين، ثم اعيدت جميعها الينا. اذن فما دامت هذه هي الحقيقة فان القيام باتهامي واتهام رسائل النور وطلبة رسائل النور من قبل اناس يتكلمون باسم القانون ولكنهم يتصرفون بحقد ويلوموننا تحت تأثير اهواء ومشاعر شخصية وبشكل غير قانوني، لايعني اتهامنا فقط بل يعني قبل ذلك اتهام محكمة « اسكي شهر » وكذلك اتهام محكمة « قسطموني » واتهام موظفي الامن في تلك الولاية، ويعني ايضاً اتهام جهاز العدالة في « اسپارطة » وكذلك محكمة « دنيزلي » ومحكمة الجنايات الكبرى في انقرة، اي انهم يقومون باشراك كل هذه المؤسسات معنا في الذنب (ان كان لنا اي ذنب). لانه لو كان لنا اي ذنب فمعنى ذلك ان الجهات الامنية في تلك الولايات الثلاثة او الاربعة لم تستطع ان ترى شيئاً رغم مراقبتها الدقيقة، او انها رأت ولكنها اغمضت عيونها، كما ان تلك المحكمتين لم تستطيعا معرفة ذلك مع قيامهما بالفحص الدقيق طوال سنتين او انهما لم يقرآ باهتمام. اذن فان هذه الجهات تكون هي المتهمة اكثر مما نكون نحن. هذا علماً بانه لو كانت لدينا رغبة في التوجه الى الامور الدنيوية، لما كان الصوت الصادر منا مثل طنين الذباب، بل لكان صوتاً هادراً كدويّ المدافع.

اجل ان رجلاً دافع بكل شدة وصلابة دفاعاً مؤثراً ودون خوف او وجل امام المحكمة العرفية العسكرية التي انعقدت بسبب احداث ٣١ مارت[١]، وفي مجلس المبعوثان دون ان يبالي بغضب مصطفى كمال وحدّته.. كيف يتهم هذا الشخص بانه يدير سراً خلال ثماني عشرة سنة ودون ان يشعر به احد مؤامرات سياسية؟ ان من يقوم بمثل هذا الاتهام لاشك انه شخص مغرض. وكما املنا من المدعي العام لمحكمة « دنيزلي » فاننا نأمل من المدعي العام لمحكمة « افيون » ان ينقذنا من اعتراضات هؤلاء المغرضين ومن احقادهم، وان يُظهر وجه العدالة وحقيقتها.

(١) حوادث ٣١مارت: هي حركة تمرد في الجيش عام ١٩٠٩م تسببت في اندلاعها جماعة الاتحاد والترقي واتهموا السلطان عبد الحميد باثارتها كمبرر لعزله، مع ان السلطان نفى هذا الاتهام وطلب تشكيل لجنة تتقصى الحقائق الا ان الاتحاديين رفضوا ذلك وعزلوا السلطان(المترجم).

الاساس الخامس:

ان من الدساتير الاساسية لطلبة النور هو عدم التعرض قدر الامكان للسياسة ولأمور الحكومة وشؤونها واجراءاتها، ذلك لان القيام بخدمة القرآن باخلاص يكفيهم ويغنيهم عن اي شئ آخر. ثم ان الداخلين الآن ساحة السياسة مع وجود تيارات قوية سائدة لايستطيع احد منهم ان يحافظ على استقلاليته وعلى اخلاصه، لان تياراً من هذه التيارات سيجره اليه ويجعله يعمل لحسابه ويستغله في مقاصده الدنيوية، مما يؤدي الى الاخلال بقدسية عمله وخدمته. ثم ان اشد انواع الظلم مع اشد انواع الاستبداد قد اصبحا دستوراً وقانوناً من قوانين الصراع والنزاع المادي في هذا العصر، وهذا يعني ان كثيراً من الابرياء يذهبون ضحية خطأ فرد واحد، او يقع هذا الفرد مغلوباً على امره. عند ذلك يتوهم من هجر دينه من اجل دنياه او جعل دينه وسيلة لدنياه ان حقائق القرآن المقدسة – التي لاينبغي ان تستغل لاي شئ – قد تم استغلالها في ساحة الدعاية السياسية. ثم ان افراد الامة بجميع طبقاتها.. المعارضين منهم او المؤيدين، الموظفين منهم او العامة.. جميعهم لهم حصة في تلك الحقائق القرآنية وهم بحاجة اليها، لذا كان على طلبة النور ان يبقوا محايدين تماماً، وكان من الضروري لهم عدم الخوض في السياسة وفي الصراع المادي وعدم الاشتراك فيه.

الاساس السادس:

لايجوز التهجم على رسائل النور بحجة وجود قصور في شخصي او في اشخاص بعض اخواني، ذلك لان رسائل النور مرتبطة بالقرآن مباشرة، والقران مرتبط بالعرش الاعظم. اذن فمن ذا يجرأ ان يمد يده الى هناك، وان يحل تلك الحبال القوية؟ ثم ان رسائل النور لايمكن ان تكون مسؤولة عن عيوبنا وعن قصورنا الشخصي، لايمكن هذا ولايجوز ان يكون ابداً، حيث ان بركتها المادية والمعنوية وخدماتها الجليلة لهذه البلاد قد تحققت باشارات ثلاث وثلاثين آية قرآنية وبثلاث كرامات غيبية للامام علي رضي الله عنه وبالاخبار الغيبي للشيخ الگيلاني قدس سره. والا فان هذا البلد سيواجه خسائر واضراراً مادية ومعنوية لايمكن تلافيها.

وسيرتد كيد الاعداء الخفيين لرسائل النور من الملاحدة الى نحورهم وستفشل باذن الله الخطط الشيطانية التي يحوكونها والحملات التي يشنونها عليها. ذلك لان طلبة النور ليسوا مثل الآخرين، فبعون الله تعالى وعنايته لايمكن تشتيتهم ولاحملهم

على ترك دعوتهم ولا التغلب عليهم. ولو لم يكن القرآن مانعاً عن الدفاع المادي فان طلبة النور – الذين كسبوا محبة جماهير هذه الامة وتقديرها، هذا التقدير الذي يعد شيئاً حيوياً جداً في الامة – والذين هم متواجدون في كل مكان، لن يشتركوا في حادثة جزئية كحادثة الشيخ سعيد او حادثة (منمن)[١] اذ لو وقع عليهم – لاسمح الله – ظلم شديد الى درجة الضرورة القصوى وهوجمت رسائل النور فان الملاحدة والمنافقين الذين خدعوا الحكومة سيندمون لامحالة ندماً شديداً..

والخلاصة انه مادمنا لانتعرض لدنيا اهل الدنيا، فيجب عليهم الا يتعرضوا لآخرتنا ولا لخدماتنا الايمانية.

* * *

[ادرج فيما يلي خاطرة قديمة وقصة دفاع لطيفة حول محكمة «اسكي شهر» بقيت مخفية حتى الآن ولم تدرج في المضابط الرسمية للمحكمة كما لم ترد في دفاعي امام تلك المحكمة].

سألوني هناك:

– مارأيك حول النظام الجمهوري؟. فقلت لهم:

– تستطيعون ان تتأكدوا من كتاب «السيرة الذاتية» الموجود لديكم بانني كنت شخصاً متديناً ومن انصار النظام الجمهوري. وذلك قبل ان تأتوا انتم الى الدنيا.. هذا باستثناء رئيس المحكمة المتقدم في العمر. وخلاصة ذلك انني كنت آنذاك منزوياً – كحالي الآن – تحت قبة مقبرة (ضريح) خالية، فكانوا يأتون لي بالحساء، وكنت اقوم باعطاء حبات الحساء الى النمل واكتفي بغمس الخبز في سائل الحساء. سألوني عن السبب فقلت: ان امة النمل وكذلك النحل تعيش في نظام جمهوري، وانا اعطي الحبات للنمل احتراماً لنظامها الجمهوري.

ثم قالوا: انت تخالف بذلك السلف الصالح. فاجبتهم:

– لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه فالصديق الاكبر (رضي الله عنه) كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرة

(١) هي حادثة مفتعلة في الاغلب، دبّرت من قبل حكومة مصطفى كمال اذ ادعت ظهور تمرد اسلامي انطلق من جامع في ناحية «منمن» كان يقوده شخص مختل العقل، وقد تم التنكيل باهالي تلك المدينة بقسوة، واستغلت الحادثة لضرب الشعور الاسلامي – المترجم.

وللصـــحـــابة الكرام. ولـكن ليس تحت عـنوان او شكل فــارغ، بـل كل منهـم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية.

اذن فيا ايها المدعي العام ويا اعضاء المحكمة! انتم تتهمونني الآن بمعاداة فكر كنت أحمله منذ خمسين سنة.

اما ان كان سؤالكم حـول الجمهورية العلمانية فان ما اعلمـه هو ان معنى العلمانية هو البقـاء على الحياد، فكمـا لاتتعرض مـثل هذه الحكومة للملحدين ولاهل السـفاهة بحجـة حرية الضـمير فيـجب الا تتعـرض لاهل الدين ولاهل التقـوى . وانني الآن لا اعلم الاوضـاع السيـاسيـة والاحوال الـتي تعيش فـيهـا الحكومـة الجمـهورية لانني قـد اعتزلت الحياة الاجتماعيـة منذ خمس وعشرين سنة، فان كانت قد دخلت في مرحلة مرعبـة ومذهلة من العمل لحساب الملاحدة وبدأت بسـن القوانين التي تدين من يعمل لآخرته ولايمانه والعياذ بالله فاني اقول لـكم دون خوف او خشيـة انه لو كان لي الف نفس لما ترددت في التضحية بها في سبـيل ايماني وفي سبيل آخرتي واعملوا انتم مابدا لكم، وسيكون آخر كلامي ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾.

ولو قمتم باعدامي ظلماً او بسجني مع الاشغال الشاقة فانني سارد عليكم بقولي:

انني وبفضل ما كشفتـه رسائل النور بصورة قاطعة لن اعدم، بل اسّرح واذهب الى عالم النور والسعادة. اما انتم يا اعـداءنا المتسترين والمتـخفين الذين تسحـقوننا لأجل الضلالة فاقـول لكم بانني متهيئ لكي اسلم الروح باطمـئنان وبراحة قلب. لانني اعلم وارى انه سيحكم عليكم بالاعدام الابدي وبالحبس الانفرادي المؤبد، لذا فان انتقامي منكم سيكون تاماً وكاملاً. هذا ما قلته لهم.

الاساس السابع:

استنـاداً الى بعض التحـقيقـات السطحيـة ــ التي جرت في امـاكن اخرى ــ فـقد اتهمتنا محكمة «آفيون» بالسعي لانشاء جمعية سياسية.

وانا اقول جواباً على هذا:

اولاً : ان جميع من صادقني يشهد بانني لم اقرأ جريدة واحدة منذ تسعة عشرة عاماً ولم استمع اليها ولم أسأل عنها وفي ظرف عشرة اعوام وخمسة اشهر لم اعرف من الاخبار سوى هزيمة المانيا والخطر الشيوعي، لم اعرف اي خبر آخر ولم يكن عندي فضول او رغبة للمعرفة.. اذن فمثل هذا الشخص لايمكن ان تكون له ادنى علاقة بالسياسة ولا الجمعيات السياسية.

ثانياً : ان رسائل النور البالغ عددها مائة وثلاثين رسالة، موجودة كلها في متناول اليد وامام الانظار، وقد اقتنعت محكمة «اسكي شهر» بانه لايوجد في رسائل النور اي هدف آخر واية غاية دنيوية عدا حقائق الايمان، لذا لم تتعرض إلا لرسالة واحدة او لرسالتين. اما محكمة «دنيزلي» فلم تتعرض لاية رسالة، كما ان جهاز الامن الضخم في «قسطموني» بالرغم من قيامه بالترصد والمراقبة الدائمة طوال ثمانية اعوام لم تجد من تتهمه سوى شخصين كانا يعاونانني في شؤوني وثلاثة اشخاص آخرين باسباب واهية، وهذا حجة قاطعة بان طلاب النور لايشكلون باي حال من الاحوال جمعية سياسية. اما ان كان مفهوم الجمعية عند الادعاء العام هو جماعة ايمانية تعمل لآخرتها. فاننا نقول جواباً له: لو قمتم باطلاق تسمية الجمعية على طلاب دار الفنون – الجامعة – وعلى اصحاب كل مهنة من المهن عند ذاك يمكن اطلاق اسم الجمعية – بهذا المفهوم – علينا. اما ان كان المقصود هو جماعة تقوم بالاخلال بالامن الداخلي ببواعث دينية فاننا نرد على ذلك بان عدم تورط طلاب النور طوال عشرين سنة باية حادثة مخلة بالامن الداخلي في اي مكان، وعدم تسجيل اي شئ ضدهم في هذا الخصوص لامن قبل الحكومة ولامن قبل المحاكم، لدليل ساطع على بطلان هذه التهمة. اما ان كنتم تتوهمون ان تقوية المشاعر الدينية ستؤدي في المستقبل الى الاخلال بالامن الداخلي وان هذا هو ما تقصدونه من توجيه تهمة الجمعية الينا فاننا نقول:

اولاً : ان جميع الوعاظ (وعلى رأسهم رئاسة الشؤون الدينية) يؤدون الخدمات نفسها.

ثانياً: ان طلبة النور ليسوا بعيدين فقط عن الاضرار بالامن والاخلال بالاستقرار بل انهم يعملون بكل قواهم وبكل قناعاتهم لحفظ الامة من الفوضى والفتن ويحاولون

بكل جهدهم تأمين الاستقرار والامن، والدليل على هذا هو ما جاء في الاساس الاول اعلاه.

اجل! نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا انقاذ انفسنا اولاً ثم انقاذ امتنا من الاعدام الابدي ومن السجن البرزخي الانفرادي المؤبد ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة ومحافظة انفسنا (بالحقائق القوية الفولاذية الواردة في رسائل النور) من الالحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا وفي الآخرة.

الاساس الثامن:

انهم يقومون بتوجيه التهم الينا استناداً الى بعض الجمل المؤثرة الواردة في رسائل النور واستناداً الى بعض التحقيقات السطحية التي جرت في بعض الاماكن، ونقول نحن جواباً على هذا:

مادامت غايتنا محصورة في الايمان وفي الآخرة وليست في الصراع والنزاع والمبارزة مع اهل الدنيا، ومادام التعرض الجزئي القليل جداً الوارد في رسالة او رسالتين لم يكن مقصوداً من قبلنا. بل ربما ارتطمنا بهم عرضاً ونحن نسير نحو هدفنا، لذا لايمكن عدّه غرضاً سياسيا. ومادامت الاحتمالات والامكانات تعد شيئاً والوقائع شيئاً آخر. ذلك لان الاتهام الموجه ليس في اننا قمنا بالاخلال بالامن بل هو « يحتمل » او من الممكن ان نخل بالامن، وهو اتهام باطل ولامعنى له، ويشبه اتهام اي شخص باقتراف جريمة قتل لان من الممكن ان يقوم بذلك. علماً ان المحاكم في « اسكي شهر » وفي « قسطموني » وفي « اسپارطة » وفي « دنيزلي » لم تستطع العثور (بالرغم من تدقيقها الشديد) على اي دليل اتهام في الاف النسخ من الرسائل والمكاتيب المتبادلة بين عشرات الالاف من الاشخاص طوال عشرين عاماً. ومع ان محكمة « اسكي شهر » لم تعثر على شئ سوى رسالة صغيرة، فاضطرت باستعمال مادة قانونية مطاطة الى إلقاء المسؤولية علينا، ومع انها تصرفت بشكل يدين كل من القى درساً دينياً الا انها مع ذلك لم تستطع الا اصدار الحكم بادانة خمسة عشر شخصاً فقط من بين مائة شخص ولمدة ستة اشهر، ولو افترضنا ان شخصاً مثلنا كان بينكم وتم القيام

بتدقيق عشرين رسالة من رسائله الخاصة التي كتبها في ظرف سنة واحدة.. لو تم هذا الا يمكن العثور في هذه الرسائل على عشرين جملة تضعه في موقف حرج وفي موقف المسؤولية؟ لذا فان العجز عن العثور على عشرين جملة حقيقية تدين صاحبها من بين عشرين الف نسخة من الرسائل والمكاتيب لعشرين الف شخص طوال عشرين سنة برهان قاطع على ان الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة لها بالدنيا.

الاساس التاسع:

لقد سجل في قرار الادعاء لمحكمة «آفيون» المواد التى اوردها المدعى العام المنصف لمحكمة «دنيزلى»، وحكام التحقيق غير المنصفين والسطحيين فى اماكن اخرى – وبدلالة ما عوملنا من معاملات اثناء التحقيق، والمواد هى نفسها وابرزت المكاتيب من دون تاريخ يذكر، والمراسلات التى تمت خلال عشرين او خمس عشرة سنة او عشر سنوات، فتلك المواد اجيبت عنها في الاساس الثالث والسؤال الثانى فى ادعائى، والتى تدور حول الشعاع الخامس والرسائل البالغة مائة وثلاثين رسالة ومكاتيب مرت بالتدقيق في محكمة «اسكى شهر» وقضينا عقابه وشملتها قوانين العفو، وبرأت ساحتها محكمة «دنيزلى» فالآن يحاولون ان يجدوا معاذير واهبة من تلك الرسائل كى تكون مواد اتهام لنا.

فيا ترى ان الذى اخضع بخطاب منه ثمانى كتائب من الجيش في حادثة ٣١ مارت مع انهم لم يعيروا سمعاً لشيخ الاسلام ولا لكلام العلماء. هل يمكن ان يُقنع ويستغفل طوال ثمانى سنوات امثال هؤلاء الرجال فقط؟ فهل يمكن ان يقال انه تمكن فحسب من استغفال خمس رجال فى ولاية عظيمة، ولاية قسطمونى؟

فلقد اخرجتم جميع كتبى والرسائل الخاصة والسرية منها والعلنية فى «قسطمونى» وحوادث «دنيزلى». وبعد اجراء التدقيق عليها – لمدة ثلاثة اشهر – لم يعثروا فى تلك الولاية العظيمة على غير فيضى وامين وحلمى وتوفيق وصادق.

فهؤلاء الخمسة كانوا يعاونوننى في اعمالى الشخصية، ابتغاء وجه الله. وعثروا فى ظرف ثلاث سنوات ونصف السنة فى «اميرداغ» على ثلاثة اصدقاء، وبعثوهم اليّ.

فلو كنت اعمل كما ورد فى تلك التحقيقات السطحية، لكنت استطيع استغفال خمسمائة شخص لا خمسة اشخاص او عشرة، بل لكنت استطيع استغفال خمسة آلاف شخص بل خمسمائة الف.

ابيّن ماقلته فى محكمة «دنيزلى» للحقيقة ولاظهار مدى خطئهم. وادناه اورد نموذجاً او نموذجين منها:

انهم يؤاخذوننا لقيامنا بجمع آيات كريمة من القرآن الكريم تعين على التفكر فى آيات الله – في الكون – تلك التى هِى منبع رسائل النور، وذلك اتباعاً لعادة اسلامية جرت منذ عصر النبوة. وسمينا مجموعة تلك الآيات: «حزب القرآن» أيمكن ان يقال لمن يقوم بمثل هذا العمل: أنهم يحرفون الدين..

ثم انى رغم مقاساتي سنة واحدة من العقاب النازل بي حول رسالة «الحجاب» التى عثروا عليها تحت اكوام الحطب والوقود، وقد استنسخت هذه السنة ونشرت.. نراهم يريدون ادانتنا بها.

ثم اننى لما اعترضت بكلمات قاسية على ذلك الشخص المعروف الذى تولى رئاسة الحكومة بانقرة، فلم يقابلنى بشئ، بل آثر الصمت. الاّ انه بعد موته اظهرت حقيقةُ حديث شريف خطأه –كنت قد كتبته قبل اربعين سنة – فتلك الحقيقة والانتقادات التى كانت فطرية وضرورية واتخذناها سرية، وعامة غير خاصة على ذلك الشخص قد طبقها المدعى العام بحذلقة على ذلك الشخص، وجعلها مدار مسؤولية علينا.

فاين عدالة القوانين التى هى رمز الامة وتذكارها وتجل من تجليات الله سبحانه من خاطر شخص مات وانقطع علاقته بالدولة.

ثم اننا جعلنا حرية الوجدان والعقيدة التى اتخذتها حكومة الجمهورية اساساً لها، مدار استناد لنا. ودافعنا عن حقوقنا بهذه المادة، ولكن اتخذتها المحكمة مدار مسؤولية وكأننا نعارض حرية الوجدان والعقيدة.

وفى رسالة اخرى انتقدتُ سيئات المدنية الحاضرة وبينت نواقصها، فاسند اليّ في اوراق التحقيق شئ لم يخطر ببالى قط، وهو اظهاري بمظهر من يرفض استعمال الراديو(١) وركوب القطار والطائرة . فأكون مسؤلاً عن كونى معارضاً للرقى الحضارى الحاضر.!

فقياساً على هذه النماذج، يمكن تقدير مدى بُعد المعاملة عن العدالة. نأمل الا تهتم محكمة «آفيون» لما ورد فى اوراق التحقيق من اوهام وشبهات كما لم تهتم بها محكمة «دنيزلى» العامة ومدعيها العام المنصف.

واغرب من جميع ماذكر هو: ان الطائرة والقطار والراديو التى تعتبر من نعم الله العظيمة وينبغى ان تقابل بالشكر لله، لم تقابلها البشرية بالشكر فنزلت على رؤوسهم قنابل الطائرات.

والراديو نعمة إلهية عظيمة بحيث ينبغى ان يكون الشكر المقدم لاجله في استخدامه جهازاً حافظاً للقرآن الكريم يُسمع البشرية جمعاء. ولقد قلت فى «الكلمة العشرين» ان القرآن الكريم يخبر عن خوارق المدنية الحاضرة، وبيّنا فيها عند حديثنا عن اشارة من اشارات آية كريمة، بأن الكفار سيغلبون العالم الاسلامي بوساطة القطار. ففى الوقت الذى احث المسلمين الى مثل هذه البدائع الحضارية فقد جعلها بعض المدعين العامين لمحاكم سابقة مدار اتهام لنا وكأننى اعارض هذه الاختراعات.

ثم ان احدهم قال: ان رسالة النور نابعة من نور القرآن الكريم، اى إلهام منه، وهى وارثة، تؤدى وظيفة الرسالة والشريعة. فاورد المدعى العام معنى خطأ فاضحاً ببيانه ما لا علاقة له اصلاً وكأن «رسالة النور رسول» وجعلوا ذلك مادة اتهام لي.

ولقد اثبتنا فى عشرين موضعاً فى الدفاع وبحجج قاطعة: اننا لانجعل الدين والقرآن ورسائل النور اداةً ووسيلة لكسب العالم اجمع، ولاينبغى ان تكون وسائل قطعاً. ولا نستبدل بحقيقة منها سلطنة الدنيا كلها. ونحن فى الواقع هكذا . وهناك الوف من الامارات على هذه الدعوى.

---

(١) لأجل تقديم الشكر لله تجاه نعمة الراديو، وهى نعمة الهية عظمى، فقد قلت: «ان ذلك يكون بتلاوة الراديو للقرآن الكريم كي يُسمع ذلك الصوت الندي الى العالم اجمع فيكون الهواء بذلك قارئاً للقرآن الكريم» – المؤلف.

ولكن يبدو من سير الادعاء لمحكمة «آفيون» وفى قراره المبني على تحقيقات اخرى:

اننا نبتغى الدنيا ولانسعى الاّ لحبك المؤامرات وكسب حطام الدنيا ونجعل الدين اداة لمواد خسيسة تافهة ونعمل على الحط من قيمته.. فيتهموننا على هذا الاساس.

فما دام الامر هكذا فنحن نقول بكل ما نملك :

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

سعيد النورسى

* * *

باسمه سبحانه

تتمة الاعتراض المقدم الى محكمة «آفيون»

ان مخاطبى فى هذا الاعتراض ليس محكمة «آفيون» ولا مدعيها العام، بل اولئك الموظفين العاملين هنا وفى دائرة التحقيقات ممن تساورهم الشكوك والاوهام والاغراض الشخصية فيتخذون مواضع ضدنا مستندين الى تحقيقات ناقصة واخباريات مختلقة استند اليها مدّعون عامون ومخبرون ومتحرون فى اماكن اخرى.

اولاً: ان اطلاق اسم الجمعية – التى لا تخطر على البال – ولا اصل لها اساساً، على طلاب رسائل النور الابرياء الذين ليس لهم اية علاقة بالسياسة. ومن ثم عدّ اولئك المساكين الداخلين لتلك الدائرة ممن ليس لهم غاية غير الايمان والآخرة، انهم ناشرو تلك الجمعية واعضاؤها الفعالون ومن منتسبيها، او جعل الذين قرأوا رسائل النور او استقرأوها او استنسخوها مذنبين ودفعهم الى المحكمة.. كل هذه الامور بُعد واضح عن العدالة.

والحجة القاطعة عليها هى:

ان الذين يقرأون مؤلفات ضارة كالسم الزعاف والتي تهاجم القرآن، كمؤلفات «الدكتور دوزى» وامثاله من الزنادقة، لايعدّون مذنبين حسب دستور حرية الفكر والحرية العلمية، بينما تعدّ ذنباً قراءة وكتابة رسائل النور التى تبين الحقائق القرآنية والايمانية وتعلّمها المحتاجين اليها حاجة ماسة والمشتاقين اليها وتوضّحها لهم وضوح الشمس الساطعة!

ثم انهم اتهمونا على بضع جمل فحسب وردت في رسائل اتخذناها رسائل سرية – لئلا تفسر تفسيراً خاطئاً وذلك قبل الاعلان عنها في المحاكم – علماً ان تلك الرسائل قد دققتها محكمة «اسكى شهر» – سوى واحدة منها – واتخذت

مايستوجب الامر لهـا، ولم تعترض الاّ لمسألة ومسـألتين من رسالة « الحجـاب » وقد اجبت عنهـا في عريضـتى وفى إعتراضى باجـوبة قاطعة. وقلنا: « ان مـا فى ايدينا نور ولا نملك صولجان السياسة » واثبتنا ذلك فى محكمة « اسكى شهر » بعشرين وجهاً.

وان محكمـة « دنيزلي » قد دقـقت جميع الرسـائل دون استثناء، ولم تعـترض على اية رسـالة منها.. ولكـن اولئك المدعين غيـر المنصـفين قد عـمـموا حكـم تلك الجـمل المعتـرض عليهـا التى لا تتجـاوز جملتين او ثـلاث على جميـع الرسائل حـتى صادروا مجـموعة « ذو الفـقار » البـالغة اربعمـائة صفحـة لاجل صفحـات منها فـقط. وجعلوا قارئى الرسائل ومستنسخيها مذنبين، واتهمونى بأننى اعارض الحكومة واتحداها. اننى أُشهد اصـدقائى القريبين منى والذين يقابلوننى اشـهدهم مقسمـاً بالله: اننى منذ اكثر من عشـر سنوات لا اعرف سوى رئيـسين للجمهـورية ونائباً واحـداً فى البرلمان ووالي قسطمونى. فلا اعرف معرفة حقيقة احداً غيرهـم من اركان الحكومة ووزرائها وقوادها وموظفيها ونوابهـا، وليس لى الفضول لمعرفتهم. الاّ ان شخصـاً او شخصين اظهرا قبل سنة علاقة نحوى فعرفت عن طريقهما خمساً او ستاً من اركان الحكومة.

فـهل من الممكن لمن يريد مـبـارزة الحكومـة الاّ يعـرف من يبـارز. ولايتـحرك فـيـه الفضول لمعرفتهم، ولايهتم بمن يواجههم، أهم اعداء ام اصدقاء؟

يفـهم من هذه الاحـوال انهم يختـلقـون معـاذير لا اصل لهـا قطعـاً. فـمادام الامـر هكذا: فاننى اقول لاولئك الظلمة غير المنصفين ولا اخاطب هذه المحكمة:

اننى لا اعيـر اقل اهتمام بما تعتـزمون انزاله بي من عقـاب، مهما بلغت درجـته من الشدة والقسوة. لاننى على عتبة باب القبـر، وفى السن الخامسة والسبعين من عمرى، فـهل هناك سعـادة اعظم من اسـتبـدال مـرتبة الشـهـادة بسنة او سنتين من حـياة بريئـة ومظلومة كهذه؟

ثم اننى مـوقن كل اليقين ولايخـالجنى ادنى شك فى ان الموت بالنسـبة لنا تسـريح وتأشيرة دخول الى عالم الطمـأنينة والسعادة. ولنا آلاف البراهين من رسائل النور على ذلك، وحـتى ان كان الموت اعـدمـاً ظاهرياً لنا فـان مشـقـة ساعـة من الزمـان تتحـول بالنسبة لنا الى سعادة ومفتاح للرحمة وفرصة عظيمة للانتقال الى عالم البقاء والخلود.

اما انتم يا اعداءنا المتسترين ويا اولئك الذين يضللون العدالة في سبيل ارضاء الزندقة ويتسببون في خلق الاوهام الزائفة في اذهان المسؤولين في الدولة لينشغلوا بنا دون داع او سبب.. اعلموا قطعاً، ولترتعد فرائصكم، انكم تحكمون على انفسكم بالاعدام الابدى وبالسجن الانفرادى الدائم. وان انتقامنا يؤخذ منكم اضعافاً مضاعفة، فها نحن اولاء نرى ذلك ونشفق عليكم. ولاشك ان حقيقة الموت التى ظلت تفرغ هذه المدنية مائة مرة الى المقابر، لابد ان تكون لها غاية ومطلب فوق غاية العيش والحياة. وان محاولة الخلاص من براثن ذلك الاعدام الابدى هى قضية فى مقدمة القضايا الانسانية ، بل هى من اهم الضروريات البشرية واشدها إلحاحاً.

فما دامت هذه هى الحقيقة، أفليس من دواعى العجب والغرابة ان يتهم نفر من الناس طلاب رسائل النور – الذين اهتدوا الى ذلك السر وعثروا على تلك الحقيقة – ويلصقوا اتهامات باطلة برسائل النور التى اثبتت تلك الحقيقة نفسها بالاف الحجج والبراهين؟ ان كل من له مسكة من عقل – بل حتى لو كان مجنوناً – يدرك تمام الادراك بان اولئك النفر باتهاماتهم تلك انما يضعون انفسهم موضع الاتهام امام الحقيقة والعدالة.

ان هناك ثلاث مواد توهم بوجود جمعية سياسية لا علاقة لنا بها اصلاً، هى التى خدعت هؤلاء الظلمة.

اولاها: العلاقة الوطيدة التى تربط طلابى منذ السابق، قد اوحت لهم وجود جمعية.

الثانية: ان بعضاً من طلاب رسائل النور يعملون باسلوب جماعى كما هو لدى الجماعات الاسلامية الموجودة فى كل مكان والتى تسمح بها قوانين الجمهورية ولاتتعرض لها؛ لذا ظن البعض فيهم انهم جمعية، والحال ان نية اولئك الافراد القليلين ليس تشكيل جمعية او ماشابهها، بل هى اخوة خالصة وترابط وثيق اخروي بحت.

الثالثة: ان اولئك الظلمة يعرفون انفسهم انهم قد غرقوا فى عبادة الدنيا وضلوا ضلالاً بعيداً ووجدوا بعض قوانين الحكومة منسجمة معهم، لذا يقولون مايدور فى ذهنهم: ان سعيداً ورفقاءه معارضون لنا ولقوانين الحكومة التي تساير اهواءنا، فهم اذن جمعية سياسية.

وانا اقول: ايها الشقاة!

لو كانت الدنيا ابدية خالدة، ولو كان الانسان يظل فيها خالداً، ولو كانت وظائفه منحصرة فى السياسة وحدها، ربما يكون لفريتكم هذه معنى. ولكن اعلموا اننى لو دخلت العمل من باب السياسة لكنتم ترون الف جملة وجملة صيغت باسلوب التحدى السياسي، لا عشر جمل فى رسالة. ولنفرض فرضاً محالاً اننا نعمل - كما تقولون - ما وسعنا لمقاصد دنيوية وكسب متعها الرخيصة والحصول على سياستها - ذلك الفرض الذى لم يحاول الشيطان ان يقنع به احداً - فما دامت جميع وقائعنا طوال عشرين سنة لا تُبرز شيئاً لملاحقتنا، اذ الحكومة تنظر الى كسب الشخص لا الى قلبه، والمعارضون موجودون فى كل حكومة بشكل قوي. فلا شك انكم لا تستطيعون ان تجعلونا فى موضع التهمة بقوانين العدالة.

كلمتى الاخيرة:

﴿حسبى الله لا اله الاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾

سعيد النورسي

* * *

«حادثة غير قانونية»

بعـد براءتنا من محـكمـة «دنيـزلي» ورغم اعتـزالي الناس وانسحابي الى الاعتكاف طوال ثلاث سنوات تاركاً السياسة كلياً، فان هذه الحادثة الجديدة التي افضت بنا الى سجن «آفيون» لاتمت الى القانون بشئ بل غير قانونية بعشرة وجوه:

الاول:

ان رسائل النور قد مرت بثلاث محاكم وثلاث هيئات للخبراء ومن سبع مراجع مسؤولة في «انقرة» وعندكثير من مدققي العدلية في ظرف سنتين.. فاتفقوا كلهم من دون استثناء على براءة جميع الرسائل وبراءة «سعيد» ومن معه من اصدقائه البالغ عددهم خمساً وسبعين. ولم يعاقبوا حتى بجزاء يوم واحد. وعلى الرغم من هذا فان تجاوزهم على تلك الرسائل وكأنها اوراق مخلة بامن البلد، يجعل كل من يملك مسكة من الانصاف ان يدرك مدى خروج الامر عن القانون.

الثاني:

ان الذي ظل في الانزواء والاعتكاف في «اميرداغ» طوال ثلاث سنوات بعد البراءة، وعاش غريباً. حتى ان بابه كان يغلق من الداخل والخارج معاً ولايقبل احداً من الناس لمقابلته الاّ للضرورة القصوى، والذى تخلى حتى عن التأليف الذى كان مستمراً عليه طوال عشرين سنة، يأتي المتحرون ويكسرون قفل الباب ويداهمون غرفته اجراءاً لسياسة دنيوية!.

الثالث:

انه كما قال في المحكمة: ان من لم يهتم باخبار الحرب العالمية – بشهادة سبعين شاهداً – ولم يستفسر عنها، ومازال مستمراً على حاله ولم يقرأ اية صحيفة كانت منذ خمس وعشرين سنة ولم يستمع اليها والذى قال:

«اعوذ بالله من الشيطان والسياسة» منذ ثلاثين سنة، ونفر من السياسة بكل مالديه من قوة، وقاسى ما قاسى من العذاب طوال اثنين وعشرين عاماً.. ولم يراجع ولولمرة واحدة الدوائر الحكومية – لضمان راحته – دفعاً لجلب الانظار اليه حيث انه لا يتدخل بالامور السياسية.. فعلى الرغم من كل هذا أيوافق القانون مداهمة منزله ومعتكفه وكأنه يدير المؤامرات السياسية وشد الخناق عليه بما لم يرِ مثله؟.. ان من يملك وجداناً ولو بمثقال ذرة يتألم على هذا الوضع.

الرابع:

بعد تدقيق دام ستة أشهر في محكمة «اسكي شهر» تمت تبرئة رسائل النور من تهم محاولة تشكيل جمعية سياسية او تأسيس طريقة صوفية. ومع ان الرئيس الكبير(١) حرض بعض افراد وزارة العدل وموظفيها مدفوعاً الى ذلك باوهامه وبحقده الشخصي، الا ان رسائل النور بُرئت من تهمة تشكيل اية جمعية واية طريقة صوفية، هذا ماعدا رسالة «الحجاب» (التي تعد جزءاً صغيراً فقط من رسائل النور) حيث جعلوها تكأة وحجة – ليست قانونية بل بقناعة شخصية ووجدانية – مما ادى هذا الأمر الى الحكم بالسجن لمدة ستة أشهر لعدد من طلاب النور لايتجاوز عددهم عشرة طلاب من بين مائة منهم. ولما كان هؤلاء موقوفين منذ اربعة أشهر ونصف حتى موعد فحص الرسائل وتدقيقها فانهم لم يسجنوا سوى شهر ونصف الشهر.

وبعد عشر سنوات قامت محكمة «دنيزلي» ايضاً بتدقيق وتمحيص جميع ماكتب من مكاتيب ورسائل ومؤلفات في عشرين سنة تدقيقاً جيداً دام تسعة اشهر – على إثر اتهام هذه المؤلفات بالتحريض على تأسيس جمعية او طريقة صوفية، وارسلت الى

(١) المقصود مصطفى كمال. المترجم.

محكمة الجزاء الكبرى في «انقرة» خمسة صناديق من هذه الكتب حيث دققت تلك الرسائل والكتب سنتين اثنتين من قبل محكمة الجزاء الكبرى في «انقرة» ومحكمة «دنيزلي». واتفقت المحكمتان بالإجماع على تبرئة هذه الرسائل والكتب من التهم الموجهة اليها كتشكيل جمعية او طريقة صوفية وما شابهها من التهم[1] واعادتها الى اصحابها كما برأت سعيداً واصدقاءه. اذن كم يكون خروجاً على القانون اتهام سعيد باعتباره «رجلاً سياسياً يسعى لتشكيل جمعية» او «رجل مؤامرات» او ماشابه ذلك، وتحريض موظفي العدالة ضده باعتباره «رجل طريقة». يعلم ذلك كل من لم يمت شعوره.

الخامس:

لما كانت «الشفقة» دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، واساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فانني لا اتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا استطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا اتسبب في الحاق الضرر باي شخص برئ. بل ان هذه الشفقة هي التي منعتني من ان اتعرض – او حتى ان ادعو – على بعض الفساق بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا اتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من امثال والد ذلك الظالم او والدته، او في الاضرار بأنفس بريئة مثل اولاده. لذا فمن اجل اربع او خمس من الانفس البريئة لا استطيع التعرض لذلك الظالم الغدّار، بل اعفو عنهم أحياناً.

وهكذا فبسرّ هذه الشفقة لا اكتفي قطعاً بعدم التعرض للحكومة وللأمن فقط، بل اوصي جميع اصدقائي بذلك الى درجة ان بعض رجال الأمن المنصفين في ولايات ثلاث قد اعترفوا ان «طلاب رسائل النور» هم رجال أمن معنويون، لانهم يحافظون

---

(١) ان اساس رسائل النور وهدفها هو اظهار الحقيقة القرآنية والعمل من اجل «الايمان التحقيقي»؛ لذا فقد حصلت على قرار بالتبرئة عن تهمة تشكيل طريقة صوفية من ثلاث محاكم. ثم انه ما من شخص ادعى خلال عشرين سنة ان «سعيداً أعطاني اذنا بالدخول والانتساب الى طريقة صوفية». ثم انه لايجوز ان يكون انتساب اكثرية اجداد هذه الامة منذ الف عام الى مسلك معين سبباً في اتهامه او تحميله مسؤولية ما. ثم ان المنافقين المتسترين يلصقون اسم «الطريقة» على حقيقة الاسلام. فلا يتهم كل من يتصدى للدفاع عن دين هذه الأمة بأنه صاحب «طريقة». اما تهمة الجمعية، فالذي عندنا هو اخوة اسلامية هدفها اخوة اخروية، وليست جمعية سياسية، لذا فقد اصدرت محاكم ثلاث قراراتها بالتبرئة ايضاً من هذه التهمة. – المؤلف.

على الامن وعلى النظام. وهذه حقيقة يشهد عليها آلاف الشهود، ويصدقها فترة حياة تمتد عشرين سنة ومع طلاب يبلغ عددهم الالاف، لم يسجل رجال الامن اية حادثة منهم تمس الأمن. ومع وجود كل هذه البراهين فقد اقتحموا بيت هذا الضعيف وكأنه رجل ثورة ورجل مؤامرة وعاملوه دون انصاف من قبل هؤلاء الاشخاص الغلاظ وكانه سفاح ارتكب مائة جريمة (مع انهم لم يجدوا شيئاً في منزله) وقاموا بمصادرة نسخة نادرة من القرآن المعجز واللوحات الموجودة فوق رأسه وكانها اوراق ضارة.

ترى ايّ قانون يجيز مثل هذه التصرفات ضد آلاف الاشخاص المتدينين الذين حافظوا على الأمن بحسن خلقهم؟ واية مصلحة في تحريض هؤلاء ودفعهم بالقوة للوقوف ضد الامن والنظام؟

السادس:

بفضل من الله تعالى انني رجل عرف من فيض القرآن منذ ثلاثين سنة كيف ان الشهرة المؤقتة والفانية للدنيا وجاهها المتسم بالانانية والأثرة، وعبادة الشهرة والصيت فيها، أمر لا فائدة ولاخير منه ولا معنى له، فألف حمد وشكر لله، لذا فقد حاول منذ ذلك الحين وبكل جهده الصراع مع نفسه الامارة، ومع ان اصدقاءه والذين خدموه يعلمون علم اليقين ويشهدون بأنه قام بكل ما في وسعه لكسر شوكة نفسه والتخلص من انانيته وتجنب النفاق والتصنع، وقد حاول منذ عشرين سنة معارضة كل الذين اثنوا عليه ومدحوه وتوجهوا نحو شخصه مدفوعين بحسن الظن الذي تهش له نفس كل انسان، وخالف كل الذين رأوه أهلاً لمقامات معنوية، بل فرّ منهم بكل ما يملك من قوة، وردّ حسن الظن المفرط الذي يحمله اصدقاؤه القريبون اليه وخلاّنه الخاصون الى درجة انه آلمهم وجرح شعورهم، وفي رسائله الجوابية لم يقبل أبداً مديحهم وحسن ظنهم الزائد عن الحد في حقه، إذ نسب كل الفضيلة الى رسائل النور التي هي عبارة عن تفسير للقرآن الكريم ولم ينسبها لنفسه بل حرمها من الفضائل ووجه طلاب رسائل النور للتعلق بالشخصية المعنوية لرسائل النور وعدّ نفسه مجرد خادم عادي للقرآن الكريم، وهذا يثبت اثباتاً قاطعاً بانه لم يسع ابداً لإبراز شخصه وتحبيب نفسه بل رد ذلك.

ومع ذلك فهل هناك قانون يسمح بتحميل اية مسؤولية عليه ويسمح بالهجوم على دار هذا الشخص الغريب والمريض والمنزوي في غرفته والمتقدم جداً بالعمر والذي لا حول له ولاقوة، والقيام بكسر قفل داره ودخول موظفي التفتيش الى غرفته وكأنه مجرم عتيد، وذلك لمجرد ان بعض اصدقائه البعيدين عنه مدحوه خلافاً لرغبته واثنوا عليه ثناءً يزيد عن حقه ورأوه اهلاً لمقام معنوي لما يحملونه من حسن ظن مفرط، ثم لقيام واعظ لايعرفه في مدينة «كوتاهية» بالتفوه ببعض الكلمات في حقه؟ !.

ومع انني لم ارسل اية رسالة الى تلك المدينة، الا انه تمت كتابة رسالة وضع عليها توقيع مزور لي، مما دعا الى توهم مسؤوليتي عنها، ، وكذلك وجود كتاب مؤثر لايعرف كاتبه في مدينة «باليكسر»... أهذه الأمور تسمح لهم باقتحام الدار والتفتيش فيها؟... مع انهم لم يجدوا في الدار سوى الاوراد وسوى اللوحات... اي قانون في الدنيا واية سياسة فيها تسمح بمثل هذا الهجوم؟

السابع:

في مثل هذا الوقت الذي توجد فيه كل هذه التيارات الحزبية الفوارة في الداخل وفي الخارج، اي في الوقت الذي تهيأت له فرصة الاستفادة، اي فرص كسب سياسيين عديدين الى جانبه بدلاً من افراد معدودين من اصدقائه، فانه كتب الى جميع اصدقائه قائلاً لهم: «اياكم والانجراف في التيارات او الدخول الى معترك السياسة واياكم والاخلال بالأمن» وذلك لتجنب التدخل كلياً في السياسة والاضرار باخلاصه وتجنب جلب انظار الحكومة عليه والابتعاد عن الانشغال بالدنيا.

وقد قام التيار السابق نتيجة لأوهامه بمد يد السوء والضرر اليه جراء تجنبه هذا. اما التيار الجديد فلإدعائه: «انه لا يساعدنا ولايتعاون معنا». وقد سببا له ضيقاً وكرباً شديدين ولكنه مع هذا لم يتدخل ابداً في دنيا أهل الدنيا، بل انشغل بامور آخرته الى درجة انه لم يرسل الى اخيه الموجود في قرية «نورس» رسالة واحدة طوال اثنتين وعشرين سنة ولم يرسل لاصدقائه في تلك المحافظات عشر رسائل طوال عشرين عاماً... فاي قانون يسمح اذن بالتعرض لهذا الشخص الضعيف المنشغل بآخرته مثل هذا التعرض؟

وفي الوقت الذي لايتعرض أحد ضد انتشار كتب الملاحدة، وهي كتب ضارة جداً للبلاد وللأمة وللاخلاق، ولا لمطبوعات الشيوعيين، وذلك باسم قانون الحرية. فانه تتم مصادرة اجزاء رسائل النور وكأنها اوراق ضارة وتقدم الى المحكمة. هذا مع ان ثلاث محاكم لم تجد في هذه الرسائل اي أمر مضر، فهي تدعو منذ عشرين سنة الى خير الحياة الاجتماعية لهذه البلاد ولهذه الامة وتقوية اخلاقها وترسيخ أمنها، والى تقوية الاخوة الاسلامية مع العالم الاسلامي، هذه الأخوة التي تعد ركن استناد وقوة حقيقية، والى اعادة صداقة هذا العالم الاسلامي لهذه الامة وتقويتها بصورة مؤثرة. وقد امر وزير الداخلية علماء رئاسة الشؤون الدينية بتدقيق رسائل النور بغية نقدها، وبعد ثلاثة أشهر من التدقيق لم تقم بنقدها، بل ادركت قيمتها حق الادراك وذكرت بانها « مؤلَّف ذو قيمة كبيرة » ووضعت رسائل أمثال « ذو الفقار » و« عصا موسى » في مكتبتها. كما شاهد الحجاج مجموعة رسائل « عصا موسى » في الروضة الشريفة للرسول الكريم ﷺ.

فهل هناك قانون او ضمير او انصاف يسمح بمصادرة رسائل النور وجمعها وتقديمها الى المحكمة؟.

الثامن:

بعد اثنتين وعشرين سنة من النفي غير المبرر والمتسم بالضنك، وبعد ان اعيدت له الحرية فانه لم يشأ الذهاب الى بلده الذي ولد فيه حيث يوجد الالاف من أهله واحبائه، بل اختار حياة الغربة والعزلة لكي لا يقرب من الدنيا ومن معترك الحياة الاجتماعية والسياسية، وترك الصلاة في الجامع – مع وجود ثواب كبير في صلاة الجماعة – واختار الصلاة المنفردة في غرفته... اي انه شخص يميل الى تجنب ما يبديه الناس نحوه من احترام. كما ان عشرين سنة من عمره تشهد ويشهد معها الاف من الشخصيات التركية الموقرة بانه يفضل تركيّا واحداً ذا دين وتقوى على العديد من الاكراد غير الملتزمين، كما اثبت في المحكمة ان اخاً تركيا واحداً قوي الايمان مثل « الحافظ علي » يرجح على مائة كردي.

اي ان شخصاً يتجنب لقاء الناس الا لضرورة ماسة لكي يتجنب مظاهر توقيرهم واحترامهم له، ولايذهب حتى الى الجامع، وعمل بكل جهده وعبر جميع مؤلفاته –

منذ اربعين سنة – على ترسيخ الاخوة الاسلامية وعلى تنمية روح المحبة بين المسلمين، وعد الامة التركية حاملة لراية القرآن ونائلة لثناء القرآن، واحب هذه الامة حباً جماً لهذا السبب، وصرف حياته من اجلها... أيجوز ان يقول والٍ سابق في كتاب رسمي غادر حاول منه نشر دعاية معينة قصد منها اخافة اصدقائه: «انه كردي وانتم اتراك، وهو شافعي وانتم حنفيون»؟ بغية محاولة القاء الرعب في قلوب الجميع وجعلهم يحذرون منه ويتجنبونه.

ثم انني اتسائل: أهناك قانون او مصلحة في محاولة اجبار شخص منزوٍ واكراهه على لبس القبعة مع انه لم يجبره احد على تغيير قيافته طوال عشرين عاماً وخلال محكمتين اثنتين؟ هذا علماً بان القبعة رفعت عن رؤوس نصف العساكر.

التاسع:

وهنا نقطة مهمة جداً وقوية [1] ولكني اسكت عنها لانها تتعلق بالسياسة.

العاشر:

وهذا ايضا لايسمح به اي قانون، ولاتوجد فيه اية مصلحة، وانما هو عبارة عن اوهام لامعنى لها وعن مبالغات تجعل من الحبة قبة، وهو تعرض وتهجم لايقره اي قانون، وهنا ايضا نسكت لئلا نمسّ السياسة التي يحظر النظر اليها حسب مسلكنا..

وهكذا فاننا نقول ونحن امام اوجه عشرة من اوجه المعاملات غير القانونية:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

سعيد النورسي

* * *

(١) ان وجود النصارى واليهود في الحكومات الاسلامية، وكذلك وجود المسلمين في الحكومات النصرانية والمجوسية يدل على انه لا يمكن من الناحية القانونية التعرض لاي شخص معارض لم يتعرض بسوء الى ادارة الدولة او الى أمنها بشكل فعلي لان الاحتمالات والامكانات لايمكن ان تكون مدار مسؤولية وإلا استلزم تقديم الجميع للمحاكم على اساس احتمال قيامهم باقتراف الجرائم – المؤلف.

نقاط اخرى اودّ ان اعرضها
على ادارة مدينة «آفيون» ومحكمتها وشرطتها

الاولى:

ان ظهور اكثر الانبياء في الشرق وفي آسيا وظهور اغلب الحكماء في الغرب وفي اوروبا اشارة قدرية منذ الأزل على ان الدين هو السائد وهو الحاكم في آسيا، وتأتي الفلسفة في الدرجة الثانية. وبناءً على هذا الرمز القدري، فان الحاكم في آسيا ان لم يكن متديناً فعليه - في الاقل - الاّ يتعرض للعاملين في سبيل الدين، بل عليه ان يشجعهم.

الثانية:

ان القرآن الحكيم بمثابة عقل الارض وفكرها الثاقب، فلو خرج القرآن - والعياذ بالله - من هذه الارض لجنت الارض، وليس ببعيد ان تنطح رأسها الذي اصبح خالياً من العقل باحدى السيارات وتتسبب في حدوث قيامة.

أجل ان القرآن عروة وثقى وحبل الله المتين يربط ما بين العرش والفرش، وهو يقوم بحفظ الارض اكثر مما تقوم به قوة الجاذبية، ورسائل النور هي التفسير الحقيقي والتفسير القوي لهذا القرآن العظيم، وهذه الرسائل التي اظهرت تأثيرها منذ عشرين سنة في هذا العصر وفي هذا الوطن لهذه الامة تعد نعمة إلهية كبرى ومعجزة قرآنية لاتنطفئ، لذا فليس على الحكومة التعرض لها وترويع طلابها منها ليبتعدوا عنها، بل عليها حماية هذه الرسائل والتشجيع على قراءتها.

الثالثة:

بناءً على قيام أهل الايمان الآتين بتقديم حسناتهم الى ارواح الذين سبقوهم مع دعواتهم بالمغفرة لهم فقد قلت في محكمة «دنيزلي»:

لو سأل اهل الايمان – الذين يعدون بالمليارات – في يوم المحكمة الكبرى منكم وسألوا الذين يضيقون على طلاب رسائل النور (الذين يعملون على اظهار حقائق القرآن) ويحكمون عليهم بالسجن، وقالوا:

انكم كنتم في غاية التسامح مع كتب الملاحدة والشيوعيين ومنشوراتهم باسم قانون الحرية وتسامحتم مع الجمعيات التي ربت وغذت الفوضى، ولم تتعرضوا لهم ابداً، ولكنكم اردتم ان تقضوا على رسائل النور وعلى طلابها بالسجن وبشتى وسائل التضييق، مع انهم كانوا يحاولون انقاذ الوطن والامة من الالحاد ومن الفساد وانقاذ مواطنيهم من الاعدام الأبدي.. لو سألوكم هذا فماذا سيكون جوابكم؟ ونحن ايضا نوجه هذا السؤال اليكم.. لقد قلت هذا لهم، وعند ذلك قام اولئك الذوات المحترمون الذين كانوا من اهل الانصاف والعدالة باصدار قرار بتبرئتنا واظهروا عدالة جهاز العدالة.

الرابعة :

كنت انتظر ان تستدعيني «انقرة» او «آفيون» الى لجنة الشورى وتعاطي الاسئلة والاجوبة حول المسائل الكبيرة التي أخذت رسائل النور على عاتقها القيام بها:

أجل! ان رسائل النور هي اقوى وسيلة وانجع دواء لهذه الامة في هذا البلد في سبيل اعادة الاخوة الاسلامية السابقة والمحبة السابقة وحسن الظن والتعاون المعنوي بين ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم، وفي سبيل البحث عن وسائل هذا التعاون. ونذكر ادناه امارة واضحة على ذلك:

لقد قام في هذه السنة في مكة المكرمة عالم كبير بترجمة اجزاء كبيرة من رسائل النور الى اللغة الهندية والى اللغة العربية وارسل هذه التراجم الى الهند والى الحجاز قائلاً:

«ان رسائل النور تحاول تحقيق وحدتنا واخوتنا الاسلامية التي هي اقوى سند نستند اليها، وهي بذلك ترينا ان الامة التركية هي دائماً في المقدمة من ناحية الدين والايمان».

كما كنت اتوقع ان تثار اسئلة في مسائل كبيرة كالجبال الشوامخ امثال: «ما درجة خدمة رسائل النور وطلابها ضد الشيوعية التي تحولت الى حركة فوضوية في وطننا؟ وكيف يمكن صيانة هذا الوطن المبارك وحفظه من هذا السيل الجارف المخيف؟»... كنت انتظر واتوقع هذا، فاذا بي افاجأ بمسائل تافهة لا تزن جناح ذبابة، ولاتتجاوز مسائل جزئية لاتستلزم مسؤولية، نابعة من احقاد شخصية وافتراءات مقصودة تجعل من الحبة قبة... وهكذا قاسيت من هذه الشروط والظروف القاسية آلاما لم اتجرعها حتى الآن. وقد وجهت الينا الأسئلة نفسها حول المسائل التي وجهت الينا في ثلاث محاكم سابقة والتي برأتنا منها هذه المحاكم مع اضافة مسألة او مسألتين شخصيتين تافهتين واسئلة لا معنى لها.

الخامسة :

لايمكن الوقوف امام رسائل النور ومبارزتها، لانها لاتُغلب فهي تسكّت منذ عشرين سنة اكثر الفلاسفة عناداً وتعلن حقائق الايمان كالشمس في رابعة النهار. لذا فعلى الذين يحكمون هذا البلد الاستفادة من قوتها.

السادسة :

ان التهوين من شأني بأخطائى الشخصية التي لا اهمية لها واسقاطى في نظر عامة الناس بانزال الاهانات بي، لا يضرّ رسائل النور، بل يمدّها - من جهة - اذ لو سكت لساني الفاني فان ألسنة مئات الالاف من نسخ رسائل النور لن تكفّ عن النطق، ولن تسكت عن الكلام والتبليغ، كما ان الالوف من طلبتها الاوفياء الذين منحوا قوة النطق ووضوح الحجة سيديمون تلك الوظيفة النورية القدسية الكلية ان شاء الله الى يوم القيامة، كما كان شأنهم الى الآن.

السابعة :

كما ذكرنا في دفاعاتنا امام المحاكم السابقة والتي سردنا فيها حججنا، فان اعداءنا السريين ومعارضينا الرسميين وغير الرسميين الذين خدعوا الحكومة واستغفلوها واستغلوا الاوهام والمخاوف المتسلطة على بعض اركانها ووجهوا جهاز العدالة ضدنا، إما أنهم من المخدوعين بشكل سئ جداً أو من المنخدعين أو هم يعملون لصالح

الفوضويين من الذين يحاولون قلب نظام الحكم بشكل غادر، أو هم من اعداء الاسلام ومن المرتدين الذين يحاربون الحقيقة القرآنية ومن الملاحدة الزنادقة.. فهؤلاء لم يترددوا ابداً عندما حاربونا من اطلاق صفة النظام على الردة التامة، ومن اطلاق صفة «المدنية» على السفاهة والتسيب الاخلاقي الرهيب، ومن اطلاق صفة «القانون» على نظام الكفر القهري المنفلت والمرتبط بالاهواء. وهكذا استطاعوا ان يضيقوا علينا تضييقاً شديداً، واستغفلوا الحكومة وخدعوها ووجهوا جهاز العدالة للانشغال بنا دون اي داعٍ، لذا فاننا نحيل هؤلاء الى قهر القهار ذي الجلال ونلتجئ الى حصن ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ ليحفظنا من شرور هؤلاء.

الثامنة:

قامت روسيا في السنة الماضية بارسال العديد من الحجاج الى حج بيت الله الحرام من اجل الدعاية واظهار الروس بمظهر من يحترمون القرآن اكثر من الامم الاخرى، ولتأليب العالم الاسلامي من الناحية الدينية ضد هذه الامة المتدينة في هذا الوطن. ثم انه نظراً للانتشار الجزئي لاجزاء كبيرة من رسائل النور في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة وفي دمشق وحلب وفي مصر،وحيازتها على تقدير العلماء وقيامها بكسر الدعاية الشيوعية، فانها اظهرت للعالم الاسلامي بان الامة التركية واخوتهم لايزالون متمسكين بدينهم وبقرآنهم، وانها بمثابة الأخ الكبير للعالم الاسلامي وبمثابة قائد مقدام في سبيل خدمة القرآن. اي ان رسائل النور بينت هذه الحقيقة في تلك المراكز والمدن الاسلامية واظهرتها. فاذا كانت الخدمات الجليلة لرسائل النور تقابل بهذه الانواع من التضييق والالام ألا ترون من الممكن ان تحتد الكرة الارضية وتغضب؟.

التاسعة:

اورد هنا تلخيصاً لاثبات مسألة معينة اوردتها في مرافعتي امام محكمة «دنيزلي»:

لو فرضنا ان قائداً رهيباً وعبقرياً استطاع بذكائه ان ينسب لنفسه جميع حسنات الجيش، وان ينسب سيئاته وسلبياته الشخصية للجيش، فانه يكون بذلك قد قلل عدد الحسنات التي هي بعدد افراد الجيش الى حسنة شخص واحد، وعندما نسب

سيئاته واخطاءه الى الجيش يكون قد كثّر هذه السيئات بعدد افراد الجيش، وهذا ظلم مخيف ومجانب للحقيقة، لذا فقد قلت للمدعي العام في احدى محاكماتي السابقة عندما هاجمني لكوني وجهت صفعة تأديب لذلك الشخص(١) عندما قمت قبل اربعين سنة بشرح حديث نبوي، قلت للمدعى العام: حقاً انني اقلل من شأنه بايراد اخبار من الاحاديث النبوية، إلاّ أننى اقوم في الوقت نفسه بصيانة شرف الجيش وحفظه من الاخطاء الكبيرة، واما انت فتقوم بتلويث شرف الجيش الذي يعد حامل لواء القرآن، وقائداً مقداماً للعالم الاسلامي، وتلغي حسناته لأجل صديق واحد لك. فخضع ذلك المدعى العام للانصاف، باذن الله، ونجا من الخطأ.

العاشرة:

لما كان من المفروض ان يقوم جهاز العدالة بحفظ حقيقة العدالة وحفظ حقوق جميع المراجعين له دون اي تمييز، والعمل في سبيل الحق وباسمه وحده، فاننا نرى ان الامام علياً (رضي الله عنه) في ايام خلافته يمثل امام المحكمة مع يهودي ليتحاكما. وقد شاهد احد مسؤولي العدل ان احد الموظفين احتد وغضب على سارق ظالم وهو يقطع يده فاصدر امره بعزل ذلك الموظف في الحال، وقال آسفاً: «من خلط مشاعره الذاتية باجراء العدالة فقد اقترف ظلماً كبيراً».

أجل، ان الموظف عندما يقوم بتنفيذ حكم القانون ان لم يشفق على المحكوم فليس له ان يحتد عليه، فان فعل ذلك كان ظالماً. حتى ان احد الحاكمين العادلين قال: «ان الشخص الذي يقوم بتنفيذ قصاص القتل ان احتد وغضب اثناء ذلك التنفيذ يُعد قاتلاً».

اذن فما دامت الحقيقة الخالصة والبعيدة عن الاغراض هي التي لا بد ان تسود في المحكمة، فان من الغريب ان يتعرض طلاب النور – البريئون والمحتاجون الى من يسرّي عنهم والى تجلي العدالة في حقهم – الى اهانات ومعاملات قاسية هنا، رغم صدور قرار بتبرئتنا من ثلاث محاكم، ورغم وجود امارات عديدة لاستعداد تسعين في المائة من هذه الامة للشهادة وهذا يدل على انه لايمكن صدور اي ضرر من طلاب النور،

(١) المقصود هو مصطفى كمال اتاتورك.– المترجم.

بل على العكس من ذلك فانهم يقدمون فوائد جمة لهذه الامة ولهذا الوطن، ولأننا قررنا ان نتحمل كل مصيبة وكل اهانة بكل صبر، فاننا نسكت ونحيل الأمر الى الله تعالى ونقول: «لعل في هذا الامر خيراً». ولكنني خشيت ان تؤدي هذه المعاملات الموجهة الى هؤلاء الابرياء نتيجة لتبليغات مغرضة الى قدوم البلايا، لذا اضطررت الى كتابة هذا الأمر. واذا كان هناك اي تقصير او ذنب في هذه المسألة فانه يعود الي. ولم يمد لي هؤلاء المساكين يد المساعدة إلاّ بدافع من ايمانهم ومن أجل آخرتهم ضمن مرضاة الله تعالى، ومع انهم كانوا يستحقون التقدير فان القيام بمثل هذه المعاملات القاسية تجاههم قد اغضب حتى الشتاء. ومن الغريب ايضاً والمحير أنهم ساقوا اوهام تشكيل جمعية مرة اخرى، مع ان ثلاث محاكم دققت هذه الناحية واصدرت قرارها بالبراءة. ثم انه لايوجد فيما بيننا اي امر يستدعي اتهامنا بتشكيل اية جمعية، ولم تجد المحاكم ولا رجال الأمن ولا اهل الاختصاص اية امارة حول ذلك، اذ لاتوجد بيننا سوى رابطة الاخوة الأخروية مثلما يوجد ما بين المعلم وتلاميذه وما بين استاذ جامعي وبين طلابه ومابين حافظ القرآن وتلاميذه الذين يسعون لحفظ القرآن. فالذين يتهمون طلاب النور بتشكيل جمعية عليهم ان ينظروا بنفس المنظار الى جميع اهل المهن والى جميع الطلاب والى جميع الوعاظ ايضاً، لذا فقد وجدت لزاماً علي ان ادافع عن هؤلاء الذين جئ بهم الى السجن هنا نتيجة اتهامات تافهة لا اساس لها ابداً.

ولما قمت بالدفاع ثلاث مرات عن رسائل النور التي يهتم بها هذا البلد والعالم الاسلامي والتي صدرت منها فوائد مادية ومعنوية كبيرة لهذه الامة، فساقوم بالدفاع عنها مرة اخرى منطلقا من الحقيقة نفسها، وليس هناك اي سبب يمنع دفاعي هذا ولايوجد اي قانون او اية سياسة تستطيع ان تحول بيني وتمنعني عن هذا.

اجل نحن جمعية... جمعية لها منتسبون يبلغ عددهم في كل عصر ثلاثمائة وخمسين مليوناً، وفي كل يوم يُظهر كل منتسب حرمته وتوقيره الكامل لمبادئ هذه الجمعية المقدسة بادائه الصلاة خمس مرات ويظهر استعداده لخدمة هذه المبادئ، ويهبون لمساعدة بعضهم بعضاً بادعيتهم وبمكاسبهم المعنوية حسب دستورهم المقدس ﴿**انما المؤمنون اخوة**﴾ (الحجرات:١٠). هانحن اولاء افراد هذه الجمعية

العظيمـة المقدسة، وظيفتنا الخـاصة ايصال حقـائق الايمان القرآنية بشكلها اليـقيني الى أهل الايمان، وانقـاذهم وانقـاذ انفـسنا من الاعـدام الأبدي ومن السـجن البـرزخي الانفـرادي، ولكن لاتوجـد لنا اية علاقـة بالجـمعيـات الدنيوية والسـيـاسية المتـسمـة بالالاعيب وبالاساليب الملتوية، ولاتوجـد لنا اية علاقة بلعبة الجمعيـات او باية جمعية سرية مع ان هذه هي التهمة الموجهة الينا على الدوام ونحن اصلا لا نتدنى ابداً اليها.

وبعد ان قـامت اربع محـاكم بتدقـيق هذا الأمر وتمحـيصـها جـيداً قـررت اصدار قراراتها بالبراءة.

سعيد النورسي

* * *

تتمة ومرفق للدفاع

المقدم الى ستة مراجع في « انقرة » والى محكمة «آفيون » للجنايات الكبرى

اقول واصرح لمحكمة «آفيون » بان تحملي وصبري قد نفدا وانه يجب وضع حد لهذا الأمر. فنحن منفيون منذ إثنتين وعشرين سنة دون اي سبب، وتحت الترصد الدائم وكأن حبسي المنفرد وعزلي المطلق عن العالم لايكفي، فقد قدموني للمحاكم ست مرات وادخلوني السجن ثلاث مرات دون اي مبرر قانوني (سوى مسألتين او ثلاث) بل جراء اوهام وتوقع احتمالات، لانهم لم يجدوا في مائة رسالة من رسائل النور اي مأخذ قانوني ضدنا وعاقبوا طلاب النور بغرامات مالية بلغت مئات الالاف من الليرات، وهذا ظلم وغدر لامثيل له، وستلعن الاجيال القادمة بكل شدة مسببي هذا الظلم والقائمين به، اما يوم المحكمة الكبرى فاننا نؤمن الايمان كله بان هؤلاء الظالمين سيرمون الى جهنم وفي أسفل سافلين، وهذا ما جعلنا نجد بعض التسرية، والا فانه كان في مقدورنا ان ندافع بكل قوة عن حقوقنا.

وهكذا ففي خمس عشرة سنة دخلنا ست محاكم، وتم تدقيق رسائل النور ومكاتيبنا مدة عشرين سنة، وكانت النتيجة أننا برِّئنا من قبل خمس محاكم تبرئة كاملة، اما محكمة « اسكي شهر» فلم تجد ما يوجب الادانة الا بضع جمل في رسالة صغيرة هي رسالة « الحجاب » واتخذتها عذراً، واستندت الى مادة قانونية مطاطة، واصدرت حكماً بعقوبة بسيطة ضدنا، ولكننا كتبنا في « اللائحة التصحيحية » التي قدمناها رسميا الى انقرة بعد محكمة التمييز واشرنا الى امر واحد فقط كانموذج على عدم قانونية الحكم، وقلنا:

« ان آية الحجاب التي توضح عادة من العادات الاسلامية القوية الواردة في الدستور المقدس لدى ثلاثمائة وخمسين مليونا منذ الف وثلاثمائة وخمسين عاماً.. هذه الآية الكريمة تعرضت لاعتراض احد الزنادقة، ولانتقاد المدنية؛ لذا قمت

بتفسيرها والدفاع عنها متبعاً اجماع ثلاثمائة وخمسين الف تفسير[١] مقتدياً في ذلك نهج اجدادنا طوال الف وثلاثمائة وخمسين عاماً. فاذا كانت هناك عدالة في الدنيا فيجب اصدار حكم بنقض العقوبة الصادرة والحكم الصادر بحق رجل قام بمثل هذا التفسير، لكي تمسح هذه اللطخة العجيبة عن جبين جهاز العدالة في هذه الحكومة الاسلامية». وعندما قدمت هذه اللائحة التصحيحية التي كتبتها الى المدعي العام هناك اصيب بالذعر وقال:

«ارجوك! لا ضرورة لكل هذا، فعقوبتك خفيفة، والفترة الباقية قليلة جداً فلا حاجة لتقديم هذه اللائحة».

ولاشك انكم على علم بانني ادرجت نماذج اخرى عجيبة من الاتهامات ضمن الاعتراضات والدفاعات التي ارسلتها اليكم والى المراجع الرسمية في انقرة على غرار هذا الانموذج، لذا فاني اطلب من محكمة «آفيون» وآمل منها باسم العدالة اعطاء الحرية الكاملة لرسائل النور التي لها بركة وخدمة تعادل خدمة جيش باكمله في سبيل مصلحة هذه الامة وهذا الوطن. والا فان دخول بعض اصدقائي الى السجن بسببي يسوقني الى اقتراف ذنب يستحق اكبر عقوبة لكي اودع مثل هذه الحياة، فقد خطر على قلبي مايلي:

بينما كان من المفروض ان تقوم الحكومة بحمايتي وبمد يد العون والمساعدة لي، لوجود مصلحة كبيرة للامة او منفعة كبيرة للوطن في هذا الأمر، فان قيامها بالتضييق علي يشير الى ان عصابة الالحاد الخفية التي تحاربني منذ اربعين سنة والبعض من افراد عصابة الشيوعيين التي التحقت بها الآن، استطاعوا احتلال اماكن مهمة في المراكز الرسمية، وهؤلاء هم الذين يقودون الحملة ضدي. اما الحكومة فهي اما تجهل هذا الأمر او انها تسمح بذلك عن علم، وهناك امارات عديدة مقلقة حول هذا الأمر.

السيد رئيس المحكمة!

لو سمحتم فانني اود ان اطرح سؤالاً يحيرني كثيراً...

---

(١) لعل المقصود كلّ مؤلَّف يتناول آيات كريمة بالتفسير والتوضيح.ـ المترجم.

لماذا يقوم اهل السياسة بتجريدي من جميع حقوقي المدنية ومن حقوقي في الحرية بل ربما من حقوقي في الحياة مع انني لم اشترك في السياسة ولم ادخل معتركها؟ لقد عاملوني وكانني سفاح خضب يديه بدماء مئات الضحايا، فوضعوني في حبس منفرد ومنعزل ثلاثة اشهر ونصف، وحاولوا اثناءها التعرض لحياتي واقدموا على تسميمي احدى عشرة مرة. وعندما اراد اصدقائي الحريصون وتلاميذي الصادقون حمايتي من شر هؤلاء منعوا اتصالهم بي، بل انهم حرموني حتى من مطالعة كتبي المباركة والخالية من اي ضرر والتي أجد الأنس معها في وحدتي وشيخوختي ومرضي وغربتي.

لقد رجوت المدعي العام ان يعطيني كتاباً واحداً من كتبي، ومع انه وعد بذلك الا انه لم يفعل، فاضطررت الى البقاء وحيداً في قاعة كبيرة ومقفلة وباردة دون اي شاغل اشغل به نفسي، واوعزوا الى الموظفين والى الخدم والحراس التعامل معي بعداوة وبخشونة بدلاً من المعاملة الحسنة التي قد اجد فيها بعض السلوان وبعض التسرية. وهاكم انموذجاً صغيراً من معاملتهم هذه:

كتبت عريضة الى المدير والى المدعي العام والى رئيس المحكمة، وارسلتها الى احد اخواني لكي يكتبها بالحروف الجديدة التي اجهلها، وفعلا تمت الكتابة وقُدمت العريضة لهم. لقد عدوا هذا جرماً كبيراً صادراً مني، فقاموا بتغطية وسد جميع نوافذ غرفتي وسمّروها، ومع ان الدخان كان يؤذيني، فانهم لم يتركوا نافذة واحدة دون تغطيتها وسدها. ومع ان انظمة السجن تقضي بالا تتجاوز مدة الحبس الانفرادي خمسة عشر يوماً، فانهم حبسوني حبساً انفرادياً مدة ثلاثة أشهر ونصف، ولم يسمحوا لاي صديق بالاتصال بي. ثم انهم أروني لائحة اتهام باربعين صفحة كتبوها وهيأوها في ثلاثة أشهر، ولانني لا اعرف الحروف الجديدة ولكوني مريضاً وذا خط رديء، فقد رجوتهم ان يبعثوا اليّ من يقرأ هذه اللائحة مع طالبين من طلابي - من الذين يفهمون لغتي لكي يقوما بكتابة اعتراضي ودفاعي - فلم يأذنوا بذلك ولم يقبلوه وقالوا:

«ليأت المحامي لكي يقرأه». ثم لم يسمحوا حتى بذلك، بل قالوا لأحد الاخوان «اكتب اللائحة بالحروف القديمة واعطها له». ولكن كتابة تلك اللائحة لايمكن ان

تتم الا في ستة أو سبعة أيام. وهكذا فبدلاً من قراءة تستغرق ساعة واحدة فقد مددوا هذا العمل الى ستة او الى سبعة ايام، وذلك لكي يمنعوا اي اتصال معي، وهذا عمل استبدادي مذهل يلغي كل حقوقي في الدفاع. ولا يتعرض سفاح ارتكب مائة جريمة وحكم عليه بالاعدام الى مثل هذه المعاملة في اية بقعة من بقاع الدنيا، والحقيقة انني في ألم شديد لانني لا اعرف اي سبب لمثل هذا التعذيب. لقد قيل لي بان رئيس المحكمة شخص عادل ورحيم، لذا فقد قمت بتقديم هذه الشكوى الى مقامكم كتجربة اولى وأخيرة.

توجد اربعة اسس في لائحة الاتهام:

الاساس الاول:

وهو الادعاء بانني شخص افخر بنفسي وامجدها. وقد رددت هذا الادعاء بكل ما املك من قوة، وكانت اللجنة المختصة في محكمة «دنيزلي» قد ذكرت انه «لو ادعى سعيد انه المهدي المنتظر لقبل كل طلابه ذلك».

الاساس الثاني:

قيامه باخفاء مؤلفاته.

يجب ألاّ تُعطى معاني خاطئة من قبل الاعداء المتسترين، لأن الإخفاء لم يكن بقصد سياسي او باي قصد يضر بأمن البلاد، ولايعد وجود جهاز طبع بالحروف القديمة عذراً لهم للهجوم علينا. اما قضية الصفعة الموجهة من «رسائل النور» الى مصطفى كمال(١) فقد عرفتْ بها ست محاكم وكذلك المراجع الرسمية في «انقرة» فلم يعترضوا عليها واصدروا قرارهم بتبرئتنا واعادوا لنا جميع كتبنا ومن ضمنها

(١) اورد الادعاء العام اتهاماً نتيجة سوء فهم فيما ورد من كرامة «رسائل النور» التي تجلى بعضها كصفعات تأديبية. إذ زعموا اننا نقول ان البلايا والزلازل التي حدثت في اثناء الهجوم على طلاب النور وعلى رسائل النور انما هي صفعات من رسائل النور... حاشا ثم حاشا، نحن لم نقل ولم نكتب هذا، بل ذكرنا في مواضع عدة مع ايراد الادلة، ان «رسائل النور» بمثابة صدقات مقبولة، لذا فهي وسيلة لدفع البلايا، فعندما يتم الهجوم على «رسائل النور» تبهت الانوار وتجد المصائب الفرصة سانحة للظهور. أجل ان مئات الحوادث والوقائع وشهادة وتصديق الآلاف من طلاب النور ترينا استحالة وجود المصادفة في توافق تلك الحوادث كما أظهرنا ذلك جزئياً في المحاكم فاننا نؤمن بشكل قاطع بان هذه التوافقات دليل على قبول رسائل النور ودليل على الكرم الالهي وهو نوع من الكرامة المهداة من القرآن الكريم الى رسائل النور.— المؤلف.

« الشعاع الخامس ». ثم ان قيامي باظهار سيئاته ليس الا من اجل صيانة كرامة الجيش. اي ان عدم محبة شخص فرد ليس إلاّ من أجل كيل الثناء الى الجيش بكل حب.

الاساس الثالث:

على الرغم من وجود مائة ألف طالب من طلاب النور واحالة مائة الف نسخة من رسائل النور الى ست محاكم في ظرف عشرين سنة، فلم تسجل لدى موظفي أمن عشر ولايات اي شئ يخل بالامن او يقلق هدوء البلد. وان عدم وجود اية مادة تشير الى هذا الاخلال لا في هذه المحاكم الست ولا عند موظفي هذه الولايات العشر لهو اكبر دليل وافضل رد على التهمة العجيبة القائلة باننا نحرض على الاخلال بالأمن.

اما بخصوص لائحة الاتهام الجديدة هذه فمن العبث القيام بالرد عليها، لانه ليس الا تكراراً لتهم سابقة سبق وان تمت الاجابة عليها عدة مرات، وسبق لثلاث محاكم اصدار قراراتها بتبرئتنا منها، وهي مسائل لا أهمية لها. ولما كان اتهامنا في هذه المسائل يُعد في الحقيقة اتهاماً لمحكمة الجنايات الكبرى في « انقرة » ولمحكمة « دنيزلي » ولمحكمة « اسكي شهر » (لان هذه المحاكم برأتنا في هذه المسائل) لذا فانني أدع الاجابة عنها لهذه المحاكم.

زد على هذا فهناك مسألتان او ثلاث مسائل اخرى:

المسألة الاولى:

مع انهم اصدروا قراراً ببراءتنا وباعادة ذلك الكتاب الينا بعد تدقيق وتمحيص تامين دام سنتين في محكمة « دنيزلي » و« محكمة الجنايات الكبرى في انقرة » فانهم يلوحون بمسالة او مسألتين واردتين في رسالة « الشعاع الخامس » بخصوص قائد[1] مات وانتهى امره كمادة اتهام ضدنا. اما نحن فنقول: ان توجيه نقد صائب كلي بحق شخص مات وانتهى امره وانقطعت صلته بالحكومة لايعد في نظر القانون ذنباً.

ثم قام مقام الادعاء باستخراج تأويل متحذلق من معنى عام وكلي، وطبق هذا في حق ذلك القائد. علماً بانه مامن قانون يعد وجود معنى في رسالة خاصة وسرية يدق على افهام العامة ولايدركها سوى واحد في المائة... ما من قانون يعد ذلك ذنباً، ثم

(١) المقصود هو مصطفى كمال (المترجم)

ان تلك الرسالة شرحت تأويل الاحاديث المتشابهة بشكل رائع . وعندما نكون بصدد بيان المعنى الحقيقي لحديث وانطبق هذا المعنى بحق شخص مقصر فما من قانون يعد هذا ذنباً، خاصة وان هذا البيان موجود منذ حوالي اربعين عاماً وتم تقديمه لثلاث محاكم ولمحكمتكم، وقدم مرتين خلال ثلاث سنوات الى ستة مراجع رسمية في «انقرة» ولم يتم الاعتراض على دفاعي وعلى اعتراضاتي التي قدمت فيها اجابات قطعية.

ثم ان نقد ذلك الشخص الذي كان ضمن انقلاب ادى الى مساوئ عديدة، لا ترجع اليه وحده حسنات ذلك الانقلاب، بل ترجع الى الجيش والى الحكومة، اما هو فقد تكون له حصة واحدة منها(١) فكما ان قيامنا بنقده من زاوية سيئاته لايعد ذنباً، لايجوز القول ان ذلك يعني الهجوم على حركة الانقلاب. ويا ترى ايّ ذنب واي جريرة في ان تنتقد او تضمر عدم المحبة لرجل حوّل جامع اياصوفيا الذي هو مبعث الشرف الابدي لامة بطلة، والدرة الساطعة لخدماتها وجهادها في سبيل القرآن، وهدية تذكارية نفيسة من هدايا سيوف اجدادها البسلاء.. حوّله الى دار للاصنام وبيت للاوثان وجعل مقر المشيخة العامة ثانوية للبنات؟

المسألة الثانية حول موجبات الاتهام في لائحة الادعاء العام:

بعدما كسبنا البراءة في ثلاث محاكم، فان بياناً رائعاً لتأويل حديث شريف (في الشعاع الخامس) قبل اربعين سنة انقذ الامة. حيث ان شيخ الاسلام – للجن والانس – «زنبللي علي افندي» قد قال: «ليس هناك اي جواز في لبس القبعة، حتى لو لبست مزاحاً». كما لم يجوّز لبسها شيوخ الاسلام وعلماؤه، مما جعل عوام اهل الايمان امام خطر حين اضطروا الى لبسها(٢) إذ أصبحوا امام خيارين: إما ان يتركوا دينهم، او يقوموا بحركة عصيان.

(١) بعد ان استولى مصطفى كمال على مقاليد الحكم قام بسن قوانين عديدة ضد الاسلام فالغى الخلافة والغى المدارس الدينية وقلب احرف الكتابة من الاحرف العربية الى الاحرف اللاتينية، ومنع الأذان الشرعي (اذ امر ان يكون الاذان باللغة التركية) واصدر قانون الازياء واستورد القوانين السويسرية والفرنسية. . . إلخ. وهذه تعد من مساوئ نظامه، الا ان حروب الاستقلال التي شارك فيها وقاد بعضها وانتهت بالانتصار وطرد القوات الاجنبية تعد من المحاسن، ولكن هذه المحاسن شارك فيها قواد آخرون وكانت الحصة الكبيرة فيها للقواد وللضباط الصغار وللجنود البسلاء، بينما حاولت صحفه ومصادر اعلامه ان تنسب جميع هذه المحاسن اليه واهملت الاشارة الى القواد الآخرين والجيش. المترجم.

(٢) وذلك بموجب قانون الازياء الذي سنّه مصطفى كمال وأجبر الناس على لبس القبعات. – المترجم.

ولكن احدى فقرات رسالة « الشعاع الخامس » ذكرت انه « ستعلو القبعةُ الرؤوس وستقول: لاتسجد، ولكن الايمان الموجود في ذلك الرأس سيجبر تلك القبعة أيضاً على السجود ويجعلها ان شاء الله مسلمة » أنقذت عوام أهل الايمان من التمرد والعصيان كما انقذتهم من التخلي عن دينهم باختيارهم. فضلاً عن انه ليس هناك قانون يطالب الاشخاص المنزوين بمثل هذه الاشياء، ان ست حكومات في ظرف عشرين سنة لم تجبرني على لبس القبعة. كما ان النساء والاطفال وائمة المساجد والموظفين في دوائرهم ومعظم القرويين غير مجبرين على لبسها، وفي الآونة الاخيرة رفعت عن رؤوس الجنود. كما ان لبس الطاقية واغطية الرأس غير ممنوع في كثير من الولايات، ورغم كل هذا فقد اصبح هذا (١) عنصر اتهام ضدي وضد اخواني. فهل يوجد في العالم كله قانون او مصلحة او اصل يعد مثل هذا الاتهام (الخالي من اي معنى) ذنباً؟

الاساس الثالث المتخذ مداراً للاتهام:

وهو زعم التحريض للاخلال بالأمن في « اميرداغ ». وانا اقول رداً على هذا:

اولاً :

نشير الى الاعتراض الذي قدمتُه الى هذه المحكمة والى ست مراجع رسمية في « انقرة » بعلم هذه المحكمة واذنها، وهو اعتراض لم يرد عليه، لذا فانني أقدم الاعتراض نفسه كجواب للائحة الاتهام.

ثانياً :

يشهد كل من تكلم معي في « اميرداغ » ويشهد الاهالي وموظفو الأمن بانني بعد صدور القرار ببراءتي ابتعدت بكل قوتي – وانا قابع في انزوائي – عن المشاركة في اية سياسة دنيوية، حتى انني تركت التأليف والتراسل، فلم اكتب الا فقرتين صغيرتين حول الملائكة وحول حكمة التكرار في القرآن، ولم اكن اكتب سوى مكتوب واحد فقط في الاسبوع أحث فيه على قراءة رسائل النور، حتى انني لم ابعث لاخي المفتي – الذي كان من طلابي طوال عشرين عاماً – سوى ثلاث او اربع رسائل في ظرف ثلاث سنوات، وكان يبعث اليّ ببطاقات تهنئة العيد على الدوام، وكان يقلق علي قلقاً كبيراً. اما اخي الآخر الساكن في بلدتي فلم ابعث له طوال عشرين عاماً اية

(١) اي عدم لبس القبعة – (المترجم).

رسالة ابداً، ومع ذلك نرى ان لائحة الاتهام تقوم بحذلقة لامثيل لها بتكرار الاسطوانة القديمة واتهامي بالاخلال بالامن، وبالوقوف ضد الحركة الانقلابية. ونحن نقول رداً على هذا:

ان مايزيد عن عشرين الف نسخة من رسائل النور، طوال عشرين عاماً، طالعها عشرون الفا، بل مائة الف من الناس بكل شوق وبكل قبول، ومع ذلك لم تجد ست محاكم ولم يجد رجال الأمن في عشر ولايات معنية اي شئ ضدهم. وهذا يبين بانه لو كان هناك احتمال واحد فقط من ألوف الاحتمالات ضدنا فانهم يأخذون به ويتخذون هذا الاحتمال وكأنه امر واقع لامحالة، مع انه لو كان هناك احتمال واحد ضمن احتمالين او ثلاثة، ولم يظهر اي اثر له فلا يعد ذلك الاحتمال ذنباً. حتى ان واحداً بالالف من الاحتمال غير وارد، وهناك احتمال وارد لكل شخص – ومنهم المدعي العام – وهو احتمال قيامه بقتل اشخاص عديدين، او القيام بالاخلال بالأمن خدمة للشيوعيين وللفوضويين. اذن فان النظر الى مثل هذه المبالغة في الاحتمالات وكأنها اصبحت حقيقة وواقعة واستعمالها على هذا الاساس خيانة للعدالة وللقانون. ثم ان من الطبيعي وجود معارضة لكل حكومة، وان المعارضة الفكرية لاتعد جناية. فالحكومة تأخذ بالظاهر ولاتحاسب على مافي القلوب. ونحن نخشى ان يكون الاشخاص الذين يوجهون مثل هذه التهم الباطلة في حق شخص لم يصدر منه اي ضرر ضد الوطن وضد الامة، بل كانت له فوائد وخدمات كثيرة، ولم يتدخل في شؤون الحياة الاجتماعية بل واجبروه على العيش في عزلة تامة، والذي قوبلت مؤلفاته بكل تقدير في اهم المراكز الاسلامية[١] نخشى ان يكون هؤلاء الاشخاص اداة في خدمة الشيوعية وفي خدمة الفوضوية دون ان يشعروا.

---

(١) في الخطأ الثمانين من الأخطاء المائة التي وقع فيها المدعي العام، نراه يقول: «ان التأويل الوارد في الشعاع الخامس يعد خطأ» وجوابي على ذلك هو: وردت في «الشعاع الخامس» الجملة التالية: «احد التأويلات –والله أعلم– هو هذا التأويل» ومعنى هذه الجملة: «ان من الممكن ان يكون هذا هو معنى هذا الحديث الشريف». لذا فلا يمكن من الناحية المنطقية تكذيب هذه الجملة، إلاّ عند اثبات استحالتها.
ثانياً: منذ عشرين عاماً، بل منذ اربعين عاماً لم يقم أحد برد التأويلات التي اوردناها رداً منطقياً وعلمياً سواء اكانوا من معارضي أو ممن يحاولون معارضة رسائل النور، ولم يقل احد من اولئك العلماء المعارضين «ان هذه التأويلات فيها نظر»، بل صدّقوها مع الوف من علماء طلاب النور، لذا فانني احيل الى مقامكم تقدير مدى البعد عن الانصاف عندما يردّ هذا التأويل شخص لايعرف حتى عدد السور الموجودة في القرآن الكريم.
والخلاصة: ان معنى التأويل لحديث شريف او لآية كريمة هو: انه معنى واحد محتمل من عدة معاني محتملة وممكنة. – المؤلف

هناك امارات اعلم منها ان اعداءنا الخفيين يحاولون النيل من رسائل النور والتقليل من قيمتها، فينشرون وَهْم وجود فكرة المهدية - من الناحية السياسية - فيها ويدّعون ان رسائل النور وسيلة لهذه الفكرة، ويبحثون ويدققون عسى ان يعثروا على سند لهم لهذه الاوهام الباطلة. ولعل العذاب الذي اتعرض له نابع من هذه الاوهام. وانا اقول لهؤلاء الظالمين المتسترين وللذين يسمعون لهم ويعادوننا:

حاش!... ثم حاش!... انني لم اقم بمثل هذا الادعاء، ولم اتجاوز حدي ولم اجعل الحقائق الايمانية وسيلة شخصية او اداة لنيل الشهرة والمجد، وان السنوات الثلاثين الاخيرة خاصة من عمري البالغ خمسة وسبعين عاماً تشهد وتشهد رسائل النور البالغة مائة وثلاثين رسالة، ويشهد الالاف من الاشخاص الذين صادقوني حق الصداقة بهذا.

أجل!. . . ان طلاب النور يعرفون هذا كما انني سردت الحجج التي اظهرت في المحاكم انني لم أسْعَ من اجل مقام او مرتبة لشخصي او من اجل الحصول على مرتبة او مقام او شهرة معنوية او اخروية، بل سعيت بكل ما أملك من وقوة لتوفير خدمة ايمانية لاهل الايمان، وربما كنت مستعداً لا للتضحية بالمراتب الدنيوية الفانية وحدها بل - ان لزم الأمر - بالتضحية حتى بالمراتب الاخروية الباقية لحياتي في الآخرة، مع ان الجميع يسعون للحصول على هذه المراتب، ويعلم اصدقائي المقربون بانني - ان لزم الأمر - اقبل ترك الجنة والدخول الى جهنم من اجل ان اكون وسيلة لإنقاذ بعض المساكين من أهل الايمان. وقد ذكرت هذا وبرهنت عليه في المحاكم من بعض الوجوه، ولكنهم يرومون بهذا الاتهام اسناد عدم الاخلاص لخدمتي الايمانية والنورية، ويرومون كذلك التقليل من قيمة رسائل النور وحرمان الامة من حقائقها.

أيتوهم هؤلاء التعساء ان الدنيا باقية وابدية؟ ام يتوهمون ان الجميع مثلهم يستغلون الدين والايمان في مصالح دنيوية؟ ان هذا التوهم يقودهم الى الهجوم على شخص تحدى اهل الضلالة في الدنيا وضحى في سبيل خدمة الايمان بحياته الدنيوية، وهو مستعد للتضحية بحياته الاخروية ان لزم الامر في سبيل هذه الخدمة. وانه غير مستعد لان يستبدل ملك الدنيا كلها بحقيقة ايمانية واحدة؛ كما صرح في المحاكم، ويقودهم الى الهجوم على شخص هرب بكل قوته من السياسة ومن جميع

مراتبها المادية منها وما يشمّ منها معنى السياسة سواءً أكانت من قريب او بعيد وذلك بسر الاخلاص، وتحمّل عذاباً لامثيل له طوال عشرين عاماً، ومع ذلك لم يتنزل - حسب المسلك الايماني - الى السياسة. ثم انه يعد شخصه - من جهة النفس - اقل مرتبة بكثير من طلابه، لذا فهو ينتظر دوماً دعاءهم واستغفارهم له، ومع انه يعد نفسه ضعيفاً وغير ذي أهمية، الا أن بعض اخوانه الخلص اسندوا اليه في رسائلهم الخاصة بعضاً من فضائل النور، وذلك لكونه ترجماناً للفيوضات الايمانية القوية التي استمدوها من رسائل النور، ولم يخطر ببالهم في ذلك اي معنى سياسي، بل على مجرى العادة، ذلك لان الانسان قد يخاطب شخصاً عادياً ويقول له: «انت ولي نعمتي... انت سلطاني». اي يعطون له - من زاوية حسن الظن - رتباً عالية لايستحقه، وهي اكثر الف مرة من رتبته ومن قيمته. وكما هو معلوم فان هناك عادة قديمة جارية مقبولة - لم يعترض عليها احد - فيما بين الطلاب وبين اساتذتهم وهي قيام الطلاب بمدح مبالغ فيه لاساتذتهم قياماً منهم بحق الشكر، ووجود بعض التقاريظ والمدح المبالغ فيه في خاتمة الكتب المقبولة.. فهل يعد هذا ذنباً باي وجه من الوجوه؟ صحيح ان المبالغة تعد في جانب منها مخالفة للحقيقة، ولكن شخصاً مثلي ليس له أحد، ويعاني من الغربة ما يعاني، وله اعداء كثيرون، وهناك أسباب عديدة لكي يبتعد عنه معاونوه ومساعدوه... أفيستكثر عليّ هؤلاء البعيدون عن الإنصاف ان اشدّ من الروح المعنوية لهؤلاء المساعدين والمعاونين ضد المعارضين العديدين، وان انقذهم من الابتعاد والهرب واحول دون كسر حماستهم المتجلية في مديحهم المبالغ فيه، وان احوّل هذا المديح الى رسائل النور ولا أردهم رداً كاملاً وقاطعاً؟ وهكذا يظهر مدى ابتعاد بعض الموظفين الرسميين عن الحق او عن القانون وعن الانصاف عندما يحاولون ان ينالوا من الخدمة الايمانية التي يؤديها شخص بلغ من العمر عتياً وهو على ابواب القبر، وكأن هذه الخدمة مسخرة لغرض من اعراض الدنيا.

ان آخر ما نقول: لكل مصيبة ﴿**انا لله وانا اليه راجعون**﴾.

سعيد النورسي

* * *

ملحق

لقد ورد في ختام قرار التحقيقات الاخيرة التي أجريت من قبل محكمة التحقيقات ما يأتي:

« لقد قرر مجلس الوزراء قبل اربعة أشهر منع نشر رسالة « المعجزات القرآنية » اي « الكلمة الخامسة والعشرين » ومصادرة اعدادها من السوق نظراً لورود شرح لثلاث آيات قرآنية، وهذا الشرح يعارض القانون المدني الحالي ويصادم المدنية ».

وجواباً على هذا نقول:

ان رسالة « المعجزات القرآنية » موجودة الآن ضمن رسالة « ذو الفقار » هذه الرسالة يقارب عدد صفحاتها الاربعمائة صفحة، كنت قد نشرتها رداً على انتقادات المدنية الغربية للقرآن الكريم رداً قاطعاً لايمكن جرحه او الاعتراض عليه. ويشغل هذا صفحتين منها في معرض تفسير لثلاث ايات قرآنية وموجود بصورة متفرقة في ثلاث رسائل قديمة لي. الآية الاولى كانت آية الحجاب، والآية الثانية كانت حول الإرث وهي آية ﴿ **فلأمّه السدس** ﴾(النساء: ١١) اما الآية الثالثة فكانت ايضاً حول الإرث وهي آية ﴿ **فللذكر مثل حظ الانثيين** ﴾(النساء: ١٧٦) ومع انني قمت بشرح حِكَم حقائق هذه الآيات في صفحتين اثنتين وقبل عشرين عاماً (بعضها قبل ثلاثين عاماً) شرحاً ألزم الفلاسفة، إلاّ انهم توهموا وكأنها كُتبت اليوم. وبدلاً من منع رسالة« ذو الفقار » البالغة اربعمائة صفحة فقد كان في الامكان اخراج هاتين الصفحتين فقط منها، ثم اعادتها الينا، وهذا حق قانوني لنا؛ اذ لو وجدت كلمة واحدة او كلمتان ضارتان في خطاب ما، حذفت هاتان الكلمتان وسمح بنشر ذلك الخطاب، وقياساً على هذا فاننا نطالب بحقنا هذا من محكمتكم العادلة.

ولعدم وجود إمكانية مجيء احدهم عندي ليقرأ لي لائحة الاتهام البالغة اربعين صفحة والصادرة قبل شهر فقد قرأوا هذه اللائحة لي اليوم (المصادف لليوم الحادي عشر من حزيران)... قرأوا اللائحة واستمعت انا فوجدت ان الدفاع الذي كتبته قبل

شهرين وكذلك تتمة هذا الدفاع وملحقه الذي كتبته قبل شهر والذي ارسلته الى مقامكم والى ست مراجع في انقرة يرد لائحة الاتهام هذه رداً قاطعاً، لذا لا اجد اي مسوغ لكتابة دفاع جديد. ولكني احب تذكير مقام الادعاء عندكم بنقطتين او ثلاث فاقول:

ان السبب الذي حدا بي الى عدم الاجابة على هذه اللائحة يعود الى انني لم أشأ ان اطعن في كرامة ثلاث محاكم عادلة اصدرت قراراتها ببراءتنا ولم أشأ ان أخونها. ذلك لان تلك المحاكم حققت بشكل دقيق جميع الاسس الواردة في لائحة الاتهام هذه ثم اصدرت قراراتها بالبراءة. ان عدم احترام هذه القرارات وعدّها وكأنها لاشئ يُعدّ تجاوزاً واعتداءً على شرف جهاز العدالة.

النقطة الثانية:

لقد حاول مقام الادعاء بحذلقة اعطاء معاني لم تخطر على بالنا لمسألتين او ثلاث من بين آلاف المسائل لاتهامنا، بينما توجد هذه المسائل في امهات رسائل النور وحازت على رضى وقبول المحققين من علماء الازهر في مصر وعلماء الشام وحلب وعلماء مكة المكرمة والمدينة المنورة وخاصة على رضى وقبول العلماء المحققين لرئاسة الشؤون الدينية، لذا فقد دهشت واستغربت عندما رأيت المدعي العام يورد بعض الردود وبعض الاعتراضات العلمية في لائحة الاتهام وكأنه عالم من علماء الدين وشيخ من شيوخه. ولنفرض جدلاً ان لي بعض الاخطاء فلا يمكن ان تعد ذنباً يحاسب عليه القانون بل مجرد خطأ علمي، هذا مع العلم ان اي عالم من الاف العلماء لم ير هذه الاخطاء التي يشير اليها المدعي العام ولم يعترض عليها. ثم ان ثلاث محاكم برأتنا وبرأت رسائل النور كلها سوى خمس عشرة كلمة واردة في «اللمعة الرابعة والعشرين» حول (الحجاب) حيث اصدرت محكمة «اسكي شهر» عقوبات خفيفة بحقي وبحق خمسة عشر بالمائة من اصدقائي. وكنت قد ذكرت في تتمة دفاعي التي قدمتها اليكم بانه لو كانت هناك عدالة على سطح الارض لما قبلت ذلك الحكم ضدي بسبب تفسيري ذاك، الذي اتبعت فيه حكم ثلاثمائة وخمسين الف تفسير. وقد حاول المدعي العام بذكائه وبمعاذير شتى اختيار بعض الجمل لكتاب ولخطابات تعود الى عشرين سنة مضت وتحويرها ضدنا. بينما اصبحت خمس او

ست محاكم - وليست ثلاث محاكم فقط - من المحاكم التي برأتنا شريكة لنا في هذا الذنب او الجرم المزعوم. وانا أذكّر مقام الادعاء العام بضرورة عدم التعرض الى كرامة تلك المحاكم العادلة.

النقطة الثالثة:

ان نقد ومعارضة رئيس مات وانتهى امره وانقطعت صلته بالحكومة لكونه سبباً في بعض السلبيات في الانقلاب لايعد ذنباً او جرماً في نظر القانون. ولم يكن انتقادنا له صريحاً، بل قام المدعي العام بحذلقته بتطبيق ما جاء في بياننا بشكل عام وكلي، على ذلك الرئيس. فما كان سراً من المعاني التي لم نوضحها اظهره هذا المدعي العام على الجميع وفضحه وركز عليه انظار الناس جميعاً. فان كان هناك ذنب في هذه المعاني فمن المفروض ان يكون المدعي العام شريكاً فيه، ذلك لانه جلب انظار الجماهير لهذه المعاني وحرضهم.

النقطة الرابعة:

على الرغم من قيام ثلاث محاكم باصدار قراراتها بتبرئتنا بشكل قاطع من تهمة تشكيل جمعية الا ان المدعي العام يحاول تكرار الاسطوانة القديمة حول الاوهام والمزاعم الخاصة بتشكيل جمعية سرية ويجهد نفسه في البحث عن اي معاذير غير حقيقية في هذا المجال. ومع ان هناك عدة جمعيات سياسية ضارة لهذه الامة ولهذا الوطن، فانه يؤذن لها ويسمح لها باداء نشاطها بينما يتم إلصاق تهمة «استغلال الدين لتحريض الناس على الاخلال بالامن» بنا، مع ان هناك الاف الشهود والاف الشواهد وقرارات ست ولايات بعدم التعرض لنا، تثبت بان الصداقة الموجودة بين طلاب النور وهى صداقة دراسة هي في صالح الامة وفي صالح الدين وهي في سبيل تأمين السعادة الدنيوية والسعادة الاخروية، وان هؤلاء الطلاب وقفوا وجاهدوا متساندين ضد جميع تيارات الإفساد سواءً أكانت من الخارج ام من الداخل، لذا فان إلصاق تهمة تشكيل جمعية سرية والاخلال بالامن مع انه لم يسجل في ظرف عشرين عاماً اي حادثة اخلال للأمن ضد اي طالب من طلاب النور الذين يتجاوز عددهم مئات الآلاف.. ان مثل هذه التهم لايحتد لها النوع الانساني وحده بل يحق

لهذه الارض ايضاً ان تحتد وترد هذه التهمة... على اي حال فانني لا اجد مبرراً لإطالة الكلام، اذ ان دفاعي (الذي كتبته قبل لائحة الاتهام هذه) وتتمة دفاعي كافيتان للرد وللاجابة على المدعي العام.

الموقوف في سجن أفيون

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اوضح لمحكمة افيون ولرئيس محكمة الجنايات الكبرى انه:

لقد قطعت علاقتي بالدنيا لانني مفطور منذ البداية على عدم تحمل التحكم. وتبدو الحياة الآن امام عيني ثقيلة جداً الى درجة انني ارى بانني لا استطيع العيش في مثل هذه الحياة المليئة بتحكمات لامعنى ولا ضرورة لها اذ لا استطيع تحمل تحكمات ونوازع السيطرة لدى المئات من الاشخاص الرسميين خارج السجن، فقد مللت من مثل هذه الحياة. وانا اطالبكم بكل ما املك من قوة ان تعاقبوني. وبما انني لا استطيع نيل الموت فان من الضروري لي البقاء في السجن. وانتم تعلمون جيداً ان الاتهامات الباطلة التي اسندها لي مقام الادعاء غير موجودة وغير واردة اصلاً. لذا فهي لاتكفي لايقاع العقوبة بي. ولكن وجود تقصيرات كبيرة عندي تجاه الوظيفة الحقيقية هو الذى يسبب لي عقاباً معنوياً. ولو كان الاستفسار مناسباً فانني مستعد للاجابة على استفساراتكم. اجل ان ذنبي الوحيد المتأتي من تقصيراتي الكبيرة والذي لايغتفر من حيث الحقيقة، هو انى بسبب عدم التفاتى الى الدنيا لم اعمل ما انا مكلف به من ايفاء وظيفة جليلة الشأن في سبيل الوطن والامة وفي سبيل الدين، وان عدم استطاعتي ذلك لا يشكل عذراً بالنسبة الي، وقد توصلت الآن الى هذه القناعة في سجن «آفيون» هذا.

ان الذين يتهمون طلاب النور – الذين تنحصر علاقتهم الاخروية الخالصة برسائل النور وبمؤلفها، ويحاولون تحميلهم مسؤولية تشكيل جمعية سياسية، بعيدون كل البعد عن العدالة والحقيقة. اثبت ذلك قرار التبرئة لثلاث محاكم بثلاث جهات. فضلاً عن هذا نقول:

ان جوهر الحياة الاجتماعية الانسانية ولاسيما للامة الاسلامية واساسها هو: وجود محبة خالصة بين الاقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف ووجود اخوة معنوية وتعاونية نحو اخوته المؤمنين ضمن القومية الاسلامية، ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه ووجود التزام قوي ورابطة قوية لاتهتز مع الحقائق القرآنية التى تنقذ حياته الابدية، ومع ناشرى هذه الحقائق، وامثالها من الروابط التي تحقق اساس الحياة الاجتماعية، وان انكارها لايؤدي الا الى قبول الخطر الأحمر الذي يتربص بنا في الشمال الذي يبذر بذور الفوضى ويحاول القضاء على الاجيال وعلى القومية وتجمع اطفال الناس هناك ويضعهم تحت تصرفه وتحاول ازالة شعور القرابة وشعور القومية وافساد المدنية البشرية والحياة الاجتماعية افساداً تاماً، اقول انه بذلك الانكار وذلك القبول يمكن اطلاق اسم الجمعية على طلاب النور، لذا فان طلاب النور الحقيقيين يظهرون علاقاتهم المقدسة مع الحقائق القرآنية ويظهرون ارتباطهم الذي لا ينفصم مع اخوانهم في الحياة الآخرة، ولانهم يتقبلون برحابة صدر اية عقوبة تقع عليهم بسبب هذه الاخوة فانهم يعترفون بهذه الحقيقة كما هي في حضور محكمتكم العادلة، ولا يتدنون عند الدفاع عن انفسهم الى درك الحيلة والنفاق والكذب.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

ذيل تتمة الاعتراض
المقدم الى الادعاء العام لمحكمة آفيون

اولاً: أُبيّن للمحكمة: ان هذا الادعاء الجديد ايضاً مبني على ادعاءات قديمة لمحكمة «اسكي شهر» و«دنيزلي» ومبني على التقرير المقدم من قبل خبراء سطحيين بعد تحقيقاتهم العابرة. وقد ادعيت في محكمتكم: إن لم اثبت مائة خطأ في هذا الادعاء فانا راضٍ بانزال عقاب مائة سنة من السجن بي وها أنا الآن أُثبت دعواي. إن شئتم اقدم لكم الجدول المتضمن للاخطاء التي تزيد على المائة.

ثانياً: عندما أُرسلتْ اوراقنا وكتبنا الى آنقرة من محكمة «دنيزلي» كتبت لإخوتي – في غضون ترقبي وقلقي على صدور قرار ضدنا – الفقرة التي في ختام بعض دفاعاتي، وهي:

إذا استطاع موظفو العدالة الذين يدققون رسائل النور بهدف النقد والتقييم، أن يقووا ايمانهم وينقذوه، ثم حكموا عليّ بالاعدام، اشهدوا بانني قد تنازلت لهم عن جميع حقوقي. لاننا خدام الايمان ليس الاّ. وان المهمة الاساس لرسائل النور هي: تقوية الايمان وانقاذه. لذا نجد انفسنا ملزمين بالخدمات الايمانية، دونما تمييز بين عدوٍ وصديق، ومن غير تحيّز لأية جهة كانت.

وهكذا.. ايها السادة اعضاء المحكمة، استناداً الى هذه الحقيقة، وفي ضوئها، فقد استطاعت رسائل النور بحقائقها الناصعة وبراهينها الساطعة ان تستميل نحوها قلوب الكثيرين من اعضاء المحكمة وحملتهم على التعاطف معها. فلا يهمني بعدُ ما تريدون فعله، وما تقررون في حقي.. افعلوا ما شئتم فاني مسامحكم.. ولن اثور او اغضب عليكم إطلاقاً. و هذا هو السبب في انني تحملت أشد انواع الأذى والجور والاستبداد والتعرض والاهانات المتكررة التي اثارت اعصابي والتي لم اقابِل قبلُ بمثلها طوال حياتي كلها.. بل انني لم ادعُ على احد بالشر او السوء.

وان مجموعات رسائل النور التي بين ايديكم لهي دفاعي غير القابل للجرح او الطعن، وهي خير دليل على زيف جميع الادعاءات المثارة ضدنا.

انه لمثير للعجب والحيرة: انه في الوقت الذي دقق علماء اجلاء من مصر والشام وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة وعلماء من رئاسة الشؤون الدينية، مجموعات رسائل النور ولم ينتقدوا منها شيئاً، بل استحسنوها وقدروها حق قدرها. وفي الوقت الذي حملت الرسائل مائة الف من اهل الحقيقة على التصديق بها رغم الظروف الصعبة المحيطة، ورغم ما اعانيه من الاغتراب والشيخوخة وقلة النصير، وفضلاً عن الهجمات الشرسة المتلاحقة.. اقول في الوقت الذي تقدّر الرسائل هكذا، اذا بالذكي(!) الذي استجمع علينا ادعاءات واهية يتفوه بخطأ فاحش ينم عن سطحيته وسطحية نظرته للامور، اذ قال: ان القرآن الكريم عبارة عن مائة واربعين سورة!.. هذا الشخص نفسه يقيّم رسائل النور فيقول: «ان رسائل النور مع انها تحاول تفسير القرآن الكريم وتأويل الاحاديث الشريفة الاّ انها لا تحمل ماهية علمية وقيمة راقية من حيث تقديمها المعرفة الى قرائها». ألا يفهم من تنقيده هذا انه بعيد كل البعد عن القانون والحقيقة والحق والعدالة!.

و اشكو اليكم ايضاً:

لقد اسمعتمونا الادعاء العام كاملاً طوال ساعتين والذي ادمى قلوبنا لما فيه من اخطاء تربو على المائة سجّلناها في اربعين صفحة. الاّ انكم لم تفسحوا لي مجال دقيقتين من الزمان كي اجيبه في صفحة ونصف الصفحة رغم اصراري على ذلك، لذا اطالبكم باسم العدالة بقراءة اعتراضي بتمامه.

ثالثاً: ان لكل حكومة معارضين. فلا يسمح القانون بالتعرض لهم ماداموا لم يخلّوا بالنظام. أفيمكن لي ولأمثالي ممن اعرضنا عن الدنيا ونسعى للقبر أن ندع السعي للحياة الباقية على وفق المسلك الذي سلكه اجدادنا الميامين طوال الف وثلاثمائة وخمسين سنة وبهدي تربية قرآننا العظيم، وفي ضوء دساتير يقدّسها ثلاثمائة وخمسون مليوناً مؤمناً في كل عصر، ثم ننشغل بحياة دنيوية قصيرة فانية وننقاد لقوانين ودساتير غير اخلاقية للمدنية السفيهة، بل قوانين جائرة وحشية كما هي في البلشفية، وننحاز اليها تحت ضغوط اعدائنا ودسائسهم؟ فليس هناك قانون في العالم كله ولا انسان يملك ذرة من الانصاف يُكره الآخرين على قبول هذا بذاك.

إلاّ اننا نقول لاؤلئك المعارضين: اننا لم نتعرض لكم فلا تتعرضوا لنا!

وهكذا بناء على هذه الحقيقة: اننا لسنا مع زعيم اصدر اوامر حسب هواه باسم القانون، لتحويل جامع ايا صوفيا الى دار للاصنام وجعل مقر المشيخة العامة ثانوية للبنات.. لسنا معه فكراً ولا موضوعاً ولا من حيث الدافع ولا من حيث النتيجة، ولا نجد انفسنا ملزمين بقبول امرٍ كهذا.

والواقع انه بالرغم من حياة الاسر والتشرد التي عشتها خلال هذه السنوات العشرين ، والتي ذقت فيها الواناً من العذاب، وتعرضت لأقسى وأشنع اساليب الظلم والاستبداد، ومع ان هناك مئات الالوف من اخواني النوريين الاوفياء، فاننا لم نتدخل في الامور السياسية ولم تُسجّل حادثة واحدة تدل على تعرضنا للأمن او اخلالنا بالنظام.

ان ما اتعرض له في اخريات ايامي هذه، من الاهانات المتكررة والمعاملات الظالمة التي أُقابل بها، وحياة الاغتراب والتشرد التي اعيشها والتى لم أر مثلها من قبل جعلني املّ الحياة.. انني سئمت الحرية المقيدة، تلك الحرية التي يحدها التحكم ويعقلها الجور والاستبداد. لقد رفعت اليكم طلباً لا لإطلاق سراحي وتخفيف عقابى وإبراء ساحتي، كما هو المألوف، بل لإنزال أشد العقاب بى واقساه، نعم أشده وأقساه لا أخفه وأهونه، ذلك لانه لا سبيل للتخلص من مثل هذه المعاملة العجيبة المنكرة سوى احد امرين: السجن او القبر. ان الطريق الى القبرمسدود امامى لا استطيع الحصول عليه لأن الانتحار محظور شرعاً، ثم ان الاجل سر خفى ، لا يدرك الانسان كنهه بَلْهَ عن ان تطوله يداه، لذا فقد رضيت بالسجن الذي انا رهين اعتقاله وتجريده منذ حوالى ستة اشهر.(١) الاّ انني لم اقدم هذا الطلب في الوقت الحاضر نزولاً لرغبة اخواني الابرياء.

رابعاً: انني خلال هذه السنوات الثلاثين من حياتي، والتي اطلقت فيها على نفسي اسم «سعيد الجديد» أدّعي فأقول: بانني قد بذلت ما وسعني الجهد لكبح جماح نفسي الامارة بالسوء، وصونها من العجب والتطلع الى الشهرة والتفاخر، بل قد جرحت اكثر من مائة مرة مشاعر طلاب النورالذين يحملون حسن ظن مفرط

(١) والحال نفسها تدوم بعد مضي سبعة عشر شهراً – المؤلف.

بشخصي، يشهد على هذا ما كتبته في (رسائل النور) وحقائقها المتعلقة بشخصي، والمنصفون ممن يختلفون اليّ بجد، والاصدقاء جميعاً. فأنا لست المالك لبضاعة النور، بل لست الاّ دلالاً ضعيفاً بسيطاً في حانوت مجوهرات القرآن.

كما انني بتصديق من اخواني المقربين، وبما شاهدوا من اماراتها العديدة، عازم على ألاّ أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائفة وحدها، بل لو أسند اليّ - فرضاً - مقامات معنوية عظمى، فانني اضحى بها ايضاً لخدمتي للايمان والقرآن خشية اختلاط حظوظ نفسي باخلاصي في الخدمة. وقد قمت بهذا فعلاً.

ومع ذلك فقد جعلت محكمتكم الموقرة، من مشاعر الاحترام التي ابداها نحوى بعض اخواني – نظير انتفاعهم برسائل النور كشكر معنوي من قبيل احترام زائد عن احترام المرء لابيه – مع رفضي وعدم قبولي لها، جعلتها مدار استجوابنا وكأنها مسألة سياسية وحملتم فريقاً منهم على التنكر لذلك الاحترام، فيا عجباً ايّ ذنب واي جريرة في امتداح جاء على لسان الغير ولم يرض به هذا العاجز ولا يرى نفسه لائقاً بذلك؟

خامساً: انى اعلن لكم بصراحة تامة ان محاولة إلصاق تهمة الانتماء الى التكتلات والتجمعات والتدخل في الشؤون الداخلية، الى طلبة النور الذين لاعلاقة لهم بايّ وجه بالتحزب والتجمع والتكتلات والتيارات السياسية المختلفة، ماهي الاّ من وحي منظمة الزندقة المتسترة التي تعمل منذ اربعين سنة على هدم الاسلام ومحو الايمان، خادمة بذلك لنوع من البلشفية والتى سبّبت – هذه المنظمة – في تغذية روح التطرف والفوضى في هذه البلاد، سواء بعلم او بغير علم، واتخذت موقفاً مضاداً تجاهنا.

بيد ان ثلاث محاكم مختلفة قد اتفقت على تبرئة ساحة رسائل النور وطلبتها من تهمة الانتماء الى التكتلات، سوى محكمة واحدة، وهي محكمة «اسكى شهر» حيث حكمت عليّ بالسجن لمدة عام واحد، ولمدة ستة اشهر على خمسة عشرة من اخواني من مجموع مائة وعشرين شخصا. ولعل الذي دفع محكمة «اسكي شهر» الى اتخاذ ذلك القرار يعود الى ورود فقرة كُتبت قديماً جاءت ضمن رسالة صغيرة تتعلق بمسألة واحدة وهي «الحجاب» وكان نص تلك الفقرة كما يأتي :

«لقد طرق سمعنا: ان صباغ أحذية قد تعرض لزوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير، كانت مكشوفة المفاتن، وراودها نهاراً جهاراً في قلب العاصمة «انقرة»! أليس هذا الفعل الشنيع صفعة قوية على وجوه اولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من اعداء العفة والحجاب؟»

واذاً فان اصطناع الاسباب الواهية والاتهامات الباطلة ضد طلبة رسائل النور الآن، إن هو الاّ بمثابة الحكم ضد تلك المحاكم الثلاث، ومحاولة لإلصاق التهمة بها ووصمها بوصمة الخيانة والعار.

سادساً: لا يمكن المبارزة مع رسائل النور.. فقد اتفقت كلمة علماء الاسلام الذين اطلعوا عليها انها تفسير قيم صادق للقرآن الكريم، اي انها تنطوي على براهين دامغة لحقائقه الناصعة وهي معجزة معنوية من معجزات القرآن في هذا العصر، وسد منيع امام الاخطار والمهالك التي تتربص بهذه البلاد وبهذه الامة من الشمال.

فالواجب يقتضي من حيث الحقوق العامة ان تعمل محكمتكم الموقرة على الترغيب في هذه الرسائل بدلاً من تخويف طلابها وترغيبهم عنها، هذا ما نعلمه، بل ننتظره منكم.

ومن المعلوم ان عدم التعرض لكتب الملاحدة وبعض الساسة المتزندقين ومجلاتهم وجرائدهم – مع ضررها الفادح للأمة والبلاد والأمن العام – تحت ستار الحرية العلمية، يدفعنا حتماً الى القول والتساؤل: ما الجانب المحظور من التحاق شاب بريئ يحتاج الى العون والمساعدة الى صفوف طلبة النور، كي ينقذ ايمانه وينجو من التردى في هاوية الاخلاق الذميمة؟ أفليس من الحكمة والعدل والواجب ان تحتضن الحكومة ووزارة المعارف (التربية) هذا العمل وتشجعه وتقدره حق قدره بدلاً من ان تعمل على مكافحته وعلى ملاحقتنا دون سبب؟

كلمتي الاخيرة: نسأل الله ان يوفق الحكام الى احقاق الحق واقرار العدل.. آمين

حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المصير

الحمد لله رب العالمين.

سعيد النورسي

كلمتي الأخيرة

اود ان ابيّن مايلي لهيئة المحكمة:

لقد ادركت من لائحة الاتهام ومن وضعي لمرات عديدة وطويلة في السجن الانفرادي بان شخصي هو الهدف في هذه المسألة، فقد لوحظ وجود مصلحة لتهوين شأني والنيل من شخصي. وقد زعم انني شخص ضار للادارة وللأمن وللوطن، وانني اسعى تحت ستار الدين الى مقاصد دنيوية ومن أجل نوع من السياسة، و رداً على هذا فانني ابيّن لكم بقطعية تامة:

من اجل هذه الاوهام ومن أجل محاولتكم محاربتي شخصياً لا تمدّوا يدكم بالاذى الى رسائل النور ولا الى طلاب النور الميامين لانهم هم الابناء المضحون في سبيل هذا الوطن وفي سبيل هذه الامة، والاّ سيلحق بهذا الوطن وبهذه الامة ضرر كبير وقد يكون ذلك سبيلاً الى خطر عليهما. واريد ان اؤكد لكم:

لقد قررت ان اقبل – في ضوء مسلكي الحالي – ايّ اذى واية اهانة وايّ عذاب وايّ عقاب موجه الى شخصي بشرط ألاّ يأتي اي ضرر الى رسائل النور والى طلابها بسببي، ففي هذا ثواب لي في الآخرة وهو وسيلة لانقاذي وخلاصي من شرور نفسي الامارة بالسوء. فبينما ابكي من ناحية فانني مسرور من ناحية اخرى. ولو لم يدخل هؤلاء الابرياء المساكين السجن معي من أجل هذه المسألة لكانت لهجتي في الدفاع شديدة جداً، وقد شاهدتم انتم ايضاً ورأيتم كيف حاول من كتب لائحة الادعاء البحث عن أسباب واهية ومعاذير باطلة فقدم جميع ما كتبته من كتب ومن خطابات سرية خاصة وغير خاصة في ظرف عشرين اوثلاثين سنة من حياتي كأنني قد كتبتها باجمعها في هذه السنة، وساق لبعضها معاني خاطئة وقدمها وكأنها لم تر ولم تدخل اية محكمة ولم يشملها اي قانون من قوانين العفو، ولم تتعرض لمرور الزمن.. كل هذا من اجل النيل مني، والحط من شأني. ومع انني ذكرت اكثر من مائة مرة باني اعترف بضآلة شاني وصغر قيمتي، ومع ان معارضي يحاولون بكل وسيلة النيل مني وتهوين امري إلا ان سبب محبة عامة الناس لي محبة اقلقت رجال السياسة يعود الى ان تقوية

الايمان يحتاج في هذا الزمن وفي هذه الظروف حاجة ملحة وقطعية الى اشخاص لايضحون بالحقيقة – في موضوع الدين – من أجل اي شئ على الاطلاق ولا يجعل احدهم الدين وسيلة وآلة لاي غرض ولاي شئ، ولا يعطي لنفسه حظاً، وذلك لكي يمكن الاستفادة من ارشاداته في دروس الايمان وتحصل القناعة التامة به.

نعم، انه لم يحدث في اي ظرف من الظروف ان اشتدت الحاجة الى الخدمة مثلما بلغه في عصرنا هذا وذلك لأن الاخطار قد داهمتنا من الخارج بشدة وضراوة بالغتين. ومع اعترافي واعلاني بأن شخصي العاجز لا يكفي لسد هذه الحاجة او ملء ذلك الفراغ، فقد ذهب البعض الى الظن بان شيئاً من ذلك يمكن ان يتحقق على يدي، لا لمزية معينة في شخصي، بل لشدة الحاجة الى من يقوم بمثل هذا العمل ولعدم بروز احد بروزاً ظاهراً لتحمل تلك المسؤولية العظمى.

ولقد تأملت منذ أمد طويل في هذه المسألة في حيرة وتعجب، اذ على الرغم من اخطائي وعيوبي الشخصية المدهشة، وعدم جدارتي للقيام بمثل هذا العمل الجليل باي وجه كان، فقد بدأت افهم الحكمة في التفات العامة وابدائهم ضرباً من مشاعر الاحترام نحوي. والحكمة هي:

ان الحقائق التي تحتوي عليها رسائل النور، والشخصية المعنوية التي يمثله كيان طلبتها، قد يممتا وجه تلك الحاجة شطرهما، ولا سيما في ظرف مثل ظرفنا ومثل وسطنا الحاليين، ومع ان حظي من الخدمة قد لايبلغ الواحد في الالف، فان البعض يعتقدون فيّ تجسيداً لتلك الحقيقة الخارقة وممثلاً لتلك الشخصية الامينة المخلصة فيبدون نحوى ذلك النوع من الالتفات.

والواقع ان هذا النوع من الالتفات بقدر ما هو ضارٌ بي، ثقيل على نفسي ايضاً. حتى انني آثرت الصمت بغير حق على تلك الخسائر المعنوية، حفاظاً على الحقائق النورية وشخصيتها المعنوية. وربما يعود السبب في ذلك النوع من الالتفات الى اشارة مستقبلية للامام علي رضى الله عنه وللشيخ الكيلاني قُدس سره، ولبعض الاولياء الآخرين، بإلهام الهي الى حقيقة رسائل النور، وشخصية طلبتها المعنوية.. وما ذلك الاّ لكون تلك الرسائل مرآة صغيرة عاكسة لمعجزة القرآن المعنوية في عصرنا الحاضر.

ولعل ذلك البعض قد اخذ شخصي الضعيف بنظر الاعتبار، لا لشئ الاّ لكوني خادماً لتلك الحقيقة الخارقة. ولقد اخطأت عندما لم اصرف التفاتهم الجزئي لشخصي بتأويل الى رسائل النور. والسبب في هذا يعود الى ضعفي وكثرة الاسباب التي قد تدفع مساعديّ الى الخوف. وما قبولي جزءاً مما يخصّ شخصي في الظاهر إلاّ لإضفاء سمة الاعتماد وصبغة الثقة على اقوالي لا غير.

انني انذركم بالآتي:

لا داعي اطلاقاً للقضاء على شخصي الفاني الشارف على باب القبر. ولاداعي كذلك الى اعطاء مثل هذه الاهمية لوجودي. وانه مما يجب ان تعلموه جيداً هو ان المبارزة مع رسائل النور محاولة يائسة. انكم لن تستطيعوا مبارزتها، ولا تبارزوها. انكم لن تتغلبوا عليها. ولئن حاولتم مبارزتها، فلن تعودوا الاّ باضرار جسيمة على الامة والبلاد معاً، ولكن لن تستطيعوا تشتيت شمل طلبتها او تفكيك وحدتهم مهما حاولتم.. اذ ليس من السهل حمل احفاد وابناء اجدادنا البسلاء الذين ضحوا باكثر من خمسين مليوناً من الشهداء في سبيل الحفاظ على القرآن وحقائقه القيمة، على التنكر والنسيان لماضيهم المجيد، ولا الحيلولة دون بطولاتهم الدينية الرائعة التي كانت دوماً محط انظار العالم الاسلامي وموضع اعجابه. وحتى لو انسحبوا من الميدان فان اولئك الطلاب الاوفياء لن يتخلوا عن رسائل النور التي هي مرآة عاكسة لتلك الحقيقة ولن يرضوا – بذلك التخلي – ان يصيب الضرر الوطن والامة والأمن.

وآخر قولي:

﴿ فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾

* * *

عريضة مرسلة الى مجلس الوزراء

لي رجاء مهم جداً

في خاتمة المجموعة المسماة «سراج النور» والتي تزيد عن ثلاثمائة صفحة توجد خمس عشرة صحيفة - وهي «الشعاع الخامس» -كتبت منذ زمن طويل كانت سبباً لصدور قرار من مجلس الوزراء بمصادرة تلك المجموعة وجمعها.

ان من الممكن اخراج هذا القسم الذي تُوهّم ضرره من مجموعة «سراج النور» التي ثبتت وتحققت فائدتها للجميع ولاسيما لاصحاب المصائب والبلايا وللشيوخ وللذين لديهم شكوك في نواحي الايمان، ثم السماح بماتبقى من الثلاثمائة صفحة للنشر، فباسم جميع من استفادوا من هذه المجموعة وسرّي عنهم من اصحاب المصائب والرزايا والشيوخ وباسم جميع المحتاجين الى الحقائق الايمانية نرجو من مجلس الوزراء السماح بنشرها.

وفي مجموعة «ذو الفقار» البالغة اربعمائة صفحة والتي كُتبت قبل ثلاثين سنة للرد على فلاسفة اوروبا وردت صفحتان فقط من تفسير آيتين حول الارث وحول تحجب النساء.

وورد سطر واحد حول المصارف في رسالة «اشارات الاعجاز» التي كتبت قبل ثلاثين سنة عند تناول اية ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾(البقرة: ٢٧٥).

وقبل ثلاثين سنة عندما كنت عضواً في «دار الحكمة» كتبت جواباً لستة اسئلة تقدم بها رئيس اساقفة الانكليكان لإنكلترا الى المشيخة الاسلامية وهناك سطر واحد فقط في هذه الاجابة لايسمح به القانون المدني الحالي.

اننا نرجو منكم اعادة مجموعة «ذو الفقار» الينا المصادرة بحجة وجود صفحتين وسطر واحد فقط فيها قيل ان القانون المدني الحالي لايسمح به، مع ان هذه الرسالة قوبلت في العالم الاسلامي باستحسان كبير واثبتت عملياً فوائدها الكبيرة لانها برهنت بشكل رائع على ثلاثة اركان ايمانية، فطلب اعادتها الينا من حقنا، ذلك لأنه

ان وجدت خمس كلمات ممنوعة في رسالة ما تحذف تلك الكلمات وتسمح بنشر باقي الرسالة، لذا فنحن نطلب ضمان هذا الحق القانوني المهم لنا. وباسم جميع من يخدم القرآن والايمان ويسعى الى تحقيق الامن والنظام ويخدم هذا الوطن وهذه الامة عن طريق رسائل النور نطالبكم بانقاذنا من الظلم الواقع علينا من الذين يجعلون من الحبة قبة.

ثم ان رسالة «الهجمات الست» التي كتبتها قبل ثمانية عشر عاماً في ساعة غضب وحدّة، لتعرضي الى ظلم شديد.. هذه الرسالة لم ارها منذ ذلك الوقت وابقيتها سرية خاصة ولم اسمح بنشرها، ومع انها وقعت في أيدي ثلاث واربع محاكم، الا ان هذه المحاكم اعادتها الى اصحابها.

سعيد النورسي

* * *

«رسالة شكر»

باسمه سبحانه

رسالة شكر اقدمها الى هيئة الخبراء في ديوان رئاسة الشؤون الدينية، ابين فيها «ثلاث نقط» لاعينهم بها على تصحيح انتقادات جزئية وردت في تدقيقاتهم واجيبت عنها بوضوح.

النقطة الاولى:

انني اقدم شكري الى اولئك العلماء الافاضل بثلاث جهات. فانا ممتن لهم بصفتي الشخصية:

اولاها: قيامهم بتلخيص ثلاث عشرة رسالة من مجموعة «عصا موسى» – مما سوى رسالة «الشعاع الخامس» – تلخيصاً يبعث على التقدير والاعجاب.

ثانيتها: ردّهم لما دار عليه اتهامنا وهو: انشاء طريقة صوفية، تشكيل جمعية، والاخلال بأمن البلاد.

ثالثتها: تصديقهم لدعواي في المحكمة، وهو ما قلته امام المحكمة: اذا وجد شئ من الذنب فانه يعود لي، فطلاب النور بريئون منه، ولقد سعوا في سبيل النور انقاذاً لإيمانهم. فاولئك الخبراء ينقذون ايضاً طلاب النور ويبرؤن ساحتهم ويسندون الذنوب اليّ. وانا بدوري اقول لهم: ليرضَ الله عنهم. الاّ انهم جعلوا كلاً من المرحوم حسن فيضي والمرحوم الحافظ علي واشخاص من امثال هذين الشهيدين ووارثيهم شركاء بذنوبي. لذا فقد اخطأوا في هذه الجهة. لان اولئك الميامين سابقون في خدمة الايمان وليسوا شركاء في الذنوب، وهم بريئون من اخطائي وذنوبي وقد ارسلتهم العناية الالهية معينين لي رأفةً بضعفي.

النقطة الثانية:

لقد اعترض اولئك الخبراء على روايات في «الشعاع الخامس» فقالوا لبعضها ضعيفة ولأخرى موضوعة، وخطّأوا تأويل قسم منها. وقد كتب الادعاء العام لمحكمة

«آفيون» تـقريره في ضوء ذلك، بينما اثبـتنا احدى وثمانين خطأً من اخطائه في قـائمة تبلغ خمس عشرة صحيفة. فليطلع الخبراء الافاضل على تلك القائمة.

نقدم ادناه نموذجاً منها:

لقد قال المدعى: جميع تأويلاته مغلوطة، والرويات إما أنها موضوعة او ضعيفة.

ونحن نقول:

ان التـأويل يعنى: ان هذا المعنى ممكن مـراده من هذا الحـديث، اى يحـتـمـل هذا المعنى. امـا ردّ امكان واحتـمـال ذلك المعنى – حسب علم المنطق – فيكون باثبـات محـاليتـه. بينما شـوهد ذلك المعنى عيـاناً، وتحقق فعـلاً فردٌ من كليـة الطبقـة الاشارية لمعنى الحديـث، لذا لا يعترض على ذلك المعـنى قطعاً، لان الحديث قـد اظهر بلمـعة اعجاز غـيبي ذلك المعنى واشهد له هذا العـصر. علاوة على ذلك فقـد اثبتنا في تلك القائمة اخطاء المدعي من ثلاثة وجوه.

احدها:

ان الامـام احـمد بن حنبل الحـافظ للمليـون من الاحـاديث الشريـفة، وكـذا الامـام البـخـارى الحافظ لخـمـسـمائة الـف حديث، لم يـجرآ على نفـي تلك الروايات على اطلاقهـا . علماً ان اثبـات نفيـها غيـر ممكن منطقيـاً، وان المدعي نفسـه لم يطلع على جميع كـتب الاحـاديث النبوية، وان الاكثـرية العظمى لامة الاسلام في كل عـصـر قد انتظروا رؤية معاني تلك الروايات، او فـرداً من كلية معانيها، بل ان تلك المعـانى قريبة من تلقي الامة بالقبول، وقد برز في الواقع افراد منها بذاتهم وشوهدوا عياناً. .

لذا فان انكار تلك الروايات انكاراً كلياً خطأ من عشر جهات.

الوجه الثاني:

ان الرواية الموضوعة تعنى انها ليست حـديثاً مسنداً عن فلان وعن فلان. ولا يعنى ان معناها خطأ. ولما كانت الامة قـد تلقتها بالقبول، ولاسيما اهـل الحقيقة والكشف، وقسم مـن اهل الحديث واهل الاجـتهاد، بل انـتظروا تحقـيق معانيـها. فـلابد ان لتلك الروايات حقائق متوجهة الى العموم كما هى في الامثال المضروبة.

الوجه الثالث:

انى اسأل: هل هناك مسألة او رواية لم يُعترض عليها في كتاب لعلماء مختلفين في المشارب والمذاهب. فمثلاً: ان احدى الروايات التى تذكر مجئ دجالين في الامة هى هذا الحديث الشريف:

(لن تزال الخلافة في ولدعمي – صِنْوِ أبي – العباس حتى يسلمّها الى الدجال)(١)

هذا الحديث الشريف يخبر عن فتنة جنكيز خان وهولاكو، وان دجالاً سيظهر بعد خمسمائة سنة وسيهدم الخلافة.. وامثالها من الرويات الكثيرة التى تخبر عن اشخاص آخر الزمان، وعلى الرغم من ذلك فقد رفض بعض اهل المذهب الميامين او ذوو الافكار المفرطة هذه الروايات. وقالوا: انها رواية ضعيفة او موضوعة.. وعلى كل حال.

ان سبب اقتصارى على ما ذكرت مما ينبغى ان يطول هو حدوث زلزلتين هنا في الساعة التى كنت اكتب هذا الجواب، مثلما حدث اربع زلازل وقت شن الهجوم على رسائل النور وطلابها. والامر على النحو الآتى:

هو توافق حدوث زلزلتين اثناء ما كنت اعانى من ألم جراء عمليات جراحية اجراها تقرير الخبراء الذى سلّم لى مساءً فضلاً عن الحزن الذى غشانى من الانفراد وعدم اللقاء مع الآخرين.

نعم، لقد تسلمت تقرير الخبراء لرئاسة الشؤون الدينية بعد بقائى ثمانية شهور في السجن الانفرادى ومقاساتى المضايقات الشديدة، واذ انا منتظر ان يكونوا لى معينين، اذا – في الصباح – أجد انهم يعززون ادعاء المدعي، حيث ورد: «ان سعيداً قال: ان الزلازل الاربع الماضية هى من كرامات رسائل النور».

فمثلما كتبت في القائمة، اقول: ان رسائل النور من نوع الصدقة المقبولة التى تكون وسيلة لدفع المصائب، فمتى ما هوجمت تجد المصائب الفرصة سانحة امامها فتنزل، واحياناً تغضب الارض بالزلزال.

(١) انظر: كنز العمال ١٤/ ٢٧١ برقم ٣٣٤٣٦ ومسند الفردوس ٣/ ٤٤٧، مجمع الزوائد ٥/١٨٦ جمع الفوائد ١/ ٨٤٩

فما ان عزمت على كتابة هذا، وقع زلزالان هنا(١) مما حملني على ترك كتابة ذلك البحث، لذا ننتقل الى النقطة الثالثة:

النقطة الثالثة:

يا علماءنا المدققين المنصفين ذوى الحقيقة!

لقد دأب اهل العلم – منذ القديم – على عادة فيما بينهم، وهى وضعهم تقريظاً وثناءً – واحياناً مبالغ فيه – نهاية مؤلَّف جيد جديد. وفي الوقت الذى يبدى المؤلّف امتنانه لاولئك المقرظين لا يتهم حتى من قبل منافسيه انه يدّعى الاعجاب وحب الظهور. لذا فان كتابة عدد من طلاب النور الخواص الخالصين – كالمرحوم حسن فيضى والشهيد الحافظ على – تقاريظ بناء على عجزى وضعفي وغربتى وعدم وجود الاهل والاقارب وازاء هجوم اعداء كثيرين ظلمة وحثاً للمحتاجين الى النور، وعدّ تلك التقاريظ نوعاً من الغرور والاعجاب بالنفس، رغم احالتى ما يخصنى من المدح والثناء الى رسائل النور، ورغم عدم ردّى له رداً كلياً.. اقول اننى لم استطع ان اوفق بين تلقيكم ذلك المدح انه اعجاب بالنفس وبين ما تحملونه من دقة علمية وتعاون رؤوف وانصاف.. لذا فانا متألم من هذا. علماً ان اصدقائى الخالصين اصحاب التقاريظ لم تخطر ببالهم السياسة وشؤونها.

ولايقال لقولهم: ان رسائل النور في هذا الزمان يصدق عليها معنى فرد وجزئى من المعنى الاشارى الكلى، لان الزمان يصدّق ذلك. ولنفرض ان هذا الكلام مبالغ فيه كثيراً او خطأ، فهو خطأ علمى ليس إلاّ. فكل شخص يستطيع ان يكتب قناعته الشخصية. وانتم ادرى بالافكار المتباينة والقناعات المختلفة فى كتب الشريعة التى دوّنها اصحاب المذاهب الاثنى عشر ولاسيما اصحاب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية وما يقرب من السبعين من فرق دائرة علماء الكلام واصول الدين. والحال لم يحدث مسيس الحاجة الى اتفاق علماء الدين وعدم خوضهم فى مجادلات فيما بينهم مثل هذا الزمان. فنحن مضطرون الى نبذ الاختلاف في الامور الفرعية وعدم جعلها مدار المناقشات.

* * *

باسم طلاب النور فى سجن آفيون
(خليل مصطفى. محمدفيضى. خسرو).

(١) حدث هذا الزلزال فى ١٩٤٨/٩/١٨ ضحوة يوم الجمعة.

ثلاثة اسئلة اوجهها للعلماء المنصفين من الخبراء

الاول:

شخص يثني على آخر بنية خالصة، أيكون الشخص المثنى عليه مسؤولاً، ولاسيما ان كان المثنى عليه لا يرضى بالثناء بكل قوته ويحيله الى غيره؟ الاّ انه لم يوبخ ذلك الصديق الحميم لئلا ينفر منه بل اكتفى بالقول: ان هذا الثناء فوق حدّي بمائة درجة. فهل يعدّ سكوته هذا اعجاباً بالنفس وتحرياً للمصلحة الذاتية؟..

السؤال الثاني:

في غمرة الهجوم العنيف الذى يُشن على الدين حالياً، اذا ما ابدى احد طلاب النور العاشقين للحقيقة قناعته الشخصية الخاطئة، بخطأ علمي جزئى لاضرر فيه، هل يستحق هذه الاهانة والاستخفاف؟ علماً ان هناك مسائل دينية تقدر بضخامة الشم الرواسي.

وبينما ينتظر ذلك المثنى عليه تذكيراً شفيقاً من علماء واساتذة من امثالكم على ذلك الخطأ، أوَ يجوز عقابه من قبل العدلية؟

السؤال الثالث:

ان رسائل النور التى تصدت منذ عشرين سنة أعتى المعارضين الذين لايحصيهم العد وانقذت ايمان مئات الالوف من الناس وآزرت ايمانهم. أيليق انتقادكم لها في مسألة او مسألتين فيها؟

انى اذكّر اولئك العلماء الافاضل:

انهم انتقدوا المقدمة التى يستهل بها بحث الثناء لأحمد فيضي، وكأننى قد اثنيت بها على نفسى، علماً ان تلك المقدمة هى ردّى لذلك الثناء ورفعه. وقد رفعت فعلاً قسماً منه وصححت القسم الآخر، ولكن لضرورة الاستعجال لم اتمكن من اكماله، فارسلت المقدمة كاملة الى احد اخوتى، وهم بدورهم وضعوها فى موضعها من ذلك البحث الذى اتخذناه بحثاً خاصاً جداً. ولكن اثناء ارسالهم لها الى اخ آخر قبضت عليها الحكومة.

فيا ترى ان تقريظاً علمياً وخاصاً جداً وهو بحث نابع عن قناعة وجدانية ولايتداول الاّ بين اصدقاء ليقوموا بتصحيحه تصحيحاً كاملاً هل يستحق هذا الاعتراض الشديد؟

ثم ان جمع رسائل خاصة للتهنئة والحث على العمل، والقيام بتجليدها حفاظاً عليها، في مجلد او مجلدين، حصلت عليها الشرطة اثناء التحرى، هل يمكن استخراج الاحكام من مثل هذه الرسائل، ثم تكون محور سؤال وجواب ومن ثم محاوله الصاقها بالسياسة. أوَ يحتاج الامر الى هذا.. وما اشبه هذا الامر بمن لا يرى ثعابين مردة تهاجم القرآن لكنه في الوقت نفسه ينشغل بلسع البعوض!.. أليس الامر هكذا؟

ان ترك « سراج اوغلو » (١) الذى يعدّ الدين والتربية المحمدية سماً زعافاً، والانشغال بمجموعة « سراج النور » التي تبين الحقيقة واضحة كالشمس وهى البلسم الشافى لجراحات الانسانية جمعاء، ولا سيما الاحتجاج بوجود تأويلات لاحاديث ضعيفة في رسالة في ختامها الا يكون عوناً على مصادرتها؟

اننا مع عدم امتعاضنا من انتقاداتكم الجزئية ننتظر منكم ايها العلماء الافاضل ضماداً لجراحاتنا وتكونوا اعواناً لنا بقوة فراستكم.

الموقوف

سعيد النورسى

* * *

(١) رئيس الوزراء في ذلك الوقت.- المترجم.

باسمه سبحانه

مقدمة

«الفقرات المذكورة ادناه»

لغرض تقديم شئ من المساعدة الى محكمة التمييز الموقرة التي فسختْ لصالحنا قرار إدانتنا من قبل محكمة «آفيون» واوردت دلائل صائبة ذات حقيقة، نشير ــ باختصار ــ الى قسم من اخطاء وردت في القرار المذكور، فندرج ادناه تلك الفقرات المستلة من الرسائل الخاصة السرية، التي عدّتها المحكمة ذنباً لإدانتنا. فنبين اخطاءهم ونضع الذين ادانونا في موضع المسؤولية.

فمثلاً: لقد كتبوا في ختام القرار ما يشبه قائمة تضم جميع ذنوبي لأجل انزال اشد العقوبات بي:

« نذكر مما رفضه سعيد النورسي من مواد: إلغاء السلطنة والخلافة ».

فهذا خطأ وسهو في الوقت نفسه، لان ما كتبته في لمعة « الشيوخ » هو الآتي: « لقد احزنتني وفاة سلطنة الخلافة » وقد اجبتُ عن استفسار محكمة « اسكي شهر » قبل خمس عشر سنة عن هذا جواباً ألزمهم الصمت. فالذي يعدّ خاطرة لا اهمية لها ذنباً، ومرت عليها هذه المدة المديدة، ونالت من قرار العفو والبراءة ما نالت.. أقول ان الذي يعدّها ذنباً هو الذي يكون مذنباً.

ولأجل اسناد هذا الذنب الموهوم، ذكر القرار ما اوردتُه في احدى اللمعات وفي رسالة المعجزات الاحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام، الحديث الشريف الآتي:

(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً وفساداً وجبروتاً)(١)

(١) صحيح: عن سفينة ان الرسول ﷺ قال: «الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» رواه احمد والترمذي وابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه (صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٣٦ قال المحقق: صحيح) (الفتح الرباني للساعاتي ٢٣/١٠) وفي (سلسلة الاحاديث الصحيحة ٤٦٠٠) بعدة سياقات.

وقد كتبتُ في رسالة قديمة ان هذا الحديث الشريف يبين ثلاث معجزات غيبية مستقبلية ولكن جاء في القرار كأنه ذنب اقترفته: «ان سعيداً قد قال في رسالة: سيكون فساداً وجبروتا بعد الخلافة».

يا اعضاء هيئة الخبراء السطحيين!

ان الذي يعدّ بيان اعجاز حديث شريف يخبر باشارة غيبية عن حادثة ستقع في زماننا هذا يسري دمارها في الارض كلها، وعن فساد عظيم مادي ومعنوي يدب في البشرية كافة.. اقول ان من يعدّ هذا ذنباً هو المذنب مادة ومعنى.

وكتبوا ايضاً «ومن ذنوبه: انه يعدّ المنجزات الشورية (حركات الانقلاب) بدعة وضلالة والحاداً، فيعدّ اغلاق التكايا والزوايا والمدارس الدينية، واقرار العلمانية، ووضع اسس القومية بديلاً عن مبادئ الاسلام، وفرض لبس القبعة، ورفع الحجاب، وفرض كتابة الحروف اللاتينية بديلاً عن الحروف القرآنية، واداء الاذان والاقامة باللغة التركية، وإلغاء دروس الدين في المدارس، ومنح المرأة حقوقاً في الميراث كالرجل وإلغاء تعدد الزوجات، وامثالها من الاعمال.. يعدّ كل ذلك بدعة وضلالة والحاداً.. فلا شك انه متهم بالرجعية».

يا اعضاء هيئة الخبراء العديمي الانصاف!

ان كان بمقدوركم انكار ما يأمر به القرآن الكريم الذي هو إمام سماوى مقدس لثلاثمائة مليون في كل عصر، ويضم مناهج سعاداتهم جميعاً، وهو الخزينة المقدسة الحاوية على اسرار الحياتين الدنيوية والاخروية، يأمر في كثير من آياته الكريمة بصراحة تامة بما لا يحتمل التأويل، بالحجاب وقواعد الميراث ويسمح بتعدد الزوجات، ويدعو الى ذكر الله، ويحث على تدريس علوم الدين ونشرها والحفاظ على الشعائر الدينية.. وان كان بمقدوركم إدانة جميع مجتهدي الاسلام والقضاة وشيوخ الاسلام.. وان كان بمقدوركم انكار تقادم الزمان على تلك الرسائل وقرار عدة محاكم لها بالبراءة وقوانين العفو الصادرة بحقها وانكار وجه سريتها وخصوصيتها.. وان كان بمقدوركم رفع حرية الضمير والمعتقد وحرية الفكر من البلاد ومن الحكومات.. وانكار كون مخالفة تلك الرسائل مخالفة فكرية وعلمية فحسب..

اقول ان كان بمقدوركم هذا فاعتبروني مذنباً بتلك الامور. وإلاّ تكونون انتم المذنبون الرهيبون في محكمة العدالة والحق والحقيقة.

سعيد النورسي

* * *

(فقرة ادلينا بها وكتبتها المحكمة باعجاب وحيرة ضدنا مع انها ضدهم)

«وانا اقول لمحكمة وزارة العدل الموقرة!

ان ادانة من يفسّر اقدس دستور إلهي وهو الحق بعينه، ويحتكم اليه ثلاثمائة وخمسون مليوناً من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية، خلال الف وثلاثمائة وخمسين عاماً. هذا المفسر استند في تفسيره الى ما اتفق عليه وصدق به ثلاثمائة وخمسون الف تفسير، واقتدى بالعقائد التي دان بها اجدادنا السابقون في الف وثلاثمائة وخمسين سنة.. اقول: ان إدانة هذا المفسر قرار ظالم لابد ان ترفضه العدالة، ان كانت هناك عدالة على وجه الارض، ولابد ان تردّ هذا الحكم الصادر بحقه وتنقضه»

* * *

(فقرة كتبتها المحكمة في قرارها باعجاب وتقدير وكأنها تكون مادة ضدنا، والحال انها تدينهم)

يبحث سعيد النورسي في المكتوب السادس والعشرين عن نفسه ويقول:

«إن في اخيكم هذا الفقير ثلاث شخصيات كل منها بعيدة عن الأخرى كل البعد، بل بعداً شاسعاً جداً.

أولاها:

شخصية مؤقتة خاصة خالصة لخدمة القرآن وحده، بكوني دلالاً لخزينة القرآن الحكيم السامية. فما تقتضيه وظيفة الدعوة الى القرآن والدلالة عليه من اخلاق رفيعة

سامية ليست لي، ولا أنا أملكها. وانما هي سجايا رفيعة يقتضيها ذلك المقام الرفيع وتلك الوظيفة الجليلة. فكل ما ترونه من اخلاق وفضائل من هذا النوع فهي ليست لي، وانما هي خاصة بذلك المقام، فلا تنظروا الي من خلالها.

الشخصية الثانية:

حينما أتوجه الى بابه تعالى واتضرع اليه، ينعم علي سبحانه شخصية خاصة في أوقات العبادة بحيث أن لتلك الشخصية آثاراً ناشئة من أساس معنى العبودية، وذلك الاساس هو معرفة الانسان تقصيرَه أمام الله وادراك فقره نحوه وعجزه أمامه والالتجاء اليه بذل وخشوع، فأرى نفسي بتلك الشخصية أشقى وأعجز وأفقر وأكثر تقصيراً امام الله من أي أحد كان من الناس، فلو اجتمعت في ذلك الوقت الدنيا برمتها في مدحي والثناء عليّ لا تستطيع أن تقنعني بأنني صالح وفاضل.

ثالثتها:

هي شخصيتي الحقيقية، أي شخصيتي الممسوخة من سعيد القديم وهي عروق ظلت من ميراث سعيد القديم. فتبدو أحياناً رغبة في الرياء وحب الجاه وتبدو فيّ اخلاق وضيعة مع المبالغة في الاقتصاد الى حدّ الخسة حيث انني لست سليل عائلة ذات جاه وحسب.

فيا أيها الاخوة!

لن أبوح بكثير من المساوئ الخفية لهذه الشخصية ومن أحوالها السيئة، لئلا انفركم عني كلياً.

وقد اظهر سبحانه وتعالى عنايته الرحيمة فيّ بحيث يسخر شخصيتي هذه التي هي كأدنى جندي، في خدمة أسرار القرآن التي هي بحكم أعلى منصب للمشيرية وأرفعها. فله الحمد والمنة الف الف مرة.

فالنفس أدنى من الكل، والوظيفة أسمى من الكل.

الحمد لله.. هذا من فضل ربي.

* * *

(هذه جملة سجّلتها المحكمة في القرار بتخوف شديد ضدنا والحال ان تلك الجملة الشديدة التي كُتبتْ قبل خمس عشرة سنة قد عدّلت الى هذه الصيغة).

«اخوتي! مراعاة لمشاعر الابرياء والشيوخ، لا تأخذوا ثأري ممن يقتلني ظلماً، فحسبهم عذاب القبر والسقر».

ينبغي ان تحملهم هذه الفقرة الآتية على الانصاف:

«انكم ترون ان لنا خلافاً ومعارضة كلية معكم، ومعاملاتكم القاسية شاهدة على ذلك. فانتم تضحون بدينكم وآخرتكم في سبيل دنياكم. ونحن بدورنا مستعدون على الدوام للتضحية بدنيانا في سبيل ديننا، وفي سبيل آخرتنا، وهذا هو سر المعارضة التي بيننا حسب ظنكم.

ولاجرم ان التضحية ببضع سنين من حياتنا التي تمضي في ذل وهوان في ظل حكمكم القاسي قساوة الوحوش لنكسب بها شهادة خالصة في سبيل الله، تعدّ ماء كوثر لنا. ولكن استناداً الى فيض القرآن الحكيم واشاراته، اخبركم يقيناً بالآتي لترتعد فرائصكم:

انكم لن تعيشوا بعد قتلي، فان يداً قاهرة ستأخذكم من دنياكم هذه التي هي جنتكم وانتم مغرمون بها، وتطردكم عنها، وتقذف بكم فوراً الى ظلمات ابدية، وسيقتل بعدي رؤساءكم الذين تَمرّدوا وطغوا قتلة الدواب، ويُرسَلون اليّ، وسأمسك بخناقهم امام الحضرة الإلهية، وسآخذ حقي منهم بإلقاء العدالة الإلهية اياهم في اسفل سافلين.

ايها الشقاة الذين باعوا دينهم وآخرتهم بحطام الدنيا!

ان كنتم تريدون ان تعيشوا حقاً فلا تتعرضوا لي ولاتمسّوني بسوء، وان تعرضتم فاعلموا ان ثأري سيؤخذ منكم أضعافاً مضاعفة.

اعلموا هذا جيداً ولترتعد فرائصكم!

واني آمل من رحمة الله سبحانه ان موتي سيخدم الدين اكثر من حياتي، وان وفاتي ستنفلق على رؤوسكم انفلاق القنبلة، وستشتت رؤوسكم وتبعثرها.

فان كانت لكم جرأة، فتعرضوا لي، فلئن كان لكم ما تفعلونه بي، فلتَعلمُنّ ان لكم ما تنتظرونه وتلاقونه من عقاب.

* * *

(هذه الفقرة اوردته المحكمة لإدانتي والحال انها تتهمهم بالافراط)

يرد في الرسائل :

« دخل مصطفى كمال ديوان رئاسة الجمهورية بأنقرة وهو على اشد الغضب وقال له : « اننا دعوناك الى هنا لتقدم لنا افكاراً راقية وآراء قيمة، ولكنك ما ان أتيت كتبت اشياء حول الصلاة، فاوقعت فيما بيننا الاختلاف والتفرقة» وردّ عليه سعيد : « ان من لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود ».

ثم أبدى مصطفى كمال نوعاً من الاسترضاء له متراجعاً عن غضبه وحدته. وعلى الرغم من انه – اي سعيد – قد جرح مشاعر مصطفى كمال وخرق مبادءه الاّ ان مصطفى كمال لم يمسّه بسوء.

وانها لكرامة ساطعة لرسائل النور وقوة عظيمة خارقة لشخصها المعنوي ولطلابها الروّاد والابطال في المستقبل ان يخشى منها قواد جبابرة كما كانوا يخشون من سعيد القديم. »

* * *

(فقرة ألزمت المحكمة وجعلتها مسؤولة مع انها اتخذت ضدنا في القرار)

يذكر – في الرسائل – « اننا لسنا مع زعيم اصدر حسب هواه اوامر باسم القانون ونفذها بقوة لتحويل جامع ايا صوفيا الى دار للاصنام ، وجعل مقر المشيخة العامة

ثانوية للبنات، لسنا معه فكراً ولا موضوعاً، ولا من حيث الدافع ولا من حيث النتيجة والغاية. ولا نجد انفسنا ملزمين بقبول امر كهذا».

ويكتب في عريضته المؤرخة ٢٩/٨/١٩٤٨

«ورد هذا الفكر الى قلبي: انه ضروري جداً لصالح الامة ولنفع البلاد ان تحافظ الحكومة عليّ حفاظاً تاماً وتمدّ يد المعاونة اليّ. الاّ انها تضيق الخناق عليّ، مما يومئ الى ان الذين يحاربونني هم منظمة الزندقة السرية وقسم من منظمة الشيوعية الذين التحقوا بهم، هؤلاء قد قبضوا على زمام الامر في عدد من المناصب الرسمية المهمة في الدولة، فيهاجمونني ويجابهونني. اما الحكومة فاما انها لا تعرف بهم او تسمح لهم. وياترى اي ذنب واي جريرة في ان تنتقد او تضمر عدم المحبة لرجل حوّل جامع اياصوفيا الذي هو مبعث الشرف الابدى لأمة بطلة، والدرة الساطعة لخدماتها وجهادها في سبيل القرآن، وهدية تذكارية نفيسة من هدايا سيوف اجدادها البسلاء.. حوّله الى دار للاصنام وبيت للاوثان وجعل مقر المشيخة العامة ثانوية للبنات؟

* * *

(هذه الفقرة هي أقوى فقرة ظنت المحكمة انها تنزل العقاب بسعيد. وهو الكلام الذي اطلقه سعيد في محكمة دنيزلي تجاه اعدائه المتسترين الاّ ان المحكمة قد فهمتها خطأ بل خطأ كلياً انها فقرة ضد الدولة والحكومة تماماً واظهرتها سبباً لانزال العقاب بي.)

لقد اطلق على قسم من القوانين الحديثة للدولة التي سنّت هذه القوانين الانقلابية ووضعتها موضع التنفيذ اسم «الاستبداد الكفرى الاعتباطي» وعلى الجمهورية اسم «الاستبداد المطلق». وعلى النظام اسم «الارتداد المطلق» وعلى الشيوعية والمدنية اسم «السفاهة المطلقة»

* * *

(فقرة كتبت في قرار المحكمة باعجاب وتقدير)

ويذكر: ان لكتابة رسائل النور فوائد دنيوية واخروية كثيرة جداً، منها:

١ـ الجهاد المعنوي تجاه اهل الضلالة.

٢ـ مساعدة استاذه في نشر الحقائق.

٣ـ خدمة المسلمين من حيث الايمان.

٤ـ كسب العلم بالقلم.

٥ـ القيام بعبادة فكرية التي تعدل ساعة منها احياناً سنة من العبادة.

٦ـ حسن الخاتمة ودخول القبر بالايمان.

وكذا لها خمس انواع من الفوائد الدنيوية:

١ ـ البركة في الرزق.

٢ـ الانشراح والسرور في القلب.

٣ـ اليسر في العيش.

٤ـ التوفيق في الاعمال.

٥ ـ الاشتراك في ادعية طلاب النور جميعهم ، لكسبه فضيلة طالب العلم.

وسيدرك شباب الجامعة هذه الامور عن قريب وستحوّل الجامعة الى مدرسة نورية.

* * *

(انه لمحير ان تعدّ هذه التضحية الخالصة جرماً وذنباً)

ان احدى الخطتين اللتين حاكهما المنافقون المتسترون في جنح الظلام هي التهوين من شأني. وكأن قيمة الانوار الرفيعة لرسائل النورتسقط بهذا من عليائها.

والثانية: هي بث القلق والاضطراب في صفوف طلاب النور. وكأنهم بهذا يعيقون انتشار رسائل النور.

لا تقلقوا يا اخوتي! ان حقيقة سامية افتدتها ملايين الرؤوس فداء لها رؤوسنا نحن الضعفاء ايضاً.

* * *

(لقد اعترضوا على واحد من الاسباب التسعة الداعية الى تسمية رسائل النور بهذا الاسم. فقالوا: اننا لانرى من تسمّى باسم «نور» من بين طلابه الممتازين، وكما اجبنا عنه في الهامش فان كلاً من «نورى بنلي ونورى الساعاتي» من الممتازين في خدمة النور حاليا، بمعنى انهم لا يجدون ما ينتقدوه ولكنهم يضطرون الى التشبث بحجج جزئية تافهة)

انه يذكر في الكلمة السادسة والعشرين:

ان سبب اطلاق اسم رسائل النور على مجموع الكلمات (وهي ثلاث وثلاثون كلمة) والمكتوبات (وهي ثلاثة وثلاثون مكتوباً) واللمعات (وهي احدى وثلاثون لمعة) والشعاعات (وهى ثلاثة عشر شعاعاً) هو: ان كلمة النور قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي، منها: قريتي اسمها: نورس.

اسم والدتي المرحومة: نورية.

اسم استاذى في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد.

وأحد اساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين.

واحد اساتذتي في القرآن: نورى .

واكثر من يلازمني من طلابي من يسمّون باسم نور (ومن العجيب ليس بين طلاب النور الممتازين من يسمى بنوري).

واكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية.

واكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الالهية هو: اسم «النور» من الاسماء الحسنى.

ولشدة شوقى نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه فان إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه.

* * *

(ان رسالة « الهجمات الست » وذيلها قد كتبت قبل عشرين سنة لمجابهة تعدٍّ ظالمٍ شديد. وهي رسالة في غاية الخصوصية والسرية، وقد مرّت بين يدي محاكم كثيرة. وكتبت في حالة سورة غضب انتابتني في اثناء الحرب العالمية الثانية. وهي اذ تبين ذلك الغضب والحدة حقاً، الاّ ان مصادرتها وكأنها قد كتبت حالياً وعدّها ذنباً وجريرة، بُعدٌ عن العدالة عظيم)

تستهل مقدمة ذيل « الهجمات الست » بالآتي:

كتب هذا الذيل (للتداول الخاص)، لتجنُّب مايرد في المستقبل من كلمات الاهانة وشعور الكراهية، اي؛ لئلا يصيب بصاق اهانتهم وجوهنا، او لمسحه عنها عندما يقال: تباً لرجال ذلك العصر العديمي الغيرة!

وكتب تقريراً ولائحة لترن آذانٌ صمّ، اذان رؤساء اوروپا المتوحشين المتسترين بقناع الانسانية.. ولينغرز في العيون المطموسة، عيون اولئك العديمي الضمير الجائرين الذين سلطوا علينا هؤلاء الظلمة الغدّارين.. وليُنزل صفعةً كالمطرقة على رؤوس عبيد المدنية الدنية التي اذاقت البشرية في هذا العصر آلاماً جهنمية حتى صرخت في كل مكان: لتعش جهنم!

لقد حدثت في الفترة الاخيرة اعتداءات شنيعة كثيرة على حقوق المؤمنين الضعفاء، من الملحدين المتخفين وراء الأستار، واخص بالذكر اعتداءهم عليّ تعدياً صارخاً، باقتحامهم مسجدي الخاص الذي عمّرته بنفسي، وكنا فيه مع ثلة من رفقائي الاعزاء، نؤدي العبادة، ونرفع الاذان والاقامة سراً. فقيل لنا: لِمَ تقيمون الصلاة باللغة العربية وترفعون الاذان سراً؟

نفد صبري في السكوت عليهم: وها أنذا لا أخاطب هؤلاء السفلة الدنيئين الذين حرموا من الضمير، وليسوا أهلاً للخطاب، بل أخاطب اولئك الرؤساء المتفرعنين في القيادة الذين يلعبون بمقدرات الأمة حسب أهواء طغيانهم. فأقول:

يا أهل الالحاد والبدعة! اني أطالبكم بالاجابة عن ستة اسئلة.

السؤال الاول:

ان لكل حكومة، مهما كانت، ولكل قوم، بل حتى اولئك الذين يأكلون لحم البشر، بل حتى رئيس أية عصابة شرسة، منهجاً واصولاً ودساتير، يحكمون وفقها.

فعلى اي اساس من دساتيركم وأصولكم تتعدّون هذا التعدي الفاضح. اظهروه لنا. ام انكم تحسبون اهواء عدد من الموظفين الحقراء قانوناً؟ اذ ليس هناك قانون في العالم يسمح بالتدخل في عبادة شخصية خاصة! ولا يسنّ قانون في ذلك قطعاً.

* * *

(انه ليبعث على الاسف اتخاذهم جملة او جملتين من رسالة «الاشارات السبع» ذريعة لمصادرتها وحجة علينا مع انها رسالة قديمة وخاصة وسرية وتتضمن حقيقة قوية ورصينة بحيث تستحق ان تعلن لصالح الحياة الاجتماعية على البشرية جمعاء والعالم اجمع).

ان أحمق الحمقى في الدنيا هو من ينتظر من امثال هؤلاء الملحدين السفهاء الرقي وسعادة الحياة.

ولقد قال أحد هؤلاء الحمقى، وهو يشغل منصباً مهماً: اننا تأخرنا لقولنا: الله.. الله.. بينما اوروپا تقدمت لقولها : المدفع.. البندقية!.

ان جواب امثال هؤلاء: السكوت حسب قاعدة: «جواب الاحمق السكوت» ولكننا نقول قولاً لاولئك العقلاء الشقاة الذين يتبعون بعض الحمقى:

ايها البائسون! هذه الدنيا انما هي دار ضيافة..

فما دام الموت موجوداً، وان المصير الى القبر حتماً، وان هذه الحياة ماضية راحلة، وستأتي حياة باقية خالدة، فان قيل : المدفع.. البندقية مرة واحدة فلابد من القول ألف مرة: «الله.. الله»

* * *

(ان ما يوجب الحيرة، ان جملة من « اللمعة السادسة عشرة » وهي لصالحنا، حوّلوها الى جملة ضدنا، وابدوا رغبة في مصادرة تلك الرسالة القيمة)

من اللمعة السادسة عشرة:

ان مصيبة الحرب وبلاءها، ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية... ان القدير ذا الجلال الذي يطهّر وجه السماء الملبّد بالغيوم ويبرز الشمس الساطعة في وجه السماء اللامع خلال دقيقة واحدة، هو القادر ايضاً على ان يزيل هذه الغيوم السوداء المظلمة الفاقدة للرحمة. ويُظهر حقائق الشريعة كالشمس المنيرة بكل يسر وسهولة وبغير خسارة.

اننا نرجو هذا من رحمته الواسعة، ونسأله سبحانه الاّ يكّلفنا ذلك ثمناً غالياً. وان يمنح رؤوس الرؤساء العقل ويهب لقلوبهم الايمان. وهذا حسبنا، وحينها تتعدل الامور بنفسها وتستقيم.

ما دام الذي في ايديكم نور، وليس هراوة وصولجاناً، فالنور لايُعارَض ولايُهرَب منه، ولا ينجم من إظهاره ضرر. فلِمَ اذاً توصون اصدقاءكم بأخذ الحذر وتمنعونهم من ابراز رسائل نيّرة كثيرة للناس كافة؟.

مضمون جواب هذا السؤال باختصار هو:

ان رؤوس كثير من الرؤساء مخمورة، لايقرأون، واذا قرأوا لايفهمون، فيؤولونه الى معنى خطأ، ويعترضون ويهاجمون. لذا، وللحيلولة دون الهجوم ينبغي عدم اظهار النور لهم لحين افاقتهم واسترجاع رشدهم.

ثم ان هناك غير منصفين كثيرين، ينكرون النور، أو يغمضون اعينهم دونه، لأغراض شخصية خاصة، أو خوفاً أو طمعاً..

ولأجل هذا اوصي اخوتي ايضاً ليأخذوا حذرهم ويحتاطوا للأمر، وعليهم الاّ يعطوا الحقائق احداً من غير اهلها، والاّ يقوموا بعمل يثير اوهام اهل الدنيا وشبهاتهم عليهم.

* * *

(ان الحجاب أمر قرآني، و قد أُجيب عنه جواباً شافياً في الرسائل. علماً ان هذه الرسالة قد كتبت سابقاً وقاسينا العقاب بسببها. ولكن رغم هذا اتخذوها ذنباً اقترفناه واعتبروها حجة علينا، ثم ان بداية حقيقة جليلة وردت في رسالة «الشيوخ» و «مرشد الشباب» تلك الحقيقة القيمة النافعة للناس كلهم، جعلوها جريرة لنا ومبررا لمصادرة تلك الرسالة.. كل ذلك يدل على انهم لا يجدون ما يتذرعون به للانتقاد والجرح).

في اللمعة الرابعة والعشرين، بعد الايضاح ان الحجاب امر قرآني يقول: «ولقد طرق سمعنا: ان صباغ أحذية قد تعرض لزوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير، كانت مكشوفة المفاتن، وراودها نهاراً جهاراً في قلب العاصمة «انقرة»! أليس هذا الفعل الشنيع صفعة قوية على وجوه اولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من اعداء العفة والحجاب؟»

وفي اللمعة السادسة والعشرين الخاصة بالشيوخ :

«ففي ذات يوم من الايام الاخيرة للخريف، صعدت الى قمّة قلعة انقرة، التي اصابها الكبر والبلى اكثر مني، فتمثّلت تلك القلعة امامي كأنها حوادث تأريخية متحجرة، واعتراني حزن شديد وأسى عميق من شيب السنة في موسم الخريف، ومن شيبي انا، ومن هرم القلعة، ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية، ومن وفاة سلطنة الخلافة. فاضطرتني تلك الحالة الى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة الى اودية الماضي وشواهق المستقبل.

فالماضي أوحشني بدلاً من ان يسلّيني ويمنحني النور.

والمستقبل تراءى لي على صورة مقبرة كبرى مظلمة لي ولأمثالي وللجيل القابل، فأدهشني عوضاً من ان يؤنسني.

ثم نظرت الى زمني الحاضر، فبدا ذلك اليوم لنظري الحسير ونظرتي التأريخية على شكل نعش لجنازة جسمي المضطرب كالمذبوح بين الموت والحياة.

* * *

(كان عليهم ان يقدّروا هذه الجملة حق قدرها الا انهم انتقدوها واتخذوها حجة علينا.)

يذكر: «لقد صرفت كثيراً من مرتّبي الذي كنت قد قبضته وانا في دار الحكمة الاسلامية وادخرت قليلاً منه لاداء فريضة الحج. وقد كفتني تلك النقود القليلة ببركة القناعة والاقتصاد، فلم يرق مني ماء الوجه. ومازالت بقية من تلك النقود المباركة موجودة.»

ثم في اللمعة الثانية والعشرين بعد ان يشير الى انها رسالة سرية خاصة لاخوته الصادقين الخالصين يقول:

«الاشارة الاولى: لِمَ يتدخل أهل الدنيا بامور آخرتك كلما وجدوا لهم فرصة، مع انك لا تتدخل في شؤون دنياهم؟.. ان الذي يجيب عن هذا السؤال هو حكومة محافظة اسبارطة واهاليها.»

* * *

(ان الذين يتوهمون هذا الامل الخالص والرغبة النزيهة النابعة من الشفقة الايمانية والذي يوجب الاعجاب، يتوهمونه ذنباً نقترفه، لا شك انهم هم المذنبون)

في رسالة موقعة باسم سعيد يُذكر: «ترى ما حكمة تراكض الاطفال الابرياء الذين تتراوح اعمارهم من السابعة الى العاشرة لمجرد ملاحظتهم اياى وانا اتجول في العربة الحصانية، ثم التفافهم حول يدى ؟ كنت احار امام هذا المنظر، ولكن اذا بخاطر يخطر الى قلبي فأدركت ان هؤلاء الاطفال الابرياء يستشعرون بحس قبل الوقوع انهم سينالون السعادة برسائل النور وسينجون من مهالك معنوية ستحيط بهم»

* * *

(ان عـدّ هذه الفقـرة الآتيـة ذنباً ظـلم وخارج عن الانصاف
تلك التي كانت في البـداية دفاعاً لي وعدت في النهـاية تمنياً
ورغبة)

يذكر: «ان قسـماً من الايات الكريمة والاحاديث الشريفة يشـيران معاً الى حقـيقة نورانية في هذا العصـر، ويظهران المجدد الاكبر الذي سيـأتى في آخر الزمان، و ان اهم وظيفـة من وظائفه الثـلاث الجليلة هي انقاذ الايمان. ويذكـر أن إحياء الشـريعة وإقـامة الخلافة وماشـابهها من الوظائف العظيمة الشاملة لدائرة واسعـة جداً، لا ضرر من عدم ذكرهما، حيث انه يكون وسيلة لانتقاد المعارضين وهجوم السياسيين، لذا يرفع بعض الجمل ويعدّلها وسيعيدها الى اخوته المدققين.

وفي رسالة موقعه باسم سعيد النورسي:

بينمـا سـترت الآيتـان الكريمتـان: ﴿ **انا فـتحنـا لك فتـحـاً مبـيناً** ﴾ (الفتح: ١) و ﴿ **وينصـرك الله نصراً عـزيزاً** ﴾ (الفتح: ٣) الموجـودتان على البـاب الخـارجـي لبناية الوزارة الحربية المتحولة الى الجامعة بالمرمر، فان ابرازهما: مثال على السماح لاستعمال الخط القرآني، ووسـيلة لما تقصـده رسائل النور من استـعمال الخط القـرآني واشارة الى تحول الجامعة الى مدرسة نورية.

* * *

(ان مـا بيّنوه من نقـد حـول ايضـاحي للحـقـيـقـة الواردة في
رسالة تكبـيرات الحـجاج، جوابه المسكت المقنـع هو الهامش
الذي وضعه «خسرو»)

يقول في رسالة موقعة باسم سعيد النورسي، ومعنونة بتكبيرات الحجاج:

ان قـسـمـاً من طلاب النور الذين لهم اهـمـيـة، يظـنون بك، انك الشـخـص الذي سيـأتي في آخر الزمان من آل الـبيت. ويصرّون على ظنهـم هذا ولكـنك ترفض باصرار ايضاً ما يدور في اذهانهم، و تتحـرز منه وتتجنبه. وهذا في ذاته تناقض وتضاد. نريد حلّه.

ثم يردف إزاء سؤالهم هذا قوله:

« ان الشخص المعنوى الذي يمثل مهدي الرسول المنتظر له ثلاث وظائف. وأهم تلك الوظائف هي انقاذ الايمان، ثم احياء الشعائر الاسلامية باسم الخلافة المحمدية، ويسعى ذلك الشخص لإنجاز هذه المهمة نظراً لتعطل كثير من احكام القرآن وقوانين الشريعة المحمدية.

هذا وان طلاب النور يرون ان الوظيفة الاولى كلياً في عهدة رسائل النور. اما الوظيفتان التاليتان فهما بالنسبة للأولى ثانوية وثالثية. لذا يتلقون الشخص المعنوي لرسائل النور انه نوع من المهدي حقاً، ويعطى ذلك الاسم احياناً الى هذا الضعيف العاجز الذى يعتقد قسم منهم انه يمثل ذلك الشخص المعنوي. حتى ان قسماً من الاولياء يرون في كراماتهم الغيبية ان رسائل النور هي مهدي آخرالزمان ومرشده. وهم يقولون: ان هذا الأمر يفهم بالتحقيق والتأويل. ولكن هناك إلتباس في نقطتين، لا بد من التأويل.

الأولى:

ان الوظيفتين الاخيرتين ، رغم انهما ليستا بأهمية الوظيفة الاولى من زاوية الحقيقة، الاّ ان الخلافة المحمدية والاتحاد الاسلامي هما لدى عامة الناس واهل السياسة ولاسيما في افكار هذا العصر، أنهما اهم من الوظيفة الاولى بألف مرة.

وعلى الرغم من ان الله يبعث في كل عصر مهدياً ومرشداً، وقد بعث فعلاً، إلاّ انهم لم يحرزوا لقب المهدى الاكبر لآخر الزمان حيث انهم ادّوا في جهة من الجهات وظيفة واحدة من تلك الوظائف الثلاث.

الثانية:

ان ذلك الشخص العظيم الذي سيظهر في آخر الزمان هو من آل البيت، واني وان كنت بمثابة ولد معنوي لسيدنا علي رضي الله عنه حيث تلقيت منه درس الحقيقة، وأن آل محمد شامل لطلاب النور الحقيقيين في معنى من معانيه، واعدّ من هذه الجهة من آل البيت، الاّ انه ليس في مسلك النور اظهار الشخصيات وابراز الانانية، ولا الرغبة في نيل مقامات شخصية رفيعة، ولاالحصول على السمعة والصيت، بل حتى

لو أُعطيتُ مقامات اخروية فاني ارى نفسي مضطراً للتخلي عنها لكيلا اخلّ بالاخلاص في النور...

وهذا يعني انه يجيب بما يشمّ منه موافقته الجزئية للموضوع اذ ليس فيه ردّ حاسم ورفض جاد لهذه المسألة، المهدية.(١)

* * *

(ان الحوادث المذكورة في هذه الفقرة واقعة فعلاً وبصورة عجيبة محيرة، فان حدوث الزلزلة عقب ثلاث دقائق من قولي: «لا تحزنوني ان الارض تغضب عليكم» كان المفروض عليهم أن يأخذوا المسألة بجد ويستحسنوا الموقف، وذلك بمقتضى الشفقة، حيث انها ليست موضع انتقاد واعتراض)

«بعد مرور عشر ساعات على أخذ إفادته التي دامت اربع ساعات وهو يعاني الضيق، دبّ الحريق في دائرة المعارف، حتى كأنها في الوقت نفسه. مما أظهر أن رسائل النور وسيلة لدفع البلايا بحيث لو هوجمت وجدت البلايا لها منفذاً فتنزل.»

وفي الرسالة المرقمة مائة وواحد واربعين:

بعد أخذ افادته التي دامت اربع ساعات ونصف الساعة، يذكر حوادث الحريق التي نشبت في دائرة المعارف في «انقرة» وفي كراج السيارات وفي معمل في «ازمير» وفي عمارة كبيرة في «اطنه».. ثم يذكر قوله: «لاتحرموني من الرسائل، والاّ تكون خسارة جسيمة لي ولهذا الوطن، فالارض تحتد وتغضب بالزلزلة.» وبعد قولته هذه بثلاث دقائق وقعت الزلزلة ودامت ثلاث ثواني، واظهرت غضب الارض، وشبت النار في دائرة المعارف، في وقت الهجوم على رسائل النور وطلابها، وقد ثبت هذا فعلاً لدى المحكمة أن حدوث الزلازل ونشوب الحريق تلازم وقت الهجوم على رسائل النور. فهذه الحوادث لايمكن أن تكون مصادفة.

لقد اصبحت رسائل النور وسيلة لدفع كثير من البلايا في هذه البلاد، فهناك وقائع كثيرة جداً على هذا.

(١) ايتها الهيئة غير المنصفة: كيف يكون اذن الردّ الحاسم؟ باسم طلاب النور.. خسرو.

وفي الرسالة المرقمة مائة وسبع واربعين يذكر:

ان الشتاء قد غضب غضباً شديداً، في الوقت الذي شُنّ الهجوم علينا وقد اظهر غضب الهواء وحدّته بالعواصف والبرد الشديد، انه متى ما توقفت الهجمات على الرسائل وطلابها، فان ابتهاج طلاب النوريبدّل تلك العواصف القاسية الى ايام ربيع بهيجة.

ان الحريق الذي دبّ في دائرة المعارف صفعة قوية.

* * *

(ان الحالة التي يجب أن تُبارك، لا ينظر إليها نظر الاعتراض)

سألوني في هذه المرة في المحكمة ضمن اسئلة لا معنى لها، قائلين: بِمَ تعيش؟ فقلت: ببركة الاقتصاد. ان من كان في اسپارطة ويعيش في شهر رمضان على رغيف واحد، وكيلو من اللبن وكيلو من الرز، لايتنازل للدنيا لأجل العيش كلها، ولايضطر الى قبول الهدايا.

* * *

(قد ساق الثناء الساطع لـ «زبير»(١) ودفاعه الذي قرأه امام المحكمة الى التقدير والاستحسان باذن الله بحيث ادرجوه باعجاب في القرار)

ان ماكتبه زبير في احدى الملازم المطبوعة بالآلة الطابعة والمعنونة بـ (شبابنا يطلب علماً واخلاقاً راقية تعلّم الحق والحقيقة) جاء في صفحتها العاشرة: «ان رسائل النور

(١) (١٩٢٠ – ١٩٧١) ولد في احدى اقضية ولاية (قونيا)؛ عيّن موظفاً في دائرة البرق بعد اكماله الدراسة المتوسطة. ثم نذر نفسه لخدمة الايمان والقرآن من خلال نشر رسائل النور. كان مثالاً للاخلاص والمثابرة حتى اصبح اقرب تلاميذ الاستاذ اليه، تولى ادارة طلاب النور بعد وفاته، له مذكرات خاصة في محاسبة النفس وتقوية الارادة. رحمه الله رحمة واسعة. –المترجم.

التي تنقذ مسلمو القرن العشرين والبشرية عامة من ظلمات الافكار الباطلة القائمة ليست من بنات افكار المؤلف نفسه بل إلهام قذفه رب العالمين الى قلب المؤلف، فهي رسائل راقية قيمة نفيسة».

وجاء في الصفحة الثانية عشرة:

«اذا ما قيل لطالب يخدم في مجال رسائل النور: استنسخ هذه الكتب بدلاً عن رسائل النور، اعطيك ثروة «فورد» وغناه. لأجابهم قبل ان يرفع طرف قلمه من كتابة رسائل النور: لا اقبل حتى لو أُعطيتم لى ثروة الدنيا كلها وسلطنتها».

وفي الصفحة الخامسة عشرة:

«ان كانت درجة ارتباطنا لنزيهي الفكر من المؤلفين مائة درجة فان درجة ارتباطنا لشخصية عظيمة كبديع الزمان الذي يرشدنا الى سعادة الدنيا والاخرة بلايين البلايين بل بغير نهاية».

وفي الصفحة الثانية عشرة:

«ان الشخص المعنوي لرسائل النور قد شخّص امراض هذا العصر الاجتماعية والروحية والدينية، وعرض لانسان هذا العصر بعناية الله مايداويه من العلل الاجتماعية المزمنة بادوية نابعة من حقائق القرآن».

وفي الصفحة الرابعة والاربعين:

«قال بديع الزمان: من يقرأ هذه الرسائل لسنة كاملة يمكن ان يكون عالماً جليلاً في هذا الزمان . نعم انه كذلك.»

وفي الصفحة الرابعة والخمسين:

«ان الحكام الذين قرأوا رسائل النور لا يُتوقع صدور قرارات غير صائبة منهم.»

* * *

الى رئاسة محكمة التمييز

في جلسة محكمة التمييز التي راجعناها لإبطال القرار الجائر الذي اصدرته محكمة «افيون» في حقنا لم يدعوا لي فرصة للكلام، بل تلوا علينا اتهاماً ثالثاً شديد اللهجة، ولم يسمحوا لأحد ان يساعدني في الكتابة، وفضلاً عن رداءة خطي في الكتابة فقد كنت مريضاً، وهذه الشكوى التي كتبتها وانا مريض اقدمها الى مقامكم (الذي انصفني مرتين انصافاً تاماً) كلائحة تمييز.

* * *

باسمه سبحانه

هذه عريضة الى محكمة الحشر الكبرى، وشكوى الى المقام الالهي، ولتسمعها محكمة التمييز في الوقت الحالي والاجيال الآتية في المستقبل ولتسمعها اساتذة دار الفنون (الجامعة) وطلابها المثقفون، فمن مئات المصائب والبلايا التي واجهتها طوال ثلاث وعشرين سنة اخترت عشراً منها لعرضها على عدالة المقام الالهي ذي الجلال الحاكم المطلق مشتكيا اليه:

الاولى:

مع أنني شخص مقصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الامة وفي سبيل انقاذ ايمانها، ولقد سعيت بكل جهدي للعمل برسائل النور لكي اضحي بنفسي فى سبيل حقيقة أفتدتها ألوف الانفس، وهي الحقيقة القرآنية واستطعت بتوفيق من الله تعالى وفضل منه ان اتحمل شتى ضروب التعذيب، فلم اتقهقر ولم انسحب.

اسوق مثالاً واحداً من التصرفات الغادرة والظالمة التي واجهتها في سجن «افيون» وفي محكمتها:

مع انهم اسمعوني واسمعوا طلاب النور الابرياء (الذين كانوا ينتظرون السلوان من عدالة المحكمة) ثلاث مرات لائحة الاتهام المليئة بالافتراءات وكانت قراءة اللائحة

تستغرق كل مرة ساعتين في الأقل، الا انهم لم يسمحوا لي بالكلام وبالرد الا لمدة دقيقة واحدة او دقيقتين، مع انني رجوت منهم ان يسمحوا لي بالدفاع عن حقوقنا لمدة خمس او عشر دقائق.

ومع انني أُبقيت معزولاً لمدة عشرين شهراً في سجن انفرادي، الا انهم لم يأذنوا لأحد بزيارتي ورؤيتي الا لصديقين او ثلاثة ولمدة ثلاث واربع ساعات فقط، وقد ساعدتني هذه الزيارة مساعدة جزئية جداً في كتابة دفاعي. ثم منعوا هؤلاء ايضاً، وعاملوهم معاملة قاسية وعاقبوهم. واجبرونا على سماع لائحة الاتهام للمدعي العام البالغة خمس عشرة صحيفة والتي ملأها بالاكاذيب المغرضة وبالأفتراءات وبسوء الفهم.

حتى انني احصيت فيها احدى وثمانين خطأً، ولم يسمحوا لي بالكلام وبالرد، ولو سمحوا لي بذلك لقلت لهم.

انتم تنكرون دينكم وتهينون أجدادكم - بوصفهم بانهم كانوا على ضلالة - وتنكرون نبيكم ﷺ ولاتقبلون بقوانين قرآنكم الكريم، بينما لا تتعرضون لليهود ولا للنصارى ولا للمجوس، ولا للمنافقين المرتدين من الفوضويين من انصار البلشفية، وذلك تحت شعار حرية الفكر وحرية الوجدان. وان الحكومة البريطانية التي نعلم مدى تعصبها للنصرانية ومدى جبروتها، تسمح للملايين من المسلمين الموجودين تحت حكمها بقراءة القرآن في كل وقت واخذ دروس منه، هذه الدروس التي تردّ كل العقائد الباطلة وكل الدساتير الكافرة للانكليز. ثم ان المعارضين لكل حكومة يستطيعون ابداء آرائهم علناً ويستطيعون نشر هذه الافكار، ولاتتعرض لهم محاكم هذه الحكومات. اما انا فقد تم تدقيق اربعين سنة من حياتي وتدقيق مائة وثلاثين كتاباً من كتبي وجميع مكاتيبي ورسائلي حتى السرية منها في محكمة «اسپارطة» وفي محكمة «دنيزلي» وفي محكمة جزاء «انقرة» وكذلك في رئاسة الشؤون الدينية، كما قامت محكمة التمييز بهذا التدقيق مرتين - وربما ثلاث مرات - وبقيت رسائل النور بكل نسخها الخاصة منها وغير الخاصة في يدها مدة حوالى ثلاث سنوات، ومع ذلك لم يجدوا فيها أي شئ يستوجب عقوبة مهما كانت صغيرة. وانا اتساءل ماهو الذنب الذي اقترفناه لكي تقوموا باصدار عقوبة قاسية في حقنا وسجننا سجناً انفرادياً

وانا بهذه الدرجة من الضعف وفي هذا الوضع القاسي من الظلم والقهر، واي قانون او مصلحة او وجدان يرضى بهذا؟ مع ان رسائل النور – التي تجدون مجموعتها كاملة بين ايديكم – اصبحت مرشداً قوياً وقويماً لاكثر من مائتى الف طالب من طلاب النور الحقيقيين المستعدين للتضحية، فخدمت بذلك أمن البلد واستقراره. ثم ان دفاعي الذي قدمته والذي بلغ اربعمائة صفحة اثبت براءتنا بشكل قاطع لايقبل الشك، لذا ستسأل هذه الاسئلة منكم امام المحكمة الكبرى يوم الحشر دون ريب.

الثانية:

لقد عدّوا تفسيري للايات القرآنية الصريحة حول الحجاب والارث وذكر الله وتعدد الزوجات، وقيامي برد الاعتراضات المثارة ضدها من قبل المدنية الغربية الحالية رداً مفحماً.. عدّوا ذلك احدى التهم الموجهة اليّ. واكرر هنا الفقرة التي اوردتها قبل خمسة عشر عاماً في محكمة «اسكى شهر» ثم في محكمة التمييز في «انقرة» وستكون هذه الفقرة شكواي في محكمة الحشر الكبرى وتنبيهاً وايقاظاً للجماعات المثقفة للاجيال القادمة وستكون هي مع رسالة «الحجة الزهراء» بمثابة لائحة تمييز، كما انني اكرر هذه الفقرة للمدعي العام الذي لم يترك لي فرصة للكلام والذي اثبتّ ثمانين خطأ ورد في لائحته الاتهامية التي ملأها بالمغالطات واعرضها مرة اخرى على هيئة المحكمة التي اصدرت حكما عليّ بسنتين من الحبس الانفرادي الشديد وبسنتين من النفي والاقامة الجبرية:

انني اقول لمحكمة وزارة العدل:

ان ادانة من يفسر اقدس دستور الهي وهو الحق بعينه، ويحتكم اليه ثلاثمائة وخمسون مليوناً من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية، خلال الف وثلاثمائة وخمسين عاماً. هذا المفسر استند في تفسيره الى ما اتفق عليه وصدق به ثلاثمائة وخمسون الف مفسر، واقتدى بالعقائد التي دان بها اجدادنا السابقون في الف وثلاثمائة وخمسين سنة.. اقول: ان إدانة هذا المفسر قرار ظالم لابد ان ترفضه العدالة، ان كانت هناك عدالة على وجه الارض، ولابد ان ترد ذلك الحكم الصادر بحقه وتنقضه. ولتسمع هذا الآذان الصماء لعصرنا الحالي.

ألا يعني إدانة شخص ترك السياسة واعتزل الحياة الاجتماعية ولا يؤمن من الناحية الفكرية العلمية ببعض القوانين الأجنبية التي قُبلت في هذا البلد بمقتضى ظروف معينة، لقيامه بتفسير هذه الآيات انكاراً منهم للاسلام وخيانة لمليار من اجدادنا الابطال المتدينين واتهاماً لملايين التفاسير القرآنية.

الثالثة:

من الأسباب التي ذكروها لتبرير الحكم علي هي القيام باخلال الامن والاستقرار؛ وعلة هذا انهم قاموا بتفسير خاطئ لمعنى بعض الجمل الواردة في خطابات شخصية ورسائل خاصة لاتتجاوز الخمسين جملة، مع ان رسائل النور تحوي اكثر من مائة الف كلمة وجملة، ونظروا الى احتمال واهٍ وبعيد جداً لايتجاوز واحداً في المائة بل واحداً من الف، وعدوا هذا الاحتمال البعيد واقعاً ويريدون به عقابنا.

وانا أُشهد الذين يعرفون الثلاثين او الاربعين سنة الاخيرة من حياتي والالاف من طلبة النور الاصفياء فاقول:

عندما بدأ القائد العام للجيش الانكليزي الذي احتل استانبول ببذر بذور الخلاف بين المسلمين حتى خدع شيخ الاسلام وبعض العلماء الآخرين وجعل احدهم يهاجم الآخر، ووسع الخلاف بين جماعة الاتحاديين[١] وجماعة «الائتلاف» لكي يهئ الجو لانتصار اليونانيين واندحار الحركة الملية الوطنية. قمت آنذاك بتأليف كتابي «الخطوات الست» ضد الانكليز وضد اليونانيين، وقام السيد «أشرف اديب»[٢] بطبعه ونشره، مما ساعد على إبطال مفعول الخطة الجهنمية لذلك القائد، فالذى لم يحفل بتهديد القائد الانكليزي باعدامه ولم يهرب الى انقرة مع ان حكومة انقرة[٣]

---

(١) جماعة الاتحاديين: هم جماعة الاتحاد والترقي الذين هرب قادتهم الى الخارج بعد اندحار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى امام قوات الحلفاء. اما جماعة «الائتلاف» فهم جماعة سياسية ظهرت بعيد انتهاء الحرب وكانوا خصوماً للاتحاديين. (المترجم).

(٢) وهو من المجاهدين المسلمين آنذاك، ورأس تحرير مجلة «سبيل الرشاد» الاسلامية. (المترجم).

(٣) كانت هناك آنذاك حكومتان: حكومة الخلافة في استانبول واقعة تحت سيطرة واحتلال دول الحلفاء (وعلى رأسها انكلترة) وحكومة وطنية في انقرة (على رأسها مصطفى كمال)، ولم يكن مصطفى كمال قد أسفر عن وجهه الحقيقي المعادي للاسلام آنذاك. (المترجم).

استدعته تقديراً منهم لنضاله، وفي روسيا لم يحفل بقرار الاعدام الذي اصدره القائد الروسي، واستطاع في حوادث ٣١ مارت بخطبة واحدة تهدئة ثمانية كتائب هائجة من الجيش وجلبها الى الطاعة. وعندما قال له باشوات المحكمة العسكرية العرفية[١]: «انت ايضاً رجعي فقد طالبت بحكم الشريعة» لم يحفل بتهديدهم ادنى احتفاء بل اجابهم: «اذا كانت المشروطية عندكم تعني استبداد فئة معينة فليشهد الثقلان انني رجعي، وانا مستعد للتضحية بروحي في سبيل مسألة واحدة فقط من مسائل الشريعة» مما أذهل الضباط الكبار. وبينما كان يتوقع حكم الاعدام اصدروا قرارهم بتبرئته وتخلية سبيله. ولم يشكرهم على قرارهم هذا، بل هتف وهو في طريقه للخروج «لتعش جهنم للظالمين». وفي ديوان الرئاسة في انقرة -كما ادرج في قرار لمحكمة افيون - عندما قال له مصطفى كمال في غضب:

«لقد دعوناك هنا لكي نستأنس بارائك السديدة، فاذا بك تكتب اموراً حول الصلاة فبذرت الخلاف فيما بيننا»[٢] فأجابه امام ما يقرب من خمسين نائباً:

«ان اكبر مسألة بعد مسألة الايمان هي الصلاة. ومن لايصلي يعدّ خائناً وحكم الخائن مردود».

فاضطر ذلك القائد الصارم الى كظم غيظه والى اعطاء بعض الترضية له، ثم انه لم يسجل رجال أمن الحكومة في ست ولايات اية حادثة تخل بالامن لطلبة النور مع انهم يعدّون بمئات الالاف سوى حادثة صغيرة تتعلق بقيام احد الطلبة الصغار بدفاع شرعي. ولم يسمع احد ان طالباً من طلاب النور دخل السجن بسبب جرم او جناية، وما دخل السجن الاّ وأصلح المسجونين. ومع ان مئات الالاف من نسخ رسائل النور منتشرة في ارجاء البلد فلم يشاهد احد ضرراً لها، بل لم يجدوا منها سوى النفع طوال ثلاث وعشرين سنة. واصدرت ثلاث محاكم لثلاث حكومات احكامها

---

(١) وهي المحكمة العسكرية العرفية التي عقدت برئاسة خورشيد باشا المعروف بقسوته، والتي انعقدت بعد حوادث ٣١مارت المذكورة اعلاه واصدرت قرارات عديدة بالاعدام وكان الاستاذ النورسي ضمن المتهمين المقدمين الى المحكمة - (المترجم).

(٢) عندما وصل الاستاذ النورسي الى «انقرة» وجد ان كثيراً من نواب المجلس الوطني لايصلون، فالقى عليهم خطبة بليغة استهلها بقوله: «ايها المبعوثون انكم لمبعوثون ليوم عظيم» وكانت النتيجة ان ستين نائباً عادوا الى الصلاة، وقام المجلس بتوسعة المصلى الموجود في البناية. - (المترجم).

بالبراءة، كما ان مئات الالاف من الطلبة يشهدون ويصدقون باقوالهم وبافعالهم على قيمة رسائل النور. ثم أيجوز ان يتهم شخص منزوٍ ومنعزل وكبير السن وفقير ويرى نفسه على حافة القبر وترك بكل قوته وقناعته الاشياء الفانية، فلا يهتم باية رتبة دنيوية بل هو في شغل شاغل بما يكفّر عن تقصيراته السابقة وبامور تنفع حياته الخالدة، وهو لشدة شفقته ولرغبته في تجنب الابرياء والشيوخ اية اضرار تلحق بهم فانه يتجنب الدعاء على ظالميه ومعذبيه.. أيجوز ان يُتهم مثل هذا الشخص ويقال بحقه: ان هذا الشيخ المنزوي يحاول الاخلال بالأمن ويفسد الاستقرار، وغايته هي المؤامرات الدنيوية وهي القصد من اتصالاته ومكاتيبه، لذا فهو مذنب؟. ان من يقول هذا بحقه ويحكمون عليه في ظل ظروف قاسية لاشك انهم مذنبون، ومذنبون جداً، وسيدفعون ثمن هذا في المحكمة الكبرى يوم الحشر.

مثل هذا الرجل الذي هدّأ ثماني كتائب عسكرية واجبرها على الانقياد للنظام بخطبة واحدة واستطاع قبل اربعين سنة بمقالة واحدة ان يجعل الالاف من الناس ينحازون اليه ويكونون انصاره، ولم يحن رأسه امام ثلاثة قواد جبارين – المذكورين سابقاً – ولم يخش منهم ولم يتملق لهم وقال امام المحاكم: ألا فلتعلموا جيداً بانه لو كان لى من الرؤوس بعدد ما في رأسى من شعر وفصل كل يوم واحد منها عن جسدى فلن احني هذا الرأس الذى نذرته للحقائق القرآنية امام الزندقة والكفر المطلق، فلن اخون الوطن والامة والاسلام. فهل يجوز بعد هذا ان يقال لمثل هذا الشخص الذي لم يكن له علاقة مع أحد في مدينة «امير داغ» الا مع بضعة من اصدقاء الآخرة اضافة الى ثلاث من الذين كانوا يقومون بشؤون خدمته... أيجوز ان يقال:

ان سعيداً هذا عمل سراً في «امير داغ» كي يخل بالأمن، فقد سمم أفكار بعض افراد الشعب هناك، فقام عشرون شخصاً هناك بمدحه وكتابة مكاتيب خاصة له، مما يبرهن على انه يعمل سراً ضد النظام الثوري للحكومة؟ واستناداً الى هذه التهمة فقد اتبعت سياسة عدائية ضده وحكم عليه بالحبس الشديد لمدة سنتين حيث وضع في سجن انفرادي وفي عزلة تامة، ولم يسمحوا له بالكلام والدفاع عن نفسه في المحكمة.

لأجل كل هذا فانني احيل هؤلاء الذين عذبوني وابتعدوا هذا الابتعادعن العدالة وعن الانصاف الى ضمائرهم.

وهل يعقل وهل من الممكن ان يقوم مثل هذا الشخص الذي نال توجّه الناس اليه اكثر مما يستحقه والذي حمل الالوف على الطاعة والانقياد بخطبة واحدة، وجعل الالاف من الناس ينضمون الى جمعية الاتحاد المحمدي بمقالة واحدة منه، واستمع الى خطبته خمسون الف شخص في جامع اياصوفيا بكل تقدير .. هل يعقل وهل يمكن ان يقوم مثل هذا الشخص بعمل سري طوال ثلاث سنوات في مدينة «اميرداغ» ثم لا يوفق الاّ في اقناع بضعة اشخاص ويترك امور الآخرة وينغمس في مؤمرات السياسة فيملأ قبره – القريب منه – بالظلمات بدلاً من النور؟ أيمكن هذا؟ ان الشيطان نفسه لايمكن ان يقنع بهذا أحداً.

الرابعة:

لقد ابرزوا عدم قيامي بلبس القبعة كسبب مهم لإدانتي ولم يسمحوا لي بالكلام، وقد كنت ناوياً ان اقول لهم:

لقد بقيت في مدينة «قسطموني» مدة ثلاثة أشهر موقوفاً في مركز الشرطة هناك ولم يقل لي أحد: «عليك ان تضع القبعة على رأسك». وفي ثلاث محاكم لم اضع قبعة على رأسي ولم احسر عن رأسي في جلسات هذه المحاكم، ولم يتعرض أحد لي. صحيح ان بعض الظالمين الذين لم يكن لديهم نصيب من الدين اتخذوها حجة وتعرضوا لي بشكل غير رسمي بالاذى طوال ثلاث وعشرين سنة وضيقوا عليّ كثيراً وآذوني. وان الاطفال والنساء واكثر القرويين والموظفين في الدوائر الرسمية والذين يلبسون غطاء الرأس، غير مضطرين الى لبس القبعة، اذ لا فائدة او مصلحة مادية في ذلك، اذن فان شخصاً منزوياً مثلي قاسى عشرين عاماً بسبب عدم لبس القبعة والافتراءات، علماً بان جميع المجتهدين وجميع شيوخ الاسلام منعوا لبسها، والآن يعودون الى ايذائي وعقوبتي دون اي وجه حق، فكما لايتعرض احد الى الذين يشربون الخمر جهاراً نهاراً في شهر رمضان ولايصلون باسم الحرية الشخصية، لذا

فان الذي يتهمني من اجل قيافتي مراراً وتكراراً بهذا العناد وبهذه الشدة سوف يسألون عن هذا عندما يشاهدون الحبس الانفرادي الابدي في القبر ويحضرون الى المحكمة الكبرى .

الخامسة :

ان رسائل النور التي حازت على قبول مائة من الف من أهل الايمان والتي قدمت طوال عشرين عاماً منافع عديدة – خالصة من اية شائبة من الضرر– للامة وللوطن تُصادر لأتفه الاسباب: فمثلا صودرت مجموعة (ذو الفقار – المعجزات الأحمدية) – التي انقذت ايمان مائة الف شخص – لورود تفسير صحيح ومحقّ لآيتين كريمتين في صفحتين فقط من مجموع صفحاتها البالغة اربعمائة صفحة مع ان هذه المجموعة تعرضت لمرور الوقت، وصدرت خلاله قوانين عفو عديدة، فهل يجوز مصادرة تلك المجموعة القيمة النافعة من اجل صفحتين فقط؟ والآن تتم مصادرة رسائل اخرى قيمة بسبب كلمة او كلمتين – يعطون لها معاني خاطئة – ضمن الف كلمة. وكل من سمع لائحة الادعاء الثالثة هذه والقرار الذي نشرناه يتأكد مما نقول.

اما نحن فاننا نقول لكل مصيبة نراها:

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾ و ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾.

السادسة :

انني اقول للذين يتهمون المترجم المسكين لرسائل النور(اي نفسه) بسبب قيام بعض طلبة النور بثناء مبالغ فيه وحسن ظن مفرط بارسال رسائل تشجيع وتهنئة وتقدير وشكر بعد ان استفادوا استفادة كبرى من البراهين الايمانية التي لاتتزعزع واكتسابهم العلوم الايمانية بدرجة علم اليقين... اقول لهم:

انني شخص ضعيف وعاجز ومنفي ونصف امي، وعندما كانوا يثيرون الناس ضدي بدعاياتهم ويخوفونهم مني، كنت كلما أجد دواء لادوائي من أدوية القرآن الكريم ومن حقائقه الايمانية الرفيعة كتبت تلك الحقائق القيمة ايماناً مني انها ستكون علاجاً شافياً لابناء الامة والوطن، ولما كان خطي رديئاً جداً فقد كنت بحاجة ماسة الى معاونين، فيسّرت العناية الالهية لي معاونين خاصين وصادقين وثابتين.

ومن الطبيعي انني لا استطيع ان ارد بشكل قاطع حسن ظنهم ومدحهم المخلص، او ان اوبخهم على هذا فأجرح مشاعرهم، فمثل هذا التصرف يخالف الانوار المستلهمة من خزينة القرآن الكريم ويعاديها ويهوّن منها. لذا فلكي لايبتعد عني هؤلاء المعاونون من ذوي الاقلام الالماسية والقلوب الشجاعة فانني كنت احول مديحهم لشخصي العاجز المفلس الى رسائل النور التي هي صاحبة الحق في هذا المديح لانها تعكس المعجزة المعنوية للقرآن الكريم، واحيلها الى الشخصية المعنوية لطلاب النور. وعندما كنت اقول لهم: «انكم تعطون لي حصة تزيد على حصتي بمائة مرة» كنت اوذي مشاعرهم الى حد ما. فهل هناك مادة قانونية تضع شخصاً في موقع الاتهام واللوم لأن افراداً آخرين يمدحونه بالرغم من انه كاره لهذا المديح؟ أتوجد مثل هذه المادة القانونية لكي يمكن تبرير قيام موظف رسمي اتهامي باسم القانون؟

هذا مع العلم انه ذكر في الصفحة رقم (٥٤) من القرار المنشور للائحة الاتهام ضدنا قولي:

«ان ذلك الشخص العظيم الذي سيظهر في آخر الزمان سيكون من نسل آل البيت، اما نحن معشر طلاب النور فيمكن ان نعد من آل البيت من الناحية المعنوية فقط. ثم انه لايوجد في مسلك النور مكان للانانية او لتبجيل شخص او الرغبة في مقامات دنيوية، او التطلع نحو الجاه والشهرة أبداً. بل انني ارى نفسي مضطراً حتى لترك المقامات الاخروية – ان اعطيت لي– كي لا أخل بالاخلاص الموجود في المسلك النوري». . . .

كما ورد في الصفحة (٢٢) وفي الصفحة (٢٣) من قرار اللائحة هذه العبارات: «معرفة الانسان تقصيره امام الله وادراك فقره نحوه وعجزه امامه والالتجاء اليه بذل وخشوع، فارى نفسى بتلك الشخصية اشقى واعجز وافقر واكثر تقصيراً امام الله من اى احد كان من الناس، فلو اجتمعت الدنيا فى مدحى والثناء عليّ لا تستطيع ان تقنعني باننى صالح وفاضل.... لن ابوح بكثير من مساوئ شخصيتى الثالثة ومن احوالها السيئة لئلا انفركم عنى كلياً. فالفضل الالهى هو الذى يسخر شخصيتى التى

هي كأدنى جندى، فى خدمة اسرار القرآن التى هى بحكم اعلى منصب للمشيرية وارفعها. فالنفس ادنى من الكل والوظيفة اسمى من الكل، فألف شكر وشكر لله سبحانه».

ومع ان اللائحة اقتبست العبارات اعلاه من كلامنا وادرجتها في متنها، الا ان الذين يريدون وضعي في موضع المذنب لمجرد قيام بعض الاشخاص بمدحي ووصفي بانني مرشد عظيم ومهدى – بانني هديتهم بالمعنى الوارد في رسائل النور– لاشك انهم يستحقون نيل جزاءهم على ما اقترفوه من ذنوب كبيرة.

السابعة:

قامت محكمة «دنيزلي» ومحكمة الجنايات الكبرى في «انقرة»، ومحاكم التمييز باصدار قراراتها بالاجماع على تبرئتنا وعلى تبرئة رسائل النور باجمعها، حيث اعادت هذه الرسائل وكذلك جميع خطاباتنا الينا، ومع انهم قالوا انه «حتى على فرض وقوع خطأ في قرار التبرئة لمحكمة «دنيزلي» فما دامت محكمة التمييز قامت بتبرئتكم، فان قرار التبرئة اصبحت قطعية وثابتة ولا يمكن سوقكم الى المحكمة مرة اخرى». ومع انني قضيت ثلاث سنوات في مدينة «اميرداغ» منزوياً لا أتصل الا مع بضع ممن يقومون بشؤون خدمتي بشكل متناوب (وكانوا يعملون كمساعدي خياط) ولا اتحدث مع أحد الا مع بعض المتدينين في حالات نادرة وضرورية ولمدة بضع دقائق فقط، وسوى ارسال رسالة واحدة فقط في الاسبوع من اجل التشجيع على قراءة رسائل النور (حتى انني لم ارسل الى شقيقي المفتي الا ثلاث رسائل طوال ثلاث سنوات)، بل تركت التأليف الذي كنت عاكفاً عليه منذ ثلاثين سنة سوى تأليف نكتتين اثنتين بعشرين صفحة تناولت موضوعين مهمين ومفيدين جداً لاهل الايمان ولاهل القرآن وهما «حكمة التكرار في القرآن» و «بعض المسائل حول الملائكة»... لم اؤلف عداهما ولكني وافقت على ضم الرسائل التي برأتها المحاكم وجعلها بشكل مجلدات، وعندما قامت المحكمة بارجاع خمسمائة نسخة من رسالة «الآية الكبرى» التي كانت مطبوعة بالاحرف القديمة، فقد اعطيت موافقتي لاخواني

باستنساخها بوساطة جهاز الاستنساخ – لعلمي بان القانون لايمنع ذلك بصورة رسمية – وذلك لكي يستفيد العالم الاسلامي منها، وانشغلت فقط بتصحيحها ولم انشغل ابداً بالسياسة، حتى انني فضلت البقاء في غربة أليمة ولم ارجع الى بلدتي –كما فعل جميع المنفيين الآخرين – رغم صدور الاذن الرسمي بذلك لكي لا انشغل بالدنيا وبالسياسة.

اذن فان القيام بتوجيه هذا الاتهام الثالث المحتوي على امور باطلة وكاذبة وعلى تفسيرات خاطئة ومحاولة ادانة مثل هذا الرجل يحتوي على معنيين مذهلين – سوف لن اقولهما الآن – وقد اثبتت المدة الأخيرة البالغة عشرين شهراً هذا الأمر. وانا اقول: حسبهم القبر وسقر، واحيل امري الى المحكمة الكبرى يوم القيامة.

الثامنة:

بعد ان بقيت رسالة «الشعاع الخامس» سنتين لدى محكمة «دنيزلي» ومحكمة «انقرة» اعيدت الينا. وبعد ان صدر القرار بتبرئتها سمحت بنشرها – مع دفاعي في تلك المحكمة – في آخر مجموعة «سراج النور». صحيح انني كنت احتفظ بها كرسالة خاصة ليست معروضة على الناس، ولكن ما دامت المحكمة شهرت بها واعلنتها ثم اعادتها الينا بعد براءتها، فقلت بانه لاضرر إذن من نشرها، لذا اذنت لهم بنشرها. وكان اصل هذه الرسالة قد كتب قبل حوالى اربعين سنة حول تأويلات احاديث متشابهة كانت قد انتشرت بين الناس منذ القديم، ومع ان عدداً من علماء الحديث ضعّفوا قسماً من هذه الأحاديث، الا انني قمت بكتابة هذه الرسالة انقاذاً لاهل الايمان من الشبهات لان المعاني الظاهرة لهذه الاحاديث كانت تتسبب في اعتراضات كثيرة عليها، الا ان قسماً من تأويلاتها الخارقة ظهرت امام الاعين، لذا اضطررنا الى اخفاء هذه الرسالة وجعلها رسالة سرية خاصة لكي لا تُفسر تفسيراً خاطئاً، وبعد ان قامت عدة محاكم بتدقيقها وتشهيرها ثم إعادتها الينا، الا انها عادت مرة اخرى الى اتخاذها سبباً في ادانتنا، لذا فاننا نحيل مدى ابتعاد هذا العمل

عن العدالة وعن الحق وعن الانصاف الى ضمائر هؤلاء الذين يريدون ادانتنا بسبب من قناعاتنا الوجدانية، كما نحيل شكوانا هذه الى المحكمة الالهية الكبرى ونقول:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

التاسعة:

وهذه نقطة مهمة جداً ولكننا نمسك عن ذكرها لئلا نغضب الذين حكموا علينا، وذلك لاجل قيامهم بقراءة رسائل النور.

العاشرة:

وهذه نقطة قوية ومهمة ولكننا نمسك ايضاً عن ذكرها حاليا لكي لا تدفعهم الى الاستياء والامتعاض.

سعيد النورسي

الموقوف في السجن الانفرادي

* * *

عريضة مقدمة الى مجلس الوزراء

هذا قسم من العريضة المقدمة الى مجلس الوزراء قبل خمسة عشر عاماً واثناء محكمة «اسكي شهر»:

يا أهل الحل والعقد!

لقد تعرضت لظلم يندر وجوده في الدنيا. ولما كان السكوت على هذا الظلم يعدّ استهانة بالحق وعدم احترام له فقد اضطررت الى افشاء حقيقة مهمة جداً، فأقول:

إما ان تقوموا باعدامي وببيان ذنبي الذي استلزم حكماً مقداره مائة سنة وسنة ضمن دائرة القانون واطاره، أو برهنوا على انني مجنون وفاقد للعقل، أو اعطوا لرسائلنا ولنا ولاصدقائنا الحرية الكاملة وحاسبوا الذين تسببوا في ايقاع الاذى بنا.

اجل! لابد ان يكون لكل حكومة قانون واحد، واصول واحدة، حيث تُعطى العقوبات على اساس ذلك القانون، فاذا لم يكن في قوانين الحكومة الجمهورية مايبرر ايقاع الاذى الشديد بي وباصدقائي فان من المفروض ومن الواجب تقديم الترضية الضرورية والتقدير والمكافأة لنا مع اعطائنا كامل الحرية، ذلك لانه لو كانت خدمتي القرآنية تعدّ عملاً عدائياً موجهاً ضد الحكومة فانه يلزم اصدار حكم عليّ بالسجن لمدة مائة سنة وسنة او بالاعدام، وكذلك اصدار عقوبات قاسية على الذين ارتبطوا معي في هذه الخدمة بشكل جدي بدلاً من الحكم عليّ بسنة واحدة وعلى اصدقائي بستة اشهر. فان لم تكن خدماتنا هذه موجهة ضد الحكومة، فعليها ان تقابلنا بالتقدير والمكافأة بدلاً من العقاب والسجن والأذى والاتهام. ذلك لان مائة وعشرين رسالة، اصبحت ترجماناً لهذه الخدمة، واستطاعت ان تتحدى فلاسفة اوروبا وان تهدم كل اسسهم الفكرية وتجعلها اثراً بعد عين.

لاشك ان هذه الخدمة الفعالة والمؤثرة ستؤدي إما الى نتيجة مخيفة، او الى ثمرة علمية راقية ونافعة جداً، لذا لايمكن اصدار قرار بحبسي سنة واحدة وكأننا نلعب

لعب الاطفال من اجل ذر الرماد على العيون واستغفال العامة والتستر على مؤامرات الظالمين ضدنا، ذلك لان امثالي اما ان يصعدوا على المشنقة بكل فخر ويعدموا ، واما ان يكونوا احراراً في الموقع الذي يستحقونه.

اجل!.. ان اللص الماهر الذي يستطيع ان يسرق الماسات بقيمة آلاف الليرات. ان قام هذا اللص بسرقة قطع زجاجية بقيمة عدة قروش وتم الحكم عليه بنفس الحكم من سرقة الماسات الثمينة، فانه مامن لص او ذي عقل وشعور يفعل ذلك. لان امثال هذا اللص يكون ذكياً وحاذقاً ولايتورط في عمل في غاية الحمق والبلاهة.

ايها السادة:

لنفرض انني كنت مثل ذلك اللص حسب ماتتوهمون، فلماذا اختار ناحية بائسة من نواحي مدينة «اسبارطة» حيث بقيت منزوياً فيها مدة تسع سنوات. اذن فبدلاً من توجيه افكار بضعة من الافراد المخلصين (الذين تم الحكم عليهم احكاماً خفيفة) نحو معاداة الحكومة والقاء نفسي ورسائل النور - التي هي غاية حياتي وهدفها- الى الخطر فقد كان من الافضل لي البقاء في موقع كبير في «انقرة» او في «استانبول» - كما كنت في السابق - وتوجيه الالاف من الناس نحو الغاية التي ابتغيها، عند ذلك كنت استطيع ان اتدخل وان اشارك في امور الدنيا بعزة تليق بمسلكي بدلاً من التعرض لمثل هذه العقوبة التافهة والذليلة.

ولاجل ان ابين مدى الخطأ الذي يقع فيه الذين يريدون دفعي الى رتبة واطئة لا نفع فيها ولا اهمية لها، فانني اقول مضطراً مذكراً بعض انانيتي وريائي السابق وليس من اجل الفخر والمدح:

ان الذين تيسرت لهم رؤية دفاعي الذي طبع تحت عنوان «شهادة مدرستين للمصيبة» يشهدون انه استطاع بخطبة واحدة جلب ثمانية كتائب من الجنود الى الطاعة في احداث ٣١ مارت، وكما كتبت الجرائد آنذاك استطاع بمقالة واحدة في زمن حرب الاستقلال باسم «الخطوات الست» ان يحول رأى العلماء في استانبول ضد الانكليز، مما كان له اثر ايجابي كبير في الحركة الملية (الوطنية) وفي جامع اياصوفيا استمع الالاف الى خطبته، وفي مجلس المبعوثان (المجلس النيابي) في انقرة

استقبل بتصفيق حار وقام مائة وثلاث وستون نائباً بالموافقة على تخصيص مائة وخمسين ألف ليرة لمدرسة دار الفنون (الجامعة)، وعندما دعا الى الصلاة قابل حدة رئيس الجمهورية في ديوان الرئاسة وردّ عليه دون خوف او وجل وعندما كان في «دار الحكمة الاسلامية» رأت حكومة الاتحاد والترقي بالاجماع انه اوفق شخص لتبليغ الحكمة الاسلامية الى حكماء اوروبا بشكل مؤثر. اما كتابه «اشارات الاعجاز» الذي ألفه في جبهات القتال – والذي تمت مصادرته الآن – فقد اعجب به القائد العام انور باشا اعجاباً كبيراً الى درجة انه هرع الى استقباله بكل احترام – وهذا ما لم يفعله مع أحد – وقرر اعطاء الورق اللازم لطبع هذا الكتاب لكي تكون له حصة من شرف تلك الهدية ومن ثوابها، هدية الحرب كما ذُكر جهاد مؤلف الكتاب في الحرب بكل خير وبكل تقدير.. فمثل هذا الرجل لايستطيع ان يسكت على معاملته بهذه الصورة وكأنه تورط في جرائم تافهة كسرقة بغلة او خطف بنت او نشل جيب، لانه لو سكت لكان هذا وصمة له ولعزته العلمية القدسية ولخدماته وللالوف المؤلفة من اصدقائه الغالين، لانكم عندما تعاقبونه بحبسه سنة واحدة فكأنكم تعاملونه معاملة سارق نعجة او خروف. فبعد قيامكم بوضعه دون اي سبب تحت الاقامة الجبرية وتحت المراقبة مدة عشر سنوات مليئة بالمضايقات وبالالام، وبعد هذا التعذيب تقومون الآن بحبسه سنة واحدة وبابقائه تحت الاقامة الجبرية سنة اخرى. وبدلاً من معاناته من تحكم وتجبر شرطي عادي او رجل بوليس سري عادي – وهو الذي لم يتحمل تحكم السلطان – فانه من الافضل والاولى له ان يُشنق. ولو ان مثل هذا الرجل اراد التدخل في امور الدنيا ورغب في ذلك، وكانت وظيفته ومهمته المقدسة تسمح له بذلك، اذن لاستطاع ان يقود امراً اعظم بعشرات المرات من حادثة «منمن» ومن ثورة «الشيخ سعيد» اي لاسمعكم صوتاً راعداً كدوي المدافع وليس طنيناً كطنين اجنحة الذباب!

اجل!.. انني اعرض امام انظار الحكومة الجمهورية بان ما اتعرض له حالياً من مصائب ومن بلايا هو نتيجة لمؤامرات ولدعايات منظمة بلشفية سرية، فهناك جو من الدعايات العامة الشاملة التي لم يشاهد لها مثيل في السابق وجو من الخوف ومن

الارهاب، والدليل على هذا هو انه مامن احد من اصدقائي – الذين يبلغ عددهم مائة الف – استطاع ان يبعث لي رسالة واحدة منذ ستة أشهر ولم يستطع ان يرسل لي تحية او سلاماً. واصحاب المؤامرات هذه الذين يحاولون خداع الحكومة واستغفالها استطاعوا بتقاريرهم السرية ترتيب تحقيقات واستجوابات وتحريات في كل مكان بدءٍ من الولايات الشرقية للبلد الى الولايات الغربية.

ان الخطة التي كان المتآمرون يحيكونها رتبت وكأن هناك حادثة مهمة اعاقب عليها – مع الالاف من الاشخاص مثلي – عقاباً قاسياً، ولكنها انتهت في الأخير الى عقوبة تافهة جداً يمكن ان تفرض على اي شخص اعتيادي قام بحادثة سرقة تافهة، اذ اعطيت عقوبة سجن لمدة ستة اشهر لخمس عشرة من الناس الابرياء من بين مائة وخمس عشرة شخصاً. فهل هناك شخص يملك شعوراً وعقلاً يقوم بوخز اسد كبير في ذيله وخزة خفيفة بسيف قاطع حاد يحمله في يده فيثيره ضده؟ ذلك لانه لو كان يريد حفظ نفسه من ذلك الأسد او لو كان يريد قتاله لاستعمل ذلك السيف القاطع في موضع آخر من ذلك الوحش.

ان قيامكم باصدار عقوبة خفيفة ضدي يدل على انكم تتوهمون انني مثل هذا الرجل. ولو انني كنت شخصاً يتصرف مثل هذا التصرف البعيد عن العقل وعن الشعور فلماذا ملأتم هذا البلد بطوله وعرضه بجو من الخوف؟ وما الداعي لكل هذه الدعايات التي تستهدف جلب عداء الراي العام ضدي؟ لقد كان من المفروض ان تتعاملوا معي كتعاملكم مع مجنون عادي فترسلوني الى مستشفى المجاذيب.

اما لو كنت شخصاً مهماً كاهمية التدابير التي تتخذونها ضدي فليس من العقل ومن المنطق وخز ذلك الأسد او ذلك الوحش في ذيله واثارته للهجوم عليه، بل عليه ان يحافظ قدر الامكان على نفسه منه. وهكذا فأنني فضلت حياة الأنزواء منذ عشر سنوات باختياري وتحملت من الالام والمضايقات مالا يتحمله انسان. ولم أتدخل في اي شأن من شؤون الحكومة ولم ارغب في ذلك اصلاً، ذلك لان مهمتي المقدسة تمنعني من هذا.

يا أهل الحل والعقد!

هل من الممكن لمن استطاع قبل خمس وعشرين سنة - بشهادة جرائد ذلك الوقت - ان يكسب الى جانب افكاره ثلاثين الف شخص بمقالة واحدة كتبها، وجلب نحوه انظار واهتمام جيش الحركة[١]. واجاب بست كلمات على اسئلة كبير قساوسة انكلترة الذي اراد الاجابة عليها بستمائة كلمة، والذي كان يخطب في بداية عهد الحرية[٢] كاي سياسي متمرس... هل من الممكن الا يوجد في مائة وعشرين رسالة من رسائل هذا الشخص سوى خمس عشرة كلمة تتعلق بالسياسة وبامور الدنيا؟ أيمكن لاي عقل ان يقتنع بان مثل هذا الرجل يسلك طريق السياسة وله اهداف دنيوية؟ لانه لو كان يهتم بالسياسة وبالتعرض للحكومة لظهر ذلك صراحةً او ايماءً في مائة موضع من مواضع كتاب واحد فقط. ولو كانت غايته توجيه النقد السياسي أما كان بامكانه ان يجد ما ينقده غير موضوع الحجاب وغير موضوع الميراث وهما من المواضيع ومن الدساتير الموجودة منذ السابق؟

ان اي شخص يملك فكراً سياسياً معيناً يستطيع ان يجد مئات الالاف من المواضيع التي ينتقدها لنظام هذه الحكومة التي قامت بانقلاب كبير ولا يقتصر على موضوعين معلومين فقط. فهل يمكن حصر الانقلاب الذي قامت به الحكومة الجمهورية على مسألتين صغيرتين فقط؟ ومع انني لم اقصد توجيه اي انتقاد لها فقد التقطوا كلمتين او ثلاثة وردت في كتاب او كتابين كتبتهما سابقاً وادّعوا بانني اهاجم نظام الحكومة واهاجم انقلابها. وانا اسألكم الآن: هل يعقل اشغال البلد بطوله وعرضه ونشر جو من الخوف فيه لمجرد تناولي لمسألة علمية لاتتطلب اصدار اية عقوبة من جرائها مهما كانت صغيرة؟

ان القيام باصدار عقوبة خفيفة وتافهة في حقي وفي حق بضعة اشخاص من أصدقائي ونشر دعايات مكثفة وشديدة ضدنا في عموم البلد، واشاعة جو من

(١) جيش الحركة هو الجيش الذي وجهه الاتحاديون من مدينة «سلانيك» حيث كانت مركز قوتهم بقيادة «محمود شوكت باشا» لقمع العصيان الذي حدث في ٣١ مارت واعادة سلطة الاتحاديين -المترجم

(٢) عهد الحرية: وهو الفترة الاولى لتولي جمعية الاتحاد والترقي الحكم بعد عزل السلطان عبد الحميد، وهذه التسمية اصبحت متداولة ومعروفة وان كانت خاطئة حيث انهم اسسوا نظاماً حزبياً دكتاتورياً (المترجم).

الخوف والارهاب بين الناس لكي ينفروهم منا ويبغضونا في اعينهم، وجلب وزير الداخلية « شكري قايا » قوة كبيرة الى مدينة « إسپارطة » لتقوم بمهمة يستطيع القيام بها جندي واحد – وهي القيام بالقاء القبض علي وسجني – وقيام رئيس الوزراء عصمت (اينونو) بزيارة الولايات الشرقية بهذه المناسبة، وكذلك منعي من الحديث والتكلم شهرين كاملين في السجن وعدم السماح لاي أحد بالسؤال عن حالي او ارسال تحية لي وانا وحيد في هذه الغربة.. كل هذا يشير الى وضع غريب جداً لامعنى له ولاحكمة فيه لاتليق بأية حكومة في الدنيا – علما بان مصدر كلمة « الحكومة » هو تناول الامور بالحكمة – وليس فقط بحكومة الجمهورية التي من المفروض انها تراعي القوانين وتحترمها.

انني اريد حفظ حقوقي في اطار القانون. كما اتهم كل من يخالف القانون ويدوس عليه باسم القانون بانه يرتكب جناية، ولاشك ان قوانين الحكومة الجمهورية ترفض اعمال هؤلاء الجناة، وآمل ان تعاد لي حقوقي.

سعيد النورسي

* * *

ملاحظة:

المكتوب السادس عشر (من المكتوبات) مع ذيله يعدّ دفاعاً عن الاستاذ النورسى وعن رسائل النور، ولهذا ادرجه الاستاذ النورسي هنا ضمن الشعاع الرابع عشر هذا، فمن شاء فليراجعه فى موضعه من « المكتوبات ». – المترجم.

* * *

رسائل من السجن

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً.

أيها الاخوة الاعزاء الأوفياء!

لقد رأيت انوار سلوان ثلاثة، أبينها في نقاط ثلاث للذين ابتلوا بالسجن ومن يقوم بنظارتهم ورعايتهم ومن يعينهم في أعمالهم وارزاقهم.

النقطة الأولى:

ان كل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن، يمكن ان يُكسِب المرء ثواب عبادة عشرة أيام، ويمكن ان يحوّل ساعاته الفانية – من حيث النتيجة – الى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن ان يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.

فهذا الربح العظيم مشروط لأهل الإيمان باداء الفرائض والتوبة الى الله من الذنوب والمعاصي التي دفعته الى السجن، والتوجه اليه تعالى بالشكر صابراً محتسباً. علماً ان السجن نفسه يحول بينه وبين كثير من الذنوب.

النقطة الثانية:

ان زوال الألم لذةٌ، كما ان زوال اللذة ألمٌ.

نعم! ان كل من يفكر في الأيام التي قضاها بالهناء والفرح يشعر في روحه حسرة وأسفاً عليها، حتى ينطلق لسانه بكلمات الحسرات: اواه.. آه.. بينما اذا تفكر في الأيام التي مرت بالمصائب والبلايا فانه يشعر في روحه وقلبه فرحاً وبهجة من زوالها حتى ينطلق لسانه بـ: الحمدلله والشكر له، فقد ولّت البلايا تاركة ثوابها. فينشرح صدره ويرتاح.

أي أن ألماً موقتاً لساعة من الزمان يترك لذة معنوية في الروح، بينما لذة موقتة لساعة من الزمان تترك ألماً معنوياً في الروح، خلافاً لذلك.

فما دامت الحقيقة هذه، وساعات المصائب التي ولّت مع آلامها أصبحت في عداد المعدوم، وان أيام البلايا لم تأت بعدُ، فهي ايضاً في حكم المعدوم.. وانه لا ألم من غير شئ.. ولا يرد من العدم ألمٌ.. فمن البلاهة اذن اظهار الجزع ونفاد الصبر الآن، من ساعات آلام ولّت، ومن آلام لم تأتِ بعدُ، علماً انها جميعاً في عداد المعدوم. ومن الحماقة أيضاً اظهار الشكوى من الله وترك النفس الأمارة المقصّرة من المحاسبة، ومن بعد ذلك قضاء الوقت بالحسرات والزفرات. أوَليس من يفعل هذا أشد بلاهة ممن يداوم على الأكل والشرب طوال اليوم خشية أن يجوع أو يعطش بعد أيام؟

نعم! ان الانسان ان لم يشتت قوة صبره يميناً وشمالاً – الى الماضي والمستقبل – وسدّدها الى اليوم الذي هو فيه، فانها كافية لتحل له حبال المضايقات.

حتى انني أذكر – ولا أشكو – ان ما مرّ عليّ في هذه المدرسة اليوسفية الثالثة في غضون أيام قلائل من المضايقات المادية والمعنوية لم أرها طوال حياتي، ولا سيما حرماني من القيام بخدمة النور مع ما فيّ من أمراض. وبينما كان قلبي وروحي يعتصران معاً من الضيق واليأس اذا بالعناية الإلهية تمدني بالحقيقة السابقة، فانشرح صدري ايّما انشراح وولت تلك المضايقات فرضيت بالسجن وآلامه والمرض وأوجاعه. اذ مَن كان مثلي على شفير القبر يعدّ ربحاً عظيماً له أن تتحول ساعة من ساعاته التي يمكن ان تمر بغفلة الى عشر ساعات من العبادة... فشكرت الله كثيراً.

النقطة الثالثة:

ان القيام بمعاونة المسجونين بشفقة ورأفة واعطاءهم ارزاقهم التي يحتاجون اليها وضماد جراحاتهم المعنوية ببلسم التسلي والعزاء، مع انه عمل بسيط الاّ أنه يحمل في طياته ثواباً جزيلاً وأجراً عظيماً. حيث أن تسليم ارزاقهم التي تُرسل اليهم من الخارج يكون بحكم صَدقة، وتكتب في سجل حسنات كل مَن قام بهذا العمل، سواءاً الذين أتوا بها من الخارج أو الحراس أو المراقبون الذين عاونوهم، ولا سيما ان كان

المسجون شيخاً كبيراً أو مريضاً أو غريباً عن بلده أو فقيراً معدماً، فان ثواب تلك الصدقة المعنوية يزداد كثيراً.

وهذا الربح العظيم مشروط باداء الفرائض من الصلوات لتصبح تلك الخدمة لوجه الله.. مع شرط آخر هو ان تكون الخدمة مقرونة بالشفقة والرحمة والمحبة من دون ان يحمّل شيئاً من المنة.

* * *

(حاشية صغيرة لرسالة «مرشد الشباب»)

باسمه سبحانه

ان المسجونين هم في امسّ الحاجة الى ما في «رسائل النور» من سلوان حقيقي وعزاء خالص. ولا سيما أولئك الشبان الذين تلقوا صفعات التأديب ولطمات التأنيب بنزواتهم واهوائهم. فقضوا نضارة عمرهم في السجن، فحاجة هؤلاء الى النور كحاجتهم الى الخبز.

ان عروق الشباب تنبض لهوى المشاعر، وتستجيب لها اكثر مما تستجيب للعقل وترضخ له. وسَورات الهوى – كما هو معلوم – لا تبصر العقبى، فتفضل درهماً من لذة حاضرة عاجلة على طنٍ من لذة آجلة، فيُقدم الشاب بدافع الهوى على قتل انسان برئ للتلذذ بدقيقة واحدة من لذة الانتقام، ثم يقاسي من جرائها ثمانية آلاف ساعة من آلام السجن.. والشاب ينساق الى التمتع لساعة واحدة في اللهو والعبث – في قضية تخص الشرف – ثم يتجرع من ورائها آلام ألوف الأيام من سجن وخوف وتوجس من العدو المتربص به.. وهكذا تضيع منه سعادة العمر بين قلق واضطراب وخوف وآلام.

وعلى غرار هذا يقع الشباب المساكين في ورطات ومشاكل عويصة كثيرة حتى تحوّل ألطف أيام حياتهم واحلاها الى أمرّ الايام وأقساها، وفي حالة يرثى لهم ولاسيما بعد ان هبت عواصف هوجاء من الشمال تحمل فتناً مدمرة لهذا العصر؛ اذ

تستبيح لهوى الشباب الذي لا يرى العقبى أعراضَ النساء والعذارى الفاتنات وتدفعهم الى الاختلاط الماجن البذئ، فضلاً عن إباحتها أموال الأغنياء لفقراء سفهاء.

ان فرائص البشرية كلها لترتعد أمام هذه الجرائم المنكرة التي تُرتكب بحقها.

فعلى الشباب المسلم في هذا العصر العصيب ان يشمّروا عن سواعد الجد لينقذوا الموقف، ويسلّوا السيوف الالماسية لحجج «رسائل النور» وبراهينها الدامغة - التي في رسالة «الثمرة» و«مرشد الشباب» وامثالهما - ويدافعوا عن أنفسهم، ويصدّوا هذا الهجوم الكاسح الذي شُنّ عليهم من جهتين.. والاّ فسيضيع مستقبل الشباب في العالم، وتذهب حياته السعيدة، ويفقد تنعّمه في الآخرة، فتنقلب كلها الى آلامٍ وعذاب؛ اذ سيكون نزيل المستشفيات، بما كَسبت يداه من اسراف وسفاهة.. ونزيل السجون، بطيشه وغيّه.. وسيبكي أيام شيخوخته بكاءً مراً ويزفر زفرات ملؤها الحسرات والآلام.

ولكن اذا ما صان نفسه بتربية القرآن، ووقاها بحقائق «رسائل النور» فسيكون شاباً رائداً حقاً، وانساناً كاملاً، ومسلماً صادقاً سعيداً، وسلطاناً على سائر المخلوقات.

نعم، ان الشاب اذا دفع ساعة واحدة من اربع وعشرين ساعة من يومه في السجن الى اقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه التي دفَعَتْه الى السجن، وتجنب الخطايا والذنوب مثلما يجنّبه السجن اياها.. فانه سيعود بفوائد جمة الى حياته والى مستقبله والى بلاده والى أمته والى احبّائه واقاربه، فضلاً عن انه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم بدلاً من هذا الذي لا يدوم خمس عشرة سنة.

هذه الحقيقة يبشرّ بها ويخبر عنها عن يقين جازم جميع الكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم.

نعم! اذا ما شكر الشاب على نعمة الشباب - ذلك العهد الجميل الطيب - بالاستقامة على الصراط السوي، واداء العبادات، فان تلك النعمة المهداة تزداد ولا تنقص، وتبقى من دون زوال، وتصبح أكثر متعة وبهجة.. والاّ فانها تكون بلاء

ومصيبة مؤلمة ومغمورة بالغم والحزن والمضايقات المزعجة حتى تذهب هباء فيكون عهد الشباب وبالاً على نفسه وأقاربه وعلى بلاده وأمته.

هذا وان كل ساعة من ساعات المسجون الذي حكم عليه ظلماً تكون كعبادة يومٍ كامل له، ان كان مؤدياً للفرائض، ويكون السجن بحقه موضع انزواء واعتزال من الناس كما كان الزهاد والعباد ينزوون في الكهوف والمغارات ويتفرغون للعبادة. أي يمكن ان يكون هو مثل اولئك الزهاد.

وستكون كل ساعة من ساعاته ان كان فقيراً ومريضاً وشيخاً متعلقاً قلبه بحقائق الايمان وقد أناب الى الله وادّى الفرائض، في حكم عبادة عشرين ساعة له، ويتحول السجن بحقه مدرسة تربوية ارشادية، وموضع تحابب ومكان تعاطف، حيث يقضي أيامه مع زملائه في راحة فضلاً عن راحته وتوجه الانظار اليه بالرحمة، بل لعله يفضل بقاءه في السجن على حريته في الخارج التي تنثال اليه الذنوب والخطايا من كل جانب، ويأنس بما يتلقى من دروس التربية والتزكية فيه. وحينما يغادره لا يغادره قاتلاً ولا حريصاً على أخذ الثأر، وانما يخرج رجلاً صالحاً تائباً الى الله، قد غنم تجارب حياتية غزيرة. فيصبح عضواً نافعاً للبلاد والعباد، حتى حدا الامر بجماعة كانوا معنا في سجن « دنيزلي » الى القول، بعدما أخذوا دروساً ايمانية في سمو الاخلاق ولو لفترة وجيزة من رسائل النور:

« لو تلقى هؤلاء دروس الايمان من رسائل النور في خمسة اسابيع، فانه اجدى لاصلاحهم من القائهم الى السجن خمس عشرة سنة ».

فما دام الموت لا يفنى من الوجود، والأجل مستور عنا بستار الغيب، ويمكنه ان يحلّ بنا في كل وقت.. وان القبر لا يُغلق بابه.. وان البشرية تغيب وراءه قافلة إثر قافلة.. وان الموت نفسه بحق المؤمنين ما هو الاّ تذكرة تسريح واعفاء من الاعدام الأبدي – كما وضّح ذلك بالحقيقة القرآنية – وانه بحق الضالين السفهاء اعدام أبدي كما يشاهدونه أمامهم؛ اذ هو فراق أبدي عن جميع أحبتهم وأقاربهم بل الموجودات قاطبة.. فلابد ولا شك بان أسعد انسان هو مَن يشكر ربه صابراً محتسباً في سجنه مستغلاً وقته أفضل استغلال، ساعياً لخدمة القرآن والإيمان مسترشداً برسائل النور.

ايها الانسان المبتلى بالملذات والمتع!

لقد علمتُ يقيناً طوال خمس وسبعين سنة من العمر، وبالوف التجارب التي كسبتها في حياتي، ومثلها من الحوادث التي مرت عليّ أن الذوق الحقيقي، واللذة التي لا يشوبها ألم، والفرح الذي لا يكدّره حزن، والسعادة التامة في الحياة انما هي في الايمان، وفي نطاق حقائقه ليس الاّ. ومن دونه فان لذةً دنيوية واحدة تحمل آلاماً كثيرة كثيرة. واذ تقدم اليك الدنيا لذة بقدر ما في حبة عنب تصفعك بعشر صفعات مؤلمات، سالبةً لذة الحياة ومتاعها.

أيها المساكين المبتلون بمصيبة السجن!

ما دامت دنياكم حزينةً باكية، وان حياتكم قد تعكرت بالآلام والمصائب، فابذلوا ما في وسعكم كيلا تبكي آخرتكم، ولتفرح وتحلو وتسعد حياتكم الأبدية. فاغتنموا يا اخوتي هذه الفرصة، اذ كما ان مرابطة ساعة واحدة أمام العدو ضمن ظروف شاقة يمكن ان تتحول الى سنة من العبادة، فان كل ساعة من ساعاتكم التي تقاسونها في السجن تتحول الى ساعات كثيرة هناك اذا ما أديتم الفرائض، وعندها تتحول المشقات والمصاعب الى رحمات وغفران.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لا اعزيكم بل اهنئكم ، اذ مادام القدر الالهى قد ساقنا الى هذه المدرسة اليوسفية الثالثة لحكمة اقتضاه ، وانه سيطعمنا قسماً من ارزاقنا هنا، وقد دعتنا ارزاقنا الى هنا. ومادامت تجاربنا القاطعة قد علّمتنا – لحد الان – ان العناية الالهية لطيفة بنا وقد جعلتنا ننال سر الآية الكريمة ﴿ **وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾(البقرة: ٢١٦). وان اخواننا الحديثى العهد في المدرسة اليوسفية هم احوج الناس الى السلوان الذي تورثه رسائل النور وان العاملين في دوائر العدل هم اشد حاجة من الموظفين

الاخرين الى القواعد و الدساتير السامية التي تتضمنها رسائل النور، وان اجزاء رسائل النور تؤدى لكم مهمتكم خارج السجن وبكثرة كاثرة وان فتوحاتها لا تتوقف ، وان كل ساعة فانية هنا في السجن تصبح بمثابة ساعات من العبادة الباقية. ينبغي لنا – وفق النقاط المذكورة – ان نتجمل بالصبر والثبات شاكرين خالقنا مستبشرين ازاء هذه الحادثة.

اعيد اليكم الرسائل الصغيرة المسلية كلها، والتي كتبناها في سجن « دنيزلي ».

نسأل الله ان تسليكم ايضاً تلك الفقرات المشحونة بالحقائق.

* * *

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

اولاً : حمداً لله بما لا يحد من الحمد لله. لقد ظهر في الساحة روّاد معنويون من المفتيين والوعاظ والائمة والعلماء ، الذين هم الاصحاب الحقيقيون لرسائل النور ، حيث كان الشباب والمعلمون والطلاب هم طلبة النور الغيارى لحد الآن.

فألف ألف تهنئة وبارك الله فيكم يا ادهم وابراهيم وعلي عثمان.. فلقد بيّضتم وجوه اهل المدارس الشرعية، وحولتم إحجامهم وترددهم الى شجاعة و اقدام.

ثانياً: ما ينبغي ان يتأسف ويندم اولئك الذين ولّدوا هذه الحادثة من جراء فعالياتهم وانفعالاتهم الخالصة لله. لان سجن « دنيزلي » قد بارك الذين لم يأخذوا الحذر في اعمالهم من حيث النتيجة حيث التعب قليل والفائدة المعنوية عظيمة جداً. نسأل الله الاّ تكون هذه المدرسة اليوسفية الثالثة قاصرة عن التي قبلها.

ثالثاً: علينا الشكر لله على ظروفنا العصيبة هذه في السجن وذلك لما فيها من زيادة الثواب حسب المشقة. ونسعى في الوقت نفسه لأداء وظيفتنا التي هي خدمة الايمان باخلاص. اما التوفيق في اعمالنا او الحصول على نتائج خيّرة فيها فموكولة الى الله سبحانه وتعالى ولا نتدخل فيها، بل نظل صابرين شاكرين لله ازاء هذه المعتكفات قائلين: خير الامور احمزها.

وعلينا ان نعلم ان هذه الحادثة ما هي الاّ علامة على قبول اعمالنا، وهي وثيقة وامارة على اجتيازنا الامتحان في جهادنا المقدس.

* * *

الى السيد مدير السجن والهيئة الادارية:

طلب بسيط لا اهمية له ظاهراً إلا ان له اهمية قصوى بالنسبة لي:

ان حياتي التي مضت في السجن الانفرادي والتجريد المطلق وعمري الذي ناهز الخامسة والسبعين قد اوهنا جسدي بحيث اصبح لا يطيق اللقاحات ضد الامراض وقد اجري علي قبل مدة مديدة اللقاح، ودام جراحه طوال عشرين سنة، حتى اصبح بمثابة سم ملازم. يعرف ذلك الطبيبان الصديقان في «اميرداغ». وقبل اربع سنوات اجروا علي اللقاح مع المحكومين في سجن «دنيزلي» فلازمت الفراش عشرين يوماً، علماً بانه لم يلحق الضرر بأي منهم، وقد كفاني حفظ الله وعنايته فلم اضطر الى الذهاب الى المستشفى.

بمعنى ان جسدي لا يتحمل اللقاح قطعاً، فضلاً عن ان عذري شديد اذ قد بلغت من العمر الخامسة والسبعين ونحل جسمي وربما لا يتحمل سوى لقاح طفل في العاشر من العمر. فضلا عن انني اقضي حياتي منفرداً في تجريد مطلق ولا اختلط مع احد من الناس. وقبل شهرين ارسل الوالي طبيبين الى «اميرداغ» وكشفوا علي كشفاً كاملاً ولم يجدوا اي مرض سارٍ إلاّ الضعف الشديد والتشنج الظهري. فحالتي هذه لا تحملني قطعاً على اجراء التلقيح وارجوكم رجاءاً حاراً لا ترسلوني الى المستشفى فلا تلجؤني الى البقاء تحت تحكم الاطباء ومن لا اعرفهم، فاني لا استطيع البقاء في هذا الوضع ولم اطقه طوال حياتي. ولاسيما في هذه السنوات العشرين التي قضيتها في التجريد المطلق.

وعلى الرغم من انني بدأت اجد الراحة في دخولي القبر في هذه الفترة إلا انني فضلت السجن حالياً على القبر لما وجدت من معاملة انسانية في هذا السجن ولكيلا امس مشاعر الهيئة الادارية، فضلاً عن القيام ببث العزاء والسلوان في قلوب المسجونين.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

اولاً : لا تتألموا – يا اخوتي – على الاهانات والأذى التي ينزلونها بشخصي بالذات، لانهم لا يستطيعون ان يجدوا نقصاً في رسائل النور، فينشغلون بشخصي الاعتيادي المقصّر كثيراً . فأنا راضٍ عن هذا الوضع. بل لو اجد الوفاً من الاهانات والتحقير والآلام والبلايا الشخصية لأجل سلامة رسائل النور وظهور قيمتها لشكرت الله شكراً مكللاً بالفخر، وذلك مقتضى ما تعلمته من درس النور. لذا لا تتألموا عليّ من هذه الناحية.

ثانياً : ان هذا التعدى السافر الواسع النطاق والهجوم الشديد الظالم، قد خف حالياً من العشرين الى الواحد فلقد جمعوا بضع اشخاصٍ بدلاً من الوف الخواص – من طلاب النور – وجمعوا عدداً محدوداً من اخوة جدد بدلاً من مئات الالوف من المهتمين بالرسائل المرتبطين بها. وبمعنى ان المصيبة قد تحولت الى أخف حالاتها بالعناية الالهية.

ثالثاً : لا تقلقوا يا اخوتي ولا تيأسوا فإن الوالي السابق الذي كان يحيك المؤامرات ويدبر الدسائس ضدنا طوال سنتين قد ولّى بفضل العناية الالهية.

ولربما قد خفف وزير الداخلية الهجوم علينا لسببين: انه من بلدتي. وان اجداده اهل دين حقاً.

رابعاً : لقد اثبتت تجارب كثيرة وحوادث عديدة، بما يورث القناعة التامة؛ ان الارض تهتز والسماء تبكي ببكاء رسائل النور وحزنها. ولقد شاهدنا هذا مراراً بأم أعيننا واثبتناه كذلك في المحكمة.

واعتقد ان توافق ابتهاج الصيف – في بدايته – في هذه السنة بانتشار رسائل النور سراً وتبسمها باستنساخها بالرونيو، وتطابق حدّة الشتاء وغضبه وبكائه بالقلق على مصادرة الرسائل والتحريات الكثيرة في كل مكان وتوقف نشاطها، ماهو الاّ امارة قوية على ان رسائل النور معجزة كبرى ساطعة لحقائق القرآن العظيم تتجلى في هذا العصر. حيث الارض والسماء ذات علاقة معها.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لقد خطر لي اليوم فجأة ان اهنئ القادمين الى هذه المدرسة بدلاً من تقديم التعازي لهم – بمناسبة قضية رسائل النور – بسوقٍ من القدر الالهي والرزق المقسوم فيها، لان كل واحد من الاكثرية ينقذ الى حدٍ ما في عشرين سنة او ثلاثين سنة بل مائة سنة من الاتعاب والمشاق، بديلاً عن الف من اخواننا الابرياء.

وكذا فان دوام عملكم في سبيل الايمان بوساطة رسائل النور، يعني ان كل واحد منكم يؤدي عملاً كبيراً في وقت قليل، نظير ما ينجزه البعض في عشر سنوات من اعمال تنجز في مائة سنة.

وكذا فان الداخلين في هذه المجاهدة المرهقة، والحاضرين هذا الامتحان الجارى في هذه المدرسة اليوسفية الحديثة، واخذهم حظهم فعلاً من نتائجه القيمة الكلية، وملاقاتهم بيسر اخوتهم الخالصين المخلصين المشتاقين الى رؤيتهم وتبادلهم ابحاث درس ممتع لذيذ، وكذا عدم دوام اوقات الراحة في الدنيا بل ذهابها هباءاً منثوراً. اقول: ان الذين يكسبون مغانم عظيمة الى هذا الحد، وبمثل هذه الاتعاب القليلة يستحقون التهنئة حقاً.

اخوتي !

ان هذا الهجوم الواسع الذي شُن علينا، انما هو لصد فتوحات رسائل النور وغزوها القلوب. الاّ انهم ادركوا انهم كلما تعرضوا لرسائل النور ازدادت سطوعاً وكسبت اهمية اكثر وتوسعت دائرة الدروس. فلا تُغلب رسائل النور. الاّ انها تنضوي تحت ستار «سراً تنورت» ولأجل هذا بدّلوا خطتهم، فلا يتعرضون للانوار ظاهراً. وحيث اننا تحت العناية الالهية فعلينا الشكر العظيم لربنا الجليل مع التجمل بكمال الصبر .

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

لقد آن أوان بيان حالتين غريبتين من احوالي:

اولاها:

أُخطر الى قلبي: ان في عدم لقائنا – في سجن التجريد المطلق – لقاءاً حراً باخوتى الذين احبهم اكثر من روحي، فيه مصلحة وعناية إلهية. ذلك لأن كثيراً من اخواننا في الآخرة ممن كان يصرف خمسين ليرة للمجئ الى «اميرداغ» لأجل لقاء يدوم خمسين دقيقة واحياناً عشر دقائق واحياناً يرجع خائباً دون لقاء.. كانوا يلقون انفسهم الى هذه المدرسة اليوسفية بحجة بسطية.

فلوكان وقتى الضيق وحالتى الروحية النابعة من الانزواء يسمحان بذلك فان الخدمة النورية ما كانت لتسمح بالمجالسة التامة والمحاورة الكاملة مع اولئك الاصحاب الاوفياء.

ثانيتها:

لقد شاهد المجاهدون في جبهات متعددة من الحرب عالماً جليلاً فاضلاً. وذكروا له مشاهدتهم، فقال: ان بعض الاولياء قد ظهروا بمظهرى وادّوا بدلاً منى في موضعى انا اعمالاً لأجل اكسابي ثواباً وليستفيد اهل الايمان من دروسي.

ومثل هذا تماماً، فقد شاهدوني في جوامع «دنيزلي» وانا نزيل سجنها، حتى ابلغوا ذلك الى الجهات المسؤولة والى المدير والحرّاس، وقال بعضهم في قلق واضطراب.. من يفتح له باب السجن! فالامر نفسه يحدث هنا تماماً.

والحال انه بدلاً من اسناد حادثة جزئية خارقة الى شخصي المقصر جداً فان رسالة «ختم التصديق الغيبي» تثبت خوارق لرسائل النور وتبينها كاسبةً ثقة اهل الايمان برسائل النور اكثر بكثير من تلك الحادثة بمائة مرة بل بألف مرة. فضلاً عن تصديق ابطال النور باحوالهم الخارقة وكتاباتهم الرائعة لمقبولية رسائل النور.

سعيد النورسى

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لا تقلقوا عليّ، فانني سعيد ومحظوظ لأني معكم في بناية واحدة، فانا راضٍ ومسرور. ان وظيفتنا الحالية، ارسال نسخة من «الدفاع» الى «اسبارطة». وان امكن كتابة عشرين نسخة منه بالآلة الطابعة بالحروف القديمة والحروف الجديدة، كي يبرز الى المدعى العام هناك وتعطى نسخة منه الى محامينا، ونسخة اخرى الى المدير كي يسلمه هو الى وكيل دعوانا. وليرسل الى المسؤولين في «انقرة» بالحروف الجديدة والقديمة كما كان في «دنيزلى».

وان امكن تهيئة خمسة نسخ للدوائر المسؤولة لان رسائل النور المصادرة قد ارسلت بالحروف القديمة الى تلك الدوائر ولاسيما الى هيئة ديوان رئاسة الشؤون الدينية واعيدت الى هنا.

ثم ابلغوا وكيلنا السيد احمد، انه عند طبعه الدفاع بالآلة الطابعة عليه ان يلاحظ بدقة صحة العبارات والكلمات. لان افادتي لاتشبه افادات الاخرين فان خطأ في حرف واحد واحياناً في نقطة واحدة يغير المسألة، ويفسد المعنى. وكذا اعيدوا آلتي الطابعة بالحروف القديمة والجديدة ان لم يسمحوا بهما. وكذا لا تضجروا يا اخوتي ولاتقلقوا ولا تيأسوا فان العناية الالهية ستسعفنا سريعاً بمضمون الآية الكريمة: ﴿**ان مع العسر يسراً**﴾(الشرح: ٦).

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان رسائل النور تواجهكم وتقابلكم بدلاً مني ، فهي ترشد وتعلّم تعليماً جيداً اخواننا الجدد المشتاقين لدروس النور. ولقد ثبت بالتجارب: ان الانشغال برسائل النور سواءً قراءتها او استقراءها او كتابتها يورث الفرح للقلب والراحة للروح والبركة في الرزق والصحة للجسد.

وقد انعم الله عليكم حالياً بطلاً من ابطال النور وهو «خسرو» وستكون المدرسة اليوسفية ايضاً موضع دراسة مباركة لمدرسة الزهراء ان شاء الله. انني كنت الى الآن أُخفي خسرو ولا اظهره الى اهل الدنيا، الاّ ان المجموعات التي نشرت قد اظهرته

اظهاراً لا لبس فيه لأهل الدنيا، فلم يبق شئ للاخفاء. ولهذا اظهرت بضعاً من خدماته الى بعض الاخوة الخواص. وسوف نبين – انا وهو – الحقيقة ان لزم الامر بعينها ولا نخفى شيئاً.

ولكن الان تواجهنا شخصان عنيدان رهيبان من بين الذين يستمعون الى الحقيقة، وقد ظهر انهما يعملان لصالح الزندقة والشيوعية – احدهما معروف في «اميرداغ» والآخر معروف هنا – وهما يحاولان نشر الشبهات ضدنا بمنتهى المكر والدسيسة وذلك لقذف الرعب في قلوب الموظفين.

لذا علينا الأخذ بالحذر الشديد وعدم ابداء القلق وانتظار العناية الالهية بالتوكل لتمدنا.

* * *

يا اخوتي في الدين ويا زملائي في السجن!.

لقد أُخطر لقلبي ان أبين لكم حقيقة مهمة، تنقذكم باذن الله من عذاب الدنيا والآخرة وهي كما أوضحها بمثال:

ان أحداً قد قتل شقيق شخص آخر أو أحد أقربائه. فهذا القتل الناجم من لذة غرور الانتقام التي لا تستغرق دقيقة واحدة تورثه مقاساة ملايين الدقائق من ضيق القلب وآلام السجن. وفي الوقت نفسه يظل اقرباء المقتول أيضاً في قلق دائم وتحين الفرص لأخذ الثأر، كلما فكروا بالقاتل ورأوا ذويه. فتضيع منهم لذة العمر ومتعة الحياة بما يكابدون من عذاب الخوف والقلق والحقد والغضب.

ولا علاج لهذا الأمر ولا دواء له الاّ الصلح والمصالحة بينهما، ذلك الذي يأمر به القرآن الكريم، ويدعو اليه الحق والحقيقة، وفيه مصلحة الطرفين، وتقتضيه الانسانية، ويحث عليه الاسلام.

نعم، ان المصلحة والحقيقة في الصلح، والصلح خير؛ لأن الأجل واحد لا يتغير، فذلك المقتول على كل حال ما كان ليظل على قيد الحياة ما دام أجله قد جاء. اما

ذلك القاتل فقد أصبح وسيلة لذلك القضاء الإلهي، فإن لم يحل بينهما الصلحُ فسيظلان يعانيان الخوف وعذاب الانتقام مدة مديدة؛ لذا يأمر الاسلام بعدم هجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام. فان لم يكن ذلك القتل قد نجم من عداء أصيل ومن حقد دفين، وكان أحد المنافقين سبباً في اشعال نار الفتنة، فيلزم الصلح فوراً، لأنه لولا الصلح لعظمت تلك المصيبة الجزئية ودامت، بينما اذا ما تصالح الطرفان وتاب القاتل عن ذنبه، واستمر على الدعاء للمقتول، فان الطرفين يكسبان الكثير، حيث يدب الحب والتآلف بينهما، فيصفح هذا عن عدوه ويعفو عنه واجداً أمامه اخوة اتقياء أبراراً بدلاً من شقيق واحد راحل، ويستسلمان معاً لقضاء الله وقدره، ولا سيما الذين استمعوا الى دروس النور، فهم مدعوون لهجر كل ما يفسد بين اثنين، اذ الأخوة التي تربطهم ضمن نطاق النور، والمصلحة العامة، وراحة البال وسلامة الصدر التي يستوجبها الإيمان.. تقتضي كلها نبذ الخلافات واحلال الوفاق والوئام. ولقد حصل هذا فعلاً بين مسجونين يعادي بعضهم بعضاً في سجن « دنيزلي » فاصبحوا بفضل الله أخوة متحابين بعد ان تلقوا دروساً من رسائل النور، بل غدوا سبباً من أسباب براءتنا، حتى لم يجد الملحدون والسفهاء من الناس بداً أمام هذا التحابب الاخروي، فقالوا مضطرين: ما شاء الله.. بارك الله!! وهكذا انشرحت صدور السجناء جميعاً وتنفسوا الصعداء بفضل الله. اذ إني أرى هنا مدى الظلم الواقع على المسجونين، حيث يشدد الخناق على مائة منهم بجريرة شخص واحد، حتى انهم لا يخرجون معه الى فناء السجن في أوقات الراحة.. ألا ان المؤمن الغيور لا تسعه شهامته ان يؤذي المؤمن قط، فكيف يسبب له الأذى لمنفعته الجزئية الخاصة، فلابد ان يسارع الى التوبة والإنابة الى الله حالما يشعر بخطئه وتسببّه في أذى المؤمن.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

انى اهنئ رسائل النور واهنئكم واهنئ نفسى بالبشارات القيمة التى زفها خسرو وحفظي والسيد من « بارطن ».

نعم ان الذين سافروا الى الحج في هذه السنة مثلما وجدوا علماء اجلاء في مكة المكرمة يسعون الى ترجمة مجموعات من رسائل النور الى العربية والهندية، كذلك وجدوا المدينة المنورة قبلتها ورضيت عنها بحيث وضعوها في الروضة المطهرة لدى الحجرة الشريفة للقبر النبوى المبارك ﷺ. بمعنى ان تلك الرسائل قد نالت القبول النبوى ودخلت ضمن رضى الرسول الكريم محمد ﷺ.

فلقد زارت رسائل النور تلك الاماكن المقدسة بدلاً عنا كما هى نيتنا وكما ابلغنا المسافرون الى الحج.

وان فائدة اخرى من الفوائد الكثيرة جداً لما ينشره ابطال النور من هذه المجموعات المصححة انهم انقذونى من مهمة التصحيح والقلق عليه واصبحوا بمثابة مائة مصحح بما اوجدوا من المصادر المصححة، فشكراً لله بما لا يتناهى من الحمد والشكر.

أسأل الله تعالى ان يكتب ألف حسنة في سجل حسناتهم لكل حرف من حروف تلك المجموعات. آمين. آمين. آمين.

* * *

رؤيا لطيفة ذات بشارة ظهر تأويلها

اتانى «على» الذى يعاوننى في الامور وقال: لقد رأيت فيما يرى النائم انك وخسرو قد قبّلتما يد الرسول الكريم ﷺ. واذا بى استلم رسالة تتضمن ان مجموعة «عصا موسى» المكتوبة بخط خسرو قد شاهدها الحجاج في الروضة المطهرة. بمعنى ان تلك المجموعة قد قبّلت اليد المعنوية للرسول الكريم ﷺ ونالت رضاه.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الاوفياء وزملائى فى السجن!

اولاً: لا تقلقوا من عدم مواجهة بعضنا البعض الآخر، فنحن نتواجه معنى في كل وقت. فان قرأتم اية رسالة تحصلون عليها او تستمعون اليها، فانكم تشاهدونني وتتحاورون معي خلال تلك الرسالة بصفة خادم القرآن العظيم بدلاً من شخصي

الاعتيادي. علماً انني كذلك اواجهكم خيالاً في جميع ادعيتي وفي كتاباتكم وعلاقاتكم. وحيث اننا معاً ونعمل ضمن دائرة واحدة، فكأننا نتواجه دائماً.

ثانياً: نقول للقادمين الجدد من طلاب رسائل النور في هذه المدرسة اليوسفية الحديثة:

لقد ثبت بحجج قوية وباشارات قرانية اوقفت الخبراء والجأتهم الى الاستسلام: «ان طلاب النور الصادقين ستختم حياتهم بالحسنى ويدخلون القبر بالايمان.. وان كل طالب – حسب درجته – يكون شريكاً لمكاسب جميع اخوانه المعنوية ولأدعيتهم، وذلك بفيض انوار الاشتراك المعنوى النورى، كأنه يؤدى العبادة ويستغفر بألف لسان».

فهاتان الفائدتان والنتيجتان المهمتان، وفي هذا الزمان العجيب تزيلان جميع الصعاب والمشقات. وهكذا تربح رسائل النور طلابها هذين الربحين العظيمين بثمن زهيد جداً.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

ان الدفاعات المرفوعة في محكمة «افيون» تتضمن حقائق جليلة ذات علاقة بنا وبرسائل النور وبهذه البلاد وبالعالم الاسلامي. فلا بد ان تستنسخ منها ما يقرب من عشر نسخ بالحروف الجديدة لترسل الى الدوائر العليا في «آنقرة». ان وظيفتنا الآن هي تبليغ تلك الحقائق الى اركان الحكومة والى دوائر العدل والى الامة، ولا اهتم قطعاً لو ابرأوا ساحتنا او عاقبونا. ولربما هذه الوظيفة هي احدى الحكم المقدّرة بالقدر الالهي فساقنا الى هذه المدرسة. أسرعوا على قدر الامكان في استنساخها بآلة الرونيو، فنحن مضطرون الى ابلاغها تلك الدوائر العليا حتى لو اخلو سبيلنا اليوم. فلا يغرركم احد بتأخيرها،كفى التأخير والتأجيل، وليكن هذا الدفاع مسك الختام لدفاعات قدّمت طوال خمس عشرة سنة ازاء مسألة واحدة وتجاه الظلم القاسى والعذاب الاليم الذي لا نظير له والحجج التافهة المختلقة.

فما دمنا قد حصلنا على صلاحية استنساخ دفاعاتنا بالرونيو حسب القانون، ومن المحاكم السابقة، فلا يستطيع احد ان يمنعنا من استعمال حقنا هذا قانوناً. وان لم تجدوا حلاً للامر رسمياً فليستنسخ محامينا في الخارج حوالي خمس نسخ وليكن اميناً على الحفاظ على سلامتها وصحتها.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي المسجونين الاعزاء الجدد والقدامى!

لقد بت على قناعة تامة من ان العناية الإلهية هي التي ألقت بنا الى ههنا وذلك لأجلكم أنتم، أي ان مجيئنا الى هنا انما هو لبث السلوان والعزاء الذي تحمله رسائل النور اليكم.. وتخفيف مضايقات السجن عنكم بحقائق الإيمان.. وصونكم من كثير من بلايا الدنيا ولأوائها.. وانتشال حياتكم المليئة بالأحزان والهموم من العبثية وعدم الجدوى.. وانقاذ آخرتكم من ان تكون كدنياكم حزينة باكية.

فما دامت الحقيقة هي هذه، فعليكم ان تكونوا اخوة متحابين كطلاب النور وكأولئك الذين كانوا معنا في سجن «دنيزلي».

فها أنتم اولاء ترون الحراس الذين يحرصون على القيام بخدماتكم يعانون الكثير من المشقات في التفتيش، بل حتى انهم يفتشون طعامكم لئلا تكون فيه آلة جارحة، ليحولوا دون تجاوز بعضكم على بعض، وكأنكم وحوش مفترسة يقضي الواحد على الآخر ليقتله، فضلاً عن انكم لا تستمتعون بالفرص التي تتاح لكم للتفسح والراحة خوفاً من نشوب العراك فيما بينكم.

ألا فقولوا مع هؤلاء الأخوة حديثي العهد بالسجن الذين يحملون مثلكم بطولة فطرية وشهامة وغيرة.

قولوا أمام الهيئة ببطولة معنوية عظيمة في هذا الوقت:

«ليست الآلات الجارحة البسيطة وحدها، بل لو سلمتم الى أيدينا أسلحة نارية ايضاً فلا نتعدى على أصدقائنا وأحبابنا هؤلاء الذين نكبوا معنا، حتى لو كان بيننا

عداء أصيل سابق. فقد عفونا عنهم جميعاً، وسنبذل ما في وسعنا الاّ نجرح شعورهم ونكسر خاطرهم، هذا هو قرارنا الذي اتخذناه بارشاد القرآن الكريم وبأمر اخوة الإسلام وبمقتضى مصلحتنا جميعاً».

وهكذا تحوّلون هذا السجن الى مدرسة طيبة مباركة.

* * *

اخوتى الاعزاء الاوفياء:

ان الذين هم في سياسة واحدة او مهنة واحدة، ، او وظيفة واحدة او في خدمة تتعلق بالحياة الاجتماعية او لهم نوع من تجارة خاصة..كل طائفة من طوائف اهل الدنيا هؤلاء لهم اجتماع عام يخصهم يتذاكرون فيه امورهم. كذلك طلاب النور العاملين في الخدمة المقدسة للايمان التحقيقي فان مجيئهم الى الاجتماع العام في هذه المدرسة اليوسفية بأمر القدر الالهي وباقتضاء العناية الربانية وسوقها. لا شك انه يحمل فوائد معنوية جليلة جداً وسينعمون بتلك الفوائد والنتائج القيمة ان شاء الله وان كل واحد من اركان طلاب النور سيكون بمثابة حرف الف، حيث ان(حرف ألف) قيمتها واحدة ان كانت بمفردها ولكنها مع اخواتها، اي ثلاث ألفات معاً متكاتفة ومتواجهة باحوالها تصبح قيمتها الفاً ومائة وواحداً، وكذلك سيكون ثواب ذلك الاخ المنخرط في هذا الاجتماع وقيمته وخدمته السامية الفاً باذن الله.

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

ان سبب سدّهم اليوم نوافذي ودقّها بالمسامير هو عزلي عن المسجونين وقطع تبادل السلام والتحيات فيما بيننا، الاّ انهم ابدوا حجة تافهة ظاهرية اخرى، فلا تقلقوا. بل ان انشغالهم بشخصي الذي لا اهمية له، وانصرافهم عن شد الخناق على رسائل

النور وطلابهـا، وانزالهم الاهانات والعذاب بي، وايلامي قلباً وحقيقةً مع عدم تعرضهم لرسائل النور يجعلني في رضىً عن هذا الوضع بل اشكر ربي صابراً فلا اضطرب ولا اقلق ابداً وانتم كذلك لا تتألموا. فاني على قناعة من ان صرف اعدائنا المتسترين انظار الموظفين في السجن اليّ فيه عناية إلهية وخير من حيث سلامة ومصلحة رسائل النور وطلابها.

فعلى بعض الاخوة الاّ يحتدّوا ولا يتفوّهوا بكلام جارح يمسّ شعورهم، وليأخذوا حذرهم في حركاتهم وسكناتهم، دون ابداء القلق والاضطراب. ولا يفتحوا الموضوع عن هذه المسألة أمام كل أحد، لان هناك جواسيس يحرّفون كلام اخوتنا السذج والجدد الذين لم يتعلموا بعدُ أخذ الحذر ويصرفوا كلامهم الى معاني مغايرة ويستهولوا الامور التافهة، ويخبرون المسؤولين بها. ان وضعنا الحاضر كله جدّ لا هزل فيه. ومع هذا فلا تضطربوا قطعاً واعلموا اننا تحت رعاية العناية الالهية وقد عزمنا على مجابهة جميع المشقات بالصبر الجميل بل بالشكر العظيم لله. فنحن مكلفون بالشكر لأن درهماً من التعب والمشقة يورث طناً من الثواب والرحمة.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

لقد اودعت جميع اعمال الدفاع الى طلاب النور الاركان الذين قدموا والذين سيقدمون الى هنا وذلك بناء على سببين مهمين وباخطار قوى، فاضطررت الى هذا الامر قلباً. اودعها بخاصة الى كل من خسرو، رأفت، طاهر، فيضى، صبرى.

السبب الاول: لقد علمت قطعاً من دائرة التحقيق، ومن امارات عديدة، انهم يحاولون احداث مشكلات ضدى، بكل ما لديهم من قوة، والتهرب من ظهورى وغلبتى عليهم فكراً، ولهم في ذلك إشعار رسمي. فكأنني اذا تكلمت بشئ فسأبين

قدرة علمية وقابلية سياسية بحيث ألزم المحاكم الحجة وأُسكت السياسيين، لاجل ذلك يمنعونـي عن الكلام بمعاذير واهيـة. حتى انني اثناء التـحقـيق اجبت عن احد الاسـئلة قائلاً: لا اتذكـر. فتـعجب الحاكم وحـار في الامر وقـال: كيف ينسى شـخص مثلك يملك ذكاءً وعلماً فوق المعتاد؟

نعم! انهم يعتقدون ان رفعة شأن رسائل النور وتحقـيقاتها العلمية الدقيقة من بنات افكاري. ومن هنا يأخذهم العـجب والحيرة، فلا يريدونني ان اتكلـم مع أحد، وكأن كل من يقـابلني ويـواجـهني سيكون مـبـاشـرة طالبـاً غـيـوراً من طلاب النور! ولهـذا يمنعونني من المقابلة والمواجـهة مع اي احد كان. حتى ان رئيس الشـؤون الدينية قال: «كل من يقابله ينجذب اليه، ان جاذبيته قوية».

بمعنى ان مصلحـتنا تقتضي ان اودع شؤوني اليكم الآن. وما لـديكـم من دفاعاتي القديمة والجـديدة تشتـرك بدلاً عني في مشـاوراتكم بعضكـم مع بعض، فـهي كافـية لهذا الامر.

السبب الثاني: أُجّل الى وقت آخر بمشيئة الله.

اما الاشـارة القصـيرة الى الإخطار المعنوي فـهي: ان الذي جعـلني اترك السيـاسة وقـراءة الجرائد وامـثالهـا من الامور الفـانية خـلال خـمسة وعشـرين عامـاً ومنعني من الاشتغـال بها هو واجب أُخروي جليل جداً، مع حـالة روحية ذات اثر فعـال. فهذان السببان ايضاً يمنعـانني كلياً عن الاشتغال بهذه المسألة بتفرعاتهـا الدقيقة. فانتم تؤدون ايضاً مهمتي بالاستشارة احياناً مع موكلَيكم الاثنين.

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

لقد ورد الآن في الصلاة الى القلب الآتي:

انه بناء على حـسن الظن المفرط الذي يحـمله الاخوة الاعزاء ينتـظرون منك درساً وارشاداً لهـم، وهمّة ومـدداً مادياً ومعنوياً. فـمثلما وكّلت الاخوة الخـواص في امورك

الدنيوية واودعتها الى الشورى فيما بين الاركان، وحسناً فعلت. كذلك بتوكيلك الشخص المعنوى للخواص الخالصين في اعمالك الاخروية والقرآنية والايمانية والعلمية فانهم يؤدون تلك الوظيفة مع وظيفتهم وعلى افضل وجه واكمله. وهم فعلاً يؤدونها الآن وعلى الدوام.

مثلاً: ان كان الذي يواجهك ويسترشد بنصيحة ودرس منك موقتاً بمقدار درهم، فانه يستطيع ان يأخذ مائة درهم من النصيحة والدرس والارشاد من جزء من اجزاء رسائل النور فضلاً عن انه يصاحبها وينتصح منها بدلاً منك. ثم ان الخواص من طلاب النور يؤدون وظيفتك هذه كل وقت. ونسأل الله ان يكون شخصهم المعنوي المالك لمقام رفيع والدعاء المقبول ظهيراً لهم واستاذاً ومعيناً. هكذا ورد الإخطار فأورث السلوان الروحي وزف لها البشرى والراحة.

* * *

اخوتى الاعزاء الاوفياء:

ان وقوع حادثتى الانفجار في غضون اليومين الماضين من دون ان يكون هناك سبب ظاهرى، لاتشبهان المصادفة وتنمان عن مغزى عميق.

اولاها: انفجار المدفأة الحديدية القوية الموجودة في ردهتى فجأة واحدثت صوتاً قوياً حطمت القطعة الفولاذية التى تحتها، فهلع منها الخياط حمدى، واوقعنا في حيرة علماً انها تتحمل حرارة الفحم الحجرى في عزّ الشتاء.

ثانيتها: تهشم القدح الموضوع على مشربة الماء تهشماً عجيباً في ردهة «فيضى» من دون سبب ظاهرى وذلك في اليوم التالى لانفجار المدفأة.

والذى يرد الى الخاطر ان القنابل الموضوعة لتنفجر علينا قد فجرتها نسخ الدفاع المرسلة الى دواوين المسؤولين الستة في «انقرة»، وان مدفأة الغضب التى تستعر لتحرقنا بنارها قد تحطمت دون ان يلحق بنا الضرر.

ولعل تلك المدفأة المباركة التى كانت انيسة نافعة وتستمع الى آهاتى وتضرعاتى تخبرنى قائلةً: لاحاجة الي وسترحل من هذا السجن.

* * *

اخوتى الاعزاء الصديقين!

انتابني اليوم قلق وحزن لأجلكم باخطار معنوى ورد الى القلب. فلقد حزنت لاحوال اخواننا الذين يرغبون في الخروج حالاً من السجن من جراء قلقهم على هموم العيش. وفي الدقيقة التي فكرت في هذا، وردت خاطرة ميمونة الى القلب مع حقيقة وبشرى هي:

ستحل الشهور الثلاثة المباركة جداً الحاملة لأثوبة عظيمة بعد خمسة ايام فالعبادات مثابة فيها باضعافها. اذ الحسنة ان كانت بعشر امثالها في سائر الاوقات ففي شهر رجب تتجاوز مائة حسنة وفي شهر شعبان تزيد على ثلاثمائة حسنة، وفي شهر رمضان المبارك ترتفع الى الألف حسنة، وفي ليالى الجمع فيه الى الآلاف، وفي ليلة القدر تصبح ثلاثين الف حسنة. نعم، ان الشهور الثلاثة سوق اخروية سامية رفيعة للتجارة، بحيث تُكسب المرء هذه الارباح والفوائد الاخروية الكثيرة جداً.. وهي مشهر عظيم ومعرض ممتاز لاهل الحقيقة والعبادة.. وهي التي تضمن عمراً لاهل الايمان بثمانين سنة خلال ثلاثة شهور.. فقضاء هذه الشهور الثلاثة في المدرسة اليوسفية التي تكسب ربحاً بعشرة امثالها. لا شك انه ربح كبير وفوز عظيم. فمهماكانت المشقات فهي عين الرحمة.

فكما ان الامر هكذا من حيث العبادة. فهي كذلك من حيث الخدمة النورية والعمل لنشر رسائل النور، اذ تتضاعف الخدمات الى خمسة اضعافها باعتبار النوعية ان لم تكن باعتبار الكمية، لان القادمين والمغادرين لدار الضيافة هذه (السجن) يصبحون وسائط لنشر دروس النور، وقد ينفع احياناً اخلاص شخص واحد بمقدار عشرين شخص. ثم انه لا اهمية ان كان هناك شئ من المشقات والمضايقات ازاء انتشار سر الاخلاص في رسائل النور بين صفوف المسجونين الذين هم احوج الناس الى ما في الرسائل من سلوان ولاسيما ممن تسرى في عروقهم بطولات سياسية.

اما من حيث هموم العيش، فمن المعلوم ان هذه الشهور هي سوق الآخرة وقد دخل بعضكم هذا السجن بدلاً عن الكثيرين من الطلاب، بل ان بعضكم قد دخله بدلاً عن الالف. فلا شك ان ستكون لهم مساعدات وامدادات لاعمالكم الخارجية.

هكذا وردت الخاطرة وفرحتُ بها فرحاً تاماً وعلمت ان البقاء هنا الى العيد نعمة إلهية عظيمة.

سعيد النورسي

* * *

الى رئاسة الوزارة ووزارة العدل
ووزارة الداخلية(١)

ان جميع رجال الدولة يعرفوني عن كثب، ولاسيما اولئك الذين عاصروا الظروف الجسام التي مرت على البلاد منذ اعلان الحرية (الدستور) واثناء الحرب العالمية الاولى، وخلال غزو الحلفاء للبلاد ودخولهم استانبول، وما اعقبته من احداث لحين تشكل الحكومة الوطنية، وفترة اعلان الجمهورية.. فالذين يحيطون علماً بتلك الظروف ممن يتولون الآن مناصب في الدولة يعرفونني معرفة جيدة.. ومع هذا فاسمحوا لي ان اعرض مشاهد من حياتي امامكم عرضاً سريعاً.

«ولدتُ في قرية «نورس» التابعة لولاية «بتليس»، وطوال فترة حياة التلمذة وتحصيل العلوم دخلت في مناقشات علمية حادة مع كل من قابلته من العلماء، كنت اتغلب عليهم بفضل العناية الربانية. حتى بلغتُ استانبول. وهناك في جوها المشوب بآفة الشهرة والصيت لم انقطع عن مناظراتي العلمية. الا ان وشاية الحاسدين والخصماء، ادت بي ان اساق الى مستشفى المجاذيب بأمر السلطان عبدالحميد - رحمه الله رحمة واسعة - ثم استقطبت نظر حكومة الاتحاد والترقي، بناء على خدماتي اثناء إعلان الدستور وحادثة ٣١/مارت. طرحت عليهم مشروع بناء جامعة في مدينة «وان» باسم «مدرسة الزهراء» على غرار الأزهر الشريف.. حتى انني

(١) كتبَ هذه العريضة محامو الاستاذ وبأذنه وارسلت الى الدوائر العليا المذكورة (صونگور).

وضعت حجرها الاساس بنفسي، ولكن ما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى حتى شكلت من طلابي والمتطوعين «فرق الأنصار» وتوليت قيادتهم، فخضنا معارك ضارية في جبهة القفقاس مع الروس المعتدين في «بتليس».. وقعت اسيراً بيدهم، الا ان العناية الربانية المجتني من الأسر. واتيت استانبول. وعينت فيها عضوا في دار الحكمة الاسلامية، وبادرت الى مجاهدة الغزاة المحتلين لاستانبول في تلك الظروف الحرجة، وبكل ما وهبني الله من طاقة.. الى أن انتهت حروب الاستقلال وتشكلت الحكومة الوطنية في انقرة، فنظرت من جديد - تثميناً لخدماتي تلك - الى مشروع تأسيس الجامعة في «وان».

الى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت احمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة وليّت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرت «سعيداً القديم» - حسب اصطلاحي - واصبحت سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة، فانسللت من حياة المجتمع ونفضت يدي عن كل ما يخصهم فاعتزلت الناس تماماً واعتكفت في «تل يوشع» في استانبول ومن ثم في مغارات في جبال «وان وبتليس». بت في مجاهدة مستديمة مع روحي ووجداني. انفردت الى عالمي الروحي رافعاً شعار «اعوذ بالله من الشيطان والسياسة» صرفت كل همي ووقتي الى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت اعيش حياة «سعيد الجديد».. اخذتني الاقدار نفياً من مدينة الى اخرى.. وفي هذه الاثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على مَن حولي من الاشخاص، تلك الرسائل التي اطلقت عليها «رسائل النور» انها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فانا على قناعة تامة ويقين جازم بان هذه الرسائل ليست مما مضغته افكاري وانما إلهام إلهي افاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين ان لا سبيل الى حفظ ايمان الآخرين غير هذه السبيل فلا تمنع تلك الفيوضات عن المحتاجين اليها. وهكذا تلقفتها الايدي الامينة بالاستنساخ والنشر، فايقنت ان هذا تسخير رباني وسوق إلهي لحفظ ايمان المسلمين فلا يستطيع أحد ان يمنع ذلك التسخير والسوق الإلهي، فاستشعرت بضرورة تشجيع كل مَن يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني. فهذه

الرسائل التي تربو على المائة والثلاثين رسالة لا تبحث بحثاً مقصوداً عن امور الدنيا والسياسة، وانما تخص كلياً امور الآخرة والايمان. وعلى الرغم من كل هذا فقد اصبحت الشغل الشاغل للانتهازيين والمتصيدين في الماء العكر حتى اوقفتني السلطات في كل من «اسكي شهر» و «قسطموني» و «دنيزلي».. واجرت المحاكم تدقيقات علمية على الرسائل. قام بها خبراء متخصصون، الا ان الحقيقة – بفضل الله سبحانه – كانت تتجلى بنصاعتها دوماً، وتتبوأ العدالة مكانتها اللائقة بها. بيد ان هؤلاء المتربصين للفرص المتصيدين في الماء العكر لم يسأموا ابداً، بل سببوا في اعتقالي في هذه المرة، وأتوا بى الى «آفيون» يسندون الي التهم الآتية وانا رهن التوقيف للاستجواب:

١– انك قد شكلت جمعية سياسية.

٢– انك تنشر افكاراً تعادى النظام.

٣– انك تستهدف غاية سياسية.

والاسباب الموجبة لهذه الاتهامات ودلائلها هي بضع عشرة جملة في عدد من رسائلي.

ايها الوزير المحترم!

«آتوني جملة لا يمكن تأويلها، وانا احكم بها عليكم بالاعدام» قالها نابليون. ترى اية جملة يتفوّه بها الانسان لا تكون سبباً للتأويلات والجرم والذنب؟ ولاسيما من كان مثلي بالغا الخمس والسبعين من العمر وقد تخلى عن امور الدنيا ونفض يده عنها كلياً وحصر حياته كلها للآخرة. فلا بد ان تكون كتابات مثل هذا الشخص حرة طليقة، لأنها مقرونة بحسن النية وحسن الظن، فليس فيها تردد ولا تحرّج. لذا فان تحرى الجرم وتنقيب التهمة بالتدقيق تحت سطور هذه الكتابات، ظلم واضح فاضح لا غير.

وبناء على هذا فان رسائل النور البالغة ثلاثين ومائة رسالة، لا تتضمن قصداً ما يتعلق بامور الدنيا قط، بل كلها تتعلق بالآخرة والايمان ، فلا غرو انها مقتبسة من

فيض نور القرآن الكريم، وليس فيها اية غاية وقصد دنيوي ولا سياسي قط. فما من محكمة تناولت امور هذه الرسائل الاّ وقررت تبرئتها بالقناعة نفسها. ولهذا فان إشغال المحاكم بما ليس ضرورياً لها ولا يلزمها وعزل اهل العمل المؤمنين الابرياء عن اعمالهم واشغالهم أمر مؤسف بحق البلاد والعباد.

نعم! ان سعيداً القديم الذي بذل كل حياته في سبيل اسعاد هذه الامة ونشر الأمن والسعادة في ربوع البلاد، وانسحب انسحاباً كلياً عن الدنيا بأسرها وكفّ يده عن امورها كلياً، أيمكن له ان يشتغل بالسياسة بعد ان اصبح سعيداً جديداً وبلغ من العمر الخامسة والسبعين؟ اعتقد انكم مقتنعون كذلك بهذا قناعة تامة.

لي غاية واحدة وهي:

انني في هذا الوقت الذي اتقرب فيه الى القبر.. وفي هذا الوطن الذي هو بلاد اسلامية، نسمع نعيق ابوام البلاشفة.. هذا النعيق يهدد اسس الايمان في العالم الاسلامي، ويشدّ الشعب ولاسيما الشباب اليه، بعد سلب الايمان منهم.

انني بكل ما أملك من وجود، أُجاهد هؤلاء، وادعو المسلمين وبخاصة الشباب الى الايمان، فانا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة. وسأمثلُ ان شاء الله في ديوان حضوره سبحانه وانا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا. واخشى ما اخشاه ان يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشفة ايضاً.

فغايتي المقدسة هي التكاتف والتساند والترابط مع كل من يجاهد اعداء الايمان هؤلاء. اعطوني حريتي واطلقوا يديّ كي اعمل بالتكاتف مع القوى المجاهدة في سبيل اعلان التوحيد وترسيخ الايمان في هذه البلاد واصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية.

الموقوف

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصدّيقين!

ان انجع علاج في هذه الدنيا، ولا سيما في هذا الزمان، وبخاصة للمبتلين بالمصائب، ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد ويأس قاتم هو:

تسلية أحدهم الآخر، وادخال السرور في قلبه، وامداد قوته المعنوية وضماد جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغموم، كأخ حقيقي مضح. اذ الأخوة الحقة والاخروية التي تربطكم لا تتحمل التحيز والاغاظة.

فانا اعتمد عليكم كلياً واستند اليكم، وانتم على علم بقراري وعزمي بانني عازم على ان اضحي مسروراً لأجلكم أنتم بروحي، لا براحتي وحيثيتي وشرفي وحدها، بل قد تشاهدون هذا مني فعلاً، حتى انني اقسم لكم: انه منذ ثمانية أيام يتألم قلبي من عذاب شديد، من جراء حادثة تافهة سببت دلالاً ظاهرياً بين ركنين من أركان النور وإحزان احدهما الآخر بدلاً من السلوان. فاستصرخت روحي وقلبي وعقلي معاً، وبكت قائلة:

«اواه! اواه! الغوث الغوث يا أرحم الراحمين، احفظنا واجرنا من شياطين الجن والانس، واملأ قلوب اخواني بالوفاء التام والمحبة الخالصة والاخوة الصادقة والشفقة الكاملة».

فيا اخوتي الثابتين الصلبين صلابة الحديد! اعينوني في مهمتي! فان قضيتنا في منتهى الدقة والحساسية، فلقد سلمت الى شخصكم المعنوي جميع مهماتي، لشدة ثقتي واطمئناني بكم، فعليكم اذن ان تسعوا ــ ما وسعكم ــ لإمدادي وعوني، فعلى الرغم من ان الحادثة تافهة جزئية، فان وقوع شعرة، مهما كانت صغيرة في عيننا تؤلم، وفي ساعتنا توقفها. ان هذه الحادثة الجزئية تعد كبيرة حيث اخبرت عنها الانفجارات الثلاثة المادية والمشاهدات الثلاث المعنوية.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

ان انفجار مدفأتي وتهشم اقداح فيضي وخسرو ينبئان عن وقوع مصيبة ستحل بنا.

نعم انه ينبغي التساند الحقيقي والترابط الصادق الذي هو اقوى مرتكز ونقطة استناد لنا مع غض النظر عن اخطاء بعضنا البعض وعدم الاستياء من خسرو الذي هو بطل النور والممثل لشخصه المعنوي وفي موقعي انا.

وقد كنت اشعر قبل بضعة ايام ضيقاً شديداً في صدري واقول في قلق: «لقد وجد اعداؤنا وسيلة للتغلب علينا» ..

حذار..! حذار..! حذار..! اعملوا فوراً على رأب الصدع في ترابطكم الوثيق الفولاذي.. اقسم بالله ان هذه الحادثة – ولاسيما في هذه الفترة – تلحق الضرر بالعمل للقرآن وخدمة الايمان اكثر من دخولنا السجن.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

ان «ليلة المعراج» بمثابة «ليلة قدر» ثانية. فكسب الثواب بالعمل المتواصل – كلما امكن – يرتفع في هذه الليلة من الواحد الى الألف. وكذا بالسر الكامن في الاشتراك المعنوي ستؤدون عبادات وتدعون دعوات في هذه الليلة المباركة، ولا سيما في هذا المعكتف المثاب عليه كثيراً، باربعين الف لسان كبعض الملائكة المسبحة باربعين الف لسان. ومن ثم تشكرون ربكم بعبادات هذه الليلة، ازاء عدم تضررنا بواحد من الف من الاضرار التي كانت تلحق بنا نتيجة العاصفة المقبلة.

اننا نبارك اخذكم الحذر التام، ونبشركم في الوقت نفسه ان العناية الربانية قد تجلت بحقنا تجلياً واضحاً.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: ابارك ليلتكم، ليلة المعراج، بكل ما املك من روح وجسد.

ثانياً: ان دعوانا منذ عشرين سنة هي أن طلاب النور لا يتعرضون – ما امكن – لنظام البلاد ولا يمسّون أمنها بسوء. الاّ ان قضية سجننا هذه يمكن ان تعد أمارة قوية وحجة على جرح دعوانا تلك، حيث ان الذين يهاجموننا يزعمون اننا نخلّ بأمن البلاد ونظامها اولاً. الاّ ان العناية الالهية قد ظهرت بشكل خارق بكرامة اخلاصكم ووفائكم، اذ قد خفت شدة المصيبة من المائة الى الواحد وغدت القبة حبة بفضله تعالى. والاّ فان الذين يستهولون الامور ويجعلون الحبة قبة بحقنا يستغلون هذه الفرصة لبث الافتراءات ضدنا وربما يحملون الناس على تصديقها.

ثالثاً: لا تفكروا فيّ ولا تقلقوا عليّ ابداً. فان وجودي معكم في بناية واحدة يزيل كل صعابي ومشقاتي ومضايقاتي.. وحقاً ان اجتماعنا هنا له اهمية عظيمة من جهات شتى، وفوائد جمة لخدمة الايمان حتى أن ارسال تلك الحقائق المهمة التي تتضمنها «تتمة الاعتراض» الى الدوائر العليا الست هذه المرة وجلبها انظارهم واجرائها حكمها فيهم – الى حدّ ما – ازال جميع مشقاتنا واتعابنا.

رابعاً: ان الانشغال برسائل النور – حسب الإمكان – يزيل الضجر والضيق، ويمكن ان يعدّ خمسة انواع من العبادة.

خامساً: لقد خفت المصيبة السابقة من شدتها من المائة الى الواحد بفضل دروس رسائل النور، والاّ لكانت تصبح – من حيث الظرف الدقيق زماناً ومكاناً – الحبة قباباً كثيرة، اي هي بمثابة إلقاء الشرارة في البارود. حتى ان فريقاً من الموظفين الرسميين قالوا: «ان الذين استمعوا الى دروس النور لم يتدخلوا في الامر» فلو كان الجميع يستمعون اليها لما حدث شيئ قط.

فلا تفسحوا يا اخوتي المجال – قدر المستطاع – الى الثنائية والتفرقة، لئلا يضاف شيئ آخر الى ضيق السجن وضجره. وليكن المسجونون ايضاً اخوة متحابين كطلاب النور ولا يهجرنّ بعضهم بعضاً.

سعيد النورسي

* * *

اخواني الاوفياء المخلصين!

لقد تحتم علينا بدرجة الوجوب استعمال دساتير لمعة الاخلاص وسر الاخلاص الحقيقي فيما بيننا وتجاه بعضنا البعض الاخر، ما استطعنا الى ذلك سبيلاً، وبكل ما نملك من قوة. اذ علمت بخبر يقيني انه قد عُيّن ثلاثة اشخاص، منذ ثلاثة شهور، ليلقوا الفتور فيما بين الاخوة الاوفياء هنا بإلقاء اختلاف الافكار والمشارب فيما بينهم، مستغلين تثبيط الاقوياء، وبث الشبهات والاوهام والخوف في قلوب الرقيقين منهم، القليلي الصبر والتحمل، لجعلهم يتخلون عن القيام بخدمة النور ليمددوا مدة محاكمتنا دون سبب.

فحذار.. حذار! واياكم ان تهتز تلك المحبة الصميمية الصادقة التي ربطت قلوبكم، اذ ان اهتزازاً طفيفاً في الاخوة والمحبة بقدر ذرة واحدة تضرنا ايّما ضرر. لان بعض علماء الدين في « دنيزلي » قد ابتعدوا عنا بسبب تزعزع طفيف ونحن نضحي بأرواحنا رخيصة في سبيل اخوتنا ان استوجب الامر، وهذا ما تقتضيه خدمتنا القرآنية والايمانية. لذا فلا يضجرنّ احد من الآخر مما يسببه توتر الاعصاب الناجم عن الضيق الشديد ومن اي سبب اخر، بل ليسعَ كل منكم بزيادة محبته لاخيه وزيادة صميميته واخلاصه له وليحمّل نفسه التقصير بكمال التواضع والتسليم، والا سوف نتضرر عظيم الضرر، اذ تصبح الحبة الصغيرة قبة عظيمة تستعصى على الاصلاح. اختصر الكلام هنا محيلاً الموضوع الى فراستكم.

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

بناء على اخطار معنوي مهم، إن لكم مهمة او مهمتين نوريتين، تلك هي السعي بكل ما اوتيتم من قوة بدروس رسائل النور، لئلا يحدث بين المسجونين المبتلين المساكين في هذه المدرسة اليوسفية الثالثة، الانحياز الى جهة والانشقاق حيث أن مفسدين خطرين يتربصون تحت الستار ليستغلوا الاختلاف والاغراض الشخصية والحقد والعناد.

فما دام معظم اصحابنا في السجن يحملون روح البطولة والتضحية بروحه لأجل بلاده وامته واحبته ان استوجب الأمر، فلاشك ان الواجب على اولئك الرجال

الشهـمين أن يضحّوا بعنادهم واغـراضهـم الشخـصية وعـداواتهـم لأجل سلامـة الامة وراحة المسـجونين والنجاة من إفسـاد المتسترين الذيـن يعملون بخفاء لصـالح الفوضى والارهاب ويلقحـون افكار الناس بالشيـوعيـة، فيضـحون بتلك العـداوة التي لا فائدة فيها قطعاً بل فيها ضرر كبير ولاسيما في هذا الوقت العجيب.

وإلاّ ، اي بخـلاف هذا سيكون الأمر – في هذا الـوقت العصـيب – كـمن يُلقي الشرارة في البارود وسيلحق الضرر بمائة سجين ضعفاء وبطلاب النور الابرياء، وبولاية آفيون هذه، بل ربما يكون وسيلة لطرف اصابع منظمة اجنبية دخلت البلاد.

وحـيث أننا قـد دخلنا السـجن لاجل اولئك بـالقدر الالـهي، بل قـسم منا لا يريد مغـادرة السجن، لاستدامـة سعادتهم وراحتـهم المعنوية، ونحن مستـعدون للتضحـية براحتنا وهنائنا فـي سبيل راحة الآخـرين من اخواننا، وتحمل كل ضـيق وضجر بالصـبر الجميل، فلابد ان اخواننا الجدد اولئك ايضاً يصبـحون كمسجوني سجن « دنيزلي » ، فـلا يضـجر بـعضـهـم من بعض ولا يـهجـره ولا يسـأم منه ويسـتـاء، بل عليـهم وهذا ضروري ان يتصـالحوا فيما بينـهم اخواناً متحابين تلطيـفاً لمشاعر اخـواننا ولأجل حرمة شهر شعبان وشهر رمضان المبارك.

وبدورنا نحن جـميـعاً وانا كـذلك نعدّهـم ضـمن دائرة طلاب النور حتى انهـم قد دخلوا ضمن دعواتنا.

سعيد النورسي

* * *

اخواني الاعزاء الصادقين.

أولاً: ان في تأجيل موعـد محـاكمتنا وحضـور اخواننا الذين أخلوا منهـا هنا يوم المحاكمة، فيه خير كثير .. والخير فيما اختاره الله.

نعم! لما كـانت قـضية (رسـائل النور) تهم الـعالم الاسـلامي كله وبخـاصـة هذا البلد، لذا تستدعي امثال هـذه الاجتماعات الصاخبة المثيـرة الجالبة لأنظار الناس عامة الى حقـائق (رسائل النور). وهكذا تلقـى (رسائل النور) دروسهـا الرائعة وبصـراحة

تامة على الاصدقاء والاعداء، حتى أظهرت أخفى أسرارها الى أعدى أعدائها دون احجام ولاتردد، في مثل هذه الاجتماعات التي هي فوق حسباننا وخارج حذرنا وخلاف اخفائنا للرسائل وتضادد تهوين معارضينا لشأنها، فضلاً عن انها خارج طوقنا وارادتنا.

فمادامت الحقيقة هذه، فينبغي لنا ان نعدّ مضايقاتنا التي نعانيها هنا وهي جزئية وقليلة جداً، علاجاً مراً، نتناوله بالصبر والشكر، قائلين: كل حال يزول.

ثانياً: لقد كتبتُ لمدير هذه المدرسة اليوسفية:

عندما كنت اسيراً في روسيا قامت الثورة البلشفية أول ما قامت من السجون، كما ان الثورة الفرنسية قد اندلعت من السجون ايضاً وحملها اولئك المسجونون المذكورون في التاريخ باسم الفوضويين. لذا نحن طلاب النور قد سعينا في كل مرة في سجن «اسكي شهر ودنيزلي»، وكذلك هنا «في آفيون» قدر المستطاع لاصلاح المسجونين، وقد تكلل ذلك السعي الجميل في «اسكي شهر ودنيزلي» بالثمرات الطيبة وستثمر هنا ان شاء الله فوائد اكثر. حتى انه في هذا الوقت الدقيق والمكان الحرج مضت تلك الزوبعة[١] وخفت شدتها من المائة الى الواحد بفضل دروس النور. اذ لولا ذلك لكانت التيارات الخارجة المفسدة تتمنى الفرص لتستغل الاختلافات وامثال هذه الحوادث. ولكانت تلقي الشرارة في البارود وتشب الحريق..

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصدّيقين الثابتين في خدمة القرآن، يامن لا يتهربون منا من الضيق!

احزنتني نفسي الآن في التفكير لأجلكم، جراء ضيق مادي ومعنوي، ولكن.. اذا بخاطر يرد الى القلب وهو: لو تحملتم عشرة اضعاف هذه المشقات والمتاعب وبصورة اخرى لكانت زهيدة في سبيل لقاء احدٍ من الاخوة هنا لقاء عن قرب.

(١) المقصود العصيان الذى دب فى صفوف المسجونين فى سجن «آفيون» ولم يشترك فيه طلاب النور قط. – المؤلف.

ثم من الضرورة بمكان ان يكون لطلاب النور كل بضع سنين اجتماعاً يجتمعون فيه دفعة واحدة، كما كان اهل الحقيقة سابقاً يجتمعون مرة او مرتين كل سنة ويديمون فيه مسامراتهم ومحاوراتهم على وفق مشرب رسائل النور المكلل بالتقوى والرياضة الروحية، ومسلكها المتسم بإلقاء الدروس الى الناس كافة والى المحتاجين خاصة بل حتى الى المعارضين، ولإجل انطاق الشخص المعنوي في دائرتها، فالمدرسة اليوسفية هذه افضل مكان لطلاب النور وملائم جداً لهذه الاغراض، بحيث تهون امامه المشقات حتى لو كانت الف مشقة وضيق.

ان اجتناب بعض اخوتنا الضعفاء وانسحابهم من ميدان العمل للنور لسآمتهم في سجوننا السابقة كان خسارة جسيمة لحقت بهم، بينما لم يلحق اي ضرر كان برسائل النور وطلابها، بل انضم بدلاً منهم من هو اكثر ثباتاً واخلاصاً منهم.

وحيث ان امتحان الدنيا عابر ويمضي بسرعة، ويسلّم لنا ثوابه وثمراته، فعلينا الاطمئنان الى العناية الالهية شاكرين ربنا من خلال الصبر.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصدّيقين!

اولاً: عندما تسلمون القطعتين الاخيرتين الى رئيس المحكمة، بوساطة شخص فاضل تختارونه ليطلع عليها اطلاعاً غير رسمي، ليكن ذلك بعد طبعهما بالحروف الجديدة او بالحروف القديمة، وقدّموا معهما اليه مذكرة اخرى اكتبوا فيها:

ان سعيداً يقدم لكم شكره الجزيل ويقول: لقد فتح الحراس الشبابيك الاّ ان المدعي العام لا يسمح لأي واحد من اخوتي بالمجئ اليّ. وانه يرجو منكم رجاءً حاراً ان تعيدوا اليه المصحف الشريف المحجوز في المحكمة والمكتوب بخط نفيس معجز كي يتلو فيه هذه الشهور المباركة، علماً انه قد ارسلت ثلاثة اجزاء من ذلك المصحف الى

رئاسة الشؤون الدينية ليسعوا في طبعه بالصورة. وعلاوة على ذلك يرجو منكم ان تسلموا اليه احدى المجموعات التي سلّمت الى المحكمة، كي تكون له مدار تسلٍ في تجريده المطلق وضيقه الشديد وليأنس بمطالعتها ويصاحبها في عزلته هذه عن الناس. علماً ان تلك المجموعات قد مرت على ثلاث محاكم او اربع دون ان يعترضوا عليها. فضلاً عن تقدير الكثير من علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة والشام وحلب وكبار علماء الازهر بمصر، بل اعجابهم بها من دون ان ينتقدوا منها ولا يعترضوا عليها وذلك بشهادة الحجاج القادمين.

سعيد النورسي

* * *

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

ان لدى « فيضى » نسختين من « الحزب النورى » فان لم تكونوا بحاجة اليهما فلترسلا اليّ، او ليكتب « محمد فيضى » نسخة اخرى. فضلاً عن اننا بحاجة الى رسالة رمضان والآية الكبرى المطبوعة.

اصلحوا فوراً الجفاء الموجود فيما بينكم.

حذار.. حذار من هذا.. لان انحرافاً ولو طفيفاً جداً يلحق بدائرة النور ضرراً ايما ضرر، فلا تنفعلوا بالاحاسيس الناشئة من الضيق، فلقد اشار انفجار مدفأتى الى هذه الحادثة.

* * *

اخوتي الاعزاءالصدّيقين: خسرو ومحمد فيضي وصبري!

كنت آمل ان اودع اليكم – بكل ثقتي وقناعتي – الحفاظ على سلامة رسائل النور ثم ادخل القبر سليم القلب. وكنت اعتقد انه لا يمكن ان يحول شئ – مهما كان – بين بعضكم البعض الآخر. والآن هناك اشعار رسمي موضوع بخطة رهيبة لإحداث جفوة بين اركان طلاب النور.

ولما كنتم مستعدين للتضحية – اذا استوجب الامر – بحياتكم لأجل الآخرين،

بمقتضى وفائكم الخالص وترابطكم الوثيق برسائل النور، فلاشك بل ويحتم عليكم ان تضحوا بمشاعركم الجزئية العابرة التي لا اهمية لها في سبيل الاخرين. اذ بخلاف ذلك ستلحق بنا بلا شك – في هذه الفترة – اضرار جسيمة، كما ان هناك احتمال الافتراق عن دائرة النور.. اقول ذلك وانا ارتعد من هذا المصير.

ولقد انتابني ضيق شديد منذ ثلاثة ايام لم أر مثله قط وهزني هزاً عنيفاً، وعلمت الآن قطعاً ان تدللاً وتغنجاً طفيفاً فيما بينكم – كشعرة في العين – يقع وقوع القنبلة في حياتنا النورية.

حتى انني ابلغكم هذا ايضاً: لقد بُذلتْ جهودٌ مضنية لإظهارنا ذا علاقة مع الزوبعة السابقة، فيحاولون الآن إلقاء الجفاء – ولو قليلاً – فيما بينكم.

انني قررتُ ألاّ انظر الى تقصير ايٍ منكم رغم انني اقاسي – في سبيل الحفاظ على مشاعركم – المتاعب والمضايقات اكثر منكم بعشر مرات، فأطلب منكم باسم استاذنا الشخص المعنوي لطلاب النور، ترك الانانية وعدم الأخذ بها محقّاً كان المرء ام غير محق.

وان كانت هناك اصابع خفية تلعب في ذلك المكان العجيب، لوجودكم معاً، فليذهب احدكم الى ردهة «طاهري».

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين ويا زملاء الدراسة في هذه المدرسة اليوسفية!

ان الليلة القادمة هي ليلة النصف من شعبان، وهي بمثابة نواة سامية لسنة كاملة ونوع من برنامج للمقدرات البشرية، لذا تكتسب هذه الليلة قدسية من ليلة القدر. فمثلما الحسنات تتضاعف الى ثلاثين الف ضعف في ليلة القدر، يرتفع العمل الصالح وكل حرف من الحروف القرآنية في ليلة النصف من شعبان الى عشرين الف ثواب.

فلئن كانت الحسنة بعشر امثالها في سائر الاوقات، ففي الشهور الثلاثة ترتفع الى

المائة والى الالف، وفي هذه الليالي المشهورة ترتفع الى عشرة آلاف، وعشرين الف، وثلاثين الف من الحسنات. فهذه الليالي المباركة تعدل عبادة خمسين سنة، لذا فالانشغال – قدر المستطاع – بتلاوة القرآن الكريم والاستغفار والصلوات على الرسول الكريم ﷺ في هذه الليلة ربح عظيم جداً.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً

سلّمكم الله في الدارين

نبارك لكم ليلة النصف من شعبان بكل قلوبنا وارواحنا، تلك الليلة التي يمكن ان يغنم فيها اهل الايمان عمراً معنوياً يعدل خمسين سنة من العبادة. فكل طالب مخلص خالص للنور في هذه الليلة كأنه يعبد ربه ويستغفره باربعين الف لسان كبعض الملائكة المسبحين بأربعين ألف لسان.. هكذا نأمل من رحمته تعالى باطمئنان تام وبسر الاشتراك المعنوي وبفيض التساند المعنوي.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

أولاً: لقد اعترض البعض في الادعاء على مسألة من «الشعاع الخامس» تتعلق بالدجال، متأثرين في اعتراضهم هذا بادعاءات بعض أصحاب الأهواء والبدع من العلماء، الذين ينكرون مجيئ الدجال او حتى عدد من الدجالين في الاسلام. ولعلّ الحديث النبوي التالي يعتبر خير دليل على دحض تلك المزاعم.

فقد ورد في الحديث الصحيح:

(لن تزال الخلافة في ولد عمي – صِنْوِأبي – العباس حتى يسلمها الى الدجال)
وهذا الحديث الشريف فضلاً عن أنه يعتبر معجزة رائعة من معجزات نبينا ﷺ، فإنه يدل دلالة صريحة على أن الخلافة العباسية ستظهر وتستمر مدة طويلة بما يقرب خمسمائة سنة ثم تدمر على يد دجال من الدجالين الثلاثة من أمثال جنگيز وهولاكو ويتولى حكومة دجالية في العالم الاسلامي، أي انه يدل دلالة ظاهرة على أن العالم الاسلامي سيُفْتَتَن بثلاثة من الدجالين طبقاً للاحاديث المختلفة الواردة.

على أن الخبر الغيبي الوارد في هذا الحديث ينطوي على معجزتين قطعتين من معجزات الرسول ﷺ.

احداها: أن الخلافة العباسية ستقوم فيما بعد وتدوم خمسمائة عام.

ثانيها: أن هذه الخلافة ستنقرض على يد دجال ظالم طاغ من أمثال جنگيز وهولاكو.

فيا عجباً! هل يمكن لصاحب الشريعة الذي أخبر في كتب الاحاديث عن أشياء جزئية تعود الى شعائر الاسلام والقرآن ألاّ ينبئ عن الأحداث العجيبة التي في زماننا هذا؟.. وهل يمكن ألاّ يشار الى تلاميذ رسائل النور الذين نذروا أنفسهم لخدمة القرآن خدمة مخلصة، وبشكل رائع وواسع، لا سيما في زمن عجيب كزماننا هذا، وفي ظروف صعبة وشديدة كظروفنا.. تلك الخدمات التي يعترف بها الأعداء والأصدقاء؟

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

الى الرائد النوري العزيز وخادم القرآن أخي رأفت بك!

هذه نكتة من نكات الآية الجليلة:

﴿وَضُرِبَتْ عليهم الذِّلَّةُ والْمسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦١)

إن اليهود لما أفرطوا في حب الحياة والتكالب على الدنيا استحقوا أن يتلقَوا صفعة الذل والمسكنة في كل عصر وكل مكان. الا ان الامر بالنسبة لقضية فلسطين هذه يختلف بعض الشئ. فقد حلّ محل حب الحياة والتكالب على الدنيا الذي هو جبلّة اليهود وديدنهم على مر العصور شعور قومي وديني؛ حيث بدأوا يحسون أن فلسطين هي مقبرة بني اسرائيل وأن الأنبياء السابقين كانوا من قومهم. وبالنظر الى شعورهم القومي والديني هذا فانهم لم يتلقوا صفعة تأديب بسرعة هذه المرة . وإلا فكيف يكون باستطاعة ثلة قليلة من الناس أن تعيش وسط ذلك الجمع الهائل من العرب الذين يطوقونها من كل صوب دون أن يتلقوا صفعة سريعة وتضرب عليهم الذلة والمسكنة.

* * *

سؤال :

هل هناك آية كريمة تدل على كروية الارض، وفي أية سورة من سور القرآن الكريم. فان شبهة تجول في فكري حول تسويتها او كرويتها، وحيث أن اراضي كل حكومة تحدها البحار فما الذي يحافظ على اطراف هذه البحار الواسعة؟.

الملا علي من اميرداغ

الجواب:

لقد حلّت رسائل النور هذه المسألة وما شابهها من المسائل. علماً ان علماء الاسلام قد قبلوا بكروية الارض، وانها لا تخالف الدين. ولا يدل ورود السطح في الآية الكريمة على عدم كرويتها.

هذا وان استقبال القبلة شرط في الصلاة لدى المجتهدين، والشرط يسري في

جميع الاركان، لذا يلزم استقبال القبلة في الركوع والسجود، وهذا انما يمكن بكروية الارض. والقبلة شرعاً عمود نوراني يصعد من فوق الكعبة الى العرش وتمتد من اسفلها الى الفرش. فاستقبال القبلة في اركان الصلاة انما يكون بكروية الارض وبكون القبلة عموداً نورانياً كما ذكرنا.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

﴿وَانْ مِنْ شَيْءٍ اِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوتي الاعزاء الصديقين!

نبارك من كل قلوبنا وارواحنا حلول شهر رمضان المبارك ونسأله تعالى ان يجعل ليلة القدر لكم خيراً من ألف شهر. آمين.. ويقبلها سبحانه منكم في حكم ثمانين سنة من العمر المقضي بالعبادة.. آمين.

ثانياً: انني اعتقد ان بقاءنا هنا الى العيد فيه خير كثير وفوائد جمة. اذ لو أُفرج عنا لحُرمنا من خيرات هذه المدرسة اليوسفية، فضلاً عن اننا سننشغل بامور دنيوية في هذا الشهر المبارك شهر رمضان الذي هو شهر أُخروي بحت، وهذا مما يخل بحياتنا المعنوية.

اذن فالخير فيما اختاره الله، وستكون ان شاء الله افراح كثيرة وخيرات اكثر. لقد علمتم ايضاً يا اخوتي في المحكمة انهم لا يستطيعون وجدان شئ علينا حتى بقوانينهم انفسهم، لذا يتشبثون بامور جزئية جداً لا يمس القانون بشئ ولو بقدر جناح بعوضة فينقبون في مكاتب جزئية وامور جزئية خاصة جداً، حيث لا يجدون من المسائل النورية العظيمة وسيلة يكون سبباً للتعرض لنا.

ثم ان لنا مصلحة اخرى وهي انهم ينشغلون بشخصي الذي لا اهمية له فيهوّنون من شأني بدلا من انشغالهم بطلاب النور الكثيرين ورسائل النور الواسعة الانتشار. فلا يسمح القدر الالهي لهم بالتعرض لطلاب النور ورسائل النور، بل يشغلهم

بشخصي فحسب، وانا بدوري ابيّن لكم ولجميع اصحابي واصدقائي:

انني ارضى بجميع المشقات الآتية على شخصي وبكل سرور وامتنان وبكل ما املك من روح وجسد بل حتى بنفسي الامارة، في سبيل سلامة رسائل النور وسلامتكم انتم. فكما ان الجنة ليست رخيصة فان جهنم كذلك ليست زائدة عن الحاجة.

ولما كانت الدنيا ومشقاتها فانية وماضية عابرة بسرعة، فان المظالم التي ينزلها بنا اعداؤنا المتسترون سننتقم منهم ونأخذ ثأرنا بأضعاف اضعافها بل بمائة ضعف، وذلك في المحكمة الكبرى وجزء منها في الدنيا.

فنحن بدلاً من الحقد والغضب عليهم نأسف على حالهم.

فما دامت الحقيقة هي هذه، فعلينا التوكل على الله والاستسلام بما تجري به المقادير الالهية والعناية الالهية التي تحمينا، من دون ان يساورنا القلق. مع اخذ الحذر، والتحلي بالصبر الجميل والشكر الجزيل، وشدّ اواصر المحبة ووشائج الالفة والمسامرة المباركة مع اخوتنا هنا في الايام المباركة لهذا الشهر المبارك شهر رمضان، وقضائه في جوّ من الاخوة الخالصة والسلوان الجميل والترابط الوثيق، والانشغال بالاوراد في هذا الشهر الذي يرفع الثواب الى الالف، ومحاولة عدم الاكتراث بهذه المضايقات الجزئية العابرة الفانية بل الانهماك بدروسنا العلمية، وذلك حظ عظيم يؤتيه الله من يشاء.

هذا وان دروس النور المؤثرة تأثيراً جيداً في هذا الامتحان العسير واستقراءها حتى للمعارضين فتوحات نورية لها اهميتها وقيمتها.

حاشية: ان انكار بعض اخواننا كونه طالباً من طلاب النور دون ما حاجة الى ذلك ولاسيما (...) وسترهم لخدماتهم النورية الجليلة السابقة من دون ضرورة، رغم انه عمل سئ . الاّ ان خدماتهم السابقة تدعونا الى الصفح عنهم وعدم الاستياء منهم.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

﴿وَإنْ مِنْ شَيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

اخوتي الاعزاء الصدّيقين!

اولاً: ان الليالي المقبلة تكسب المرء ثمانين ونيفاً من سني العمر المليئ بالعبادة، واحتمال وقوع ليلة القدر فيها وارد حسب ماورد في الحديث الصحيح (تحرّوا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان)[1] فعلينا اذن السعي لاغتنام هذه الفرصة الثمينة فهي سعادة عظمى ولاسيما في مثل هذه الاماكن المثابة عليها.

ثانياً: بمضمون (من آمن بالقدر أمِنَ من الكدر) وكذا حسب القاعدة الحكيمة (خذوا من كل شئٍ احسنه) وكذا قوله تعالى ﴿**الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الذين هَداهُم الله واولئك هم اولوا الالباب**﴾(الزمر: ١٨).

فحسب هذه الآية الجليلة والقواعد السابقة علينا ان ننظر الى الجهة الحسنة من كل شئ والوجه الجميل المبشر منه لكي لا تنشغل قلوبنا بما لا يعني من الحالات القبيحة العابرة التي لا حاجة لنا اليها، بل هي مضرة تورث الضيق والانقباض. ولقد ذُكر في «الكلمة الثامنة»: رجلان يدخل احدهما الحديقة بينما يغادرها الآخر. فالمحظوظ السعيد هو الذي ينظر الى الازاهير وما شابهها من الاشياء الجميلة في الحديقة، فينشرح ويرتاح ويهنأ، بينما الآخر الشقي يحصر نظره في الامور القذرة الفاسدة لعجزه عن التنظيف، فينتابه الغثيان ويتضايق بدلاً من ان ينسرّ في الحديقة، ويتركها هكذا...

هذا وان صفحات الحياة الاجتماعية البشرية الحالية ولاسيما المدرسة اليوسفية هي بمثابة حديقة، فيها اشياء قبيحة وحسنة معاً وفيها امور محزنة ومفرحة جنباً الى جنب. فالكيّس من اشغل نفسه بالامور الجميلة من دون ان يعبأ بالقبيحة والفاسدة منها. فيشكر ربه وينسرّ في موضع الشكوى والقلق.

سعيد النورسي

* * *

---

(١) انظر صحيح البخارى – كتاب فضل ليلة القدر – ٣، مسلم – كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر برقم ١١٦٥ – ١١٦٧.

اخوتي الاعزاء الصادقين الثابتين!

اباركم بكل روحي وقلبي، فلقد ضمدتم جرحنا بسرعة. وانا بدوري فرحت تمام الفرح وانسررت الليلة بالشفاء. ومن المعلوم ان « مدرسة الزهراء» تتوسع وتزود الاذهان والقلوب بسر الاخلاص الحقيقي والتضحية الجادة وترك الانانية والتواضع التام وذلك ضمن دائرة النور، وتقوم بنشر هذه الامور في الاوساط. فلابد اذن الاّ يفسد تلك الدروس القوية والعلاقة الاخوية المتينة ما يتولد من المشاعر والاحاسيس من امور عابرة في منتهى الجزئية ولا التدلل والتغنج فيما بينكم. ان لمعة « الاخلاص» خير ناصح في هذا المجال.

وقد وضعتْ في الوقت الحاضر خطة رهيبة لضربنا وتشتيت رسائل النور وزعزعة الراوبط بين طلابها، وذلك بالقاء الجفاء بين الطلاب وإحداث السآمة فيما بينهم وايجاد الفرقة من حيث اختلاف المشرب والفكر...

سعيد النورسي

* * *

اخي العزيز السيد رأفت!

بحرمة القرآن العظيم، وبحق ارتباطكم القرآني، وبشرف خدماتكم العظيمة في مسلك النور طوال عشرين سنة.. ارفعوا ما بينكم من هجر وسخط، فهو رهيب رغم كونه شيئاً جزئياً – ظاهراً – الاّ انه أليم فجيع بالنسبة لاوضاعنا الحالية الدقيقة. فهو عون عظيم للمنافقين المتسترين الذين يسعون لإبادتنا وافنائنا. تخلوا يا اخوتي عن استياء بعضكم عن بعض، الشبيه بإلقاء الشرارة في البارود، واحملوا الآخرين عن التخلي عنها. اذ بخلاف ذلك هناك احتمال قوي أن يلحق الضرر بنا وبالخدمة القرآنية والايمانية بالارطال بسبب حق جزئي شخصي لا يعادل درهماً.

واني اطمئنكم مقسماً بالله أنه اذا أهانني احدكم أشد إهانة واشنع تحقير، وحطّ من كرامة شخصيتي كلياً، ولم يتخلّ – في الوقت نفسه – عن الخدمة القرآنية والايمانية والنورية، فانني اصفح عنه واتنازل له عن حقي، وأُصالحه، واسعى لعدم الاستياء منه.

فما دمتم تعلمون ان اعداءنا يستغلون جفاءً جزئياً فيما بين الاخوة، تصالحوا فوراً. وتخلوا عن التدلل الذي لا معنى له، بل فيه ضرر بليغ. وإلاّ سيكون ضرراً جسيماً لخدمتنا الايمانية.

ولما كانت العناية الالهية قد وهبت لنا الكثيرين بدل الضائعين المفارقين لنا، فستسعفنا وتمدّنا باذن الله.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

لا تقلقوا! فنحن في ظل العناية الالهية وتحت رعايتها. ان المشقات الظاهرة تحمل رحمات كثيرة. لقد ارغموا الخبراء على ان يهوّنوا جزءاً من الرسائل.. لا شك ان قلوب الخبراء قد أصبحت من «النوريين».

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين الثابتين الذين لا ينال منهم القلق والاضطراب ولا يتركون الآخرة بالعودة الى الدنيا الفانية!

لا تحزنوا من بقائنا هنا مدة اخرى لرغبتهم في توسيع دائرة قضيتنا، بل كونوا راضين شاكرين كما انا راضٍ شاكر، اذ العمر لا يتوقف بل يحث الخطى نحو الزوال، وينال البقاء بثمراته الاخروية في مثل هذه المعتكفات، فضلاً عن ان دائرة دروس رسائل النور تتوسع. فمثلاً: اضطر علماء هيئة الخبراء الى قراءة «سراج النور» بامعان، علماً ان هناك احتمال ورود نقيصة لخدمتنا الايمانية ـ بجهة أو جهتين ـ فيما اذا أُفرج عنا في هذه الفترة.

انني لا ارغب في مغادرة السجن بالرغم من انني اقاسي المضايقات اكثر منكم بكثير. وانتم كذلك اجهدوا – حسب المستطاع – على الصبر والتحمل والتعود على نمط الحياة هنا مع الاشتغال باستنساخ رسائل النور ودراستها لتجدوا السلوان والسرور.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: ربما كان عدد منا يسافر لاداء فريضة الحج في هذه السنة لو كان السفر اليه حراً مسموحاً. نسأل الله تعالى أن يقبل نياتنا هذه وكأننا سافرنا الى الحج فعلاً، ويمنح خدمتنا الايمانية والنورية ثواباً عظيماً كثواب الحج ونحن نعاني هذه الاحوال المليئة بالمضايقات والمشقات.

ثانياً: ان رسائل النور تفسير قيم وحقيقي للقرآن الكريم. لقد كررنا هذا الكلام. وخطر الآن للقلب بيان حقيقة وذلك لعدم وضوح معناه الحقيقى.

التفسير نوعان:

الاول: التفاسير المعروفة التى تبين وتوضح وتثبت معانى عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته.

القسم الثانى من التفسير: هو ايضاح وبيان واثبات الحقائق الايمانية للقرآن الكريم، اثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة. ولهذا القسم اهمية كبيرة جداً.

اما التفاسير المعروفة والمتداولة فانها تتناول هذا النوع الأخير من التفسير تناولاً مجملاً احياناً. إلاّ ان رسائل النور إتخذت هذا القسم اساساً لها مباشرة. فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث تلزم اعتى الفلاسفة وتسكتهم.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

ترى هل نحن ورسائل النور اكثر إضراراً في الاوساط، بحيث يكتب كل محرر للصحف ما يشاء ويعقد كل صنف اجتماعاً دون مداخلة احد؟ والحال اذا انعدمت التربية الدينية فلا تكون لدى المسلمين وسيلة للادارة سوى الاستبداد المطلق والرشوة التي لا تحدها حدود، اذ كما لا يتهود المسلم - التارك لدينه - حقاً ولا يتنصّرحقاً بل يكون ملحداً ويضل ضلالاً بعيداً، كذلك لا يكون شيوعياً قط بل فوضوياً ارهابياً، وعندئذٍ لا يمكن ادارته الاّ بالاستبداد المطلق.

اما نحن طلاب النور فاننا نسعى لمعاونة الادارة واقرار الأمن والنظام واحراز السعادة للامة والوطن. والذين يجابهوننا هم ارهابيون ملحدون اعداء الامة والوطن. فالأولى للحكومة بل الالزم لها أن تسعى لحمايتنا ومعاونتنا لا التعرض لنا والتعدي علينا.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: ان الافراج عن كل من رأفت وأدهم وأفراد عائلة چالشقان وبرهان وامثالهم من طلاب النور الناشرين، يدل على أن انتشار رسائل النور ليس محظوراً، فلا تتعرض لها المحكمة.

ثم انه علامة على الاقرار بعدم وجود تحزب وتشكيل جمعية.

ثم ان اطالة مدة قضيتنا وجلبهم الانظار الى رسائل النور في ميدان واسع انما هي بمثابة دعوة عامة لقراءتها، واعلان رسمي لها يثير لدى السامعين المشتاقين الرغبة في قراءتها.. وهي وسيلة لكسبنا نحن واهل الايمان المنافع العظيمة التي تفوق مشقاتنا

بمائة درجة.. وهي اشارة الى تأثير مثل هذا الدرس الايماني النزيه في اوسع دائرة في الارض – كالقنبلة الذرية – ان شاء الله ازاء هجوم كلي شامل قاسٍ شرس تشنه جيوش الضلالة الرهيبة في هذا الزمان.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء: رأفت، محمد فيضى، صبرى!

لقد تلقيت اخطاراً قلبياً فارجوكم رجاءاً خالصاً لأجل رسائل النور، وبركة هذا العيد المبارك، ولأجل حقوق الاخوة السابقة فيما بيننا: اسعوا ايها الاخوة الثلاثة لضماد جرحنا الجديد الغائر. لان اعداءنا ينفذون خطتين اثنتين علينا:

اولاها: التهوين من شأنى.

ثانيتها: بث الجفاء فيما بيننا، بنشر روح الانتقاد والاعتراض والاستياء فيما بينكم ولاسيما مع خسرو.

انى اعلن لكم: لو كان لخسرو الف تقصير وخطأ فانى اخاف من الكلام عليه. لان الكلام عليه خيانة عظيمة في الوقت الحاضر. حيث يعنى الكلام على رسائل النور مباشرة، وعليّ بالذات، ويكون لصالح الذين استضعفونا. فهو خيانة عظيمة الى حد فجّرت مدفأتى. وانى على قناعة من التعذيب الذى يذيقوننى اياه مؤخراً ناتج من انحلال الترابط فيما بينكم، والذى ليس له مغزى قط، بل فيه ضرر كبير. ان اصابع رهيبة تتدخل هنا في السجن ولاسيما في الردهة السادسة. لاتدفعونى يا اخوتى الى البكاء والحزن في عيدنا هذا. تصالحوا فوراً صلحاً قلبياً.

سعيد النورسى

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

كنت اريد ان يخلوا سبيل اثنين او ثلاثاً من اخواننا اليوم، الاّ ان العناية الالهية قد أخرّتهم لفوائد يحصلون عليها. بل ان بقاءنا في وضعنا هذا بما يقرب من عشرين يوماً ضروري، بل ضروري جداً لأن وجودنا معاً في هذا العيد ضروري لنا ولرسائل النور ولخدمتنا وراحتنا المادية والمعنوية، ولنأخذ حظنا كاملاً من أدعية الحجاج، ولنجاة رسائل النور المرسلة الى «آنقرة» من المصادرة، ولتزايد عدد الذين يشفقون على كوننا مظلومين فينسلكوا في مسلك النور، وليكون حجة علي اننا لا نستجير بخونة الوطن والامة بالرضى عن الاخطاء العظيمة التي ترتكب حالياً.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الاوفياء!

السجن هو أفضل مكان لنا في هذه الفترة الطافحة بالشبهات والاوهام والاضطرابات والقلاقل. وان رسائل النور ستكسب لنا ولهم الافراج باذن الله. اذ ما دامت رسائل النور تستقرئ نفسها بشكل لا مثيل له والى هذه الدرجة الواسعة خلال هذه الظروف الصعبة المحيطة، وازاء معارضين كثيرين جداً، وتدفع طلابها الى انواع شتى من العمل للاسلام في السجن، ولا تفسح المجال الى تذللهم بفضل العناية الإلهية.. فنحن اذن مكلفون باداء الشكر لله بدل الشكوى، والاطمئنان الى هذا.

فان تحملي جميع الشدائد والمضايقات الشديدة نابع من هذه القناعة والاطمئنان. فلا أتدخل في مشيئة الله.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتى الاعزاء الاوفياء!

ان احدى النسختين، لي، والاخرى للمدير. صححوا اخطاء النسخة الاخرى على نسختي المكتوبة بخطى.

وعندما كنت اطالع رسالة «الآية الكبرى» هذه المرة، وجدت انها ذات قيمة عالية ولاسيما المقام الثانى والمحاورة المعنوية في الختام. وقد استفدت منها ايما استفادة.

فلاجل ان تستفيدوا، ليقرأها احدكم وليستمع اليها الآخر، وليتولى اثنان من اخواننا المطالعة اثناء التصحيح ولايظلوا عاطلين عن العمل.

ثانيا: «الكلمة العاشرة» الخاصة بى والمكاتيب الموجودة هنا وغيرها يجب الاّ تضيع، ولاتبقى معطلة عن القراءة. فلقد عهدت نظارتها ومراقبتها الى «جيلان».[١]

سعيد النورسى

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين الثابتين!

اولاً: ان تأجيل قضيتنا فيه خير، والخير فيما اختاره الله. فقد كان قلبي يرغب في هذا التأخير. واطلاق حرية رسائل النور يستدعيه كذلك. وستوفقون - بهذا التأخير - ان شاء الله الى بث السلوان فيما بينكم، والى تقوية الروح المعنوية، والى مذاكرة علمية واقامة جلسات طيبة، والى كتابة رسائل النور ومطالعتها والى ازالة نقطة الزحمة وتحويلها الى رحمة. والى تبديل هذه الساعات الفانية الى ساعات خالدة باقية.

ثانياً: ان تهانينا بالعيد قد جرت في المنزل المؤقت للمحكمة، لذا فانا ارسل اليكم حلاوة العيد وهي ماء زمزم، اتى به رائد مدينة قونية «الاخ زبير» وعسل قرية

(١) من مواليد اميرداغ التابعة لولاية آفيون سنة ١٩٣٣. لازم الاستاذ النورسى وهو في الحادية عشرة من عمره. انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٦٣ اثر حادثة سيارة - المترجم.

« نورس » الذي له مغزى عظيم عندي. ضعوا الماء في وعاء العسل ورجوه جيداً ثم صبوا فيه ماء زمزم، واشربوه هنيئاً مريئاً.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخواني الأعزاء الصديقين!

لقد طُرح عليّ سؤال ذو مغزى هام، من مصدر هام جداً. فقد سألوني مايلي:

على الرغم من انكم لستم جمعية؛ وذلك بشهادة ثلاث محاكم أصدرت حكمها بالبراءة بهذا الصدد؛ وبعد أن أخذت ست ولايات على عاتقها مهمة الرصد والتجسس طوال عشرين عاماً، وتبيّن لها في النهاية ان لاعلاقة لكم بتلك التهمة، وانها مختلقة من اساسها.. على الرغم من ذلك كله، فان العلاقة التي تربط (طلاب النور) بعضهم ببعض لايوجد لها نظير في اي جمعية او هيئة.. فهلا تفضلتم بايضاح هذه المسألة وحل تلك المعضلة؟ فأجبتهم قائلاً:

نعم، ان (طلاب النور) ليسوا جمعية او شبه جمعية، ولن يكونوا.. خاصة وانهم يربأون بأنفسهم عن ان ينتموا الى ذلك النوع من الجمعيات التي تتشكل لأغراض شخصية او جماعية، مستهدفة كسب المنافع السياسية او الدنيوية – ايجابية كانت تلك المنافع ام سلبية – بيد ان ابناء وبنات واحفاد ابطال هذا الوطن القدامى من فدائيي الاسلام، الذين قدّموا ملايين الارواح – بكمال المسرّة والرضى – في سبيل نيل مرتبة الشهادة، لابد انهم قد ورثوا حظاً من روح تلك التضحية والفداء حتى أظهروا تلك العلاقة الخارقة التي دفعت اخاهم هذا العاجز الضعيف الى القول امام محكمة « دنيزلي »:

« ان الحقيقة التي افتدتها ملايين الابطال برؤوسهم، فداء لها رؤوسنا ايضاً ».

قال هذه الجملة باسمهم، وأسكت المحكمة، تاركاً إياها في حيرة وتقدير وذهول.

بمعنى ان في طلاب النور فدائيين حقيقيين خالصين مخلصين لله لا يريدون إلاّ

وجهه ونيل رضاه والحياة الآخرة. فلم يجد الماسونيون والشيوعيون واهل الضلالة والافساد والزندقة والالحاد والطاشناق[1] وامثالهم من المنظمات الخطرة، وسيلة لدحر اولئك النوريين فغرروا بالحكومة ودوائر العدلية بوساطة قوانين مطاطة بغية تشتيتهم وكسر شوكتهم.. ألا حبطت اعمالهم! فلا ينالون شيئا منهم باذن الله بل سيكونون وسيلة لزيادة عدد الابطال المضحين للنور والايمان.

سعيد النورسى

* * *

اخواني الاعزاء الصديقين!

سأذكر لكم ماجرى من محاورة قبل أربعين سنة، شبيهة بالتي جرت أمس:

كانت علاقة طلاب «سعيد القديم» وطيدة جداً مع استاذهم حتى بلغت مرتبة التضحية والفداء. لذا كان «سعيد القديم» يتمكن من التصدي للفعاليات الكثيرة التي كانت تقوم بها عصابات الأرمن وفدائيو الطاشناق في حوالي مدينة (وان) و (بتليس) بل كان يوقفهم عند حدّهم الى درجة ما.

وحينما وجد لطلابه بنادق الماوزر وتحولت مدرسته الى مايشبه المعسكر ـ اذ الكتب كانت جنباً الى جنب مع البنادق ـ حضر قائد عسكري برتبة فريق وشاهد هذا المنظر.. وقال: «هذه ليست مدرسة دينية بل ثكنة عسكرية» وأمر قائلاً: «اجمعوا بنادقه» لما ساورته الشكوك من جراء حادثة (بتليس). فحصلوا منا خمس عشرة بندقية، وبعد حوالي شهرين اندلعت الحرب العالمية الاولى، فاسترجعت بنادقي منهم.. وعلى كل حال..

ولمناسبة هذه المواقف والاحوال سألوني:

ان عصابات الأرمن التي تملك فدائيين رهيبين تخشاكم، حتى انها تجنبت الاحتكاك معكم وتفرقوا بعيداً عنكم لما اعتزلتم الناس في جبل «أرك» في «وان». ترى ما القوة التي فيكم حتى يكون الأمر هكذا؟.

---

(١) منظمة فدائية استهدفت تشكيل دولة ارمنية داخل الاراضي العثمانية، من ابرز رجالها «انترانيك». المترجم.

فكنت أجيبهم:

ان فدائيي الأرمن الذين يقومون بهذه البطولات الخارقة، انما يقومون بها في سبيل الحصول على حياة دنيوية فانية، ولأجل كسب مصلحة مؤقتة لقومية صغيرة، وللحفاظ على سلامتها.. ونحن اذ نجابه هؤلاء، فان الطلاب الذين يسعون في سبيل الحصول على حياة باقية خالدة، ولاجل كسب مصالح ايجابية لامة الاسلام السامية العظيمة وهم الذين ايقنوا بان الأجل واحد لايتغير. فما لاشك فيه ان هؤلاء الطلاب لايتخلفون عن اولئك الفدائيين. بل اذا لزم الامر يفدون بحياتهم وبأجلهم المحتوم، بعمر لايعدو بضع سنوات ظاهرية، في سبيل الفوز بملايين السنوات من العمر الخالد، وفي سبيل الحفاظ على سلامة مليارات من الناس المؤمنين الأتقياء.. يفدونها دون تردد، وبكل فخر واعتزاز.

* * *

اخواني الاعزاء ذوو الشفقة والوفاء!

لقد اشتد عليّ منذ يومين أثر الرشحة (الزكام) سواء في رأسي وفي اعصابي. ففي مثل هذه الحالات اشعر بحاجة الى الانس بالاصدقاء والتسلي بلقائهم ولكن ضايقتني وحشة الانفراد والتجريد العجيب مضايقة شديدة، فورد الى القلب شكوى على هذه الصورة.

لِمَ هذا التعذيب؟ وما فائدته لخدمتنا في سبيل القرآن والايمان؟

وفجأة أُخطر للقلب صباح هذا اليوم، الآتي:

ان دخولكم هذا الامتحان القاسي، وتمييزكم الدقيق في المحك مرات عدة ليخلص الذهب عن النحاس، واختباركم من كل جانب وناحية بتجارب ظالمة لمعرفة مدى بقاء حظوظ نفوسكم الامارة ودسائسها ومن ثم تمحيصكم بثلاث ممحصات، كان ضرورياً جداً لخدمتكم التي هي خالصة لوجه الحق والحقيقة، لذا سمح القدر الالهي والعناية الربانية به، لان الاعلان عن هذه الخدمة السامية، في ميدان امتحان كهذا، تجاه معارضين عنيدين ظلمة يتشبثون بأتفه حجة.. جعل الناس يفهمون: ان هذه الخدمة القرآنية نابعة من الحق والحقيقة مباشرة، ولا تداخلها حيلة ولا خداع ولا أنانية

ولا غرور، ولا غرض شخصي ولا منافع دنيوية واخروية، اذ ما كان عوام المؤمنين يثقون بها لولا هذا الامتحان، حيث كان لسان حالهم يقول: ربما يقولون ليغرروا بنا ويخدعوننا. ويرتاب خواص المؤمنين ويقولون: ربما يعملون هكذا وصولاً الى مقامات معينة، وكسباً لثقة الناس بهم ونيلاً للاعجاب، كما يفعله بعض أهل المقامات المعنوية. وعندئذ لا يثقون بالخدمة. ولكن بعد الابتلاء، اضطر حتى اعتى عنيد مرتاب الى التسليم بالامر. لذا ان كانت مشقتكم واحدة فان ربحكم ألف ان شاء الله.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

ان اعلان الحادثة التي وقعت اثناء أسري في روسيا(١) في الجريدة، قد زيّد من توجه الناس واقبالهم رغم شدة المنع والسعي لتجنيب الناس عنّا. وقد قال رئيس الحراس: ان ثلاثة اشخاص رسميين قد قالوا أمس في فناء السجن وهم من المؤيدين لإنزال الاهانات بنا ولاسيما بي: عندما يظهر سعيد من النافذة يتجمع الناس وينظرون اليه. فعليه الاّ يقف امام النافذة، والاّ بدّلوا ردهته الى اخرى.

اخوتي! لا تهتموا! فلقد قررت أن أتحمل المضايقات مهما كانت. وستتبدل — ان شاء الله — الى افراح ومسرات ببركة دعواتكم.

ان اصل تلك الحادثة صحيح. ولكن لم افصّل في بيانها لعدم وجود شاهد لي في الحادثة. الاّ انني لم اكن اعلم ان مفرزة من الجنود قد أتوا لإعدامي، وعلمت ذلك بعدئذ. ولم اعرف ايضاً ما قاله القائد الروسي من كلام لإرضائي. فالنقيب المسلم الذي كان حاضراً في اثناء الحادثة والذي أخبر «الجريدة» بها، قد فهم اذن ما قاله القائد الروسي مكرراً :«معذرة».

(١) المقصود عدم قيام الاستاذ النورسي للقائد الروسي — المترجم

اخوتي! انني كلما انشغلت برسائل النور تضاءلت المضايقات وخفّت، بمعنى ان وظيفتنا هي الانشغال برسائل النور وعدم الاهتمام بالامور العابرة، مع التحلي بالصبر والتجمل بالشكر.

سعيد النورسي

* * *

سجية تحير العقول لبديع الزمان

(هذا المقال نشر في مجلة «اهل السنة» الصادرة باستانبول في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٨ بقلم صاحبها المحامي).

عندما جُرحت وأُسرتُ في موضع «بتليس» في الحرب العالمية الاولى، وقع بديع الزمان ايضاً في اليوم نفسه أسيراً. فأُرسل الى اكبر معسكر للاسرى في سيبريا، وأُرسلتُ الى جزيرة «نانكون» التابعة «لباكو».

ففي يوم من الايام عندما يزور نيقولا نيقولافيج المعسكر المذكور للتفتيش - يقوم له الاسرى احتراماً - وعندما يمر من امام بديع الزمان لا يحرك ساكناً ولا يهتم به، مما يلفت نظر القائد العام، فيرجع ويمر من امامه بحجة اخرى، فلا يكترث به ايضاً . وفي المرة الثالثة يقف امامه، وتجري بينهما المحاورة الآتية بوساطة مترجم:

- أما عرفني؟

- نعم لقد عرفته انه نيقولا نيقولافيج، خال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.

- فلِمَ اذن قَصَد الاهانة؟

- كلا! معذرة. انني لم استهن به. وانما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

- وما ذا تأمر العقيدة؟

- انني عالم مسلم احمل في قلبي الايمان، فالذي يحمل الايمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله. فلو انني قد قمت له احتراماً لكنت اذن قليل الاحترام لعقيدتي. ولهذا لم اقم له.

ـ اذن فهو باطلاقه صفة عدم الايمان عليّ يكون قد أهانني وأهان جيشي وأهان امتي والقيصر فليشكّل حالاً محكمة عسكرية للنظر في استجوابه.

وتتشكل محكمة عسكرية بناء على هذا الأمر، ويأتي الضباط الاتراك والالمان والنمساويون للالحاح على بديع الزمان بالاعتذار من القائد الروسي وطلب العفو منه إلاّ انه أجابهم بالآتي: «انني راغب في الرحيل الى دار الآخرة والمثول بين يدي الرسول الكريم ﷺ . فانا بحاجة الى جواز سفر فحسب للآخرة. ولا استطيع ان اعمل بما يخالف ايماني...»

وتجاه هذا الكلام يؤثر الجميع الصمت منتظرين النتيجة.

وتنهي المحكمة اعمالها باصدار قرار الاعدام بموجب مادة إهانة القيصر والجيش الروسي. وتحضر مفرزة يقودها ضابط روسي لأخذه الى ساحة الاعدام. ويقوم بديع الزمان الى الضابط الروسي قائلاً له بابتهاج: اسمحوا لي خمس عشرة دقيقة فقط لأؤدي واجبي.

فيقوم الى الوضوء واثناء ادائه الصلاة، يحضر نيقولا نيقولافيج ويخاطبه:

ـ ارجو منك المعذرة. كنت اظن انكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتي، فاتخذت الاجراءات القانونية بحقكم، ولكن الآن ادركت انكم تستلهمون هذا العمل من ايمانكم، وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم. لذا ابطلت قرار الحكم بحقكم. انكم تستحقون كل تقدير واعجاب لصلاحكم وتقواكم. ارجو المعذرة فقد ازعجتكم. واكرر رجائي مراراً: ارجو المعذرة.

ان هذه العزة الدينية،وهذه السجية الرفيعة التي هي قدوة حسنة للمسلمين جميعاً أخبر عنها احد اصحابه في معسكر الأسر، وهو برتبة نقيب، وكان شاهد عيان للحادثة.

وانا ما ان عرفت هذا حتى اغرورقت عيناي بالدموع دون اختيار مني.(١)

عبد الرحيم زابسو

* * *

(١) على الرغم من ان استاذنا لم يأمرنا بأدخال هذه الفقرة التي كتبتها الجريدة فانها أدرجت هنا لانها تتضمن عبراً غالية وتستجيش المشاعر وتثير الاهتمام. (خسرو)

اخوتي!

لانقطاع شهيتي عن الطعام، ولتضرري من الهدية، ارسلت اليكم ما وقع لي من حصة الطعام وهي: ثلاث قطع من الدهن، وسلة من العنب، وكيس من التفاح، وعلبتان من الشاي والسكر. فقد كنت عازماً على ارسال شئ ما هدية لكم، ولكن علمت انه لديكم منه ايضاً. وقد قبلته لئلا يسخط عليّ مدرسة الزهراء قائلة: لم يأكل من هديتي! بيعوا هذه المواد الى المحتاجين باثمان رخيصة والى المستحقين لأنني ساشتري باثمانها البيض واللبن والخبز، كي تكون هدية مباركة حقاً وشفاءً لي وللشارين ولمدرسة الزهراء وشُعبها وليكن «خسرو» المشرف على البيع، ويتولى «جيلان» و«حفظي» أمر البيع.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: لمناسبة ما نشر في الجريدة حول حادثة اسري، أُخطر الى قلبي الآن:

ان قائداً جباراً للروس قد تخلّى عن حدته وهدّأ غضبه ازاء ما ابديته من عزة الايمان، فاعتذر. ولكن الموظفين الرسميين الذين يرون صلابة الايمان لدروس رسائل النور القوية الخالصة والتي تفوق مائة درجة على الصلابة التي ابداها شخصي، اقول: إن لم تلن قلوبهم، واصروا على عنادهم، فلا يطهرهم اذاً الاّ نار جهنم. لأن هذا العمر القصير المحدود لا يسعه هذا الجرم العظيم. حيث ان الدهن لا يمكن اكله اذا فسد، بخلاف اللبن والحليب، نسأله تعالى ان تكون رسائل النور قد انقذ الكثيرين منهم قبل أن يفسدوا.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: لقد أخطر الى قلبي بيان معاملة محيرة وذات عبرة وقعت خلال اسري لمرتين (في روسيا وهنا):

كنا في قوصتورما، في روسيا، مع تسعين من ضباطنا الاسرى في ردهة واحدة، وكنت ألقي عليهم احياناً الدرس. وذات يوم حضر القائد الروسي وشاهد الموقف وقال: ان هذا الكردي قائد المتطوعين قد ذبح كثيراً من جنودنا، ويأتي الآن ويلقى دروساً سياسية هنا، لا يمكن هذا، امنعه قطعاً.

ولكن بعد يومين قال: يبدو ان دروسكم غير سياسية، بل دينية واخلاقية. استمر عليها فسمح بالقاء الدرس.

وفي اسري الثاني:

منعت «العدلية» ان يحضر عندي احد اخوتي الخواص الذي استمع الى دروسي طوال عشرين سنة، ويحسن إلقاء الدرس افضل مني. ومنعت كذلك ان يأتيني من يعاونني في اموري الضرورية الخاصة كيلا يأخذ درساً مني.

والحال ان رسائل النور لا تدع حاجة الى تلقي الدروس من غيرها، فضلاً عن أنه لم يبق لنا درس غيرها، وليس لنا سر يخفى... وعلى كل حال فقد حال شئ عن ذكر هذه المسألة الطويلة.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

تُعرض لي حالة روحية مهمة لمرتين اوثلاث، وهي حالة شبيهة بالتي دفعتني لأنزوي في جبل يوشع باستانبول قبل ثلاثين سنة وجعلتني أنسلّ من الحياة

الاجتماعية البراقة لدار الحكمة الاسلامية، بل لم اسمح حتى ببقاء المرحوم عبدالرحمن معي، وهو الطالب الاول لرسائل النور وبطلها الرائد، كي ينجز بعض اعمالي الضرورية.

تلك الحالة التي هي انقلاب روحي اظهر ماهية سعيد الجديد.

والآن بدأت عندي تباشير شبيهة بتلك الحالة، واعتقد انها اشارة الى ظهور سعيد الثالث الذي يكون تاركاً للدنيا كلياً.

بمعنى ان رسائل النور وطلابها الغيارى سيؤدون مهماتي بدلاً عني، فلم يعد هناك حاجة اليّ. ومن المعلوم ان كل جزء من الاجزاء الجامعة لرسائل النور، وكل طالب من طلابها الثابتين يدرّس ويرشد افضل مني واتم.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اولاً : انني اخال بناء على بعض الامارات، ان رسالة «مرشد الشباب» تعطى لها اهمية اكثر من المجموعات الاخرى لرسائل النور. فاعتقد ان ما فيها من «نكتة توحيدية في لفظ هو» قد قصمت ظهر اعدائنا الزنادقة وشتتت طاغوت الطبيعة التي يستندون اليها. فلم يعد لشئ ما ان يخفيه بعد أن كان التراب الكثيف يخفيه الى حد ما. الاّ ان بعد ظهور تلك النكتة التوحيدية لا يمكن اخفاؤه في الهواء الرقيق الشفاف. بمعنى لا يستطيع ان يخفى نفسه في اية جهة كانت، ليغرروا العدلية بالكفر العنادي والتمرد الارتدادي. وستصرف رسائل النور باذن الله انظار العدلية الى صالحها، وستُخفق هذا الهجوم وتجعلها بائرة.

ثانياً: ان ما نُشر في هذه الفترة، سواء في مجلة «اهل السنة» او الجريدة المحلية هنا وكذا المقابلة الصحفية التي اجراها «زبير» بحرارة، اصبح بمثابة اعلان جيد للاشتغال برسائل النور. اقرأوا – بدلاً مني – الابحاث التي تخصنا وتروق لي، واعلموني بها.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين محمد ومصطفى وابراهيم وجيلان!

اولاً: لقد شاهدتكم أمس وانتم الاربعة في جلسة اخوية لطيفة. فسررت بها كثيراً وشكرت الله عليها. واستمعت اليها بفرح وسرور وكأنني معكم في الجلسة. ولكن شاهدت فجأة ان هناك في جهتيكم مَن يسترق السمع اليكم، ودام الاستماع نصف ساعة من الزمان. فقلقت وقلت في قلبي: ربما بينهم جاسوس يغيّر معاني الكلام فيجعل من الحبة قبة حيث كانوا يلقون السمع باهتمام. ولا يتلفت اليهم الاخوة المتكلمون لعدم اهتماهم بالحذر ولمتعة الجلسة والمؤانسة التي فيها. فكتبت اليكم جواباً بهذا الشأن.

والحمدلله فقد علمت ان الكلام ما كان فيها ضرر، ومع هذا فالاخذ بالحذر ضروري في هذه الفترة الحرجة.

ثانياً: لقد علمت من رسالة «الملاحق» الحاملة لحسن ظن مفرط بحقي، بما يفوق حدّى مائة درجة، انه سيكون نظير المرحوم «حسن فيضي» الذي هو رائد طلاب النور في «دنيزلي» وسيظهر في «آفيون» باذن الله من امثال حسن فيضي الكثيرون. فلا تكون «آفيون» قاصرة عن «دنيزلي» وعندها تتبدل مشقاتنا مسرات ورحمات.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي!

ما كنت اهتم بالجرائد، الاّ ان نشر مجلة «اهل السنة» و «سبيل الرشاد» مقالات لصالحنا، حيّرت بلاشك الاعداء الزنادقة والحاسدين. وقد اثار اهتمامي احتمال محاولة هؤلاء لإسكات اولئك الاصدقاء!

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

سلوان ذو حقيقة يزيل مصائبي المضجرة

الاول: تحوّل المشقات الى رحمات ومسرات.

الثاني: الانشراح النابع من الرضى والتسليم لعدالة القدر الإلهي.

الثالث: السرور الناشئ من رعاية العناية الإلهية الخاصة بطلاب النور.

الرابع: اللذة الناشئة من زوال المصيبة التي هي عابرة.

الخامس: الأثوبة العظيمة.

السادس: عدم التدخل في مشيئة الله.

السابع: حصول أخف الجراحات واقل المشقات عند أشد الهجوم شراسة.

الثامن: تضاؤل المصيبة بدرجات كثيرة بالنسبة للمبتلين الآخرين.

التاسع: الفرح المنبعث من تأثير الاعلانات الرفيعة عن الانتهاء من الامتحان العسير في خدمة النور والايمان.

فهذه المسرات المعنوية التسع، علاج لذيذ ومرهم لطيف الى حدّ لا يمكن تعريفه لتهدئة آلامنا الشديدة.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اولاً: انه لعناية إلهية انني لم اتمكن من سماع ما قاله المدعي العام من افتراءات. وإلاّ كنت اجيبه بكلام قاس.

وما قلته في المحكمة: سأحيلك الى المحكمة. اعني به: احيلك الى المحكمة الكبرى لظلمك ايانا، والى محكمة دنيوية لتصرفك غير القانوني.

وقصدي من: ليس لي محام. ان لنا جميعاً محامياً لمسألتنا الكلية التي تخصنا معاً. اما الهجوم عليّ شخصياً فانا المتكفل بالاجابة عنه..

ابلغوا هذا احمد حكمت.

ثانياً: ان دفاعاتنا السابقة كافية لدحض افتراءات المدعي العام.

ثالثاً: لقد كتب اليّ كل من مصطفى عثمان وجيلان، ان ما قيل في المحكمة لا يؤدي الى تأثير سئ في وسط دائرة النور، ولا يعكر صفو القلوب قطعاً. ووجدت البطل الرائد طاهري قد تلقى الأمر هكذا ايضاً.

رابعاً: اظن ان الكفر والضلالة لانهما يهجمان علينا بشكل منظم مستندَين الى منظمات ومؤسسات، فان القدر الالهي يعذبنا بظلمهم الشنيع المستند الى المنظمات، بمعنى ان اتحاد اهل الايمان فيما بينهم في الوقت الحاضر أمر ضروري. ونحن لجهلنا بتلك الحقيقة نتلقى صفعة تأديب عادلة من القدر الالهي.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: ان افضل مكان لنا هو السجن في زمن حكم وزارة مستبدة تمنع الحج وتهدر ماء زمزم وتحظره، وتسمح بانزال اشد الظلم بنا، ولا تكترث بمصادرة «ذو الفقار» و «سراج النور» وترفع درجة الموظفين الذين يتولون تعذيبنا قصداً، وبلا سند قانوني، ولا تلقي السمع الى اصواتنا المرتفعة ولا الى بكائنا، بكاء المظلومين المنطلق من مساكننا بلسان الحال. ان افضل مكان لنا في فترة حكم هذه الوزارة هو السجن. إلاّ انه اذا نُقلنا الى سجن آخر فستحل السلامة كلياً.

ثانياً: كما انهم حملوا ابعد الناس عنا بالاكراه على قراءة اخص الرسائل سرية. كذلك يدفعوننا دفعاً وباصرار لنشكل جمعية. لأن الاخوة الاسلامية الموجودة في اتحاد جماعة اهل الايمان قد نمت لدى طلاب النور نمواً خالصاً طاهراً مكللاً بالتضحية الجادة والفداء التام الذي ورثوها من اجدادنا الأوائل الملايين الابطال الذين ضحوا

بكمال الشوق ارواحهم في سبيل حقيقة، فارتبط النوريون بتلك الحقيقة ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يدع حاجة لحد الآن الى تشكيل منظمات، سياسية كانت ام رسمية علنية كانت أم سرية.

اذاً فهناك حاجة في الوقت الحاضر بحيث يسلط القدر الالهي اولئك علينا، فهم يقترفون الظلم باسناد جمعية موهومة. والقدر الالهي يقول لنا: لِمَ لم تكوّنوا باخلاص تام وبتساند تام حزب الله الحقيقيين؟ فصفعنا صفعة تأديب بايديهم. وقد عدل.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: لا أجدكم بحاجة الى السلوان، يكفي انكم تشدون الروح المعنوية بعضكم لبعض. وتكفيني كذلك اللوحة التي تقابلني!

وقد علم ان هذا الهجوم الاخير ما كان الاّ ظلماً وعملاً غير قانوني وترهيباً لم ينجم الاّ من اوهام وضعف.

فقد كانت اوضاع الناس وموقف افراد الأمن بمثابة اعتراض على ذلك الهجوم العابث.

ثانياً: هل تكفي دفاعاتي لما تُسند الينا من اتهامات؟ وهل المحامون و«زبير» يسعون في الأمر؟ ألديهم شئ من القلق؟ عليهم الاّ يقلقوا قطعا!

ان المواد التي يتهموننا بها، توجب اتهام جميع من يحمل الاخوة الايمانية، حتى جماعات المصلين لجميع الائمة، وطلاب جميع المعلمين والاساتذة. بمعنى انهم وجدوا انفسهم امام معارضين اقوياء فهجموا علينا هذا الهجوم بوضع الامكانات بدل الوقوعات.

ثالثاً: ان قناعتي الشخصية هي اننا يجب أن نبقى في السجن حتى الربيع. اذ من المعلوم ان الامور تتوقف في الشتاء. وستمدنا العناية الالهية ان شاء الله.

سعيد النورسي

* * *

اخوتي الاعزاء الصديقين!

اولاً: الأخذ بالحذر والحيطة مع الاستشارة والثبات امور ضرورية.

ثانياً: لقد سلمت اعمالي هنا الى زبير وجيلان، حيث أُخطر لي اخطاراً معنوياً ان زبير بديل ابن اخي المرحوم عبد الرحمن، وجيلان بديل ابن اخي الآخر المرحوم فؤاد.

* * *

ان الاعتداء والهجوم في هذه المرة قد شن في دائرة واسعة جداً.

فقد هاجم علينا كل من رئيس الحكومة والوزراء، هاجموا وفق خطة مرسومة بنيت على اوهام رهيبة. فحسب ما تلقيته من خبر وبامارات كثيرة، ان الاخباريات الكاذبة للمنافقين المتخفين، وبدسائهم الماكرة لفّقوا ان لنا علاقة قوية وارتباطاً وثيقاً بالمنظمة الداعية الى إحياء الخلافة الاسلامية، وبالجمعية السرية للطريقة النقشبندية. بل اظهرونا اننا في مقدمتهم ورائديهم. حتى ساقوا الحكومة الى اضطراب وقلق كبير، مبينين المجموعات الكبيرة لرسائل النور المجلدة في استانبول والمرسلة الى العالم الاسلامي وكسبها الرضى والقبول هناك، دليلاً على نشاط النوريين. فقذفوا في روع الحكومة الخوف والهلع واثاروا عرق الغيرة والحسد لدى بعض العلماء الرسميين وهيجوا الاوهام والشكوك لدى الموظفين حتى جعلوهم ضدنا. وقد حسبوا ان هناك وثائق كثيرة وامارات عديدة تديننا، واعتقدوا كأن سعيداً الجديد لا يتحمل الاوضاع كما كان سعيد القديم، فيخل بالنظام. ولكن الحمد لله بما لا يتناهى من الحمد والشكر، فلقد خفف وطء تلك المصيبة من الألف الى الواحد، فهم لم يستطيعوا ان يعثروا على اية علاقة كانت مع المنظمات والجميعات فهي غير موجودة اصلاً، فكيف يجدونها؟ ولهذا اضطر المدعي العام الى اختلاق الاكاذيب والافتراءات واسناد امور جزئية تافهة غير ذات مسؤولية الينا.

فمـا دامت الحقـيقة هي هـذه، فقد نجـونا اذاً نحن ورسائل النور من تسـع وتسعين بالمائة من المصـيبة، لذا يـنبغي لنا انتظار رعـاية العناية الالهيـة وترقبـها بالشكر والصـبر والتضرع لتـتجلى علينا تجلياً كامـلاً . فعلينا اذن الشكر بل الف شكر وليس "الشكوى وان نمدّ يد العون الى القـادمين والمغادرين لهـذه المدرسة اليوسـفية وتسليـنهم بدروس النور.

سعيد النورسي

* * *

باسمه سبحانه

اخي العزيز الصدّيق!

لقد علمت باخطار شديد، انك واحمد فيـضي قد سلكتما سلوكاً خارج مسلك النور الذي هو عدم المجابهة والمبارزة وعدم الانهماك مع اهل الدنيا (السلطة الحاكمة) وعدم الدخول في امور السـياسة، والدفاع فقط عند الاضطرار القاطع، فمـا ادليتما به وقرأتماه من فقرات في المحكمـة من امور كثيرة، ومضرة كـانت تنم عن المجابهة والمبارزة وباسلوب سياسي، وقـد ألحق اضراراً كثيرة لرسائل النور حـتى ولّدت انزال العقاب بنا جميعاً والى تشديد الخناق عليّ. فـأنا لا اسخط عليك ولا على احمد فيضي، ولكن كـان يجب اراءته لي اولاً، لقـد اعطـي لكمـا ذلك الوضع (الدفـاع) كـقـضـاء إلهي مادي، وعليكم العمل مثلي لأجل ترميمه. والألزم لفيضي ترك الدفـاع السياسي بكل مـا يملك من قـوة، والتـوجـه الكـلي الى رسـائل النور كطاهري وليـنشـغل مع الطلاب الجدد.

* * *

دفاعات طلاب النور

(هذه دفاعات رفعها طلاب رسائل النور في محكمة افيون سنة ١٩٤٨. في جو مشحون باحكام الاعدام بغية بث الرعب فى النفوس. وقد حوكموا اولاً الاّ انها انتهت باعادة الرسائل.)

ان العلاقات الخالصة الصافية التي تربط طلاب النور بالرسائل وبمترجمها، والتي لايرجون من ورائها الاّ الثواب في الآخرة.. أقول، ان الذين يحاولون ان يوصموا هذه العلاقة الخالصة بانها علاقات دنيوية اوسياسية، بغية ادانة الطلاب امام المحاكم، بعيدون كل البعد عن الحقيقة والعدالة. فضلاً عن اتفاق ثلاث محاكم على تبرئة ساحتهم من تلك التهمة. ونقول:

انه لايمكن الصاق تهمة الانتماء الى التنظيمات والجمعيات السياسية الى طلاب النور الاّ بأمرين:

الاول: انكار الروابط الاساس التي تبنى عليها الحياة الاجتماعية الانسانية، ولاسيما الأمة الاسلامية وهي المحبة الصادقة بين الأقارب، والعلاقة الوثيقة بين القبائل والطوائف، والاخوة المعاونة معنوياً ضمن الملية الاسلامية، والآصرة القوية المتسمة بالتضحية والفداء مع ابناء جنسه وقومه، والرابطة التي لاتنفصم، والالتزام التام بحقائق القرآن وناشريها، تلك التي تنقذ حياته الأبدية.. وامثالها من الروابط التي تشد ابناء المجتمع وتحقق الحياة الاجتماعية السليمة.

الثاني: بقبول الخطر الاحمر القادم من الشمال الذي ينشر بذور الفوضى والارهاب، والذي يفني وشائج النسل والقوم فيقطع روابط الابوة والبنوة مزيلاً علاقات القرابة والقوم، ويفتح الطريق الى افساد الحضارة البشرية والمجتمع الانساني افساداً كلياً.

وبهذين الأمرين وحدهما يمكن الصاق تهمة الانتماء الى الجمعيات والتنظيمات الى طلاب النور، ولاجل هذا يظهر طلاب النور، دون تردد، علاقاتهم التي لاتتزعزع بحقائق القرآن، وباخوتهم الاخروية، فيبينون حقيقة حالهم امام محكمتكم العادلة، من دون ان يتنازلوا الى الدفاع عن انفسهم بالحيل والاكاذيب والتملق.

الموقوف

سعيد النورسى

* * *

دفاع خسرو

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

لقد وجّه المدعي العام تهمتين لي، احداهما اتهام عام وكلي، والاخرى اتهام خاص. الاتهام العام هو سعيي في سبيل رسائل النور واشتراكي في الجرم الموهوم المسند الى استاذي.

اما الاتهام الخاص فهو حول امور شخصية وخاصة بحياتي التي تتسم بطابع الانزواء ولاتشكل في الحقيقة اي ذنب او جرم، لانها مسائل جزئية ولا أهمية لها.

وانا اقول رداً على اتهام مقام الادعاء حول اشتراكي في الجرم الموهوم لاستاذي وحول بذلي الخدمات في سبيل رسائل النور:

انني اشترك في مسلك استاذي بل اشترك معه واساعده بكل روحي وقلبي في الجرم الموهوم المسند اليه في موضوع رسائل النور التي تؤدي خدمات مقدسة للعالم الاسلامي، ولاسيما لهذا الوطن ولهذه الامة وسأظل احمد الله تعالى واشكره حتى آخر عمري لتوفيقه اياي لهذه الخدمة الايمانية.

هيئة المحكمة الموقرة!

ان ابلغ دليل للنجاح الذي رأيناه جراء خدمتنا لرسائل النور هو انه بينما كان خطي في كتابة حروف القرآن رديئاً جداً ، الاّ انه قد تحسن تحسناً يفوق قدرتي وامكانياتي، حيث استطعت كتابة ثلاث نسخ رائعة لامثيل لها من القرآن الكريم، احداها بين ايديكم.

الدليل الثاني:

هو انني وُفقت الى كتابة ما يقارب ستمائة رسالة من رسائل النور التي حققت منافع كبيرة جداً لهذا الوطن ولهذه الامة وللدين وللاخلاق الحسنة منذ عشرين عاماً. حتى ان اصدقائي يعلمون بانني وفقت الى كتابة اربع عشرة رسالة في مدة قصيرة بلغت شهراً واحداً. وانا ارى انه من الفضول القيام بالدفاع عن النقاط التي توهمها

مقام الادعاء جرماً لي في خدمتي لاستاذي وهو يؤدي مهمته المقدسة، لانني اصادق واوافق بكل ما املك من قوة على كل ماجاء في الدفاع الذي كتبه استاذي، وفي تتمة دفاعه واعدّه دفاعاً لي واقدمه الى محكمتكم السامية على هذا الاساس.

هيئة المحكمة الموقرة!

ان استاذي - الموجود حالياً في محكمتكم - بمؤلفاته المباركة حول الايمان وحقائق القرآن وبرسائله النورانية لم يقصد اية بغية دنيوية ولا اي قصد سياسي، فانا واصدقائي إذ نؤيد استاذنا ونبارك له خدماته المقدسة التي قدمها لهذا الوطن ولهذه الامة فاننا نقول بانه حتى الوطنيين في حكومة «الاتحاد والترقي» أيدوا هذا، فنراهم يخصصون تسعة عشر آلاف ليرة ذهبية لأجل تمكينه من بناء مدرسته المسماة «مدرسة الزهراء» في مدينة (وان) وقد اعجب حتى محبو الوطن بوطنية استاذنا وبحميته الملية وبخدماته العلمية وايدوها، لذا نرى ان مائة وستين نائباً من مجموع مائتي نائب يوقعون بالموافقة على تخصيص مائة وخمسين الف ليرة لدار الفنون (الجامعة).

انني اود ان اعرض على محكمتكم الموقرة وان اعلن بانني فخور جداً بالخدمة التي اديتها لرسائل النور، بكوني مستنسخاً لها طوال عشرين عاماً، هذه الخدمة التي عدها مقام الادعاء جرماً وذنباً لي، ذلك لان استاذي - بارك الله فيه - عمل طوال حياته لاداء خدمة مقدسة اراد فيها وضع اللبنات لسعادة هذا الوطن وهذه الامة، وهذا هو السبب في ان اكثر حساده واعدائه ضراوة والذين كانوا يسعون لإدانته في المحاكم لم يستطيعوا التعرض لكلماته الشديدة والمؤثرة ولم يكن امامهم سوى التسليم بما يقول.

الموقوف

خسرو آلتن باشاق

* * *

دفاع طاهري

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

لقد تم تبليغي من قبل مقام الادعاء العام لمحكمة «آفيون» بان التهمة الموجهة لي ولاستاذي بديع الزمان سعيد النورسي ولاصدقائي الآخرين هي استغلال الشعور الديني لتحريض الشعب للاخلال بامن الدولة، وان هذا هو سبب تقديمي للمحكمة.

لقد اجبت عن جميع الاسئلة التي وجهت اليّ (سواء في محكمة صلح «إسپارطة» ام في دائرة التحقيق في «آفيون») اجابات صحيحة. ولقد قامت محكمة «دنيزلي» باعادة جميع كتبنا المصادرة وذلك بعد ان اصدرت قرارها بتبرئتنا، ولم تعاقبنا. لاننا – مع اخوتنا الآخرين من طلبة استاذي بديع الزمان – كنا نقرأ ونستنسخ رسائل النور ونتراسل بيننا، مع انني قمت قبل ست سنوات – ودون إذن من استاذي – بطبع خمسمائة نسخة من رسالة «الشعاع السابع» لبديع الزمان في مطبعة في استانبول بالاحرف القديمة. فقد قامت محكمة «دنيزلي» بقرارها المؤرخ في ١٩٤٥/٧/٢٠ باعادة جميع هذه الكتب بصناديقها الينا، وعند ذلك تم توزيع هذه الرسائل – مقابل ثمن طبعها – على طلاب النور الذين كانوا في شوق اليها.

وهكذا، واستناداً الى الحكم الذي اكتسب صورة قطعية بقرار التمييز الذي صدر عن هذه المحكمة الموقرة، فقد قمت قبل سنتين بجلب الاوراق وجهاز الإستنساخ «رونيو» من استانبول الى «اسپارطة».

وقد قام اخي «خسرو آلتن باشاق» بكتابة مجموعتين من المجموعات الثلاثة الموجودة بين ايديكم. اما المجموعة الثالثة فقد قمت انا بكتابتها. قمنا اولاً بطبع مجموعة «ذو الفقار» و«المعجزات القرآنية» و «المعجزات الأحمدية» وبعنا بعضها واشترينا من هذا المبلغ الاوراق اللازمة لمجموعة «عصا موسى» وتم طبعها، ثم اشترينا الاوراق لمجموعة «سراج النور» وطبعناها. وقد استغرق هذا مدة سنة واحدة. وعندما قمت بنقل ثلاثين مجموعة الى «اگريدر» قبضوا علي وسلموني الى الجهات العدلية في «اگريدر» ولم تمض مدة طويلة حتى دوهم بيت «خسرو آلتن باشاق» من قبل الجهات العدلية لمدينة «اسپارطة» حيث صودر جهاز «الرونيو» ومجموعات رسائل

النور وقدّمنا الى المحكمة قبل سنة، وفي النتيجة أُصدر علينا - خسرو وانا وصديق آخر معنا - الحكم بالحبس لمدة شهر واحد لقيامنا دون اذن رسمي بطبع كتب دينية غير ممنوعة. فقمنا بتمييز هذا القرار، وقبل ان تظهر نتيجة التمييز جئ بي الى سجن «آفيون».

وهكذا يراد في محكمتكم الموقرة ايقاع العقوبة بي لانني قدمت هذه الخدمة لديني ولاخواني في الدين، وذلك للمسائل الواردة في رسالة «الشعاع الخامس» - التي كانت المحكمة قد اعادتها لنا - والتي تحتوي على شرح لبعض الاحاديث الشريفة، كما ان المدعي العام لمحكمة «افيون» اتهمني واتهم مؤلف الرسالة و «خسرو آلتن باشاق» مع ست واربعين طالباً من طلاب النور بالاخلال بأمن البلاد وبكتابة هذه الرسائل وقراءتها مطالباً بايقاع العقوبة بنا.

وكمواطن حقيقي في هذا الوطن فانني ساتكلم في حضوركم دون ان احيد عن الحقيقة وأقول:

انني طالب منذ عدة سنوات لاستاذي سعيد النورسي الذي اكنّ له احتراماً كبيراً، فقد ربانا برسائله وهذب اخلاقنا الدينية ورقّاها، ومع اننا ننظر اليه بصفة «مجدد» الا انه يرفض هذا ويردنا. وانا اشهد عن يقين بانه لا توجد عنده ولا في رسائله ولا عند طلابه اية محاولة للقيام باخلال أمن البلاد، ولاسيما ان احد الاتهامات الموجهة الينا كان بخصوص اثمان الكتب، وعندما اطلعت محكمة «اسپارطة» على الحقيقة في هذا الخصوص عن قرب لم تصدر بحقنا اية عقوبة، ذلك لاننا لانحتاج في معيشتنا الى اثمان هذه الكتب ابداً ولانعتاش عليها. ونحب ان نقول لمحكمتكم الموقرة بانها مقابل اثمان جهاز الاستنساخ «الرونيو» واثمان الورق والحبر.

ان جهودنا هذه و خدمتنا النابعة من نيات صافية وفي سبيل الله تعالى لايمكن ان تشكل ذنباً او جرماً، لذا نطلب من محكمتكم الموقرة ومن ضمائركم الحية اعادة رسائل النور الينا.

الموقوف

طاهري

* * *

دفاع زبير:

هيئة محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى!

انني متهم بتهمة تشكيل جمعية سرية وبالاخلال بأمن الدولة، ولانكم سوف تقتنعون بما ساعرضه عليكم ادناه اقتناعاً كاملاً بانني لم اقترف مثل هذا الجرم فانني ارد هذه التهمة منذ الآن.

اجل! انني طالب من طلاب النور... اقول هذا واعلنه بكل سرور وقناعة لان انكار هذا الأمر يتناقض تماماً مع دروس الفضيلة التي لقنتني اياها رسائل النور، لذا فلست مستعداً لاقتراف هذا الجرم، ان الشخص الذي يقرأ رسائل النور على الدوام لايمكن ان يخفي قراءته هذه، بل على العكس من ذلك فانه يفتخر بهذه ويعلنها دون تردد او خشية، ذلك لان رسائل النور لاتحتوي على اية جملة بل على اية كلمة توجب الخشية او التردد.

كنت قد حاولت بيان قيمة رسائل النور في كراسة تتألف من اربعين الى خمسين صفحة.. لا اقول بانني مدحتها.. ذلك لانني لست قادراً على ايفاء جزء صغير من رسائل النور حقها فكيف بكل هذه الرسائل؟

ذلك لان هذه الرسائل تفسير حقيقي للقرآن الكريم الذي هو عقل الكون وشمسه التي نورت واضاءت طريق البشرية وهدتها وارشدتها منذ مايزيد على الف وثلاثمائة سنة. وكما ذكرت، فان وجدتم موضعاً اياً كان حول الجمعية السرية في المؤلفات التي حاولت بيان قيمتها، يمكنكم ايقاع العقوبة بى لكوني آنذاك مروجاً لمؤلفات ضارة. ولكن رسائل النور هذه التي أُلفت بشكل رائع وغير مسبوق والتي حازت على رضى وتأييد الشخصيات العلمية والتي تملك قدرة اصلاح مجتمع فاسد وتملك قابلية ارشاد انسان القرن العشرين وانقاذه من الضلالة ومن المادية ومن الالحاد ومن عبادة الطبيعة ومن حياة السفاهة ومن ظلمة الافكار الدامسة التي تفضي اليها هذه المادية، وتفتح – الرسائل بفيض من القرآن الحكيم ونور منه – ابواب السعادة الأبدية والسلامة الابدية للبشرية. فاذا لم يكن في كليات رسائل النور اي موضوع يؤيد

التهم المسندة اليها، فان صدور اي عقاب ضدي يعد تناقضاً مع اسس العدالة، وهذا – حسب قناعتنا – هو ماستراه محكمتكم وستقبله.

لقد قيل في اثناء استجوابي: يقال أنك من طلبة رسائل النور؟ اقول: انني لا اجد في نفسي لياقة لكي اكون طالباً لاستاذ عبقري مثل بديع الزمان سعيد النورسي. فان قبل هو هذا فأنني سأقول بكل فخر: أجل!... انني من طلاب رسائل النور.

كثيراً ما تعرض مؤلف رسائل النور – استاذي الذي لامثيل له بديع الزمان سعيد النورسي – الى افتراءات من قبل اعدائه الخفيين وسيق الى المحاكم، ولكنه بُرئ من قبل جميع هذه المحاكم، وقد قامت هيئة مؤلفة من الاساتذة ومن علماء الاسلام بتدقيق كل سطر بعناية في المجموعة الكاملة لرسائل النور، واعترفوا في تقاريرهم بان هذه الرسائل مؤلفة عن علم كبير وانها تفسير حقيقي للقرآن الحكيم. فاذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا يساق الى المحكمة مرة اخرى؟... ساقول لكم قناعتي التامة حول هذا الأمر:

ان الذين يقرأون رسائل النور، ولاسيما من الشباب الواعي يكتسبون ايماناً قوياً. فيصبح متديناً تديناً لايهتز ولايتوانى عن اية تضحية، ويكون محباً لوطنه. وعندما يوجد ايمان صلد في اي موضع كان فلا يكون هناك مجال للسفاهة وللسقوط الاخلاقي الذي يكون نتيجة طبيعية لبعض الايدولوجيات الضارة. وكلما زاد عدد المتسلحين بهذا الايمان القوي ضاق المجال امام توسع الماسونية والشيوعية. ان رسائل النور تقوم – استناداً الى آيات القرآن الكريم – بالبرهنة على مدى زيف الفلسفة المادية التي يستند اليها الشيوعيون وذلك ببراهين وحجج قوية وتبرهن مدى بعدها عن الحق وعن الحقيقة ببراهين عقلية وفكرية ومنطقية فتنير بذلك اذهان الذين سقطوا في ظلمة هذه الفكرة الفاسدة وتنقذهم. وتقوم باثبات وجود الله للماديين الذين لايؤمنون الا بما يشاهدونه باعينهم بادلة قوية يستحيل انكارها او الاعتراض عليها.

ان هذه الرسائل تستقرئ نفسها على طلاب الثانوية وعلى طلاب الجامعة بما تتمتع به من اسلوب أخاذ وأصيل ومن ادب راقٍ.

ولهذا فقد ادرك الشيوعيون والماسونيون ان رسائل النور تشكل عائقاً قوياً امام افكارهم السامة، لذا فانهم يتوسلون الى مختلف الافتراءات والدسائس لكي يزيلوا رسائل النور ويمنعوا قراءتها لانها مستند قوي ومنبع ثر للايمان لكونها تفسيراً حقيقياً للقرآن الكريم. ومع انه لم تظهر هناك اية امارة على ما اسندوه الى رسائل النور كذباً، فانهم مستمرون على هجومهم.

ويظهر من هذا انهم يرومون اخافتنا وإبعادنا عن رسائل النور ومن جهة اخرى كي يقدموا لنا كتبهم المسمومة. وهكذا يستطيعون محو الايمان وازالته من امتنا ومن شبابنا لكي يتم الانهيار الاخلاقي. فيضمنوا بذلك سقوط الحكومة سقوطاً ذاتياً ويسلموا وطننا وامتنا الى دولة اجنبية، فهذا هو أملهم. وانا اود ان اعلن في حضور محكمتكم بكل صراحة ودون اي تردد: ليعلم هؤلاء جيداً بل ليرتجفوا خوفاً، ذلك لاننا لن نخشى ألاعيبهم ولانخشاهم، لاننا رأينا الحق والحقيقة وتعلمناها من رسائل النور وآمنا بها.

ان الشباب التركي يقظ غير نائم، وهذه الامة التركية المسلمة لايمكن ان تكون خاضعة تحت حكم دولة اخرى. ان الشباب المسلم الفدائي – استناداً الى قوة ايمانه اليقيني – لايمكن ان يسمح ببيع وطنه. ان الامة التركية المتدينة البطلة والشباب التركي المؤمن لايمكن ان يجبنا او يخافا. لذا فاننا نقرأ رسائل النور وسنداوم على قراءتها لانها تسمو بنا الى اعلى مستوى من الخلق الانساني والى اعلى مراتبها، ولانها تعلمنا – نحن الشباب – الدين الذي هو سبب رقينا في جميع المجالات، ولانها تبث فينا محبة الوطن ومحبة الامة وتربينا على القيم الدينية التي تجعلنا نضحي بكل مانملك في سبيلهما. وكما ذكرت سابقاً فانني استفدت فائدة كبيرة من رسائل النور مع انني قرأت جزءً يسيراً منها، ولو كنت املك ثروة لصرفتها في نشر المجموعة الكاملة لهذه الرسائل التي تحقق فوائد كثيرة جداً للوطن وللامة وللانسانية جمعاء، ذلك لانني على اتم استعداد للتضحية بكل ما املك في سبيل ديني وفي سبيل السعادة الابدية لوطني ولامتي وفي سبيل سلامتهما.

كنت احس فراغاً كبيراً في نفسي ، في روحي، وبينما كنت ابحث عن كتاب لأقرأه وجدت رسائل النور التي ما ان قرأتها حتى علمت بانني لن استطيع بعد

مفارقتها، اذ احسست بانها هي التي تسد هذه الحاجة القلبية لدي، لانني وجدت فيها البراهين والادلة العقلية والايمانية المنقذة من الشبه العلمية والايمانية وتخلصت بذلك من القلق ومن الضيق الذي كانت الشبهات تحدثه وتولده فيّ. وادركت من هذه الحقائق ان رسائل النور كتبت لانسان هذا العصر.

لكي يملك الانسان المزايا السامية كالادب الجم والتربية الراقية فان عليه ان يملك ايماناً قوياً، ولما كانت رسائل النور تعرض الحقائق الايمانية بادلة غاية في القوة وبامثلة واضحة. فقد أحسست ان ايماني يقوى كلما قرأتها، وهذا انقذني من السقوط في هوة الضلالة، وانقذني من العدول عن ديني الجامع لكل جوانب الحق والحقيقة – وهما اسس ارقى مدنية – وانقذني من ان اكون لقمة سائغة يلتهمها الوحش الأحمر. لذا فهي تنقذ قراءها من كثير من المصائب المادية والمعنوية وتعطي لهم علماً يفوق العلم الذي يملكه خريج الجامعة، وتبث فيهم حب الاسلام وحب الوطن والامة وتعلمهم اطاعة الله والعمل الجاد والنشاط والرحمة. فأيما قارئ لها لايتخلى عنها ولايغادرها مهما كان الثمن ولايمكن اخراج مثل هذه المشاعر الخالصة نحو رسائل النور من احترام وتوقير من قلب اي شخص مهما كان.

توصف رسائل النور من قبل مقام الادعاء العام بانها مؤلفات ضارة؛ وانا احتج بشدة على هذه الفرية التي لايقول بها من كان له نصيب من ضمير ووجدان.

ويذكر الادعاء بانني كنت اشجع على قراءة رسائل النور... اجل!... هذا صحيح. ولكن قلوب جميع المثقفين دميت من الافتراء الآخر، بل بكيت وصُرّتْ اسنانهم.

ان القرن العشرين هو القرن الذي تسود فيه الافكار المدللة عليها بالبراهين، اذ لا يلتفت احد الى اي شئ ولايمكن الايمان بأي شئ دون دليل ودون برهان، لذا نطلب من مقام الادعاء اثبات ان رسائل النور كتب ضارة.

من بين المقاصد والغايات مايشيعه الاعداء الخفيون من افتراءات هو كسر التساند والرابطة فيما بيننا، النابعة من مشاعر الحب والاحترام والتراحم للاخوة التي تربط بين قراء رسائل النور الذين ارتبطوا بروابط الاسلام من اجل خدمة القرآن فقط وليس من

اجل اي هدف آخر.. اذا كانت هذه هي غايتهم.. فهم واهمون وعبثاً يحاولون. وانا – باعتباري اكثر قراء رسائل النور عامية واقلهم فهماً وفي الصفوف الخلفية منهم – اقول جواباً لهؤلاء:

لو كان احدنا في الشرق والآخر في الغرب.. لو كان احدنا في الشمال والآخر في الجنوب.. لو كان احدنا في الآخرة والآخر في الدنيا فاننا جميعاً معاً، ولو اجتمعت قوى الكون لما استطاعت ان تبعدنا عن استاذنا سعيد النورسي ولا عن رسائل النور ولا ان تفرق فيما بيننا.

ذلك لاننا نخدم القرآن، وسنظل نخدمه، ولاننا نؤمن بحقيقة الآخرة. فانه مامن قوة تستطيع قلع هذه المحبة وهذا التساند المعنوي فيما بيننا، ذلك لان المسلمين جميعاً سيجتمعون في دار السعادة الابدية.

دعوني اذكر لكم – ان سمحتم – الحقيقة المهمة التالية باسم أمن وسلامة وطننا وامتنا:

ان من ضمن الخطط السرية للشيوعيين هو تحريض الشعب ضد الحكومة، بجانب التقارير المزيفة الكاذبة التي تقدم للمسؤولين في الحكومة لايداع بديع الزمان سعيد النورسي في السجن واظهار ان مؤلفاته ضارة، فان هناك محاولات لترويج دعايات كاذبة لايصدق بها اي فرد من افراد الشعب.

ولان هذه الامة مقتنعة تماماً ومنذ سنوات عديدة ان بديع الزمان سعيد النورسي عبقري نادر من عباقرة الاسلام في هذا العصر، وان له شخصية فذة من جميع الاوجه، فان من المستحيل على اية دعاية ان تقضي على هذه القناعة الصحيحة او ان تفسدها.

انني احمد الله سبحانه وتعالى واثني عليه بما يسر لي بلطفه الاستفادة من مؤلفات استاذ كبير، وانا مدين من كل قلبي ومن كل كياني لهذا الاستاذ. حيث انني اخذت دروساً قيمة حول الايمان وحول الاسلام. وانا اتقبل بكل رحابة صدر البقاء في السجن سنوات عديدة من أجل هذا الاستاذ الفاضل الذي قضى سنوات عديدة وشاقة وهو يكتب ويؤلف لكي ينقذ شبابنا من ان يكون طعمة للشيوعية وان يكون السجن الانفرادي الابدي مصيره.

منذ عشرين عاماً تقوم رسائل النور – التي هي تفسير للقرآن الكريم – باعطاء دروس الايمان والاسلام والفضيلة الى ملايين الافراد، وتقيهم من الالحاد، فلو حكم علي بالاعدام في سبيل هذه الرسائل لاسرعت الى المشنقة وانا اهتف: الله... الله... يارسول الله.

ان رسائل النور التي تصون شبابنا من الوقوع في احضان الشيوعية والخروج من دينه والسقوط في مهاوي البلايا والمصائب التي تؤدي به الى خيانة الوطن التي لاعقاب لها الا الاعدام رمياً بالرصاص... انني مستعد ان يحكم علي بالاعدام رمياً بالرصاص من أجل رسائل النور هذه وان ابرز صدري لتلك الرصاصات دون خوف او تردد، ولو قطعوني بالخناجر ارباً ارباً في سبيل استاذي بديع الزمان لدعوت الله ان يجعل دمائي المتناثرة حوالي تكتب: «رسائل النور... رسائل النور».

هيئة المحكمة الموقرة!

ان قراءة رسائل النور وتحصيل العلم فيها شئ مبتكر وأصيل في الحقيقة ولايوجد ما يشابهه؛ ذلك لان اي تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما. اي ان الدوام لهذه الدروس لا تكون عن رغبة بل في الغالب للحصول على منافع مادية او على شهرة. اما رسائل النور فتشبه جامعة حرة غير منظمة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون اي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الايمان والقرآن فقط لاغير.

ومع هذا فان رسائل النور التي هي مؤلف علمي وايماني جاد، تُقرأ بكل شوق وبكل لهفة، وتقرأ بمتعة وسرور كبيرين الى درجة ان قراءها الصادقين يحسون برغبة لقراءتها مرات عديدة. وان الذين استنسخوا رسائل النور وقرأوها عندما سيقوا الى المحاكم واصبحت حياتهم في خطر، فانهم اعترفوا بقراءتهم لها وبعزمهم على دوام قراءتها، ولو ايقنوا ان قرار الاعدام سيصدر بحقهم لما تزحزحوا عن موقفهم الثابت هذا. وهذه الخاصية الموجودة في رسائل النور ضمن صفاتها الخارقة للعادة لابد انها تجعلكم تتساءلون:

«أ أرواح هؤلاء المعترفين رخيصة عليهم الى هذا الحد؟».

اذن فهناك حقيقة سامية في رسائل النور وفي بديع الزمان، ولابد من عدم وجود امور ضارة في هذه المؤلفات، لانهم لم ينكروا قراءتها.

ان طلاب المدارس يدرسون دروسهم لوجود قوة تفرض عليهم النظام والدراسة، اما بديع الزمان فلم يجبر احداً على قراءة رسائل النور، ولكن هناك مئات الآلاف من القراء اكثرهم لم يشاهدوه ولكنهم متعلقون به برابطة قوية لاتنفصم وارتضوا لانفسهم ان يكونوا طلبة لرسائل النور وان يتلقوا دروسهم عنها.

ان مثل هذا النظام الرائع وغير الاعتيادي للتدريس لم يشاهد لا في التأريخ القديم ولا في التاريخ المعاصر ولم يشاهد في اية جامعة.

قال لي السيد المدعي: «ان الاحترام الذي تبديه نحو بديع الزمان لاتبديه نحو المفسرين الآخرين».

وهذا صحيح.. فان الاحترام والتوقير يتناسب مع درجة الكمال، والمنة والشكر يتناسب مع مقدار الفائدة المستحصلة، فان عظم الفائدة المستحصلة من مؤلفات بديع الزمان لانراه في غيرها.

ان الماسونيين والشيوعيين يحاولون الاّ نعرف والاّ يعرف شبابنا خاصة بديع الزمان الذي يعد من اكبر المؤلفين والمفكرين المسلمين في القرن العشرين. ولكن الشباب التركي المسلم والامة الاسلامية وشبابها الواعين عرفوا هذا الاستاذ الرائد واستفادوا منه وجعلوا غيرهم ايضاً يستفيدون منه.

وهذا هو السبب في ان الارتباط القوي نحو بديع الزمان والثقة به لايمكن ان تهتز او تنفصم.

ولكون رسائل النور تقوم بتفسير آيات القرآن الحكيم بمهارة فائقة وبلغتنا التركية دون ان تفقد هذه الايات خصوصيتها التي تعد اكبر معجزة لها، فان جميع طبقات الشعب رجالاً ونساءً، موظفين واصحاب حرف، علماء وفلاسفة يستطيعون قراءتها والاستفادة منها. ومن جراء الفوائد التي يرونها فيها -كل حسب استعداده- يزداد

تعلقهم بها. فالجميع يقرأونها.. طلاب الثانوية وطلاب الجامعة واساتذة الجامعة والفلاسفة، وفضلاً عن استفادة هذه الطبقة المثقفة فانهم يتفقون ويجمعون على روعة بيان التأليف واسلوبه في رسائل النور فيزداد شوقهم لقراءة المجموعة الكاملة لهذه الرسائل.

ان جميع من تعرّف حديثاً على بديع الزمان وعلى رسائل النور من اصحاب الادراك السليم يأسفون على عدم معرفتهم لها في السابق، ولكي يعوّضوا عن المدة التي فقدوها وتأخروا فيها، نراهم يستغلون الفرص المناسبة – وان كانت خمس دقائق – ليقرأوا رسائل النور باستمرار. ولم تشاهد مثل هذه الرغبة الشديدة ومثل هذا التعلق الشديد بمؤلفات اي عالم اجتماعي او عالم نفسي او فيلسوف، إذ لايستفيد من هؤلاء سوى الاشخاص المتعلمين. فعندما يطالع طالب في مدرسة متوسطة، او امرأة تعرف القراءة كتاباً لفيلسوف ما، فانهم قد لايستفيدون منه، ولكن الجميع –كل حسب قابلياته – يستفيدون من رسائل النور. لذا فان هناك امة كاملة تنتظر بلهفة قراركم بتبرئة بديع الزمان وطلاب النور. ولو لم يقم سعيد النورسي بتلقين طلابه دروساً في الصبر والتحمل لدى اوقات المحن والشدائد – مثلما جمع طلابه عندما كان قائداً للحامية الفدائية في اثناء الحرب – فان الافاً من طلاب النور كانوا سيضربون خيامهم على تلول مدينة «آفيون» ينتظرون فيها قرار البراءة من محكمة الجنايات الكبرى في «آفيون».

لم يستطع احد حتى الآن اثبات: ان نشاط سعيد النورسي ونشاط طلاب النور يدخل من الناحية القانونية في اطار نشاط جمعية سرية. فلماذا لا يمكن اثبات ذلك؟ أفيعجز شخص يُعدّ رجل قانون مختص ارتقى حتى وصل الى مقام الادعاء العام عن اثبات ذلك قانونياً؟ كلا... انه ليس عاجزاً عن ذلك ابداً. ولكن نظراً لعدم وجود تشكيلة لجمعية سرية فانه لايكون بوسع احد ان يثبت وجود مثل هذه الجمعية.

لقد قال المدعي العام في البداية: «طلاب النور ليسوا جمعية» فكان رأيه هذا وحكمه صائباً وضمن الاطار القانوني، ولكنه عاد بعد قليل – ولا احد يدري لماذا – وقال: «انهم جمعية»... وهذا تناقض، ولاشك انه راي له لاحكم. ونحن على يقين بان هيئة المحكمة تدرك هذه الحقيقة ادراكاً تاماً وانها ستقرر انه «لاتوجد جمعية سرية تؤلف بينهم».

ايها الحكام المحترمون !

لو كان من عادة القلب ان تتقطع في موقف الحزن والاسى لكان من المفروض ان يتمزق القلب الى عدد ذراته اسىً ولوعة امام خبرٍ عن شاب سقط في هاوية الإلحاد.

وهكذا فان قرار التبرئة الذي سيصدر عنكم سيكون وسيلة فعالة لانقاذ شباب الاسلام والعالم الاسلامي من هذه الآفة الرهيبة، وهذا هو احد الاسباب التي تربطني برباط لاينفصم مع بديع الزمان ومع مؤلفاته.

ان القرار الذي ستصدرونه لتبرئة رسائل النور والسماح بتداولها سينقذ الشباب التركي والمسلمين من مصيبة الالحاد، ذلك لان رسائل النور التي هي خزينة الحقائق السامية ستُعرف وستشتهر في يوم من الايام في جميع انحاء الدنيا دون شك. وعلى هذا الاساس فسوف تكونون محط تقدير الانسانية جمعاء، وستكون الاجيال الحالية واجيال المستقبل شاكرة لكم لقراركم بالبراءة، وستذكركم هذه الاجيال بكل تقدير كلما قرأت رسائل النور واستفادت من فيضها العظيم.

وعندما اقول لكم بكل اخلاص هذه الكلمات فارجو ان لايذهبن بكم الظن الى انني انافق او اتملق.. أبداً ومطلقاً... ذلك لانني لا اخشى من احد ولا ارهب احداً في المحكمة التي تحاكم بديع الزمان.

ولكني ارجو منكم ان تسمحوا لي ببيان قصير:

ان استمر المدعي في كيل هذه التهم الشنيعة بحق رسائل النور وبحق مؤلفها وقرائها مع انها – رسائل النور – تعد علاجاً مؤثراً ضد الشيوعية وضد الماسونية في هذا الوطن المبارك، واذا لم يتخل عن اتهاماته الخاطئة تماماً وسائر انفعالاته الشخصية وعواطفه الذاتية فانه يكون بذلك عوناً للماسونية وللشيوعية وعوناً لترعرعهما وانتشارهما.

* * *

جزء من اللائحة المقدمة الى محكمة التمييز

ان رسائل النور تقوم – عن طريق البرهنة – بتقوية الايمان المتضعضع للذين تؤثر فيهم شبهات تبثها منشورات منظمات الالحاد.

ان سراً دقيقاً من اسرار تعلق الشباب وتمسكهم برسائل النور وكأن بهم مس من كهرباء هو الآتي:

لقد قام بديع الزمان سعيد النورسي منذ سنوات عديدة بانكار ذات وتضحيات لامثيل لها وفي زمن شيخوخته ومرضه – اي في مرحلة يحتاج فيها الى الرعاية والى الاهتمام – وبصبر وتحمل لايوصفان امام جميع انواع الاضطهاد والتعذيب من قبل اعدائه المتسترين من الماسونيين والشيوعيين ومن الذين انخدعوا بهم. وعلم بثاقب بصره وادرك بملاحظته الواقعية المؤامرات المدهشة الخفية، والدسائس المرعبة والخطط المحاكة ضد الايمان وعرف كيف يحبط هذه الخطط بمؤلفاته الايمانية.

لكن أليس من المحزن، وأليس من المؤلم ان يقاسي هذا الرائد الاسلامي وهذه الشخصية الكبيرة الفذة من عذاب السجون منذ خمسة وعشرين عاماً ومن الحبس الانفرادي التام وان يحاول القضاء عليه؟

ولكن وان قاسى مؤلف رسائل النور وعوقب نتيجة للاوهام الناشئة من اهانات الشيوعيين ودسائسهم فان الاقبال المتزايد على قراءة رسائل النور بكل شوق سوف يدوم ويستمر.

ان اول دليل واكبره هو ان الشباب الذي قرأ رسالة «عصا موسى» التي استنسخت بالاحرف الجديدة، بدأوا بتعلم القراءة باحرف القرآن لكي يستطيعوا قراءة الرسائل الاخرى، وهكذا هدموا سداً كبيراً وهو الجهل بخط القرآن الكريم، هذا الجهل الذي كان مانعاً وعائقاً امام تعلم الكثير من العلوم، واجبارهم على قراءة كثير من الكتب التي كتبت لابعاد الناس عن الدين والايمان. وحينما يقبل شباب اية امة على القرآن وعلى العلوم التي تتنور منه، ويتجهز بهذه العلوم ويتسلح بها فمعنى ذلك ان تلك الامة بدأت تسير في طريق الرقي والتقدم. ان الشباب الظامئة ارواحهم الى

الايمان والى الاسلام قد بدأوا بملء ارواحهم بفيوضات رسائل النور التي هي تفسير للقرآن الكريم، وبذلك فان الشباب الذي سيملك ايماناً يقينياً وعن علم سيجاهدون الالحاد والشيوعية، ولن يسمحوا ابداً ببيع اوطانهم الى اعداء الاسلام. لذلك فان استطاع الشيوعيون ان يفنوا ويقضوا على الورق وعلى الحبر لقام شباب مثلي او شيوخ بفداء انفسهم لأجل نشر رسائل النور التي هي خزانة الحقائق، حتى وان اضطروا الى ان يعملوا من جلودهم ورقاً ومن دمائهم حبراً.

نعم، نعم، نعم.. الف مرة نعم.

يقول المدعي العام ضمن اتهاماته: «لقد قام سعيد النورسي بتسميم افكار شباب الجامعة بمؤلفاته». ونحن نقول رداً على هذا:

«لو كانت رسائل النور سماً، فاننا في حاجة الى اطنان من هذا السم واذا كان يعرف مكاناً يكثر فيه هذا السم فليرسله الينا على جناح السرعة».

وعندما نتعرض – نحن طلاب النور– الى ظلم الظالمين ونحن نؤدي خدماتنا في سبيل الايمان والاسلام فاننا نفضل ان نسلم الروح في السجون وعلى اعواد المشانق وليس على فراش الراحة. لاننا نعدّ الموت ظلماً في السجون – بسبب خدمتنا القرآنية – فضلاً إلهيا كبيراً، ونفضل هذا الموت على العيش في حياة ظاهرها الحرية وباطنها وحقيقتها استبداد مطلق.

الموقوف في سجن آفيون

زبير كوندوز آلب

من ولاية قونية

ملاحظة:

بعد ارسال هذا الدفاع ولائحة الدفاع المقدمة الى محكمة التمييز، ارسلت رئاسة محكمة التمييز برقية طلبت فيها اطلاق سراح «زبير» من السجن فوراً.

* * *

دفاع مصطفى صونگور (١)

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

طلب مقام الادعاء ايقاع العقوبة بي أيضاً بتهمة انتسابي لجمعية النوربين وقيامي بتحريض الشعب ضد الحكومة.

اولاً: لاتوجد جمعية باسم جمعية النوريين، ولست منتسباً لاية جمعية من هذا القبيل. انني منتسب الى جمعية الاسلام المقدسة والعظيمة.. الجمعية الالهية والنورانية التي تبشر الانسانية جمعاء بالسعادة الابدية وبالسلامة الابدية والتي وضعها منذ اكثر من الف وثلاثمائة وخمسين سنة فخر الكائنات محمد ﷺ والتي لها ثلاثمائة وخمسين مليون منتسب في كل عصر. وقد عقدت العزم – بحمد الله – بكل قوتي على اطاعة اوامره المقدسة.

اما رسائل النور التي اعتبر المدعي تتلمذي عليها ذنباً وجرماً، فقد علمتني وظائفي الدينية والايمانية، وعلمتني ان الاسلام اسمى واقدس دين وانه السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وعلمتني ان القرآن هو الامر الالهي النازل من رب العالمين سبحانه وتعالى، الحاضر الناظر في كل مكان، وان الوجود باجمعه بدءً من الذرات وانتهاء بالنجوم وبالشموس هو تحت قدرته وتحت ادارته الازلية، وعلمتني ان القرآن معجزة إلهية يحيط نظره بكل الحوادث منذ الازل الى الأبد، وانه اسمى من جميع الكتب، وكتاب معجز من اربعين وجهاً، وكلام ازلي يبشر البشرية جمعاء بالسعادة الأبدية فيجعل المشتاقين اليه يشعرون بعظم المنة عليهم. وان الرسول ﷺ المرسل من قبل رب العالمين كان بكل احواله اكمل الناس جميعاً واصدقهم واسماهم في نواحي الكمال، وانه قدم للناس جميعاً –بنور الاسلام– اكبر بشرى واقدس سلوان، وانه ادار بسلطنته المعنوية خمس نوع البشر منذ اربعة عشر قرناً، ويُكتب في دفتر حسناته جميع ما كسبته امته من حسنات منذ الف وثلاثمائة ونيف من السنين، وانه سبب خلق الكائنات، وانه حبيب الله. وعلمتني ان الاخرة والجنة وجهنم حق وحقيقة، وذلك ببراهين وحجج باهرة مستقاة من القرآن المعجز.

---

(١) ولد في قضاء «افلانى» التابعة لولاية «زنغولدق» سنة ١٩٢٩ وهو الذى لازم الاستاذ النورسى في الحل والترحال وتتلمذ عليه حتى بلغ « الفناء في رسائل النور» كما قال عنه الاستاذ. واودع اليه والى اخوة افاضل امانة ادارة طلاب النور – امّد الله في عمره وبارك فيه – المترجم.

اما رسائل النور فانها بكلماتها وجملها تشهد انها فيض من نور القرآن الكريم ونور محمد ﷺ. وذلك بانتسابها للقرآن الكريم وكونها تفسيراً خاصاً له، وبهذا الاعتبار فهي سماوية وعرشية..

وهكذا فان رسائل النور - المتهمة بانها تحرض الناس ضد الحكومة - بكل اجزائها (كالكلمات واللمعات والشعاعات والمكتوبات) انما تعطي دروساً حول الحقائق الالهية وحول الدساتير الاسلامية وحول الاسرار القرآنية. فكيف اذن يعد جرماً او ذنباً قراءة رسائل النور وهي مؤلفات تعد في الذروة من ناحية تدريسها وتلقينها للاخلاق الفاضلة والحقائق الايمانية؟ وهل يعد جرماً او ذنباً القيام باستنساخ هذه الرسائل التي تهدي الينا السعادة الأبدية او جعل اخ مؤمن يستفيد منها من الناحية الايمانية؟ أيعد هذا تحريضاً للناس ضد الحكومة؟ وهل زيارة مؤلف مثل هذه الرسائل المباركة الذي بلغ الذروة في الايمان وفي الاخلاق وفي الفضيلة، او تكوين اخوة في سبيل القرآن الكريم مع طلاب النور المجهزين بالايمان الراسخ وبالعقيدة التي لاتتزعزع والذين اخذوا على انفسهم حفظ شرف الاسلام وحقائق القرآن في هذا العصر والذين لاهدف لهم سوى اكتساب رضىٰ الله... أيعد هذا تشكيل جمعية؟ اي ضمير نقي واي ضمير عادل يستطيع اصدار عقوبة على هذا؟

ايها الحكام المحترمون!

ان رسائل النور بجميع اجزائها اعتباراً من «الكلمات» و«اللمعات» وانتهاءً بـ «الشعاعات» التي اقر بها كبار العلماء والتي تهب مرتبة ايمانية عالية وشوقاً اسلامياً كبيراً لمن يقرأها ليست الا تفسيراً نورانيا للقرآن ذي البيان المعجز، وكل جزء من اجزائها شمس تزيل الامراض المعنوية وتبدد الظلمات المعنوية. اما استاذنا مؤلف رسائل النور فقد امضى حياته كلها في سبيل الايمان وفي سبيل القرآن وتحمّل في هذا السبيل جميع انواع الاذى والمصاعب، وحاول بنشره هذه الحقائق القرآنية في هذا العصر انقاذ ابناء هذا الوطن المبارك من الهجوم الشرس للشيوعية ولكل انواع الالحاد، وان الصفحة البيضاء لحياته الخالية من اي نقص تشهد بانه موظف ومؤهل للقيام حالياً بهذه المهمة المقدسة فهو - حاشاه - لم يلقّنا دروساً غير اخلاقية، ولا دروساً في فن

التخريب، بل لقننا دروساً في انقاذ الايمان، وهذا ربما يشكل اكبر غاية واهم هدف للبشرية على سطح الارض، ان قيامه منذ مايقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة انقاذ ايمان مئات الالاف من الناس برسائل النور، ولاسيما من امثالي من المساكين الذين لم نكن نعرف شيئاً عن الاسلام واعطاءنا دروساً في الايمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلا إلهياً. ونحن نقول للذين يقلبون الحقائق فينكرون قيامه بهذه الخدمة المقدسة ويرونه خطراً على الحياة الاجتماعية:

إن كان ذنباً وجرماً قيامه بانقاذ الناس من آفات رهيبة كالتردي الاخلاقي والالحاد وعدم الايمان، وارشاد الناس الى الايمان والى السير في الطريق الذي رسمه الله تعالى والدعوة الى اطاعة اوامر الدين واسعاد الناس بالسعادة الدائمية للاسلام.. ان كان هذا ذنباً وجرماً فانتم تستطيعون آنذاك القول بانه ضار للحياة الاجتماعية. والاّ فان هذا الادعاء اكبر فرية وهو جريمة لاتغتفر.

ان رسائل النور لاتستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الاخروية الدائمة وتستهدف نيل رضى الله الباقي الازلي الرحيم ذي الجلال الذي لايشكل الحسن والجمال في الدنيا الا ظلاً خافتاً لجماله ولاتشكل لطائف الجنة جميعاً الا لمعة من محبته سبحانه. فما دام مثل هذا الهدف الالهي المقدس ومثل هذا الهدف السامي موجوداً، فانني ابرئ رسائل النور وانزهها الف مرة من الوقوع في امور سفلية ومحرمة تؤدي الى نتيجة كتحريض الناس ضد الحكومة. ونحن نلوذ بحمى الله تعالى من شرور هؤلاء الذين لايريدون منا ان نتعلم امور ديننا ولا ان نخدم ايماننا فيفترون علينا مثل هذه الافتراءات لكي يقضوا علينا.

ايها الحكام المحترمون

لايمكن ابداً اطفاء نور رسائل النور. واكبر دليل على هذا هو انه رغم المحاولات التي جرت منذ خمس وعشرين سنة للقضاء عليها، فانها – على العكس من ذلك – انتشرت وسطعت اكثر، ذلك لان صاحبها ومولاها هو الله ذو الجلال الذي بيده مقاليدكل شيء منذ الازل الى الابد، ولان حقائقها هي الحقائق القرآنية التي تكفل الله تعالى بحفظها والعناية بها. وستبقى انوارها تتشعشع على الدوام ان شاء الله.

ايها الحكام المحترمون!

ان كـان جرمـاً قراءة رسـائل النور واستنسـاخهـا التي تعلمنا الايمان والاسـلام بكل شوق وبكل حب، والتي لاهدف لها سوى مرضـاة الله تعالى والتي هي تفسير نوراني للقـرآن المعجـز البيـان في هذا العصـر، وان كان اعطاء هذه الرسـائل – المشتـملة على الحـقـائق الايمانيـة – الى اخـوة مـؤمنين جـرمـاً، وان كـانت الرابطـة الدينيـة والاخـوة الاسلامية التي تجمع المؤمنين في سبيل مرضاة الله وفي طريق القرآن والايمان والتي تعد من الاوامـر القدسية للدين.. ان كانت هذه الرابطة في نظركم تعتبر تشكيل جـمعية، فان مـن دواعي سعـادتي ان اكون منتـسبـاً لمثل هذه الجـمعيـة، وهي سعـادة اكبـر من جمـيع المكافآت ومن جمـيع الاوسمة، وانني احمـد الله تعالى حمـداً لاحد له لما منّ على مسكين مثلي بفضله وبلطفه هذه السعـادة الكبيرة عندما جعلني طـالباً من طلبة رسائل النور. وليس لي في الختام سوى القول:

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾

﴿حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾

المعلم

مصطفى صونگور

* * *

لائحة دفاع مصطفى صونگور في محكمة التمييز

١– لقد عدّت مـحكمة الجنايات الكبرى قيـامي بقراءة رسائل النور واستنسـاخها واعطاءها الى احد الاخوة المؤمنين المحتاجين ليستفيد منها، ذنباً. وجرماً لانني قمت – حسب الادعاء – بتـحريض الشعب ضـد الحكومة. علمـاً بانني سبق وان قلت في دفاعي جواباً على هذا الاتهام:

ان رسـائل النور التي تعـدونـها تحـرض النـاس ضد الحـكومـة ليست في الواقع الا تفسيراً حقـيـقيـاً للقـرآن الكريم، فهي – بـكل أجزائهـا – تعطي دروسـاً في الحقـائق

الايمانية، وتهب لكل من يقرأها او يستنسخها سعادة كبرى. ولم يكن من هدفها ابداً امور دنيوية سافلة وفانية كتحريض الناس ضد الحكومة والتي هي من اعمال اصحاب الفتن واعمال الساقطين، بل هدفها هو نيل رضى الله وهو اسمى مرتبة للسعادة والحبور. وانني افتخر لكوني خادماً عاجزاً وطالباً من طلاب رسائل النور التي اكسبتني عند قراءتها واستنساخها أحلى نعمة واكبر فضيلة وهي نعمة الايمان وفضيلته. ومع انني ذكرت ان تتلمذي على رسائل النور يعد اكبر فضل الهي، وانني احمد الله تعالى واشكره شكراً دائماً اذ احسن بي هذه النعمة التي اسبغها على شخص فقير ومسكين مثلي، ومع ذلك فقد تم اصدار حكم بعقوبتي لانهم عدّوا ارتباطي بالايمان وبالاسلام جرماً دون ان يستندوا الى اي قانون والى اي دليل فخالفوا الحق والحقيقة مخالفة تامة وصريحة.

٢- انني اشهد انه عندما كنت أدرس في معهد «گول كوي» في «قسطموني» فان بعض المعلمين كانوا يلقنوننا دروساً إلحادية ويقولون لنا ان محمداً ﷺ - حاشاه - هو الذي كتب القرآن الكريم، وان الاسلام في حكم الملغي، وان المدنية تسير في طريق التقدم، لذا فان من الخطأ الكبير ومن الرجعية اتباع القرآن الكريم، حتى ان احد المعلمين قال لنا في احد الايام:

«ان المسلمين يقضون حياتهم في ألم وفي عذاب دائم لانهم يصلون ويذكرون الآخرة. وان جواً من الكآبة يسود جوامع الاسلام على الدوام، بينما يقضي النصارى حياتهم في نشوة دائمة وفي جو من الموسيقى واللهو».

لقد كانوا يحاولون ان يقطعوا كل مايربط بين قلوبنا وبين الايمان والاسلام من روابط، وان يُحلّوا فيها بدلاً منهما الكفر والالحاد. وهكذا فبينما كنت محقوناً بمثل هذه الافكار المسمومة ومعرضاً لاغتيال ايماني بهذه الدروس الالحادية الضارة الى درجة انني انسقت في تيار هذه الافكار وبدأت انشرها حوالي والعياذ بالله، اذا بي اقرأ بعض رسائل النور التي تستمد نورها من القرآن الكريم والتي تعرض حقائق الايمان وحقائق الاسلام ببراهين ساطعة وادلة خارقة وتبرهن على ان الدين الاسلامي كان دائماً وسيلة لسعادة الانسان ولسلامته وانه شمس معنوية لن تنطفئ ولايمكن اطفاء نورها، واذا بهذه الرسائل تطرد كل الافكار المسمومة وتنشر في قلبي الايمان، وفي

ظل هذا الفرح الغامر والسعادة اللانهائية عرضت حالي على الاستاذ بديع الزمان مؤلف هذه الرسائل والشخص المشفق الوفي والرائد الحقيقي وكيف انني نجوت من حياة الغفلة والضلالة ورسوت على شاطئ الايمان والنور، وكيف ان رسائل النور التي تكسبنا الايمان الحقيقي تعد شمس الهداية لجميع الناس في هذا العصر ووسيلة سعادة لهم. وانه بقيامه بتأليف هذه الرسائل ووضع نفسه في مثل هذه المهمة المقدسة انما يقوم بخدمة ايمانية عظمى، وانه بذلك يعدّ نعمة إلهية كبيرة للبشرية جمعاء ولاسيما لاهل الايمان، واعلنت له عن أسفي الشديد وعن ألمي البالغ وعن نفوري الشديد لما تقدم به بعض العصابات الخفية من اتباع الدجال السفياني من اعتداءات شنيعة على القرآن وعلى الاسلام وكيف انهم -كما ذكرت آنفا- يزيّنون الالحاد لابناء هذه الامة الاسلامية البطلة ويحاولون هدم الاسس الاسلامية الالهية المقدسة التي ترتبط بها الملايين من الناس ويسعون الى هدم سعادتهم الابدية. وابديت له اسفي البالغ ونفوري الشديد من هؤلاء المجانين الذين يصفقون لهؤلاء المفسدين ويهللون لتخريباتهم الظالمة والدنيئة. وخاطبت أصدقائي في الدراسة الذين داخلهم الشك قائلاً: هلموا لنتخلص من اهواء النفس هذه، ولنركع امام حقائق القرآن، ولنسرع الى مدرسة النور المرشدة في هذا العصر الى طريق السعادة ولنترك اكاذيب هؤلاء السفهاء الكذابين ... هذه الاكاذيب التي سمعناها اشهراً وسنين وصفقنا لها والتي قدموها لنا وكأنها هي الحقيقة نفسها ولنجعل بديع الزمان سعيد النورسي استاذاً لنا ونتمسك بدروسه بكل قلوبنا لكي نخرج من الظلمات الى النور.. أليس هذا الخطاب نابعاً من الفرحة التي استمدها من ايمانه ومن حب القرآن والاسلام والتمسك والاعتصام بهما ومن الحب الكبير الذي يُكنّه لأمته ومن الرغبة في ان يكتسب كل شخص ايماناً حقيقياً لكي ينال السعادة اللانهائية؟.

فهل الانتساب الى الله والنظر الى الاسلام كأسمى دين وكمنبع للفضيلة وبشارة للسعادة واعلان ذلك يُعدّ جرماً؟

في هذا الزمان بدأ هجوم هدام ومدمر على الاسلام وعلى القرآن من جميع الجهات وبدأت الافتراءات تكال للقرآن وللنبي محمد ﷺ ومحاولة النيل من تلك الذات السامية الرفيعة، في حين تسمح بالكتب التي تنفث سموم الالحاد والانسلاخ من الدين والاخلاق، وتكال المدح والثناء لشقاة من اعداء للاسلام تافهين عصاة لله

وتذكر أعمالهم غير المشروعة المبتدعة بالاعجاب والتقدير، وتهمل سمو القرآن وعلوه ورفعة شأن الرسول الكريم ﷺ وأحقيتهما، علماً ان رسائل النور تبين وجود الله تعالى وتبين ان موجودات هذا الكون باجمعها تشهد على وحدانية خالقها وانه واجب الوجود وان الانسان بما جهزه الله من عقل وفكر افضل مرآة لاسماء الله الحسنى، لذا يُعدّ سلطاناً على سائر المخلوقات، ولو انتسب الانسان الى الله وصان نفسه من الضلالة ومن السفاهة ومن كبائر الآثام لاستحق مرتبة ضيف كريم في اعلى عليين وتنعم بنعيم الجنة الخالدة الابدية، اما إن كفر بخالقه ووقع في الضلالة وفي الغفلة واشرك به وعصاه فانه يكون أضل من الحيوان ويستحق مرتبة اسفل سافلين في عذاب خالد في جهنم، وان القرآن كلام الله الذي لاتتغير احكامه ولاتتبدل اوامره وان الاسلام يأخذ بأيدينا الى افضل مدنية، وان السعادة الحقيقية والدائمة لايمكن ان تتحقق للبشرية الا باتباع اوامر القرآن والانتساب اليه.. هذه هي الامور التي اوضحتها رسائل النور وبرهنت عليها بشكل قاطع، ومن هنا تستمد رسائل النور مكانتها السامية لانها تقتبس من معجزات القرآن ومن النور الالهي.. فهل الايمان بهذا ونشره والاعلان عنه يُعدّ جرماً؟

والغريب ان قراءة الروايات والاساطير التي تكتب لإلهاب الشهوات الفانية غير المشروعة ونشر الكتب التي تضر بسلامة الامة وسلامة الوطن، والتي تهاجم الاسلام، ومن ثم مدح هذه الكتب وتقريظها والثناء عليها.. كل هذا مسموح به ولايعد ذنباً، ولكن قيامنا بقراءة واستنساخ رسائل النور التي تعرّفنا بشمس الاسلام – التي اهتدت بها مئات الملايين من الناس ووجدت فيها السعادة الحقيقية – وتدعو اليها وتعرفنا بها وتبشر بالحقائق الايمانية ومدح هذه الرسائل والثناء عليها – مع اننا عاجزون عن ايفاء حقها من الثناء – يعدّ ذنباً وجرماً. فهل هناك إنسان يحمل في قلبه ذرة من الايمان وذرة من الحرص على سلامة هذا البلد وهذه الامة يستطيع ان يعد هذا ذنباً؟!

حكام الجزاء المحترمون!

ان هذه الدعوى المعروضة على مقامكم الرفيع هي في الحقيقة دعوى الايمان والقرآن، ودعوى السعادة الابدية والخلاص لملايين الناس. ان جميع الانبياء والرسل عليهم السلام وعلى رأسهم رسولنا الاكرم ﷺوجميع الاولياء واهل الحقيقة وجميع

اجدادنا المؤمنين الذين رحلوا الى الدار الآخرة لهم علاقة من الناحية المعنوية بهذه الدعوى العظيمة. وانتم اليوم تملكون في ايديكم فرصة اكتساب محبة اولئك الملايين من اهل الحقيقة ودعاءهم وشفاعتهم. وان الحقيقة السامية المسماة بـ «رسائل النور» امامكم. فهل المراتب والمقامات الدنيوية الفانية والسفلية هي غايتها؟ ام ان غايتها هي نيل رضى الله تعالى الذي هو السعادة العظمى والفرحة الكبرى والهناء التي مابعدها هناء؟ أوَتحفز كلماتها الانسان الى الاخلاق الرديئة والهابطة ام تجهزهم بالايمان وتجملهم بالفضيلة وبالاخلاق السامية؟ انتم تجدون رسائل النور امامكم وهى منبثقة من الاعجاز المعنوي للقرآن المبين الذى هو نور الهي. فما دام اكتساب الايمان، والانتقال بهذا الايمان في الدنيا الى سعادة الدار الآخرة اهم غاية للانسان، ومادامت رسائل النور تقدم – بفيض من القرآن – الحقائق الايمانية وتقرب مئات الالاف من قرائها ومستنسخيها الى هذا الهدف، فلا مناص امام عدالتكم السامية وحبكم للحقيقة إلاّ فهم الوجه القرآني، والوجه الحقيقي لرسائل النور وتقدير قيمتها الحقيقية، ومعرفة ان طلاب النور لايسعون الا لنيل رضى الله تعالى وانه لاهدف لهم سواه .

حكام الجزاء المحترمون!

ان استاذنا العزيز بديع الزمان الذي ارتقى الى اعلى مرتبة للفضيلة وللاخلاق الكريمة يحاول بكل مايملك من شفقة ورحمة وحنان انقاذ الانسان من الظلام الفكري الدامس ومن السجن الابدي، وهو الذي تحمّل جميع صنوف الألم والعذاب في سبيل المهمة الملقاة على عاتقه لنشر الحقائق القرآنية... استاذنا هذا يُرمى في السجون دون وجه حق وخلافاً للعدالة مع كونه مريضاً وشيخاً كبيراً ووحيداً دون اهل، مع ان غايته تنحصر فقط في انقاذ ايمان الناس بما يملكه من علم كبير وذكاء خارق وايمان رفيع وعبودية كبيرة. وان قلب الانسان ليتفطر ألماً مما قاساه هذا الشيخ المبارك المحب لخير الانسانية في سجن «آفيون» من البرد القارس ومن الالام الكبيرة والمضايقات العديدة مع انه في الخامسة والسبعين من العمر، لذا فاننا ننتظر من عدالتكم السامية المرتبطة بالحقائق ومن حبكم وتعلقكم بحب الانسانية تجلي الشفقة والرحمة للعدالة.

مصطفى صونگور

* * *

دفاع محمد فيضي (١)

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

لقد عد المدعي العام كوني سكرتيراً لاستاذي سعيد النورسي ومتعلقا تعلقاً شديداً به وبرسائل النور وقيامي بخدمة كبيرة في هذا المجال.. لقد عدّ ذلك تهمة تستوجب مساءلتي. وانا اقول ازاء هذا بانني اقبل هذه التهمة بكل ما اوتيت من قوة وانني أفتخر بها، ذلك لانني فطرتُ على حب العلم والشوق اليه، والدليل على ذلك انه عندما قاموا بتفتيش منزلي في حادثة «دنيزلي» وجدوا فيه خمسمائة وثمانين من الكتب العلمية والعربية وسجلوها رسمياً، ومع انني شخص فقير وفي مقتبل العمر ومعرفتي باللغة العربية لاتزال ناقصة، فان عشقي للعلم ورغبتي الشديدة في التعلم هي التي دفعتني الى اقتناء هذه الكتب المتنوعة التي لاتوجد عند واحد بالالف من الناس.

فطرتي العلمية هذه كانت تدفعني للبحث عن استاذ وعن مرشد حقيقي وحمداً لله حمداً لانهاية له، اذ دلني على بغيتي عن قرب، فيما كنت احسبه بعيداً. اجل ان حياة استاذي سعيد النورسي تشهد ان غايته الوحيدة هي الشوق العلمي واستحصال العلوم الاسلامية. وقد تأكدت من مشاهدتي ومن قراءتي لتاريخ حياته — وهو كتاب مطبوع — ومن المعلومات التي استقيتها من طلابه القدماء ان رغبتي الفطرية في العلم موجودة لدى استاذي بشكل خارق للعادة الى درجة انه ما زال يحتفظ بصفة طالب العلم — خلافا لجميع العلماء المتخرجين من المدارس الاسلامية القديمة — مما جعله قادراً على تحمل جميع البلايا والمصائب. ولان اهل السياسة لم يفهموا الاحوال العجيبة لاستاذي فقد سعوا لربط هذه الاحوال بنوع من السياسة التي لاعلاقة له بها، حتى انهم ألقوه في غياهب السجون. ولكن الله تعالى جعل هذا العشق العلمي الموجود لديه مفتاحاً للحقائق القرآنية، فظهرت رسائل النور التي اذهلت جميع العلماء والفلاسفة. في هذه الاثناء وجدت استاذي في مدينة «قسطموني» بجانبي انا الذي كنت ابحث عنه طوال حياتي بما فطرتُ عليه من حب العلم، وانا اعد هذا إحساناً الهياً سأظل اشكر الله تعالى عليه حتى آخر عمري.

---

(١) ولد في «قسطموني» سنة ١٩١٢. لازم الاستاذ النورسي طوال ست سنوات فيها. وسجن معه في سجن «دنيزلي» سنة ١٩٤٣ وفي «آفيون» سنة ١٩٤٨. انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٨٩. — المترجم.

ولكي يحتفظ استاذي بعزة العلم ومكانته فانه لايقبل – ولم يكن يقبل في السابق ايضاً – الصدقات والهدايا وماشابههما، ويمنع طلابه من ذلك ايضاً. ولم يحن رأسه لأحد. ومن اوضاعه غير الاعتيادية انه لم يرض في الحرب وهو في الخط الامامي من جبهة القتال الدخول الى الخندق حفاظاً على العزة العلمية، وانه وقف امام ثلاثة من القواد المرعبين(١) موقف الاستاذ المحافظ على عزته العلمية دون ان يبالي بغضبهم، بل اسكتهم. ولما كنت اعلم ان استاذي هذا حافظ على شرف هذه الامة وهذا الوطن وعلى شرف علماء الامة التركية وضحى في سبيل ذلك بكل شئ فقد قبلته استاذاً حقيقياً لي، ولو افترضنا فرضاً محالاً وقلنا ان له مائة نقيصة، لكان علينا ان ننظر نظرة التسامح اليها، وألا نعترض عليه.

ولقد قدّره الوطنيون – باسم الوطن وباسم الامة – في عهد المشروطية وكذلك الحال في العهد الجمهوري. ومثال تقديرهم لخدمات الاستاذ الجليلة للعلم هو: قيام حكومة الاتحاد والترقي بتخصيص تسعة عشر الف ليرة ذهبية لمدرسة استاذي « مدرسة الزهراء» في مدينة « وان » والتي ارادها ان تكون نظيرة « الازهر»، ومع ان اساسها أرسي الا ان بدء الحرب العالمية الاولى ادى الى تأجيل بنائها، وقبل اربع وعشرين سنة قامت الحكومة الجمهورية – بعد موافقة وتأييد مائة وستين نائباً – بتخصيص مائة وخمسين الف ليرة لبناء دار فنون الاستاذ (مدرسة الزهراء)، وقيام هذا الاستاذ الكريم وحده بمحاولة انشاء جامعة كجامعة الأزهر التي تعاون في انشائها الاف العلماء، واقترابه جداً من تحقيق هذا الهدف يحتم على جميع الوطنيين وعلى جميع محبي الامة مع جميع علماء الدين تقدير هذا الاستاذ والثناء عليه، ولاننا قد ظفرنا بمثل هذا الاستاذ، فنحن مستعدون لتحمل جميع المشاق والمصاعب.

انني أكنّ لعلاّمة الزمان هذا اخلص آيات التقدير والاحترام لانه استطاع بفيوضاته العلمية وبحقائق آثاره السامية التي تناهز المائة والثلاثين كتاباً مساعدتي في المضي في طريق العلم والايمان وسأظل احمل له هذا التقدير الى الابد ان شاء الله.

ومع ان التحريات استمرت لمدة اشهر لإثبات التهمة الموجهة اليّ من قبل الادعاء العام حول « استغلال الدين والمشاعر الدينية لغرض انشاء جمعية سرية مخلة بامن الدولة » الا ان هذه التحقيقات لم تسفر عن شئ، ذلك لان مثل هذه الجمعية لاوجود

(١) المقصود: القائد خورشيد باشا في المحكمة، ومصطفى كمال، والقائد الروسي نيقولا نيقولافيج – المترجم.

لها، ولاتوجد لنا اية علاقة باية جمعية. ان علاقتنا الوحيدة هي مع رسائل النور التي دخلت في امتحان صعب في مواجهة قوانين الحكومة الجمهورية، ولكنها حصلت على البراءة من قبل المحاكم ذات الصلاحية، وعلى الاحترام والتوقير من قبل الهيئات المتخصصة، وهذه العلاقة لاتعدّ خيانة للوطن وللامة بل هي علاقة علمية نافعة للوطن وللامة. ولايوجد اي هدف واية نية اخرى خارج هذا، وبناء على ذلك ولكون موضوع براءتنا واخلاصنا ظاهراً تماماً فاننا نطالب محكمتكم العادلة السامية باصدار قرار براءتنا مثلما فعلت محكمة « دنيزلي » فتحقق بذلك تجلي العدالة.

محمد فيضي پاموقچي

الموقوف في سجن آفيون

من قسطموني

* * *

دفاع أحمد فيضي[1]

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

ايها الحكام المحترمون! أليس من حق المؤمن ومن واجبه الالتقاء بعالم ديني وقراءة كتبه المتعلقة بحقائق الدين واستنساخ هذه الكتب والاسراع الى نجدة اخوانه في الدين في سبيل خدمة دينه وقرآنه ورسوله ﷺ ؟ وهل هناك اية مادة قانونية تمنعنا من اداء هذه الخدمة الدينية؟ وهل يعد ذنباً قيام بعض الجهات بنقد التيارات الكافرة والتيارات غير الاخلاقية؟ نحن طبقة متدينة من الشعب لاشائبة فيها ولاعلاقة لها مع السياسة ولا مع ادارة الدولة.

ان حمل حسن ظن تجاه شخص ما وتقديره يُعدّ قناعة شخصية، ونحن نعتقد بان بديع الزمان أكبر عالم ديني في زماننا هذا، ونراه رجل حق وحقيقة قام بايضاح حقائق الدين دون اي نفاق او تملق لأحد. اما اطلاقنا عليه صفة المجاهد فنابع من خدماته الدينية ودفاعه ضد التيارات الهدامة للايمان وللاخلاق التي تهدد بلدنا

(١) هو من احدى أقضية «اسپارطة» سجن مع الاستاذ النورسي في «آفيون» وعرف بدفاعاته القوية، وتوفي في سنة ١٩٧٢ عن اربع وسبعين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة. — المترجم.

مستنداً في ذلك الى الحقائق القرآنية الراسخة. وليس بمقدور احد ان يؤاخذنا على قناعاتنا الوجدانية. ونحن في بلد يسمح بحرية العقيدة، لذا فنحن غير مضطرين الى اعطاء الحساب لأحد.

اما بخصوص موضوع الاشخاص الذين سيظهرون في آخر الزمان حسب ماورد في الحديث النبوي فاقول:

اننا لم نخترع هذه المواضيع من عندنا، ذلك لانها موجودة في الدين فالرسول ﷺ يقول في بعض احاديثه بان عمر الامة المحمدية لن تزيد كثيراً عن الالف وخمسمائة سنة. وهذه الاحاديث تصف كثيراً من الحوادث التاريخية المهمة في حياة الامة المحمدية وفي حياة الدنيا باسرها، وذلك تحت عنوان «علامات القيامة». وهي تنبه الامة المحمدية وتحذرها من شرورها، وتقول بان الذين يقعون في هذه الشرور عن غفلة او عن جهل سيقعون في الشقاوة وفي الهلاك الأبدي، وهناك ادلة دينية لاحد لها حول هذه الامور. نحن اناس آمنا بالله وبرسوله وبالقرآن. اذن فاستناداً الى هذا الايمان واستناداً الى صدق الرسول ﷺ أفلا نعمل على خلاص انفسنا من الهلاك الأبدي؟ أفلا نبصر مايجري حوالينا؟ ألا نشرح هذا استناداً الى الحقائق الدينية ونتساءل: «أجاء هذا الزمان الخطر؟ أنحن هذا الجيل المشرف على هذه المهالك والمخاطر؟ أنتجاهل البراهين الساطعة الموجودة أمامنا ونتجاهل الحقائق الثابتة والحقائق العلمية التي تثبت لنا الوجود الإلهي ونترك ديننا وننساق وراء التيار الذي يعد الالحاد من اكبر اركان المدنية الاوروبية؟.. وان فعلنا ذلك فمن ينقذنا من الهلاك الأبدي؟ أنتجاهل هذا ولانفكر فيه؟ أيمكن لمن يعتقد بانه لايوجد شئ فوق القرآن وفوق الحقائق القرآنية ان يرمي بنفسه الى الهلاك الأبدي خوفاً من عقوبات فانية؟ وهل يمكن ان يهتم ببعض القيم الفانية؟ وهل يتخلى عن وظيفته في ايفاء الخدمة لله ولرسوله ولدينه؟.. هذه هي في الحقيقة العوامل الحقيقية التي تربطنا ببديع الزمان، فهل هناك منبع ديني آخر نزيل به عطش ارواحنا الى حاجتها الازلية؟

يوصينا المدعي العام المحترم بقراءة الكتب العربية والعلمية التي تزخر بها المكتبات والتي لاتتماشى مع روح عصرنا الحالي. وقد لايعجب المدعي العام المحترم – ومن يفكرون مثله – بالخزينة العلمية المتمثلة بمجموعة رسائل النور وبالحقائق العالية

والسامية التي تحويها هذه الرسائل. قد لاتعجبه هذه الرسائل وقد ينتقدها. وهذا شئ راجع اليه وهو حر في ذلك. ولكنه لايستطيع التدخل في حبنا او تفضيلنا لهذا الكتاب او ذاك، فنحن نحب رسائل النور ونرى انها كتاب دين حقيقي لا نفاق فيه وانها تفسير للقرآن الكريم. ان مقاييس التفضيل والترجيح مسألة تقدير وجداني وقلبي لايستطيع احد ان يتدخل فيه. أجل اننا نعتقد بان مؤلف رسائل النور يعطي درس الحقيقة نفسها، وان انكار المدعي العام لهذا وعدم قبوله لايضعف اعتقادنا هذا ولايهزه، ونحن لانتقبل رسائل النور من اجل كرامتها الكونية بل من اجل ظهور الكرامة العلمية الكاملة التي تتحدى الاوساط العلمية في دروس النور. ومع ان تحصيل مؤلفها العلمي لم يتجاوز ثلاثة أشهر. فانه يفيض علماً وينشر هذا العلم، وهو يستخدم في خوارق علمه وفي اكثر المسائل العلمية تعقيداً منطقاً عالياً حير اكبر المفكرين واذهلهم، ويستخدم اسلوباً جذاباً رائعاً ومشوقاً فياضاً بالحرارة نابضاً بالعشق وبالعواطف الجياشة وذلك بلغة تعلمها بعد منتصف عمره، حتى لتبدو كتاباته وكأنها بحر ايمان وخزينة توحيد ومحيط حكمة، فهل تستطيعون أن تدلونا على بديع زمان ثانٍ؟ انتم تستكثرون علينا ان نعد تمثال الفضيلة هذا استاذاً لنا وهو الذي لم يلتفت الى بريق جميع الظواهر الفانية ولم يسمح لنفسه التنزل الى اية منافع مهما كبرت ولا الى الامور التي تلوث الانسان مهما كانت نداءات هذه الامور قوية، ولم ينتظر او يتوسل من احد شيئاً ولم يقبل ما عرض عليه، واعطى افضل مثال للعفة وللنزاهة، وصبر على جميع انواع المكاره والمضايقات ونذر نفسه لاظهار الحقيقة واظهار الانوار القرآنية والمعارف المحمدية.

اما أمام آلام البلد والامة فقد كان قلبه الرحيم يبكي ألماً وشفقة. وعلى الرغم من كل انواع الغدر والاهانة التي تعرض لها فانه لم يتخل عن ايفاء وظيفته لإسعاد من حواليه، فعلى الرغم من شيخوخته ومن بؤسه فانه بذل جهوداً مضنية وناضل بكل قوة في سبيل الله تعالى لانقاذ الناس من غيابة الجهل ومن لجة الالحاد. وفي هذا الوقت الذي ضاعت فيه المقاييس الاخلاقية فاننا نراه – بجانب كرامته العلمية المذكورة اعلاه– مثالاً للتضحية والايثار ومثالاً للاستقامة وللنزاهة وانموذجاً يحتذى للكمال ومحراباً للفضيلة. أترون هذا إفراطاً منا؟

اذن فان هذه هي نظرتنا نحو بديع الزمان ونحو مؤلفاته، فهل ارتباطنا به الناشئ عن ايماننا، وهل اشتراكنا مع آيات القرآن الكريم ومع الاحاديث النبوية الشريفة في تقبيح الكفر والانحدار الاخلاقي يجعلنا ملوثين باوضار السياسة الفانية؟ وهل يمكن اطلاق صفة الإفساد على اعمال اصلاح نفوس بريئة لقسم من ابناء هذا البلد الذين لم تتيسر لهم منذ خمس وعشرين عاماً تعلم حقائق الدين؟ وهل انقاذهم من الهلاك الابدي وابلاغهم عن الله وعن رسوله ﷺ وعن القرآن افساد لهم؟

ايها الحكام المحترمون!

نحن لسنا ارباب السياسة ابداً، لاننا نرى ان السياسة تحمل الاف البلايا والمخاطر والمسؤوليات لامثالنا ممن هم خارج مسلك السياسة. ونحن اصلا لانعير اي اهتمام بالمظاهر الفانية، لاننا لاننظر الى الدنيا الا من وجهها الخيّر المؤدي الى رضى الله، لذا فاننا نعترض بشدة على اتهامنا بالجري وراء السياسة ومعارضة الدولة. ولو كان هذا هو قصدنا وهدفنا اذن لكانت هناك اقل ظاهرة وعلامة على هذا في ظرف هذه السنوات البالغة خمساً وعشرين سنة. اجل نحن نحمل صفة معارضة، ولكنها معارضة ضد السقوط الاخلاقي وضد الالحاد، وهذه المعارضة ناشئة عن اشتراكنا – بالضرورة – مع القرآن الكريم في شدة توبيخه وصرامة بيانه في هذه المواضيع. فاذا لم يكن بياننا للاسباب الموجبة التي شرحناها والنابعة عن الاخلاص وعن النية الصافية وعن الحقيقة كافياً لاقناعكم فاصدروا اي عقاب ترغبون فيه بحقنا، ولكن لاتنسوا ابداً ان سيدنا عيسى (عليه السلام) الذي ينتسب اليه الآن ستمائة مليون نصرانى قد حكم عليه من قبل رجال الحكم في ذلك العهد بالاعدام كأي لص عادي مع ان قلبه كان يخفق لسعادة الانسانية ولتبليغ الامانة الملقاة على عاتقه.

ان كلامنا الحر هذا يدفعكم لاصدار عقوبة ضدنا ولكننا سنستقبل هذه العقوبة وهذا الحكم بكل فخر، وكل ماسنفعله هو ان نرفع يد الضراعة الى قاضي الحاجات هاتفين: ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾

احمد فيضي قول

من ناحية اورتاقلار

الموقوف في سجن افيون

* * *

دفاع جيلان

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

ان مقام الادعاء العام الذي استهول الامر وجعل من الحبة قبة خصني بحصة كبيرة من التهم المزعومة الموجهة الى رسائل النور وقدمني بصورة رجل سياسي خطر ورجل تآمر لانني قمت بخدمة استاذي ورسائل النور، تلك الخدمة التي افتخر بها في الحقيقة، وانا اقول رداً على هذا:

انني على علاقة وثيقة باستاذي بديع الزمان الذي استفدت فائدة كبيرة من قراءة كتبه الدينية والايمانية والاخلاقية الى درجة انني مستعد بتضحية نفسي وحياتي رخيصة في هذه السبيل. ولكن هذه العلاقة لم تكن -كما زعم المدعي العام- علاقة ضارة بالوطن وبالامة، ولاكانت في سبيل تحريض الشعب ضد الدولة، بل هي علاقة وثقى لا تنفصم ابداً لانها من اجل انقاذ انفسنا من الاعدام الابدي للقبر - الذى لايمكن لأحد ان يجد منه مهرباً - وانقاذ ايمان امثالي من اخواني في الدين في هذا الزمن الخطر وتزكية اخلاقهم وجعلهم اعضاءً نافعين لهذا الوطن ولهذه الامة.

انني من القريبين اليه، فقد خدمته على فترات متقطعة اربع سنوات وانا فخور بذلك. وطوال هذه المدة لم اشاهد منه الا الفضيلة الخالصة، ولم اسمع منه كلمة واحدة حول كونه مهدياً او مجدداً. ان مئات الالاف من رسائل النور ومئات الالاف من طلبة النور الذين انقذوا ايمانهم بقراءتها يشهدون على كمال تواضعه. فاستاذي المبارك هذا يرى نفسه طالباً من طلبة النور ويقدم نفسه على هذا الاساس.

من اليسير ملاحظة ومشاهدة ذلك بسهولة من قراءة الرسائل الموجودة بين ايديكم ولاسيما رسالة «الاخلاص» الموجودة ضمن مجموعة «عصا موسى» اذ يقول فيها: «ان الحقائق الباقية هي كالشمس وكالألماس، لا تبنى على الاشخاص ولايمكن لاشخاص فانين ان يتملّكوها» وهو يكرر هذا في كثير من رسائله وخطاباته. وليس من شأن العقل السليم ان يحكم انه يدّعى الفخر والتباهى بنفسه او انه مهدى ومجدد. واذا ما قرأتم الرسائل والمكاتيب بدقة وبانصاف لعلمتم ولتأكدتم انه علاّمة

زمانه هذا الذي قلما يجود الدهر بمثله في العلم بالدين ولم يقابل بنظيره كمنقذ للايمان منذ عصور، فهو ذو عطاء وبركة للوطن والامة تفوق مايقدمه جيش كامل من المنافع وبخاصة في عصر انتقلت الينا الشرارات الحمراء للبلشفية تريد إلتهام بلادنا.

فيا اسفى انني لم احظ بالتتلمذ على يديه وعلى هذه المؤلفات القيمة منذ نعومة اظفاري.

هيئة المحكمة الموقرة!.

لقد شاهدت في نفسي منافع جليلة لاتعد ولاتحصى من قراءة رسائل النور، لذا قمت بطبع رسالة «مرشد الشباب» في مدينة «اسكي شهر» وباذن رسمي، وذلك لكي يستفيد امثالي من ابناء هذا الوطن، اي قمت بخدمة وطنية سامية وانا ارغب أن اسألكم:

لقد قمت وانا الشخص الفقير لرحمة الله تعالى بطبع رسائل النور التي تعد تفسيراً حقيقياً لاتجرح ولا تطعن للقرآن الكريم، اي قمت بخدمة ايمانية. فهل من الحق وهل من العدل ان اقابل مثل هذه المعاملة الخشنة في الوقت الذي كان من المفروض ومن الضروري ان اقابل بالتقدير؟.

انني اطلب من محكمتكم العادلة ان تصدر حكمها باعطاء الحرية لنشر رسائل النور التي هي غذاء ارواحنا وسبب نجاتنا ومفتاح سعادتنا الابدية، واذا كان قسم مما ذكرته وعددته اعلاه يعدّ في نظركم ذنباً او جرماً فانني اود ان ابين لكم بانني ساتقبل بصدر رحب اية عقوبة تصدرونها مهما كانت شديدة.

جيلان چالشقان

من اميرداغ

الموقوف في سجن آفيون

* * *

دفاع مصطفى عثمان(١)

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

رداً على التهمة الموجهه الي حول اشتراكي بفعاليات بديع الزمان سعيد النورسي المزعومة في تشكيل جمعية سرية واستغلال المشاعر الدينية للاخلال بأمن الدولة وقيامه ضد النظام القائم اقول مايلي:

١ـ اجل لقد قمت ـ مثل طلاب النور ـ بالحصول على رسائل النور وقراءتها لكي اتعلم الاخلاق القرآنية التي هي شعار التربية المدنية والدينية اللائقة بالشرف التاريخي لامتنا التركية المسلمة، واحفظ ديني وايماني من تأثير الايديولوجيات الاجنبية واكون عضواً نافعاً لوطني وامتي. لقد حل الفساد والرذيلة محل الاخلاق التي عرف به اجدادنا الذين سجلوا مآثرهم في التاريخ، وبدأ هذا الفساد يستشري وينتشر ويفسد الحياة الاجتماعية الى درجة ان اصحاب الخلق السيئ انفسهم اصبحوا يتقززون من مثل هذا السقوط الاخلاقي المنتشر، الذي اقلق الرأي العام واصبح حديث المجالس في كل بيت وحديث الصحف والمجلات التي تعد لسان الرأي العام والمعبر عنه، ثم ان هذه الاحوال المؤلمة في انتشار سريع وقد أخذ طابع البلاء العام... في مثل هذه المرحلة استطاعت رسائل النور ان تنقذني من السقوط الأخلاقي مثلما أنقذت جميع قرائها المسلمين. لقد اعطيت هذه الرسائل لمن طلبها مني باصرار ـ بعد ان عرف انني قرأتها ـ وذلك لكي يستفيدوا من تهذيبها للاخلاق، وبعملي هذا ساعدت على انقاذ كثير من الافراد الذين كانوا على وشك الانحدار الاخلاقي وعلى وشك ان يكونوا اعضاء مضرين بالوطن والامة. فاستطاعت رسائل النور بتعليماتها وبتلقيناتها انقاذ هؤلاء وجعلهم افراداً مفيدين للبشرية وتحصنهم أمام الوباء الشيوعي الأحمر الذي بدأ ينتشر في بلدنا والذي بدأ العالم يرتجف منه رعباً، اذن فان بديع الزمان يُعدّ مجاهداً معنوياً يستحق التقدير والتبجيل. اما السلاح النوراني والفعال لهذا الجهاد فهو رسائل النور التي استطاعت في ظرف عشرين سنة ان تحوّل عشرين الفاً من الأفراد ـ وربما اكثر ـ الى افراد مفيدين للوطن وللأمة، فكيف يكون حتي

(١) تعرّف على الاستاذ النورسي في قسطموني وتتلمذ عليه ولازمه في السجن، توفي سنة ١٩٩١ عن اربع وثمانين سنة من العمر، رحمه الله رحمة واسعة ـ المترجم.

على قراءة الرسائل ذنباً، وكيف يكون تأليف رسائل النور تهمة في حق مؤلفها؟... اسأل هذا من ضمائركم.

٢- اما ما ادعاه المدعي العام حول كون ذلك الحديث «موضوعاً» فهو حكم غير علمي، لان ذلك الحديث «صحيح» ووارد في كتب الاحاديث وعلماء الحديث يقبلونه. ففي عهد المشروطية- اي قبل عهد الحرية -تقدم اليابانيون والكنيسة الانجليزية الانكليكانية باسئلة الى علماء ذلك العهد، فتقدم علماء استانبول بهذه الاسئلة الى بديع الزمان الذي ادرج تأويل هذا الحديث ضمن الرسالة التى اصبح اسمها الآن «الشعاع الخامس». وان قبول هؤلاء العلماء الاعلام بهذه الأجوبة وعدم اعتراضهم عليها يدل على صحة الحديث.

وليس هذا الجزء فقط من رسائل النور، بل ان جميع الحقائق الواردة فيها وجميع دروسها، قوية جداً بحيث لايستطيع عالم اسلامي حقيقي الاعتراض عليها، لذا نرى ان جميع العلماء الحقيقيين في هذا البلد - ومنذ عهد المشروطية - وعلى رأسهم رئاسة الشؤون الدينية اضطروا الى تقدير هذه الرسائل وتوقيرها. لذا لايمكن ان تُطمس حقائقها وبراهينها القوية من قبل فرد او فردين ممن لانصيب لهم من العلم الحقيقي، ولايملكون من العلم الا اسمه. بل سيكون هذا امراً مضحكاً. ان رسائل النور تقرأ بكل تقدير في جميع ارجاء الوطن ومن قبل كافة طبقات الشعب لانقاذ حياتهم الابدية وايمانهم ولان منافعها المادية والمعنوية ظاهرة وجليلة، لذلك فان آلافاً من المواطنين الذين استفادوا واعجبوا بحقائق القرآن وحقائق الايمان يحملون عاطفة العرفان بالجميل والامتنان العميق لمؤلف هذه الرسائل.. فهل قيام بعض هؤلاء بكتابة رسائل الى المؤلف - انطلاقاً من العرفان بجميله - وفهم الحديث الشريف الذى هو موضوع الاتهام استناداً الى الحقائق التى لايمكن ان ترد، والنظر اليه وكأنه قد تحقق فى هذا الوطن بناء على بعض الافعال والآثار... وبيان تمنياتهم بألاّ يقع وطننا في احضان الفوضى وفي احضان هذا الخطر الأحمر، تعد خيانة للنظام القائم؟ وهل هي نقد للانقلاب؟ ومع ان هذا العالم المبجل دخل عدة محاكم بسبب هذه الافتراءات وصدرت قراراتها بتبرئته، الا انه لايزال متهماً بنفس التهم السابقة ويسجن في سجن انفرادي ويقدم للمحاكمة، مع انه شخص منزوٍ ومتقدم في العمر وشخص وحيد، اما

نحن فقد عدت مساعينا العلمية ومحاولاتنا لانقاذ ايماننا دليلاً على اننا نحاول الاخلال بامن الدولة، ونحن نتساءل من محكمتكم: اي وجدان وضمير عادل يستطيع اصدار مثل هذا القرار؟. ندع ذلك لضمائركم..

٣- ولنأت الى سبب التهمة الاخرى القائلة باننا «نحمل صور بديع الزمان وكأنها صور مقدسة ونجمع خطاباته، ونرسل له الرسائل» لنقول رداً على هذا:

ان من حقي -كاي فرد آخر- ان ابعث له الرسائل وبطاقات التهنئة وان اصادق محبيه وان احمل صورته.. ليس فقط صورته البسيطة، بل لو زينت صورته باطار من الجواهر او الذهب لكان شيئاً زهيداً بجانب ما اسداه اليّ هذا العلامة الكبير من فضل، فقد انقذ حياتي المعنوية والابدية من الاعدام، وجعلني اتذوق السعادة في حياتي المادية، واصبح بمؤلفاته وسيلة لانقاذ إيمان الاف الافراد الآخرين مثلي. هذا من حقي، ولا اظن انه يشكل ذنباً، وفي الختام اقول:

ان رجال الامن في ولايتين وفي اقضية عدة يشهدون بان طلبة النور - الذين انقذوا انفسهم من الاخلاق السفيهة بقراءة رسائل النور وانقذوا غيرهم كذلك - قد خدموا طوال سنين عديدة هذا الوطن وهذه الامة خدمة جليلة لايستطيع ايفاءها الالاف من رجال الامن، لذا فانهم بدلاً من ان يروا التقدير والمديح، فقد اسئ فهمهم وعوملوا وكأنهم عملاء للاجانب، فقد اعتقلنا وقدمنا للمحاكم وتعطلت مصالحنا واشغالنا، وتُركت عوائلنا واطفالنا في وضع بائس، فأية ديمقراطية ترضى لعوائلنا هذا الوضع المفجع ولاطفالنا البكاء، وضمير اي حاكم عادل يرضى بهذا؟.. اسأل هذا من محكمتكم ومن ضمائركم.

لذا فانني اسأل باسم محكمتكم المحترمة وباسم الامة التركية المجيدة وباسم مجلسه العادل الذي تعملون في ظله ان تصدروا قراركم بحرية نشر رسائل النور التي لايمكن ابداً انكار فوائدها ومنافعها الجمة وان تصدروا قراركم ايضاً ببرائتنا.

مصطفى عثمان

من صفرانبولو

الموقوف في سجن أفيون

* * *

دفاع حفظي بيرام[١]

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى

ان التهم الموجهة الي هي قيامي بقراءة مؤلفات العالم الاسلامي بديع الزمان المتهم باستغلال المشاعر الدينية للاخلال بأمن الدولة، علماً بان هذه المؤلفات قيمة وذات نفع كبير للامة وللبلد. وهي تعطي دروساً مفيدة جداً عن الحقائق القرآنية والايمانية. وكذلك قيامي باعطاء بعض هذه المؤلفات الى عدد من اصدقائي - نزولاً عند طلبهم - بعد ان اكتشفت مدى استفادتي منها من الناحية الدينية والاخلاقية، وذلك اتباعاً لشعارنا في السعي لنيل الثواب والأجر بنشر هذه التربية الدينية والاخلاقية، وكذلك قيام بعض معارفي بارسال رسائل صداقة او رسائل علمية الى عنواني. هذه هي المعاذير التي تم الاستناد اليها لجعلي في الذنب مع الموما اليه.

انني اعترض على ايراد هذه المسائل كسبب للاتهام:

١- انني لا اعتقد ان قيامي بقراءة رسائل النور بقصد التعلم وللحفاظ على ديني وايماني، ولاقيامي باعطاء هذه الرسائل الى بعضهم بقصد التعلم ذنباً او جريمة، ذلك لان هذه الرسائل مرت من محاكم عديدة وبرئت من قبلها وأعيدت الى مؤلفها، وهي رسائل حازت على تقدير وعلماء البلدان الاسلامية وعلماء بلادنا، وهي لاتحتوي على افكار فاسدة كما زعم المدعي العام، فكل رسالة من هذه الرسائل تفسير مهم للقرآن الكريم من بدايتها وحتى نهايتها، وهي تدعو الناس الى السمو الخلقي والى الفضيلة وتعطي دروساً اسلامية وتربية دينية بشكل مؤثر فتكون سبباً لحفظ الامم من السقوط في الهاوية، لذا فهي ليست كتباً مفيدة لهذه الامة ولهذا البلد وحده، بل هي ايضاً مفيدة للانسانية جميعها من الناحية المعنوية. ذلك لانه ما من احد سجل حادثة ضارة للوطن او للامة او ضد ادارة الدولة اشترك فيها طالب من طلاب النور في اي مكان ابداً، ولم يسجل رجال الامن والشرطة اية حادثة من هذا

---

(١) وهو الذى وهب ابنه «حسنى» منذ صباه ليخدم ويتتلمذ عليه فكان مثالاً للوفاء والاخلاص.. - المترجم.

القبيل ضدهم. ثم لاتوجد هناك جمعية سرية لكي تكون قراءة رسائل النور قراءة سرية، ذلك لان طلاب النور لاعلاقة لهم باية جمعية، علمية كانت ام سياسية. ظاهرة كانت ام سرية، حتى ان بديع الزمان ومعه العديد من طلاب النور قدموا الى محكمة الجنايات الكبرى في «دنيزلي» قبل عدة سنوات وبنفس هذه التهم، وقامت المحكمة ببحث دقيق وتحقيق عميق ثم اضطرت الى اصدار قرارها بتبرئة الجميع وتبرئة رسائل النور كذلك.

ولا ادري كيف تعد قراءة مؤلفات مؤلف صدر القرار بتبرئته وتبرئة كتبه. . كيف يعد ذلك دليلاً على جرم كبير مثل جرم الاخلال بامن الدولة والسعي ضد النظام القائم، وكيف تكون سبباً للاتهام؟ وماهي درجة العدالة في هذا الأمر؟ أحيل هذا السؤل الى ضمائركم.

٢- ثم هناك رسالة اخرى ارسلت الي وانا في السجن من قضاء «بايزيد» من شخص لا اعرفه، واصبحت هذه الرسالة سبباً لاتهامي. انني لم ار هذه الرسالة، ولا ادري محتوياتها، فان كانت احدى رسائل النور فاني اقبل بها. اسألوا عنها لكي اجيبكم عن اتهامي هذا. وقد ورد في كلمة المدعي العام شئ حول المهدوية. ولم اسمع هذا الا منه. اما استاذي فهو برئ من هذه الادعاءات. فهذا الأمر لم يرد لافي حديثه ولا في رسائله، وقد اعتاد في كل مناسبة التنبيه على طلابه بضرورة ابتعادهم عن تعظيمه او ابداء احترام مفرط او اعطاء رتبة عالية له. ونحن على يقين بانه افضل علماء عصره وانه برئ من حب الشهرة ومن حب الجاه، فهو عالم أصيل.

السجين

حفظي بيرام

* * *

دفاع مصطفى آجت(١)

الى محكمة آفيون الكبرى للجنايات:

اجيب عن الاتهام الموهوم الذي اتهم به الادعاء العام استاذي بديع الزمان:

ان خدماتي لإستاذي ولرسائل النور ليست الاّ قطرة من بحر اللطف والاحسان الذي قوبلتُ به. فأنا لست نادماً قطعاً بهذا الانتساب. فكما يُضحّى بقطع زجاجية في سبيل كسب خزينة الالماس الثمينة جداً . فإنني مستعد في كل وقت لأضحي بحياتي في سبيل رسائل النور التي هي وسيلة لانقاذ حياتي الابدية. فلقد تحققت منافع اخروية ودنيوية لرسائل النور، لذا فان التخلي عن تلك المنافع الجليلة وابداء الفتور تجاه رسائل النور وإستاذي المحترم، لئلا يصيب الحياة الدنيوية المضطربة القصيرة ضرر من سجن تافه ومضايقات لا تلبث ان تزول.. انني اعدّ هذا التخلي اهانة عظيمة لاستاذي علاّمة الزمان، ولغايته الوحيدة الجليلة التي هي خدمة الايمان والقرآن. فانا لا اريد قطعاً ان اخالف اوامره ولا ان احيد عن إذنه.

هيئة الحكام المحترمين!

لِمَ تستهولون كوني طالباً – مع فقري – لعالم عظيم يجاهد البلشفية التي تحاول بث سمومها في وطننا العزيز. ان هذا بلا شك يثبت ان الثروة التي يمتلكها النور تفوق كثيراً ثروة الدنيا باسرها، فاطلقوا يد أستاذي ورسائل النور كي ينقذ ملايين الشباب من الامة التركية، ليصبحوا ابناء نافعين للبلاد.

نعم ان حاجتنا نحن شباب الامة التركية الى رسائل النور اكثر بكثير من حاجة المختنق الى الهواء العليل، ومن حاجة من يعيش في الظلام الدامس الى النور الواضح، ومن حاجة الجائع العطشان التائه في الصحراء الى الماء السلسبيل والغذاء النافع، بل من حاجة الغريق الى النجاة.

---

(١) (١٩٢٤ – ١٩٩٢) من «امير داغ» التابعة لـ «آفيون» سجن سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٦١ لنشاطه في خدمة النور، عمل مدة طويلة خطاطاً في ديوان رئاسة الشؤون الدينية.– المترجم.

انه لا يتلاءم مع شرف العدالة اهدار وافناء حياة بديع الزمان الذي كسب حسن ظننا المفرط وتوجهنا نحوه وارتباطنا الوثيق به، وإفناء ضعفاء اصبحوا طلاباً له بنية خالصة.

الموقوف في السجن
مصطفى آجت من اميرداغ

* * *

دفاع خليل چاليشقان(١)

الى محكمة «افيون» للجنايات الكبرى:

هيئة المحكمة الموقرة!

في لائحة الاتهام التي قدمها المدعي العام عدّ خدمتي لاستاذي كذنب كبير اقترفته. ان استاذي الذي قدم الى بلدتنا ضيفاً سنة ١٩٤٤م وهو مقيم فيها منذ اربع سنوات.. ان استاذي هذا قد ترك ومنذ اربعين سنة كل لذائذ الحياة ومتاعها وراحتها ونذر نفسه لخدمة الايمان والاسلام، ولاسيما لانقاذ السعادة الابدية للمسلمين في وطننا، ولوضع سد امام الافكار الضارة لدين هذه الامة التركية المسلمة كالافكار البلشفية التي لها اضرار مادية ومعنوية بليغة والافكار الضارة الاخرى للوطن وللامة وذلك بوساطة الدروس الايمانية والاخلاقية لرسائل النور التي اعترف بفضلها جميع العلماء. فهل قيامي - وانا فخور بذلك - بخدمة استاذي بين حين وآخر طوال ثلاث سنوات يعد ذنباً؟ ثم انهم يرون ان تركي لمهنتي كخياط في سبيل هذه الخدمة ذنباً كذلك. ولئن ضحيت بحياتي في سبيل استاذي وفي سبيل رسائل النور - التي ارشدتنا الى الحق والى الحقيقة والتي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم - فهل أعدّ مذنباً وخائناً للوطن؟... أسأل هذا منكم.

(١) عائلة چالشقان قدمت خدمات جليلة لرسائل النور، ولازموا خدمة الاستاذ النورسي عند اقامته الجبرية في اميرداغ ومنهم خليل چاليشقان ووالده «عثمان» من السابقين في خدمة النور. توفي سنة ١٩٦٥ عن خمس وثلاثين من العمر. رحمة الله رحمة واسعة المترجم.

رئيس المحكمة الموقر!

لقد قرأت بعض رسائل النور واستنسخت بعضها. وبدأت بحمد الله تعالى حمداً كبيراً بالاستفادة من هذه الرسائل، اذ كان قلبي منذ البداية متعلقاً تعلقاً كبيراً بالعلم ومشتاقاً له. ومع انني مرتبط بهذه الرسائل عن قرب الا انني لم اجد فيها لاتحريضاً للشعب ضد الحكومة ولادعوة لتأسيس جمعية سرية تقوم باخلال الأمن ولم اسمع من استاذي اي شئ حول دعوى المهدوية او دعوى التجديد ولا اي تحريض ضد الامن. ان الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة لرسائل النور ولاستاذنا ولنا نحن طلبة النور هي ايفاء خدمة مقدسة للاسلام ولاسيما ايفاء خدمة مقدسة للامة التركية المسلمة من ناحية الايمان والاخلاق. لذا فمن الضروري ومن الواجب عدم التعرض لرسائل النور ولطلابها من جراء خدماتهم هذه. هذا هو هدفنا، وهذه هي غايتنا وليس شيئاً آخر، وان ايفاءنا هذه الوظائف هو في سبيل الحصول على رضى الله تعالى. ومن الطبيعي اننا لايمكن ان نؤدي هذه المهمة المقدسة في سبيل الدنيا وفي سبيل متاعها ومنافعها، ولانتنزل اصلاً لهذا. ان طلبة النور الطاهرين لايشغل قلوبهم اهداف وغايات دنيوية، لان قلوبهم مشغولة بالايمان وبامور الآخرة، لذا فانه لم يخطر ببالنا ابداً ما أتهمنا به المدعي العام من القيام بتشكيل جمعية سرية، ولانتحمل مثل هذا الاتهام.

هيئة المحكمة الموقرة!

اننا نعتقد بانكم اقتنعتم بماهية اهدافنا وغايتنا نحن طلاب النور واقتنعتم بعدم وجود اية علاقة لنا بالتهم التي اوردها المدعي العام، لذا فاننا نطلب من محكمتكم الموقرة ومن ضمائركم ان تعيدوا لنا كتبنا وتسمحوا بكونها حرة وتصدروا قراركم ببراءتنا.

خليل جالشقان

من اميرداغ

الموقوف في سجن افيون

* * *

دفاع مصطفى گول[١]

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

انني لست عضواً في جمعية سرية، كما ان استاذي بديع الزمان لم يشكل مثل هذه الجمعية، اذ قام على الدوام باعطائنا دروساً حول الحقائق القرآنية وحظر علينا وبشدة ان تكون لنا اية علاقة بالسياسة. انني فقط طالب للاستاذ الكبير سعيد النورسي، وانا متعلق به وبرسائل النور من اعماق قلبي وروحي وانا مستعد لاية عقوبة في سبيل رسائل النور وفي سبيل استاذي. لقد انقذ استاذي برسائل النور ايماني وحياتي الاخروية، فغايته تنحصر في انقاذ جميع المسلمين وجميع مواطنينا من الالحاد لكي ينالوا السعادة الابدية. لقد ظهر بوضوح في جميع المحاكم بانه لاتوجد لنا اية علاقة باي هدف سياسي، ومع ان هذه هي الحقيقة فلا نزال نقدم للمحاكم من دون سبب ومن دون وجه حق، ، ونحن نفهم من هذا انهم يريدون تحطيم وحدتنا وتساندنا، مع ان تساندنا وتعاوننا لا يهدف اية غاية دنيوية او سياسية. وكل ما في الأمر اننا نوقر استاذنا توقيراً كبيراً، لان كل من يقرأ رسائل النور يكتسب ايماناً قوياً واسلاماً قوياً وخلقاً وكمالاً عاليين.

ونحن لانملك الا ان نكنّ لاستاذنا حباً شديداً، وانا مرتبط بمثل هذا الاستاذ وبمثل طلاب رسائل النور هؤلاء بكل جوارحي، ولايمكن لهذا الارتباط ان ينفصم او ينقطع وان شنقت. اننا مع جميع اخواني ابرياء، ونحن نطالب وبكل قوتنا بحرية رسائل النور، وانا اطالب بتبرئة استاذنا الكبير وتبرئة اخواني الابرياء من طلبة النور وتبرئتي كذلك.

مصطفى گول

من اسپارطه

* * *

[١] هو من الكتاب الاوائل لرسائل النور ومن مواليد قرية «ساو» التابعة لولاية «اسپارطة» ولد سنة ١٨٩٩، تعرّف بالاستاذ النورسي سنة ١٩٤٢. انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٨٥. ـ المترجم.

دفاع ابراهيم فاقازلي (١)

الى محكمة «آفيون» للجنايات الكبرى:

ايها الحكام المحترمون!

ان التهمة الموجهة الينا باطلة اولاً، وتتعلق بالدنيا، فهي سياسية. ولاشك انكم — ايها الحكام المحترمون — قد عرفتم من نظرتكم الاولى لنا باننا لسنا من الذين يعملون في ميدان السياسة، ولو قام المئات من ذوي الصلاحية بتوكيد هذه التهمة السمجة والغريبة عنا، ولو كان عقلي اكبر بمئات المرات من عقلي الحالي لكان التأثير المعنوي الذي تركته لدي رسائل النور ومؤلفه الموقر كافياً لي لكي اهجر لذة السياسة الموقتة والفانية واهرب بكل كياني ووجودي الى الطريق المؤدي الى الآخرة والى الطريق المؤدي الى النجاة من جهنم. ان علاقتنا سواءٌ أكانت مع مؤلف رسائل النور المبجل واحترامنا له او قراءتنا لرسائل النور واستنساخها او علاقتنا وارتباطنا مع طلاب النور. هذه العلاقات كلها علاقات اخروية، وقد أقرت محكمة «دنيزلي» للجنايات الكبرى ومحكمة التمييز العليا هذا الأمر وصادقت عليه. وان الافكار التي استلهمناها من رسائل النور تدعونا بالاّ نفرط في هذه العلاقة النورانية وألاّ نستبدلها باي عرض دنيوي ومادي. وسيبقى ايماننا هذا معنا حتى آخر لحظة من اعمارنا.

هيئة المحكمة الموقرة!

ما دمنا قد جُمعنا ها هنا بسبب هذه التهمة المذهلة، فانني ارى ان ضميري وحبي لبلدي يحتمان علي ان ابين لكم هذه الحقيقة المهمة. لقد شاهدت في اوساطنا وفي البيئة التي اعيش فيها مدى الاصلاحات الكبيرة التي انجزتها رسائل النور، وشاهد الناس هذا كذلك، ففي اثناء ما يزيد عن عشر سنوات عرف العديد من الافراد — وانا منهم — الطريق الى بيوتهم والاهتمام بعوائلهم، وتركوا الأمور الشائنة وعرفوا طعم السعادة العائلية. وآباء هؤلاء وامهاتهم يرفعون الآن ايديهم بالدعاء لمن كان السبب

---

(١) من مواليد سنة ١٩١٠ في ناحية «اينو بولو». زار الاستاذ في «قسطموني» سنة ١٩٤١ خدم الايمان عن طريق رسائل النور ومازال على عهده في جهاده الايماني — المترجم.

لمثل هذا التحول، وتستطيعون ان تسمعوا المزيد حول هذا الامر من اهالي ولايتنا وما يجاورها. وعندما دخلت رسائل النور الى سجن « دنيزلي » كان تأثيرها في المسجونين ايجابياً جداً، ولايزال هذا التأثير الايجابي احاديث الناس. وكذلك عندما دخلت الى سجن « افيون » رأيت كل سجين اتحدث معه يدعو لطلاب النور بالخير ويذكر لي الفرق الكبير بين احوالهم السابقة واحوالهم الحالية. . هذه حقائق ملموسة وموجودة امام جميع الانظار. والحقيقة انني استغرب جداً كيف يمكن ان يقال انني اشتغل في ساحة السياسة لمجرد انني قمت بارسال خطابات محبة الى مؤلف رسائل النور المحترم؟ هذه الرسائل التي كانت مفيدة لي ولجميع ابناء جنسي من الناحية الاخلاقية والاجتماعية ومن ناحية الحياة الاخروية لكونها تفسيراً حقيقياً للقرآن الكريم، او لانني قمت بارسال رسائل محبة إسلامية ورسائل سلوان الى بعض مواطني!... وانا اقول وسط هذه الدهشة والاستغراب بانه لايمكن ان يكون هذا العمل موضع تهمة او ذنب. والاحتمال الوارد هنا هو ان اعداء القرآن الكريم – وبالتالي رسائل النور– المتخفين هم الذين نفثوا الاوهام والظنون والخوف منا، في نفوس موظفي جهاز العدل وجهاز الامن لكي يلقوا بنا في غياهب السجون، ولكن سيعرف الحكام المحترمون هذه الحقائق دون شك وسيضعون ايديهم على ضمائرهم لكي يصدروا قراراتهم العادلة التي له ثواب كبير عند الله تعالى.

وسيجعلون الامة التركية المسلمة التي تنتظر هذه القرارات بكل اهتمام في جميع ارجاء هذا الوطن. . ممتنة وشاكرة لهم.

ابراهيم فاقازلي

الموقوف في سجن افيون

❊ ❊ ❊

الشعاع الخامس عشر

الحجة الزهراء

«عبارة عن مقامين»

يبدو هذا الدرس ظاهراً رسالة صغيرة، الآّ انها في الحقيقة رسالة عظيمة وقوية وواسعة جداً. وهي فاكهة ايمانية وثمرة قرآنية فردوسية أينعت من حياتي التفكرية ومن اتحاد علم اليقين وعين اليقين في حياة النور المعنوية التحقيقية.

سعيد النورسي

المقام الاول

« على ثلاثة اقسام »

القسم الاول

من الدرس الذي اُلقي في المدرسة اليوسفية الثالثة. وهو خلاصة الخلاصة للمكتوب العشرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ان الذي قضى خمساً وثلاثين سنة معتزلاً الناس، وودّع الدنيا ونسيها، ولاسيما في الليالي، حتى استوحش من الناس، لكثرة ماعانى من المراقبة المستديمة والترصد الدائم لأعماله ترصداً ينطوي على حقد وضغينة وسوء طوية، طوال ثلاثٍ وعشرين سنة، حتى اصبح يتضايق من ان يقضي ساعة من وقته مع أحدٍ من الناس وفي مكان واحد، سوى من يشتاق الى رسائل النور ومَن يقوم بمعاونته.. اقول: لقد نقلوا هذا الضعيف – انا العاجز – الى الزنزانة الخامسة كرهاً، حيث الازدحام على أشده. ومنعوا اخوتي من التردد اليّ، بحجة رفعي دعوىً الى محكمة التمييز حول وضعي في السجن المنفرد احد عشر شهراً.

فحينما كنت مضطرباً وقلقاً على عدم تحمل العيش في هذا الازدحام الكثيف، اذا بالجو يبرد برداً شديداً – علامة على الغضب – بحيث لو كنت في مكاني السابق لما تحملته قطعاً. فانقلب لي العُسر يسراً، ونزلت بي تلك الشدة رحمة منه تعالى. فخطر للقلب:

على الرغم من قيام طلاب النور باداء وظيفتهم – ونيابة عنك – في تبليغ حقائق رسائل النور بجد واخلاص، في كل ردهة من ردهات السجن، فان هذه الردهة الخامسة الشبيهة بموضع إنزواء الزاهدين يتجدد دائماً ويتبدل، فهي اذن احوج ماتكون الى دروس النور.

وكذا الشباب والشيوخ لاشك أنهم بأمس الحاجة الى دروس يقينية وراسخة في اثبات وجوده تعالى واثبات وحدانيته سبحانه. حيث يقرأون ماتكتبه الصحف من هجوم الروس على الايمان بهجمات الالحاد الرهيبة، وانكار الخالق العظيم.

فالذي ورد الى القلب اثناء الاذكار عقب الصلاة هو هذا. وذكرت بدوري التهليل الذي اذكره منذ السابق عقب صلاة الفجر عشر مرات، وهو:

(لا اله الاّ الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير واليه المصير.)[١]

هذا التهليل العظيم والتوحيد الجليل الذي يحمل الاسم الاعظم – حسب رواية – قد فصّله (المكتوب العشرون) العظيم تفصيلاً واضحاً ساطعاً كالشمس، وذلك في احدى عشرة كلمة من كلماته في احد عشر برهان من براهين وجوب وجوده تعالى ووحدانية ربوبيته وأورد احدى عشرة بشارة من البشارات السارة.

نعم، كنت اكرر هذه الجملة المقدسة بتدبر عميق مع التفكر في خلاصة موجزة للمكتوب العشرين، فخطر للقلب فجأة: إلق هذه الخلاصة الموجزة درساً للعالم الفاضل « نادر » ومن يقيم هنا من الشباب. وانا بدوري قلت: بسم الله.. وبدأت بإلقاء الدرس:

---

(١) « كان ﷺ يقول في دُبر كل صلاة مكتوبة [حين يسلم]: لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد (يحيي ويميت، وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير). « ثلاث مرات » اللهم لامانع لما اعطيت ولامعطي لما منعت ولاينفع ذا الجدّ منك الجدّ. / صحيح: انظر تفصيل التخريج وعزو هذه الزيادات في الاحاديث الصحيحة (١٩٦) – الاحاديث التي هي خارج الاقواس موجودة في البخاري ومسلم. والزيادة الاولى المحصورة بين القوسين لأحمد وابي داود، والثانية للطبراني والثالثة للنسائي وابي خزيمة. أقول: وهذا الحديث الذي أورده الاستاذ النورسي من العجائب، اذ عندما تتبعت احاديث الورد في الصباح والمساء وبعد الصلاة وجدتها تختلف بالسياق. وجمع الزيادات بهذه الطريقة صعبة للغاية تحتاج الى مصادر واسعة وطول باع في الحديث، فياترى ما تفسير ايراد الاستاذ لهذا النص وبتلك الزيادات دونما رجوع او توفر مصادر كالتي يمتلكها المحدّثون.. ان التفسير الوحيد هو: إكرام إلهي.

ان في هذا الكلام التوحيدي احدى عشرة بشارة، واحدى عشرة حجة ايمانية. سأشير الى الحجج وحدها باشارة قصيرة جداً محيلاً ايضاحاتها وبشاراتها الى «المكتوب العشرين» والى اجزاء رسائل النور.

وعندما كتبت هذا الدرس، رأيت من الانسب ايضاً ادراج ما لم افصح عنه للمسجونين من كلمات ونكات فيه.

وهكذا، فالكلمات الاحدى عشرة من ذلك الكلام التوحيدي هي الآتية:

الكلمة الاولى: «لا اله الاّ الله»

ان الحجة الايمانية في هذه الكلمة هي رسالة «الآية الكبرى» تلك الرسالة الخارقة التي لانظير لها.

فقد أدت الى نيل طلاب النور بالبراءة من المحكمة، وظهورهم في سجن «دنيزلي» وانتصارهم في كل من محاكم «انقرة ودنيزلي» وانتشارها بالخفاء انتشاراً مؤثراً. مثلما اصبح طبعها سراً سبباً لاعتقال طلابها تسعة اشهر.

نعم ان شعاع «الآية الكبرى» اظهر ثلاثاً وثلاثين اجماعاً عظيماً وحججاً كلية في الكون كله، مع اشارته في كل حجة كلية الى براهين غير محدودة تثبت وجود واجب الوجود، ووحدانيته اثباتاً ساطعاً واضحاً وضوح النهار. فيستنطق السموات بكلمات النجوم في المقدمة ثم الارض بجمل الحيوانات والنباتات وهكذا حتى يستنطق الكون كله بكلمات حقائق الحدوث والامكان والتغيّر..

فعلى الذين يطلبون ايماناً راسخاً لايتزعزع والباحثين عن سيف لاينثلم تجاه الفوضى الملحد ان يراجعوا رسالة «الآية الكبرى».

الكلمة الثانية: «وحده»

والاشارة الوجيزة الى الحجة التي فيها هي:

ان في كل جهة من جهات هذا الكون وفي كل ناحية من نواحيه تشاهد وحدةً واضحة:

فمثلاً: الكون كله اشبه مايكون بمدينة عامرة، وقصر شامخ وكتاب بليغ مجسم، بحيث أن كل آية فيه، بل كل حرف من حروفه، بل كل نقطة من نقاطه في حكم معجزة وقرآن مجسّد.

نعم فكما يبين هذا وحدةً واضحة في الكون، فان مصباح ذلك القصر مصباح واحد، وقنديله الذي يبين الاوقات واحد ايضاً، وطبّاخه المالك للنار.. واحد. وساقيه بالماء.. واحد، وهكذا واحد.. واحد.. واحد. حتى يبلغ الألف وواحد من الواحد والوحدة.

وبإظهار الكون هذه الوحدة في كل شئ، يثبت أن صاحب ذلك القصر وتلك المدينة وذلك الكتاب، ذلك القرآن الكبير المجسم، وكاتبه ومصنّفه، موجود وواحد أحد.

الكلمة الثالثة: «لاشريك له»

والاشارة المختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي:

الآية الجليلة: ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً** ﴾(الاسراء: ٤٢) التي هي منبع شعاع «الآية الكبرى» واستاذه، واساسه.

نعم لو كان معه آلهة ولها مداخلة في الخلق والايجاد والربوبية لفسد نظام الكون كله واختل. بينما يشاهد أكمل نظام وادقه في كل شئ ابتداءاً من جناح ذبابة صغيرة، ومن بؤبؤ عينها ومن حجيرتها الصغيرة وانتهاء الى الطائرات الجوية، تلك هي الطيور التي لاتعد ولاتحصى، والى المنظومة الشمسية، ففي كل شئ في الوجود يُرى أكمل نظام سواءً أكان جزئياً أم كلياً، صغيراً ام كبيراً. مما يثبت هذا النظام الاكمل اثباتاً لا يحتمل الشك ان الشرك محال وجوده، وانه معدوم اصلاً، ويثبت ايضا إثباتا واضحاً وجود واجب الوجود ووحدته.

الكلمة الرابعة: «له الملك»

واشارة قصيرة جداً الى ما فيها من حجة طويلة هي:

اننا نشاهد بأبصارنا أن وراء حجاب الغيب من هو متصرف بالامور مالك لقدرة مطلقة لايحدها حد ويملك من العلم مالايحده حدود، اذ جعل وجه الارض مزرعة واسعة سعة الارض كلها، ينثر فيها كل ربيع بذوراً تزيد على مائة الف نوع من النباتات، ينثرها جميعاً معاً ومختلطاً بعضها ببعض، ثم يجني محاصيلها جنياً متمايزاً دون اختلاط ولا التباس مع انتظام كامل، ويوزع بيد الرحمة والحكمة على مائتي الف نوع من الحيوانات مايلائمهم من رزق معين على حسب حاجتهم. وهكذا يصرّف الامور على سعة ملكه الواسع الفسيح، الغني المعطاء. ولاسيما مزرعة الارض.

فالذي لايؤمن بهذا المتصرف الحكيم والملك الرحيم يضطر الى انكار هذه الارض مع محاصيلها ويكون كالسوفسطائيين الحمقى.

الكلمة الخامسة : وهي « وله الحمد »

ان إشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة واسعة جداً هي :

اننا نشاهد بابصارنا وندرك بعقولنا ادراكاً لحد البداهة : ان رزاقاً رحيماً ومحسناً كريماً يتصرف ويدبر امور مدينة الكون ويرعى شؤون حي الارض، ويربي معسكر الانسان والحيوان، حتى انه حوّل الارض الى سفينة تجارية، والى قطار لجلب الارزاق ، ليبعث على الشكر والحمد بما يغدق من نعمه التي لاتعد ولاتحصى جاعلاً من الربيع المبسوط على وجه الارض ما هو بمثابة عربة القطار، المشحونة بمائة الف نوع ونوع من انواع الاطعمة ، وملأ الاثداء الشبيهة بالمعلبات باللبن السائغ لإمداد ذوى الحياة المعوزين الذين نفدت ارزاقهم نهاية الشتاء. فمن يملك ذرة من عقل يؤمن بلاشك أن هذا الأمر انما هو من افعال رزاق رحيم. ومن لايؤمن بهذا و يضل ضلالاً بعيداً يضطر الى انكار جميع النعم المنضودة والارزاق المعينة الباعثة على الحمد والشكر، وليس هو الاّ احمق حيوان مضر.

الكلمة السادسة : وهي « يحي ».

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي :

ما اثبت في « الكلمة العاشرة » وفي اجزاء رسائل النور بالبراهين القوية انه :

يبعث على سطح الارض في كل ربيع جيش سبحاني ضخم مؤلف من ثلاثمائة الف نوع من انواع ذوى الحياة وبما لايحد من الافراد في اشكال متنوعة وانماط مختلفة. فتوهب لها الحياة، ويجهز بكل ما يلزم الحياة وبانتظام كامل، مما يبين لنا مائة الف نموذج من نماذج الحشر الاعظم، بل من اماراته.. فالذي يحي كل تلك المخلوقات المتنوعة غير المحدودة معاً، وهي مختلطة ومكتنفة ومتشابكة بعضها في بعض، بلا سهو ولاخطأ ولانقص، ومن دون تحيّر، ويميّزها برغم اختلاطها وامتزاجها، وبلا نسيان لأحد منها، ويهب لها الحياة بكمال الميزان والنظام ويبعثها من نطفها التي هي قطرات ماء متماثلة، ومن نواها المتشابهة، ومن حبيبات لايتميز بعضها عن بعض الاّ قليلاً، ومن بويضات الحشرات التي هي عين الاخرى ومن نطف الطيور، ومن بويضاتها التي هي عين بعضها او بفروق طفيفة، فالذي يحيي تلك المئات من الالوف من ذوى الحياة التي تضم افراداً لاتعد ولاتحصى، المتباينة صورة، وصنعة ومعيشة، ويبعث تلك المئات من الالوف من الاحياء. ويكتب مائة الف كتاب مختلف بعضها عن بعض على صحيفة الارض والربيع، يكتبها معاً ومتداخلاً وبلا خطأ كتابة في اتم اتقان، ويتصرف فيها بعناية لا حدّ لها ويعمل فيها بحكمة لا منتهى لها.. نعم.. ان الذي يفعل هذا انما هو الخلاق العليم وهو المحيي والحي القيوم.. فمن لا يعتقد بهذا لاشك انه مضطر الى انكار نفسه وانكار جميع الاحياء المنتشرة على الارض كافة والمعلقة على شريط الزمان في جميع مواسم الربيع الماضية والموجودة على وجوه الارض الحية والفضاء الحية.. وما هو الاّ احمق الاحياء واشقاهم.

الكلمة السابعة : وهي « ويميت »

ان اشارة في منتهى الاختصار الى حججها هي :

اننا نشاهد عندما تسرّح ثلاثمائة الف نوع من الاحياء من وظائفها باسم الموت في الخريف، فان كل نوع وكل فرد يودع بذورها الى يد الحكمة للحفيظ الجليل ، تلك

البذور التي هي عليبات صحائف اعماله، وفهارس افعاله، وقوائم ما سيعمله في الربيع المقبل، وهي شبيهة بروحه الباقية من جهة – كبذيرات التين المتناهية في الصغر التي تحمل جميع قوانين الحياة لشجرتها، فهي بمثابة روح باقية لها – فيكتب فيها الخلاق الحكيم، الحي الذي لايموت، بقلم القدر – كالكتابة في القوة الحافظة – تأريخ حياة الشجرة وكأنها كتاب ضخم.. فمن لايؤمن بهذا الخلاق الحكيم الحي الذي لايموت ليس هو انسان احمق وحيوان فاقد الشعور وحده بل هو كذلك اشقى من شيطان يضرم به نار جهنم ومحكوم عليه بالموت الابدي.

نعم، ان هذه الافعال المذكورة والتي تشير الى حجج هذه الكلمات، وهي افعال حكيمة كلية محيطة وفي منتهى الاعجاز وتضم ما لا يتناهى من المعجزات والخوارق.. هذه الافعال لا يمكن ان تكون بلا فاعل قطعاً، بل ذلك محال بمائة محال، وباطل اطلاقاً، فاسنادها الى الاسباب العمياء الصماء العاجزة الفاقدة للشعور، الجامدة المختلطة المستولية غير المنتظمة، ممتنع بالف مرة ومرة ولا أساس له قطعاً.

فلو فوضت تلك الافعال الحكيمة الى غيرالفاعل الحكيم للزم وجود قدرة مطلقة وحكمة مطلقة واتقان بديع كلى تخص تشكل جميع الاعشاب والازاهير في كل ذرة من ذرات التراب.. ويلزم وجود قابلية فهم وإفهام اقوال ومكالمات وكلمات جميع الهواتف والراديوات في كل ذرة من ذرات الهواء. كما ذكر في نكتة توحيدية في لفظ «هو» في «مرشد الشباب».

وهذا المفهوم الغريب العجيب لا يسع اى شيطان كان ان يقنع به احداً قط، فالكفر والانكار الذي هو خارج عن نطاق العقل الى هذا الحد وبعيد كل البعد عن الحقيقة وهو اهانة للكائنات كلها وتعدّ على حقوقها.. لاجزاء له الاّ النار، وهو عين العدالة. فينبغي القول :«لتعش جهنم لمثل هؤلاء المنكرين».

الكلمة الثامنة : «وهو حي لايموت »

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي:

ان الشميسات المشاهدة مثلاً اثناء النهار على حباب وجه البحر وعلى سطح النهر الجاري، تختفى بذهاب تلك الحباب، فتظهر التي تعقبها الشميسات نفسها

كسابقاتها، فتشير بهذا الى الشمس التي في السماء وتشهد عليها. وتدل بزوالها ووفاتها على وجود شمس دائمية وعلى بقائها.

كذلك المخلوقات على وجه بحر الكون المتبدل دوماً وفي فضائه المتجدد الذي لايحد، وفي مزرعة ذراته، هذه المخلوقات تسيل سراعاً وباستمرار في نهر الزمان الذي يتموج محتضناً جميع الحوادث والموجودات الفانية، وتموت مع اسبابها الظاهرية. فيذوق كونٌ الموتَ كل سنة ،وكل يوم، ويحل آخر جديد محله، وتموت دنىً سيارة باستمرار وعوالم سيالة في مزرعة الذرات بعد اخذ المحاصيل منها .

فكما تبين الحباب والشميسات بزوالها الشمس الدائمة ، فان وفاة تلك المخلوقات غير المحدودة وزوال تلك المحاصيل، وتسريحها مع اسبابها الظاهرية تسريحاً بكمال الانتظام تدل دلالة قاطعة كالنهار الابلج والشمس في وضح النهار على وجوب وجود الحى الذي لايموت، على الشمس السرمدية، على الخلاق الباقي، على الآمر الاقدس، وعلى وحدانيته جل وعلا وعلى وجوده، دلالة ظاهرة أظهر من وجود الكائنات نفسها بألف مرة.. والشاهد على هذا كل موجود بحد ذاته وكل الموجودات معاً.

فلاشك ان قد ادركتم مدى حماقة وصمم وجناية من لايسمع هذه الاصوات العالية التي تملأ فضاء الكون كله وهذه الشهادات القاطعة الصادقة.

الكلمة التاسعة : وهي « بيده الخير »

ان اشارة في منتهى الاختصار الى ما فيها من حجة هي :

اننا نشاهد في كل دائرة من دوائر هذا الكون وفي كل نوع من انواعه وفي كل طبقة من طبقاته حتى في كل فرد من افراده ، بل في كل عضو من اعضائه ، بل حتى في كل حجيرة من حجيرات جسمه، مخزناً احتياطياً ومستودعاً لإدخار الرزق، ومزرعة وخزينة تهيئ ما يلزمه ويقيه ، وتسلم – ما فيها – يدٌ غيبية الى يد ذلك المخلوق في أنسب وقت ومن حيث لايحتسب بل بشكل خارج عن طوقه وارادته، ضمن انتظام تام على وفق ميزان دقيق، ويتم ذلك كله في منتهى الحكمة وغاية

العناية.. فالجبال مثلاً تدخر كل ما يلزم الاحياء والانسان من معادن وادوية وكل ما يلزم متطلبات الحياة. فهي خزائن ملئت في غاية الكمال بأمر الواحد الاحد وبتدبيره. مثلما الارض مزرعة وبيدر ومطبخ تهيئ ارزاق جميع الاحياء وبكمال الانتظام والميزان وذلك بقوة الرزاق الحكيم، بل ان في كل انسان، وفي كل عضو من اعضائه مخزناً ومستودعاً للإدخار، بل حتى في كل حجيرة من حجيرات الجسم ايضاً مخزن صغير يناسبه لخزن الاحتياطي من الارزاق.. وهكذا في كل موجود مخزن؛ حتى ان مخزن الاخرة هو دار الدنيا، ومزرعة الجنة ومستودعها هو عالم الاسلام وعالم الانسانية الحقة، الذي تنبعث منه الحسنات والحسن والانوار. ومخزن من مخازن جهنم هو المواد الفاسدة والطوائف الملوثة التي تنتج حناظل الشرور والقبح والكفر، تلك الشرور الناتجة من العدم والملوثة لعوالم الوجود التي هي الخير. ومخزن حرارة النجوم وموردها جهنم، وخزينة انوارها ومصدرها الجنة..

وهكذا فان كلمة « بيده الخير» باشارتها الى جميع تلك الخزائن غير المحدودة تبين حجة ساطعة جداً.

نعم، ان هذه الكلمة، وكذا عبارة: « بيده مقاليد كل شئ » حجتان للربوبية والوحدانية لا منتهى لسعتهما، وهما ذات خوارق ومعجزات لاحدود لها، تبينها هاتان الجملتان لمن لم يطمس على عينه.

فانظر مثلاً من تلك الخزائن والمقاليد غير المحدودة الى هذه فحسب :

ان المدبر الحكيم المالك لمفاتيح البذور والنوى، تلك المخازن الصغيرة التي يضم كل منها اجهزة منهاج مقدرات شجرة ضخمة او زهرة فوّاحة، كما يوقظ بواب بذرة بأمره «أفق» بمفتاح الارادة، وبميزان نظام تام، كذلك يفتح خزينة الارض الهائلة بمفتاح الغيث، فيفتح جميع المخازن الصغيرة أي الحبيبات التي هي نطف النباتات وجميع مبادئ الحيوانات، والقطرات التي هي نطف الطيور والحشرات المتشكلة من هواء وماء، يفتحها جميعاً ومعاً وبلاخطأ وذلك بتلقيها أمر الإنفتاح والانكشاف.. ويفتح سبحانه في الوقت نفسه جميع خزائن الكون الكلية والجزئية، المادية والمعنوية، بمفتاح خاص لكل منها بيد الحكمة والارادة والرحمة والمشيئة.

فان كنت تريد ان تعرف هذا وتراه فانظر الى مخازنك الصغيرة وهي قلبك ودماغك وجسدك ومعدتك. وانظر الى حديقتك والى الربيع الذي هو زهرة الارض والى ازاهيره وثمراته، فانه سبحانه يفتحها بيد غيبية بمفاتيح متباينة متنوعة آتية من مصنع «كن فيكون» يفتحها بكمال النظام والميزان والرحمة والحكمة، فيخرج رطلاً بل مائة رطل من المطعومات احياناً من درهم من عليبات صغيرة، يخرجها بكمال الانتظام والميزان مقيماً بها ضيافة فاخرة لذوي الحياة.

فهل من الممكن ان تتدخل قوة عمياء وطبيعة صماء ومصادفة عشواء واسباب جامدة جاهلة عاجزة في فعلٍ لانهاية له يؤدّى الى هذه الدرجة من الانتظام والعلم والبصيرة، وفي صنعة دقيقة ذات حكمة تامة لا تدنو منها المصادفة قطعاً، وفي تصرف موزون لاخطأ فيه اطلاقاً، وفي ربوبية جليلة عادلةٍ عدالةً تامة لاظلم فيها اصلاً ؟

وهل يمكن لمن لايرى الاشياء كافة في آن واحد ولايستطيع ادارتها كلها دفعة واحدة، ولايجعل الذرات والنجوم السيارة معاً تحت أمره ان يتدخل في هذه الادارة وتصريف الامور التي جوانبها كلها ذات حكمة ومعجزة وميزان؟.

وهكذا فمن لايؤمن بمثل هذا المتصرف للامور ، المدبر الرحيم، والرب الحكيم، والذي بيده الخير، وله مقاليد كل شئ، ويضل ضلالاً بعيداً ، ليس له الاّ النار التي تستعر وتغضب حتى ﴿ **تكاد تميز من الغيظ** ﴾(الملك: ٨) كما قال تعالى. فتقول جهنم بلسان حالها: انه يستحق عذابى الخالد فليس هو اهل للرحمة.

الكلمة العاشرة : وهي «وهو على كل شئ قدير»

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي:

ان كل ذي شعور يأتي الى هذه الدنيا المضيف، ويفتح عينه يرى:

قدرة تمسك الكون كله في قبضتها، وتضم علماً ازلياً مطلقاً لايضل ولاينسى وحكمة سرمدية لاعبث فيها اطلاقاً وتشمل عناية بالغة، بحيث تجعل كل فرد من افراد جيش الذرات منجذباً جذبة مولوية، فتستخدمها في وظائف شتى، وتجرى في

اللحظة نفسها الكرة الارضية في دائرة واسعة تبلغ مسافتها اربعة وعشرين الف سنة في سنة واحدة وتديرها كالعاشق المولوى المجذوب بالقانون نفسه.

واذ هي تجلب محاصيل المواسم الى الحيوانات والانسان، تجعل بالقانون نفسه في اللحظة نفسها الشمس مكوكاً ودولاباً وتديرها في مركزها دوران منجذب عاشق ايضاً مسخرة النجوم السيارة التي هي افراد جيش المنظومة الشمسية في خدمات ووظائف جليلة بكمال الميزان والانتظام.

وان القدرة نفسها تكتب بقانون الحكمة نفسها في اللحظة نفسها مئات الالوف من الانواع على صحيفة الارض كافة، والتي كل منها بمثابة مئات الالوف من الكتب، تكتبها معاً ومتداخلة، وبلا التباس ولاسهو، مظهرة بها الوف نماذج الحشر الاعظم.

وان القدرة نفسها، في اللحظة نفسها تحول صحيفة الهواء الى لوحة محو وإثبات، جاعلة من ذراتها كلها كأنها نهايات قلم ذلك الكتاب ونقاطه، مستعملة اياها في وظائف كثيرة ضمن ما يعيّنه الامر والارادة الإلهية، حتى انها اعطت قابلية الى كل من تلك الذرات لتتلقى الكلمات والمكالمات كلها كأنها تعلم بها وتنشرها بلاخطأ ولاحيرة كأنها أذينات صغيرة ولُسينات دقيقة. مما يثبت ان عنصر الهواء عرش للأمر والارادة الإلهية.

وهكذا فقياساً على هذه الاشارة المختصرة:

فالذي جعل هذا الكون في حكم مدينة منسقة، وقصر عامر، ومضيف فاخر وكتاب معجز، وقران مبين، ويمسك في قبضة قدرته بميزان العلم ونظام الحكمة جميع طبقات المخلوقات ودوائرها وطوائفها ابتداءً من ذرة من ذراتها وانتهاءً الى مجموع الكون كله، ويدبّر شؤونه ويتصرف فيه ويظهر ضمن تلك القدرة الجليلة، حكمته البالغة ورحمته الواسعة ويُعلم ضمن ربوبيته المطلقة ويعرّف بها وجوده ووحدانيته، تعريفاً ظاهراً كالشمس في رابعة النهار. فيطلب ازاء تعريفه، التعرف اليه بالايمان، وإزاء تودده ودّه بالعبادة، وازاء آلائه شكره وحمده.

فالذين لايعرفون هذا الرحمن الرحيم ولايسعون بالعبودية لحبّه، بل يضلون الى الانكار فيضمرون نوعاً من العداء تجاهه.. هؤلاء ليسوا الآ شياطين في صور أناسي، وفي حكم نماردة صغار وفراعنة صُغر. ولاشك أنهم يستحقون عذاباً خالداً لانهاية له.

الكلمة الحادية عشرة : وهي « واليه المصير »

اي: ان المصير الى دائرة حضوره، والى عالمه الباقي، والى دار آخرته، والى منزل سعادته السرمدية، كما انه مرجع جميع مخلوقات الكون فتستند اليه وترجع الى قدرته جميع سلسلة الاسباب، علماً ان الاسباب ستائر وضعت امام تصرفات تلك القدرة، لأجل الحفاظ على هيبتها وعزتها المقدسة. فجميع الاسباب الظاهرية ستائر لا تأثير لها في الايجاد قطعاً. فلولا امره جل وعلا وارادته لايقدر شئ – حتى الذرة – من الحركة.

نشير اشارة مختصرة الى ما في هذه الكلمة من حجة فنقول:

اولاً : ان حقيقة الحشر والآخرة والحياة الباقية التي تعبّر عنها هذه الكلمة المقدسة نحيل اثباتها والتصديق بها الى « الكلمة العاشرة » وذيولها والى الكلمة التاسعة والعشرين التي تثبت تحققها القاطع كتحقق الربيع المقبل، والى المسألة السابعة من رسالة الثمرة، والى شعاع المناجاة، والى الاجزاء الايمانية لرسائل النور.

حقاً ان تلك الرسائل قد اثبتت هذا الركن الايماني بحجج لا منتهى لها، بان تحقق الآخرة ثابت بدرجة تحقق وجود الدنيا بحيث تلجئ حتى اعتى المنكرين الى التصديق به.

ثانياً : ان ثلث القرآن المبين يبحث في الآخرة والحشر، ويبني كل الدعاوى على تلك الحقيقة. لهذا فكما أن جميع معجزات القران وحججه التي تثبت أحقيته تدل على وجود الآخرة. كذلك جميع معجزات الرسول ﷺ الشاهدة على صدق نبوته

وجميع دلائل نبوته وجميع حجج صدقه تشهد على الآخرة والحشر؛ لان اعظم ما دعا اليه ذلك النبي الكريم ﷺ طوال حياته كلها هو الآخرة، كما ان مائة واربعة وعشرين الف من الانبياء الكرام عليهم السلام قد دعوا جميعهم الى الحياة الباقية والسعادة الابدية وبشروا البشرية بها واثبتوا صدق دعواهم بما لايحد من المعجزات والدلائل القاطعة.

فلاشك ان جميع معجزاتهم وحججهم الدالة على نبوتهم وعلى صدقهم في دعواهم تشهد ايضاً على الاخرة والحياة الباقية التي هي اعظم وادوم دعواهم.

فقياساً على هذا فان جميع الادلة التي تثبت سائر الاركان الايمانية تشهد بدورها على حدوث الاخرة وعلى انفتاح ابواب دار السعادة الخالدة.

ثالثاً : ان خالق هذا الكون الذى خلقه بجميع ذراته وسياراته وأجزائه وطبقاته مقلداً كلاً منها بوظيفة بل وظائف كثيرة بكمال الحكمة ومسخراً لها باستمرار اظهاراً لكماله وقدرته وربوبيته. والذي يرسل طوائف المخلوقات قافلة اثر قافلة بل يرسل دنىً متعاقبة متجدّدة سيالة الى مضيف هذا العالم والى ميدان امتحان هذه الحياة الدنيوية ليظهر تجليات غير محدودة لاسمائه الحسنى السرمدية وليلتقط صور تلك المخلوقات واعمالها واوضاعها بكامرات برزخية وسينمات اخروية منصوبة في عالم المثال. ومن بعد تسريحها يرسل طوائف اخرى قافلة اثر قافلة، بل يرسل نوعاً من دنى سيارة وسيالة الى ذلك الميدان، لاجل ان تتسنم وظائف جليلة وتصبح مرايا لتجليات اسمائه الحسنى.

فهل من الممكن لهذا الخالق الجميل، الصانع الجليل،الله ذي الكمال، الاّ يجعل دار ثواب وجزاء؟ والاّ يقيم الحشر والنشور لنوع الانسان الذي يقابل بالشعور والعقل في هذه الدنيا الفانية جميع مقاصد ذلك الخالق الكريم، والذي يحبّ ذلك الخالق ويحببه بجميع استعداداته، والذي يعرفه ويعرّفه، ويتوسل اليه بادعية لاحد لها لبلوغ السعادة الابدية والبقاء الاخروى، والذي يسأل الحياة الباقية التي هي اللذة بعينها يسألها بجميع فطرته وروحه واستعداده لما يتألم آلاماً لاحد لها بالعقل الذي يحمله.

فهل يمكن الا يكون لهذا الانسان ثواب وعقاب؟ حاش لله والف مرة كلاّ..

ان تفاصيل وايضاح هذه الاشارة المختصرة موجودة باسطع صورها واقوى حججها في رسائل النور؛ لذا نحيل اليها ونختصر هذه المسألة الطويلة جداً .

﴿ سبحانك لا علم لنا الاّ ما علّمتنا انك انت العليم الحكيم ﴾

* * *

خلاصة مختصرة لسورة «الفاتحة»

القسم الثانى

من درس واحد فقط القي في المدرسة اليوسفية الثالثة في فترة قصيرة جداً اثناء نقلي من التجريد والسجن الانفرادي الى الردهة العامة ومعاشرة الاخرين.

نموذج لدرس قصير جداً القي على طلاب النور في السجن

لقد أمرت «الفاتحة» التي في الصلاة، القلبَ لبيان قطرة من بحرها ولمعة من فيوضات الالوان السبعة لشمسها. ولقد كتبنا نكات لطيفة في غاية الطيب والجمال لهذه الخزينة القرآنية السامية في كل من المكتوب التاسع والعشرين – في قسم منه – وبخاصة في السياحة الخيالية في «ن» نعبد وفي رسالة «الرموز الثمانية» وفي تفسير «اشارات الاعجاز» وفي سائر اجزاء رسائل النور. الاّ اننى اضطررت – من جهة – الى كتابة تفكري في الصلاة لإشارات تلك الخلاصة القرآنية الطيبة الى اركان الايمان وحججه فقط ولخلاصتها التي هي في منتهى الاختصار كالقسم الأول.

أبدأ بـ «الحمدالله» محيلاً «بسم الله الرحمن الرحيم» الى عدد من رسائل النور.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمدُلله رَبِّ العَالَمِينَ ۝ الرّحمن الرّحيم ۝ مَالك يَوم الدِّين ۝ إياكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعينُ ۝ إهدنا الصِرَاطَ المُسْتَقيمَ ۝ صِراطَ الّذينَ انعَمْتَ عليهم غَيرِ المغضُوبِ عَليهم ولاالضّآلين ﴾ آمين

الكلمة الاولى : وهي ﴿ الحمدلله ﴾

ان اشارة في منتهى الاختصار الى حجتها الايمانية هي :

ان مبعث الحمد والشكر في الكون؛ هو الآلاء والنعم التي تغدق قصداً ولاسيما إرسال اللبن الخالص السائغ للشاربين من بين فرث ودم للصغار والاطفال العاجزين، والاحسانات والهدايا الاختيارية، والاكرامات والضيافات الرحيمة التي غطت سطح الارض برمته، بل غمرت الكون كله، وان ما يقدم لها من اثمان وقدر لقيمتها هي قول: «بسم الله» بدءاً ثم «الحمدلله» ختاماً؛ وبينهما الاحساس بالانعام من خلال النعمة نفسها ثم البلوغ منه الى معرفة الرب الجليل. فانظر الى نفسك بالذات والى معدتك والى حواسك ؛ كم هي محتاجة الى أمور كثيرة ونعم وفيرة! وكم تطلب الارزاق واللذائذ والاذواق بأثمان الحمد والشكر! ابصر هذا وقس على نفسك كل ذي حياة.

وهكذا فإن الحمد غير المتناهي المنطلق بألسنة الاحوال والاقوال؛ إزاء هذه الآلاء الشاملة؛ يبين كالشمس الساطعة ربوبية عامة وموجودية معبود محمود ومنعم رحيم.

الكلمة الثانية : وهي ﴿ رب العالمين ﴾

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي :

إننا نشاهد بأبصارنا ان في هذا الكون الوف العوالم والاكوان الصغيرة، بل ملايين منها، واغلبها متداخل بعضها في البعض؛ وبرغم ان ادارة كل منها؛ وشرائط تدبير شؤونها متباينة، فانها تدار في منتهى التربية والتدبير والادارة، فالكون كله صحيفة مبسوطة امام نظره جل وعلا في كل آن، وجميع العوالم تكتب كسطر بقلم قدرته وقدره، وتُجدد وتغير. فتنبعث شهادات كلية وجزئية وبعدد الذرات والموجودات الحاصلة من تركبها، وفي كل لحظة وآن، على وجوب وجود ووحدانية رب العالمين الذي يدير هذه الملايين من العوالم والكائنات السيالة بربوبية مطلقة ذات علم وحكمة لانهاية لهما وذات عناية ورحمة وسعتا كل شئ.

ان من لايصدق بربوبية جليلة تربي وتدبر الامور؛ إبتداءً من مزرعة الذرات الى المنظومة الشمسية والى دائرة درب التبانة؛ ومن حجيرة في الجسم الى مخزن الارض والى الكون كله، تربيها وتدبر شؤونها بالقانون نفسه وبالربوبية نفسها وبالحكمة عينها، ولايستشعر بها ولايدركها ولايشاهدها، يجعل نفسه بلاشك أهلاً لعذاب خالد ويسلب عنه الاشفاق والرحمة عليه.

الكلمة الثالثة: وهي ﴿الرحمن الرحيم﴾

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي:

انه يشاهد بوضوح ضوء الشمس وجود الرحمة غير المتناهية في الكون وحقيقتها. فهذه الرحمة الواسعة تشهد شهادة قاطعة – كشهادة الضياء على الشمس – على رحمن رحيم محتجب بستار الغيب.

نعم، ان قسماً مهماً من الرحمة هو الرزق، حيث يعطى معنى الرزاق لإسم الله «الرحمن». والرزق نفسه يدل على الرزاق الرحيم دلالة واضحة الى درجة تجعل من له ذرة من شعور مضطراً الى التصديق والايمان.

فمثلاً: أنه سبحانه يهئ ارزاق جميع ذوي الحياة، ولاسيما للعاجزين وبخاصة للصغار، وهم منتشرون على الارض كافة والفضاء كله، يهيؤها لهم بصورة خارقة وهي خارج نطاق اختيارهم واقتدارهم، من غير شئ، من نوى متماثلة، من قطرات ماء، من حبات تراب. حتى انه يسخر للفراخ الضعاف العاجزة عن الطيران والجاثمة في اوكارها على قمم الاشجار، امهاتها وكأنها جندية متأهبة لتلقي الاوامر، فتجول الخضار وتجوب السواقي لجلب الارزاق اليها. بل يسخر اللبوة الجائعة لشبلها، فتطعمه مما حصلت عليه من لحم دون ان تأكل. ويرسل من بين فرث ملوث ودم احمر لبناً سائغاً للشاربين، الى صغار الحيوانات والانسان، يرسله من ينابيع الأثداء، بلا إختلاط ولا إمتزاج ولاتلوث، جاعلاً شفقة والداتهم معينة لهم.

وكما انه يُهرع الارزاق الملائمة الى جميع الاشجار المحتاجة الى نوع من الرزق بصورة خارقة، يُنعم على مشاعر الانسان التي تطلب نوعاً من ارزاق مادية ومعنوية؛

ويُحسن الى عقله وقلبه وروحه مائدة واسعة جداً للأرزاق. حتى كأن الكائنات مئات الالوف من موائد النعم المتداخلة ومئات الالوف من سفرات الأطعمة المتباينة، مكتنف بعضها ببعض كأوراق الزهرة وكأغلفة العرانيس، غلافاً داخل غلاف. فتدل لمن لم يطمس على عينه على الرحمن الرزاق والرحيم الكريم بألسنة بعدد تلك السفرات المبسوطة وبمقدار ما عليها من أطعمة، ألسنة متباينة متغايرة كلية وجزئية.

○ واذا قيل: ان ما في هذه الدنيا من المصائب والقبائح والشرور تنافي تلك الرحمة التي وسعت كل شئ؛ وتعكّر صفوها!.

الجواب: لقد أوفت جواب هذا السؤال الرهيب أجزاء رسائل النور؛ ولاسيما رسالة القدر. نحيل إليها مشيرين اشارة قصيرة اليه:

ان لكل عنصر ولكل نوع ولكل موجود؛ وظائف متعددة كلية وجزئية؛ ولكل من تلك الوظائف نتائج كثيرة وثمرات وفيرة. والأكثرية المطلقة منها هي نتائج جميلة ومصالح نافعة وخيرات ورحمات. وقسم قليل منها يصبح شراً وقبحاً جزئياً وظاهرياً وظلماً إزاء فاقدي القابلية والمباشرين به خطأً، او المستحقين للجزاء والتأديب، او لما يكون وسيلة لإثمار خيرات كثيرة. فلو منعت الرحمة ذلك العنصر وذلك الموجود الكلي عن القيام بتلك الوظيفة للحيلولة دون مجئ ذلك الشر الجزئي، لما حصلت إذاً جميع نتائجها الخيرة الجميلة الاخرى. فتحصل من الشرور والقبائح بعدد تلك النتائج، حيث ان عدم الخيرِ شرٌ، وإفساد الجمال قبحٌ. بمعنى ان مئات الشرور والمظالم تقترف للحيلولة دون مجئ شر واحد، وهذا مناف كلياً للحكمة والمصلحة والرحمة التي تتسم بها الربوبية.

مثال ذلك: ان الثلج والبرد والنار والمطر وماشابهها من الانواع ينطوي كل منها على مئات من الحكم والمصالح، فاذا ما قام احد المهملين بسوء اختياره بإرتكاب شر بحق نفسه كأن ادخل يده في النار ثم قال: ليس في خلق النار رحمة. فان فوائدالنار الخيرة الرحيمة النافعة وهي لاتعد ولاتحصى تكذبه في قوله وتصفعه على فمه.

ثم ان اهواء الانسان ومشاعره السفلية التي لا ترى العقبى؛ لا تكون قطعاً مقياساً ومحكاً وميزاناً لقوانين الرحمانية والحاكمية والربوبية الجارية في الكون؛ اذ يرى

الوجود من خلال تلك المشاعر حسب الوان مرآته. فالقلب المظلم الخالي من الرحمة يرى الكائنات باكية قبيحة تتمزق بين مخالب الظلم وتتقلب في خضم الظلمات. بينما لو ابصرها ببصر الايمان يجدها على صورة انسان كبير متسربل بسبعين الف حلة قشيبة مخيطة بالرحمات والخيرات والحكم، بعضها فوق بعض كأنها حورية من الجنة لبست سبعين حلّة من حللها. ويجدها باسمة دوما بالرحمة ضاحكة مستبشرة. ويشاهد نوع الإنسان الذي فيه كوناً مصغراً، وكل انسان عالماً اصغر، فيقول من اعماق قلبه وروحه: ﴿ **الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞ مالك يوم الدين** ﴾.

الكلمة الرابعة : وهي ﴿ مالك يوم الدين ﴾

ان اشارة مختصرة جداً الى ما فيها من حجة هي :

اولاً : ان جميع الدلائل المشيرة على الحشر والآخرة والشاهدة على حجة « وإليه المصير » في ختام القسم الاول من هذا الدرس، تشهد كذلك على الحقيقة الايمانية الواسعة التي تشير اليها « مالك يوم الدين ».

ثانياً : كما ان ربوبية صانع هذا الكون ورحمته الواسعة وحكمته السرمدية، وكذا جماله وجلاله وكماله الازلي الابدي، وكذا صفاته الجليلة المطلقة ومئات من اسمائه الحسنى، تستدعي كلها الآخرة قطعاً – كما قيل في ختام الكلمة العاشرة – كذلك القرآن الكريم بالوف من آياته وبراهينه.. وكذا الرسول الكريم محمد ﷺ بمئات من معجزاته وحججه.. وكذا جميع الانبياء والمرسلين عليهم السلام.. وكذا الكتب السماوية والصحف المقدسة بدلائلها غير المحدودة، تشهد جميعاً على الآخرة.

وبعد، فمن لايؤمن بالحياة الباقية في الدار الآخرة انما يقذف نفسه في جهنم معنوية ينشؤها الكفر، فيقاسي العذاب دوماً، ولمّا يزل في الدنيا، حيث تنزل الازمنة الماضية جميعها والمستقبلة والمخلوقات والكائنات بزوالها وفراقها مطر السوء على روحه وقلبه فتذيقه آلاماً لاحد لها واعذبة كعذاب جهنم قبل ان يدخلها في الاخرة. كما وضح ذلك في رسالة « مرشد الشباب ».

ثالثاً : نشير برمز « يوم الدين» الى حجة عظيمة وقوية للحشر. ولكن حالة فجائية معينة سببت في تأخير تلك الحجة الى وقت آخر. وربما لم تبق حاجة اليها بعد؛ لأن رسائل النور قد اثبتت بمئات الحجج القوية القاطعة ان مجيء صبح الحشر وحلول ربيع النشور يقين كمجيء النهار عقب الليل ومجيء الربيع عقب الشتاء.

الكلمة الخامسة: وهي ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ .

قبل الاشارة الى ما فيها من حجة ورد الى القلب بيان سياحة خيالية ذات حقيقة بياناً موجزاً بناءً على إيضاح «المكتوب التاسع والعشرين» لها، وهي كالآتي:

بينما كنت أبحث عن معجزات القرآن، كما هو مبين في رسائل النور، ولاسيما في تفسير «إشارات الإعجاز» وفي رسالة «الرموز الثمانية». وحينما وجدت بضع معجزات حول الإخبار الغيبي في آية الختام لسورة الفتح؛ والمعجزة التاريخية في الآية الكريمة ﴿**اليوم ننجيك ببدنك**﴾(يونس: ٩٢) بل وجدت لمعات إعجاز متعددة في كثير من كلمات القرآن ونكات إعجازية دقيقة في بعض حروفه.. في هذه الأثناء وانا اقرأ سورة الفاتحة في الصلاة ورد الى قلبي سؤال؛ ليعلمني معجزة من معجزات « ن » التي في « نعبد. ونستعين».

والسؤال هو: لِمَ قال: «نعبد ..نستعين» بنون المتكلم مع الغير، ولم يقل «أعبد.. أستعين»؟

وعلى حين غرة فُتح امام خيالي ميدان سياحة واسعة من باب تلك الـ« ن ». فعلمت بدرجة الشهود السر العظيم في صلاة الجماعة، وشاهدت منافعها الجليلة وعلمت يقيناً ان هذا الحرف الواحد معجزة بذاتها، وذلك :

عندما كنت أصلى في ذلك الوقت في جامع «بايزيد» واثناء قولي: «إياك نعبد وإياك نستعين» رأيت ان جماعة ذلك الجامع يؤيدون دعواي هذه بقولهم مثل ما أقول؛ ويشاركونني مشاركة تامة في دعواي هذه وفي دعائي الذي في «إهدنا» مصدّقين إياي.. في هذا الوقت بالذات رفع ستار من امام خيالي فرأيت كأن مساجد استانبول كلها قد تحولت الى مسجد «بايزيد» كبير وجميع المصلين فيها

يقولون مثلي: «إياك نعبد وإياك نستعين » مصدقين دعواي ومؤمّنين لدعائي. ومن خلال إتخاذهم صورة شفعاء لي، رفع ستار آخر امام خيالي، فرأيت ان العالم الاسلامي قد أتخذ صورة مسجد عظيم جداً واخذت مكة المكرمة والكعبة المشرّفة بمثابة محراب ذلك المسجد العظيم وقد يمّم جميع المصلين الصافين المتراصين وجوههم بشكل حلقات شطر ذلك المحراب المقدس وهم يقولون مثلي: «إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا..» وكل منهم يصدق الكل ويدعو بإسمهم، جاعلا جميع المصلين شفعاء له.

وحينما كنت أفكر أن طريقاً يسلكها جماعة عظيمة الى هذا الحد لاتكون طريقاً عوجاً قطعاً ولاتكون دعواها إلا صواباً، ولايُردُّ دعاءها بل تطرد شبهات الشيطان.. وإذ أنا أصدق منافع الصلاة العظيمة في جماعة تصديقاً شهودياً، رفع ستار آخر، ورأيت :

كأن الكون مسجد كبير وجميع طوائف المخلوقات منهمكة في صلاة جماعية كبرى، كل قد علم صلاته وتسبيحه، يؤدى نوعاً من صلاة خاصة به بلسان الحال. ايفاءً لعبودية واسعة عظيمة جداً إزاء ربوبية المعبود الجليل المحيطة. فيصدق كل منهم شهادة الجميع على التوحيد بحيث يحصل كل منهم على اثبات النتيجة نفسها. وإذ كنت اشاهد هذه الامور، رفع ستار آخر، ورأيت :

كما ان الكون الذي هو انسان كبير يقول بلسان الحال وبلسان الاستعداد والحاجة الفطرية لكثير من اجزائه، وبلسان المقال لذوي الشعور من موجوداته: «إياك نعبد وإياك نستعين» مظهرين عبوديّتهم لخالقهم ازاء ربوبيته الرحيمة، كذلك جسدى، هذا الكون الصغير، كجسد كل مصلٍّ معي في تلك الجماعة العظمى يقول بذراته وبقواه وبمشاعره ايضاً : «إياك نعبد وإياك نستعين» بلسان الطاعة والحاجة، ازاء ربوبية خالقه، منقاداً للأمر الآلهى مستسلماً لارادته سبحانه، ورأيت ان تلك الجماعة من الذرات والقوى والمشاعر تعرض في كل آن حاجتها الى عناية خالقها الجليل وتبسطها امام رحمته واعانته. وشاهدت باعجاب السر الرفيع للجماعة في الصلاة، وأبصرت المعجزة الجميلة لـ« ن » نعبد. واستودعت تلك السياحة الخيالية لدى باب « ن » الذي دخلتها منه. وحمدتُ الله قائلاً: الحمد لله. وسعيت لاقول «إياك نعبد وإياك نستعين» بلسان تلك الجماعات الثلاث، اولئك الاصدقاء الكبار والصغار.

والآن انتهت المقدمة، ونرجع الى صدد البحث. وهو اشارة مختصرة الى الحجة التى تشير اليها «إياك نعبد وإياك نستعين».

أولاً: إننا نشاهد بأبصارنا فعالية وخلاقية مهيبتين دائمتين وفي أتم أنتظام وانسجام تجريان في الكون باسره ولاسيما على سطح الارض. ونشاهد ربوبية مطلقة رحيمة مدبّرة ضمن هذه الفعالية والخلاقية تستجيب لاستعانات واستغاثات تنطلق مما لايحد من ذوي الحياة غير المحدودة واستمداداتها ودعواتها الفعلية والحالية والقولية استجابة تتسم بكمال الحكمة ومنتهى العناية. ونرى تجليات الوهية مطلقة ومعبودية عامة ضمن هذه الربوبيته وضمن مظاهر استجابة كل كائن حي على حدة استجابة فعلية لمقابلة الوف الانماط من العبادات الفطرية والاختيارية التي تؤديها جميع المخلوقات ولاسيما ذوي الحياة وبخاصة طوائف الانسان، يراها العقل السليم ويبصرها الايمان. كما تخبر عنها جميع الكتب السماوية والانبياء الكرام عليهم السلام.

ثانياً: ان انشغال كل جماعة من الجماعات الثلاث المذكورة في المقدمة، بما ترمز اليها «ن» نعبد؛ انشغالها جميعاً ومعاً بعبادات فطرية واختيارية وباشكال مختلفة تدل بالبداهة على أنها مقابلةٌ شاكرة ازاء ألوهية معبودة وشهادات قاطعة لاحد لها على وجود المعبود المقدس.

وان لكل جماعة من الجماعات الثلاث المذكورة ولكل طائفة من طوائفها، ولكل فرد من افرادها ابتداءً من مجموع الكون كله الى جماعة ذرات جسد واحد، إستعانة فعلية وحالية، ولكل منها دعاء خاص بها كما يرمز الى ذلك «ن» نستعين. فالسعي لإعانة كل منها واغاثتها واستجابة دعائها، شهادة صادقة لاتقبل الشبهة قطعاً على مدبّر رؤوف رحيم.

فمثلاً: مثلما ذكرت «الكلمة الثالثة والعشرون»: ان استجابة الانواع الثلاثة للادعية التي تدعو بها جميع المخلوقات على الارض كافةً، استجابة خارقة جداً ومن حيث لايحتسب، تشهد شهادة قاطعة على ربّ رحيم مجيب...

نعم، كما اننا نشاهد بابصارنا استجابة دعاء كل نواة وكل بذرة تسأل خالقها بلسان الاستعداد لتصبح شجرة وسنبلة. كذلك نشاهد ارسال الارزاق الى جميع

الحيوانات بما تقصر ايديها عنها، واعطائها ما يلزم حياتها، واستجابة مطاليبها التي هي خارجة عن طوقها؛ والتي تسألها من واحد احد بلسان الحاجة الفطرية .

فهذه الاستجابات والامدادات تشهد شهادة صادقة على خالق كريم يستجيب لجميع تلك الادعية المنطلقة بلسان الحاجة الفطرية، كما نشاهدها بأم أعيننا؛ ويدفع مخلوقات عجيبة لاشعور لها لإمداد تلك الحيوانات في انسب وقت و في اتم حكمة.

وهكذا فقياساً على هذين القسمين؛ فإن استجابة جميع انواع الادعية التي تُسأل بلسان المقال؛ ولاسيما ادعية الانبياء عليهم السلام والخواص، استجابة خارقة، تشهد على حجة الوحدانية التي في «إياك نستعين».

الكلمة السادسة: وهي ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾.

ان اشارة في منتهى الاختصار الى حجتها هي :

كما ان اقصر الطرق المؤدية من مكان الى آخر هي الطريق المستقيم، وان اقصر الخطوط الممتدة بين نقطة واخرى بعيدة عنها هو الخط المستقيم؛ كذلك ان اصوب طريق في المعنويات وفي الطرق المعنوية وفي المسالك القلبية واكثرها استقامة هي اقصرها وايسرها. فمثلاً: ان جميع الموازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور بين طريق الايمان والكفر تبين بياناً قاطعاً ان طريق الايمان والتوحيد اقصر الطرق واصوبها وايسرها واكثرها استقامة، بينما طرق الكفر والانكار طويلة جداً وذات مشكلات ومخاطر. فلاشك ان هذا الكون الذي يساق في طريق ذات استقامة وحكمة وهي اقصر الطرق واسهلها في كل شئ، لايمكن ان تكون فيه حقيقةالشرك والكفر. بينما حقائق الايمان والتوحيد واجبة وضرورية في هذا الكون ضرورة الشمس فيه.

وكذا فان ايسر الطرق في الاخلاق الانسانية وانفعها واقصرها واسلمها هي في الصراط المستقيم وفي الاستقامة.

فمثلاً: اذا فقدت القوة العقلية الحد الوسط، وهو الحكمة والاستقامة، التي هي سهلة نافعة، تهوى بالافراط والتفريط في خبٍ مضر وبلاهةً ذات بلية، فتعاني المهالك في طرقها الطويلة. وان لم تسلك القوة الغضبية طريق الشجاعة التي هي حد الاستقامة، هوت بالافراط في تهور وتجبّر ذي اضرار بالغة وظلم شنيع، وبالتفريط الى كثير من التخوف والتجبن المذلّ المؤلم، فتعاني عذاباً وجدانياً دائماً جزاءً لما ارتكب من خطأ فقدها حد الاستقامة. وما في الانسان من قوة شهوية إذا ضيعت طريق الاستقامة السليمة والعفة تهوى بالافراط في الفجور والفحش ذات المصائب، وبالتفريط في الخمود، أي الحرمان من أذواق النعم ولذائذها؛ فتعاني آلام ذلك المرض المعنوي.

وهكذا قياساً على ما ذكر؛ فان الاستقامة هي انفع طريق واسهلها واقصرها من بين جميع الطرق المسلوكة في حياة الانسان الشخصية والاجتماعية. وإذا مافقد الانسان الصراط المستقيم فان تلك الطرق تكون طويلة جداً وذات بلايا كثيرة ومصائب واضرار.

بمعنى ان « إهدنا الصراط المستقيم » دعاء جامع وعبودية واسعة ؛ كما انها اشارة الى حجة في التوحيد والى درس في الحكمة وتعاليم الاخلاق.

الكلمة السابعة: وهي ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾.

ان اشارة قصيرة الى ما فيها من حجة هي :

اولاً : مَن المقصود في « عليهم »؟

تفسّره الآية الكريمة: ﴿ **فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾(النساء:٦٩) اذ تبين الطوائف الاربع الذين نالوا في النوع البشري نعمة سلوك طريق الاستقامة؛ مشيرة بـ « النبيين » الى سيدهم محمد عليه السلام، وبـ« والصديقين » الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه، وبـ « والشهداء » الى عمر وعثمان وعلي. فالآية الكريمة تخبر عن الغيب وتبين لمعة اعجاز بأن الذين يأتون بعد الرسول ﷺ، الصديق رضى الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين، سيشتهدون ويتولون الخلافة.

ثانياً: ان هذه الطوائف الاربع الذين هم اصدق نوع البشر وأقومهم سلوكاً وأرفعهم شأناً، قد دعوا بكل ما أوتوا من قوة وبما لايعد ولايحصى من الحجج والمعجزات والكرامات والادلة والكشفيات الى حقيقة التوحيد وصدّق دعواهم أغلب البشر منذ سيدنا آدم عليه السلام. فلاشك ان تلك الحقيقة حقيقة قاطعة كقطعية ثبوت الشمس، لذا فان اتفاق هذا الجم الغفيرمن خيرة البشرية ممن اظهروا صدقهم وعدلهم بمئات الالوف من المعجزات والحجج التي لاتحد؛ واجماعهم في المسائل الايجابية كالتوحيد ووجوب وجود الخالق؛ لهو حجة قاطعة تزيل كل شبهة.

نعم؛ ان الحقيقة الجليلة التي آمن بها اولئك الطوائف الاربع المذكورون الذين يمثلون اقوم نوع البشر الذي هو النتيجة المهمة لخلق الكون وخليفة الارض؛ واجمع الاحياء استعداداً وارفعها شأناً؛ بل هم اصدق مرشديهم المصدقين، وأئمتهم في الكمالات. هؤلاء أخبروا بالاجماع والاتفاق تلك الحقيقة التي آمنوا بها وأعتقدوا بها إعتقاداً جازماً بحق اليقين وبعلم اليقين وبعين اليقين. وأطمأنوا إليها إطمئناناً لايتزعزع مظهرين الكون بموجوداته جميعاً دليلاً.

تُرى ألا يرتكب جناية لاتحد من لا يعرف هذه الحقيقة الجليلة وينكرها.. ألا يستحق عذاباً خالداً ؟ !

الكلمة الثامنة: وهي ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾.

فهذه اشارة قصيرة الى ما فيها من حجة:

ان تاريخ البشرية والكتب المقدسة، يخبر بالاتفاق إخباراً قاطعاً وبصراحة تامة، استناداً الى التواتر والى الحوادث الكلية الثابتة والمعارف البشرية والمشاهدات الانسانية، ان استجابة استمدادات الانبياء عليهم السلام وهم اصحاب الصراط المستقيم استمداداً غيبياً فوق المعتاد في الوف من الحوادث، وانجاز مطاليبهم بذاتها، ونزول الغضب والمصائب السماوية باعدائهم الكفار في مئات من الحوادث، تدل دلالة قاطعة لاريب فيها على ان لهذا الكون ولنوع الانسان الذي فيه؛ رباً حاكماً عادلاً محسناً كريماً عزيزاً مدبراً مسخراً؛ قد منح من لدنه النصر المؤزر والنجاة

الخارقة لانبياء كرام كثيرين أمثال نوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح (عليهم السلام) في حوادث تاريخية واسعة، وانزل في الوقت نفسه مصائب سماوية مرعبة في الدنيا على اقوام ظلمة كفرة أمثال ثمود وعاد وفرعون ازاء عصيانهم الرسل.

نعم؛ ان تيارين عظيمين قد جريا متصارعين في البشرية منذ زمن آدم عليه السلام.

الاول: هم أهل النبوة والصلاح والايمان الذين نالوا النعمة وسعادة الدارين بسلوكهم الصراط المستقيم؛ فانسجمت بسلوكهم القويم اعمالهم وحركاتهم مع جمال الكون الحقيقي ونظامه وتناسقه وكماله؛ لذا نالوا ألطاف رب العالمين؛ وسعادة الدارين؛ واصبحوا السبب في رفع الانسان الى مراتب الملائكة بل أرفع منها؛ وكسبوا وأكسبوا اهل الايمان جنة معنوية حتى في الدنيا؛ مع سعادة خالدة في الآخرة.. كل ذلك بسر حقائق الايمان .

والتيار الثاني: هم الذين ضلوا عن سواء السبيل جاعلين بالافراط والتفريط؛ العقل وسيلة عذاب واداة لمّ الآلام؛ فأردوا البشرية في دركات سحيقة أضل من الانعام، فاستحقوا الغضب الالهي فنزلت بهم صفعات المصائب جزاء ظلمهم الذي ارتكبوه في الدنيا. زد على ذلك انهم جعلوا بالضلالة التي هم فيها وبالعقل المرتبط مع الموجودات؛ الكون موضع احزان وآلام ومأتماً عاماً؛ ومذبحة لذوى حياة؛ يتقلبون في دوامات الزوال والفراق، ومسلخة قذرة ضربت الفوضى اطنابها في الآفاق .لذا انحصرت روح الضال ووجدانه بجهنم معنوية في الدنيا، واصبح أهلاً لعقاب اليم في الآخرة.

وهكذا فان الآية الكريمة التي في ختام سورة الفاتحة: ﴿ **الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين** ﴾ تبين هذين التيارين العظيمين.

فمنبع جميع الموازنات المذكورة في رسائل النور واساسها ومرشدها هي هذه الآية الكريمة. وحيث ان رسائل النور قد فسرت هذه الآية الكريمة بمئات من موازناتها. نحيل ايضاحها الى تلك الرسائل مكتفين بهذه الاشارة.

الكلمة التاسعة: وهي (آمين) ! واشارة قصيرة جداً اليها هي :

لما كانت « ن » التي في « نعبد ونستعين » تبين لنا الجماعات العظيمة الثلاث؛ ولاسيما جماعة الموحدين في جامع العالم الاسلامي وبخاصة ملايين المصلين الذين يؤدون الصلاة في ذلك الوقت؛ وتجعلنا ضمن صفوفهم ؛ فاتحة امامنا طريقاً سوياً لنكسب حظاً من أدعيتهم، ولنغنم تصديقهم لنا لنطقهم بمثل ماننطق به نحن، ولنحظى بنوع من شفاعتهم؛ فنحن كذلك بقولنا: «آمين » نعزز أدعية اولئك الموحدين المصلين؛ ونصدّق دعواهم؛ ونرجو بكلمة « آمين » ان يستجيب الله سبحانه وتعالى استعانتهم وشفاعتهم، محولّين عبوديتنا الجزئية ودعاءنا الجزئي ودعوانا الجزئية الى عبودية كلية ودعاء كلي ودعوى كلية ازاء ربوبية كلية شاملة.

بمعنى ان كلمة «آمين» تكسب كلية واسعة بل يمكن أن تكون بمثابة ملايين «آمين» بسر الاخوة الايمانية والوحدة الاسلامية وبواسطة راديوات معنوية ورابطة الوحدة لجماعة يربون على الملايين من المصلين المتراصين في الصلاة في مسجد العالم الاسلامي.(١)

الحمدلله رب العالمين

﴿ سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾

* * *

(١) وهكذا اذا ما اخذ رجل عامي شيئاً بقدر نواة، فالانسان الكامل الذي ترقى روحياً يأخذ حظاً كالنخلة، كل حسب درجته، ولكن الذي لم يرق بعد، لاينبغي له ان يتذكر هذه المعاني قصداً اثناء قراءته الفاتحة (*) لئلا يفسد اطمئنانه وسكينته واذا ما ترقى الى ذلك المقام فان تلك المعاني ستظهر بنفسها. — المؤلف

(*) لقد سألنا استاذنا ايضاحاً عن كلمة « قصداً » الواردة في هذا الهامش ودونّا ادناه ما ذكره نصاً:

باسم طلاب النور
في المدرسة اليوسفية الثالثة
جيلان

ارى انه يمكن التفكر بالمعاني الواسعة الرفيعة للتشهد وسورة الفاتحة، ولكن لاتقصد تلك المعاني قصداً، وانما بصورة تبعية، اذ الذي يورث الحضور القلبي نوعاً من الغفلة هي تفاصيلها. بينما معانيها المجملة تبدد الغفلة وتنور العبادة والمناجاة وتسطعها. فتظهر اظهاراً تاماً القيم الرفيعة للصلاة والفاتحة والتشهد.

اما المراد من «عدم الانشغال قصداً » الوارد في ختام القسم الثاني هو ان الانشغال بتفاصيل تلك المعاني بالذات قد تنسي الصلاة أحياناً وربما تخل بسكينة القلب والحضور. والاّ فاني اشعر بفوائدها العظيمة إذا كان التفكر تبعي وبشكل مختصر. «المؤلف ».

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

القسم الثالث

لدرس واحد فقط، أُلقي في المدرسة اليوسفية الثالثة

المقدمة

لقد كُتب القسم الثاني بأمر معنوى صادر من سورة «الفاتحة» التي في الصلاة وبفيض نور كلمة الشهادة: اشهد أن لا إله إلاّ الله. وكذلك هذا القسم فقد اضطررت الى كتابته – بدافع من ثلاثة اسباب لا إذن لى في بيانها حالياً – بتنبيه معنوى وارد من جملة: أشهد ان محمداً رسول الله، وبفيض نور الآية الكريمة التي في ختام سورة «الفتح» والتي اظهرت خمس معجزات غيبية، وهي قوله تعالى:

﴿هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليُظهرهُ على الدّين كلّه وكفى بالله شهيداً * مُحمّدٌ رسولُ الله والذينَ معهُ أشداءُ على الكفّارِ رُحماءُ بينهمْ...﴾ الى آخر الآية..

أما تفاصيل هذا القسم وايضاحاته وحججه المسندة بالدلائل، فأحيلها الى رسالة «المعجزات الاحمدية» المنشورة ضمن مجموعة «ذو الفقار» والى الحزب النورى المؤّلف باللغة العربية. وسيشار اليها بثلاث اشارات مختصرة جداً. ففى الاشارة الثانية والثالثة سيكتب ما يشبه ترجمة القطعة الخاصة بشهادة «محمد رسول الله» في الرسالة الصغيرة المؤلفة هنا، والمستقاة من خلاصة الخلاصة للحزب النورى العربى، والتي هي وردي الدائم وتفكر بالعربية مع كلمة التوحيد التي اكررها في الاذكار.

الاشارة الاولى:

ان محمداً ﷺ الذى استقبل مظاهر ربوبية رب العالمين، وسرمدية ألوهيته، وآلائه العميمة التي لاتعد ولاتحصى، استبقلها بعبودية كلية وتعريف لربه الجليل. هذا النبى الكريم ضرورى كضرورة الشمس لهذا الكون؛ إذ هو استاذ البشرية الأكبر،

ونبيهـا الاعظم ﷺ، وفخر العالم، القمين بخطاب «لولاك لولاك لما خلقت الافلاك»(١). وكما ان حقيقته – اى الحقيقة المحمدية – هى سبب خلق العالم، ونتيجته وأكمل ثمراته. كذلك تتحقق بها وبالرسالة الأحمدية الكمالات الحقيقية للكائنات قاطبة، اذ تصبح مرايا باقية للجميل الجليل السرمدى تعكس تجليات صفاته الجليلة، وآثاره القيّمة الموظفة لدى أفعاله الحكيمة جل جلاله، ورسائله البليغة المرسلة من الملأ الاعلى، وتغدو حاملة لعالم باق، منتجة دار سعادة خالدة ودار آخرة ابدية تشتاق اليها ذوو الشعور كلهم.. وامثالها من الحقائق التي تتحقق بالحقيقة المحمدية والرسالة الأحمدية. لذا فكما يشهد هذا الكون شهادة قاطعة وفي منتهى القوة والثبوت على رسالته ﷺ، كذلك البشرية جمعاء بل جميع ذوى الشعور وفي مقدمتهم العالم الاسلامى، يشهدون جميعاً على ما بشّرت به الرسالة الأحمدية والحقيقة المحمدية بشارة قوية قاطعة، تلك هى الحياة الخالدة ، التي تسألها البشرية بالعشق الدائم والشوق الملازم في كل حين وآن، تسألها بلسان جميع قوى ماهيتها الجامعة، وبألسنة جميع استعداداتها، وبألسنة جميع الادعية والعبادات والتضرعات والتوسلات المرفوعة الى المولى القدير، فتسأل حياة باقية خالدة، نجاةً من العدم والعبث، والاعدام الابدى والفناء المطلق الذى هو أشد رهبة واكثر ايلاماً من جهنم. فكما تشهد البشرية بهذا على انه ﷺ فخر البشرية واشرف المخلوقات طراً، كذلك فان دخول مثل جميع الحسنات والخيرات التي يكسبها يومياً ثلاثمائة وخمسون مليوناً من المؤمنين في كل عصر ، في سجل حسناته ﷺ حسب قاعدة «السبب كالفاعل» ونيل تلك الشخصية المحمدية الفريدة مقاماً رفيعاً يحظى بعبودية كلية وفيوضات ربانية بقدر عبادة مئات الملايين بل المليارات من العبّاد المحسنين.. هو شهادة قوية جداً على رسالته ﷺ .

الاشارة الثانية :

ان الفقرة الاتية التي أتأمل فيها دائماً هى من اورادي، وتشير الى اكثر من عشرين شهادة على رسالة محمد ﷺ .نوجز فحواها باختصار. والفقرة هي:

(١) تناوله العلماء معنىً ومبنىً، ولعل قول علي القاري هو الوسط بين المثبتين والنافين له، اذ يقول: انه صحيح معنى ولو ضعف مبنى (شرح الشفا ١/ ٢٦) – المترجم.

[محمّدٌ رسولُ الله صادقُ الوعدِ الأمينُ بشهادةِ ظهورِه دفعةً مع أُميّته باكملِ دينٍ واسلاميّةٍ وشريعةٍ وبأقوى ايمانٍ واعتقادٍ وعبادةٍ وباعلى دعوةٍ ومناجاةٍ ودعواتٍ وبأعمّ تبليغٍ واتمّ متانةٍ خارقاتٍ مثمراتٍ لامثلَ لها.] (١)

فأولى تلك الشهادات هي :

حجة الرسالة النابعة من احدى عشرة حالة من حالاته ﷺ.

نعم، انه مع كونه امياً لم يتعلم القراءة والكتابة، فقد أتى بدين أوقع عقلاء اربعة عشرة قرناً وفلاسفتها في حيرة واعجاب وانبهار، وفاق الاديان السماية وقد اظهره دفعة واحدة من دون ان يكون له تجربة مسبقة .. وهذه حالة لامثيل لها.

وكذا الاسلام النابع من اقواله وافعاله وحالاته، وارشاده ثلاثمائة وخمسين مليوناً من البشر في كل وقت، مربياً ارواحهم مزكياً انفسهم ومنوراً عقولهم، ودفعهم الى الرقي المعنوي.. وهذه حالة لامثيل لها .

وكذا قد أتى بشريعة غراء عظيمة بحيث ادارت بقوانينها العادلة خمس البشر طوال اربع عشرة قرناً من الزمان ادارة حققت له الرقي المادي والمعنوي.. وهذه حالة لا مثيل لها .

وكذا ظهوره بايمان راسخ واعتقاد جازم بحيث يستلهم منه جميع اهل الحقيقة في كل وقت ويصدقون بالاتفاق على انه في ارفع درجة واسمى مرتبة ، فضلاً عن عدم ايراث مخالفيه واعدائه ومعارضيه في ذلك الوقت – برغم كثرتهم – اية شبهة ولاوسوسة ولاشك قط، مما يبين بجلاء انه لامثيل له في قوة الايمان ايضاً ولانظير لايمانه الرفيع الكلي.

وكذا قد اظهر عبودية وعبادة عظيمتين بحيث وحّد المبدأ والمنتهى، من دون تقليد لأحد، ملاحظاً أدق اسرار العبادة، ومراعياً لها حتى في اشد الاوقات اضطراباً، وأداها على اتم وجه واتقنه.. وهذه حالة لامثيل لها .

---

(١) هذه الفقرات المحصورة بين قوسين مركنين وردت في النص باللغة العربية – المترجم.

وكذا قد تضرع الى خالقه الكريم ودعا دعوات لطيفة رقيقة بحيث لم يبلغ احد مرتبة تلك الدعوات والمناجاة الى هذا الزمان برغم تلاحق الافكار .

فمثلاً : قد جعل ألف اسم واسم من الاسماء الالهية شفيعة لدعائه في مناجاة (الجوشن الكبير) فوصف خالقه العظيم وصفاً بديعاً يليق به وعرّفه تعريفاً لامثل له قط.

وهكذا فان عدم بلوغ أحد ما بلغه من معرفة الله، حالة لامثيل لها قط.

وكذا انه دعا الناس الى الدين دعوة ملؤها الثقة وبلّغ رسالته بشجاعة واقدام بحيث ان معارضة قومه وعمه والدول الكبرى في العالم واتباع الاديان السابقة وعدائهم، لم ينل منه الخوف ولا الاحجام قطعاً بل تحدى العالمين وظهر على الجميع.. فهذه حالة لامثيل لها.

وهكذا فان مجموع هذه الحالات الثمانية الخارقة التي لانظير لها، شهادة في منتهى القوة على صدقه ﷺ وثبوت دعوته. وهي حالات تظهر مدى اطمئنانه ومنتهى جديته ومبلغ وثوقه وكمال صدقه وعدله ﷺ .

لذا فالعالم الاسلامي يهنئ ويبارك هذا النبي الكريم ﷺ بقوله في كل جلسة تشهّد في الصلاة يومياً وبملايين الألسنة: «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته» مقدماً له ولاءه لمهمة النبوة، ومصدقاً اياه في بشراه بالسعادة الابدية التي اتى بها، فيستقبله بامتنان بالغ وشكر عميم ازاء فتحه طريقاً سوياً الى الحياة الباقية التي تبحث عنها البشرية بعشق دفين عميق وشوق فطري عارم وباستعداد قوي جداً، بقوله: «السلام عليك ايها النبي» معبراً به عن زيارة معنوية له ﷺ ولقاء معه، ومرحّباً ومهنئاً اياه باسم ثلاثمائة وخمسين مليوناً بل مليارات من المؤمنين.

الشهادة الثانية *من الشهادات العشرين الكلية، والتي تضم كثيراً من الشهادات وهي:*

[وبشهادة جميع حقائق الايمان على تصديقه] .

اي: ان حقائق اركان الايمان الستة وتحققها وصدقها وصوابها تشهد شهادة قاطعة على رسالة محمد ﷺ وعلى صدقه وصوابه، لأن الشخصية المعنوية لحياة رسالته،

واساس جميع دعاواه، وماهية نبوته، انما هي تلك الاركان الستة، لذا فان جميع الدلائل الدالة على تحقق تلك الاركان تدل ايضاً على ان رسالة محمد ﷺ حق وانه صادق مصدَّق. وكما بينت رسالة « الثمرة » وذيول « الكلمة العاشرة » دلالة سائر الاركان الايمانية على تحقق الآخرة، كذلك كل ركن من الاركان بحججه معاً حجة على رسالته ﷺ.

***الشهادة الكلية الثالثة** المتضمنة لالوف الشهادات :*

[وبشهادة ذاته عليه الصلاة والسلام بآلاف معجزاته وكمالاته وعلوّ اخلاقه]

اى: هو كالشمس دليل بنفسها. فكما اثبتت الرسالة الخارقة، رسالة « المعجزات الاحمدية » على صاحبها افضل الصلاة والسلام في ازيد من ثلاثمائة معجزة بروايات صحيحة، كذلك انشقاق القمر الى شقين باصبع من كفه المباركة ﷺ كما هو صراحة الآية الكريمة ﴿ **وانشق القمر** ﴾.. وكذا نبعان الماء من خمس اصابعه المباركة وتدفقه كما يدفق من خمس عيون وارتواء جيش كامل منه وشهادتهم له، المنقول الينا بروايات صحيحة متواترة ، فضلاً عن تكرار هذه الحادثة العجيبة مرتين وفي مواضع اخرى.. وكذا رميه حفنة من تراب بالكف نفسها على جيش العدو المغير ودخول التراب عين كل منهم وانهزامهم اثناء هجومهم كما هو صراحة الاية الكريمة ﴿ **وما رميتَ إذ رَميت** ﴾.. وكذا تسبيح الحصى في الكف نفسه تسبيحاً واضحاً بيناً المروى بروايات صحيحة.. وامثالها من المعجزات الباهرة التي ظهرت من يده المباركة ﷺ والمروي قسم منها في كتب السير والتاريخ بروايات متواترة قاطعة وهى تربو على المئات، بل تبلغ الألف لدى اهل التحقيق من العلماء.

وكذا اتفاق الاولياء والاعداء على انه في ذروة الاخلاق الفاضلة والخصال الحميدة (١) واتفاق جميع اهل التحقيق السالكين طريقه المقتفين أثره البالغين الكمالات والمدركين الحقيقة بعين اليقين ، وتصديقهم جميعاً بحق اليقين، ان الكمالات المحمدية هى في قمة الدرجات. كما يدل عليها فيوضات العالم الاسلامى النابعة من دينه ﷺ، وحقائق الاسلام العظيم. فلاشك ان ذلك النبي الكريم بذاته ﷺ يشهد شهادة واسعة كلية ساطعة على رسالته نفسه.

---

(١) حتى يقول سيدنا علي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بشجاعة فائقة: اذا حزبنا أمر — في الحرب — احتمينا برسول الله ﷺ وتحصنّا به.

ونقلت التواريخ ان اعداءه كذلك شهدوا أنه ﷺ كان في ذروة كل خصلة نبيلة كما هو في الشجاعة — المؤلف.

***الشهادة الرابعة** المتضمنة لكثير من الشهادات القوية :*

[وبشهادة القرآن بما لايحدمن حقائقه وبراهينه].

اي: ان القرآن المعجز البيان يشهد بحقائقه وحججه التي لا تعد ولاتحصى على رسالته وصدقه ﷺ.

نعم! ان القرآن الكريم الذى هو معجزة باهرة باربعين وجهاً (كما أثبتتها رسالة المعجزات القرآنية المنشورة ضمن مجموعة ذو الفقار).. والذى انار اربعة عشرة قرناً من الزمان.. والذى أدار خمس البشرية بقوانينه الرصينة التي لاتتبدل.. والذى تحدى وما زال يتحدى جميع المعارضين حتى لم يجرأ ان يعارضه احد لحد الان ولو بسورة واحدة. بل ان جهاته الست نورانية لا تدخل فيها الشبهات قطعاً، وتصدق ستة مقامات كبرى على صدقه وعدله، ويستند الى ست حقائق لاتتزعزع، كما أثبت ذلك في رسالة «الآية الكبرى».. والذي يتلى في كل وقت بألسنة مئات الملايين وبكل لهفة وتوقير.. والذى يكتب في قلوب ملايين الحفاظ في كل دقيقة كتابة سامية.. والذى تترشح من شهادته جميع شهادات وايمان العالم الاسلامى، وتنساب من نبعه جميع العلوم الايمانية والاسلامية.

وكما انه يصدّق تلك الكتب السماوية السابقة، ينال التصديق المعنوى ايضاً لجميع الكتب والصحف السماوية .

فهذا القرآن العظيم بحقائقه كلها، وبحججه التي تثبت صدقه وعدله يشهد على صدقه ﷺ وعلى رسالته.

***الشهادة الكلية الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة** :*

[وبشهادة الجوشن بقدسية اشاراته ورسائلِ النور بقوة دلائلها والماضى بتواتر ارهاصاته والاستقبال بتصديق آلاف حادثاته]

اى: كما ان «الجوشن الكبير» الذى يضم ألف اسم واسم من الاسماء الإلهية صراحة واشارةً، ونابع – من جهة – من القران الكريم، هذه المناجاة النبوية الخارقة

التي تفوق مناجاة جميع العارفين الذين عرجوا في مراتب المعرفة الالهية وترقوا فيها، وقد اتى بها جبريل عليه السلام وحياً في غزوة قائلاً: انزع الدرع (الجوشن) واقرأ هذا الجوشن. فان الحقائق التي تتضمنها هذه المناجاة والاوصاف المتوجهة فيها الى ربه الجليل بالذات تشهد شهادة صادقة على صدق محمد ﷺ وعلى رسالته.

كذلك «رسائل النور» المترشحة من القران الكريم والمستفاضة من جهة من «الجوشن الكبير» هي حجة واحدة على الرسالة المحمدية باجزائها البالغة مائة وثلاثين رسالة وذلك باثباتها اثباتاً عقلياً ومنطقياً جميع حقائق رسالته ﷺ، بل تعليمها وتفهيمها بسهولة ويسر ما تعجز عنه الفلسفة من مسائل بعيدة جداً عن العقل واظهارها انها مسائل مستساغة معقولة كأنها مشهودة.. هذه الرسائل البالغة ثلاثين ومائة رسالة تشهد شهادة كلية على صدق محمد ﷺ وعلى رسالته.

وكذا الماضى هو شهادة كلية على رسالته، اذ الارهاصات التي هي خوارق سبقت البعثة وتعدّ من معجزات النبي الذي سيأتي، قد ذكرت في وقائع كثيرة في كتب السير والتاريخ ذكراً متواتراً قاطعاً. فتشهد هذه الارهاصات شهادة صادقة على رسالته ﷺ. ولهذه الارهاصات انواع كثيرة سيبين قسمٌ منها في الشهادة الآتية، قسم آخر ذكر في مجموعة «ذو الفقار» ونقلتهاكتب التاريخ نقلاً صحيحاً.

فمثلاً: ارسال طير أبابيل لترمى جيش ابرهة الذى أتى لهدم الكعبة بحجارة من سجيل قبيل ولادته ﷺ.. وسقوط الاصنام في الكعبة ليلة الولادة المباركة، وتصدّع ايوان كسرى، وخمود نار المجوس التي كانت تشتعل منذ ألف سنة، وإظلال السحاب له ﷺ كما اخبر به بحيرا الراهب وحليمة السعدية.. وامثالها من الحوادث الكثيرة التي اخبرت عن نبوته ﷺ قبل بعثته.

وكذا المستقبل، اى الحوادث التي وقعت بعد وفاته ﷺ واخبر عنها وهي كثيرة جداً ومتنوعة جداً؛ منها: اخباره الغيبى التي تخص الآل والاصحاب الكرام، والفتوحات الاسلامية، وقد اثبتت في رسالة المعجزات الاحمدية (المنشورة ضمن مجموعة ذو الفقار) برواية صحيحة ثمانين حادثة وقعت كما أخبر. مثلاً: استشهاد سيدنا عثمان رضى الله عنه عند قرآءته المصحف الشريف، واستشهاد سيدنا الحسين

رضى الله عنه في كربلاء، وفتح الشام وفارس واستانبول، وقيام الدولة العباسية وسقوطها ودمارها بيد جنكيز خان وهولاكو.. وماشابهها من معجزاته في اخباره الغيبى الذي ظهر في ثمانين حادثة، مما نقل الينا نقلاً صحيحاً استناداً الى كتب السير والتاريخ التي ذكرتها بالتفصيل. فهذه الاخبارات الغيبية مع سائر انواعها التي تدل على صدقه ﷺ ومع وقائع مستقبلية كثيرة جداً تدل على صدقه، اي ان المستقبل يشهد شهادة قوية كلية على الرسالة المحمدية ﷺ.

الشهادة التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، والتي تشيراليها :

[وبشهادة الآل بقوة يقينياتهم في تصديقه بدرجة حقّ اليقين.. والاصحاب بكمال ايمانهم في تصديقه بدرجة عين اليقين.. والاصفياء بقوّة تحقيقاتهم في تصديقه بدرجة علم اليقين.. والاقطاب بتطابقهم على رسالته بالكشف والمشاهدات باليقين].

فمن الشهادة الكلية التي تشهد شهادة صادقة على صدق محمد ﷺ وعدله:

الشهادة التاسعة :

وهي شهادة آل محمد ﷺ الذين نالوا مرتبة «علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل» والذين هم كفو لآل ابراهيم عليه السلام في صلوات التشهد، وهم الاولياء العظام والائمة الاثنا عشرة رضى الله عنهم، ويتقدم الجميع الامام على والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين، والشيخ الكيلاني واحمد الرفاعي[1] واحمد البدوي[2]

---

(١) الرفاعي: (٥١٢ – ٥٧٨ هـ) احمد بن علي بن يحيى الرفاعي، ابو العباس، الامام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية. ولد في قرية حسن في واسط بالعراق سنة ٥١٢ هـ وتفقه وتأدب في واسط. وكان يسكن قرية ام عبيدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) وتوفي بها سنة ٥٧٨ هـ. (وفيات الاعيان ١/٥٥ الطبقات الكبرى ١/١٤٠ نور الابصار ٢٢٠ الاعلام ١/١٧٤ جامع كرامات الاولياء ١/٤٩٠) – المترجم.

(٢) السيد البدوي: ٥٩٦ – ٦٧٥هـ/ ١٢٠٠ – ١٢٧٦م احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي. المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية. أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر في ايام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وانزله في دار ضيافته، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤هـ وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب الى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر. وتوفي ودفن في طنطا، لم يذكر له مترجموه تصنيفاً غير «حزب – مخطوط –» و«وصايا» و«صلوات». وقد افرد بعضهم سيرته في كتب، منها كتاب «السيد البدوي» لمحمد فهمي عبداللطيف. (الاعلام ١/١٧٥). – المترجم.

وابراهيم الدسوقي(١) وابو الحسن الشاذلي (٢) (قدس الله اسرارهم) وأمثالهم من الاقطاب والائمة، يشهدون جميعاً وبالاتفاق وباعتقادهم اليقيني وبالكشفيات والمشاهدات وبالكرامات والارشاد التي اظهروها في الامة، فيصدّقون بايمانهم الراسخ الرسالة المحمدية وصدق الرسول الكريم ﷺ.

الشهادة العاشرة :

وهي شهادة الصحابة الكرام الذين هم افضل الناس واسماهم منزلة بعد الانبياء عليهم السلام. والذين اداروا العالم من الشرق الى الغرب بالعدل والقسطاس المستقيم بعد ان تنوّرا بنور محمد ﷺ في فترة قصيرة برغم كونهم بدواً واميين. وظهروا على الدول العظمى وغدوا اساتذة الامم الراقية ذات الحضارات والعلم والسياسة، ومعلمين لها وسياسيين حكماء عادلين، فحوّلوا ذلك القرن الى خير القرون وعصر السعادة. فهؤلاء الصحابة الكرام بعد تدقيقهم وتحريهم عن كل حال من احوال محمد ﷺ ومشاهدتهم بابصارهم قوة معجزاته الكثيرة، تركوا عداءهم السابق، وعافوا طريق اجدادهم وضحوا بالنفس والنفيس تضحية كريمة رفيعة وانضووا تحت راية الاسلام، كخالد بن الوليد، وعكرمة بن ابى جهل وامثالهم ممن ترك آباءه وقبيلته. فان ايمان هؤلاء الصحابة الكرام البالغ درجة عين اليقين شهادةٌ صادقة كلية على صدق محمد ﷺ وعلى أحقية رسالته.

الشهادة الحادية عشرة :

وهي شهادة الوف من اهل التحقيق، اي شهادة المجتهدين والائمة الاعلام والعلماء المحققين الذين يطلق عليهم جميعاً الاصفياء والصديقين، والفلاسفة الدهاة من امثال

(١) الدسوقي: (٦٣٣ – ٦٧٦هـ) وهو ابراهيم بن ابي المجد بن قريش بن محمد، يتصل نسبه بالحسين السبط، وهو احد الاقطاب الاربعة، تفقه على المذهب الشافعي ثم اقتفى آثار التصوف وكثر مريدوه. وهو من اهل دسوق بغربية مصر. ــ المترجم.

(٢) الشاذلي: (٥٩١ – ٦٥٦ هـ) هو علي بن عبدالله بن عبد الجبار الشاذلي، والشاذلة قرية من افريقيا، الضرير الزاهد نزيل الاسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، صاحب الاوراد المسماة «حزب الشاذلي». (الطبقات الكبرى ٢/٤ الاعلام ٣٠٥/٤ نور الابصار ٢٣٤ جامع كرامات الاولياء ٣٤١/٢). ــ المترجم

ابن سينا وابن رشـد الذين آمنوا ايماناً منطقياً وعـقلياً، رغم اختـلاف مسلك كل منهم عن الآخر، مسـتندين الى الوف الحجج القاطعـة والبراهين الدامغة، حتـى بلغوا درجة علم اليقـين.. فان ايمان هؤلاء جميعاً بمحمد ﷺ ورسـالته وصدقـه وصوابه شـهادةٌ كلية الى حدّ لا يمكن ان يردّها الاّ من كان ذا ذكاء يكافئ ذكاءهم كلهم .

ورسـائل النور هي واحـدة من اولئك الشـهـود الصـادقين في هـذا العـصـر الذين لايحصون ولايعـدّون، ولكن لما سقطت الحجة بايدي المنكرين لهـا ولم يجدوا عنها مصرفاً، حاولوا ان يسكتوها بالمحاكم بتغرير افراد الامن ودوائر العدل.

الشهادة الثانية عشرة :

وهي شهادة الاقطاب الذين يضم كل منهم قسماً مهـماً من الامة الاسلامية ضمن حلقـة درسـه وارشاده، ودفعـوهم بالارشاد الخـارق والتـوجـيه الصـائب والكرامـات الظاهرة الى الرقي المعنوي مستندين في مواضع الحجج الى المشاهدات والكشفيات.. فهؤلاء الذين هم افذاذ اهل التحـقيق والحقيقة قد شاهدوا كشـفاً في رقيهم الروحاني صـدق مـحمـد ﷺ وصـدق رسـالتـه وانه في قـمة مـراتب الصـدق والعـدل والحق. فشـهادة هؤلاء بالاتـفاق والتطابق، على نبـوته ﷺ وعلى رسالتـه، تصديق قـوي الى حد لا يمكن جرحه الاّ من نال ما نالوه جميعاً من مراتب الكمالات والفضائل.

الشهادة الثالثة عشرة :

عبارة عن اربع حجج قاطعة واسعة كلية وهي :

[وبشهـادة الازمنة الماضية بتـواتر بشارات الكواهن والهواتف والعـرفاء في الادوار السـالفين وبمشاهدة بشـارات الرسل والانبيـاء وبشـهادتهم وبشـارتهم عليهـم السـلام برسالة محمدٍ عليه الصّلاة والسّلام في الكتب المقدّسة]

ان خلاصة فحوى هـذه الفقرة ستوضح هنا أما ايضاحهـا الكامل وسندها فهما في ختام رسالة «المعجزات الاحمدية» المنشورة ضمن «مجموعة ذو الفقار».

والفقرة تعني :

ان مشاهير البشر في الازمنة الماضية ، وفي مقدمتهم الانبياء الكرام عليهم السلام والعارفين والكهان والهواتف قد أخبروا بالاتفاق عن مجئ محمد ﷺ وعن رسالته، تلك الاخبارات التي تسمى « الارهاصات » وهي صريحة ومكررة ومذكورة في كتب التاريخ والسير والحديث الشريف، بروايات صحيحة ومتواترة لقسم منها. وقد فصلت رسالة « المعجزات الاحمدية » و بينت ما هو أقوى واثبت من تلك الالوف من الارهاصات، فنحيل اليها ونقول باشارة في منتهى الاختصار:

اما اخبار الانبياء فلقد ذكر في « المكتوب التاسع عشر» عشرون آية تخص نبوة محمدﷺ بما يقرب من الصراحة من مئات الآيات في الكتب السماوية كالتوراة والانجيل والزبور ولقد سجل حسين الجسر في كتابه مائة من تلك الايات التي تبشر بنبوة محمد ﷺ رغم التحريفات الكثيرة التي طرأت على تلك الكتب من قبل النصارى واليهود.

اما الكهان ففى مقدمتهم الكاهنين الشهيرين « شقّ وسطيح » فهم يخبرون عن الغيب بوساطة الروحانيين والجن فأخبروا بروايات صحيحة متواترة وصريحة لاريب فيها عن مجئ الرسول ﷺ وازالته لدولة فارس. وعن ظهور نبى عن قريب في الحجاز.

وأخبر كعب بن لؤى - من اجداد النبى ﷺ - وسيف بن ذى يزن من ملوك اليمن وتبّع من ملوك الحبشة وامثالهم من العرفاء، أولياء ذلك الزمان. أخبروا صراحة عن رسالة محمد ﷺ واعلنوها شعراً. حتى قال احد اولئك الملوك: « انى لارجح خدمة محمد على هذه السلطنة ». وقال آخر: « لو ادركته لكنت له ابن عم » اى كنت كعلي رضى الله عنه مضحياً ووزيراً له. وقد ذكر في « المكتوب التاسع عشر» ما هو مهم وثابت من هذه الاخبار. وعلى كل حال فان هؤلاء العرفاء يشهدون شهادة صادقة كلية قوية على رسالة محمد ﷺ وعلى صادقيته، كما نشر كتب التاريخ والسير هذه الاخبار نشراً كاملاً.

---

(١) (١٢٦١ - ١٣٢٧هـ)(١٨٤٥ - ١٩٠٩م) عالم بالفقه والادب، من بيت علم في طرابلس الشام. له نظم كثير. دخل الازهر سنة ١٢٧٩هـ واستمر الى سنة ١٢٨٤هـ، وعاد الى طرابلس فكان رجلها في عصره، علماً ووجاهة، وتوفي فيها. كتبه (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية) و(الحصون الحميدية) في العقائد الاسلامة.

وكذا الروحانيون، هم لايشاهَدون ولكن تُسمع اقوالهم، ويطلق عليهم الهواتف فهم يشهدون شهادة صادقة كالعارفين والكهان على رسالة محمد ﷺ وعلى نبوته شهادة صريحة جداً.

وكذا كثرة من المخبرين، بل حتى الذبائح التي تذبح للاصنام، والاصنام نفسها وشواهد القبور كل اولئك قد اخبروا عن نبوته ﷺ فيشهدون شهادة صدق على رسالته واحقيته بلسان التاريخ.

الشهادة الرابعة عشرة :

هي شهادة الكون القوية، تشير اليها هذه الفقرة العربية:

[وبشهادة الكائنات بغاياتها وبالمقاصد الالهية فيها على الرسالة المحمدية الجامعة؛ بسبب توقف حصول غايات الكائنات والمقاصد الالهية منها وتقرر قيمتها ووظائفها وتبارز حسنها وكمالها وتحقق حكم حقائقها على الرسالة الانسانية لاسيما على الرسالة المحمدية؛ اذ هى المظهرة والمدار الاتم لها، ولولاها لصارت هذه الكائنات المكملة والكتاب الكبير ذو المعانى السرمدية هباءً منثوراً متطايرة المعانى متساقطة الكمالات وهو محال من وجوه وجهات].

لقد ذكرت رسالة «الآية الكبرى» فيما يخص هذه الفقرة العربية الآتي :

هذا الكون كما انه يدل على صانعه وكاتبه ومصوره الذي اوجده والذي يديره وينظمه ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ أو كأنه كتاب كبير او كأنه معرض بديع، او كأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لامحالة وجود من يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلَم ويعلّم المقاصد الالهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ما هيته وكمالات ما فيه من الموجودات.. ويجيب عن الاسئلة الرهيبة المحيرة، من اين تأتى هذه الموجودات والى اين المصير ولِمَ لا تلبث هنا بل تمضى وترحل مسرعة؟. ويوضح معاني ذلك الكتاب الكبير ويفسر حكمة آياته التكوينية. اى يقتضى داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، واستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فالكون من حيث هذا الاقتضاء يدل ويشهد شهادة قوية وكلية على صدق النبي الكريم ﷺ

وصوابه الذي هو افضل من اتم هذه الوظائف والمهمات. وعلى كونه افضل واصدق مبعوث لرب العالمين. فيشهد الكون قائلاً: اشهد ان محمداً رسول الله.

نعم ان ماهية الكون وقيمته ومزاياه تتحقق بالنور الذي اتى به محمد ﷺ وبه تُعلم وظائف ما فيه من موجودات ونتائجها ومهماتها وقيمتها، وبه يكون الكون بأسره عبارة عن مكاتيب إلهية بليغة وقرآن رباني مجسّم ومعرض آثار سبحانية مهيب. اذ لولا نوره ﷺ لاتخذ الكون ماهية مأتم موحش وخراب مخيف ذا اخلاط متشابهة واضطرابات متعاقبة يتردى في خضم ظلمات العدم والعبث والزوال والفناء.

فبناء على هذه الحقيقة فان مزايا الكون وكمالاته وتحولاته الحكيمة ومعانيه السرمدية تقول بقوة: نشهد أن محمداً رسول الله.

الشهادة الخامسة عشرة التي تضم كثيراً من الشهادات وهي:

ان جميع التحولات والحركات والسكنات والحياة والممات وامثالها من التصرفات الجارية في الكون انما تتم بأمر وارادة وقوة الذات الأقدس الواجب الوجود الذي يتصرف في هذا الكون ابتداء من الذرات الى السيارات، فتشهد اجراءات ربوبيته وافعال رحمانيته على الرسالة المحمدية ﷺ. والفقرة العربية الآتية تعبّرعن هذه الشهادة السامية الرفيعة :

[وبشهادة صاحب الكائنات وخلاقها ومتصرفها على الرسالة المحمدية؛ بافعال رحمانيته وباجراآت ربوبيته؛ كفعل الرحمانية بانزال القرآن المعجز البيان عليه، وباظهار انواع المعجزات على يديه، وبتوفيقه وحمايته في كل حالاته، وبادامة دينه بكل حقائقه، وباعلاء مقام حرمته وشرفه واكرامه على جميع المخلوقات بالمشاهدة والعيان، وكفعل ربوبيته بجعل رسالته شمساً معنويةً لكائناته، وبجعل دينه فهرستة كمالات عباده، وبجعل حقيقته مرآةً جامعةً لتجليات الوهيته، وبتوظيفه بوظائف ضرورية لازمة لوجود المخلوقات في هذه الكائنات كلزوم الرحمة والحكمة والعدالة وكضرورة لزوم الغذاء والماء والهواء والضياء.]

نحيل تفاصيل هذه الشهادة السامية القاطعة الواسعة جداً الى رسائل النور، وننظر الى معناها الاجمالي باشارة في منتهى الاختصار وهي :

اننا نشاهد باعيننا في هذا الكون ان من عادة الربوبية الجارية في كل آن بالعدالة والحكمة والعناية، حماية الابرار وتأديب الكذابين الفاسدين نشاهدها ضمن تصرفاته المنتظمة جل جلاله. فبمقتضى افعاله الرحمانية انزال القرآن المعجز البيان على محمد ﷺ.. وإظهار انواع المعجزات الكثيرة البالغة نحو الف معجزة على يديه.. وحمايته له تحت جناح رأفته الشفيقة في كل حالاته، بل في اخطر اوضاعه حتى حمايته بالحمام والعنكبوت!.. وتوفيقه توفيقاً معززاً في مهامه.. وادامة دينه بجميع حقائقه.. وتتويج هامة الارض والبشرية باسلامه.. واعلاء مقامه وشرفه الى ارفع مقام واشرفه.. وتفضيله على الموجودات كافة بمنحه مقاماً مرضياً مقبولاً ودائماً يفوق افاضل الانسانية.. واعطائه شخصية تحمل اجمل الخصال الحميدة الرفيعة باتفاق الاولياء والاعداء حتى جعل خمس البشرية من امته.. كل ذلك يشهد شهادة صادقة قاطعة على صدقه ﷺ ورسالته.

وكذا نشاهد من حيث افعال ربوبيته جل وعلا: ان متصرف هذا العالم ومدبّر شؤونه جعل رسالة محمد ﷺ شمساً معنوية للكون، فقد أُثبتت في رسائل النور: انه بدّد بها جميع الظلمات، مظهراً بها حقائق الكون النورانية.. وابهج ذوي الشعور قاطبة بل الكون باسره ببشارة الحياة الباقية.. وجعل دينه ايضاً فهرس كمالات جميع عباده المقبولين، ومنهجاً قويماً لأفعال العبودية.. وجعل الحقيقة المحمدية وهي شخصيته المعنوية مرآة جامعة لتجليات اُلوهيته بدلالة القرآن الكريم والجوشن الكبير.. بل جعله ينال – علاوة على الحقائق التي اشرنا اليها – مثل حسنات امته كافة في كل يوم طوال اربع عشرة قرناً.. وبعثه الى البشرية واناط به وظائف جليلة سامية.. وجعله احسن قدوة واعظم مرشد واكرم سيدٍ للبشرية قاطبة، بدلالة آثاره في الحياة الاجتماعية والمعنوية والبشرية، وجعل البشرية محتاجة الى دينه وشريعته وحقائقه التي اتى بها في الاسلام [1] حاجتها الى الرحمة والحكمة والعدالة والغذاء والهواء والماء

(١) وقدشعرت وانا اعاني شيخوختي وضعفي بواحدٍ من مليون من الارزاق المعنوية التي اتى بها هذا النبي الكريم محمد ﷺ، فلو كان بوسعي لشكرته بملايين الالسنة والصلوات. وذلك:
انني أتألم غاية الالم من الفراق والزوال، مع ان الدنيا التي احبها والدنيويين يتركوني برحيلهم و بمفارقتهم لي، وانا على علم برحيلي ايضاً. فيتملكني يأس أليم قاتم. ولكن اتسلى وانجو كلياً من هذا اليأس باستماع بشارة السعادة الابدية والحياة الباقية من النبي الكريم ﷺ، حتى انني عندما اقول (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) في التشهد، اقدم له بيعتي وطاعتي واستسلامي لمهمته واباركه في وظيفته مقدماً نوعاً من الشكر اليه، مقابل تلك البشارة بالسعادة الابدية، وهكذا ينطق المسلمون بهذا السلام خمس مرات يومياً – المؤلف

والضيـاء.. كل هذه الحجج الكليـة القاطعـة البالغة اثنتـا عشرة حـجة، شـهادة سامـية رفيعة على الرسالة المحمدية..

فهل من المـمكن الاّ تكون الرسالة المحـمدية شمـساً مـعنوية للكون وهي التي نالت هذا العدد من الشهادات الكلية الواسـعة من رب العالمين الذي لا يهمل رعاية وتنظيم شئ مهما كان حتى جناح ذبابة وزهيرة صغيرة .

* * *

فكل شهادة من هذه الشهادات الخمس عشرة تتـضمن شهادات كثيرة جداً، حتى ان الشهـادة الثالثة قـد اثبتت دعـوى: اشهـد ان مـحمداً رسـول الله بقطعية تامـة وقوة راسخة لإندراج الف من الشهـادات تحتها بلسان المعجزات، واعلنت تحققها وقيمتها واهمـيتـهـا العظيـمـة بحيث ان مـئـات الملايين من الالسنة في طول العـالم الاسـلامي وعرضه يعلنون تلك الدعوى الى الكون خمس مرات في اليوم.

كـمـا ان مليـارات من اهل الايمان قـد رضـوا وصـدّقـوا بـلاريب ان اسـاس تلك الدعوى – وهو الحـقيقـة المحمدية – هي البـذرة الاصلية للكون وسبب خلقـه واكمل ثمرته، وان رب العالمين جـل جلاله قد جعل تلك الشخـصية المعنوية المحمـدية داعياً رفـيعـاً الى سلطان ربوبيتـه وكشـافاً صـادقاً لطـلسم الكائنات ومعـمى الخلق ، ومثـالاً ساطعاً لألطافـه ورحمته، ولساناً بليغـاً لشفقته ومحـبته ، واعظم مبشر للحياة الدائمة والسعادة الابدية في العالم الباقي، وخاتم مبعوثيه واعظم رسله ﷺ .

فـيا خـسارة مـن لايؤمن بحقـيـقة لهـا هذه الماهيـة ولايثق بهـا، او لايهتم بهـا! ويا فداحة خطئه وعظم ارتكابه بلاهة وجناية.

فكما ان سورة « الـفاتحة » التي في الصلاة باشاراتـها في القسـم الثاني تبين حـججاً قـاطعة على دعـوى حقـيـقة التـوحيـد في (اشهـد ان لا إله إلاّ الله) وتضع عليـها مـا لايحد من علامات التصديق، كذلك تأتي في هذا القسم الثالث ايضاً بشهود اقوياء يصدقون مـا في التشهد من « اشهد ان مـحمداً رسول الله » ويضعون عليـه ما لايحد من علامات التصديق.

فيا ارحم الراحمين بحرمة هذا الرسول الاكرم ﷺ، وفقنا لنيل شفاعته واتباع سنته السنية واجعلنا بجوار آله واصحابه الكرام في دار السعادة الابدية.

آمين.آمين. آمين.

اللهم صلّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه بعدد حروف القرآن المقروءة والمكتوبة

آمين.

﴿سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علّمتنا انك انت العليم الحكيم﴾

* * *

المقام الثاني
من
الحجة الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ان حقيقة واحدة من آية الختام لسورة الفاتحة تشير الى الموازنة بين اهل الهداية والاستقامة واهل الضلالة والطغيان. والآية هي منبع جميع الموازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور. وهذه الموازنة يبيّنها بوضوح وبأسلوب عجيب ويعبّر عنها تعبيراً معجزاً قوله تعالى في سورة النور:

﴿**الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوةٍ فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجةٍ الزجاجةُ كأنّها كوكبٌ درّيّ يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ..**﴾(النور: ٣٥) الى آخر الآية.

والذي بعده...

﴿**أو كظلماتٍ في بحرٍ لُجّيّ يغشيهُ موجٌ من فوقه موجٌ..**﴾(النور: ٤٠) الى آخر الآية.

فالآية الاولى، آية النور تتوجه بعشر اشارات الى رسائل النور وتنظر اليها، كما اثبت في الشعاع الاول، مخبرة خبراً مستقبلياً معجزاً عن ذلك التفسير للقرآن الكريم.

ولما كانت هذه الآية الكريمة اهم سبب من اسباب اطلاق اسم « النور » على رسائل النور، وبناءً على بيان معجزة معنوية لهذه الآية العظيمة، كما في السياحة الخيالية التمثيلية لبيان معجزة « ن » نعبد، في قسم من المكتوب التاسع والعشرين.. فان سائح الدنيا في رسالة « الآية الكبرى » الذي سأل جميع الكائنات وانواع الموجودات اثناء بحثه عن خالقه ووجدانه له ومعرفته اياه، وعرفه بثلاث وثلاثين طريقاً وببراهين قاطعة بعلم اليقين وعين اليقين، فإن السائح نفسه قد ساح بعقله وقلبه وخياله في اجواء طبقات العصور والارض والسموات، دون ان يصيبه تعب او نصب، بل ما زال يسيح ليشفي غليله حتى ساح في ارجاء الدنيا الواسعة كلها، فبحث عن جميع نواحيها كمن يسيح في مدينة. مستنداً بعقله احياناً الى حكمة القرآن وتارة الى حكمة الفلسفة كاشفاً بمنظار الخيال اقصى الطبقات، الى أن رأى الحقائق كما هي في الواقع، فأخبر عن قسم منها في تلك الرسالة « الآية الكبرى ».

وها نحن نبين بياناً مختصراً جداً ثلاث عوالم فقط من تلك العوالم والطبقات الكثيرة التي دخلها السائح بسياحة خيالية، والتي هي عين الحقيقة، الاّ انها ظهرت في معنى التمثيل وفي صورته. نبين هذه العوالم كنماذج وامثلة فحسب للموازنة الموجودة في ختام سورة « الفاتحة » وكمثال من حيث القوة العقلية وحدها.

اما سائر مشاهداته وموازناته فنحيلها الى الموازنات المعقودة في رسائل النور.

النموذج الاول هو :

ان ذلك السائح الذي لم يأت الى الدنيا الاّ ليجد خالقه وليعرفه، خاطب عقله قائلاً :

لقد سألنا كل شئ عن خالقنا، واخذنا جواباً شافياً وافياً، ولكن كما يرد في المثل: « ينبغي سؤال الشمس عن الشمس نفسها » فعلينا الآن ان نقوم بسياحة اخرى لاجل معرفة خالقنا من تجليات صفاته الجليلة « كالعلم والارادة والقدرة » ومن آثاره البديعة ومن جلوات اسمائه الحسنى. فدخل الدنيا لهذا الغرض، وركب سفينة الارض فوراً

كأهل الضلال الذين يمثلون تياراً آخر، وقلّد نظارة العلم والفلسفة غير المقيدة بحكمة القرآن. ونظر من خلال منظارمنهج الجغرافية غير المسترشد بالقران فرأى: ان الارض تسيح في فضاء غير محدود، وتقطع في سنة واحدة دائرة تبلغ اربعة وعشرين ألف سنة، بسرعة تزيد على سرعة انطلاق القذيفة بسبعين مرة. وقد حملت على مناكبها مئات الالوف من انواع ذوى الحياة العاجزة الضعيفة. فلو تاهت لدقيقة واحدة وضيعت طريقها او اصطدمت بنجمة سائبة، تبعثرت متساقطة في فضاء غير محدود، والقت ما عليها من الاحياء الضعيفة وافرغتها في العدم والعبث والضياع.

فاستشعر ظلمات معنوية رهيبة خانقة كظلمات في بحر لجّي تنبعث من هذا الفهم الذي في تيار «المغضوب عليهم والضالين». فقال من اعماقه: ياحسرتاه! ماذا عملنا؟ لِمَ ركبنا هذه السفينة المرعبة؟ وكيف النجاة منها؟ فقذف نظارة تلك الفلسفة العمياء وكسرها، ودخل تيار ﴿ **الذين انعمت عليهم** ﴾ واذا بحكمة القرآن تغيثه مسلمةً الى عقله منظاراً تبين الحقيقة كاملة، قائلة له: انظر الآن.. فنظر ورأى:

ان اسم «رب السموات والارض» قد أشرق من برج قوله تعالى ﴿ **هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾(الملك: ١٥) وجعل الارض سفينة آمنة سالمة تمخر عباب بحر الكون الواسع بانتظام دقيق دائرة حول الشمس لاجل حكم كثيرة ومنافع شتى، مشحونة بذوى الحياة ومايلزمها من ارزاق، وهي تجلب محاصيل المواسم للمحتاجين الى الرزق، ونصب سبحانه وتعالى ملكين اثنين يسميان بـ«الثور والحوت» ملاحين وقائدين لتلك السفينة. فيجريانها في سياحة عبر المملكة الربانية التي هي في منتهى الهيبة والروعة، لتستجم مخلوقات الخالق الجليل وضيوفه في فضاء هذا الكون الواسع. وهكذا تبين هذه السياحة المهيبة حقيقة ﴿ **الله نور السموات والارض** ﴾ حيث تعرّف خالقها بتجلي هذا الاسم.

وبعدما ادرك السائح هذا المعنى من مشاهدته الارض ردّد من اعماق روحه ووجدانه : الحمد لله رب العالمين ، ودخل ضمن طائفة ﴿ **الذين انعمت عليهم** ﴾.

النموذج الثاني من العوالم التي شاهدها ذلك السائح هو انه:

بعدما غادر ذلك السائح سفينة الارض، دخل عالم الانسان والحيوانات. فنظر الى العالم بمنظار الحكمة الطبيعية غير المستلهمة الحياة والروح من الدين، فرأى :

ان حاجات غير محدودة لذوي حياة لايحصون، واعداء غير محدودين محيطون بهم يؤذونهم ويلحقون بهم اضراراً جسيمة في حوادث قاسية لارحمة فيها وهم لايملكون من رأس المال الاّ واحداً من ألف بل واحداً من مائة ألف ازاء تلك الحاجات. وليس في اقتدارهم تجاه تلك الامور والاشياء المضرة الاّ واحد من مليون! فتألم السائح امام هذه الحالة التي تثير الرثاء والرهبة والألم – لما يحمل الانسان من علاقات الرقة الجنسية والشفقة النوعية والعقل – وتألم لحالهم ألماً شديداً وحزن عليهم حزناً يشعره بآلام اليأس كالعذاب الشديد في جهنم، فندم ألف ندم على دخوله هذا العالم الحزين النكد.

واذ هو يكابد هذه الآلام ويعاني منها مايعاني اذا بحكمة القرآن الكريم تمدّه وتسعفه، مسلّمة له منظار ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾ قائلة له : أنظر.. فنظر ورأى :

ان كل اسم من اسماء الله الحسنى امثال : الرحمن ، الرحيم، الرزاق، المنعم، الكريم، الحفيظ، قد اشرق كالشمس الساطعة، وذلك بتجلي ﴿ **الله نور السموات والارض** ﴾ عند بروج الآيات الكريمة :

﴿ **ما من دابة الاّ هو آخذ بناصيتها** ﴾(هود: ٥٦)

﴿ **وكأيّن من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم** ﴾(العنكبوت: ٦٠)

﴿ **ولقد كرّمنا بني آدم** ﴾(الاسراء: ٧٠)

﴿ **ان الابرار لفي نعيم** ﴾(الانفطار: ١٣)

فأنغمرت دنيا الانسان والحيوان بتلك الرحمة السابغة والاحسان العميم حتى كأنها تحولت الى جنة موقتة. فعلم السائح ان هذه الدنيا بما فيها تعرّف تعريفاً جيداً المضيّف الكريم لهذا المضيف الجميل الجدير بالمشاهدة، المليء بالعبر، فحمد الله سبحانه ألف حمد قائلاً : الحمد لله رب العالمين .

النموذج الثالث من سياحة السائح التي تحوى مئات من مشاهداته:

ان ذلك السائح في الدنيا ، الذي يريد معرفة خالقه، من خلال تجليات اسمائه الحسنى وصفاته الجليلة خاطب عقله وخياله قائلاً: هيا لنصعد الى السموات العلى كالارواح والملائكة تاركين اجسادنا في الارض، ولنسأل اهل السموات خالقنا. فركب العقلُ الفكرَ والروحُ الخيالَ وصعدوا جميعاً الى السماء متخذين علم الفلك مرشدهم، ونظروا بمنظار (الضالين.. المغضوب عليهم) اى بمنظار الفلسفة التي لاتعير للدين بالاً، فشاهد السائح: ان آلاف الاجرام والنجوم المستطيرة ناراً وتكبر الارض ألف مرة وتنطلق وتجرى متداخلة أسرع من سرعة القذائف مائة مرة وهي جامدة لاشعور لها، كأنها سائبة، حتى اذا ما تاهت احداها سبيلها لدقيقة واحدة مصادفةً واصطدمت مع اخرى لاشعور لها لاختلط الحابل بالنابل وعم الفوضى وحدث ما يشبه القيامة في ذلك العالم غير المحدود .

فما من جهة نظر اليها السائح الاّ واورثته الوحشة والدهشة والحيرة والخوف، فندم على صعوده الى السماء ألف ندم، اذ قد اختل العقل والخيال واضطربا كلياً.حتى ليقولا: اننا لانريد معرفة مثل هذه المعانى القبيحة الاليمة المعذبة كعذاب جهنم، بل نربأ بأنفسنا حتى عن مشاهدتها، لأن وظيفتنا الاساس رؤية الحقائق الجميلة واراءتها، واذ يقولان هكذا اذا بتجل من ﴿ **الله نور السموات والارض** ﴾ اشرقت الاسماء الالهية: «خالق السموات والارض» و«مسخر الشمس والقمر» و«رب العالمين» وامثالها.. اشرقت كالشمس من بروج الآيات الكريمة :

﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾(الملك:٥)

﴿ **افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها** ﴾(ق:٦)

و﴿ **ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات** ﴾(البقرة:٢٩)

فملأت انوار تلك الاسماء السموات كلها بالنور والملائكة. وحوّلتها الى مسجد عظيم وجامع كبير ومعسكر مهيب. فدخل ذلك السائح ضمن طائفة ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾ ونجا من ظلمات ﴿ **كظلمات في بحر لجيّ** ﴾ واذا به يرى مملكة جميلة مهيبة منسقة كالجنة.. فترقت قيمة العقل والخيال وسمت وظائفهما ألف درجة لما شاهدا في كل جانب منها من يعرّف بالخالق الجليل.

وهكذا ننهي هذا البحث الواسع مكتفين بهذه الاشارة القصيرة جداً محيلين سائر مشاهدات السائح في الكون الى رسائل النور قياساً على هذه النماذج الثلاثة المذكورة من بين مئات النماذج لدى سياحته لمعرفة واجب الوجود من خلال تجليات اسمائه تعالى. ونحاول باشارة في منتهى الاختصار معرفة خالق الكون - كمعرفة ذلك السائح - وذلك من خلال آثار وتجليات صفات «العلم» و«الارادة» و«القدرة» فقط بين الصفات السبع الجليلة لخالقنا ومن حجج تحقق تلك الصفات الثلاث الجليلة، ونحيل تفاصيلها الى رسائل النور.

ان الفقرة العربية الآتية هي وردى التفكرى الدائم المستخلص من خلاصة الحزب النورى العربى، التي تبين ثلاث مراتب من المراتب الثلاث والثلاثين لجملة «الله أكبر» فنشير ضمن شرحها وما يشبه ترجمتها باشارات قصيرة الى ما اشغل كثيراً علماء الكلام وعلماء العقائد من معرفة تلك الصفات بتجلياتها في الكون والتصديق بها بايمان راسخ بعين اليقين. فهذه الفقرة العربية تفتح سبيلاً الى الايمان الكامل بتلك الصفات الثلاث - بعلم اليقين - على وجود واجب الوجود ووحدانيته بدرجة البداهة:

[بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **وقل الحمدُلله الذي لَم يتخذ ولَداً ولم يكُن لهُ شريكٌ في الملكِ ولم يكن لهُ وليٌّ منَ الذلّ وكَبِّرهُ تكبيرا** ﴾(الاسراء:١١١)

اَللّٰهُ اكبرُ من كلِّ شيءٍ قدرةً وعلماً إذ هو العليمُ بكلِّ شيءٍ بعلمٍ محيطٍ لازمٍ ذاتيٍّ(١) للذاتِ يلزمُ الاشياء لايمكنُ ان ينفكَّ عنهُ شيءٌ بسر الحضور والشهود والاحاطة النورانية وبسر استلزام الوجود للمعلومية واحاطة نور العلم بعالم الوجود.

نعم فالانتظامات الموزونة.. والاتزانات المنظومة.. والحكم القصدية العامة.. والعنايات المخصوصة الشاملة.. والاقضية المنتظمة.. والاقدار المثمرة.. والاجال المعينة والارزاق المقننة.. والاتقانات المفننة.. والاهتمامات المزينة.. وغاية كمال الانتظام والانسجام والاتساق والاتقان والاتزان والامتياز، المطلقات في كمال السهولة

(١) ولله المثل الاعلى: كلزوم الضياء المحيط للشمس - المؤلف.

المطلقة.. دآلآت على احاطة علم علاّم الغيوب بكلّ شئ ﴿ ألاَ يعلمُ من خلقَ وهوَ اللّطيفُ الخبيرُ ﴾(الملك:١٤) فنسبةُ دلالة حسن صنعة الانسان على شعور الانسان الى نسبةِ دلالة حسن خلقة الانسان على علم خالق الانسان كنسبة لُميعة نجمية الذبيبة في اللّيلة الدّهماء الى شعشعة الشّمس في رابعة النّهار.]

نشير باشارات قصيرة الى «العلم الالهي» هذه الحقيقة الايمانية الجليلة، ضمن ترجمة قصيرة جداً لهذه الفقرة العربية محيلين تفاصيلها الى رسائل النور، فنقول:(١)

نعم،كما ان الرحمة تبين نفسها كالشمس بأرزاقها العجيبة وتثبت بدلالة قاطعة ان وراء ستار الغيب رحمن رحيم، كذلك «العلم» الذي اتخذ موقعاً ضمن مئات الآيات القرانية، والذي هو - من جهة - اولى الصفات السبع الجليلة يبين نفسه كضوء الشمس بثمرات وحكم النظام والميزان، ويدل على وجود عليم بكل شئ دلالة مطلقة.

نعم ان نسبة دلالة حسن صنعة الانسان المنتظمة المقدّرة على شعوره وعلمه، ودلالة حسن خلق الانسان في احسن تقويم على علم خالق الانسان وحكمته جل وعلا كنسبة لميعة اليراعة في الليلة الدهماء الى شعشعة الشمس في رابعة النهار.

والان قبل الخوض في بيان دلائل العلم الالهي، فان دلالة تجليات تلك الصفة المقدسة في انواع الكائنات على الذات المقدسة دلالة واضحة جداً قد شهد عليها وتضمنها الحوار الذي دار ليلة المعراج النبوي، لدى حظوته ﷺ بالحضور والخطاب الالهي لما قال :

«التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله» باسم جميع ذوي الحياة وانواع المخلوقات، حيث هو مبعوث ورسول، فقدم الى خالقه الجليل هدايا جميع ذوي الحياة، في طراز معرفة جميع تلك المخلوقات ربّها بتجليات العلم، قال ذلك في موضع السلام وبدلاً عن جميع ذوي الشعور.

(١) لقد كتب القسم الثاني اثناء مكابدة مرض رهيب ومسمم لم اره طوال حياتي، فأرجو النظر الى تقصيراتي بنظر المسامحة. ويستطيع «خسرو» ان يصلح ويبدل ويعدل ما يراه غير مناسباً.- المؤلف.

اي ان الطوائف الاربع لجميع ذوي الحياة تقدم بالكلمات الاربع «التحيات المباركات الصلوات الطيبات» وبتجليات العلم الازلى الابدى، تحياتها وتهانيها وعبوديتها ومعرفتها الجميلة الطيبة ازاء علام الغيوب، لذا غدت قراءة هذه المحاورة المعراجية المقدسة بمعناها الواسع فرضاً على جميع المسلمين في التشهد.

نبين معنى من معانى تلك المحاورة السامية باربع اشارات مختصرة جداً محيلين ايضاحها الى رسائل النور.

الكلمة الاولى : هي «التحيات لله»

ومعناها باختصار هو :

اذا ما صنع صنّاع ماهر ماكنة خارقة، بمايملك من علم واسع وذكاء خارق، فان كل من يشاهد تلك الماكنة العجيبة يهنئ ذلك الصناع تهنئة تقدير واعجاب. ويقدم له هدايا وتحيات مادية ومعنوية مع ثناء مفعم بالاستحسان. والماكنة بدورها تهنئ وتبارك صناعها بلسان الحال وتقدم هدايا وتحيات معنوية له، وذلك باظهار رغبات ذلك الصناع كاملة، وعرض خوارق صنعته الدقيقة وابراز حذاقته العلمية.

كذلك فان جميع طوائف ذوي الحياة في الكائنات كلها، بل كل طائفة منها، وكل فرد من افرادها، انما هي ماكنة معجزة بكل جوانبها، تهنئ صانعها الجليل الذي يعرّف نفسه بجلوات علمه الواسع الذي يبصر علاقة كل شئ باي شئ كان ويوصل اليه كل ما يلزم حياته في وقته، تهنؤه بالتحيات وتباركه بقولها: «التحيات لله» بألسنة احوال حياتها، كما تهنؤه ألسنة اقوال ذوي الشعور كالانس والجن والملك. فيقدم جميع ذوي الحياة ثمن حياتهم مباشرة بمعنى العبادة الى خالقهم الذي يعلم احوال المخلوقات كلها. فعبّر الرسول الكريم محمد ﷺ لدى حضوره امام الواجب الوجود في ليلة المعراج بإسم جميع ذوي الحياة بقوله: «التحيات لله» بدلاً من السلام، مقدماً تحيات طوائف جميع ذوي الحياة وهداياهم وسلامهم المعنوى.

نعم، ان كانت ماكنة منتظمة اعتيادية تدل على صانع ماهر حاذق بتركيبها المنظم الموزون، فان كل ماكنة من المكائن الحية التي تملأ الكون والتي لاتعد ولاتحصى تظهر

اذن ألف معجزة ومعجزة علمية، ولاشك ان ذوي الحياة يدلون على وجوب وجود صانعهم السرمدي وعلى معبوديته بتجليات العلم التي هي كضوء الشمس بالنسبة لدلالة تلك الماكنة التي هي كضوء اليراعة.

الكلمة الثانية السامية من كلمات المعراج: هي «المباركات»:

لما كانت الصلاة معراج المؤمن كما هو ثابت في الحديث الشريف، وفيها انوار تجليات المعراج الاعظم، وان سائح الدنيا قد وجد خالقه العلاّم للغيب بصفة العلم في كل عالم. فنحن كذلك ندخل مع ذلك السائح عالم المباركات الواسع والذي يستنطق الاخرين بالتبريك والتهنئة، ونحاول ان نعرف خالقنا بعلم اليقن – مثل ذلك السائح – من خلال التجليات المعجزة الدقيقة للصفة الالهية الجليلة ، صفة العلم. وذلك اثناء مشاهدة ذلك العالم، عالم المباركات ومطالعته، ولاسيما صغار ذوي الارواح اللطيفين المباركين الابرياء، والنوى والبذور التي هي عليبات تضم مقدرات ذوي الحياة وبرامجها.

نعم اننا نشاهد بابصارنا ان جميع اولئك الصغار اللطيفين الابرياء وتلك المخازن والعليبات المباركة، تنتفض جميعها وكل فرد منها دفعة بعلم عليم حكيم للمضي الى ما خُلق لأجله حتى تستنطق تلك الحركات كل ناظر اليها بنظر الحقيقة بالقول : بارك الله، ما شاء الله.. ألف ألف مرة.

نعم، فالنطف مثلاً والبيوض والبذور والنوى، كل منها ضمن نظام دقيق آت من العلم.. وان ذلك النظام ضمن ميزان آت من مهارة كاملة.. وذلك الميزان ضمن تنظيم جديد.. وهذا ضمن مكيال ووزان جديد.. وهذا بدوره ضمن تربية.. وتمييز.. وعلامات فارقة مقصودة عن متشابهات امثالها.. وهذه ضمن تزيين وتجميل متقن.. وهذا ايضاً ضمن اجهزة كاملة وتصوير ملائم دقيق حكيم.. وهذه ضمن اختلاف لحوم تلك المخلوقات والثمرات وما يؤكل منها، لإشباع المحتاجين الى الرزق اشباعاً كريماً بما ينسجم واذواقهم.. وهذا ايضاً ضمن نقوش واشكال من الزينة المتباينة زيّنت بعلم واعجاز.. وهذه ضمن روائح طيبة متنوعة.. وطعومات لذيذة متباينة،

بحيث ان انكشاف صور جميع تلك المخلوقات وتمايز بعضها عن بعض بكمال الانتظام بلا خطأ ولا سهو في سرعة مطلقة.. ووسعة مطلقة.. مع انها في كثرة مطلقة.. ودوام تلك الحالة الخارقة في كل موسم، يجعل كل فرد والافراد جميعاً يظهرون بهذه الألسنة الخمسة عشرة العلم الإلهي، ويلفتون الانظار الى المهارة الخارقة لربهم ويدلون بها على علمه المعجز. فيعرّفون بجلاء كالشمس صانعهم الواجب الوجود، علام الغيوب.

فشهادتهم هذه الواسعة الساطعة جداً وتهانيهم لصانعهم، هي التي عبّر عنها النبي ﷺ الذي تكلم باسم جميع المخلوقات في ليلة المعراج وقال: «المباركات» بدلا عن السلام.

الكلمة الثالثة: وهي «الصلوات»

ان مائة مليون من اهل الايمان يعلنون تلك الكلمة المقدسة التي قيلت في المعراج المحمدي الاكبر، وتقال في المعراج الخاص بالمؤمن، اي في تشهد الصلاة، في كل يوم في الاقل عشر مرات، بإتّباعهم الرسول الكريم ﷺ يعلنونها في ارجاء الكون كله مقدمين اياها الى الحضرة الربانية.

وبناء على البيان الواضح والاثبات القوى القاطع في رسالة المعرا ج «الكلمة الحادية والثلاثين» وايضاحها جميع حقائق المعراج، حتى ازاء خطابها للملحد المنكر المتعنت، نحيل تفاصيل البحث وحججه الى تلك الرسالة،الاّ اننا نشير اشارة في منتهى الاختصار الى المعنى الواسع لهذه الكلمة المعراجية الثالثة والذي يبينه العوالم العجيبة لطوائف ذوي الارواح والمشاعر، فنشاهد تلك العوالم محاولين معرفة وحدانية خالقنا ووجوده وكمال رحمانيته ورحيميته وعظمة قدرته وشمول ارادته، وذلك من خلال تجليات العلم الازلي.

نعم، اننا نشاهد في هذا العالم ان كل ذي روح يستشعر بالاحاسيس وبالفطرة - وان لم يكن بالشعور والعقل - انه يعانى عجزاً وضعفاً لايحدان بحدود مع ان اعداءه وما يؤلمه لايعدون، وان كلاً منهم يتقلب في فقر وحاجة لاحدود لهما مع ان

حاجاته ومطاليبه لاحدّ لها. ولما كان اقتداره وراس ماله لايكفي لواحد من الف منها تراه يستغيث ويبكي بكل ما يملك من قوة، ويتضرع فطرة وضمناً. واذ يلتجئ الى ديوان عليم قدير بصوته الخاص وبلسانه الخاص وبدعوات وصلوات وتوسلات وتضرعات ونوعاً من صلوات خاصة به، اذا بنا نشاهد ان قديراً حكيماً عليماً مطلقاً يعلم كل حاجة من حاجات اولئك الاحياء ويقضيها لهم، ويبصر كل داء من ادوائهم ويسعفها لهم، ويسمع كل نداء ودعاء يدعونه فطرة ويستغيثونه ويستجيب لهم، فيحول سبحانه وتعالى بكاءهم الى ابتسامات حلوة ويبدل استغاثاتهم الى انواع من الحمد والشكر.

ان هذا المدد المتسم بالحكمة والعلم والرحمة يدل دلالة واضحة بتجليات العلم والرحمة على المجيب المغيث الرحيم الكريم. فجميع الصلوات والعبادات التي تنطلق من هذه العوالم، عوالم ذوي الارواح، الصاعدة الى ذلك المجيب المغيث قد عبّر عنها – بهذا المعنى – وقدّمها وخصصها محمد ﷺ في المعراج الاكبر، ويرددها كل مؤمن في المعراج الاصغر في كل صلاة بـ« الصلوات الطيبات لله ».

الكلمة الرابعة السامية: « وهي الطيبات لله »:

لما كانت حقائق كثيرة لرسائل النور تتخطر على قلبي في أذكار الصلاة، فقد رأيتني كأنني أنساق – بناء على هذه الحكمة – الى بيان حقائق كلمات سورة الفاتحة والتشهد باشارات قصيرة دون اختيار مني.

وهكذا فالكلمة القدسية « الطيبات » التي قيلت في المعراج المحمدي التي تحوى معانى الطيبات التي لاتحد والمنطلقة من الانس والجن والملك والروحانيين الذين هم اهل المعرفة والايمان والشعور الكلي، والذين يجملون الكون بأسرها بطيباتهم وحسناتهم وعباداتهم الجميلة، المتوجهة كلها الى عالم الجميلات، والذين يدركون ادراكاً كاملاً الجمالات والمحاسن التي لاتحد للجميل المطلق السرمدي والجمال الدائم لأسمائه الحسنى التي تجمل الكون فيقابلون بالعبادات الكلية المفعمة بالعشق والشوق، وبالروائح الطيبة العطرة للايمان الساطع وللمعارف الواسعة وللحمد والثناء التي يقدمونها تجاه خالقهم الجليل..

وبحكم هذا المعنى الواسع لتلك الطيبات التي لا تحد وبمضمون ما قيل في المعراج، تكرر الأمة كلها تلك الكلمة المقدسة في التشهد يومياً دون ملل ولاسأم.

نعم ان هذا الكون مرآة تعكس الجمال السرمدي والحسن غير المحدود، بل من تجلياته سبحانه. وما في الكون من جمال وحسن آت من ذلك الحسن السرمدي، ويتجمل بالانتساب اليه فيرقى ويعلو.. اذ لولا ذلك الانتساب لتحول الكون الى مأتم موحش واخلاط ودمار وفوضى ضارب اطنانه.

ويُدرك ذلك الانتساب بمعرفة الانس والجن والملك والروحانيين وبتصديقهم، وهم الدعاة الادلاء الى سلطنة الالوهية،حتى ان الحمد الجميل والثناء الحسن الذي يرفعه اولئك الدعاة ونشر ثنائهم لمعبودهم وكلماتهم الى كل ناحية في الكون والى العرش الاعظم تقف ازاءها ذرات الهواء على أهبة الاستعداد لاداء هذه المهمة وكأنها ألسنة ناطقة مصغرة وآذان صاغية صغيرة،لأجل تقديم تلك الكلمات الطيبات الى الحضرة الالهية.. فخطر الى قلبي ان هناك احتمال قوى لمنح تلك المهمة الخارقة جداً والعجيبة الى الهواء.

وهكذا فكما ان الانس والملك يعرّفون المعبود الجليل بايمانهم وعباداتهم، كذلك الحكيم ذو الجلال يعرّف نفسه تعريفاً ظاهراً ساطعاً بما اودع من استعدادات جامعة كثيرة في الدعاة وبما جهزهم باجهزة بديعة خارقة وبما فيهم من دقائق علمية، وجعل كلاً منهم ذي ارتباط مع الكون بأسره وكأن كلاً منهم كون مصغر.

فمثلاً: ان خلق القوة الحافظة والخيالية والمفكرة وامثالها من المكائن العجيبة. في موضع صغير في دماغ الانسان لايتجاوز حجم جوزة واحدة. وجعل القوة الحافظة بمثابة مكتبة ضخمة. يبين انه سبحانه وتعالى يظهر نفسه بتجليات العلم الازلي بياناً واضحاً كالشمس في رابعة النهار[1].

والآن نشير باشارات في منتهى الايجاز الى فحوى الفقرة العربية المذكورة في مقدمة هذا البحث المشيرة الى الحجج الكلية للعلم المحيط، وهي حجة عظيمة تضم ما لايحد من البراهين وتبين العلم الازلي بخمس عشرة دليلاً.

(١) ان مرضي الشديد جداً لا يسمح بالايضاح، وما كتبته انما هو مصدر ومساعدة لمهمة «خسرو» في الترجمة ليس إلاّ. — المؤلف.

فالدليل الاول من الادلة الخمس عشرة هو: [فالانتظامات الموزونة].

اي ان التناسق المقدر قدره والمشاهد في المخلوقات جميعاً، وكذا الانتظام الموزون فيها يشهدان على علم محيط بكل شئ. نعم انه ابتداءً من جميع الكون الذي هو كقصر بديع منسق الاجزاء، ومن المنظومة الشمسية، ومن عنصر الهواء الذي تنشر ذراته الكلمات والاصوات نشراً يبعث على الحيرة والاعجاب، ويبين انتظاماً بديعاً، ومن سطح الارض الذي يهيئ ثلاثمائة ألف نوع من الانواع المختلفة في كل ربيع وفي اتم نظام واكمل انتظام.. الى كل جهاز من اجهزة كل كائن حي بل الى كل عضو فيه بل الى كل حجيرة من جسمه بل الى كل ذرة من ذرات جسمه.. كل ذلك انما هو اثر علم لطيف محيط بكل شئ لايضل ولاينسى.

نعم ان وجود هذا النظام الموزون والانتظام الاتم في كل ما ذكر يدل دلالة قاطعة ويبين بوضوح تام علماً محيطاً بكل شئ ويشهد له.

الدليل الثاني: هو [الاتزانات المنظومة].

اي ان وجود ميزان في منتهى الانتظام ومكيال في منتهى الاتزان في جميع المصنوعات التي في الكون جزئيها وكليها إبتداءً من السيارات الجارية في الفضاء الى الكريات الحمر والبيض السابحة في الدم. انما يدل بالبداهة على علم محيط بكل شئ ويشهد عليه شهادة قاطعة.

نعم اننا نشهد مثلاً ان اعضاء الانسان او الذباب واجهزته، بل حتى حجيرات جسمه وكريات دمه الحمراء والبيض قد وضع في موضعه الملائم المناسب والمنسجم، بميزان حساس جداً وبمكيال دقيق جداً ينسجم انسجاماً تاماً بعضه بعضاً ومع سائر اعضاء الجسم.. بحيث يدل دلالة قاطعة على ان من لايملك علماً محيطاً بكل شئ لايستطيع ان يعطى تلك الاوضاع الى تلك الاشياء ولايمكن له ذلك بحال من الاحوال.

وهكذا فان جميع ذوي الحياة وانواع المخلوقات من الذرات الى سيارات المنظومة الشمسية هي في موازنة تامة لاتتعثر قيد أنملة، ويحكم عليها جميعاً مكيال منظم، مما

يدل دلالة قاطعة على علم محيط بكل شئ ويشهد شهادة صادقة عليه. بمعنى ان كل دليل من دلائل العلم دليل ايضاً على وجود العليم الخبير. اذ محال وجود صنعة بلا موصوف، فجميع حجج العلم الازلي حجة قوية ايضاً على وجوب وجوده سبحانه وتعالى.

الدليل الثالث: وهو [والحِكَم القصدية العامة]

اى ان حكماً مقصودة بعلم، تناط بكل مصنوع، وبكل طائفة فى الكون الذى تجرى فيه الخلاقية الدائمة والفعالية المستمرة والتبدل الدائم والاحياء المستمر والتوظيف والتسريح المستديمين، تلك التى لها من الفوائد والوظائف بحيث لايمكن اسنادها الى المصادفة قطعاً .فنشاهد انه من لايملك علماً محيطاً لايمكن ان يكون مالكاً لإي منها وفي أية جهة كانت من حيث الايجاد.

فمثلاً: اللسان جهاز واحد من مائة جهاز من اجهزة الانسان الذي هو واحد مما لايحد من الاحياء، هذا اللسان عبارة عن قطعة لحم ليس الاّ. ولكنه يكون وسيلة لمئات من الحكم والنتائج والثمرات والفوائد بادائه وظيفتين مهمتين:

فاداؤه لوظيفة تذوق الاطعمة: هو ابلاغه الجسم والمعدة بعلم عن جميع اللذائذ المتنوعة لكل نوع من انواع الاطعمة، وكونه مفتشاً حاذقاً على مطابخ الرحمة الالهية..

واداؤه لوظيفة الكلمات: هو كونه مترجماً اميناً ومركزاً لبث ما يدور في القلب وما يراود الروح والدماغ من امور.. كل ذلك يدل دلالة في منتهى السطوع والقطعية على علم محيط لاشك فيه..

فلئن كان لسان واحد يدل دلالة الى هذا الحد بما فيه من حكم وثمرات، فان ألسنة غير متناهية وذوي حياة غير معدودين ومصنوعات لامنتهى لها تدل بلاشك دلالة اوضح من الشمس وتشهد شهادة أبين من النهار على علم لانهاية له. وتعلن جميعها انه لاشئ خارج عن دائرة علم الغيب ولاخارج عن مشيئته جل وعلا.

الدليل الرابع: هو:[والعنايات المخصوصة الشاملة]

اي ان انواع العناية والشفقة والرعاية الخاصة المناسبة لكل نوع بل لكل فرد والشاملة جميع ما في عالم الاحياء وذوي الشعور تدل دلالة بديهية على علم

محيط. وتشهد شهادات لاحدّ لها على وجوب وجود عليم ذي عناية يعلم اولئك الذين نالوا تلك العنايات ويعلم حاجاتهم.

«تنبيه»: ان ايضاح كلمات الفقرة العربية التي هي زبدة خلاصة الخلاصة لرسائل النور المترشحة من القرآن الكريم هو إشارة الى ما استفاضته رسائل النور من الحقائق المنبعثة من لمعات آيات القرآن الكريم ولاسيما الدلائل والحجج التي تخص «العلم» و«الارادة» و«القدرة» بحيث تفسّر باهتمام بالغ ما تشير اليه هذه الكلمات العربية من دلائل علمية. بمعنى ان كلاً منها عبارة عن بيان لنكتة واشارة لآيات قرآنية كريمة. والاّ فهي ليست تفسيراً لتلك الكلمات العربية وبيانها وترجمتها..»

نرجع الى صدد الموضوع:

نعم اننا نشاهد بابصارنا ان عليماً رحيماً يعرفنا ويعلم بحالنا واحوال جميع ذوي الارواح فيشملهم جميعاً بشفقته وحمايته ويأخذهم تحت كنف رحمته عن معرفة وبصيرة، ويوفي حاجات كل منهم ومطالبيه فيغيثه بعنايته ورأفته.

نورد مثالاً واحداً من بين امثلته غير المحدودة: فالعنايات الخاصة والعامة والواردة من حيث رزق الانسان وما يحتاجه من ادوية ومعادن تبين بياناً جليّاً علماً محيطاً وتشهد على الرحمن الرحيم بعدد الارزاق والادوية والمعادن.

نعم، ان اعاشة الانسان ولاسيما العاجزين والصغار الضعاف، وبخاصة ايصال الرزق الى اعضاء الجسم المحتاجة اليه من مطبخ المعدة، حتى الى حجيراته، كل بما يناسبه.. وكذا جعل الجبال الشوامخ مخازن للمعادن ومداخر ادوية يحتاجها الانسان وامثالها من الافعال الحكيمة، لايمكن ان تحصل الاّ بعلم محيط بكل شئ. فالمصادفة العشواء والقوة العمياء والطبيعة الصماء والاسباب الجامدة الفاقدة للشعور والعناصر البسيطة المستولية، لايمكن ان تتدخل قطعاً في مثل هذه الاعاشة والادارة والحماية والتدبير المتسمة بالعلم والبصر والحكمة والرحمة والعناية. فليست تلك

الاسباب الظاهرية الاّ ستاراً لعزة القدرة الالهية بأمر العليم المطلق وباذنه وضمن دائرة علمه وحكمته.

الدليل الخامس والسادس: وهما: [والاقضية المنتظمة والاقدار المثمرة]

اي ان اشكال كل شئ ولاسيما اشكال النباتات والاشجار والحيوانات والانسان ومقاديرها قد فصلت تفصيلاً متقناً بدساتير نوعي العلم الازلي وهما القضاء والقدر وخيطت بما يلائم قامة كل منها ملاءمة تامة وأسبغت على كل منها فاعطيت لها شكلاً منتظماً في غاية الحكمة. فكل شئ من هذه الاشياء وجميعها معاً تدل على علم لانهاية له وتشهد بعددها على صانع عليم.

لنأخذ من امثلتها غير المحدودة مثالاً واحداً: شجرة واحدة، او انسان فرد، فنشاهد ان هذه الشجرة المثمرة وهذا الانسان الحامل لاجهزة كثيرة قد رسمت حدود ظاهره وباطنه بفرجال غيبي وقلم علم دقيق، اذ اعطي بانتظام تام لكل عضو من اعضائه ما يناسبه من صورة لتثمر ثمراتها وتنتج نتائجها وتؤدي وظائف فطرتها. ولما كان هذا لا يحدث الاّ بعلم لانهاية له، يحتاج الى علم غير محدود لصانع مصوّر وعليم مقدّر يعلم العلاقة بين الاشياء كلها ويحسب ارتباط كل شئ بالاشياء كلها ويعلم جميع امثال هذه الشجرة وهذا الانسان، وجميع انواعهما ويقدّر بفرجال وقلم قضائه وقدر علمه الازلي مقادير خارجه وباطنه ويصوّر صورته تقديراً حكيماً، وعلى بصيرة وعلم. اي ان الدلائل والشهادات على وجوب وجوده سبحانه وعلى علمه المطلق هي بعدد النباتات والحيوانات.

الدليل السابع والثامن: وهما: [والآجال المعينة والارزاق المقننة].

ان الآجال والارزاق اللذين يبدوان بظاهر الأمر كأنهما مبهمان وغير معيّنان، الاّ انهما في الواقع مقدّران تحت ستار إبهام في دفتر القضاء والقدر الازلي، وفي صحيفة المقدّرات الحياتية. فالأجل المحتوم لكل ذي حياة مقدر ومعين لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، ورزق كل ذي روح قد عين وخصص، ومكتوب كل ذلك في لوح القضاء والقدر.

وهناك ما لا يحد من الادلة على هذا الحكم، منها:

ان موت شجرة ضخمة وتوريثها بذيراتها التي هي بمثابة نوع من روحها،للقيام بمهامها التي كانت تؤديها، لا يتم الاّ بقانون حكيم لعليم حفيظ. وان ما يتدفق من الاثداء من لبن خالص رزقاً للصغير، وخروجه من بين فرثٍ ودمٍ دون اختلاط او امتزاج، صافياً طاهراً، وسيلانه الى فمه، ليردّ رداً قوياً احتمال وقوعه بالمصادفة، ويبين تحققه في غاية القطعية انه من جراء دستور ذي شفقة موضوعة من لدن رزاق عليم رحيم. وقس سائر ذوي الحياة وذوي الارواح على هذين النموذجين الجزئيين.

ففي حقيقة الامر ان الاجل معين مقدر، والرزق كذلك، وقد ادرجا في سجل المقدّرات وجعل كل منهما معيناً. ولكنهما يبدوان ـ في الظاهر ـ متواريين خلف الغيب، ومتعلقين في خيوط الابهام غير المرئية، ويظهران كأنهما غير معينين فعلاً، وكأنهما مشدودان الى المصادفة... كل ذلك لاجل حكمة دقيقة وفي غاية الأهمية.!

اذ لو كان الاجل معيناً كغروب الشمس لكان الانسان يقضي شطر عمره في غفلة مطبقة، ويضيّعه، عازفاً عن السعي للآخرة، ثم يتورط في الشطر الآخر بخضم المخاوف المذهلة، ويكون كمن يخطو خطوة كل يوم نحو اعواد المشانق، ولكانت المصيبة المندرجة في الاجل تتضاعف بالمئات!. ولاجل هذا السر الدقيق أبقيت المصائب – التي تعاود الانسان عادةً – تحت ستار الغيب. بل حتى ان أجل الدنيا الذي هو القيامة قد أخفاه سبحانه – رحمةً منه ورأفةً – خلف حجاب الغيب للسبب نفسه.

اما الرزق، فلكونه أعظم خزينة تفيض بالنعم بعد نعمة الحياة.. واغنى منبع يعبّ بالشكر والحمد.. وأجمع كنز للعبودية والدعاء وضروب الرجاء، فقد عرض في صورته الظاهرة كأنه مبهم ومشدود الى المصادفة؛ وذلك لئلا يوصد باب طلب الرزق بالدعاء من الرزاق الكريم في كل حين، ولئلا ينغلق باب الالتجاء والتوسل المشفعة بالحمد والشكر لله تعالى، اذ لو كان الرزق معيناً كشروق الشمس وغروبها، لكانت ماهيتُه متغيرة كلياً، ولكانت أبواب الرجاء ومنافذ التضرع ومعارج الدعاء الملفّعة كلها بالشكر الجميل والرضى الحسن قد أنسدت عن آخرها، بل لكانت ابواب العبودية الخاشعة الضارعة قد انغلقت نهائياً.

الدليل التاسع والعاشر: وهما: [والاتقانات المفننة والاهتمامات المزينة].

اي: ان كل مصنوع من جميع المخلوقات الجميلة المبثوثة على سطح الارض كافة ولاسيما في موسم الربيع يبين تجليات حسن سرمد وجمال خالد. فخذ مثلاً: الازاهير والثمرات والطويرات والحشرات ولاسيما المذهبة اللماعة، ففي خلقها وفي صورتها وفي اجهزتها من المهارة المعجزة والصنعة الدقيقة الخارقة والاتقان البديع والكمال المعجز لصانعها الجليل، في اشكال متنوعة وانماط مختلفة ومكائن دقيقة ما يدل دلالة قاطعة على علم محيط بكل شئ وملكة علمية ذات مهارات وفنون – ان جاز التعبير – وتشهد شهادات صادقة على ان مداخلة المصادفة والاسباب المتشاكسة الفاقدة للشعور، محال في محال.

وان عبارة « والاهتمامات المزينة » تفيد: ان في تلك المصنوعات الجميلة تزييناً لطيفاً حلواً وزينة فاخرة رائعة وجمال صنعة جاذب فيفعل ما يفعل بعلم لا نهاية له، ويعلم اجمل حالة وألطف وضع لكل شئ، ويريد اظهار جمال كمال الابداع وكمال جماله الى ذوي الشعور بحيث يخلق اصغر زهيرة جزئية واصغر حشرة ويصورها باهتمام بالغ وبمهارة فائقة وباتقان بديع.

فهذا التزيين والتجميل المتسم بالاهتمام والرعاية يدل بالبداهة على علم محيط بكل شئ ويشهد على وجوب وجود الصانع العليم ذي الجمال بعدد تلك المخلوقات الجميلة..

الدليل الحادي عشر المتضمن لخمسة ادلة وخمس حجج:

[وغاية كمال الانتظام، الاتزان، الامتياز، المطلقات، في السهولة المطلقة..

وخلق الاشياء في الكثرة المطلقة مع الاتقان المطلق..

وفي السرعة المطلقة مع الاتزان المطلق..

وفي الوسعة المطلقة مع كمال حسن الصنعة..

وفي البعدة المطلقة مع الاتفاق المطلق..

وفي الخلطة المطلقة مع الامتياز المطلق..]

هذا الدليل هو صياغة اخرى للدليل المذكور في ختام الفقرة العربية السابقة واجمل منها، وهو بيان للدلائل الخمسة والستة الواسعة، نشير اليه باشارة في منتهى الاختصار والقصر بسبب المرض الشديد.

اولاً : نشاهد على الارض كافة ان صنع مكائن ذات حياة عجيبة، بكل سهولة ويسر دفعةً، نابعين من علم كامل ومهارة تامة، بل صنع قسم منها في دقيقة واحدة، وبشكل منسق موزون، مع فوارق عن مثيلاتها، يدل دلالة تامة على علم لا نهاية له، وعلى كمال ذلك العلم بدرجة السهولة واليسر الناشئين من المهارة العلمية في الصنعة.

ثانياً : ان خلق المخلوقات في غمرة الكثرة غير المتناهية والوفرة التي لايحدها حدود متقناً وبلا خطأ ولاحيرة يدل على علم لا حد له ضمن قدرة غير متناهية، ويشهد شهادات لاحدّ لها على العليم المطلق والقدير المطلق.

ثالثاً : ان خلق المخلوقات التي هي في غاية الميزان والمكيال في منتهى السرعة، يدل على علم لاحدود له، ويشهد بعدد تلك المخلوقات على العليم المطلق والقدير المطلق.

رابعاً : ان خلق ذوي حياة لا يحصرها العد في وسعة مطلقة تسع الارض كلها، في اتم اتقان في الصنعة وفي اجمل زينة، وكمال حسن الصنعة، يدل على علم محيط بكل شئ لايضلّ ولاينسى ويرى الاشياء كلها دفعة واحدة ولا يمنعه شئ عن شئ ويشهد كل موجود وجميعها معاً على انه مصنوع عليم بكل شئ وقدير على كل شئ.

خامساً : ان خلق افراد الانواع التي تفصل بينها مسافات هائلة، فأحدها في الشرق وآخر في الغرب وآخرفي الشمال وآخر في الجنوب، في وقت واحد، وعلى طراز واحد متشابهاً متماثلاً مع تميّز كل منها عن الاخر في التشخص، لايمكن ان يكون الاّ بقدرة قدير مطلق القدرة يدير الكون باسره بقدرته وبعلم مطلق يحيط بالموجودات مع احوالها. لذا فهذه المخلوقات تشهد شهادات لاحدود لها على علم محيط بكل شئ وعلى علاّم الغيوب.

سادساً: ان خلق مكائن كثيرة ذات حياة في تميّز خاص تام وعلامات فارقة عن مثيلاتها، مع انها ضمن ازدحام شديد وفي اماكن مظلمة - كالنوى الموجودة تحت التراب - ومن دون التباس ولاخطأ ولاحيرة رغم انها في اختلاط مطلق، وخلق جميع اجهزة كل منها بلانقصان خلقاً معجزاً، يدل دلالة واضحة كالشمس على علم ازلي ويشهد شهادة بينة كالنهار على ربوبية وخلاقية قدير مطلق وعليم مطلق.

نختصر هذا البحث الطويل جداً محيلين تفاصيلها الى رسائل النور. ونبدأ الآن بمسألة «الارادة» الموجودة في خلاصة الخلاصة.

[الله اكبر من كل شئ قدرة وعلماً اذ هو المريد لكل شئ، ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن؛ اذ تنظيم ايجاد المصنوعات ذاتاً وصفاتٍ وماهيّةً وهويّة من بين الامكانات الغير المحدودة والطرق العقيمة والاحتمالات المشوشة والامثال المتشابهة ومن بين سيول العناصر المتشاكسة بهذا النظام الادق الارق وتوزينها بهذا الميزان الحسّاس الجسّاس وتمييزها بهذه الامثال المتشابهة والتعيّنات المزينة المنتظمة وخلق المخلوقات المنتظمات الحيوية من البسيط الجامد الميت كالانسان بجهازاته من النطفة والطير بجوارحه من البيضة والشجرة باعضائها من النواة والحبة تدل على ان كل شئ بارادته تعالى واختياره وقصده ومشيئته سبحانه كما ان توافق الاشياء في اساسات الاعضاء النوعية والجنسية يدل على ان صانع تلك الافراد واحد احد كذلك ان تمايزها بالتعينات المنتظمة والتشخصات المتمايزة يدل على ان ذلك الصانع الواحد الاحد فاعل مختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد].

هذه الفقرة دليل واحد طويل وكلي من أدلة «الارادة الالهية» تتضمن حججاً كلية كثيرة جداً، نبين ضمن ترجمة فحواها ترجمة مختصرة، دليلاً يثبت اثباتاً قاطعاً الارادة الالهية وإختيارها ومشيئتها، فضلاً عن ان جميع دلائل «العلم الالهي» المذكورة سابقاً هي بذاتها دليل على الارادة الالهية ايضاً،لأن جلوات «العلم والارادة الالهية» واثارهما تشاهدان معاً في كل مصنوع.

ان خلاصة الفحوى لهذه الفقرة العربية هي:

ان كل شئ يحصل بارادته ومشيئته سبحانه، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، يفعل ما يشاء، ولاشئ مالم يشأ. وحجة واحدة من حججها هي:

اننا نشاهد ان كل مصنوع من هذه المصنوعات متميز بذاتٍ معينة وصفات مخصصة وماهية خاصة به، وصورة ذات علامات فارقة متميزة. وبينما يمكن ان يكون كل هذه الاحوال ضمن امكانات واحتمالات مشوشة لاحد لها، ويجري في طرقٍ عقيمة كثيرة خلال مداخلة سيول العناصر وضمن امثاله المتشابهة الداعية على السهو والالتباس، فان خلقه – ازاء هذه الحالات المضطربة المختلطة – ضمن نظام دقيق موزون ومنسق، وأخذ كل عضو من اعضائه واجهزته وفق ميزان حساس جساس كامل، وتمكين كلٍ منها في موضعه المناسب، وتقليده بوظائف، ومنح وجهه سيماء شخصياً مزيناً جميلاً، وخلق اعضائه المتخالفة المتباينة من مادة بسيطة جامدة ميتة، حيّة متقن الصنعة؛ كخلق الانسان الحامل لمئات الاجهزة المتنوعة المتباينة في صور معجزة من قطرة ماء. وخلق الطير باجهزة وجوارح مختلفة متنوعة من بيضة بسيطة، وانشاء الشجرة باغصانها الملتفة واعضائها المتشابكة واجزائها المتغايرة من بذيرة صغيرة مركبة من اشياء بسيطة جامدة هي الكاربون والازوت ومولد الحموضة ومولد الماء (الاوكسجين والهيدروجين)، واضفاء شكل منظم ومثمر عليها.. يثبت بلاشك وبالبداهة وبقطعية لاريب فيها بل بدرجة الوجوب والضرورة واللزوم ان كل مصنوع من هذه المصنوعات يعطى له ذلك الوضع الخاص الكامل لجميع ذراته واجهزته وصورته وماهيته، بارادة قدير مطلق القدرة وبمشيئته واختياره وقصده جل وعلا. وان ذلك المصنوع خاضع لحكم ارادة شاملة كل شئ.

هذا وان دلالة هذا المصنوع الواحد بما لاشك فيه على «الارادة الالهية» تبين ان جميع المصنوعات تشهد شهادة صادقة بليغة لا نهاية لها وبعدد افرادها بقطعية ظاهرة كالشمس والنهار على «الارادة الالهية» الشاملة كل شئ. وانها حجج قاطعة لاحد لها على وجوب وجود قدير مريد.

ثم ان جميع دلائل «العلم» المذكورة سابقاً هي دلائل «الارادة الالهية» ايضاً، اذ كلاهما يعملان مع «القدرة الالهية» فلاينفك احدهما عن الآخر. فكما ان توافق الاعضاء النوعية والجنسية لافراد كل جنس ونوع يدل على ان صانعها واحد احد كذلك الاختلافات في ملامح وجوهها اختلافاً ذات حكمة تدل دلالة قاطعة على ان ذلك الصانع الواحد الاحد، فاعل مختار، يخلق كل شئ بالارادة والاختيار والمشيئة والقصد.

وهكذا فقد انتهى بيان الترجمة المختصرة للفقرة العربية المذكورة، الدالة دلالة كلية فريدة على «الارادة الالهية».

كنت قد عزمت على كتابة نكات مهمة جداً تخص «الارادة الالهية» كما هي في مسألة «العلم الالهي»، الاّ ان المرض الناشئ من التسمم قد ألحق ارهاقاً بدماغي، فأؤجلها الى وقت آخر بمشيئة الله.

اما الفقرة التي تخص القدرة الالهية فهي:

[الله اكبر من كل شئ قدرة وعلماً اذ هو القدير على كل شئ بقدرة مطلقة محيطة ضرورية ناشئة لازمة ذاتية للذات الاقدسية فمحال تداخل ضدها فلا مراتب فيها فتتساوى بالنسبة اليها الذرات والنجوم والجزء والكل والجزئي والكلي والنواة والشجر والعالم والانسان.. بسر مشاهدة غاية كمال الانتظام، الاتزان، الامتياز، الاتقان المطلقات.. مع السهولة في الكثرة والسرعة والخلطة المطلقة.. وبسر النورانية والشفافية والمقابلة والموازنة والانتظام والامتثال.. وبسر امداد الواحدية ويسر الوحدة وتجلي الاحدية. وبسر الوجوب والتجرد ومباينة الماهية.. وبسر عدم التقيد وعدم التحيز وعدم التجزي.. وبسر انقلاب العوائق والموانع الى حكم الوسائل المسهلات.. وبسر ان الذرة والجزء والجزئي والنواة والانسان ليست بأقل صنعة وجزالة من النجم والكل والكلي والشجر والعالم، فخالقها هو خالق هذه بالحدس الشهودي.. وبسر ان المحاط والجزئيات كالامثلة المكتوبة المصغرة او كالنقط المحلوبة المعصّرة. فلابدّ ان يكون المحيط والكليات في قبضة خالق المحاط والجزئيات ليدرج مثالها فيها بموازين علمه او يعصّرها منها بدساتير حكمته..

وبسر كما ان قرآن العزّة المكتوب على الذرة المسماة بالجوهر الفرد بذرات الاثير ليس باقل جزالة وخارقية صنعةٍ من قرآن العظمة المكتوب على صحيفة السماء بمداد النجوم والشموس، كذلك ان ورد الزهرة ليست بأقل جزالة وصنعة من درّي نجم الزُهرة ولا النملة من الفيلة ولا المكروب من الكركدن ولا النحلة من النخلة بالنسبة الى قدرة خالق الكائنات. فكما ان غاية كمال السرعة والسهولة في ايجاد الاشياء اوقعت اهل الضلالة في التباس التشكيل بالتشكل المستلزم لمحالات غير محدودة تمجّها الاوهام. كذلك اثبتت لاهل الهداية تساوي النجوم مع الذرات بالنسبة الى قدرة خالق الكائنات. جلّ جلاله لا إله إلاّ هو الله اكبر].

قبل الشروع ببيان فحوى مختصر لهذه الفقرة العربية العظيمة التي تخص «القدرة الالهية» والذي هو من قبيل ترجمتها ومضمونها، نبين حقيقة أُخطرت الى القلب وهي:

ان وجود القدرة الالهية اكثر قطعية من وجود الكون، بل ان جميع المخلوقات وكل مخلوق بالذات، كلمات مجسمة لتلك القدرة، تبينها وتظهرها بعين اليقين وهي شهادات بعددها على موصوفها القدير المطلق. فلاداعي اذن الى اثبات تلك القدرة بالحجج والبراهين بل يلزم اثبات حقيقة جليلة تخص القدرة والتي هي اساس مهم في الايمان والحجر الاساس الرصين للحشر والنشور والمدار اللازم لمسائل ايمانية كثيرة وحقائق قرآنية جليلة والدعوى التي تعلنها الآية الكريمة ﴿**ما خلقكم ولابعثكم الاّ كنفس واحدة**﴾(لقمان:٢٨) والتي اعيت العقول دونها وظلت في حيرة وعجز، بل ضل قسم منها..

فذلك الاساس وذلك الحجر الزاوية وذلك المدار وتلك الدعوى وتلك الحقيقة هي معنى الآية الكريمة المذكورة.

اي: ايها الجن والانس ان خلقكم جميعاً وبعثكم يوم الحشر يسير على قدرتي يسر ايجاد نفس واحدة، فهو الذي يخلق الربيع بمثل خلقه زهرة واحدة في سهولة ويسر. فلا فرق بالنسبة لتلك القدرة بين الجزئي والكلي والصغير والكبير والقليل والكثير. فهي تجري السيارات بسهولة جريها للذرات.

فتلك الفـقرة العربيـة المذكورة تبين هذه المسألة الجليلة بحـجة قوية قـاطعة في تسع مراتب.

ان الفقرة الآتية تشير الى اساس المراتب وتلخص باختصار شديد الفقرة العربية:

[اذ هو القدير علـى كل شئ بقدرة مطلقة مـحيطة ضـرورية ناشئة لازمـة ذاتية للذات الاقدسـية فمـحال تداخل ضدها فـلا مراتب فـيها فـتتسـاوى بالنسبة اليـها الذرات والنـجـوم والجـزء والكل والجـزئي والكلي والـنواة والشـجـر والعـالم والانسان].

اي: هو القدير على كل شئ بقـدرة محيطة بكل شئ، ولازمة بلـزوم ذاتي وواجبة ضرورية ناشئـة – كما في علم المنطق – للواجب الوجود، محـال انفكاكها ولا يمكن ذلك قطعاً.

فـما دامـت مثل هذه القـدرة لازمـة بمثل هذا اللزوم للذات الاقـدس، فـلاشك ان العـجز الذي هو ضـد القدرة لايدخلهـا بأية جهـة كانت، فـلا يكون عارضـاً للذات الاقدس وحـيث ان وجود المراتب في شئ، هـو بتداخل ضده فـيه – فـمثـلاً: مراتب الحرارة ودرجاتها هي بدخول البرودة، ودرجات الجمال هي بمداخلة القبح – فمحال دنو العجز الذي هو ضده من هذه القدرة الـذاتية، فلابد ان لا مراتب في تلك القدرة المطلقـة. وحيث لامراتب فـيهـا، تتسـاوى النجوم والذرات ازاءها، ولافـرق بين الجزء والكل والفـرد الواحد وجمـيع نوعه والانسـان والكون بالنسبـة لتلك القدرة، واحـياء نواة واحدة والشجرة الباسقة ونفس واحدة وجميع ذوى الارواح في الحشر سواء إزاء تلك القـدرة ويسـير علـيهـا. فـلا فرق لديـها بين الكبـيـر والصـغيـر والقليل والكـثيـر. والشاهد الصادق القاطع على هذه الحقيقـة هو ما نشاهده في خلق الاشياء من كمال الصنعة والنظام والميزان والـتميز والكثرة في السـرعة المطلقة مع السهولة المطلقـة واليسر التام. فهذه الحقيقة المذكورة هي مضمون المرتبة الاولى التي هي:

[وبسـر مشـاهدة غـاية كمـال الانتظام الاتزان الامـتـياز الاتقـان المطلقـات مع السهولة المطلقة في الكثرة والسرعة والخلطة]

المرتبة الثانية : وهي: [وبسر النورانية والشفافية والمقابلة والموازنة والانتظام والامتثال]

نحيل ايضاح هذه المرتبة وتفاصيلها الى ختام « الكلمة العاشرة » والى « الكلمة التاسعة والعشرين » والى « المكتوب العشرين » ونشير اليها هنا اشارة مختصرة:

نعم، كما ان دخول ضوء الشمس وصورتها – من حيث النورانية – بالقدرة الربانية في سطح البحر وفي حبابه كلها يسير، كدخوله في قطعة زجاجية، كلاهما سواء. كذلك القدرة النورانية لمن هو نور الانوار، فان خلقها للسموات والنجوم وتسييرها يسيرعليها كخلق الذباب والذرات وتسييرها، فلا يصعب عليها شئ.

وكما توجد – بخاصية الشفافية – صورة الشمس المثالية في مرآة صغيرة وفي بؤبؤ العين بالقدرة الالهية، فبالسهولة نفسها يعطي ذلك الضوء وتلك الصور بالأمر الالهي الى جميع الاشياء اللماعة والى جميع القطرات وجميع الذرات الشفافة والى سطح البحار. كذلك فان جلوة القدرة المطلقة وتأثيرها في ايجاد نفس واحدة هو بالسهولة نفسها في خلقها الحيوانات كلها حيث ان وجه الملكوتية والماهية للموصنوعات شفاف ولماع. فلا فرق بالنسبة الى تلك القدرة بين القليل والكثير والصغير والكبير.

وكما اذا وضع جوزتان في كفتي ميزان حساس متقن يكيل الجبال، ثم وضعت نواة صغيرة في احدى الكفتين فانها ترفعها بسهولة الى قمة جبل وتخفض الاخرى الى حضيض الوادي. واذا ما وضعت جبلان متساويان بدلاً عن الجوزتين، فان احد الجبلين يرتفع الى السموات وينخفض الاخر الى اعماق الوديان بالسهولة نفسها فيما اذا وضعت في احدى الكفتين نواة صغيرة. كذلك: « الامكان مساوي الطرفين » حسب تعبير علم الكلام، اي ان وجود الاشياء الممكنة والمحتملة – اي غير الواجبة والممتنعة – وعدمها سواء، لافرق بين وجودها وعدمها ان لم يوجد سبب.

ففي هذا الامكان والمساواة بين الوجود والعدم، يتساوى القليل والكثير، الصغير والكبير. وهكذا فالمخلوقات ممكنات، وحيث ان وجودها وعدمها سواء، ضمن دائرة الامكان، فان قدرة الواجب الوجود الازلية المطلقة كما تعطي الوجود لممكن واحد بسهولة ويسر، تلبس كل شئ وجوداً يلائمه مخلة للتوازن بين الوجود والعدم. وتنزع

عنه لباس الوجود الظاهري ان كانت قد انتهت مهمته، وترسله الى العدم صورة وظاهراً، بل الى الوجود المعنوي في دائرة العلم.

بمعنى ان الاشياء ان اسندت الى القدير المطلق وفوّض امرها اليه سبحانه فان احياء الربيع يسهل كإحياء زهرة واحدة، واحياء الناس جميعاً في الحشر يسهل كإحياء نفس واحدة. بينما اذا اسند خلق الاشياء الى الاسباب فان خلق زهرة واحدة يصعب كصعوبة خلق الربيع كاملاً وخلق ذبابة واحدة كخلق الاحياء بأسرها.

وكذا كما ان سفينة عظيمة وطائرة ضخمة تتحرك بمجرد مس مفتاح فيهما، بسر الانتظام، بسهولة نصب الساعة وتشغيلها. كذلك فان اعطاء كل شئ كلي وجزئي، صغير وكبير قليل وكثير، قالباً معنوياً، ومقداراً خاصاً وحدوداً معينة، بدساتير العلم الازلي، وبقوانين الحكمة السرمدية وبالاصول المعينة والجلوات الكلية للارادة الالهية، يجعل الاشياء كلها ضمن الانتظام العلمي التام وقانون الارادة. فلاشك ان تحريك المنظومة الشمسية بقدرة القدير المطلق وجريها سفينة الارض في مدارها السنوي هي بسهولة جريها الدم وما فيه من كريات حمر وبيض وتدوير ذراتها، جرياً ودوراناً ضمن نظام وحكمة حتى انها تخلق انساناً مع اجهزته الخارقة من قطرة ماء ضمن نظام الكون دون تعب ولانصب.

بمعنى انه اذا اسند ايجاد الكون الى تلك القدرة الازلية المطلقة يكون الامر سهلاً كايجاد انسان واحد، وان لم يسند اليها فان خلق انسان واحد باجهزته العجيبة ومشاعره الدقيقة، يكون مشكلاً وعسيراً كخلق الكون كله.

وكذا كما ان قائداً واحداً بأمره الهجوم جندياً واحداً يسوقه الى الهجوم، بسر الاطاعة والامتثال وتلقي الاوامر، فانه بالامر نفسه وبالسهولة نفسها يسوق جيشاً عظيماً مطيعاً ايضاً الى الهجوم.

كذلك المصنوعات التي كل منها في كمال الطاعة لقوانين الارادة الالهية لتلقي اشارات الامر الرباني التكويني، وكالجندي المتأهب وكالعبد المأمور في ميل فطري وشوق فطري ضمن دائرة دساتير خط السير الذي عيّنه العلم الازلي والحكمة الازلية، وهو اكثر طاعة وانقياداً للاوامر بألف مرة عن طاعة جنود الجيش، فهذه المصنوعات

ولاسيما ذوي الحياة منها عندما يتلقى كل منها الامر الرباني: «اخرج من العدم الى الوجود وتقلّد وظيفة» تلبسه القدرة الالهية بسهولة مطلقة وجوداً خاصاً بالشكل الذي عينه العلم وبالصورة التي خصصتها الارادة وتأخذ بيده الى ميدان الوجود.

وكذلك بالسهولة نفسها وبالقوة والقدرة نفسيهما يخلق سبحانه جيش الاحياء في الربيع ويوكل اليه الوظائف.

بمعنى ان كل شئ اذا اسند الى تلك القدرة، فان ايجاد جيوش الذرات كلها وفرق النجوم كلها سهل كسهولة ايجاد ذرة واحدة ونجم واحد، بينما اذا اسند الى الاسباب فان خلق ذرة في بؤبؤ عين كائن حي وفي دماغه – بقابلية لتؤدي الوظائف العجيبة – يكون ذا مشكلات وصعوبة كخلق جميع الحيوانات.

المرتبة الثالثة: وهي: [وبسر امداد الواحدية ويُسر الوحدة وتجلي الاحدية]

سننظر الى مضمونها باشارات قصيرة جداً:

كما ان قائداً عظيماً وسلطاناً مهيباً تسهل ازاءه ادارة امور البلاد الواسعة والامة العظيمة كسهولة ادارة اهالى قرية واحدة، وذلك من حيث وحدة حاكميته وعمل رعيته وفق اوامره وحده. اذ من حيث الواحدية في حكمه تكون افراد الامة كافراد الجيش وسائل للتسهيلات، فتطبق الاوامر والقوانين بيسر وسهولة.

بينما اذا فوضت الامور الى حكام مختلفين، ففضلاً عن سقوطها في هاوية المشاكسات والاضطرابات فان ادارة قرية واحدة بل بيت واحد تكون ذات مشكلات كادارة تلك البلاد الواسعة.

ثم ان كل فرد من افراد تلك الامة المطيعة المرتبطة بقائد واحد، كالجندي يستند الى قوة ذلك القائد ويعتمد على مخازن اعتدته ويستمد من جيشه العظيم، لذا يستطيع ان يأسر ملكاً من الملوك، وينجز اعمالاً هي اضعاف اضعاف ما يؤديه من عمل شخصي. فيكون انتسابه الى ذلك السلطان قوة عظمى لامنتهى لها واقتداراً لاحدود له فيؤدى بها اعمالاً جسيمة جليلة، بينما اذا انقطع ذلك الانتساب، فان

تلك القوة الهائلة تذهب ادراج الرياح، فلايمكن ان يؤدي من الاعمال الاّ بمقدار مافي ساعده من قوة جزئية، وما يحمله على ظهره من اعتدة قليلة وطلقات محدودة.ولو طلب من ذلك الجندي ما يؤديه الجندي المستند المذكور من اعمال للزم وجود قوة جيش كامل في ساعده ومداخر أعتدة السلطان على ظهره!.

كذلك الامر، فان سلطان الازل والابد، الصانع القدير، من حيث واحدية سلطنته وواحدية حاكميته المطلقة يدير الكون بسهولة ادارة مدينة واحدة ويخلق الربيع بسهولة خلق حديقة واحدة، ويحيي جميع الموتى في الحشر بسهولة خلق اوراق اشجار تلك الحديقة وازاهيرها وثمراتها في الربيع المقبل ويخلق الذباب بنظام نسرٍ عظيم في سهولة ويسر، ويجعل انساناً في حكم كون عظيم بسهولة ويسر ايضاً.

بينما اذا اسند الامر الى الاسباب فان خلق جرثومة واحدة يكون صعباً بصعوبة خلق كركدن عظيم وخُلق ثمرة من الثمرات بصعوبة خلق شجرة كاملة ذات مشكلات.. بل يلزم ان يُعطى كلٍ ذرة من الذرات العاملة في وظائف عجيبة في حجيرات جسم الكائن الحي بصراً تبصر به كل شئ وعلماً تدرك به كل شئ، لتؤدي تلك الوظائف الحياتية الدقيقة المتقنة.

ثم ان اليسر والسهولة يبلغان في الوحدة بدرجة، بحيث تسهل ورود تجهيزات جيش كامل من يدٍ واحدة من مصنع واحد، كسهولة تجهيز جندي واحد بالمعدات العسكرية، واذا ما تدخلت ايدٍ مختلفة اخرى واُخذ كل جهاز من تلك الاجهزة المتنوعة من مصانع متباينة، فان تجهيز جندي واحد – من حيث الكمية – لايمكن إلاّ بألف مشكلة ومشكلة اذ تصعب الامور الى صعوبة تجهيز الف جندي حيث يتدخل امراء متعددون وضباط عديدون.

ثم ان ادارة الف جندي والآمرية عليهم اذا اسندت الى ضابط واحد، تسهل سهولة ادارة جندي واحد، من جهة، بينما اذا تركت الادارة الى عشرة ضباط او الى الجنود انفسهم، فيحدث كثير من الاختلاطات والفوضى والمشكلات.

كـذلك الامـر اذا اسند كل شئ الى الواحـد الاحـد فـانه يسـهل كـسـهـولة الشئ الواحد، بينمـا اذا اسند الى الاسبـاب فان امر كـائن حي واحد يكون صعبـاً وعسيراً كالارض كلها، بل يكون غير ممكن قطعاً.

بمعنى ان في الـوحـدة سـهـولة بدرجـة الوجـوب واللزوم، وفي الكثـرة ومـداخلة الايدي تبلغ الصعوبة بدرجة عدم الامكان.

فكما ذكـر في «المكتوبات» مـن كليات رسائل النور انه اذا فوض اختـلاف الليل والنهـار وحـركـات النجـوم وتحـولات الفـصـول السنـوية كـالخـريف والشـتـاء والربيع والصيف الى مدبّر واحـد وآمر واحـد، فان ذلـك الآمر الاعظم يأمـر الارض التي هي جندي من جنوده ان: قومي، دوري، سيري وهي بدورها تنهض منجذبة بنشوة الامر وتتحرك كالعـاشق المولوي حركتين يومية وسنوية وتصبح وسيلة سـهلة جداً لتحولات المواسم وحركات النجوم الظاهريـة والخيالية، مظهرة السهولة التـامة واليسر المتناهي في الوحدة.

ولكن لو ترك الامـر – لا الى ذلك الآمـر الواحـد – بل الى الاسـبـاب والى هوى النجـوم ورغـبـاتـهـا، وقـيل للارض: قـفي لاتجـولي، فلربمـا يحـصل وضع الارض في حـصـول المواسم والليل والنهـار بقطع الوف النجـوم والشـمـوس التي هي اضـخـم من الارض بالوف المرات مـسـافـات تبلغ مـلايين السنين بل مليـارات السنـين في كل ليلة وفي كل سنة! اي يكون الامر صعباً ومشكلاً بدرجة المحال وغير الممكن.

المرتبة الثالثة: وهي كلمـة «تجلي الاحدية» تشـير الى حقـيقـة في منتهى السـعة والعـمق والدقة والعظمـة، نحيل ايضـاحهـا واثباتهـا الى رسائل النور مـبينين نكتـة من نكاتها ضمن تمثيل قصير جداً.

نعم، كمـا ان الشمس تنور الارض كلها بضـيائها، وتصبح مثالاً للواحـدية، فهي بوجود صورتها ومثـالها بالوانهـا السبعـة وصورتها الذاتيـة في كل ما يقـابلها من شئ شفاف كالمرآة فيها تصبح مثالاً للاحدية.

فلو كان للشمس علم وقدرة واختيار وكانت للقطع الزجاجية وقطرات الماء والحباب التي تنعكس فيها الشميسات قابليات، لكانت توجد شمس كاملة بقانون الارادة الالهية في كل منها وبجنب كل منها، توجد بصفاتها وبصورتها، من دون ان يعيق او ينقص وجودها في سائر الاماكن عن تصرفها شيئاً، فتكون سبباً لمظاهر كبيرة جداً بأمر القدرة الربانية وتأثيرها وحكمها، فتبين ما في الاحدية من سهولة فوق المعتاد.

كذلك الصانع الجليل فانه باعتبار الواحدية يرى الاشياء كلها وهو رقيب عليها بعلمه وبارادته وبقدرته المحيطة بكل شئ، كما انه من حيث الاحدية وبتجليها موجود جنب كل شئ ولاسيما ذوي الحياة، باسمائه وصفاته الجليلة، بحيث يخلق بسهولة تامة في آن واحد الذبابة في نظام النسر، والانسان في نظام الكون العظيم. فيخلق ذوي الحياة بمعجزات كثيرة وكثيرة بحيث لواجتمعت جميع الاسباب لخلق بلبل واحد اوذبابة واحدة لعجزت. فالذي يخلق بلبلاً هو خالق الطيور لاغيره والذي يخلق انساناً هو خالق الكون لاغيره.

المرتبة الرابعة والخامسة: هما.. [وبسر الوجوب والتجرد ومباينة الماهية، وبسر عدم التقيد وعدم التحيز وعدم التجزي]

ان نقل ما تفيده هاتان المرتبتان الى افهام عامة الناس عسير جداً، لذا نبين فحواهما باختصار مع ذكر بضع نكات قصيرة منهما.

اي: ان قديراً مطلقاً يملك وجوداً هو اقوى وامتن مراتب الوجود وهي مرتبة الوجوب الذي هو ازلي وابدي والمنّزه عن الماديات والمجرد عنها، ويحمل ماهية مقدسة مباينة لجميع الماهيات.. هذا القدير المطلق يسيرٌ ازاء قدرته ادارة النجوم كإدارة الذرات، والحشر الاعظم سهل عليها كالربيع، واحياء الناس جميعاً في الحشر هين عليها كإحياء نفس واحدة.

لان مقدار أنملة من نوع قوى من طبقات الوجود يمسك جبلاً ضخماً لطبقة خفيفة من طبقات الوجود ويديره. فمثلاً المرآة، والقوة الحافظة وهما وجودان خارجيان –

وهو وجـود قـوي – يمكنهـما ان تـضمـا وتديرا مـائة من الجبـال والفـاً من الكتب من الوجـود المثـالي والمعنوي الذي هو ضعـيف وخـفـيف.. وهكذا، فـكم هو أدنى من حيث القـوة الوجود الوجود المثـالى من وجود خـارجي، فان انواع الوجـود الحادثة والعـارضة للـممكنات ايضـاً هي ادنى بالوف المرات وأخف مـن وجود واجب سـرمـدي ازلي، بحيث ان تجلياً من ذلك الوجود المقدس بمقدار ذرة يدير عالماً من الممكنات.

آسف فـان اسبابـاً ثلاثة شبـيهـة بالمرض الناشئ من التسـمـم في الوقت الحـاضر، لا تسمح لبـيان هذه الحقيـقة العظيمة بنكاتهـا. فاحيلها الى رسـائل النور والى وقت آخر بمشيئة الله.

المرتبة السادسة: وهي: [وبسـر انقـلاب العـوائق والموانع الى حكـم الوسـائل المسهلات].

اي كمـا انه بقانون من جلوات الارادة الالهـية والامر التكوينـي – والذي تعبّر عنه العلوم الحـديثة بالعقـدة الحيـاتية – تسري المواد اللازمة والارزاق بتـوجه تلك الارادة والامر من تلك العقدة الحياتية التي هي كمـحرك ونابض لها الى ثمرات شجرة عظيمة فاقدة للشـعور والى اوراقها وثمراتهـا، ولاتكون اغصانها المتـشعبة ولاجذوعـها القوية الصلدة عـوائق وموانع دونهـا، بل تكون وسائل تيسيـر ووسائط تسـهيل. كـذلك في خلق الكون وايجـاد المخلوقـات كلهـا تدع جميع الموانع الإحـجام والمـمانعـة ازاء تجلٍ للارادة الالهية ولتوجه الامر الرباني، وتصبح وسيلة تسهيل وتيسير. فالقدرة السرمدية تخلق الكون ومخلوقات الارض قاطبة بسهولة خلقـها تلك الشجرة، لايصعب عليها شئ. فلو لم تسند جـميع الخلق الى تلك القـدرة فان انشـاء تلك الشـجرة، الواحـدة وادارتها تكون صعبة صعوبة ادارة جميع الاشجار، بل صعوبة خلق الارض وادارتها. لان كل شئ عندئذٍ يكون مـانعاً وحـائلاً. ولو اجتـمعت الاسبـاب جـميعهـا في هذه الحالة لاتستـطيع ان ترسل الارزاق اللازمة من معـدة عـقدتها الحـياتية ومـن زمبركـها الناشئـة من الامر والارادة، وتوصيلهـا بانتظام الى ثمراتها واوراقـها واغصـانها. الاّ اذا اسند الى كل جزء من اجزاء الشـجرة بل حتى الى كل ذرة من ذراتها بصـراً يبصر كل

الشجرة وكل جزء منها وكل ذرة من ذراتها، وعلماً محيطاً بكل شئ وقدرة قادرة على كل شئ.

وهكذا اصعد، هذه المراتب الخمسة وانظر كم في الشرك والكفر من مشكلات ومحالات. واعلم مدى امتناعهما وبعدهما عن معايير العقل والمنطق، ومدى السهولة في طريق الايمان والقرآن بل مدى ما فيها من حق وحقيقة مستساغة بدرجة الوجوب. ومدى معقوليتها وقطعيتها وسهولتها ومقبوليتها بدرجة اللزوم. شاهد هذه الحقيقة وقل: الحمد لله على نعمة الايمان.

(لقد سببت الضغوط والمضايقات تأجيل القسم الباقي من هذه المرتبة العظيمة الى وقت آخر بمشيئة الله).

المرتبة السابعة: وهي: [وبسرّ ان الذرة والجزء والجزئي والنواة والانسان ليست بأقل صنعة وجزالة من النجم والكل والكلي والشجر والعالم]

تنبيه

ان اسس حقائق هذه المراتب التسع وكنزها وشمسها هي آيتي سورة الاخلاص: ﴿**قل هو الله احد۞ الله الصمد**﴾ فهي اشارات قصيرة الى لمعات من تجليات سر الاحدية والصمدية.

نلقي نظرة الى فحوى هذه المرتبة السابعة بنكتة او نكتتين محيلين تفاصيلها الى رسائل النور.

وهي تعني ان الذرة التي تؤدي وظائف عجيبة في العين والدماغ ليست بأقل صنعة وابداعاً من النجم، وليس الجزء بأقل جزالة من مجموعه الكل. فمثلاً: ليس الدماغ والعين بأقل اتقاناً وابداعاً، من الانسان. ولا الفرد الجزئي بأقل ابداعاً من النوع عامة، من حيث جمال الاتقان والغرابة في الخلق. ولا الانسان باقل صنعة من جنس

الحيوان الكلي، من حيث اجهزته العجيبة. ولا البذرة التي هي بمثابة فهرس وبرنامج وقوة حافظة بأقل اتقاناً من شجرتها الباسقة، من حيث كمال الصنع والخزن. ولا الانسان الذي هو كون صغير بأقل ابداعاً من الكون العظيم، من حيث انه في احسن تقويم ويملك اجهزة خارقة جامعة مهيأة للقيام بالوف الوظائف العجيبة.

فالذي يخلق الذرة اذاً لايعجز عن خلق النجم، والذي يخلق اللسان – وهو عضو في الانسان – يخلق الانسان بسهولة ويسر بلاشك. والذي يخلق الانسان في احسن تقويم لاشك انه قادر على خلق الحيوانات كلها بسهولة كاملة، مثلما يخلقها امام أنظارنا. والذي يخلق النواة بماهية فهرس وقائمة مفردات، ودفتر قوانين أمرية، وعقدة حياتية، لاشك هو الذي يكون خالق جميع الاشجار. والذي جعل الانسان اشبه ببذرة معنوية للعالم وثمرة جامعة له ومظهراً لجميع اسمائه الالهية ومرآة لها ومرتبطاً بالكائنات كلها وخليفة للارض، لاشك انه يملك قدرة قادرة على خلق الكون كله وتنسيقه بسهولة خلق الانسان. ولهذا فمن كان خالقاً وصانعاً ورباً للذرة والجزء والجزئي والنواة والانسان فبالبداهة ولاشك انه هوخالق النجوم والانواع والكل والكليات والاشجار وجميع الكائنات وصانعها وربها بالذات، فمحال ان يكون غيره وممتنع قطعاً.

المرتبة الثامنة: [وبسرّ ان المحاط والجزئيات كالامثلة المكتوبة المصغرة او كالنقط المحلوبة المعصرة فلابد ان يكون المحيط والكليات في قبضة خالق المحاط والجزئيات ليدرج مثالها فيها بموازين علمه اويعصرها منها بدساتير حكمته].

اي ان نسبة الجزئيات المحاطة والافراد والنوى والبذور التي تتضمنها الكل والكليات الى الكلّيّات الكبيرة المحيطة، شبيهة بنماذج مصغرة وامثلة مكتوب فيها ما كتب تماماً في الكل والكليات كتابةً دقيقة تناسب تلك القطع الصغيرة. ولهذا فالكليات المحيطة هي في قبضة خالق تلك الجزئيات وتحت تصرفه بلاشك وذلك ليدرج كتاب ذلك المحيط الكبير بموازين علمه وباقلامه الدقيقة في مئات من القطع والدفاتر الصغيرة.

ثم ان نسبة الاجزاء والجزئيات المحاطة الى الكليات المحيطة، ومثالهما شبيه بالقطرات المحلوبة او القطرات المعصرة من الكليات المحيطة. فمثلاً نواة البطيخ كأنها قطرة محلوبة من جميع انحاء البطيخ او هي نقطة كتب فيها كتاب البطيخ كاملاً حتى انها تحمل فهرسه وقائمة محتوياته وبرنامجه.

فما دام الامر هكذا، يلزم ان تكون تلك الجزئيات والقطرات والنقاط والافراد بيد صانع ذلك الكل المحيط وتلك الكليات المحيطة، ليعصر تلك الافراد والقطرات والنقط منها بدساتير حكمته الحساسة.

بمعنى ان خالق نواة واحدة وفرد واحد هو خالق ذلك الكل الكبير والكليات وخالق الكليات والاجناس التي تكبرها وتحيط بها ايضاً وليس غيره. ولهذا فخالق نفس واحدة يخلق جميع الناس، والذي يبعث انساناً ميتاً واحداً يبعث الجن والانس والاموات جميعاً في الحشر، وسيبعثهم.

وهكذا شاهد مدى أحقية دعوى ﴿**ما خلقكم ولابعثكم الاّ كنفس واحدة**﴾(لقمان: ٢٨) ومدى ثبوتها وقطعيتها، شاهدها باسطع واجلى صورتها.

المرتبة التاسعة:

[وبسرّ كما ان قرآن العزّة المكتوب على الذرة المسماة بالجوهر الفرد بذرات الاثير ليس باقل جزالة وخارقية صنعة من قرآن العظمة المكتوب على صحيفة السماء بمداد النجوم والشموس كذلك ان ورد الزهرة ليست بأقل جزالة وصنعة من درّيّ نجم الزُهرة ولا النملة من الفيلة ولا المكروب من الكركدن ولا النحلة من النخلة بالنسبة الى قدرة خالق الكائنات فكما ان غاية كمال السرعة والسهولة في ايجاد الاشياء اوقعت اهل الضلالة في التباس التشكيل بالتشكل المستلزم لمحالات غير محدودة تمجها الاوهام كذلك اثبتت لأهل الهداية تساوي النجوم مع الذرات بالنسبة الى قدرة خالق الكائنات جلّ جلاله ولا إله إلاّ هو الله اكبر].

كنت اود ان ابين مضمون هذه المرتبة الاخيرة باسهاب ولكن
مع الاسف حال دون ذلك العنت والضيق الناجم من التحكم
الاعتباطي، والضعف الذي اعترى جسمي من التسمم فضلاً
عن الامراض المؤلمة. لذا اضطررت الى الاكتفاء باشارات قصيرة
جداً الى مضمونها.

وهي تعني: كما لو كتب قرآن عظيم في الذرة – التي تطلق عليها في علم الكلام والفلسفة الجوهر الفرد غير القابل للانقسام – بذرات الاثير التي هي اصغر منها، وكتب ايضاً قرآن عظيم آخر في صحائف السموات بالنجوم والشموس، ثم قورن بينهما، فلاشك ان القرآن المكتوب بالجوهر الفرد ليس بأقل جزالة واعجازاً وابداعاً من القرآن العظيم والكبير الذي جمّل وجه السموات، وربما هو اكثر منه جزالة من جهة. كذلك ان ورد الزهرة ليست بأقل جزالة وصنعة من درّيّ نجم الزُهرَة ولا النملة ادنى من الفيل بل المكروب اكثر ابداعاً من الكركدن خلقة والنحلة بفطرتها العجيبة اعجب من النخلة بالنسبة الى قدرة خالق الكائنات. بمعنى ان خالق النحلة يخلق جميع الحيوانات، والذي يبعث نفساً واحدة يجمع الناس على صعيد الحشر ويبعثهم جميعاً، وسيحشرهم حتماً. فلا يصعب على تلك القدرة شئ ، كما تشاهد مئات الوف النماذج من الحشر في كل ربيع امام اعيننا.

ومضمون الجملة العربية الاخيرة وفحواها المختصر هو:

ان اهل الضلالة لجهلهم بالحقائق الثابتة الراسخة للمراتب المذكورة، ولظهور الموجودات الى الوجود في منتهى السرعة والسهولة، فقد التبس عليهم تشكيلها وايجادها بقدرة صانع قدير مطلق القدرة، مع تشكّلها ووجودها بنفسها، فاتحين لانفسهم ابواب خرافات ومحالات غير محدودة تمجّها الاوهام والاذهان.اذ في تلك الحالة – مثلاً – يلزم اعطاء كل ذرة من ذرات كائن حي قدرة قادرة على صنع كل شئ وعلماً وبصراً يبصر كل شئ. اى انهم بعدم قبولهم لإله واحد أحد اضطروا الى قبول آلهة بعدد الذرات حسب مذهبهم، مستحقين الدخول الى اسفل سافلي جهنم.

اما اهل الهداية فقد منحت الحقائق القوية للمراتب السابقة والحجج الرصينة الى قلوبهم السليمة وعقولهم الصائبة قناعة تامة قاطعة وايماناً قوياً وتصديقاً بعين اليقين، حتى اعتقدوا بلاريب ولاشبهة وبكل اطمئنان قلب انه لا فرق بين النجوم والذرات، واصغر شئ واكبره ازاء القدرة الالهية، حيث نشاهد امامنا هذه المخلوقات العجيبة. فكل صنعة عجيبة منها تصدق دعوى الآية الكريمة ﴿ **ما خلقكم ولابعثكم الاّ كنفسٍ واحدة** ﴾. وتشهد ان حكمها هو عين الحق ومحض الحقيقة. وتقول بلسان الحال: الله اكبر، ونحن بدورنا نقول: الله اكبر بعدد المخلوقات مصدقين حكم هذه الآية الكريمة بكل قوتنا وقناعتنا ونشهد ان حكمها هو عين الحق والحقيقة نفسها بحجج لامنتهى لها.

﴿ سبحانك لاعلم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ﴾

اللهمّ صلّ وسلم على من ارسلته رحمةً للعالمين

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

يا الله، يا رحمن، يا رحيم،

يا فرد ، يا حي، يا قيوم. يا حكم، يا عدل، يا قدوس

بحق الأسم الأعظم و بحرمة القرآن المعجز البيان وبكرامه الرسول الأعظمﷺ ،

ادخل الذين قاموا بطبع هذه المجموعة و معاونيهم الميامين جنة الفردوس والسعادة الأبدية... آمين.

ووفّقهم في خدمة الإيمان والقرآن دوماً وابداً.. آمين.

واكتب في صحيفة حسناتهم ألف حسنة لكل حرف من حروف كتاب «الشعاعات» ... آمين.

وأحسن اليهم الثبات والدوام والإخلاص في نشر «رسائل النور» . آمين.

يا ارحم الراحمين! آت جميع طلاب النور في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.. آمين.

وأحفظهم من شر شياطين الجن والأنس.. آمين.

واعف عن ذنوب هذا العبد العاجز الضعيف سعيد .. آمين.

بإسم جميع طلاب النور

سعيد النورسي

الفهارس



فهرس عام للموضوعات



فهرس الآيات الكريمة

فهرس الاحاديث النبوية والآثار

فهرس تحليلي للموضوعات

أ



ت

خ

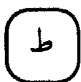
ز



ش









ع

ك

ل

م



و

ي

فهرس الاعلام

فهرس الجماعات والاقوام

فهرس الاشعار والامثال والحكم والقواعد

فهرس الاشعار

فهرس الحكم والامثال والقواعد

فهرس الاماكن والمواضع

فهرس النباتات والحيوانات والعناصر والاجرام السماوية

فهرس اسماء النباتات

فهرس اسماء الحيوانات

فهرس العناصر

فهرس الاجرام السماوية

شكر واعتذار

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فان القاعدة الجليلة «المرء كثير بأخيه» حقيقة راسخة لمستها منذ الخطوات الأُولى لقيامي بترجمة كليات رسائل النور وحتى الإنتهاء منها، اذ ما أقدمت على الترجمة حتى هيأ المولى الكريم من يدلّني على الصواب، ويرشدني الى السداد ويأخذ بيدي الى ما فيه الخير والصلاح.

وأخي الحبيب «اورخان محمد علي» هو السابق في هذه المبادرة الكريمة، فقد ذلل لي مصاعب الترجمة ويسّر صعوباتها، بحسن ارشاداته ولطيف توجيهاته، حتى قلّت العثرات وندرت الكبوات، ولم يزل أخاً كريماً وناصحاً أميناً فكلل جميل احسانه وكريم فضله وساهم مساهمة جادة في ترجمة هذه المجموعة «الشعاعات» حيث ترجم «الشعاع الثاني عشر» كاملاً ومائة ونيف من الصفحات من «الشعاع الرابع عشر» فجزاه الله خيراً على عمله الجليل واجزل ثوابه.

وإذ أُقدّم شكري الجزيل ودعائي القلبي الخالص لأخي «اورخان» لا أنسىٰ الأيدي الكريمة التي امتدت اليّ لتعينني في الترجمة أو الطبع أو النشر.

وحيث أن كل آت قريب، وأن الأجل مجهول، أجدني مضطراً الى ذكر أسماء من لهم الفضل عليّ في إخراج هذه الترجمات الى حيّز الوجود على الرغم من أنهم لا يرغبون في ذلك، بل قد لا يرضون، ولكن كسباً لدعاء القرّاء الكرام وعرفاناً بالجميل اقدم جزيل شكري وعظيم امتناني الى كل الاخوة والأخوات الذين ساهموا فعلاً وقولاً في اصدار هذه المجموعات المترجمة وبخاصة الاستاذ الكريم اديب ابراهيم الدباغ الذي صاغ الجمل صياغة ادبية لتتنزه عن عورات الركاكة.

والاستاذ الفاضل «ابي صهيب» الذي شذب وصحح حتى استقامت الجمل والتعابير على قواعد العربية السليمة.

والاخت التقية بل ابنتي العزيزة «ام زينب» التي سهرت الليالي في تبييض مسودة الترجمات.

والأخ عبدالرحمن اراز الذي قابل الترجمة بالنص التركي.

والأخ الاستاذ فاروق رسول يحيى (مترجم الرسائل الى اللغة الكردية) الذي ادرك التصحيح الأخير لهذه المجموعة ولـمّا تدخل الطبع.

وابنائي البررة واخوة أحبة كثيرين ولا سيما زياد وعامر وعماد الذين شاركوا في التنضيد والتنسيق، وحازم وسامي اللذين هيئا الفهارس.

أسأل المولى الكريم أن يرزقني وإياهم جميعاً حبّه وحبّ من يحبه والعمل الذي يبلغنا حبّه.

هذا وفي الوقت الذي اقدم ثنائي الجميل وشكري الجزيل للأفاضل الكرام الذين اعانوني في هذه المهمة الجليلة، اقدم اعتذاري الى القراء الكرام عن عدم قيامي بترجمة الشعاعين «الأول والثامن» من هذه المجموعة، داعياً العلي القدير أن يهيئ في المستقبل من العلماء من يوفي حقهما من الترجمة.

والله نسأل أن يوفقنا الى حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول وسداد العمل.

وصلّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحي

إستانبول ١٩٩٣

المجلد المقبل

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز

التفسير القيم الذي أملاه الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي باللغة العربية على تلاميذه في ساحات الجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى.

تحقيق: احسان قاسم الصالحي.

تقديم : الاستاذ الدكتور محسن عبدالحميد.

وألحق في ختام الكتاب:

«قالوا عن القرآن الكريم»

اختارها الاستاذ الدكتور عمادالدين خليل.

من أقوال مفكري الغرب حول القرآن الكريم.

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة ، ت : ٨٢٧٨٥١







Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

